



العدد ١٣٣٩ : هذا الموافق ١٩٢١ م  
تشرني دمشق مرة في اشهر

كانون الثاني - شباط

١٩٣٢

دمشق  
مركز تحقيق وتطوير مركز  
المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي  
الدفع مقدماً  
في سورية ولبنان ٢٥٠ قرشاً سورياً  
وفي جميع الاقطار ٦٠ فرنكاً

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

في الداخل	٥٠٠	من السنة الاولى الى الرابعة كل سنة منها
في الخارج	٦٠٠	الاولى الى الرابعة
	٣٠٠	الخامسة الى العاشرة
	٣٥٠	الخامسة الى العاشرة

مدونة لسان العرب

<http://lisaanularab.blogspot.com>

اعضاء المجمع العلمي

« في سنة ١٩٣١ »

الرئيس : السيد محمد كرد علي

« الاعضاء »		« الاعضاء »	
محل الإقامة	السادة	محل الإقامة	السادة
بيروت	١٩ السيد امين الريحاني	دمشق	١ الدكتور اسعد الحكيم
"	٢٠ السيد بولس الخولي	"	٢ الشيخ محمد بهجة البيطار
"	٢١ الشيخ عبد الرحمن سلام	"	٣ السيد جميل العظم
"	٢٢ السيد عمر فاخوري	"	٤ السيد خليل مردم بك
"	٢٣ الدكتور فيليب حقي	"	٥ السيد رشيد بقدونس
"	٢٤ الفيكونت فيليب دي طرازي	"	٦ السيد سليم الجندي
"	٢٥ الشيخ مصطفى الغلابي	"	٧ السيد سليم عثوري
"	٢٦ الدكتور نقولا فياض	"	٨ السيد شفيق جبيري
زحلة	٢٧ السيد عيسى اسكندر المعلوف	"	٩ السيد عارف النكدي
النبطية	٢٨ الشيخ احمد رضا	"	١٠ الشيخ عبد القادر المبارك
"	٢٩ الشيخ سليمان ظاهر	"	١١ الشيخ عبد القادر المغربي
طرابلس الشام	٣٠ السيد جرجي بي	"	١٢ السيد عبد الله رعد
اللاذقية	٣١ الشيخ سليمان احمد	"	١٣ السيد عز الدين النونجي
"	٣٢ السيد ادوارد صرفص	"	١٤ السيد فارس الخوري
انطاكية	٣٣ الشيخ محمد زين العابدين	"	١٥ الدكتور مرشد خاطر
حلب	٣٤ الشيخ بدر الدين النعساني	"	١٦ السيد معروف الارناؤط
"	٣٥ السيد جبرائيل رباط	"	١٧ الامير مصطفى الشهابي
"	٣٦ الشيخ راجب الطباخ	بيروت	١٨ الشيخ ابراهيم منذر

« الاعضاء »

القاهرة	السيد احمد خليل داغر	٦٠	محل الإقامة	السادة
"	حافظ ابراهيم بك	٦١	حلب	٣٧ الشيخ عبدالحميد الجابري
"	السيد خير الدين الزركلي	٦٢	"	٣٨ السيد عبدالحميد الكيالي
"	خليل بك مطران	٦٣	"	٣٩ السيد نسطاكي الحمصي
"	داود بك بركات	٦٤	"	٤٠ الشيخ كامل الغزي
"	السيد عباس محمود العقاد	٦٥	"	٤١ السيد ميخائيل الصقال
"	السيد عبد العزيز البشري	٦٦	القدس	٤٢ السيد اسماعيل النشاشيبي
"	الشيخ محمد الخضر حسين	٦٧	"	٤٣ الشيخ خليل الخالدي
"	الشيخ محمد رشيد رضا	٦٨	حيفا	٤٤ السيد عبد الله مخلص
"	محمد لطفي بك جمعة	٦٩	طولكرم	٤٥ الشيخ سعيد الكرمي
"	الشيخ مصطفى عبد الرازق	٧٠	النجف الاشرف	٤٦ الشيخ رضا الشبيبي
طنطا	السيد مصطفى صادق الرافعي	٧١	بغداد	٤٧ الدكتور امين المعلوف
الاستانة	السيد زكي مغازي	٧٢	"	٤٨ الاب انتاس الكرملي
تونس	السيد حسن حسني عبدالوهاب	٧٣	"	٤٩ السيد جمال صدقي الزهاوي
فاس	السيد عبدالحق الكتاني	٧٤	"	٥٠ السيد كاظم الدجيلي
رباط الفخ	السيد محمد الجبوري	٧٥	"	٥١ الشيخ محمد بهجة الاثري
جنيف	الامير شكيب أرسلان	٧٦	"	٥٢ السيد معروف الرصافي
	السيد عبدالعزيز الميني الراجكوتي	٧٧	القاهرة	٥٣ الشيخ احمد الاسكندري
طليكرة (الهند)			"	٥٤ السيد احمد امين
"	السيد عبدالحق حيدر آباد الكن	٧٨	"	٥٥ السيد احمد حسن الزيات
"	السيد عبدالرحمن دلمي	٧٩	"	٥٦ احمد زكي باشا
فارس	الشيخ ابو عبدالله الزنجاني	٨٠	"	٥٧ احمد شوقي بك
"	السيد عباس اقبال	٨١	"	٥٨ الدكتور احمد عيسى
بزازيل	الدكتور سعيد ابو حمزة	٨٢	"	٥٩ احمد لطفي بك السيد

## « الاعضاء »

محل الإقامة		السادة
تونس	Marçais	٨٣ السيد مارسيه
الجزائر	Massé	٨٤ « ماسه
فاس	Guy	٨٥ « كي
باريز	Ferrand	٨٦ « فرانف
«	Dussaud	٨٧ « دوسو
«	Massignon	٨٨ « ماسينيون
«	Bouvat	٨٩ « بولفا
«	Colin	٩٠ « كولان
ايطاليا	Guidi	٩١ « جوبدي
«	Nallino	٩٢ « نلينو
اصبانيا	Asin	٩٣ الاب آسين
البرتغال	Lopès	٩٤ السيد لويس
سويسرا	Montet	٩٥ « مونته
«	Hess	٩٦ « هيس
هولاندا	Snouck-Hurgronje	٩٧ « سنوك هورغرنجه
«	Houtsma	٩٨ « هوتسما
«	Arendonk	٩٩ « اراندونك
انكلترا	Margoliouth	١٠٠ « مارجليوث
«	Bevan	١٠١ « بفن
«	Krinkow	١٠٢ « كرينكو
المانيا	Hommel	١٠٣ « هومل
«	Brockelmann	١٠٤ « بروكمن
«	Herzfeld	١٠٥ « هرزفيلد

« الاعضاء »

محل الإقامة		السادة
المانيا	Hartmann	١٠٦ السيد هارتمان
»	Mittwoch	١٠٧ » مينفوخ
السويد	Zetterstéen	١٠٨ » ستزستن
الدانمارك	OEustrup	١٠٩ » اوسنروب
»	Buhl	١١٠ » بول
»	Pedersen	١١١ » پدرسن
النمسا	Mzik	١١٢ » موجيك
المجر	Mahler	١١٣ » ماهلر
بولونيا	Kowalski	١١٤ » كوفالسكي
روسيا	Kratchkovsky	١١٥ » كراشكوفسكي
تشكيبوسلوفاكيا	Musil	١١٦ » موزل
اميركا	Macdonald	١١٧ » ماكدونالد
فنلندا	Karsikko	١١٨ » كرسيكو

## اعضاء المجمع الراحلون

- |                                  |                                 |
|----------------------------------|---------------------------------|
| ١٧ السيد براون (كبرديج)          | ١ الشيخ طاهر الجزائري (دمشق)    |
| ١٨ « كليمان هوار (باريز)         | ٢ السيد نخلة زريق (القدس)       |
| ١٩ الاب جرجس شلحت (حلب)          | ٣ « اغناطيوس غولدسمير (بودابست) |
| ٢٠ الحكيم محمد اجمل خان (الهند)  | ٤ « مرتين هارتمان (برلين)       |
| ٢١ الشيخ سليم البخاري (دمشق)     | ٥ « زينه باسه (الجزائر)         |
| ٢٢ « محمد بن الهشيب (الجزائر)    | ٦ احمد كمال باشا (القاهرة)      |
| ٢٣ « عبدالله البستاني (بيروت)    | ٧ السيد مصطفى لطفي المنفلوطي «  |
| ٢٤ السيد جبر ضومط «              | ٨ الدكتور يعقوب صروف «          |
| ٢٥ الشيخ مسعود الكواكبي (دمشق)   | ٩ السيد اوجنيو غريفي «          |
| ٢٦ احمد تيمور باشا (القاهرة)     | ١٠ « رفيق العظم «               |
| ٢٧ السيد ميشو بلير (طنجة)        | ١١ « محمود شكري الالوسي (بغداد) |
| ٢٨ « عبد الباسط فتح الله (بيروت) | ١٢ « حسن ايهم (بيروت)           |
| ٢٩ المنسفيور جرجس منش (حلب)      | ١٣ « الاب لويس شينو «           |
| ٣٠ السيد ساخاو (برلين)           | ١٤ الدكتور صالح قنباز (حمزة)    |
| ٣١ « هوروليتز (ارنكفورت)         | ١٥ السيد مانفرو (دمشق)          |
| ٣٢ « انيس سلوم (دمشق)            | ١٦ « الياس القدسي «             |

## الكوكابين (١)

— «x» —

تكلمت في محاضراتي السابقة عن المسكرات الغولية ومضارها الجسمية والنفسية والاجتماعية . وقد بظن بان الاسكار خاص بالمشروبات الغولية فقط ، فاذا قبل فلان سكران بفهم من ذلك انه ثمل من تعاطي الخمر او الفول ، بينما السكر حالة نفسية سرضية ارادية نشأ عن مؤثرات وهوامل كثيرة من جعلتها المشروبات الغولية . ولعل السبب في تخصيص السكر صرفا بالخمر والفول ناشئ عن كون الخمر أقدم العناصر المسكرة التي عرفها الانسان وسكر بها ، ولان العناصر الاخرى حديثة العهد بالاستعمال بالنسبة اليها ، فن الخطأ والحالة هذه تخصيص السكر بالخمر والفول لا سيما وان الخمر في اللغة ما خسر العقل ، وفي الحديث كل مسكر خمر . وان العلة التي بها عدت الخمر مسكراً وهي الاسكار قائمة بهيئتها في غيرها من المواد الكيماوية والنباتية ، فسبيل هذه المواد والحالة هذه سبيل الخمر في الحكم في الدليل الواضح والقياس الصحيح .

وقد امتدى الانسان بسائق المصادفة فديماً وبفضل العلم حديثاً الى مواد كثيرة مسكرة لا تختلف من حيث تأثيرها على العقل عن الفول . وولع بها ونفى بمدحها . اهمها الأفيون وعناصره والقنب او الحشيش والكوكابين الذي هو غرض هذه المحاضرة ونبدأ بدرسه لصلته بالفول من حيث المصدر والمدوى فأقول :

« الكوكا »

في اميركا الجنوبية ( في البيرو ) مملكة الذهب والفضة الغنية ، في تلك الجبال (١) محاضرة للاستاذ الدكتور اسعد بك الحكيم القاها في المجمع العلمي في ٤

حزيران سنة ١٩٣١ .

الشاحقة المطلة على البحر الهادي ، بنبت شجر صغير يدعى الكوكا ذو أوراق خضراء قائمة اللون رقيقة متينة بهضبة الشكل ذات تعرفق خاص ورائحة عطرية خفيفة وطعم مر ، وكان الطبيعة التي حرمت سكان تلك الاصقاع الاصليين معادة الحضارة والمدنية فبانوا في ظلمات من الجهل قبائل متوحشة بغزو بعضهم بعضاً عرضة للقر والحر والعطش والجوع ومشاق الغزو والحروب المستمرة ، كان الطبيعة التي فضت عليهم بهذا الحرمان المؤلم لم نشأ الا ان تخفف من آلامهم فأودعت ورق تلك الشجرة المباركة شجرة الكوكا ، والكوكا في لغتهم معناها الشجرة خاصة من شأنها اذا مضغ الورق ان تبطل حس العطش والجوع والتمب مدة طويلة مما حمل الانكاسيين وهم سكان بيرو الاصليين على الاعتقاد بان هذه الخاصة منحة أنزات عليهم من السماء وان شجرة الكوكا مقدسة مباركة طيبة تجيب حرمتها ورعايتها فجمعوا زهرتها رزماً تغل به تروس أسرهم المالكة وورقها لازماً من لوازم حياتهم يصطحبونه في افادتهم ورحلاتهم كما نلازم طلبة الدخان جيب المدخنين في مصر الحاضرة .

ليضعونه في جراب من الجلد يسمونه الشوسبا يعلقونه على جوانبهم . اما المفضة فهي مجنون من رماد الكوكا ومسحوق بعض الأصداف يسمونه سبي فرعة مجوفة جافة تسمى بالبوبورو وهي مباركة في صرهم يعلقونها على جوانبهم مع الشوسبا ، وبالنظر لما تخيل من الاعزاز الشديد عند الانكاسيين لاحتياجهم اليها في الاسفار والحروب فهم لا يرضون طليها بورق الكوكا فيشد في عضدها ويساعدها على تحمل المشاق كما يساعده الرجال على تحمل اعباء المارك الطويلة وشدايدها .

هكذا كان حال الانسان الهيمي مع الكوكا في ذلك العهد الغابر ، اما بعد الفتح والاستيلاء فقد اخذ ذلك العنصر الاصلي بالانقراض بسمي العنصر المدني الفاتح الذي حل محله فجعل من تلك الجبال الخاوية مناخ نبت الذهب والفضة ومد يده الى الكوكا فاصعبته خمرتها وأعجبه نشوتها فبني بزارعتها وصناعتها فكانت له منها ثروة عظيمة وتجارة لا تبور .

بيد ان هذه الشجرة المباركة التي كانت عوناً للانسان الانكاسي على تحمل المشاق والشدائد وآلام الجوع والعطش لم تلبث ان انقلبت في عهد الانسان المدني الفاتح خمرة تلعب بالعقول وتعبث بالاجسام تمهوية النفوس وتميت بالابدان نثير الشهوة وتحمده الغفوة تشمخ كالبرق في الظلمات فتبصرها العيون الضالة فتسير اليها ، وتلع كالسراب في



الفلوات فتلخظها القلوب الغامّة فتمتافات عليها فتخطف تلك بنورها وتحرق هذه بنارها ،  
فكأنها وقد أغضبها عبث الفانج يجرمتها لم تشأ الا ان تثار لمقدسها . فياله من ثار  
تبدد فيه العقول وتفلج الأعضاء وتسلب فيه الأموال وتثلّم الأعراس . ثار مؤلم نضاهي  
فيه ضحايا الكوكابين فتلى الفانج من الانكاسيين بل هو أشد وانكى . وما نحن نقص عليكم  
كلمة العلم الحاضر في الكوكا والكوكابين وفي هذه الكلمة ذكرى وعبرة .

### « تأثير الكوكا الفسيولوجي »

ظن الاطباء بادى بدء ان في ورق الكوكا مادة غذائية وذلك لا بطالها حس العطش  
والجوع والتمب فأخذوا يستعملونها في الحالات المرضية التي تترافق بالضعف والوهن وسوء  
التغذية ، وصنفوها مع الادوية المقوية بصفتها بصورة خلاصة او صبيغ او مزوجة مع  
الخمر او الفول ، غير ان هذه العقيدة لم تلبث حتى ظهر ناسداها فقد تبين ان منع الكوكا  
الجوع والعطش ليس ناشئاً عن كونها مغذية بل لانها مخدرة مبطلّة للحس ، وذلك لان  
التجارب أثبتت ان الحيوانات التي تمنع من المواد المغذية وتعطى الكوكا فقط تموت في الزمن  
نفسه الذي تمهلك فيه الحيوانات التي لاتعطى الكوكا ، وتبين ايضاً ان النشاط العضلي الذي  
يشعر به المرء عند مضغ ورق الكوكا ليس منبثقاً عن حرارة غذائية بل عن خاصة في الكوكا  
هي ان القليل منها يحدث اثاراً في الجهاز العصبي المركزي وفي العضلات فيستر هذا النشاط  
الصنعي التمب مدة ، ويفسح لمرء مجالاً الى اتمام العمل الشاق دون ان يشعر بالتمب  
ولكن هذا التمب لا بد له من الوقوع غب انتهاء تأثير الكوكا في الجسم .

### « الكوكابين »

تاريخ اكتشافه — وقد ظل ورق الكوكا مستعملاً في الطب كعلاج منه بالكيفيات  
الآتفة المذكورة حتى منتصف القرن التاسع عشر حيث توصل الكيماوي الالمانى ( Niemann )  
نيان سنة ١٨٥٩ الى اكتشاف العامل المؤثر الموجود في ورق الكوكا وسماه الكوكابين .  
وقد كانت لهذا الاكتشاف الخطير أهمية كبرى في عالم الطب لا سيما في الجراحة  
وأعراض الميون والحلق والخيفرة ، لما سهل لها من الأعمال التي كانت ممنوعة عليها قبل  
هذا الاكتشاف الذي بقيت فيه ضالة منشودة منذ العصور القديمة وهي التخدير الموضعي .

فتمت عليه الاطباء والجراحون بطرو . منافعه ويستنكرون مضاره بصرفه لمرضام  
بامراف يسكنون به آلامهم ويبطلون بدمه حواسهم ولم يكن ليجنظر لاحدم على بال بان  
هذا البلمس النافع الكرم سبكون بمد حين لصا خائفا يتسرب الى عقل لاسه فيسترفه  
والى جسمه فيضنه والى أخلاقه فيفسدها .

صفاته الطبيعية — ماهو الكوكابين ؟ الكوكابين مسوق نام أبيض لميل الذوبان في  
الماء ولذلك لا يستعمل في حالته الطبيعية ، بل يستعمل بصورة كلور مائية الكوكابين ، وهو  
مسوق ابيض مؤلف من بلورات لطيفة شديدة الذوبان في الماء ، وللكوكابين عملان  
مختلفان في الجسم احدهما موضعي والآخر عمومي .

تأثيره الموضعي — اما العمل الموضعي فان طلي البشرة ولا سيما الأغشية المخاطية  
بالكوكابين يحدث تخديراً في نهايات الاعصاب السطحية فيبطل فيها الحس . وبقل ورود الدم  
اليها ، ويكون هذا الفعل شديداً بنسبة رقة الغشاء ووفرة عصبه .

العمل العمومي — ويتمدى الكوكابين هذا الحد من التأثير فيتسرب الى المصب الودي  
فيثيره لتتوسع الحدقة ، والى البصلة الدماغية حيث نقطة الحياة فيهدد صاحبه بالسكنة  
الصدرية والقلبية ، والى القشرة الدماغية حيث مراكز العقل وادراك الحس والحركات  
الارادية فيسببها قتمتري مدمنه الأوهام والتخيلات والتمه والجنون ، وينساب الى موارد  
الأعصاب وألياف العضلات فيحدث فيها عندما تكون الكمية الممتصة قليلة نشاطاً وخفة  
فيترقد الذهن وتنبه الحواس وتسكن الآلام وتنبه العضلات ، ويشعر المرء بحاجة  
للحركة وبمقدرة على العمل ، وتشد الانعكاسات الوترية وتزداد ضربات القلب وتنبض  
الأوعية ويرتفع الضغط الدموي وتساعد الحرارة . اما اذا كانت الكمية كبيرة فان هذا  
النشاط يشتد لدرجة الاختلاج ثم لا يلبث ان يعقبه الخدر والفالج وضياح الحس العمومي  
فتضطرب ضربات القلب وتقطع وتنفد نظامها ، ويمسر النفس ويضعف وتزرق  
الاطراف ثم ينقطع النفس ويقف القلب فيقع الموت .

ومن هذه الكمية النسيولوجية يتبين لنا ان الكوكابين خاصتين مختلفتين : احدهما  
موضعية وهي تخدير نهايات الاعصاب السطحية وابطال الحس . والثانية دماغية عضلية

عمومية وهي إثارة الدماغ في بادئ الامر ثم التقدير العمومي .

استعماله في الطب — وبالنظر لما لهما من الخاصتين من الأهمية الكبرى في الجراحة فقد اتي الكوكابين منذ اكتشافه رواجاً عظيماً في الطب الخارجي فاستعمل باديء بدء مخدراً عاماً غير انه لم يلبث طويلاً حتى أعرض عنه الجراحون لاسرين : احدهما حصول الاحتداد الشديد قبل دور الخدر . وثانيهما كون المقدار اللازم لابطال الحس العضلي العام يقرب من المقدار القاتل . واكتشفوا باستعماله مخدراً موضعياً في العمليات الجراحية التي لا تتطلب ابطال الحس العام .

التسمم بالكوكابين — إن الكوكابين سم قاتل يبدأ فعله بالسكر والتقيلات البصرية والسمعية وبهذيان شديد المرعدة والدوار ثم الرعدة والاختلاج الذي يعقبه هبوط القوى والخدر العمومي ثم الموت . وقد يؤثر الكوكابين فوراً على بصلة الدماغ حيث مراكز الحياة فيحدث السكون القلبي فيصفر الوجه ويكمد ويفشاه العرق البارد ثم يقف القلب ويقع الموت .

ويختلف المقدار الباعث لموت حسب كيفية اخذ الكوكابين وكميته وبنية الانسان فقد ذكر ان ولدأ عمره ٤ سنوات أعطي فتيلة ليهسا ٠٦٢٥ من الكوكابين فمات وان مثل هذا الحادث وقع عندانسان تناول ٠٦٣٠ من الكوكابين وعندآخر عقب تقدير سن بجهن ٠١٠٥ من الكوكابين في اللثة مما صرف الاطباء عن استعماله الى غيره من المخدرات الموضعية التي لها مالمالكوكابين من الفعل بينما أضرارها في الجسم أخف بكثير .

كيفية استعماله — اما كيفية استعمال الكوكابين في الطب الخارجي فمختلفة فهو يستعمل طلياً ونقطيراً وحقناً تحت الجلد .

اما طريقة الطلي فتستعمل في بعض أمراض الجلد وفي أمراض الاذن والأنف والحفيرة والفم . واما طريقة النقطير فيطبأ اليها في أمراض العين وعملياتها الجراحية .  
طريقة حقنه تحت الجلد — هذا وبما ان البشرة الصحية السالمة تمنع الكوكابين اذا طليت به من التسرب لما تحميها من التسمم فيظل حساساً — اضطر الجراحون لابطال الحس في الطبقات الجلدية العميقة الى إدخال الكوكابين اليها بطريقة الحقن تحت الجلد .

استعماله في الطب الداخلي - ١٠ استعمال الكوكابين في الطب الداخلي لم يرجع تاريخه الى زمن اكتشافه ، فقد اخذ الاطباء في أواخر القرن الماضي يصفون الكوكابين لمريضهم في جل الآفات المؤلمة وحالات الخمول العصبي جاهلين ما يخفيه هذا الاصل من السم النافع تحت طيات ملامسه الناعمة وما هي الا سنون قليلة حتى ظهر للاطباء والجراحين خطر استعمال الكوكابين ومضاره العقلية فأعرضوا عنه لان كثيراً من المرضى الذين كان يوصف لهم الكوكابين بمقادير قليلة لتسكين آلامهم اخذوا يعتقدون استعماله فيكفرون لناوله صرات ممتدة في اليوم حتى اذا أدمنوه تمكن من نفوسهم وتعدر عليهم تركه وأصبح من لوازم حياتهم فظهر عليهم ثمة علامت التسم المزمن او الكوكالينية التي انتشرت خاصة عام ١٨٧٨ عندما قام ( Bentley ) بمداواة المورلينية بالكوكابين وراجت طريقتة هذه لاسيما في انكلترا واميركا ولكنها لم تلبث طويلاً حتى ظهر فسادها فأهممت بتأناً وذلك لان المبطلين بالمورلين الذين عولجوا بالكوكابين الفوا استعمال هذا السم ايضاً دون ان يتفكروا المورلين فأصيبوا بالهالين مما .

الكوكالينية - واول من وصف التسم الكوكاليني المزمن او الكوكالينية ( Shaw ) طبيب مستشفى سان لويس في لويزيانا من المالك المتحدة سنة ١٨٥٩ ثم في سنة ١٨٨٦ نشر ( Erlenmeyer ) بحثاً عمماً جمع فيه كثيراً من المشاهدات والاسانيد العلمية في الاختلالات النفسية الناتجة عن الكوكابين وفي سنة ١٨٨٩ عرض مانيان ومعاونه سوري على جمعية العلوم الحيوية بياناً مسهباً استقصياً فيه وصف جميع الاغراض النفسية التي تنتج عن استعمال الكوكابين المزمن مؤيدين آراءهما بالمشاهدات الكثيرة والتجارب العلمية الصادقة لأمر المجمع هذا البيان وعده حقيقة علمية لا تقبل الريب ولا الجدل .

وما تقدم ذكره يتضح لنا ان استعمال الكوكابين حتى أواخر القرن التاسع عشر كان مخصصاً بالطب والصيدلة وان التسم الكوكاليني المزمن كان فردياً عرضياً ولم يكن اجتهادياً ارادياً . وان التجارب والمشاهدات اطلمت الاطباء على ما كانوا يجهلون من فعل الكوكابين وعلى مضاره النفسية فأخذوا يحددون منطقة استعماله ويحددون مرضاهم اعتياده . ولكن ما الحيلة وقد سبق السيف المذل . فان النفوس التي كانت تستعمل الكوكابين

لاخجاد آلامها الفائرة اخذت تلجأ اليه لاثارة شهواتها وضرائرها الخامدة فخرج الكوكابين من الصيدلية الى الحانة ومن مخدر الى مسكر ومن بد الاطباء الى تجار النفوس والاعراض ، وما يزغت شمس سنة ١٩١٤ على العالم الا والكوكابين يظلال بسططانه عواصم الامم المتجدنة ويملن على البشرية حرباً ضرورساً لو انما استمرت لأربت ضحاياها على ضحايا الحرب العالمية الكبرى بكثير .

قال الدكتور ( Maier ) ماير : استاذ سريريات الطب النفسي في زوريخ في كتابه الكوكابينية ، المطبوع عام ١٩٢٦ ان التسم المزمن بالكوكابين قد ازداد في السنين الاخيرة زيادة عظيمة ، فما من مملكة متمدنة الا وقد شملتها اضراره ، وقد شاهدت سويسرة هذا الوباء الاجتماعي بتأصل في تربتها في الحرب العالمية الاخيرة وبملا بضحاياها دور الأمراض النفسية .

وقال كورنوا سوليت وجيرو ( R. Giroux و Courtois - Suffit ) في وصفها تجارة الكوكو في حانات مون مارتر في باريس ما نصه :

« في سنة ١٩١٤ يكفي المرء ان يدخل احدى هذه الحانات في الساعة المسماة ساعة المشهيات ليشاهد فرقا من النساء المبتليات رواد هذه المواطن يضطربن ويشملن ثم يذهبن زسراً مؤلفة من اثنتين او ثلاثة الى المفاويل حيث يتعاطين شم الكوكابين ولا يلبثن حتى يخرجن منها براقاات الاعين ، على ان الشائم هو عدم التستر ، فكثيراً ما تكون العلبة المعمولة من الكورنون او من المعادن كالفضة او الذهب معروضة على (الطارلة) منضدة مقاهي الرقص عليها مغرفتها الصغيرة التي تكال بها كمية الشمة .

اما بين الساعة الخامسة والتاسعة مساء فان تجارة الكوكو تروج في الغالب في مقاهي الطرب وفي المطاعم . وتستخدم سوق هذه التجارة بعد الساعة الواحدة من نصف الليل لاسما في الرابعة والخامسة صباحاً في المؤسسات الليلية ، فهي ساعات عرض السم بالازاد العائني ساعات بعبه باجنس الأثمان وقد استمرت هذه الحالة المؤلمة حتى صدور قانون سنة ١٩١٦ فاستمرت ثمة تجارة الكوكابين ولكنها لم تفقد تأثيرها في الخفاء فانه يوجد محلات ملافاة خاصة يجتمع فيها مدمنو الكوكابين مع تجاره لناول هذا السم الزعاف .

اما في البلاد العربية فقد شاع استعمال الكوكابين في بدء الحرب العامة في مصر

بسرعة غريبة حتى بات خطره يهدد أبناء ذلك القطر الشقيق بأشد الآفات وأسوأ العواقب ، وانتقلت العدوى الى سورية بعد الحرب العامة فدخلها الكوكابين فاشحاً مع جيوش الاحتلال عمولاً على أنامل عشاقه الغيد الحسان من الراقصات الغربيات يفريين به روادهن حتى ان منهن من جعلته مهرراً لوصالهن ونجوى بتقرب به اليهن ، ولا غرو فهو المحبوب المنوع عزيز مطلبه ، صعب مناله ، غال وصاله ، محرق هجره ، عميت منه . ولولا صرامة في القانون وقساوة في تطبيقه وتوقف دخول الراقصات الفرنسيات البلاد السورية وضمف الوراثة السكرية عند السرور بين وفداحة الكوكابين لانتشر داؤه فبهيم انتشاراً سريعاً لا تجد عقباه .

أسباب انتشاره — اما الاسباب الداعية لانتشار الكوكابين فكثيرة أهمها ؛  
(اولاً) الاستعمال الطي — وهذا بطل في أوائل القرن الحاضر ولم يعد له من قيمة فعلية .

(ثانياً) العدوى الاخلاقية — وتعمل هذه في الغالب في الذريق المتجث عب الجشمة ( اي الموضة ) والظهور والتقليد الفاسد وفي ذوي السذاجة العقلية التي تدفع صاحبها الى تحييد كل ما هو رائج ولذلك نشاهد الكوكابينية منتشرة في الغالب في الغرب عند النساء ، وبمعكس ذلك في الشرق لما في نفس الضعيف من حب التقليد والسبوك مسلك القوي .

(ثالثاً) الوراثة — الوراثة أهمها السادة أقوى العوامل على انتشار السموم النفسية في الامم وقد أوضحنا هذه الحقيقة في الهاضرة السابقة عندما شاهدنا ابن السكر بولد مستعداً لتعاطي المسكر كما ان ابن المدخن بولد مستعداً للتدخين . وقد شاهدنا ان السرور بين ضعيف الاستعداد لادمان السموم النفسية لضعف هذه الوراثة ليهيم وذلك لانهم حديثو العهد بالانغماس بالملذات وشرب المسكرات ، لاسباب وان أهمياتهم على الاطلاق نقيات بفضل العامل الديني والتربية الصالحة الموروثة . ومن المؤلم ان يربقنا من الشباب اخذن يخلطن بالنساء الغربيات في أعيادهن وأفراحهن فيقدمن اليهن شيئاً من المشروبات السكرية الروحانية المسماة بالنعشة فيأخذنه بحاملة كي لا يرمين بالتعصب او بعبارة أوضح

كي يظهر بمظهر المجددات على زعمهن جاهلات بان في عملهن هذا حطة أخلاقية واصاعة لتقاليدهن . ودلالة على ضعف الجرأة الادبية فهن ، لان بوسعهن رفض هذه الكأوس باسم الصحة والعلم اذا لم يكن باسم المادة والدين فهن يعملن هذا على علم صحيح وارادة حرة يكنسبن بها إعجاب الغريبة وحرمتها .

(رابعاً) ومن العوامل على انتشار الكوكابين الاضطراب الرهحي وعدم التوازن النفسي وفساد الميول والفرائض . ففي الناس أجمعين السادة فربق شاذ بميوله وشهواته لا يلد له العيش ضمن الأوضاع الاجتماعية ليجلباً الى الملذات المرضية بواسطة السموم النفسية ليسكن بفعلها شهواته فيكون بعمله هذا كالمسجور من الرمضاء بالنار .

(خامساً) الحمالة وضعف الارادة وقابلية التلقين = وذلك لان صاحبها قريب المأخذ سريع الاغواء يستغله تجار الاعراض والمواد المنوعة لتنافهم فيمتدحون اليه بضاعتهم حتى اذا ذاق طعمها وقع في شركها وظل فيه الى ان يهلك ، ولهذا قيل :  
الادب يذهب عن المافل السكر ويزيد الأحمى سكرأ .

(سادساً) إثارة الحس الشهواني = وتلك من أعظم اسباب انتشار الكوكابين لاسيما في دور الفحش والبغاء . قال الاستاذ برواردل : ( يدخل المرء الكوكابينية من باب الملذات الشهوانية ) غير ان هذه الاثارة موفوتة لانطول كثيراً حتى يعقبها الاسترخاء والعقم .  
(سابعاً) ومن الاسباب المروجة استعمال الكوكابين كيفية اخذه وسهولة تناوله واستصحابه ، فهو لا يتطلب زجاجة ولا قندحاً ولا بشكل حجاب ولا وزناً ولا يحتاج صاحبه لحقنة يعتمها وابرة يوخز بها جلده ، بل جل ما يتطلبه طبخة صغيرة لأتعبها الجيب ولا تستغلها وقد يستغني عن العلبة ويمتاض منها بقصاصة ورق صغيرة بصرف هذا المسكين العجيب الذي لا يدخل الجسم من باب اللدوق بل بواسطة الشم والحقن ، فيستعطف المرء على صراى من الناس دون ان يستنكر احد فعلته وما هي الا دقائق معدودات حتى يشعر بدبيبته يدب الي نفسه فيطربها والى موضع الاسرار فهتكتها .

« السكر الكوكاييني »

تأثيره لأول مرة - ويختلف عمل الكوكايين عند الناس حسب مزاجهم ودرجة إدمانهم إياه والكمية الممنصة ، فبشعر المرء الحدث المهد به عند تسعته الكوكايين بخدر وبفقد الحس التام في غشاء أنفه وببرودة في الوجه لاسيما حول الأنف والتم بصحبها شعوب اللوث لتقبض الأوعية وفاقدة الدم ، ولذلك تعد السمطة الأولى مزججة غير لذيذة ، وتترافق أحيانا بالفتيان وهبوط القوى وخفقان القلب والأرق .

النشوة - اما مدمنو الكوكايين فانهم يشعرون غب لتساؤل هذا السم بوضع دقائق بانسراح في الصدر وبنشاط عظيم في الجسم والدن وبمقدرة على العمل غير منظرية وبخفة في الروح والحركة غير مألولة ، وبسرور لتلاشي فيه الآلام والأحزان وسعادة ينسفي صاحبها عندما البؤس والشقاء ، وتسمى هذه الحالة النشوة الكوكايينية ، وتحصل عندما تكون الكمية الممنصة قليلة .

السكر الكوكاييني - اما عند تزايدها فيحدث السكر الكوكاييني وهو يتألف من عناصر او حوادث نفسية مختلفة بتشد وتضعف حسب تكمور لتناول الكوكايين والكمية والكيفية ، وذلك لان تناول الكوكايين سعوطاً أخف من أخذه حقناً تحت الجلد ، وتسعته بكميات صغيرة غير متكررة أخف عملاً من امتصاصه بكميات كبيرة ، وام هذه الاغراض النفسية ، حدة الدهن ، ونشاط الحركة ، وخدر الحس بالالم ، ولنج القوة المراقبة والتائدة الذاتية ، وإثارة الشعور القامض ، وفساد الافعال العقلية .

حدة الدهن - ونفجلى حدة الدهن بتوئسد الذاكرة والمخيلة وسرعة تداعي الافكار وتواردها على الخاطر وسهولة التكلم وكثرتة والضحك والقهقمة والمزاح ورفع الصوت والخطابة .

نشاط الحركة - وتترافق حدة الدهن هذه بحس دافع للحركة والعمل فلا يستطيع سكير الكوكايين الاستقرار والسكون فتراه ذاهباً آهياً كثير التلفت والاشارات سريع الحركات خفيفها بيتكر الاعمال وبتأثرها وبكثير الزيارات والدعوات . ونفجلى هلبا



النشاط خاصة في الحس الشهواني فإنه يزداد باديءً بدءاً زيادة شديدة ولكنه لا يلبث ان يسترخي ، ولهذا نرى مدمي الكوكابين جميعهم يشكون العنة .

خدر الحس بالألم — وبالنظر لبطلان الحس بالألم نراه لا يشعر بالتعب ولا يعتبره ملل ويتناسى جميع أحزانه ومكدراته .

شلل القوة المراقبة والناقذة الدائبة — وبتطرق بطلان الحس هذا الى القوة الناقذة والمراقبة فيفلجها فيثور الشعور النفساني الغامض وتنتقل الأهواء انكاسنة والشهوات المحصورة فيسمى لتحقيقها .

تبدل طباع المرء واخلاقه — وتبديل طباع المرء واخلاقه فيصبح صعب المراس مر بهم الغضب شرس الخلق سهل الاندفاع كثير المفاجآت والتعدي ، لا يحتمل الاذى يحنق لاقل سبب ويقترب الأجرام لدى ادنى حادث .

فساد الافعال العقلية — وقد يقف السكر او التسمم الكوكابيني عند هذا الحد من الفعل اذا لم يكرر المرء تناوله اما اذا تكررت السعطات ولا سيما اذا كان تناوله بواسطة الحقن الجلدية ، فتظهر ثمة أعراض فساد الافعال العقلية فيختلط الدهن ويتغير الادراك والشعور وتستولي على السكر الأوهام والتهيئات لتسم الحواس ببصر الاشياء على غير ما هي عليه نرى العصا ثعباناً والثياب المملقة شياطين او لصوصاً والاشخاص مشوهي الاشكال ، ونسمع صريراً ودوباً لا وجود لها في الخارج ، وتارة يحيل اليه انه في جوف من الفبار لامع الذرات ، او وسط راب فحل يتطاير أمام عينيه الى غير ذلك من الأوهام البصرية والسمعية المزججة التي تشاهد في سائر حالات السكر المزمن على اختلاف مسبباته .

التهيئات الحسية الجلدية — اما العرض الوهمي الخاص بالكوكابينية فهي التهيئات الحسية الجلدية فان مدمن الكوكابين يشعر بمحشرات تدب وتركض وتلفز تحت جلد جسده فتقرشه كالبق والبراغيث والقمل والجرب والذهاب والعراتيل والديدان وأحياناً هي بثورات الكوكابين نفسها تهتز في جلده فيعمل على مطاردتها ويزعمها بالعكس ويصعج الجلد .

وقد تشترك الحواس بضلالها فيرى الكوكابين الحشرات تدير على جسده و يشعر بانها تلدغه وتشمس في الجلد فينتزعها منه و يتناولها بيده و يضعها في وعاء فيه ماء يجانبه ، اوانه ياقبها على الارض و يمسحها بظفروه . و منهم من يتناول ابرة و يأخذ باستقراء هذه الحشرات ما بين الجلد و العضلات ليخرجها ، فيدعي بعمله هذا جسده و يعرضه للالتهابات والآفات الوبيلة .

ثقب حاجز الأنف - ونشأ هذه الأوهام الجلدية عن تأثير الكوكابين في الاعصاب السطحية بتقديرها وعن نقبض الاوعية الشعرية فيتوقف ورود الدم الى الجلد فيمحل وتثبت حرارته و يتوقف فعل التغذية فيه فينتفخ و اكثر ما يشاهد تلف الجلد في حاجز الانف فانه ينثقب عند مدهفي الكوكابين .

الهديان الكوكابيني - وقد لا يفهم هذا الوم والتخيل في الحواس فقط بل يتطرق الى الفكر ايضا فيتصور الكوكابين امورا لا صحة لها ويدخل عليه الغرور والهمج والغيرة والشك بالناس ليمجل على الانتقام و يقترف أفظح الاجرام وينتهي هذا الدور بالتخيل والخذل العمومي والسيات .

دور الصحو - ويسمر السكر الكوكابيني المعتدل ثلاث ساعات والى اربع ، ثم يأخذ المرة بالافاقة لبشره بهبوط في قواه وثقل من عجز في حركاته و أكسل شديد في اعضائه و خمول عظيم في عقله مع خبل ووهن في اعصابه وضييق في صدره مع انقباض وكدورة في المزاج . و تعود اليه الآلام السابقة مضاعفة فهو لا يقوى على المشي لان ساقيه لا تحملا له ولا يقدر على الاضطجاع لانه يزيد في سأمته وكآبته ، وعندما يعيل صبره و تخور عزيمته ولا يجهد له ملجأ يلجأ اليه للخروج من هذا الضيق المخلق يقبه الى الكوكابين سرعما وهو يعلم بانه بيت الداء ومصدر اليبلاء ولكن ما الحيلة وهو وحده المسكين لهذه الآلام فيتناوله كرها لا يسعد به سعادته الاولى بل يخدر به آلاما هو مسبها ، وهكذا دواليك دور متسلسل من صحو يرافقه خمول وخبير ، يداوى بسم يحبه سكر و خدر و في ذلك العمري منتهي اليوس وألمسي ورجات الشقاء .

هذا اذا كان المرة ذاسعة وقدرة على الحصول على الكوكابين اما اذا كان معوزا

فهناك الطامة الكبرى فهو لا يستنكف عن بذل ماء وجهه والتدفق لافظع الرذائل وارثكأب كل محرم الى ان يظفر بضالته وقد يستهوذ عليه الضجر والياس فيعمد الى الانتحار .

الكوكابينية المزمنة — وقد لا يمضي زمن طويل على الكوكابيني المدمن حتى تنضمحل فواه وتنتلش مواهبه وعواطفه وبقل فعل التغذية في الجسم فيهزل ويكمد لونه وينقص وزنه ويحمر هضمه الطعام ويتعاقب عنده الامساك والاسهال وتفور عيناه وينتابه الارق ويصبح كالجماد لا يكثرث ولا يبالي بشيء ، ضعيف العقل متدرجاً نحو العته والجنون .

ذلك مصير الكوكابينية ايها السادة وهي كما ترون : شعلة من نور الحياة تبيح الابصار تبرز وهلة في حلك الدماغ فتلهب بجزارتها كل ما فيه من قوى شريفة في آن واحد ، حتى اذا نصب ذلك المعين الذي هو ذخيرة المحر في حين من الزمن يصير تخمد تلك الشعلة ، ويظلم ذلك النور ، ويصبح ذلك الهيكل الانساني كالسراج الذي نصب زبته حيواناً وحشياً يقترب أنواع الاذى ، مصيره السجن حيناً ثم ملاجئ المرضى ثم دور المجانين .

قال كورتوا سوفي وجيرو « ان أضرار الكوكابين هائلة ، فان الاسراف باستعماله خلافاً لسائر السموم المسكرة بقود رو بدأ رو بدأ الى الاستهالة الجسمية والهذيان والجنون والتلاشي ، وبهي الجسم لقبول السل » .

وقال لوجرن « ان الوباة الكوكابيني على الرغم من كونه محدوداً لذو شأن بين العوامل في انحطاط الجماعات ، وذلك لان المشاهدات اطلمنا على ان نسل الكوكابيني المدمن يأتي مصاباً بالبلاهة — على ان ذلك نادر — لان إدمان الكوكابين يحدث عند صاحبه العنة فيصاب بالمقم وما العمم الا القمار الجنسي » .

الوقاية — وما كادت المشاهدات الطبية تفضح هذه النتائج المؤلمة الناشئة من إدمان الكوكابين حتى اضطربت لها فرائص أساتذة العلم في أنحاء العالم اتحدوا فأخذوا يصيرون باهمهم باعلى أصواتهم ومن فوق منابر الاورشاد والتدريس على ألسنة الكشب والجرائد تارة ، وبالفواه الخطيباء والوعاظ والنواب والجامع العلمية والمعلمين تارة أخرى ينادون بحكوماتهم وأكرم به من نداء : الكوكابين هو الخطر الاجتماعي المدام فحاربوه .

وقد لبثت حكومات العالم هذا النداء ولاسيما فرنسا التي شاهدت هذا الوباء ينتشر في عاصمتها انتشاراً سريعاً فأصدرت القوانين الصارمة بمنع دخول الكوكابين بلادها ، ففي ١٢ حزيران سنة ١٩١٦ سنت الحكومة الفرنسية قانون منع المخدرات ووضعته موضع التنفيذ في الحال وهو يقضي بالحبس من ثلاثة أشهر الى سنتين وبدفع جزاء نقدي يتراوح ما بين مائة الفرنك والالف منه على كل من يتناول الكوكابين او يحمله او يسهل ادخاله البلاد او استعماله ، ويقضي بالجزاء نفسه على الاطباء والصيدالء الذين يساعدون المبتلى بالكوكابين على الحصول عليه او يصفونه لغير ضرورة طبية ، ولاكثر من سبعة ايام ، على ان يكتبوا بالحرود المقدار الموصوف وكيفية استعماله و يوقعون على الوصفة بوضوح ، وعلى الرغم من صرامة هذا القانون والقساوة التي استعملتها الحكومة الفرنسية في تطبيقه فان تجارة الكوكابين ظلت رائجة في الخفاء اسهوله امكان الحصول على هذا السم خارج البلاد وامكان ادخاله الحدود بالحيل وبمه خفية بأثمان باهظة تتناسب مع الصعوبات القائمة في وجه الحصول عليه ، وقد كان لهذا الغلاء الفاحش فائدة سفي توقيف انتشار الكوكابين اعظم من فائدة المراقبة نفسها .

قال لوغر ( Logre ) « ان كثيراً من التجار يسافرون الى سويسرا وهولاندة و المانيا و يعودون منها بمدد كبير من كيلو غرامات الكوكابين المصنوع في مانهايم او دارمستاد ، وان الالمان لغايات قد لا تكون تجار بة محضة يروجون دخول هذا السم البلاد الفرنسية » . وقال كورتوا سويفي وجيرو « ان الالمان اصنفادوا من الاحتلال الفرنسي البلجيكي بلاد الرين فأغروا الجنود المسكرة فيها واستخدموم واسطة لتهرب الكوكابين » وقد ساعدت الطيارات كثيراً على تهرب الكوكابين لمدم مراقبتها المكسبة .

ويطلب مهرو الكوكابين لاختفائه عن اعيين المراقبة بطرق من الحيل والخديعة كثيرة يبدلونها كل يوم خشية النضاحها ، فمنهم من يجعله في عصاه او داخل أعمدة الاسرة الخوفا ، او في كعب الحذاء ، او بطانة الثياب ، ومنهم من يجعل للوطاء طبقتين يخفيه بينهما . وذكر كورتوا سويفي وجيرو ان احد مبشوري الساق كان يخفيه سفي قناة ساقه الصنعية .

وعندما يدخل الكوكابين البلاد يباع فيها خلسة ضمن أوراق صغيرة تضمين مقادير

زهيدة ويكون الكوكابين فيها مفشوشاً باضافة بعض الاجسام الشبيهة به اليه كخامض البوريك او الفناستين او سكر الحليب . و يُطلع غواته بمضمم بمضاً على باعته ، وم لمعري الطبقة المخططة من الامة المنجردة عن الشرف والوجدان . ولا غرو فعملهم هذا عدا انه سلب وسرقة ، فهو جنابة فظيمة فيها قتل النفوس وعتك الاعراض وبتم الاولاد واستحالة الامة .

فيا ايها اليد الاثيمة التي تمد السم لاختها لقتله به لقاء بعض دربهات ، ارجعي الى ربك فادمة مستغفرة ، واعلمي ان تجارة السم لا تثمر ، وان قتل النفوس التي حرم الله بالسيف او الكوكابين سواء .

ولما كانت طرق المنع الداخلي والمراقبة الشديدة لم تحل تماماً دون تسرب السم داخل المدن طلبت الحكومات الاوروبية الى جمعية الامم وضع قانون دولي عام يقضي بتحديد كنية صنع الكوكابين في المعامل ومراقبتها مراقبة دولية شديدة .

على ان هذه التدابير وحدها لا تكفي لابقاف تيار المسكرات الجارف دون ان ندم بارادة الفرد بواسطة التربية الصحية الصحيحة . قال كورنواو في وجيرو « يجب على المدارس عند انتهاء الدروس الرسمية في السن التي تستيقظ فيها السموات وتسيطر الاهواء على النفوس ان يعلم الشبان بطرق بسيطة واضحة أخطار بعض الأمراض وبعض المساوي » الى ان قال « اذا كان الضغط من شأن القانون فان الوفاة وصيانة الاخلاق من واجبات التربية وحفظ الصحة » .

هل للمعارف وهي المسيطرة على التربية في هذه البلاد ان تنهج هذا المنهج الصالح في التعليم المدرسي فتسدي بعلمها هذا خيراً الى الامة والى العنصر ونال به رضا الله والناس . وقد أدركت مديرية الصحة العامة السورية ما للدعاية الصحية من الشأن العظيم في وقاية الصحة والأخلاق فأقامت في نمهدا الصحي معرضاً تمثل فيه الامراض الاجتماعية الناشئة عن الزهرى والمسكرات بشكها الحقيقي معجوبة بالشروح الوافية والنصائح القوية ، وسيفتح هذا المرض أبوابه للشبهة السورية في القريب العاجل .

اسعد الحكيم

# حروف التاج

وعلامات الترقيم

- « -

« ١ - حروف التاج »

ما يكادت نماذج حروف التاج أعلن وتذاع حتى لناولتها أفلام الكتّاب ، البعض بالمدح والبعض بالنقد والذم . ويختصر نقد هذه الحروف في وجهين : (الاول) في أشكالها فقال المنقدون انها لا تأتلف مع الحروف العادية وليس فيها من الانسجام والمجانسة ما يباقي الذوق الفني . (الثاني) في فائدتها واستعمالها ، فذهبوا الى انه لا حاجة لنا بها في الكتابة العربية وانه باستعمالها تزداد حروف الطباعة وهذا يخالف قواعد الاقتصاد .

فالوجه الاول ليس من شأننا البحث فيه لعلاقته بقواعد الخط وأنواعه وأوضاعه ونحو ذلك مما اخص به ارباب هذا الفن . وبالنظر في الوجه الثاني اي في فائدة هذه الحروف واستعمالها نرى انها لم توضع لجرد الزخرف والزينة او محاكاة الاصطلاحات الافرنجية حبا في التقليد والتجديد وانما الغرض من وضع حروف تختلف شكلاً او مجماً عن الحروف العادية هو تفتيح القاري الى أوائل الكلام وتمييز الأعلام ، فهي من قبيل الترقيم<sup>(١)</sup> الذي يراد به الابضاح والايابانة كما شهد بذلك احد النقاد ( الاستاذ محمد وهي الخطاط الشهير والخبير بحكمة الاستئناس بمصر ) فقد قال : « ان الفكرة سبب حدثاتها سامية » وأهم مزايا هذه الحروف الدلالة على الاعلام من أسماء وكُنى والقاب وتمييزها مما يشبهها من التسميات او الصفات . ولو لم تكن هناك حاجة الى ما يميز الامم العظمى لما وضعه اكثر الكتّاب بين أقواس دفعا للالتباس . وقد صرف الاتراك هذه المزايا

(١) رقم الكتاب اي مجموعه وبنه .

فوضعوا لذلك حروفاً تمتاز عن الحروف العادية وهي مقتبسة من الخط العسكوفي المشهور واستعملوها في بعض مطبوعاتهم قبل استعمال الحروف اللاتينية بزمن بعيد .  
وعلى ذكر الاعلام لا بأس من التنبيه الى امر جدير بالاهتمام وهو ضبط الاعلام الافرنجية المكتوبة بالحروف العربية اذ لا يتأقن النطق بها نطقاً صحيحاً خلواً الابدية العربية من حروف نؤدي في اللفظ ما تؤدبه الحروف المعروفة بالتحركة في اللغات الاوربية مثل e. i. o. u. eu. ou وليس عندنا ما يقوم مقامها في الكتابة غير الواو والياء على ان الافرنج يلفظون كلاً منها بشكل خاص . فلا بد اذاً من علامات نؤدي مخارج هذه الحروف وبغيرها يتمد ضبط الاعلام الافرنجية وبعض الاسماء العربية ولذلك نرى المجلات العربية تكتبها بالحروف اللاتينية وعن نلته الى هذا النقص الشيخ ابراهيم اليازجي ( رحمه الله ) فوضع علامات تكتب فوق حروف العلة وتدل على طريقة النطق بها بحسب مخارج الحروف المتحركة في اللغات الاوربية ، ولكن هذه العلامات لم يتم استعمالها وأصبحت في طي الخفاء بعد احتجاب (الضياء) . واللائك فضل السبق في وضع مثل هذه العلامات لضبط النطق بالحروف التي يختلف لفظها في بعض الكلمات . مثل الضاد والطاء والكاف والواو والياء وقد استعملوها في الطباعة قبل استعمال الحروف اللاتينية بنحو نصف قرن . ومن الكتب المطبوعة بهذه العلامات القاموس التركي المسمى ( لجة عثمانية ) تأليف اللغوي الكبير احمد وليق باشا .

وانعمد الى الكلام على حروف التاج فنقول ان ما يذهب عن استعمالها من الزيادة في حروف الطباعة لا يعد شيئاً يذكر بالنسبة الى عدد الاشكال المستعملة الآن فان لكل حرف من حروف الهجاء أشكالاً متعددة بحسب موقعه في الكلمة وضرورة تراكب بعض الحروف وغير ذلك .

واذا نظرنا الى كثرة هذه الأشكال وما في جمعها وتفريقها من الضياع الواسع نرى ان أحسن طريقة وضعت لتقليل عددها مع المحافظة على رونق الخط إنما هي الطريقة التي وضعتها لجنة إصلاح وتحسين الحروف العربية بمطبعة بولاق الاهلية في سنة ١٩٠٣ اما الطرق الاخرى التي اقترحتها بعضهم لا تختلف الحروف فيما يذهب برونقها و يشوه محاسنها على ان الخط العربي يحتمل أنواعه . يُمد من الآثار الجليلية والدخائر النفيسة بل

أهو من مفاخر اللغة العربية لما امتاز به من الروعة والجمال ، ومن الواجب على أبناء هذه  
للغة المحافظة عليه والحرص على استبقائه خالصاً من الشوائب .

وقد اقترح بعضهم كتابة الحروف منفصلة كالطريقة المتبعة في الطباعة الاوروبية  
وهو اقتراح سخيف اذ يتمذر لتسيق الحروف العربية المفردة لتسيقاً هندسياً في السطور  
والطامة الكبرى ما ارتآه بعض المستشرقين من كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية .  
وقد بينتُ فساد هذا الرأي وما يحول دون العمل به من الموانع في مقالين نشر احدهما  
في (المقطع) بتاريخ ۱۹ ابريل سنة ۱۹۲۴ والثاني في (السياسة اليومية) في ۱۴ لبرابر  
سنة ۱۹۲۹ .

### « ۲ - علامات الترقيم »

لم يكن للعرب علامات للدلالة على اصل الجمول والتعجب والاستفهام ونحو ذلك  
عما اقتبسناه من اللغات الاوروبية بل كانوا يكتبون الكلام متصلاً معتمدين على سياق  
المعنى على ان لهذه العلامات من الفوائد ما لا يحتاج الي بيان لانها تعين القاري على تفهم  
الكلام وايضاح ما قد يستهم من وجوه المعاني ، فهي من قبيل الشكل والاعجام .  
ومعلوم ان الكتابة كانت في اول عهدنا غملاً منها وقد وضعها فيما بعد أئمة اللغة  
لما رأوا ما يقع في القراءة من الخطأ والتعريف . قال المسعودي : « الخطوط المصححة  
كالبرود المصححة » وقيل : « إجماع الخط يمنع من استنباهه وشككه يؤمن من اشكاله »  
و « رب علم لم تُعجم لصوله فاستعجم محصوله » فاذا جاز اننا إدخال الاعجام والشكل  
في الكتابة لا حرج علينا في التباس بعض العلامات التي تُعين على تفهم الكلام  
وتوضيح المعاني .

وليس من ضرعي في الكلام على علامات الترقيم ان أبين فوائدها وانما أردت بهذه  
الجمالة التنبه الي ما يقع من الخطأ في وضعها والاعراف في استعمالها . فن العلامات  
التي بضعها بعض الكتاب في غير مواضعها او يسرفون في استعمالها (الفصلة) وهذه  
علامتها (،) ليستعملونها لفصل المفردات المعطوفة مثال ذلك انهم يكتبون : فصول السنة  
أربعة : الصيف ، والخريف ، والشتاء ، والربيع . وأقسام الكلام ثلاثة : اسم ،



وفعل ، و حرف . على انه لا محل للفصلة مع واو العطف . اما الاقتران فانهم لا يستعملون أداة العطف بين المفردات المعطوفة ويستعملون عنها في الكتابة بهذه الملائمة ، بيان ذلك اننا اذا ترجمنا البيت الآتي الى لغة اوروبية :

الخيل والليل واليهداء تعرفي  
والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فيكتب هكذا :

الخيل الليل اليهداء تعرفي  
السيف الرمح القرطاس والقلم

فتوضع أداة العطف قبل الكلمة الأخيرة أي أنها لا تكرر كما في اللغة العربية .

وهذا يشبه عندنا قول الشاعر :

مكرمة مفرقة مقبل مدير معاً  
كجملود صخر حطه السيل من عل

على انه يجوز وضع الفصلة بين الجمل المعطوفة ولو كانت صغيرة . مثاله :

الطير يقرأ ، والغدير صحيفة ،  
والسحاب يكتب ، والندى ينقط (١)

ومن الخطأ وضعها بين الموصوف والصفة ولو كانت جملة مثل : صادر من قلب ،  
تجرد من غواشي الغرض ، ونفس ، سمّت عن كل غابة . كما انه لا حاجة لوضعها بين  
المبتدأ وخبره مثل : افضل المروف ، إغاثة الملهوف . الا اذا حالت بينها جملة معترضة  
مثل : كل ذنب ، وان عظم ، صغير في جنب عفوك . وكل زلزل ، وان جبل ،  
حقير عند صفحك . ولا ينبغي وضعها بين الشرط وجوابه مثل : من سلك السداد ، بلغ  
المراد . او بعد المنادى مثل : يا علي ، ناوطني الكتاب . او بعد فاء السببية مثل : محمد  
فاق أقرانه في الامتحان ، فاستحق الجائزة الاولى .

وأقول بالاجمال ان هذه العلامة لا توضع الا بين الجمل المعترضة والجمل التي يتركب

منها كلام تام الفائدة ، ومن الخطأ استعمالها في غير هذين الموضعين .

ومن الكتاب من يضع علامة الاستفهام او علامة التعجب والانفعال مكررة مثني  
وثلاث على انه لا حاجة لهذا التكرار بعضهم يضع العلامتين معاً . اما الفصلة المنقوطة  
وهذه علامتها ( ، ) فيحسن إغفالها اكتفاء بالفصلة .

(١) (المجموع) لعل الكاتب أراد في هذا الكلام نثره لا نظمته .

وخلاصة القول انه لا ينبغي الاسراف في علامات الترقيم فان الغرض منها انما هو الايضاح والايانة ، اما الاسراف في استعمالها او وضعها في غير مواضعها فما ينشأ عنه الخلط والارتباك .

هذا ما عن" لي من البيان والملاحظات على حروف التاج وعلامات الترقيم اعرضه على أنظار اولي الشأن لعله يعود بالفائدة التي نتوخاها من البحث . ولو كان لنا مجمع لغوي وهو الأمنية التي طالما عللنا النفس بأدراكها ، لأغتنانا عن البحث والنقد . فهو المرجع الذي يعود عليه في كل ما له علاقة باللغة وآدابها وكتابتها والنظر في أي اقتراح يواد به التجديد او الاصلاح .

حبيب غزالة

## ابن خفاجة الاندلسي

- ٢ -

« لفظ شعره وأسلوبه »

يمكن فاري\* ديوان ابن خفاجة الناظر فيه بعين النقد والتأمل — ان بصفه جابأقي :  
(١) — جزالة اللفظ

فان ابن خفاجة وان تختلف به زمنه عن أمثال احمد بن عبد ربه كثيراً وتأخر عصر  
بوضه عن أمثال ابن زبدون قليلاً بقل\* عنهما في الرقة وسهولة اللفظ فتقلب عليه جزالة  
اللفظ ونغماته في كثير من قصائده ومقطعاته سالكاً طريقة المتقدمين من أهل الاندلس ،  
كابن هاني\* والرمادي وابن دراج القسطلي بالرغم من وصفه هو شعر نفسه باللين واللدونة  
في قوله :

وحسبك من شعر يكاد لدونة تغني به النبت المشيم فيورق  
ولا ننكر ان له من المقطعات والقصائد ما يكاد يذوب رقة وسهولة الا انه قليل  
بالإضافة الى سائر شعره .

فمن جزل قوله من قصيدة يصف جبلاً :

وليل اذا ما قلت قد باد، وانقضى،	تكشف عن وعود من الظن كاذب
محببت الدياجي فيه سود ذوائب	لاهنق الآمال بهض نوائب
فزقت جيب الليل عن شخص أطلس	تطأم وضاح المضاحك قاطب
رأبت به قطعاً من الفجر أغبشا	تأمل عن نجم نو قد ثاقب
وأر عن طراح الذوابة باذخ	يطاول أعنان السماء بفارب
يسد مهيب الريح عن كل وجهة	ويزحم ليلاً شمهه بالمناسكب

وقود على ظهر الفلاة كأنه  
 بلوث عليه الغيم سودَ عمام  
 أمحتُ اليه وهو أخرس صامت  
 وقال ألا كم كنت ملجأً قائل  
 وكم سرّ بي من مدحٍ ومؤوب  
 ولاطم من نكب الرياح معاطي  
 فما كان إلا ان طوتهم بد الردي  
 فما خفي أبني غير رجسة أضلع  
 وما غيض السلوان دمي وإنما  
 فحى مني أبني ويظمن صاحب  
 وحق مني أرحى الكواكب ساهراً  
 فأسميني بن وعظه كل عبدة  
 فسأى بما أبني وسوءه بما شجا  
 وقلت وقد أنكبت عنه إبطية ،

ومن سهله قوله في صفة بطاح وظلال :

سقياً لها من بطاح أنس  
 فما ترى غير وجه شمس  
 ودوح حسن بها مطل  
 أظل فيه عذار ظل  
 وقوله في غلام يقل عذاره :

أيها التائه مهلاً  
 هل ترى لهما ترى  
 وخراماً قد تسرى  
 أين دمع فيك يجري  
 أين نفس فيك تهدي  
 أي الملك كان إلا  
 وتخلى عنك إلا  
 ساءني ان تهت جهلاً  
 الا شباباً قد تولى  
 وفؤاداً قد تسلى  
 أين جنب بنقلى  
 وضلوع فيك نصلى  
 عارض واني فولى  
 أسفاً لا يتخلى

وانطوى الحسن فهلا أجمل الحسن وهلا  
(٢) - ايجاز أسلوبه لكثرة ما يزحم لفظه بالعامي والاستعارات او التشبيهات  
المتعددة في البيت الواحد كما سيأتي بعد .

(٣) - محاكاته في كثير من قصائده لحول المتقدمين معارضاً لهم في وزنهم وروحهم  
كما بي نواس وإبي تمام : البحرني وابن هالي والمنابي ، فمن ذلك قصيدته الرائية التي  
يمدح بها الوزير ابا عاصم : يعارض بها ابن هالي الاندلسي في رائيته التي اولها :  
فلقت لكم ريح الجلال بمنبر وأمدكم فلق الصباح المسفر  
وجنينم ثم الوفايم يانما بالنصر من ورق الحديد الاخضر  
فيقول ابن خفاجة في مطلع قصيدته متغزلاً :

حذر القناع عن الصباح المسفر ولوى القضب على الكتيب الأغر  
وملكته هنرة بك عزة فارتيج في ورق الشباب الأخضر  
منفساً عن مثل افحة مسكة منبسجاً عن مثل سحطي جوهس  
سأت علي سيولها أجفانه للقبتمن من المشيب بمغفر  
مجلداً أرباً بنفسي ان يرى هذا الهزير فتيل ذاك الجؤذر

وقوله في ميمية يعارض بها ابا نواس في قصيدته التي اولها :

يا شقيق النفس من حكم نمت عن لهلي ولم أنم

فان ابن خفاجة يقول في ميمية هذه وأغار عليه في بعضها :

قل لسرى الريح من إضم وليالينا بديس سلم

طالب لهلي في هوى قر نام عن لهلي ولم أنم

وهي طويلة جميلة .

وقوله في بائية يعارض بها ابا الطيب المنابي في قوله ( وأغار عليه ) :

كفي بك داء ان ترى الموت شافياً وحسب المنايا ان يكن أمانيا

فان ابن خفاجة يقول في بائته :

كفاني شكوى ان أرى الجهد شاكياً وحسب الزايا ان توافي باكيا

وهي طويلة جيدة .

(٤) - كثرة استعماله للجهاز والاستعارات والتشبيهات ، وكثيراً ما يوزم بها البيت الواحد حتى تغمض معانيه ، ويزيدها غموضاً خفاء علاقاتها ببعدها لوازماً فمن الاول قوله بصف منفرجاً :

وصيلة الأنوار تلوس عطفها	ريح تلف فروعها معطار
عاطى بها الصبباء أحوى أحور	سحاب أذبال السرى بهار
والنور عقد الفصوف سوائف	والجدع زند والخليج حوار
بجدقة ظل اللمى ظلا بها	وتطلعت شنباً بها الأنوار
رفص الغضيب بها وقد شرب الثرى	وشدا الحمام وصفى التيار
غناه ألحف عطفها الورق الندي	والنفء سيف جنباتها القوار
فتطلعت في كل موقع لحظة	من كل غصن صنعة وعذار

ومن الثاني قوله في وصف فرس أشهب بمد موقفة :

وأشهب ناصع القرطاس مؤتلق	كأنما خاض ماء الصبح فاغتسلا
ترى به ماء نصل السيف منسكباً	يجري وجامح نار البأس مشتملا
فنادر الطمن أجفان الجراح به	رُمداً وصبراً أطراف القنأفتلاً
وأشرق الدم في خد الثرى خجلاً	وأظلم النقع في جفن الوغى كحلاً

### معاني شعره

وابن خناجة من اليهوديين للمعاني المؤثرين جانبها على جانب اللفظ ، وكأنه أحس ذلك من نفسه فحاول جبره بكثرة الجناس والطباق كما فعل أبو تمام ، فاذا سلم له اللفظ من معرفة التكاف مع تجويد المعنى جاء شعره غابة الغايات ، والافتقار أتمب الدهن واستوقف النظر في تفهيمه واستحلاه فامضه .

ويمكن القارئ لديوانه إجمال الامور الغالبة على معانيه فيما يأتي :

(١) - غلبة ازدحام المعاني على أكثر شعره فيحمل اللفظ القليل اما معنى متشعب المناحي والعلائق واما معاني متعددة : مما أورث بعض شعره تعقيداً وغموضاً . وفي ذلك يقول ابن خلدون في باب انقسام الكلام الى فني النظم والنثر مما يجب على الشاعر ان يراعيه

في شعره « ولا يكون الشعر سهلاً الا اذا كانت معانيه تسابق الفاظه الى الذهن ولهذا كان شيوخنا رحمهم الله يهبون شعر ابي بكر بن خفاجة شاعر شرقي الاندلس لكثرة معانيه وازدحامها في البيت الواحد كما كانوا يهبون شعر المنهجي والمعري بعدم النسيج على الأساليب العربية كما مر » يريد ابن خلدون بالاساليب الفخاء منهي العرب في جعل مادة الشعر الخيال والوجدان لا القضايا الفلسفية . اما ما يعبه على ابن خفاجة فهو ازدحام البيت من أبياته بخيال متبزع الصورة من متعدد كثير او بعمدة أخيلة ، فيكون فيه جملة استعارات ومجازات في اللفظ والاسناد ، متداخل بعضها في بعض ، او جملة تشبيهات كذلك ، وقد كفى ابن خلدون ابن خفاجة بابي بكر مع اشتهاره بكنية ابي اسحاق ولا يعرف شاعر مسمى بابن خفاجة مشهور باله شاعر شرقي الاندلس الا شاعرنا هذا فكنتيته بابي بكر سمو من ابن خلدون او أن له كنيته فمن ذلك قول ابن خفاجة في المدح :

فاركض الدهر ساجحاً ، والنض المة دار سيقاً ، واستصحب السعد لامة  
وقوله :

والبرق قد نسج الظلام نهارا	وغمامة نشرت جناح حمامة
فأبيض ذا نوراً وذا أنوارا	متألق صدع الدجى وسقى الثرى
كرماً ، فأخصب ربوة وقرارا	في أجمع خآف الربيع به ابنه
هطلاء قرنها العجاج وقارا	هفت الصبا منه بمسرى دجه
طبعت بكل قرارة دينارا	وسكفت فسالت فضة ولربما
زرقة وجردت الشعاب شغارا	نثلت به زرق النطاف سوابقا
فرمت به عنها السلاح فرارا	فكأنما فلت هناك كتيبة
وخطت من صدف بها أنوارا	ارض هبطت بها سماء طلفة

وقوله :

نشوان يعطفه الصبا فيميل	فالروض مهتز الماطف نعمة
عنه فذهب صمغتيه أصيل	ريان فضه الندى ثم انجلي
طرف يمرضه النعاس كليل	وارتد ينظر في نقاب غمامة
شاكراً ويلتمح العزير ذليل	ساج كما يرنو الى عواده

وقوله في الكأس :

والكأس طرف أشقر فدجال في عرق طيبه من الهباب يسيل

وقوله :

ولوى الخليج هناك صفحة معرض ثمت سوالفها ثغور أفاح

ومثل ذلك كثير في شعره :

(٢) - كثرة توليده معاني فنون الشعر غير وصف الطبيعة كالمدح والثناء والغزل

من معاني وصف الطبيعة وبضيق بنا المقام عن كثير من الشواهد المثلة لما نقول كل التمثيل

لفهيل القاري الى ديوانه ( طبعة جمعية المعارف المصرية ) في صحائف ١٢ و ١٣ و ١٥ و ١٦ و ١٧ و ٣٦ و ٤٠ و ٤٦ و ٤٩ و ٦٩ و ٩١ و ٩٤ و ٩٦ و ١٠٣ و ١١٠ الخ .

ونشير الى ذلك بايانه فن ذلك قوله في رثاء وزير من قصيدة :

في كل ناد منك روض ثناء وبكل خد فيك جدول ماء

ولكل شخص هزة الفصن الندي غب البكاء ورنه الكاء

يا مطلع الانوار انت بمقلني أسفا عليك لمنشأ الانواء

ومنها :

جالت بطرسية للصبابة هبرة كالغيم رقى نحال دون سماء

ومنها :

فلطالما كنا نرج بظله فترج منه بسرحة غشاء

فلنقت على حكم البشاشة نورها ولفست في أوجه الجلساء

وقوله في المدح و يدهو على نفسه :

فان انا لم أشكرك والدار ضربة فلا جادني غاد من المزن رافع

ولا استشرفت يوما الي به الربا جلالات ولا هشت الي الأباطم

(٣) - توليد بعض معانيه من بعض بل ربما كرر اللفظ مع المعنى ناسيا بذلك معنى

ابن الرومي ، كان اذا اخترع معنى او استعمله لا يزال يلج عليه بالاستعمال ، ويستقصي في

استخراج صور متعددة منه ، وذلك كثير في شعره . وفي قليل ما ذكره شبه مما لم يذكر .

فن ذلك قوله من قصيدة زهرية :



وقد ارتدت غصن النقا وانقلدت  
: بقول في قصيدة أخرى :

وجر ذبل غمامة لبست به  
وفوله في القصيدة الاولى :

نثرت بحجر الارض فيه بدالصبا  
و بقول في الثانية :

نثرت بحجر الزوض فيه بدالصبا  
درر الندى ودرام الأنوار

(٤) - كثرة اختراعاته للمعاني الرائجة وحسن تصرفه في معاني غيره حتى تصعب  
ناصبتها في ملك يمينه واكثر ما يكون ذلك منه في التشبيهات والاستعارات كقوله  
في وصف فوس :

وأدم لولا انه راق صورة  
وما عرفته العين من ليلة الحجر  
وقوله في وصف مزرعة يصف السيوف والنقع :

والبيض تحفى في الطلى فكأنما  
والنقع يكسر من سنى شمس الفحما  
وقوله في حسن التعليل :

وما أرغت الكاس في كفه  
ولكنها فحكمت عن مرور  
وقوله :

وجه به من يدع الحسن ما  
قد طبع الحسن به درهما  
يقم للمناشق أعذارا  
تسبك منه العين ديناراً

( أي من الخجل )

وقوله في وصف دمية مخفية :

الابكي الدر فوق حالية  
يرى بها ما يمر من خلق  
حلى بها المقد شراً ما حلى  
محبساً تحت منظر الجلى  
قد راق مرأى وساه مخنبراً  
فهل ترى اثرت به دلفى

والدلفى هي شجرة ورد الحمار جميلة الزهر سامة .

وقوله في وصف فرس أشقر طيه حلية من فضة :

باسام ثغر الحامي تحسب انه كأس أثار بها المزاج حباها  
وقوله في وصف ساق :

وأهيف قام يسقي والسكر يمطف فده  
وقد ترفع غصناً واحمرت الكاس وردة  
وأحب السكر خدأ أوري به الوجد زنده  
لكاد يشرب نفسي وكدت أشرب خده

وقوله في السرى :

ورفقت في خلق علي من الدجى عقدت لها من أنجم ازرار

وقوله :

صح الموصى منك ولكنني أحجب من بين لنا بقدّر  
كأننا في فلك دائر فأنت تحفى وأنا أظهر

(٥) - إكثاره من الإغارة على معالي غيره ، بالرغم من ثروة شعره بالمعاني المخترعة والأخيلة الرائعة ، ولكن هذه لطوة البشر بأخذ الآخر عن الأول مايجسن .

فن ذلك قوله بصف الصباح في بيتين أبداع الأول وسرقى الثاني :

وفي مصطلى الآفاق جرم كواكب علاها من الفجر المثل رماد  
ولما انفري من دجى الليل طحلب وأعرض من ماء الصباح ثماد  
حننت وقد ناح الحمام صبابة وشق من الليل الهيم حداد  
سرقى الثاني من قول الجعزي .

حتى تبدى الصبح في جنباته

وقوله :

فلو أنهم خلدوا خلود ثنائهم لم نفعم عنهم عرا الأعمار  
أخذه من قول المتنبي .

كحل القناه له برد حياته لما انقضى لكأنه منشور

وقوله في مبلج :

اذا رنا يجرحني طرفه . لحظته أجرحه ثارا  
 فيصبح الدرّ عقيقاً به . وأصبح النوار أزهارا  
 اخذه من قول احمد بن عبد ربه صاحب المقد وزاد عليه .  
 ما ان رأيت ولا سمعت بمثله . درأ يعود من الحياء عقيقا  
 وقوله :

وكل حياة الى منتهي . اجل وانكل حمام اجل  
 اخذ كل الشطر الاول من بيت ابن هانئ الاندلسي من مطلع مرثية له مقصورة وهي :  
 مه كل آت قريب المدى . وكل حياة الى منتهي  
 وربما كان هذا من اتفاق الخطاط لان معنى مبتذل . وقوله :  
 فيها هو سنة السن السلام تأخرا . وفي المجد عنوان الكتاب نقدا  
 ولد من قول المنذبي في رائيته يمدح عضد الدولة وابن العميد :  
 من مبلغ الأهراب الي بعدها . شاهدت رسطاليس والاسكندرا  
 الى ان يقول :

ورأيت كل الفاضلين كأنما . رد الاله نفوسهم والاعصرا  
 نسقوا كما نسق الحساب مقدما . وأنى فذلك اذ آتيت مؤخرا  
 لان لفظ (فذلك) كانت تذكر في الحساب عند نهايته فيقال فذلك كذا وكذا ولفظ  
 (السلام) بوضع في آخر الخطاب .  
 وقوله يمدح :

جدير باحراز الملا غير راكض . مفضة وادراك السهي غير قائم  
 اخذه من قول اسحق الموصلي يفتخر بولائه لخزيمة بن خازم .  
 اذا مضى الجمراء كانت ارومى . وقام بنصري خازم وابن خازم  
 عطست بانف شامخ وناوات . بداسيك الثريا قاعداً غير قائم  
 ويقول ابن خفاجة في هذا المعنى ايضاً من قصيدة :

من منزل قد شب من نار القرى . ما شباب عنه تفرق الظلاء  
 لو شئت طلت به الثريا قاعداً . وثرت عقد كواكب الجوزاء

« ما يؤخذ عليه »

يؤخذ على ابن خفاجة عدة امور : منها مداخلة بعض معانيه في بعض وازدحامها في البيت ، ومنها العراطة في استعمال المجاز وإيثاره على الحقيقة والحق نه لا يصار الى المجاز الا اذا قصرت الحقيقة عن أداء المعنى وتجيده ، ومنها خفاء بعض معانيه خلفاء لوازم المجاز او التجريد كقوله :

ولقد جريت مع الصبا جري الصبا وشربتها من كف احوى احور  
فاجبت منه عطارداً ولربما قبلته فلتنت وجه المشتري  
نندى بفيه افاحة نفاحة شربت على ظلماء بجاء الكوثر

فقد يخفى ما يزيد في البيت الثاني ، فان قيل انه أراد المريح لانه احمر اللون فغلط بذلك المشتري كما غلط امرؤ القيس في قوله : « اذا ما الثريا في السماء تعرضت »

يريد الجوزاء لان الثريا لا تجري صراحة - فهو يريد ان وجهه احمر بالقبيل .

قلت : فلا يظهر بسهولة تخصيص التشبيه بعطارد عند المناجاة فان أراد انه في بدء المناجاة كان ابهض الوجه كمطارد ثم احمر بعد التقبيل كالمشتري ، فلم يخص عطارداً ؟ مع ان اكثر النجوم بهض على ان من سيارات الشمس ما هو ابهض ايضاً كالزهرة .

ومنها بعض اخطاء في اللفظ او احكام القافية فالاول كاستعمال لفظ (افاحة) في البيت الثالث المتقدم على انه مفرد اقاح بدون ياء ممان (اقاح) هذا اسلمه القاهي بياء مشددة وقد ينجف ويستعمل استعمال قاض وداع وعلى كل حال فالمفرد ليس الا القوانة ويقع في هذا الخطأ كثير من الشعراء والكتاب . والثاني كرفع الابطاء في القافية دون مرور سبعة ابيات على الاشهر في معنى القصيدة فانه يقول :

ومررى بطير به عقاب كامر أمسى بلاعب من عنان ارقا

ثم قال بعد اربعة ابيات :

ومرسته الهلال يدب فيها هرباً وانساب منمطت الهرة ارقا

ومنها يرود بعض تشبيهاته وخروجها عن ما لوف الذوق العام في كل زمان كقوله في مطلع قصيدة يمدح بها اكبر امير من المثلثين في الاندلس :

ألا هل أطل الامير الاجل ام الشمس حلت ببرج الحمل

ولا يخفى علينا انه شبه وجه الامير بالشمس في اول الربيع ولكن يرد في جعل هذا الوجه حالاً في حمل — وقوله منها :

يشد اللثام على صفحة ترى البدر منها بارقي زحل

فانه يبرد مع خفاء المعنى ان فللك البدر ادنى فللك الى الارض مع انه عند تشبيه الامير به تراه ابعد الكواكب في ارتفاع المنزلة وانت تعلم ان جميع اصحاب الطوابع والقرانات ويتابعهم الادباء ان طالع زحل نحس — ومن ذلك قوله يتنزل في ملج وبهفه :

من يلق من لامج وجد به ريحاً فقد لاقيت اعصارا

تخفق احشائي به دوحة وتنبئ العين نوارا

تخفق الاحشاء هنا الشاملة للامعاء فبيح واستمالها مع الريح والاعصار ابيض . وغير

ذلك كثير .

#### « الموازنة بينه وبين غيره »

اذا وازنا ابن خفاجة بكل شاعر من شعراء الاندلس وصف الطبيعة وجدناه يندم جميعاً في هذا الباب واقرب الناس شهباً به من شعراء المغاربة ابن حمديس الصقلي فانه اجاد وصف الطبيعة بما يقارب وصف ابن خفاجة او يساويه ولصكته زاد عليه وصف امور كثيرة كوصف الفلاح والحصون والمصانع والقصور والقنايل وكثيراً من أنواع الحيوان وزاد عليه في أعراض أخرى غير الوصف ، فانه يجيد الهجاء ، وابن خفاجة ليس له في هذا الباب قليل ولا كثير ويجيد المدح وهو صناعته التي يتكسب بها ، وفي ذلك يجيئ ابن خفاجة معه مصلياً لا مجلياً ، ويجيد الخمرات وله لها الكثير الجميل .

وامتاز عن ابن خفاجة بشكوى الزمان والمرض والغربة عن الأوطان والشيوخة والذم في البلاد والفخر الجيد والتعريض على الجهاد وطول القصائد غالباً ، ولقد يرجع ابن حمديس على ابن خفاجة في جلته . واقرب الناس شهباً به من الماشرفة الصنوبري فانه وصف طبيعة مثله حتى يقايسه أدباء المغرب والمشرق به فيقولون في ابن خفاجة ( صنوبري المغرب ) غير ان الصنوبري أرق شعرأ وأهل ، وابن خفاجة اجزل لفظاً وادق معنى ، ومن شبهه بالي الفخ كشاحم فقد ابعده عن جلته ، لان كشاحم وصف اكل شيء ، ومقل في وصف الطبيعة عن ابن خفاجة .

اما مقايسته باين المعترز واين الرومي والهجري لسكل هؤلاء بفضلونه بمجموع مزايام ،  
فاين المعترز بفضلته بالرقة وجمال التحيل واجادة الطردبات ووصف مجالس الانس ، والهجري  
واين الرومي بفضلانه بالتبريز في كل فرض من أغراض الشعر حتى وصف الطبيعة نفسها  
وان قل شعرهما فيه عنه .

اما الموازنة بينه وبين غيره في لطمة من الشعر فالها وقطعة فالها غيره فقد يفوق ابن  
خفاجة وقد يخلف . ومن ذلك ما رواه المقرئ عنه قال : « قال ابن خفاجة في ديوانه . . . .  
وخرجت يوماً بشاطبة الى باب السمارين ابتغاء الفرجة على خرير ذلك الماء بثلك الساقية  
وذلك سنة ٤٨٠ ، واذا بالفقيه ابي عمران بن ابي تليد رحمه الله تعالى قد سبقني الى ذلك  
فألفيته جالساً على دكان كانت هناك مبنية لهذا الشأن فسلمت عليه وجلست مستأنساً به  
فجري اثناء ما نأشدهنا ذكر قول ابن رشيقي :

يامن يمر ولا تمر به القلوب من الفرق  
بعامة من خده او خده منها استرق  
ليسكانه وكأنتها قمر نمر بالشفق  
فاذا بدا واذا انثني واذا شدا واذا نطق  
شغل الخواطر والجوا فح والمسامع والحدق

فقلت وقد أعجب بها جداً وأثنى عليها كثيراً ، احسن ما سبقت القطعة سياقة الاعداد  
والافات تراء قد استرسل فلم يقابل بين الفساض البيت الاخير والبيت الذي قبله لينزل  
بازاء كل واحدة منها ما يلائمها وهل ينزل بازاء قوله ( واذا نطق ) قوله ( شغل الحدق )  
وكأنه نازعني القول في هذا غاية الجهد فقلت بديها :

ومهتف ظاري الحشا خنت المعاطف والنظر  
ملاً العيون بصورة تليت محاسنها سور  
فاذا رنا واذا مشى واذا شدا واذا سفر  
فضح الغزاة والفا مة والحمامة والقمر

فمن بها استغساناً « اه . قال ابن ظفر : « والقطعة القافية ليست لابن رشيقي بل  
هي لابن الحسين علي بن بشر الكاتب احد شعراء البغيمية » .

و نحن نوافق ابن خفاجة في نفضيل قطعته على الاخرى الا انه لا ينبغي عليك ان  
السابق هو الذي فتح الباب ، وطرق لابن خفاجة سرد النظم على ما في استعمال لفظ  
الغزاة مؤثماً للغزال من خلاف بين اللغويين وانما الشمس عند اكثرهم .

ومن هذه القصة تعرف ان ديوانه المطبوع ايس هو النسخة التي جمعها بنفسه لانها  
لا توجد فيه كما انه وجدت اشعار له خارجة عنه وشهرة ابن خفاجة استمدعي ان له ديواناً  
أكبر منه وتجد في ديوانه بعض موازناات بين مقطعات له ومقطعات لغيره فراجع ان شئت .  
« كتابته »

وابن خفاجة كاتب جيد على طريقة الاندلسيين الجارين على طريقة ابن العميد  
واكثر كتابته خيالات شعرية .

ولم نعرض للكلام على كتابته هنا بنوع تفصيل لاننا نترجم له شاعراً لا كاتباً ولان  
كتابته لا تمتاز عن كتابة غيره بفضل بلاغة او رقة او ميزة لفظية .  
« مختارات من شعره »

ومن شعره بصف طلاء السوء من المسلمين والقساوسة من النصراني :

درسوا العلوم ليمكثوا يمجدهم	فجها صدور مراتب ومجالس
وتزهدهوا حتى أصابوا فرصة	في اخذ مال مساجد وكنائس

وقال :

احس المدامة والنسيم طليل	والظل خفاق الرواق ظليل
والنور طرف قد نثبه دابع	والماء مبهتم يروي صليل
ونظمت من برق كل غمامة	في كل أنقى رابة ورعيل
حتى شهادي كل خوطة أبكة	ربا وغصت تلعمة ومسيل
عطف الاراقة فانبثت شكرآله	طربا ورجع في الغصون هديل
فالروض مهتز المعاطف نعمة	نشوان بعطفه الصبا فيميل
ربان فضه الندى ثم انجلي	هنه فذهب صفحته أصيل
وارند ينظر في نقاب غمامة	طرف يرضه النعاس كليل
ساج كما يرونو الى عواده	شباك وبتلمح العزيز ذليل

وقال يبدي رأيه في تربية الطفل :

نبه وليدك من صباه بوجرة  
وانهره حتى تستهل دموعه  
فالسيف لانذكو بكفك ناره

ولربما أغضبي هناك زكاؤه  
سفي وجنتيه وتلتظي احشاؤه  
حتى يسيل بصفتيه ماؤه

وقال في طيف الخيال :

ورداء ليل بات فيه معاني  
فجمعت بين رضاه وشرابه  
ولثمت في ظلماء ليلة وفرة  
والليل مشمط الدواب كبرة  
ثم انثنى والسكر يسحب فرعه

طيف ألم لظلمة الوعساء  
وشربت من ربق ومن صهباء  
شفقاً هناك لوجنة حمراء  
خرف بدب على عصا الجوزاء  
ويجور من طرب لضول رداء

القاهرة : احمد الاسكندري



## تهكم الجاحظ (١)

- ١ -

« أصاليب التهكم عند الألفجة »

الى جنب هذا المذهب الذي ذهبه الجاحظ في الضحك والاصحاح مذهب آخر وهو التهكم ، ولعل بين المذهبين بعض الصلة وان كان كل منهما يختلف عن الآخر ، فصاحبهما يحتاج الى شيء من خفة الروح ولكن هذه الخفة في الاصحاح بريئة من الحمز والمز وانما غايتها التنشيط والاستحباب ، اما في التهكم فقد يمازجها الخبث سواء أكان هذا الخبث ظاهراً أم كان باطناً .

وقد كان التهكم من جملة أصاليب سقراط في تقرير فلسفته فكان سقراط في تهكمه يرمي الى مناقضة خصمه فيسأله مسائل من باب تجاهل العارف فكان في بدء الامر بقره مذهب خصمه ثم يتلطف في سؤاله فلا يزال به من سؤال الى سؤال حتى يفهم به الى المناقضة في القول .

أصل الأمر في التهكم ان نقول قولاً وانت تريد ضده ، فلما قال النظار لام ابراهيم ابن هاني : ما بعد هذا الكلام كلام ، لم يقصد في هذه العبارة الا ضدها ، ظاهر كلامه الاعتراف بعلم ابراهيم ولكن باطنه تمريض بجهله .

لست في حاجة الى الكلام على خصائص التهكم فان هذا الكلام داخل في البديع وانما اقتصر في مثل هذا المقام على الاشارة الى ان التهكم اكثر المستعمل في الخطاب فهو يفلب في الأحاديث حتى يكاد يكون لهجة بنفرد بها بعض الناس ، وقد يكون هذا التهكم

(١) سلسلة محاضرات الاستاذ السيد شفيق جبري احد اعضاء المجمع العلمي العربي

التي شرع في الماضرة بها في كلية الآداب في دمشق سنة ١٩٣١ .

لباس فكرة فيها فرح وسرور أو صيغة مزح روحاني ، أو قالاً يفرغ فيه غضب أو حقد أو بأس أو غير ذلك من هواجس النفس ،  
 وإذا أردنا أن نعرف رأي متهم من حذائق المتهمين في هذا المذهب لنسمع ما قاله  
 أنا تول فرانس :

« لا أزداد تفكيراً في حياة البشر إلا ازددت اعتقاداً أن من الواجب علينا أن نجعل  
 شهود هذه الحياة وقضائها التهم والشفقة -  
 التهم والشفقة ناصحان صالحان -»

فالتهكم باتسامه يجب الينا الحياة ، والشفقة بدموعها تقدس هذه الحياة ، والتهكم  
 الذي أرقب فيه ليس فيه شيء من المساواة ، أنه لا يستهزي بالحب والجمال ، فهو رفيق  
 وفيه عطف ، لفصحك بكظم من الغيظ ، وهذا التهكم هو الذي يعلمنا أن نسخر من الأشرار  
 والحقى ولولاه لأفضى بنا الضمف الى كرامتهم -»

ان هذا الكلام على وجازته بصورتنا قيمة التهكم ، لذا اشتمل هذا المذهب على تقييد  
 الحياة وتقديسها ، واذا دررنا على السخر بكل شئير وبكل أحمق بدلاً من ان نعبأ بهذا  
 الشئير او بهذا الأحمق ، فما أعظم شأنه وما أهناً بالالدين يعرفون كيف يتصرفون فيه .  
 أعلم الجاحظ ان يسخر من الأشرار والحقى ، وقبل ان ينظر في هذا كله لا أرى  
 محذوراً في ذكر أماط من تهكم الا لفرجة على سبيل المقايسة والموازنة -

إمام المتهمين في فرنسا انما هو ( فولتير ) وهذا نمط من لسهه :  
 أنشأ جان جاك روسو رسالة موضوعها : اصل تفاوت الناس والدكانت اكاومية  
 ديجون اقترحت هذا الموضوع وطلبت الناسق فيه ولكن روسو لم يجيل في هذا الميدان  
 فلم يحرز نصب السباق الذي أحرزه سنة ١٧٤٩ في رسالة جعل فيها الآداب والعلوم  
 مصدر الفساد -

اتصلت هذه الرسالة بفولتير فكتب اليه كتاباً يرد فيه عليه وقد جاء في جملة هذا  
 الكتاب ما يلي :

لم يجترم الجرائم الكبيرة الا مشاهير الجهلاء فان الذي يجعل من هذا العالم وادي  
 دموع انما هو جشع الرجال الذي لا سبيل الى نفع غليله وعجبهم التي لا سلطان عليها فان

الآداب تفذي الروح وتصلحها وتسليها وانما لخدمك في الوقت الذي تعرض فيه عليها . —  
ثم ختم رسالته بهذا الكلام :

أعلمني السيد . . . ان صحتك رديئة فينبغي لك ان تجود هدايتهم هواه وطنك وان  
أنتقم بالحربة وان تشرب معي حليب بقرونا ، وترعى من عشبنا . — «

فالمعز يتخلل هذا التهمم المصقول الحواثي . —

فكان فولتير يقول لروسو : ان جسمك معتل واعتلال الجسم يؤديه عادة الى  
اعتلال العقل فكان فولتير يقول لروسو : ان عقلك لا يتخلو من اعتلال . —

واليكم خطأ آخر في التهمم وهو قول ( لا بروير ) في الموهوسين في حب الكتابة :  
« يأخذ فلان ورقة وقلماً بجأة من دون ان يفكر في ذلك من قبل فيقول في نفسه :  
أريد ان أوّلف كتاباً على انه ليس له استعداد للكتابة ولكنه في حاجة الى خمسين (بستولاً)  
فأصيح به من غير جدوى : خذ المنشار يا ( ديوسكور ) وانشر ، او اضع دائرة دولاب  
فحصل على اجرتك ولكنه لم يتعلم هذه الحرف كلها فأقول له : انسخ إذن او صحح سيفي  
المطبعة ، لا تكتب ، بعد انه يريد ان يكتب وان يطبع كتاباته ، ولما كانت المطبعة  
لا يرسل اليها دفتر ابض فانه يسوده بما يروقه فيكتب مثلاً : ان نهر السين يجري سيفي  
باريز وان الاسبوع فيه سبعة ايام او ان السماء ماطرة ، ولما كان هذا الكلام لا يخالف  
الدين ولا الحكومة ولا يؤدي نشره بين العامة الا الى المساد الدوق وتعويد العامة  
الاشياء التي لا طعم لها بمرض على المراقبة ثم يطبع فيعاد طبعه مع ما في ذلك من العار على  
الأجيال وعلى كبار المؤلفين . — «

فهذا الكلام كله تهمم ، فان قول ( لا بروير ) ان نهر السين يجري في باريز ، او ان  
هذا الكلام لا يخالف الدين ولا الحكومة ، ان هذا القول كله انما هو همز ولامز . —

ماننا ولهذا كله لتنتج الى استهزاء الجاحظ !

اذا كان التهمم على نحو ما قال ( اناتول فرانس ) يعلمنا ان نهزأ بالأشهرار وبالحمقى فقد  
طام هذا التهمم الجاحظ ان نهزأ بطائفة من الناس فيهم الحمقى ، وقد اجتمعت له أسباب  
التهمم ومحدث له السبيل اليه .

ألم تلده أم مطبوعة على التهمم فان مجيئها يطبق الكواريس التي علمت امرها في

كلامنا على حياته استهزاء بولد يقضي ايامه في طلب العلم وهو عالة على امرأة تمونه ا  
 أفلم يخرجه في الأدب والعلم رجال لا يضيعون فرص التمهك اذا سحقت هذه الفرص  
 فعبارات ابي عبدة والنظام التي سررت بنا في كلامنا على ثقافتنا الجاحظ أشباه: لا عليك  
 فان سرك لا يؤذي وامثال : ما بعد هذا الكلام كلام ، انما هي عبارات يخلها التمهك -  
 ولقد ظهر ميل الجاحظ الى الاستهزاء من صغر امره وحدائه منه واليهك القصة التي  
 نناهت الينا وهي من آثار هذه الحدائة . قال الجاحظ (١) : « وبينما انا جالس يوماً في  
 المسجد مع فتيات من المسجد بين مما يلي أبواب بني سليم وانا بومثله حدث السن اذ اقبل  
 ابوسيف المروور وكان لا يؤذي احداً وكان كثير الظرف من قوم سراق حتى وقف علينا  
 ونحن نرى سيف وجهه اثر الجدة ثم قال مجتهداً : والله الذي لا اله الا هو ان الخيراً حلوا  
 ثم والله الذي لا اله الا هو جيتنا ثانية يسألني الله عنها يوم القيامة ، فقلت له أشهد انك  
 لا تأكله ولا تذوقه فمن أين علمت ذلك ؟ فان كنت علمت امراً فلعننا ما علمك الله ،  
 قال : رأيت الذبان يسقط على التبيد الحلوا ولا يسقط على الحار ويقع على العسل ولا يقع  
 على الخلل وأراه على الخزوة اكثر منه على الثمر ، اذ تر يدون حجة أبين من هذه ، فقلت :  
 يا ابا سيف بهذا او شبهه يعرف فضل الشيخ على الشاب ا »

واشعد في هذا الميل الى الاستهزاء بالحقى كل حياته فمن استهزائه باهتال هذه  
 الطبقة من الناس قوله في اثناء كلام له على المكي (٢) :

« وكان المكي طبيباً طيب العجيج ظريف الخليل عجيب العليل وكان يدعي كل شيء على  
 غاية الاحكام ولم يحكم شيئاً قط من الجليل ولا من الدقيق واذا قد جرى ذكره فساد ذلك  
 ببعض احاديثه وأخبرك عن بعض علله لذاهي بها ساعة ثم نعود الى ذكر الذبان :

ادعى هذا المكي البصر بالبراذين ونظر الى يردون واقف قدالتى صاحبه فيه الجمام ،  
 فرأى فاس الجمام واين بلغ منه فقال لي : العجب كيف لا يذره التي وانا لو ادخلت  
 واصبحي في حلي لما بقي في جوفي شيء الا اخرج ، فالت : الا ان علمت انك تبصر ، ثم مكث

(١) الحيوان الجزء الثالث (ص ١١٢) .

(٢) \* \* \* (ص ١٠١) .

البرذون ساعة بلوك لجامه فأقبل عليّ فقال لي : كيف لا يبرؤ استنائه ، قلت لئما يكون عند البصرهء مثلك ، ثم رأى البرذون كلما لك الحمام والحديدهء سال اعصابه على الارض فقال لي : ان البرذون افسد الخلق حقلاً ولولا ذلك لكان ذهنه قد صني ، قلت له : قد كنت اشك في بصرك بالدواب فأما بعد هذا فلست اشك فيه . -

وقلت له مرة ونحن في طريق بئداد : ما بال الفرسخ يكون في هذا الطريق فرسخين والفرسخ يكون اقل من مقدار نصف فرسخ فنكر طويلاً ثم قال : كان كسرى يقطع للناس الفراسخ فاذا صانع صاحب القطيعة زادوه وذا لم يصانع نقصوه . -

وقلت له مرة : علمت ان الشاري حدثني ان الخلوخ بعث الى المأمون بجراب فيسه رميم كما نه يخبهء ان عنده من الجند بمدد ذلك ، وان المأمون بعث اليه بديك اعور يريد ان طاهر بن الحسين يقبل هؤلاء كلمم كما يلقط الديك الحب ، قال : فان هذا الحديث انا ولدته ، ولكن انظر كيف سار في الآفاق ، واحادثه واعاجبهء كثيرة . - «

## تهمم الجاحظ

- ٢ -

ظهر ميله الى الاستهزاء من فضاخه هوده واستنكم فيه هذا الميل بعد ان تهيأت له اسباب التهم بهذا غيرها ، فقد خلق مطبوعاً على هذا التهم ، وقويت فيسه ثقافته هذا الطبع ، وعاش في عصر احتاج فيه الى السفرية ، عاش في عصر ترك فيه الجمهور الاكبر والسواد الاعظم التوقف عند الشبهة ، والنثبت عند الحكومة وعزل الحق فيسه جانباً ومات ذكر الحلال والحرام ورفض ذكر القبيح والحسن ، والخلاصة عاش في عصر استفاضت فيه الزندقة وشاعت فيه طائفة من الخرافات في طبقات العامة وبعض العلماء والمؤلفين فلم يجد الجاحظ بداً له من التذنبه على هذه الخرافات ، وعلى هذا الضلال وهو الرجل الذي وقف نفسه على نصرة الحق عمره كله ، وخاصة فقد امكن القول في عصره وصلاح الدهر ، فلم يبق للجاحظ الا اظهار ما عندته والقيام بما يلزمه من نصرة الحق ومجعة على الباطل ولا سيما بعد ان كثرت خصومه وحسادته وتمعنوه فلم يجد له امضى سلاحاً من التهم ، هذا التهم الذي قال فيه فولقير : اذا أردت ان تقتل خصمك فاجعله هزأة . - فاجتهد الجاحظ في جعل خصمه هزأة كل حياته ولئن عابه ابن فتية باستهزائه من الحديث استهزاء لا يخفى على اهل العلم ذكره فلم يستهزئ الجاحظ بالصحيح من الاحاديث وانما استهزأ ببعض نأويلات ونفسيرات لا يقرها عقل عالم اشتغل بالتحقيق والتجسس قرناً متكاملًا . -

فلنجتهد في بيان بعض مواطن من هذا الاستهزاء . -  
لجاحظ أسلوب في التهم على بعض اهل النفسير والتأويل بسيط جداً وقد بلغ من بساطته انه لا يكاد يظهر عليه اثر الاستهزاء والسخرية فهو يدس هذا التهم دساً دون ان

يظهر على بانه بدلاً من ان يتعرض لهذه الطائفة من العلماء تعرضاً ويجادلهم جدالاً بكثفي في أكثر الأوقات بالدلالة على آرائهم والاشارة الى مذاهبهم ، ولكن هذه الاشارة مما كانت خفية ومما كانت رمزاً لا تخلو من روح التفهم فبينما الجاحظ مثلاً يفتي قوله في باب من ابواب العلم كباب ما يعترى الانسان بمد الخصاء وكيف كان قبل الخصاء وبينما يفتي في هذا الباب في أمور علمية اذ يعرض له رأي من الآراء التي لا يؤيدها العلم فيكثفي بالنسبة عليها كقوله مثلاً وقد سمعتموه (١) :

« وزعم بعض المفسرين واصحاب الاخبار ان اهل سفينة نوح كانوا تأذوا بالفار فعطس الأسد عطسة فرمى من مخزبه بزوج سنابير فلذلك السنور أشبه شيء بالاسد وطلع القيل زوج خنازير فلذلك الخنزير أشبه شيء بالقيل .  
ثم يردف هذا القول بكلامه الآتي :

قال كبسان : فينبغي ان يكون ذلك السنور آدم السنابير وتلك السنورة حواءها وضحك القوم . - »

ان مجرد ذكره لأشياء هذه الآراء في اثناء بحثه عن أمور مبنية على العلم والعقل كاف للدلالة على سخريته باصحابها فكأنه يفتخر بعينيه غمزاً فهو لا يتولى الطعن على هذه الآراء والمذاهب وإنما يكفي نفسه ، وثمة هذا الطعن بتركه للقاري حتى الحكم على مثل هذه الآراء وهذا الاسلوب على زعامته الظاهرة لا يخلو من منارة وحذق ولم لا التولى لا يخلو من غيب ، فان الجاحظ لا يتولى فيه التشنيع والتهمين وإنما يجرى القاري جراً الى هذا التشنيع والى هذا التهمين ثم ينسحب انسحاباً فيخرج بمسد ايقاظه الفطنة كابين الجون لا ظهراً ولا ضمراً . -

ونظائر هذا التفهم مستفيضة في كتاباته ومن هذا القبيل قوله : مثلاً (٢) :  
ويؤم لرادشت وهو مذهب الجوس ان الفارة من خلق الله ، وان السنور من خلق الشيطان وهو ابليس وهرمن ، فاذا قيل له : كيف تقول ذلك ، والفارة مفسدة تجذب وتبيلة الصباح فتخرق بذلك البيت والقسمائل الكثيرة والمدن العظام والارباض الواسعة

(١) الحيوان الجزء الاول (ص ٦٧) .

(٢) « « الرابع (ص ٩٩) .

بما فيها من الناس والحيوان والا، وال وتمتري دفاتر العلم وكتب الله ودقائق الحساب والصكالك والشروط وتمتري الشياب وربما طابت القطن لتأكل يزره فتدع الحفاف ضرباً بالآ وتمتري الجرب و اوكية الاسقية والازقاق والقرب فتخرج جميع ما فيها وتقع في الآنية وفي البئر فتوت فيه ، وتمتري الناس الى مؤن عظام وربما عصت رجل النائم وربما قتلت الانسان بعضتها ، والفار بخراسان ربما قطعت أذن الرجل وجرذان انطاكية تمجرب عنها السنائير ، وقد جلا عنها قوم وكرها آخرون لمكان جرذانها وهي التي فجرت المسنة حتى كان ذلك سبب الخسر بارض سبأ وهي المنضروب بها المثل وسهل العريم مما تؤرخ بزمانه العرب ، والعوم المسنة ، وانما كان جرذاً وتقتل الخمل والفسيل وتخرّب الضيعة وتأتي على أفرحة الركاب والخضر وغير ذلك من الاموال والناس ربما اجتابوا السنائير ليدفعوا بها بوائق النار ، فكيف صار خاق الضار المفسد من الله ، وخلق النائم من خلق الشيطان ، والسنور يعدي به على كل شيء خلقه الشيطان من الحيات والعقارب والبعلان وبنات وردان والفأرة لانقع لها وموتها عظيمة . قال : لان السنور لو بال في البحر يقتل عشرة آلاف سمكة ، فهل سمعت بحجة قط او بحيلة او بأضحوكة او بكلام ظهر على تلقح حرة يبلغ مؤن هذا الاعتلال ، فالحمد لله الذي كان هذا مقدار عقولهم واختيارهم . - «

على انه هذه المرة لم بكنتم استهزاءه فقد دل عليه بقوله : فهل سمعت قط بحجة او بحيلة . . . . . بهد انه وان ألصق عن سخريته بهذه العبارة الاخيرة كان سبب مندوحة عنها فان تدبرته لمثل هذه الافوال كاف للاصراب عن هذا التهكم الكامن في ذهنه . -  
ومثل هذا الاستهزاء كثير في كلامه لا أجد في حاجة الى الاستزادة منه وانما صبرت لكم مثلاً حتى استأنسوا به . -

وقد يخرج في بعض الاحاين سبب رده على من يعيب كتبه عن البساطة التي لهت اليها فبرهف قلبه ويحشد طبعه ، فبدلاً من ان يبلغوا الى رباطة جأش المثبكين والى هدوتهم وسكونهم يشور ثورته فيقول لهذا العائب الذي طابه بأكثر كتبه (١) :  
« بورك ما سمعت ، وملاً صدرك الذي قرأت وأبهرت وأبهرت فلم تنجبه للعبة وهي

(١) كتاب الحيوان الجزء الاول (ص ٦) .



لا معوضة ، ولم تعرف المسائل<sup>(١)</sup> وهي لا بادية ، ولم تعرف باب المخرج اذ جهلت باب المدخل ، ولم تعرف المصادر اذ جهلت الموارد ، رأيت ان سب الاوليائه أشقى لعدائك وأبلغ في شفاء سقمك ، ورأيت ان ارسال اللسان أحضر لذة وأبعد من النصب ومن إطالة الفكرة ومن الاختلاف الى ارباب هذه الصناعة ولو كنت لطنت لهجرك وصلت نقصك بتمام غيرك واستكفيت من هو موقوف على كفاية مثلك وحبس على تقويم اشباهك ، كان ذلك أزين في العاجل ، وأحق بالثوبه في الآجل ، وكنت ان اخطأتك الغنيمه لم تخطئك السلامة ، وقد سلم عليك المخالف بقدر ما يتلي منك الموافق ، وعلى انه لم يبذل منك الا بقدر ما لزمته من مؤنة لتقيفك والتشاغل بتقويمك وهل كنت في ذلك الا كما قال العربي : هل بضر السحاب نبع الكلاب والآن كما قال الشاعر :

هل بضر البحر أمسى زاخراً      أنت رمي فيه غلام بحجر  
وهل حالنا في ذلك الا كما قال الشاعر :

ما حصر نغاب وائل أهجرتها      ام بكت حيث لنا طمح الجهران  
وكما قال حسان بن ثابت :

ما أبالي أنب بالخزن نيس      ام لحساني يظهر غيب لثيم  
وما اشك أنك قد جعلت طول إعراضنا عنك مطية لك ، ووجهت حملنا عنك الى الخوف منك ، وقد قال زلر بن الحارث لبعض من لم يرحق الصبح فجعل العفو سبباً الى سوء القول

فان عدت والله الذي فوق عرشه      منعتك مصقول الفرار من ازرقا  
فان من الجهل ان تضرب الطل وان تلبس العريض حتى يفرقا وقال الاول  
وضفان داويتهما بصفان      حتى شفيت وبالحقود حقودا  
وقال الآخر

وما نعى عنك فوما انت خائفهم      كشل رقك جهالاً بجهال  
فانفس اذا حربوا واحرب اذا قعدوا      ووازن الشر مثقالاً بمثقال  
الى آخر هذا الكلام . . . . .

(١) في الاصل : المقابل .





هذا آخر ما خطر على البال من تهكم رجل هنأ بأشياء كثيرة في هذا العالم ، هنأ بالخرافات والأباطيل وبالحمقى وربما كان خروجه من ديوان الخليفة هنأاً بالعظمة نفسها ، بل ربما سخر بشيء أعظم من العظمة فاذا كان الجاحظ في كتابه المحاسن والأضداد الذي وصف فيه الشيء وضده على السن مختلفة يرمي الى حقيقة فلسفية ليصور لنا طبقة من الناس يستحسنون طائفة من الامور ثم يصور لنا طبقة غيرهم يستقبحون ما استحسن غيرهم اذا كان غرض الجاحظ من هذا الكتاب تقرير هذه الحقيقة فكأنه يريد ان يقول لنا لاحقيقة مطلقة في الدنيا واذا كان هذا قوله فكأنما الجاحظ هنأ بالحياة كلها . —  
دمشق : في ٥ كانون الاول سنة ١٩٣١

## آراء وافكار

—(١)—

### حول مقالة الشاعر الصنوبري

قرأت في الجزء الثامن من المجلد الحادي عشر (ص ٤٨٤) من مجلة المجمع مقالة للصدقي الأستاذ الشيخ كامل الغزي مقالة عنوانها (الشاعر الصنوبري) ذكر في مطلعها انه جمع نبذة من اخباره وجمع زهاء اربعمائة بيت من شعره وان اول سفر عثر فيه على كلمات في هذا الشاعر مجموع قديم مخطوط ثم قال : اذا أمعنا النظر في ترجمة الصنوبري التي اقتبها كل واحد من صاحب المجموع المخطوط وفوات الوفيات ومجم البلدان وابن عساكر وابن جني فاننا لأول وهلة بظهورنا اختلاف عظيم في اسم الصنوبري واسم ابيه وجده وجد ابيه ووصفه مرة بالصيني وأخرى بالضي وتسمية باقوت لجدّه بمروان وتسمية ابن عساكر لجدّ أبيه بمرار ونفر دابن جني باسمه واسم ابيه دون جميع من ذكرناهم ممن ترجموا له .

ثم ذكر انه اتبع باسمه وامم ابيه ونسبه الاكثرية وانه احمد بن محمد الصيني الصنوبري الحلبي . وان كلمة الضبي الواردة فيها ترجم له ابن عساكر معرفة عن الصيني ثم قال :  
اما تاريخ وفاته فلم ار من صرح به سوى صاحب المجموع فزعم انها كانت في سنة ٣٣٤ وهذا بلاريب تاريخ مغلوط اذا سلما بصحة الحسابة التي أوردها صاحب التبتية عن ابن جني فانها كادت نفيدينا صراحة ان الصنوبري كان في سنة ٣٤٦ حياً يرزق . نسفد هذا من قول ابن جني وانشدت ابا علي ليلاً قصيدة ابي الطيب التي اولها ( واحر قلباه من قلبه شبح ) الخ فان هذه القصيدة آخر ما نظمه ابو الطيب في حلب اي انه نظمها حين فارق سيف الدولة وذلك في السنة المذكورة . وعلى كل حال فان تاريخ وفاة الصنوبري لا يخلو من إبهام فهو يحتاج الى تدقيق عميق اه .

اقول واني ايضا من عني بهذا مدة بجمع اخبار الصنوبري وشعره وقد اودعت ترجمته  
ونبذة من شعره المجلد الرابع من تاريخي (اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء) (ص ٢٣)  
ناقلاً معظم ذلك عن تاريخ ابن عساكر المحفوظ بظاهرية دمشق وقد سميت هذه المجموعة  
(الروضيات) وفي نوني طبعها ان شاء الله تعالى . وقد اربى ما جمعت من شعره الى الآن  
على ٦٠٠ بيت .

اما قول الاستاذ الغزي ان اسمه واسم ابيه احمد بن محمد فهو صواب لاربع فيه لاجتماع  
كلمة من ذكركم من المؤرخين وغيرهم على ذلك اما امم جده فهو الحسن (لالحسن كما جاء في  
المجموع المخطوط وهو تخرىف من الناسخ) وهكذا سماه (الحسن) ابن عساكر وياقوت  
والذهبي في تاريخه الكبير الموجود منه خمسة أجزاء في المكتبة الاحمدية بحلب وفي تاريخه  
(العبر في اسما من غير الموجود في هذه المكتبة بخط الحافظ ابن حجر) . واما اسم ابي جده  
فهو ضرار لا مروان كما جاء في المعجم لياقوت فانه هكذا في ابن عساكر وفي تاريخ الذهبي  
ايضا وما في المعجم تخرىف .

واما قول الاستاذ ان كلمة الضبي الواردة فيما ترجم له ابن عساكر بحرفة عن الصبي وجزمه  
بانه الصبي فهو بعيد عن الصواب وخطأ محض والصواب انه الضبي كما قال ابن عساكر وهكذا  
في تاريخ الذهبي الكبير وفي العبر ايضا وهو نسبة لابي ضبة قبيلة من قبائل العرب و يغلب على  
الظن انه لو كانت الصبي لذكره ياقوت في كلامه على الصين كما هو شأنه في نسبة المشاهير  
و بدعونا الى الجزم بانه الضبي ان جد الصنوبري كان فاطماً في بغداد وهو صاحب بيت حكمة  
من بيت حاكم المأمون كما قاله ابن عساكر في اول ترجمته فهو عراقي . وبنو ضبة نزات بلاد  
العراق كما ذكر ذلك القلقشندي في صبح الاعشى حيث قال (ج ١ ص ٣٤٨) ومن قبائل  
طابخة بنو ضبة قال في العبر وكانت بالناحية الشمالية من نجد بجوار بني قميم ثم انتقلوا في الاسلام  
الى العراق وهم الذين قتلوا المنابي الشاعر اه .

وقول الاستاذ انه لم ير من صرح بتاريخ وفاته سوى صاحب المجموع فزعم انها كانت  
في سنة ٣٣٤ وهذا بلاربع تاريخ مغلوط الخ .

اقول ومن صرح بوفاته في هذه السنة الحافظ الذهبي في تاريخه المتقدم في وفيات هذه  
السنة وأورد له من نظمته (الانوم ادري به ولا التماق) وذكره ايضا في تاريخه العبر في

حوادث سنة ٣٣٤ ونص عبارته وفيها (اي توفي) الصنوبري الشاعر ابوبكر احمد بن محمد ابن الحسن الضبي الحلبي وشعره في الدررة المليا ه .  
 وصاحب المجموع الذي هو من مخطوطات مكتبة الاوقاف في حلب المحفوظة في المدرسة الشرفية - عين لنا الشهر الذي توفي فيه وهو شهر رجب ليكون نقله لتاريخ وفاته عن غير الذهبي والذهبي لم يعين الشهر لا في تاريخه الكبير ولا في العبر ليكون الذهبي وصاحب المجموع قد انفتحت كليهما على ان وفاته في هذه السنة . وعلى هذا فيكون الصنوبري قد بقي مدة وجيزة بعد عي سياف الدولة الى حلب هي سنة واربعة اشهر لان سياف الدولة دخلها في ثمان خلون من شهر ربيع الاول سنة ٣٣٣ .

واما استدلاله بقول ابن جنبي انشدت ابا علي ليلاً الخ وانما كادت تفيد صراحة ان الصنوبري كان حياً في سنة ٣٤٦ الخ فهو غلط منه وسهوف في النقل فان المعكبري شارح ديوان المنفي لم يذكر في شرحه لهذه القصيدة انها آخر ما نظمه المنفي في سيف الدولة وانه فارقه بعد ذلك بل آخر قصيدة قالها فيه في حلب هي قصيدته التي اولها ( عجب اليمين على عجب الوضي ندم ) الخ فقد ذكر المعكبري هنا ( ج ٢ ص ٢٨٧ ) انه قالها سنة خمس واربعين وثلاثمائة وانما آخر قصيدة قالها بمحضرة سيف الدولة .

فعل هذا تكون وفاة الصنوبري في سنة ٣٣٤ اسراً محققاً لا ريب فيه . هذا ما ظهر لنا و فوق كل ذي علم عليم .

محمد راغب الطباخ

رجاء

عثر على جزء من تاريخ حلب للمصاحب كمال الدين ابي القاسم عمر بن احمد الشهير بابن العديم الحلبي المتوفى سنة ٦٦٠ الهجرية ( بغية الطلب في تاريخ حلب ) في المدرسة الحسينية في الموصل وقد ارسلت فاستنسخته وهو في نحو ٤٠٠ صفحة كبيرة اوله زهدم بن الحارث كان بدابق الخ وآخره سعيد بن سلام المغربي والفضل في ذلك يرجع للدكتور داود الحلبي مؤلف كتاب مخطوطات الموصل .

• ويوجد من هذا التاريخ الحافل الذي تجدد فيه ما لا تحجده في غيره من الاخبار والتراجم  
مجلد في مكتبة الأمة في باريس • ومجلد في مكتبة أبي صوفيا في الآستانة • ومجلد في مكتبة  
لندن •

فترجو ممن وقف على شيء من هذا التاريخ غير المجلدات التي ذكرتها في المكاتب العامة  
او الخاصة ان يفضل بالادق مع وصف الكتاب من الخط وعدد الاوراق وتاريخ الكتابة  
وما هو اوله وما هو آخره وله مزيد الشكر • **حلب:** محمد راغب الطباخ

—«»—

### مخطوطات نفيسة<sup>(١)</sup>

واما كتاب (تكملة القاموس) فهي المستدركات في شرح مؤلفها (الزبيدي) على القاموس  
وانما بداهة له بمدراغه منه ان يجردها في تأليف على حدتها كما ذكره في خطبتها ففعل مع تنقيح  
واختصار يسير لبعض الجمل وطبها منفردة لانكر فائدته وعندني نصفها الاول اقر بآي يخط  
مشرقي صحيح وفي اود توجبه عنايتكم الى الاهتمام بطبع حاشية القاموس المسماة : (باضاءة  
الراموس ، والاضاءة الناموس ، على اضاءة القاموس) تأليف سيدي محمد بن الطيب الشرقي  
الفامي شيخ سيدي مرتضى وعمدته في هذا الفن حياهما أفصح لذلك في ديباجة شرحه (تاج  
العروس) بقوله : ومن أجمع ما كتب عليه مما سمعت ورأيت شرح شيخنا الامام اللغوي ابي  
عبدالله محمد بن الطيب بن محمد الفامي المتولد بفاس سنة ١١١٠ والمتوفى بالمدينة المنورة سنة  
١١٢٠ وهو عمدة في هذا الفن والمقلد جيدي الماثل بحلي اقر بره المستحسن وشرحه هذا  
عندي في مجلد بن ضخمين اه وهو مراده بشيخنا عند الاطلاق في تاج العروس ومم كون هذه  
الحاشية او الشرح على ما عبر به سيدي مرتضى كانت عنده واستمد منها كثيرا في تاجه بل  
هي عمدته كقولها فقد نفي عنانه عن نقل كثير من عيونها ومباحثها النفيسة التي لا توجد في  
غيرها كما يعلم بالوقوف عليها واولها بعد البسملة :

سبحان من القاموس المحيط رشحة من آثار أياته والقاموس الوسيط لحة من أنوار آياته  
فله الحمد على ما قلنا من عقد صحاح جوهر آلائه وأولانا من باب محكم ولانه أنطقنا جلت

(١) [المجمع] من كتاب جاءنا من حضرة الاستاذ صاحب التوقيع .



حكيمته ومنطقنا جلت بالنم السوايح نممته وأذقنا من حللوة بارح لسان العرب . ما دونه الفائق المذهب وقطر النداء ارتشاف الضرب . وقرب لنا جمرة خلاصة الشنقيج والتهذيب وغاية النقيب وأناحننا من صراح المجد الأفري ما نهاية الفصح المختار المنتخب ان يستضي بنوره صباحه المزهري فيه الكفاية عن كل مصنف ضريب . والصلاة والسلام الأثمان الاكلان على من افام أساس محمد الدين ابي الطاهر محمد بن الطيب ابي الطيب الطاهر بن الاطاب الاطاهر المعرب عن كل مغرب من الآي الظواهر الخ .

ولصاحبها ترجمة حفيظة في الجزء الرابع ص ٩١ - ٩٤ من سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر لابي الفضل المرادي مفي دمشق وبالجملة فهي حاشية نفيسة في بابها وعندني نسخة منها في مجلدين ضخمين بخط مغربي .

وأوجه عنايتكم ايضاً الى كتاب تهذيب الاسماء والافعال لابي القاسم بن القطاع فإنه من أنفس المؤلفات التي اعتمدها سيدي مرتضى ايضاً وذكر في شرحه انه في مجلدين بيد ان كتاب ابن القطاع الذي ذكر في ديوانه انه خلاصه وخلصه من كتاب ابية الافعال لابن القوطية هو في مجلد واحد وعندني نسخة منه بخط مغربي ولا أدري هل هو احد قسمي الكتاب الذي أشار اليه سيدي مرتضى او غيره .

- والى كتاب المثلث لابن السيد البطليومي فإنه مع صغر حجمه مفيد في بابها وعندني نسخة منه ايضاً بخط مغربي ولا أظن يعني عنه مثلث ابن مالك المطبوع فإنه نظم والاول نثر وفرق بينهما .

- والى مختصر الزهبي لكتاب العين اول من صنف في جمع اللغة المنسوب للخليل بن احمد وهذا وان أطبق الجمهور على القدح فيه ونسبته الى الليث بن نصر بن سيار الخراساني قال صاحب المزهري بعد ذلك قد اجمعت الناس كثيراً بمختصر العين للزهبي فاستعملوه وفضلوه على كتاب العين لكونه حذف ما أورده مؤلف كتاب العين من الشواهد المختلفة والحروف المصحفة والابنية المختلفة وفضلوه ايضاً على سائر ما ألف على حروف الهمج من كتب اللغة مثل جمرة ابن دريد وكتاب كراع لاجل صغر حجمه الخ كلامه وعندني نسخة منه عتيقة بخط اندلسي كتبت اثناء القرن السابع غير انها لا تتخلو من خرق الارضة مع تجديد نحو العشرين ورقة منه بنساخته قديمة ايضاً .  
طنجة : عبد الهادي بن محمد السلاوي

## مطبوعات حديثة

—(١)—

### آداب الحسبة

« لابي عبدالله محمد بن ابي محمد السقطي المالبي الاندلسي نشره السيدان كولين »  
« وليني بروفانسال مع مقدمة له بالفرنسية وتعليقات لغوية وتفسير بمض »  
« المفردات طبع في باريس سنة ١٩٣١ ص ٧٢ النص العربي ومثلها بالفرنسية »  
« وهو من مطبوعات معهد العلوم المغربية »

الحسبة أشبه بديوان الشرطة والصحة والبلديات لهذا العهد ، لم تبطل على الأظب من الديار الاسلامية إلا بظهور نظام البلديات المنقول عن أوضاع الغرب في القرن الماضي . وقد كتب لنا ان هترنا على اربعة مخطوطات في الحسبة وصفناها في ص ٥٣٧ و ٦٠٩ من المجلد الثالث من مجلة المقتبس منذ اربع وعشرين سنة الاول منها « نهاية الرتبة في طلب الحسبة » استنسخناه سنة ١٣٣٢ هـ من نسخة جلبت من حلب والثاني كتاب الحسبة لمحمد بن محمد بن احمد المعروف بابن الاخوة القرشي وهو من مخطوطات الخزنة الزكية بالقاهرة . والثالث نصاب الاحساب لعمر بن محمد بن عوض الشامي ( النسامي او السنامي ؟ ) من مخطوطات الخزنة التيمورية بالقاهرة . والرابع « نهاية الرتبة في طلب الحسبة » لعبد الرحمن ابن نصر بن عبدالله بن محمد الشيزري ( او الشيرازي ) من مخطوطات دار الكتب المصرية . وهذه الكتب الاربعة من تأليف علماء من المشاركة ، اما كتاب السقطي المالبي فهو من تأليف رجل من المغاربة الاندلسيين ولذلك وقعت له مصطلحات غير مالوفة في لغة المشرق ومنها الاسباني الاصل او ادخل في اللغة القشتالية من العربية ، وقد حل معانيها الاستاذان الناشران فنمعا بعلما كالآلا مؤرخي المدنية الاسلامية في الغرب ومؤرخي اللغة العربية .

ونظن هذا المنشور بالطبع هو قطعة من كتاب المالقي الاندلسي يثر فيها المطالع على  
 أوضاع تخالف بعض الشيء ما جاء من نوعها في النأليف الاربعة التي ذكرنا ( خطط الشام  
 م ٥ ص ١٣٥ ) . وأصناف الصنائع في الكتب التي اطلعنا عليها أوسع مادة وعدداً ولا يعقل  
 ان تكون الاندلس حتى في عهد انحطاطها اقل صنائع من بلدان المشرق . والمالقي كان  
 محسباً ولذلك جاء كلامه موزعاً بالشواهد والوفائغ التي خبرها بنفسه فجاء في تضاعيف  
 سطوره بامور اختص بها . وكان طبع كتاب الحسبة في الاسلام لشيوخ الاسلام ابن تيمية  
 في القاهرة وطبع كتاب آخر يدخل من بعض الوجوه في باب الحسبة بمدينة دمشق  
 سنة ١٣٠٢ هـ وهو كتاب « المختار في كشف الأسرار » للعلامة زين الدين عبد الرحيم  
 ابن عمر الدمشقي المعروف بالجوي برعي من اهل القرن السابع وفي هذا من كشف أسرار  
 من يدعون النبوة والشهجة وكذبة الوعاظ والرهبان والاحبار وبنو ساسان واهل الحراب  
 والتكاريين وأصحاب السير والزمل والمزمنين والدجاجلة من الاطباء ومن يلعبون بالنار  
 ويعملون الطعام والمشقذين والجوهرين الى مايتعلق بذلك من الامور الغريبة في بابها  
 نخدم بها صاحبها الحجة من طريق غير مباشر . وعسى ان تصرف همه احد الطابعين فيطبع  
 جميع هذه الرسائل في مجلدة طبعة علمية منقنة فانها لتفيد من عدة وجوه لانها تصور  
 المدنية القديمة وتأتينا بالفاظ ضاعت من الاستعمال والمجتمع في حاجة اليها .

محمد كرد علي

### اعلام السريان

« ترجمة مار سو يريوس يعقوب البرطلي المتوفى سنة ١٢٤١ بقلم السيد »

« مار سو يريوس أفرام برصوم طبعت في دير مار صرافس للسريان »

« بالقدس سنة ١٩٣١ ص ١٢ »

هذا علم من اعلام السريان من اهل القرن الثالث عشر للمسيح وهو من جملة من  
 نخرج بكامل الدين بن يونس الفيلاسوف الموصلية المشهور وكان اهل الذمة يقرأون عليه  
 التوراة والانجيل ( راجع ترجمته في طبقات الاطباء لابن ابي أصيبعة وفي تاريخ ابن

خلكان) . وذكر الاستاذ واضع الترجمة البرطلي ان هذا كان « يعني اعلى السريان واهمها؟  
 سانسهم اذ لم يضعوا له الضوابط والقوانين كالفعل اليونان والعرب حتى انهم لم يمشوا بالقلم  
 به بل فضلوا عليه اللغات الأجممية اليونانية والفارسية ثم العربية بعد انتشارها بينهم ومن  
 ثم أدخلوا فيه الفاظاً حوشية وأهملوا الفاظهم الأصلية التي حفظت بعضها اللغة العربية  
 وضاعت من السريانية على طول عهدهما مع وجودها في لغة كتبة السريان الاقدمين » اه  
 ولعل هذا كان من العوامل في دثور لغة السريان من الجزيرة والشام الا قليلاً .  
 م . ك

### مجموعة الرقم العربية

« نشر بإدارة السادة كومب وسرفاجيه ولبيت في القاهرة سنة ١٩٣١ »  
 « المجلد الاول منه في ٣١٢ ص وهو من مطبوعات المعهد العلمي الاثري »  
 « الفرنسي في مصر »

يقوم بنشر هذا الكتاب تسعة عشر عالماً من علماء الآثار من الفرنسيين والامان  
 والانكليز والعرب وغيرهم وينشرون الرقم العربية كما وجدت وبيزونها الى ناشرها  
 او ناشرها مع بيان المصادر التي وردت فيها وقد وضعوا بجانبها ترجمتها بالفرنسية . وفي  
 هذا الجزء اربعائة رقم وسيكون في كل جزء من الاجزاء التالية مثلها . وقد جعلوا هذا  
 السراهمتم تذكراً لواضع علم الرقم العربية العلامة المرحوم فان يرشم الاثري السويصري .  
 واكثر الرقم في هذا الجزء مما وجد في مصر وقد بدأ واضعوه باقدم رقم عربي وجد  
 في الارض حتى الآن وهو الرقم الببطي الذي وجد في النمرة من ارض الشام وصورته :  
 « في نفس اسره القيس بن عمرو ملك العرب كله ذو أصر التاج وملك الاسدين ونزارو  
 وملوكهم وهرب مذحج عكدي وجاء بزجاي في حج فخراف مدينت شمر وملك ممدو  
 وبتن بنيه الشعوب ووكهن فارسو لروم فلم يبلغ ملك مبلغه عكدي هلك سنت ٢٢٣  
 يوم ٧ يكسلول بالسمد ذو ولده » . ومعنى ذلك بمصطلحننا ان هذا قبر اسري القيس  
 ملك العرب كلهم الذي لبس التاج وأخضع اسلطاناه قبائل اسد ونزار واسراهم وفوق

مذبح الى ذلك اليوم وظفر في حصار نجران مدينة شهر وأخضع قبيلة معد ووكل الى بنيه أمر القبائل وأرسلهم على الفرس والرومان ولم يبلغ احد من الامراء مبلغه في الجهد . وقد هلك سنة ٢٢٣ في اليوم السابع من بكسلول ( ٧ كانون الاول ٣٢٨ م ) كان السعد لعقبه . واسم هذا الكتاب بالفرنسية Répertoire chronologique d'épigraphie arabe . فأعظم بهجة هؤلاء العلماء الذين يمجون آثارنا ونحن عنها غافلون .

م . ك

### المقصد

« تأليف عبد الحق الباديسي نشره بالفرنسية وعلق عليه السيد كولين »

« ص ٢٥٤ طبع في باريس سنة ١٩٢٦ »

اسم هذا التأليف كما قال ناشره « المقصد الشريف والمنزح اللطيف في ذكر صلحاء الرب » تأليف ابي محمد عبد الحق بن اسماعيل بن احمد بن محمد بن الخضر بن قيس بن سعد ابن عبادة الباديسي الفرناطي الخزرجي ألفه سنة ٢١١ ( ١٣١١ - ١٢ م ) نسج فيه على منوال كتاب التصوف للنادي المصنف ( سنة ٦١٧ - ١٢٢٠ - ٢١ م ) وفيه تراجم صلحاء الرب ريف المغرب الاقصى منهم المعروف بآثاره ومنهم الذي لم يشتهر عند الباحثين وفي التعليقات اللطيفة التي اجمعها به ناشره الاستاذ ككولين فوائد جغرافية واجتماعية ومدنية تفيد الباحث في تاريخ الرب خاصة والمغرب الاقصى عامة وتدل دلالة واضحة على مبلغ عناية علماء المشرقيات بالتدقيق والتوسع في البحث والدرس في موضوعات استرحنا نحن اهلها من تعهدنا وانعموا أنفسهم باحيائها وهم غرباء عنها . وحبذا لو طبع الاصل مع الترجمة اذا اردنا منة لناشر المحقق .

م . ك

## المنتخب

- من -

« أدب العرب »

[ طبع بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٣٥٠ - ١٩٣١ جزآن ]

[ في ٢٨٨ ص و ٥٦٧ ص ونشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر ]

نقدمت وزارة المعارف في مصر الى الاساتيد : طه حسين واحمد الاسكندري واحمد امين وعلي الجارم وعبد العزيز البشري واحمد ضيف في جمع أنماط من قول العرب منظومه ومنشوره في مختلف الأغراض ، على متباين الأزمان -

جمع هؤلاء الاساتيد شملهم فتضافروا على انتقاء طائفة من ادب العرب ذكروا انهم حرصوا فيها على اسرين : الامر الاول ان يكون منتخبهم من الادب حراً الحياة الادبية في العصر الذي استفاض فيه وصورة اهل هذا الادب . والامر الثاني ان يكون في مختارهم ما يهت في قلوب الشباب حب اللغة والادب .

\* \* \*

لقد كثر نفرغ الأدياء من حين الى آخر لانخراط نماذج من ادب العرب ، فربق يذكر الغاية التي يرمى اليها في منتخبه وفريق لا يذكر شيئاً من ذلك -  
لاريب في ان ادبنا مبهر يفنقر الى كثير من الترتيب حتى يكون سائلة مطردة اذا قدأنا النظر فيها شهدنا تسلسل ما تشتمل عليه في العصور فانقلنا فيها من طور الى طور وتراءى لنا مختلف هذه الأطوار -

الكلام على انقال الأدب من طور الى طور يرجع الى مؤرخي الادب أنفسهم وليس للذين يجمعون طائفة من منظوم القول ومنشوره لغرض من الاغراض او لغير غرض متعلق بهذا الكلام -

غير انه قد ذهب بعض أدياء الافرنجة في كتبهم التي يختارون فيها جملة من شعر شعرائهم او كتابة كتبهم مذهبا لا ترى فيه محذورا ، فبدلاً من ان يستخرجوا منتخبهم من مدافنه ويحشروه في كتبهم حشراً فانهم يسلكون في ذلك مسالك : بعضهم يصدرون

آثار كل عصر من المصور بكلام وجيز بصوت الحياة الأدبية في هذا العصر ، وبمضمر  
يشرحون منفيهم شرحاً غير هذا الشرح الذي ألفتناه . -

اننا نعودنا حتى اليوم ان نقصر في الشرح على توضيح معاني الألفاظ وهذا امر قد  
يستطيع الطالب سببلاً اليه فلا يفتقر في البحث عن معنى لنظ من الألفاظ في معجم من  
المعجمات الى كثير من العناء وقد يجد في هذا البحث لذة في بعض الاوقات . -

فاذا كنا نلوحى ان نبحث في قلب الطالب حب لغته وأدبه فالسبيل الى هذا ان  
نمدل عن هذه الاصول الجافة التي نبنى عليها في الشرح . -

من القواعد التي تحبب الى الطالب لغته وأدبه قاعدة مدارها على توضيح امور كثيرة  
في الشرح ، من جعلها : الكلام على معاني القطعة المنخبة وتأليفها والكلام على لغتها  
وبدخول في الكلام على لغتها الكلام على أسلوبها وعلى خصائص الفاظها ثم يتبع هذا  
كله رأي في القطعة على صورة مجمل . -

أظن ان هذه القواعد قد تمهد للطالب سببلاً الى الإحاطة بمقربة ادبه ولغته وقد  
نفرش في صدره محبة هذه المقربة ، اما الاقتصار على شرح الألفاظ فهذا امر يلهو به  
الطالب نفسه . -

وإذا كانت هذا العمل المما هو من أعمال معلمي المدارس الثانوية لم ضعف ذوق  
هؤلاء المعلمين ضعفاً احتاجوا فيه الى من ينخب لهم طائفة من أدب العرب . -

شفيق جبوري

## الأعلام العربية والفارسية

« عند السريان »

للسريان علاقات وثيقة بالعرب وأواصر أرخى غراها كالأيام ونقل الحكام ونفسي الجبل ولكن دون ان نفهمها . فن السريان الاقدمين طلاء اعلام مستعربون اتقنوا العربية والفوا فيها وترجموا تصانيف ذاع صيتها واستفاخت شهرتها كما ان من العرب عددان بذهب السريان قبل الاسلام خاصة واختلط بالراد هذه الملة حتى عد منهم . واللغة العربية في ايماننا هذه تحتاج الى من ينقل العربية والسريانية ويكشف لنا عماليقته الايام من آثار السريات المحيطة وعمادها به اللغة العربية في مختلف العصور الاسلامية . وقد قبض الله لهذا العمل المنيف العلامة السيد صوريوس أفرام نظران السريان في سورية ولبنان فنشر حتى اليوم بضع رسائل تدل على تضلعه بهذه الموضوعات وتمكنه منها . والرسالة التي نكلم عليها هي من جملة هذه الرسائل وهي بحث تمتع عن الاعلام العربية التي شاعت بين السريان بعد الاسلام ولا سيما الأسماء العربية لبعض البطارقة المطارنة والرهبات والروايب والقسوس وغيرهم مثالم البطريرك الانطاكي ديونيسيوس مجي والبطريرك عزيز ابولماني وجمال الدين ابو الفرج صريغور بوس ابن العبري المشهور الى عشرات من امثال هذه الاعلام العربية .

مصطفى الشهابي

## رياحين الارواح

« الطبعة الثانية سنة ١٩٣١ »

السيد ابو الفضل الوليد شاعر مبدع وكاتب مجيد . وكتابه هذا « الرقيق الاول » من قصائده ديوان نفيس على صغر حجمه فيه ما يلد الشعراء ويغرب اصحاب الشعور الرقيق . وقد جمع بين الهزل والجد واللهم والزهد والخمر والرحمة كما تجتمع طاقة الزهور بين اصناف الورد والرياحين . وكله منظوم بابداع مزوج بفكاهة وقد صدره بمقدمة طويلة دعاها ( بالترجمات ) وهي اثره نثر فيه من الالفاظ والمعاني درراً جميلة غير قليلة . ولقد كنا نعيب في مثل هذا الديوان الجميل طبعه على ورق عادي يشبه ورق الجرائد



السيارة جنساً وكان حقه ان يطبع على ورق صقيل ويجلد ويجلد فاخر ليكون له مقامه الرفيع في خزائن الادب والادباء - لولا ان المؤلف رغب في افادة الشبيبة وخدمة الامة ببيع كتبه بثمن رخيص على علائها قدرأ وغلانها وضماً وهي والحق يقال فكرة صائبة .  
عبد الله رعد

### الصابون

« تأليف السيد عبد الله عمر عدرة »

هو كتاب صناعي قيم يحث اصحاب الصنائع على تجديد طرائقهم القديمة واكتشاف انتاجهم فيجربوا بذلك ما اندثر او كاد مما كانت له في عهد سبق قيمة في بلادنا وشهرة وتجارة حل بها الاضمحلال الا قليلاً وذلك من جملة الاسباب التي جرت ولا تزال تغير وطننا الى الفقر .

عالج الاستاذ عدرة موضوع كتابه بنظام حسن وأسلوب نحاشي فيه قدر الاستطاعة استعمال الكلمات الفنية الثقيلة وتمايز الكيمياء التي لا يفهمها الا الكيمياوي وذلك ليقر به الى افهام اصحاب المصانين وهم ليسوا على الغالب في بلادنا اصحاب فن بل ممن تعلموا صنع الصابون عن اسلافهم دون ان يلوا بكيف ولا يكف مما يطبخ في الخلقين . فاستقرأ الزيت والمواد الاولية وطرق الطبخ المعول عليها في شرقنا ، وقابلها بالطرق الفنية الغربية ، ودأل على الفرق بينهما من حيث اجناس المحصول وزيادة الفائدة ، ومدى اصحاب المصانين الشرقية بنصائح فنية ان هم عملوا بها نهضوا ببضاعتهم ان لم يكن الى مستوى معامل البلاد الاوربية ، فالى تجديد حياة الصناعات الوطنية بعيدا عنها شيئاً من رواجها القديم .  
عبد الله رعد

## الرسالة النباتية

[ في بعض نباتات زراعية لم ترد في معجم اسماء النبات للدكتور احمد عيسى ]  
[ ومعجم العلوم الطبية والطبيعية للدكتور محمد شرف ]

المعاجم العربية الحديثة التي يقام لها وزن في اجاث النباتات واسماؤها العربية والمعرية  
اثبات : معجم اسماء النبات للدكتور احمد عيسى ومعجم العلوم الطبية والطبيعية  
للدكتور محمد شرف . وقد نقل كلاهما عن أهم المؤلفين في النبات قديماً وحديثاً كابن  
البيطار وابن العوام والأصمعي وفيجوري واحمد ندا وفورسكال وشوبنغورث وبوست  
وغيرهم . وطبعا المؤلفين بالمطبعة الاميرية في القاهرة لجأاً فريدين في بايهما . وهما اليوم  
أصلح المعاجم في هذا الصدد ، يوفران كثيراً من وقت القاري الذي يفتش عن اسم نبتة  
من النباتات ولا سيما معجم الدكتور احمد عيسى فانه يمتاز بسهولة مراجعة الالفاظ في اي  
لغة من اللغات الاربع وهي العربية واللاتينية والفرنسية والانكليزية .

ومن البديهي ان المعجمين المذكورين لم يتناولوا سوى بعض المهم من النباتات  
مما جاء في الكتب التي مر ذكرها او في بعض المعاجم الاجنبية . وهما ابعدها من ان يتناولوا  
كل ما نراه في كتب النبات الواسعة من مختلف الاسماء اللاتينية لنباتات شتى مفيدة  
او غير مفيدة تُنبثها الطبيعة في أنحاء العالم ولا يوجد لكثير منها أسماء حتى في اللغات  
الاوربية المشهورة . ومن البديهي ايضاً اني لا ابني في هذا البحث الموجز التعرض لتلك  
النباتات وعددها عظيم وانا أجمل معظمها الا في الكتب ، بل غابني ذكر بعض نباتات  
زراعية لم يوردها شرف ولا عيسى في معجميهما كبعض الأزهار والرياحين واشجار  
التزيين وجنباؤها واشجار الحراج والفواكه ، وهي نباتات زرعتها او رأيتها في حدائق  
النبات وقليل منها لم أزرعه ولم أره لكن قرأت عنه في الكتب والمجلات الفرنسية . ولا

نعرف لهذه النباتات أسماء عربية ( لان أجدادنا كانوا يبولونيها ) لكن لاسماؤها العلمية ( ومعظمها مأخوذ عن اليونانية ) معاني وصفوا بها بعض اعضاء النباتات او بعض سمياتها فيسهل علينا ترجمة تلك الاسماء بمدلولاتها . ثم انهم ينسبون بعض النباتات الى العلماء الذين كشفوها فيسمونها باسمائهم او يطلقون عليها اسم احد الملوك او الامراء او الهة الأقدمين وجميع هذه الاسماء تترك على حالها عند تعريبها او تجعل بصيغة النسبة . ولم أذكر لكل نبات سوى اسم جنسه . ولو عمدت الى ذكر انواعه و ذكر اصنافه خاصة لطال الكلام دون كبير فائدة من حيث النفاية التي نتوخاها في هذا البحث . ومن المعلوم انه لا يجوز ان اكتب في هذه الرسالة ما هو خاص بكتب الأزهار والأشجار ، اذ ليست الغاية هنا تحلية انواع تلك النباتات واصنافها و ذكر منابقتها وفوائدها وغير ذلك من المعلومات التي لا تستوعبها غير الكتب ، بل الغاية بيان أصح اسم عربي او معرب او مترجم لجنسها . اما الالفاظ المختصة بالانواع فمعناها يمكن سهل الترجمة في الغالب وكذا الالفاظ الدالة على الأصناف ولذلك لم أر لزوماً للتعرض لها في هذا المقال . ( الا بعض انواع كما في زهرة القبس وزهرة زينيا ) مثال ذلك اني لم أتعرض للجنس المسعى ( Campanula ) البتة لان كلاً من الدكتور عيسى والدكتور شرف ذكره و ذكر له اربعة انواع ، مع ان لدي منه عشرين نوعاً لم يورداها وهي كلها تزرع وكما يعرفها ارباب الأزهار وهالك بعضها :

Campanula grandiflora	الجريس الكبير الورق
» nobilis	» النبيل
» sibirica	جريس سبريا
» barbata	الجريس الملتحي
» glomerata	» المجتمع الزهر
» latifolia	» العريض الورق
» rotundifolia	» المستدير الورق
» turbinata	» الخذروفي
» boloniensis	» البولوني

Campanula caespitosa

الجريس القزم

» pyramidalis

= الهرمي

الخ ...

ومما لا ريب فيه اني لو اردت ذكر أهم الأنواع اكل جنس من الاجناس التي سقتها في رسالتي هذه لأريت اسمائها على الف لفظاً .

ولم أذكر ايضاً أسماء الاجناس المترادفة بل اكتفيت بالاسم الأشهر ورأيت من العيب في هذه الرسالة الصغيرة وضع اسم صاحب انبات بجانب اسم الجنس لشهرة الاجناس المذكورة ووجودها في كتب الازهار والاشجار المهمة . ولم أر حاجة الى ذكر الفصيلة التي ينتسب اليها كل جنس لان ذلك من متناول معاجم النباتات وكتبتها . ولا بد لي من التنبيه الي ان النباتات التي ذكرتها في هذه الرسالة لم أجد منها شيئاً في كتاب النبات لشوينفورت . اما بوسست فقد اورد منها عدداً صغيراً في كتابه « نباتات سورية وفلسطين ومصر وبواديهما » دون ذكر اسماء عربية لهذا العدد الصغير ، والسبب في ذلك ان النباتات التي نحن بصددنا لا تنبت في بلادنا بل منابتها بلاد اجنبية مختلفة ومع هذا فهي اليوم شائعة في جميع العالم وما من حديقة او شارع او منبت الا فيه عدد منها . واعتمدت في تحري اشتقاق الاسماء العلمية على اهم موسوعات الازهار والاشجار الفرنسية . ويجب ان اعترف بان ضيق الوقت وقلة الوسائل حالاً دون البحث عن عدد كبير من اشجار التزيين المستعملة في البلاد الحارة خاصة كاشجار الفصيلة النخيلية التي شاهدت منها في حدائق مصر مجموعة بديمة . فلعل العلماء المصريين يسدون هذا الخلل .

ولست ادعي العصمة فيما ترجمته او عربته من الاسماء . ورب عالم بالنباتات الزراعية متمكن من اللغة بلغطي في بعض الالفاظ فأشكر له يده . وارجو من المؤلفين الذين يقتبسون الفاظ هذه الرسالة في مؤلفاتهم ان يذكروا النبع الذي استقوا منه وهو مجلة الجمع العلمي العربي بدمشق فهذا اقل ما يتطلبه من ربما لبث ساعات بتحري لفظاً واحداً وهو لا يبتغي على عمله جزاءً ولا شكوراً .

ولقد قسمت البحث قسمين واحداً بالازهار وآخر بالاشجار وسقت الالفاظ في كل

منهما مرتبة على حروف المعجم .

## القسم الأول في الأزهار

## A

Abronia	الرشيقة (من اليونانية لرشافة ازهارها)
Accena	الشائكة (من اليونانية للشوك الدقيق في الكأس والثمرة)
Achimenes	المقرورة ( = لشدة تأثيرها بالبرد)
Acroclinium	المنخنية الرأس (لأنحاء ازهارها الانتهاية قبل تفتحها)
Agapanthus	زهرة الحب
Ageratum	الدائمة الشباب (من اليونانية لطول عمر ازهارها)
Alonsoa	{ الأنصوا او الألتصية (منسوبة الى Alonso zanoni وهو نباتي من بيرو)
Alstroemeria	{ الألتصاروميريا (منسوبة الى Cl. Alstroemer وهو نباتي وزراعي سويدي)
Arctotis	اذن الدب (ايماء الى ما في ثمارها الفقيرة من نتوءات)
Arenaria	{ زهرة الرمال (لم يذكرها شرف وذكر عيسى لها نوعاً واحداً وهي لها عدة انواع منها الانواع الآتية المعروفة :
Arenaria Laricifolia	زهرة الرمال اللارقسية الورق
≠ Montana	زهرة الرمال الجبلية
≠ balearica	زهرة رمال جزائر باليار
≠ Cespitosa	زهرة الرمال المفرخة
Asperella	الجويسنة (تصغير جاسنة)
Astilbe	المكدة
Astrantia	النجمية (لشكل النور في نباتات هذا الجنس)
Aubrietia	أبرياسيا (منسوبة الى الرسام الفرنسي Aubriet)

## B

- Bartonia برطونيا (منسوبة الى النباتي الدكتور برطون الأميركي)
- Bocconia بكونيا او بكونية (منسوبة الى Boccone النباتي الصقلي)
- Boltonia بلطونيا (باسم النباتي الانكليزي J. Bolton)
- Boussingaultia بوسنغلطيا (احياء لذكر بوسنغلط العالم الفرنسي المشهور  
باجائه الزراعية والكيمياء الزراعية)
- Brachycome الزهرة الكتفاء (من اليونانية لقصر زغب البزور)
- Briza الخشبية السبيلات (سميت بهذا الاسم لانحاء سبيلاتها وهي مبذولة في  
بلدنا تخاصبا حيث تنبتها الطبيعة فيقطعونها ويضعونها في الزهريات)
- Browallia بروفاليا (منسوبة الى المطران السويدي Browallius)

## C

- Calandrinia قلندرينيا (منسوبة الى Calandrini وهو نباتي سويسري)
- Callirhoe زهرة السبيل (باسم احدى آلهات الجمال اليونانية)
- Callistephus زهرة الملكة مرغرينا (هكذا يسمونها بالفرنسية اما اللفظة العلمية  
فهي من اليونانية بمعنى الجميلة الاكليل . ولهذه الزهرة عدة اصناف  
تجيلة تولدت بها رسالة . وسمها لينوس Aster sinensis اسي  
الأسطر الضيفي)
- Centauridium الشبيهة بالأرجيقن او اخت الأرجيقن
- Centrosema المنفوفة العلم ( لشكل العلم في زهرتها الفراشية )
- Cerastium زهرة القرون ( لطول السننات في بعض انواعها )
- Chionodoxa فخر الثلوج ( من اليونانية بهذا المعنى لكشفها في ذائب الثلج )
- Clarkia أكلارنيا ( باسم القبطان Clark )
- Clianthus زهرة المجد ( لجمال تويجها )
- Clintonia قلنطونيا ( باسم Witt Clinton الاميركي )
- Cobœa قونيا ( باسم Cobœ وهو نباتي يسوعي من الأندلس )

Collinsia	قأنسيا ( باسم Collins معاون رئيس المجمع العالمي في فيلادلفيا )
Collomia	زهرة الغراء ( لبزورها المخاطية )
Coreopsis	زهرة البق ( معناها باليونانية الشبيهة بالبق لشكل ثمارها )
Corydalis	زهرة القبرة ( لم يذكروها عيسى . وذكرها شرف فسماها حب القبور والاصح زهرته . وهي من اليونانية لان شكل زهرتها كرجل القبرة لها عدة انواع واصناف )
Cosmidium	اخت الزينة ( الشبيهة بزهرة الزينة )
Cosmos	زهرة الزينة ( لجمال ازهارها )
Cuphea	المنحنية ( لشكل كأسها )
D	
Diancia	زهرة التزويق ( لرشاقة ازهارها )
Dicentra	ذات الجناحين ( لتويجها الذي له جناحان )
Dracocephalum	رأس الغول ( لشكل ازهارها )
E	
Eccremocarpus	زهرة الثمار المتدلية
Echeveria	أشوريا ( باسم رسام نباتي من المكسيك )
Echinocystis	زهرة المائة الشائكة ( لشكل ثمرها الشوكي )
Eranthis	زهرة الربيع ( من اليونانية بهذا المعنى )
Eremurus	زهرة الأذنان الوحيدة ( لازهارها المحتممة عناقيد طويلة سنبلية )
Eutoca	زهرة الخصب ( لكثرة ازهارها )
F	
Fuchsia	فوشيا ( منسوبة الي نباتي من بافاريا اسمه Leonard Fuchs )
G	
Galega	الزهرة المدبرة
Gamolepis	المتهددة الحراشف ( لاتبعاد الحراشف في قنابة الزهرة )

Gaura	زهرة البهاء ( لجمال الزهر في بعض انواعها )
Gerardia	جيرارديا ( منسوبة الى John Gérard )
Gerbera	جيربارا ( منسوبة الى النباقي الالمانى Gerber )
Gilia	جيليا ( منسوبة الى النباقي الاسباني Salvador gil )
Gloxinia	غلوكسينيا ( باسم الكاتب النباقي Gloxin من كولمار )
Godetia	غداسيا ( باسم النباقي Godet من نوشاتل )
Gymnothrix	زهرة الحرير العاري ( لشبه الحرير في شيفلاتها )
Gynerium	زهرة المدقة الزغبية
H	
Helichrysum	زهرة الشمس الذهبية ( لشكل حراشف الرئيس ولونها )
Hugelia	هوجاليا ( باسم البارون Hugel من ويانا )
Humia	هوميا ( باسم قريبة Sir Abraham Hume )
I	
Iberia ( Thlaspi )	زهرة الأندلس
Ionopsidium	أخت البنفسج ( نباتها الشبيه بنبات البنفسج )
Ixia	زهرة الديق ( للزوجة العصاره في بهلاتها )
L	
Lagurus	ذيل الارنب ( سماها شرف شعر الارنب والاصح ما ذكرناه )
Lamarckia	لاماركيا ( باسم لامارك العالم الفرنسي المشهور )
Lathyrus odoratus ( pois de senteur )	زهرة الجلبان العطر
Layia	ليثا ( منسوبة الى توماسي العالم بالموايد )
Leptosiphon	زهرة الانبوب الرقيق ( لرفة انبوب تويجها )
Leptosyne	النحيلة ( لمنظر بعض انواعها النحيلة )
Limnanthes	زهرة المناقع ( لانها تعيش في الارض الكثرية الرطوبه )
Lonsa	لوازا ( اسم لامعنى له ركبته أدانسون من حروف وردت على خاطره عفواً )



Lophospermum العرفية الحب [ لشكل حبوبها ]

## M

Maurandia مورانديا [ باسم الدكتور الباقي Maurandy ]

Melica العسلية اللب [ من الايطالية ]

Mimulus المقلنة [ لان تويجها يشبه قناع المشغلين ]

Mina ميننا [ باسم وزير من المكسيك ]

Morina مورينا [ باسم النباقي الفرنسي L. Morin ]

## N

Nœgelia نوجيليا [ باسم الاستاذ Nœgeli مدير حديقة النباتات في مونيخ ]

Nemophila زهرة الحراج [ لانها توجد في الحرجات ]

Nolana زهرة الجريس [ لشكل ازهارها الجرسية ]

Nycteria زهرة الليل [ لتفتح ازهارها في الليل ]

## O

Oxyura الحادة الذيل [ لشكل السمات في ازهارها ]

## P

Pentstemon زهرة خمس الأسدية [ لوجود خمس اسدية منها واحدة عقيمة ]

Petunia اخت التبغ [ لصلاتها النباتية بالتبغ ]

Phacelia زهرة الجمة [ لشكل ازهارها ]

Phlox زهرة القبس [ لشكل الازهار في احد انواعها وهو القبس المرمرى ]

وهذا الجنس من اشهر الازهار له عدة انواع وعشرات من الاصناف

زرعنا كثيراً منها فمن انواعه المعروفة :

Phlox Drummondii قبس أدروموند

» Pyramidalis القبس المرمرى

» Paniculata العشكولي

Phlox acuminata	القبس المونف <sup>(١)</sup>
» hybridæ	البلغي ≡
» ovata	البيضي ≡
» verna	الربيعي أو قبس الربيع ≡
» subulata	الخرزوي ≡
Podalyria	بوداليريا [ باسم الطبيب بودالير ابن اصفلاب ]
R	
Rhodanthe	اخت الوردي [ للون زهرتها ]
S	
Salpiglossis	لسان المزمار [ لشكل مدقات زهرتها ]
Schisanthus	الزهرة المحزوزة [ لوجود حز في زهرها ]
Schisopetalum	زهرة القعالات المحزوزة [ للحز في القعالات اي البتلات ]
Streptocarpus	زهرة الثمار الحلزونية [ لان ثمارها تستدير حلزونياً عندما تنضج ]
Struthiopteris	سرخس النعامة [ لان اوراقها تشبه ريش النعام ]
T	
Tigridia	زهرة الببر [ للبقع الجميلة في لفافة الزهرة ]
Trachelium	زهرة العنق [ لطول انبوب التويج ]
Trichosanthes	الزهرة الشعرية [ لتحزير دقيق في تويجها ]
Triteleia	الزهرة الثلاثية الكاملة [ لوضع اجزاء زهرتها الثلاثية المنتظمة ]
Tritoma	الزهرة الثلاثية
Trollius	الزهرة المستديرة [ من الالمانية Trol بهذا المعنى ]
V	
Venidium	زهرة العرق [ للعروق البارزة في الساق ]

(١) لفظة المونف من وضع العلامة الدكتور امين باشا العلوف . انظر مجلة الجمع

Viscaria		أخت التبق [ للزوجة ام انواعها ]
	W	
Watsonia		وطصونيا [ باسم الاستاذ النباتي الانكليزي Watson ]
	X	
Xeranthemum		الزهرة الندية [ اي الزهرة التي إن جفت لا تذبل ]
	Z	
Zinnia	}	زينبيا [ باسم الاستاذ النباتي الالماني Zinn وهذا النبات من اشهر الأزهار له انواع معروفة منها :
Zinnia elegans		الزينبيا الرشيقة
» multiflora		= الكثيرة الزهر
» mexicana		= المكسيكية
وفي كل من هذه الأنواع اصناف مشهورة لدى غواة الأزهار لا مجال لذكرها في هذه الرسالة .		

\*\*\*

## القسم الثاني في الشجر والجنبية (١)

	A	
Abelia		أبليا [ منسوبة الى اللدكتور Abel Clark ]
Acmadenia		جنبية الغدد الحادة [ الماعاً الى غدد المثير الحادة ]
Adenandra		جنبية الغدد الذكورية [ اشارة الى الغدد التي في المثبر ]
Agathosma		جنبية الرائحة الزكية
Akebia		عقبية [ هكذا تسمى في اليابان وهي معرشة ]
Amorpha		الجنبية الناقصة [ لنقص في تركيب نورها ]

(١) الجنبية هي النباتات التي صمرت عن الشجر ونبلت عن البقول وقد اتخذناها لما يسمى بالفرنسية Arbrisseau و Arbuste على السواء واول من استعملها حديثاً امين باشا المعروف

Ampelopsis	{	أخت الكرمة [ لانها تشبه الكرمة . ذكرها شرف بلفظتها العلمية ولم يترجمها ]
Aotus		العديمة الاذن [ لفقد الزوائد في الكأس ]
Araucaria	{	أروكاريا [ من Araucanus وهو اسمها في بلاد شيلي . ويسمونها في دمشق الشمسية اي المظلة ]
Argyrolobium		جنبه السنفة الفضية [ للون سنفتها الفضي ]
Aucuba	{	أكوبا [ هكذا تسمى في اليابان . شاهدناها في غرب يابون وفي غيرها . وهي اليوم مبذولة ]
Azara		عزازرة [ باسم العالم الاسباني J. N. Azara ]
B		
Baccharis	{	شجرة الخمر [ يقال ان السبب في اطلاق هذا الاسم عليها رائحة جذورها . ذكرها عيسى دشراف بلفظتها العلمية ولم يترجمها ]
Biota		شجرة الحياة [ من اليونانية بهذا المعنى اشارة الى اسمها القديم ]
Boronia		بورونيا [ باسم النباتي Boroni ]
Brachysema		القصيرة العلم [ لقصر العلم في زهرتها ]
C		
Callistemon		الجميلة الاسدية [ من اليونانية لجمال أسديتها ]
Calodendron		شجرة البهاء [ من اليونانية بهذا المعنى ]
Carpinus	{	شجرة النير [ من القوطية بمعنى خشب الرأس اي الخشب الصالح لصنع الانبار التي توضع وراء رأس الثيران . وهي من اشجار الحراج المنتشرة في اوردية ومنها نوع في جبل اللكام شمالي الشام ]
Carya		أخت الجوز [ من اليونانية بمعنى الجوز . وهي مبذولة في اميركة وتصلح لتزيين السوارع ]
Caryopteris		الجوزة المنحمة [ لغارها المنحمة ]

- Cazuarina [باسم الطائر Cazuarfus لان اغصانها الطوال المتدلية تشبه ريشه]
- Cephalanthus { جنبه الازهار الرأسية [لان نورها انتهائي على شكل رؤيس .  
ذكرها شرف باللفظة العلمية ولم يترجمها]
- Cestrum Syn. Habrothamnus [لها اكثر من ١٥٠ نوعاً]
- Chamocycparis شجرة السرو الصغير [الماعاً الى انها تشبه السرو]
- Chamœlaucium اخت الحور الابيض [لان ساقها تشبه ساق الحور الابيض]
- Chorizema المثلثة السنقات [لان سنقتها تنقسم قسمين متفرقين]
- Cladrasiris النخيلة الاغصان
- Clerodendron { شجرة الرهبان [لان كهان الهند يستعملونها في صلاتهم . لها  
اكثر من ثمانين نوعاً]
- Colletia كولسيا [باسم Collet وهو كاتب نباتي فرنسي]
- Coronilla جنس الأكيليل [الشكل ازهارها . لم يذكرها عيسى وذكرها  
شرف باسمها العلمي]
- Corylopsis اخت البندق [لانها تشبه البندق اي الجلوز]
- Cotoneaster { شبيه السفرجل [لان اوراقه زغبية كاوراق السفرجل . له  
عدة انواع منها نوع في لبنان]
- Cratogeus { جنس الزعرور [لم يذكره شرف وذكر عيسى له ثلاثة  
انواع مع ان له اكثر من اربعين نوعاً كثير منها معروف  
يزرع او تنبته الطبيعية في مختلف البلاد]
- D
- Darwinia الدارونية [منسوبة الى دارون الشهير]
- Decumaria الشجرة العشرية [اشارة الى اجزاء الزهرة العشرة]
- Diervilla دياره يلا [منسوبة الى الجراح الفرنسي Dierville وهي من اشهر  
جنبات التزيين]
- Dillenia دلانيا او الداتنية [منسوبة الى Dillenius وهو معلم نبات في اكسفورد]

- Diosma { الجنبية العطرة [ لرائحة اوراقها الغددية . ذكرها شرف بلفظتها العلمية ولم يترجمها
- Diplolcena { المزدوجة اللقافة [ لان لقافة زهرتها مزدوجة ]
- E
- Empetrum جنبة الصخور [ الماعاً الى مكان نباتها ]
- Eriostemon جنبة الاسدية الزغبية
- Erythrochiton شجرة الكأس الحمراء
- Eutaxia شجرة الحشمة [ لشكل الشجرة النجيل اiban ازهارها ]
- Evonymus { لم يذ كر عيسى وشرف لهذا الجنس سوى نوع واحد مع ان له عدة انواع زراعية اهمها E. japonicus وهو مبذول في حدائق بيوت دمشق حيث يسمى المرجان }
- G
- Gastrolobium البطنية السنقات [ لشكل السنفة البطني ]
- Gleditschia { غلاديشيا [ منسوبة الى النباتي الالماني Gleditsch وهي من اشجار التزيين المعروفة
- Gompholobium { المنتفخة السنقات [ لانتفاخ سنقتها وكون السنفة تكون كروية في رأسها ]
- Grevillea غريفيليا [ منسوبة الى C. F. Greville لها اكثر من ١٥٠ نوعاً ]
- Gymnocladus { المريانة الاغصان [ لمنظر اغصانها في الشتاء . لم يذ كر عيسى هذا الجنس وذكروه شرف فسماه شيكو وهو الاسم الفرنسي ]
- H
- Hakea هكيا [ منسوبة الى البارون Hake لها اكثر من مئة نوع كثير منها معروف
- Hamamelis { الجنبية المشتركة [ لانها تحصل نوراً وثماراً سوية . ذكرها شرف بلفظتها العلمية ولم يترجمها ]
- Hibbertia هبرسيا [ لنسب الى النباتي الانكليزي Hibbert ]

Hydrangea	{ شجرة الصكوب [ لثامها التي تشبه كوب الماء . ذكرها شرف بلفظتها الاجنبية ولم يترجمها ]
1	
Idesia	ايديزيا [ باسم Ides وهو من الراد الهولانديين ]
Itea	اخت الصفصاف
K	
Kennedia	كنديا [ باسم Kennedy الانكليزي احد اصحاب المنابت ]
L	
Lagerstroemia	لاجستروميا [ باسم النباتي السويدي لاجستروم ]
Lardizabala	لرديزبلا [ هكذا تسمى في بلاد ييرو . وهي جنبة معرشة ]
Lecythis	شجرة القنبنة [ لان الثمر تشبه القناني ]
Leptospermum	شجرة البزور الرقيقة [ لشكل بزورها ]
M	
Maclura	مكلورا [ منسوبة الى W. Maclure وهو اميركي عالم بالمواليد ]
Mahonia	ماهونيا ايماهونيّة [ منسوبة الى Mac Mahon النباتي الاميركي ]
Margyricarpus	شجرة الثمار اللؤلؤية [ ثمرتها التي تشبه اللؤلؤ ]
Melicope	الشجرة العسلية [ لوجود اربعة اعضاء عسلية في قاعدة المبيض ]
Metrosideros	شجرة القلب الحديدية [ له لابة خشبها ]
Myoporum	الشجرة الرقطاء [ لوجود نقط شفافة في اوراقها ]
N	
Nandina	النندينة [ من Nandin وهو اسمها في اليابان ]
Nescea	جنبة الساحل [ لان انواعها تبنت في السواحل ]
O	
Olearia	اخت الزيتون [ لان اوراق بعض انواعها تشبه اوراق الزيتون ]
ormosia	شجرة العقود [ تستعمل في صنع العقود ]

- Osmanthus الزهرة العبققة [ الماعنا الى رائحة زهرها ]
- Ostrya { شجرة الحراشف [ الماعنا الى حراشف الزهرة . وهي من اشجار الحراج  
المنشرة في اذربية . وتوجد في جبل اللكام شمالي الشام ]
- Oxydendron الشجرة الحامضة [ لمخوضه اوراقها ]
- P
- Paulownia بولوفنيا [ منسوبة الى Paulownia ملكة هولاندة ]
- Phebalium اخت الآس [ لانها تشبه الآس ]
- Phellodendron الشجرة الفلينية [ لقشرتها الفلينية ]
- Photinia { الشجرة اللامعة [ للمان ورقها . لم يذكرها عيسى وذكر شرف  
نوعاً قال انه مرادف لاسم الثمرة « ابيك دنيا » المعروفة في دمشق ؟  
ولهذا الجنس انواع للتزيين جميلة ]
- Pilocarpus { الكاحية النار [ لان ثمارها تشبه الكحة . ذكرها شرف بلفظتها  
العلمية ولم يترجمها ]
- Piptanthus البكورة الأغبال [ لان اجزاء زهرتها تبكر في سقوطها ]
- Platilobium العريضة السنفات
- Poinciana { ابوانسيانا [ منسوبة الى M. Poinci ذكر عيسى نوعاً عن فورسكال  
ولم يذكر شرف شيئاً . وفي هذا الجنس انواع للتزيين جميلة ومشهورة ]
- Pseudotsuga { تسوغة كاذبة [ لانها تشبه الأتسوغه ]
- Ptelea { الشجرة المهنجة [ من اليونانية جناح لثمرتها المهنجة . سماها  
شرف درداراً وهي غيره ]
- Pterocarya اخت الجوز المهنجة [ اشارة الى ثمارها الجوزية المهنجة ]
- Pultenea باتنيا [ بامم الطبيب الانكليزي Pulteney ]
- Pyracantha شوك النار [ لثماره الحمر الساطعة ]
- R
- Rhynchospermum جنبة البزور المتقارية [ الماعنا الى شكل بزورها ]



S

Schizandra	المشقوقة الأسدبية
Sequoia	الشجرة الجبارة [سميت سكويوا لانها هكذا تدعى في كاليفورنيا . وأسميتها الجبارة لانها تملو حتى تبلغ ١٣٠ متراً في بلادها . وهي من جبارة الشجر ومن الفصيلة الصنوبرية ] .
Sphaerolobium	الكروبة السنفات [ لشكل سنفتها الكروبة ]
Spiranthera	اللولبية المأبر [ لشكل مأبرها اللولبية ]
Spiræa	جنبية الاكاليل [ لان اليونان اطلقوا هذه اللفظة علي جنبية كانوا يصنعون الاكاليل من اغصانها . وفي هذا الجنس نحو ٥٠ نوعاً . لم يذ كر شرف منها سوى نوع واحد سماه ملكة المروج
Swietenia	شجرة الأبنوس [ اللفظة العلمية منسوبة الى نباتي هولاندي . اهم انواعها S. Mahagoni وهو بالفرنسية Acajou ]
Symphoricarpos	شجرة الثمار المتحدة [ لاجتماع غدة ثمار في إبط الاوراق ]

T

Thuja	شجرة العفص [ هكذا تسمى في دمشق . ولم يذ كرها شرف . وسماها عيسى شجرة الحياة مع ان شجرة الحياة هي Biota التي تشبه هذه الشجرة ]
Triphasia	الشجرة الثلاثية [ لعدد الوريقات في الكأس والتويج ]
Tsuga	إتسوغة [ هكذا تسمى في اليابان . وهي من اشجار الفصيلة الصنوبرية الشهيرة ]

U

Ulex	جنبية الأدغال [ ذكرها شرف ولم يترجم اللفظة العلمية ]
------	------------------------------------------------------

Z

Zanthorhiza	الصفراء الجذور
Zinobia	زبنوبيا [ باسم الزباء ]

مصطفى الشهابي

## تصحيح نهاية الأرب

«أغلاط الجزء الثامن»

سبق لي ان تدمت أغلاط سبعة الاجزاء التي طُبعت من كتاب [نهایة الأرب في فنون الأدب] للعلامة النويري . وقد نشرت ذلك تباعاً في مجلدات السنة [١٩٦٦] من هذه المجلة . ثم اطلمت اخيراً على الجزء الثامن وهو آخر ما طبع من أجزاء ذلك السفر النفيس في مطبعة دارالكتب المصرية مصححاً بقلم الاستاذ [احمد الزين] ولم يكتفِ حضرته بالتصحيح فقط بل علق عليه في ذيل الصفحات تعاليق بلغ فيها الغاية من [إصلاح المحرف والمصتف . وتكميل الناقص . وتحقيق الاعلام . وضبط الملتبس . وتفسير الغريب . وایضاح الغامض . وشرح ما اشكل من الايات . وأسماء البلاد والامكنة . والتنبيه الى الكلمات العامية والالفاظ الاصطلاحية] الخ — كل هذا أخذه المصحح الفاضل عني عاتقه . فقام حق القيام به . واستوفى الاجادة فيه . واستحق الثناء عليه . غير أنني — وانا أنصفه — وقع نظري على اشياء أحببت التنبيه اليها . وبيان رأيي في ماهو الصواب فيها . مشايعةً للاستاذ المصحح في ماهو بصده من خدمة هذا الكتاب الثمين . وتكميلاً للعمل الذي بدأت به منذ سنتين . والله ولي المحسنين :

فمن هذه الاغلاط ما في :

ص ١٠٩ — قال المؤلف بصف القاضي الفاضل [ورافع علم البيان لامحالة . والفاصل بغير إطالة] في السجعة الاخيرة . فحسب يشبه ان يكون صوابها [والفاصل بين الحق والباطل بغير إطالة]

وض ١٠٣ — قوله [والخيال الزائر . بالحبيب العاذر] لعل صوابه الغادر : فان الحبيب أجدد بان بوصف بالغدرد من ان بوصف بالعدرد .

وص ٦س ٢ — [والنصرة خاصة بسطانكم . والكفاية مكتنفة بجماعتكم] و [مكتنفة] ضبطت بكسر النون . ولا يصح هذا لما أن [اكتنفت] يتعدى بنفسه كما قال المصحح فالصواب فتح نون [مكتنفة] أو هي محرفة عن [مكتنفة] .

وص ٩س ٩ — [ونسأل الله ان يمن بقربه ورحاب الآمال فساخ . . . . . والزمن المناظر بالقرب مسامح] قوله [المناظر] فسره المصحح بالمجادل . وعندني انه تعرف عن [المناجز] وهو بمعنى المبارز المقاتل .

وص ١س ٢٠ — [وحاشى جلاله من الاخلال بعهود الوفاء] هذه الجملة من إنشاء القاضي الفاضل وقوله [جلاله] بالجيم حسن بالجملة . ولكن احسن منه ان يكون معرفاً عن [خلاله] بالخاء المعجمة ويكون فيه من جناس الاشتقاق ما للقاضي الفاضل حر بص عليه . وقد عاش عمره بغد السير اليه .

وص ٢٠س ١٣ — [سقى الله ارض الغوطتين مدامعي] قال المصحح [انما ذكر الغوطة بالثنائية جرياً على عادتهم من ذكر الواحد بلفظ المثني] أقول : غوطة دمشق مشهورة وتذكر تارة بالافراد مراداً بها مجموع داتين دمشق وتارة بالثنائية ويراد بها حينئذ الغوطة الكبرى المنباعدة في السهل الوادي شرقي دمشق — والغوطة الغربية الواقعة بين ضفتي الوادي وتسمى احياً غوطة وادي بردى . ومثل ذلك [النيرب] فانه يذكر بالافراد مراداً به مجموع بساتينه ويذكر بالثنائية باعتبار قسميه او جانبيه .

وص ٢١س ٣ — [وماضراً اليد الكريمة التي أياديها بيض في ظلمات الايام . وأفعالها لا يقوم بمدحها إلا السنة الأسننة والانلام] لا معنى لكون السنة أسنة الرماح تقوم بمدح افعال اليد . وانما صواب العبارة [الأسننة الأسننة والانلام] وتكون [الأسننة] جمع سن واحداً أسنان يقال : سن وأسنان وأسنة كيقال : كن أو كنان وكثة . وفي الحديث الشريف [وأعطوا الركب أسننتها] اي مكثوا الركائب من ان تعدل أسننتها في الرعي . والمعنى هنا ان تلك الافعال لا يقوم بمدحها إلا اسنان اي اطراف الأسننة والانلام . ويقال في في فصيح الكلام [هذه الكلمة — مثلاً — مما يدور على سن القلم . اي طرفه . وعلى أسنة الانلام — اي أسننتها . اي اطرافها . كما يقولون : أسنلات الأسننة وأسلات الانلام وهي جمع أسنة مستدق اللسان .

وص ٢١س ١١ — [يكتب فلا يجاب . ويستكشف الم بال جواب فلا يجاب] اذا لم يوجد [استكشف] في كتب اللغة كما قال المصحح فيكون صوابه [ويستكشف الم] اي يطلب منه ان يكف عن الم . ومع هذا فان قوله [فلا يجاب] يناسبه [فعل الاستكشاف لا] [الاستكشاف] . فمضى ان مصدر أئمة اللغة في هذا المصنف فتوى بجواز فعل [استكشف]

وامثاله مما يؤيده القياس . وان لم تذكره المعاجم التي في ايدي الناس .

وص ٢٢س ١ — [وحوشي المولى ان يكون عوناً على قلبه . وان يرحل اثره الري على مبربه] قال المصحح لعل صوابه [عن شربه وهم الجماعة يشربون] ولا حاجة الى هذا فان السرب بمعنى الطريق وقد ممد له بقوله قبله [وان يرحل اثره] اي عقبه فالارتواء يرحل في اثره قائماً على سربه اي طريقه : يقال قام على طريقه واستقام على طريقته اي دام وثبت على المضي فيها .

وص ٣١س ٧ — لم أقف منه علي كتاب يخلف سواد سطوره ما غسل الدمع من سواد ناظري . ويقدم ببياض منظومه ومنشوره ماوزعه البين من سواد خاطري [قوله] [ويقدم ببياض] صوابه [وينظم بيان] فيلثم حينئذ مع قوله [منظومه] ومع قوله [ماوزعه] اي فرقته وبدده . اما قوله : [سواد خاطري] فصوابه [شئات خاطري] اي المشتت المنتشر من خاطري وهو اجس نفسي . ولا وجه لأن يراد [بسواد خاطري] العدد الكثير من خاطري . فان [السواد] قد يكون بمعنى العدد الكثير ولكن يجب حينئذ ان يضاف الى متعدد فيقال [سواد القوم] وسواد الناس و [كثرت سوادهم بسوادي] اي جماعتهم بشخصي . هذا هو موضع استعمالها .

وص ٣٣س ٩ — [ولقد استغرب وصول الرفاق . وقد صفت من كتابهم الكريم عياهم] هذا من كلام القاضي الفاضل . والتزامه والتزام كتاب زمانه السجع امر معروف فلعل في الجملة الاولى نقصاً يتم به السجع مع الجملة الثانية هكذا [ولقد استغرب وصول الرفاق بعد ان طال عياهم . وقد صفت من كتابهم الكريم عياهم] .

وص ٤٥س ١٠ — [كتاب اشتمل على بديع المعاني و باهرها . . . فكانه طرف طرف صوبه مدرار . وعلم علم منصوب في رأسه نار] قال المصحح صواب [طرف طرف] [قطر قطر] الاولى مصدر قطر بمعنى سال والثانية بمعنى المطر كما تدل على ذلك بقية الجملة اه

وبعني ببقية الجملة قوله [صوبه مدارار] فان الصوب المدارار يناسب [قطر القطر] ولا يناسب [طرف الطرف] اه . وارى ان [طرف طرف] صواب بعد تصحيح الثانية بظرف بفتح الظاء المعجمة بمعنى الظرافة اي الكياسة و [طرف] الاولى بكسر الطاء وهو الكرم من الخليل وكثيراً ما سمعنا شيوخنا يقولون في تقريب الكتب [ولقد سرحت طرف الطرف في هذا الكتاب] يميلون للطرف اي العين طرفاً اي جواداً يسرّح . وهنا جعل القاضي الفاضل لظرافة ذلك الكتاب الوارد اليه جواداً وصفه بما توصف به كرائم الخليل فقال [صوبه مدارار] ووصف الجواد بان جوبه كالصوب المدارار معهود في بليغ كلامهم ومن ثم يسون أفراسهم [سكاب] من انسكاب المطر وبعونه بانه [يعبوب] من عب البحر ارتفع وتتابع موجه . و [الدفقة] الفرس الكريمة تتدفق في مشيها . ومن هذا القبيل قوله صلى الله عليه وسلم في صفة فرس ابي طلحة : [إن وجدناه ليجرا] .

وص ٤٩ س ١٤ -

[كتاب به ماء الحياة ونقمة ال - حيا فكا في اذظفرت به الخضر] قوله [الحيا] مقصوراً لاثني من معانيه - واشهرها المطر - يناسب هنا فصوابه [نقمة الظما] يقال شرب حتى تقع اي شفي غايه وروى ظاه .

وص ٦٩ س ٣ - [وكل مطهم ان ركض تلقى السباط لركضه] ليس في إزعاج ركض الجواد للسباط [اي صف الجنود في الميدان] - كبير امر ولامبالغة في شدة ركض ذلك الجواد . فان اي جواد ركض أزعج صفوف الناس . وانما المبالغة الشعرية هي في ان يزعم الجواد بر كضه كواكب السماء . وهذا ما أراد الشاعر مذ قال [تلق السماك] فخره الناسخ الى [السباط] والسماك كواكب مشهور وهما سماكان .

وص ٧٣ س ٨ - [وسيدنا مصعبى الهم وهذا ابن نيس رقياتاه . ومهلبى الشيم وهذا حبيب أبنائه . ووائقى الاحسان وهذا في الجلالة ابن ابي دواده وفي الادب ابن زياتاه] قال المصحح الفاضل قوله [وهذا حبيب أبنائه] في الاصل [حبيب أياته] وهو تصحيف فان الذي وقفنا عليه ان حبيباً هذا من أبناء المهلب لامن شعرائه الذين مدحوه اه . ولكن اهتمام اولئك الكتاب بمراعاة السجع وتفريظهم بالمعنى لاجله أحياناً - امر معروف : [فرقياتاه] و [زياتاه] يكون بينهما [أبنائه] - بعيد عن طبيعة انشاء ذلك العصر . فلانندوحة عن القول بصحة

[أبياته] الواردة في الاصل . ويكون المراد بحبيب ابياته هو [ابوقمام حبيب الطائي] لا [حبيب ابن المهلب] ولا سليمان الموائف قال [مهلب] ولم يقل [مهلب] وبينهما فرق : فالمهلب احدا بناه المهلب المنسوبين اليه وهم كثيرون ولم يمدح ابوقمام احدا منهم واشهرهم الوزير ابو محمد المهلب وكان بعد ابي تمام بنحو مئة سنة . فلا بد ان تكون كلمة مهلب محرفة عن اسم آخر من ممدوح ابي تمام . ولأن نقول بوقوع التحريف في مهلب خير من ان نقول بوقوعه في الكامة التي تنتهي بها السجعة ومنزلة السجعة في نفوس القوم منزلتها . امامدوحو حبيب الطائي فكثيرون ومن أشهرهم الحسن ابن وهب واخوه سليمان بن وهب وله في الحسن ثلاث عشرة قصيدة فقلوه [ومهلب الشيم] صوابه إذن [وهبي الشيم وهذا حبيب ابياته] وبهذه الصورة تتناسق السجعات . وتبقى كلمات [ايات] على حالها كما وردت في الاصل . و [آل وهب] ليسوا باقل من [آل المهلب] منزلة في تاريخ الاسلام والخلفاء : فقد كان آباؤهم كتاباً من عهد الأمويين وكان الحسن بن وهب ممدوح ابي تمام . وتولياً له ابواب الرسائل وكذب لابن الزيات . واخوه سليمان ولي الوزارة للمهتدي ثم المعتمد . وارى ان الذي جعل الكاتب يقول [وهبي الشيم] ثم يقول [حبيب ابياته] فيجعل اباقمام ذا ايات يضرب بها المثل في كل وهي — هو قول حبيب في الوهبيين :

[كل شعب كنته به آل وهب فهو شعبي وشعب كل أديب]  
[إن قلبي لكم كالكبد الحرعى وقلبي لغيركم كالقلوب]

وقد سمع هذا بعض الصالحين فقال لو كانت هذه الايات في آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان أليق إذ لا يستحق هذا القول إلا هم رضي الله عنهم .

وص ٢٥ س ١١ — [جواباً عن كتاب شفاعة يوصي على اخيه نجم الدين] قوله [يوصي] سواء كان من الافعال او التفعيل إنما يتعدى في مثل هذا المقام بالباء لا بعلى الاعلى سبيل التضمين .

وص ٢٥ س ١٢ — [واحاه كنف قلبه . واودعه بين شغاف القلب وخليه . واعاده الى معبود ولانه وحسبه] قوله [وحسبه] ربما كان صوابه وحبه . لان الحب وهو الذي يزول ثم يعود لالحسب . وكذلك هو الذي يلائم الولاء بمعنى المحبة او القرب .

وص ٢٧ س ٣ — [ان الله . . . أعد داري ثوابه وعقابه . وحذر رأوي العقوبة من أليم

عذابه [قوله] [العقوبة] محرف عن مثل [الحوبة] والحوبة هي الاثم .  
 وص ٨٢س ٩ — [وامضى عزائم آرائه التي . . . . وأرضى همته التي اذا هممت اغنت عن  
 الابيض المرهف والاسمر الخطار . . . . وأرهف اقلامه التي الخ] [قوله] [وارضى همته] [لعلها  
 محرفة عن مثل] [وامضى همته] من امضى الامر أنفذه ومنه مضاء السيف . أو [وارصن همته] اي  
 احكمها وثبتتها . أما ان الله يرضي همته فلا معنى له .

وص ٨٣س ٧ — [ولازال ربه مربعا للجلال ومصيفا . . . . ومشرعا وارد الغلال  
 وربنا] [قوله] [وارد] بالهال ان ناسب [المشرع] فانه لا يناسب [الغلال] ولذا كان صوابه  
 [وارف الغلال] من ورف الظل اتسع وطال وامتد . وقوله [وريفنا] ليس صفة كوارف إذ  
 لا يقال ظل وريف كما يقال ظل وارف وانما أو [وريفنا] للمعطف وهو معطوف على [مشرعا]  
 ومعنى الريف الخصب وسعة الرزق ومنه ريف مصر .

وص ٨٤س ١ — [والجناب الذي . . . . فاضت مواهبه . وجاءت مذانيه . وجاءت  
 سحائبه] المذانب جداول الماء نسيلا عن الروضة الي غيرها كما قال المصحح . ولكن قوله  
 [جاءت المذانب] لا يتسق مع [فاضت] قبله و [جاءت] بعده فهو محرف عن مثل [مارت] من  
 مار الماء ماج واضطرب وجري على وجه الارض .

وص ٨٦س ٥ — [ورأبته والناس مومثون من ليث عليه مهابة فكانوا كالكروان  
 أبصرن بازيا] [قوله] [مومثون] بالهمز لا معنى له فلعله محرف عن مثل [موجسون] من الوجس  
 وهو فزعة القلب أو [موجبون] بفتح الجيم اي تخفق قلوبهم من اوجب الله قلبه أخفقه  
 وأرجفه .

وص ٨٧س ٨ — [فهو غاب العلم وهم اغصانه وشجره] قال المصحح [بفي الاصل] (باغ  
 العلم) وفي حروفه قلب لا يظهر به المعنى [أقول بل يظهر المعنى بالباغ] أكثر مما يظهر بالغاب . والباغ  
 البستان قال في شفاء الغليل : هو فارسي عبره المولدون وادخلوا عليه اللام قال البستي :  
 [لا تنكرون اذا هديت نحوك من علومك الغر أو آدابك التفتا]  
 [فقيم الباغ قد يهدي لصاحبه يزسم خدمته من باغه التتحفا]

وص ١٠س ١٠ — مما كتبه الملك المنصور قلاوون في اثناء الحروب الصليبية الى  
 ملك اليمن قوله : [والرغبة الى الله في كذا وفي كذا وفي الأ : قصف رماحنا . . . والأدشقي]

لدينا إلا أكباد أكناد. ولا تجزئ غير شعور ملوك التتار الخ [قال المصحح أراد [بالا كناد] الجاحدين. ثم استشكل [أي المصحح] ان يجمع [كُنْد] وصفاعلي أفعال. اقول والحق في ذلك ان [ا كناد] ليست لفظاً عربياً من الكنود أي الجحود وإنما هو جمع [كُنْد] على وزن قُفْل لقب افرنجي يطلق على امراء الافرنج واشتهر منهم في الحروب الصليبية كثيرون ذكروهم كتاب العرب ومورخوهم ذكروا الفداء وابن الاثير. وأشهر هؤلاء الامراء [كند هري] و [كند صنجيل] واصل كند [كونت] [Conte] بمعنى امير فربوه الي [كُنْد] على وزن قفل — وقفل يجمع على افعال قياساً — فقالوا [ا كناد] وقرن ملوك التتار بالا كناد يدل على انه أراد بالا كناد امراء الصليبيين. وقد كان هؤلاء واولئك من اشد اعداء ملوك مصر والشام في ذلك العهد.

وص ٤٦ اس ٨ — ذكر المؤلف مة غزلية ركيكة لبعض كتاب زمانه جاء فيها

هذا البيت :

[هل مخبر عنكم يعيش بقره ميت الرجا والصبر بعد الياس]

فقوله [بقره] ضميره يرجع الى المخبر. وكون الرجا يعيش او يذتمش بقره الم بشر المخبر عن الاحباب — ليس بطائل. فلعل صوابه [بقوله] أي بشارته. على ما في هذا التعبير من اللين والركاكة. ومعظم تعابير المقامة من هذا القبيل.

وص ٥٤ اس ٤ — على لسان الخليفة العباسي [المستكفي] نزل مصر الى امام اليمن لانما مهدداً [واتخذنا مصر دار مقامنا. لما كانت في هذا العصر قبة الاسلام. وفيئة الامام. وثانية دار السلام] قال المصحح [فيئة الامام] أي محل فيئته أي محل رجوعه يريد ان مصر هي التي رجعت اليها الامامة العباسية اه. وعندني ان صوابه [فيئة الانام] أي ان الناس يرجعون اليها في امور دينهم لمكان الخلافة فيها — ودينام لمكان السلطان منها. اما كونها محل رجوع الامامة العباسية فليس ذكره في هذا المقام مما يشرف بل مما يؤلم وينقص.

وص ٥٦ اس ١٠ — من كتاب الخليفة المذكور الي امام اليمن [رسمنا بها] «أي بالرسالة التي ارسلناها اليك» والسيف يود لو سبق القلم حده. والعام المنصور يحب لوفات القلم واهتز بتلك الروابي قدّه [القلم] تكرر في الجملة فلعل الاولي معرفة عن [العلم] ويكون المعنى : ان السيف يتقنى لو يسبق الراية الى العدو لان الراية عادة تتحمل أمام الجيش. كما ان الراية نفسها



تتدفق لوسبقت القلم : إذ ان القلم يباشر تهديد العدو ومحاربتة قبل تسيير الرايات اليه .  
 وص ٨٦ اس ١٤ — من كلام سيدنا علي رضي الله عنه [ومن يكبر على الناس ذل]  
 هكذا بالزاي من الزلل بمعنى العثار وهو حسن ولكن الاحسن ان يكون بالذال من الذل  
 ليكون تقيض ما حاوله المتكبر من الكبر على الناس مذ يودعي عمله الى عكس ما أرادته .  
 وص ٢٠٢ س ٨ — [ومحصل البلد لثلاث سنين : مبقلة ومتوسطة ومجدبة] قوله  
 [مبقلة] قال المصحح إنها في الاصل [مقبلة] وفيه قلب وصوابه [مبقلة] كما يرشد اليه عطف  
 المتوسطة والمجدبة عليه و [المقبلة التي كثر بقلها اه] ما قاله المصحح وهو حسن ولكن إبقاء  
 [مقبلة] بتقديم القاف على ما جاءت في الاصل أحسن لان الاقبال في المواسم أعم من ان يكون  
 من جهة خصب بقولها او ثمارها او قطنانها : يقال أقبلت الارض بالنبات جاءت به . ونقول اليوم  
 كثيرًا : السنة سنة إقبال اي خصب . فلاداعي للمدول عن مقبلة الى مبقلة على ان المصحح  
 [بف ص ٢٩٥ س ٣] صحح هو نفسه عبارة [المهتمة والمتوسطة والمجدبة] بقوله [المتنة]  
 تحريف صوابه [المقبلة] كما يقتضيه السياق ويريد بالمقبلة السنة التي تقبل بالنبات اي  
 تجي به اه .

وص ٢٢٢ س ٩ — عدد المؤلف وظائف مباشر البيوت السلطانية قال [ومن هنا تعاهد اسماء  
 الخوانج خاناه] قوله [اسماء] صوابه [اشياء] وهي الامتعة المحفوظة في البيت المسعى  
 [الخوانج خاناه] فانه يحتوي على اشياء بتفقدتها الموظف لا على اسماء .  
 وص ٢٢٢ س ١٤ — [ويحصر لكل منهم ما حضره في كل يوم] قال المصحح في الاصل  
 يحضر بالضاد المعجمة وهو تحريف اه . وأرى ان صوابه يُحصى من الاحصاء فان مباشر  
 بيت [الخوانج خاناه] يتلقى من كل من القصاب والحيواني والطيبوري اشياء ويحصىها عليه .  
 على ان [يحصر] لا بأس بها .  
 «المغربي»

## مذهب الجاحظ في النقد (١)

— ١ —

« رأبه في التوليد — رأبه في اولى الشعر »

= (١) =

قبل ان أتقد فن الجاحظ وادبه بلغته لم لا انظر في نقد الجاحظ نفسه ، كيف كان ينقد  
من غيره —

ولقد كان النقد قديماً في لغة العرب ولكننا لانجاوزه عهد النابغة الذي ياتي مخافة ان نضيع في  
مجاهل لا يخرج لنا منها .

للرب في الجاهلية مجالس ادب واسواق وما انتم بها فلين عنها ، شيخ النقدة في تلك الايام  
نابغة بنى ذيبان الذي كان يضرب له قبة من آدم بسوق عكاظ فتأتبه الشعراء فتمرض عليه  
اشعارها . —

وفي صدر الاسلام مجالس ادب حافلة وربما تعدت في هذه المجالس امثال سكينه بنت  
الحسين وعائشة بنت طلحة . —

وفي زمن بني أمية مجالس ادب تشبه مجالس الأدب في الجاهلية منها مرصد البصرة ومسجد  
الكوفة . —

والخلفاء بني العباس أشباه هذه المجالس وربما كانت مجالس المنصور والمهدي والرشيد  
والمأمون وغيرهم من الخلفاء وابناء الخلفاء والامراء والوزراء أعمر وأحفل .

ولو استقصينا أمماطاً من النقد في تلك العصور لوجدنا لها شكلاً خاصاً لا يتعداه فسواء

---

(١) سلسلة محاضرات الاستاذ السيد شفيق جبري احد اعضاء المجمع العلمي العربي التي

شرع في المحاضرة بها في كلية الاداب في دمشق سنة ١٩٣١ .

أكان النقد مجرداً من اسباب التفصيل والتمييز على نحو ما كانت عليه الحال في بعض الاحابيين في النقد الجاهلي والنقد الاسلامي ام كان هذا النقد موضحاً هذه الاسباب في العصور التي تقدمت الجاحظ انه لا يتهدى الصور اللفظية والمعنوية من حيث المخراف هذه الصور عن الذوق او من حيث مطابقتها للذوق ، فلم يكن له قواعد ثابتة ولم يكن له اصول يبنى عليها وانما كانوا في بعض العصور يملون طائفة من هذه الصور فيتطابرون الى صور حديثة . —

ثم ما لبث ان ظهر الرواة فظهر ابو زيد الانصاري وابو عبيدة والاصمعي وظهر حماد الراوية والمفضل الضبي وخلف الاحمر فكان لنقد الشعر صورة خاصة وضحاها لنا الجاحظ فقال :  
« طلبت علم الشعر عند الاصمعي فوجدته لا يعرف الاغريبه فرجعت الى الاخفش فالتقيته لا يتقن الا اعرابه فطفت على ابي عبيدة فرايته لا ينقد الا ما اتصل بالاخبار وتعلق بالايام والانساب فلم اظفر بما اردت الا عند ادباء الكتاب كالحسن بن وهب ومحمد بن عبد الملك الزيات .

قال صاحب بهذا الكلام : فله در ابي عثمان لقد غاص على سر الشعر واستخرج ارق

من السحر . — »

وقال في مقام آخر :

« ولم أر غاية النحويين الا كل شعر فيه اعراب ولم ار غاية رواة الشعر الا كل شعر فيه غريب او معنى صعب يحتاج الى الاستخراج ولم ار غاية رواة الاخبار الا كل شعر فيه الشاهد والمثل . — »

قد يشتمل هذا الكلام على شيء من المبالغة وخاصة العبارة التي تتعلق بالاصمعي فالذي وصل اليها من امر الاصمعي ان له آراء في نقد الشعر تدل على انه يعرف غير غريب الشعر وكيف كان الامر فان الذوق الاديبي في عصر الجاحظ قد لوث بالوان شتى فرة كان هذا الذوق يصبغ بصباغ نحوي ومررة بصباغ لغوي ومررة بصباغ اخباري . —

هكذا كان نقد بعض الرواة حتى جاء المؤلفون وشروعوا في تأليف الكتب في النقد فدخل النقد في طور جديد من حيث الترتيب والتأليف ، من هؤلاء المؤلفين محمد بن سلام صاحب طبقات الشعراء فقد فصل الشعراء من اهل الجاهلية والاسلام والمخضرمين فانزلهم منازل واحتج لكل شاعر بما وجد له من حجة وما قال فيه العلماء ولكن جوهر النقد لم يختلف عما

كان عليه في القديم فكان الحكم لشاعر من الشعراء لبيان شعره اولشروء قافيته اولابتكار  
أسلوبه . —

ولكن انصحوا الجديد الذي نجاه النقدة في هذا العصر انما هو الطعن على ثقة بعض الرواة  
وهذا النحو أفق حديث في التمهيص والتدقيق الظاهر ان الرواة كانوا يزدون في الاشعار  
فأشار ابن سلام الى توليدهم لاهل الرواة وبين اسبابه فقال :

« فلما رجعت العرب رواية الشعر وذكر ايامها واثروها استقل بعض المشائرشعر شعرائهم  
وما ذهب من ذكر وفائهم وكان قوم فمات وفائهم واشعارهم وادادوا ان يلحقوا بمن له الوقائع  
والاشعار فقالوا على السن شعرائهم ثم كانت الرواة بعد فزادوا في الاشعار وليس يشكل على اهل  
العلم زيادة ذلك ولا ما وضع المولدون . — »

الان ابن سلام لم ينبه على الزيادات التي زادها الرواة ولو فعل لنقي الشعر العربي فلم يبق مجال  
لارتياب المرتابين بصحة بعض هذا الشعر .

والجنب هذا الأفق أفق آخر فكما نبهوا على توليد الرواة فقد نبهوا على اختلاف لسان  
حمير ولسان قريش فقد أشار ابن سلام الى قول ابي عمرو بن العلاء في هذا المعنى فقال :

« ما لسان حمير واقاصي اليمن بلداننا ولا عريبتهم بعريبتنا . — »

غير ان ابن العلاء لم يبين وجه هذا الاختلاف أهو من حيث قواعد النحو والتصريف أم هو  
من حيث اللفظ فبقي كلامه غامضاً وقد وردت في طائفة من كتب الادب الفاظ يمانية لهامعني غير  
المعنى الذي لها في لغة قريش ، وهذا كله لا ينفع غليلنا . —

وفي هذا العصر الذي نبهوا فيه على توليد الرواة وعلى اختلاف لسان حمير ولسان قريش  
ظهر الجاحظ فهو من ابناء عصر ابن سلام . —

ولقد يصب على رجل مثل الجاحظ قضى عمره كله في التمهيص ان ير بمواطن الزور في  
الادب فينقل الكلام عليها فقد أشار الى التوليد فقال <sup>(١)</sup> :

« ولقد ولدوا على لسان خلف الاحمر والاصمعي ارجازاً كثيرة فما ظنك بتوليدهم على السنة  
القدماء ولقد ولدوا على لسان جحشوبه في الخلاق اشعاراً ما قالها جحشوبه قط فلو تقدروا من  
شيء تقدروا من هذا الباب . — »

وقال في موطن آخر في توليدهم على بشار<sup>(١)</sup> :

قال صاحب الكلب : السنور يساوي في صفه درهمًا فاذا كبر لم يساو شيئًا وقال العتيبي :  
كسنور عبد الله يبيع بدرهم صغيراً فلما شب يبيع بدينار  
٠٠٠ وقد يضاف هذا البيت الى بشار وهو باطل —

غير ان الجاحظ لم يدل على الذي ولدوه فلم ينف شيئاً الى ما قاله ابن سلام في زيادة الرواة، ولودل على مواطن التوليد لما اتسع المجال الى الشك في بعض ادبنا وقد كان يسهل على الجاحظ وامثاله ان يحصوا وبدقوا حتى يستخرجوا بهذه التمهيص والتدقيق الزيادات التي زادها المولودون فهم متصلون بتطور اللغة من عهدها الجاهلي المتعارف الى عهدها الاسلامي ومن عهدها الاسلامي الى عهدها العباسي فليس بينهم وبين هذه العصور التي تطورت اللغة في اثنائها الا قرنان او ثلاثة ترون فقد كان يتيسر لهم ان يعرفوا روح كل عصر ولغته وفنه لانهم على نحو ما قلت اكم متصلون بتلك العصور، اما اليوم فان التنبيه على مواطن التوليد قد يكون عقبة كووداً فاذا أردنا ان نعرف ان هذا البيت من الشعر قد أحياه شاعر من الشعراء لزمنا ان نتعمق في ديوان الشاعر كله حتى نعلم هل هذا البيت الذي نعلمه من روحه اولغته من لغته ام فنه من فنه فاذا اعترضتنا المصاعب في تمييز بيت من الابيات فكم تعظم هذه المصاعب في تمييز قصائد مجذافيرها قيلت في عصور متفاوتة بعيدة عنا —

وليس في لغتنا معجم يبين لنا ان اللفظ الفلاني استعمل في العصر الفلاني ثم بطل استعماله بعد ذلك العصر فمقدّمنا الفاظ لشاعر من الشعراء نظنها في بدء الامر غريبة وقد تكون هذه الالفاظ شائعة في عصر هذا الشاعر فاذا لم يكن في لغتنا معجم يدون الالفاظ بحسب تاريخها صعب علينا ان نعرف ان هذا اللفظ مؤدع على لسان فلان والشك في الادب قد لا يخلو في خاتمة امره من محاذير وقد فطن الجاحظ لهذا الامر فقال في خطاب جماعة ملوا الى الرد بعض الامثال على جماعة آخرين<sup>(٢)</sup> :

وان جازلكم ان تردوا عليهم هذا المثل جازلكم من كرهه مثلاً او شاهداً ان يرد عليهم كما رددتم وفي ذلك افساد امر العرب كله فان زعمت ان الدبك كان احق به فخصومك كثير ولسنا

(١) الحيوان الجزء الخامس — ص ٩٦

(٢) = = الثاني — ص ٥٥

تحيط باوائل كلامهم على اي مقادير كانوا يصفونها ومن اي شيء اشتقوها وكيف كان السبب ورب شيء انكرناه فاذا عرفنا سببه أقررنا به . —

الا ان الجاحظ على مصاعب التدقيق في التوليد قد ركب هذا المركب الخشن فتنفرغ لتمحيص خطبة زعم انها منسوبة الى معاوية<sup>(١)</sup> . وبعد ان فرغ الجاحظ من ذكر الخطبة قال :

« وفي هذه الخطبة ابقا الله ضرور من العجب : منها ان هذا الكلام لا يشبه السبب الذي من اجله دناهم معاوية ، ومنها ان هذا المذهب — في تصنيف الناس وفي الاخبار عنهم وعمام عليه من القهر والاذلال ومن التقية والخوف — أشبه بكلام علي وبمعانيه وبجملته من مجال معاوية ، ومنها اننا لم نجد معاوية في حال من الحالات يسلك في كلامه مسلك الزهاد ولا يذهب مذاهب العباد ، وانما نكتب لكم ونخبر بما سمعناه ، والله اعلم باصحاب الاخبار وبكثير منهم . —

غير ان الجاحظ كان يجب عليه في رده هذه الخطبة ان يسلك مسلكاً اقرب فياً في بناذج من خطب علي وبناذج من خطب معاوية وان يقابل بين هذه الأنماط كما فيشير الى الفاظ علي ويشير الى الفاظ معاوية ويدل على الالفاظ التي يألها علي والالفاظ التي يألها معاوية فيقول : هذه اللفظة مثلاً من الفاظ علي ، او هذا التركيب من تركيب علي ، او هذا الفن من فن علي ، وقد وردت اللفظة والتركيب والفن في خطبة معاوية فهذا كانه مردود ، ولو فعل ذلك لكان تمحيصه ابلغ ، لان لكل خطيب او لكل شاعر او لكل كاتب ، لكل واحد من هؤلاء الثلاثة مفردات ومصطلحات يتركيب لا يحميد عنها فهي ملازمته وقد يستعملها على الرغم منه ويكرر استعمالها دون ان يشعر بها ، اما قول الجاحظ : ومنها اننا لم نجد معاوية في حال من الحالات يسلك في كلامه مسلك الزهاد ولا يذهب مذاهب العباد ، فلا يخلو من بعض الضعف لان الرجل اذا حضرت وفاته قد تبدل حال عقله وحالة روحه . —

على ان الجاحظ قد تجرد في بعض المقامات للتنبيه على مواطن التوليد في الشعر ايضاً فلم يكن ضعيف الحجة في هذا التنبيه فمن هذا رده طائفة من الاشعار من جملتها هذا البيت

[١] راجع الخطبة في البيان والتبيين — الجزء الثاني ص ٢٨ .

للأفوه الأودي<sup>(١)</sup> :

كشهاب القذف يرميكم به فارس في كفه للحرب نار

فقال في رد هذا البيت<sup>(٢)</sup> :

« واما ما رويت من شعر الأفوه الأودي فلمعري انه جاهلي وما وجدنا احداً من الرواة يشك في ان القصيدة مصنوعة وبعد فمن اين علم الأفوه ان الشهب التي يراها انما هي قذف ورجم وهو جاهلي ولم يدع هذا احد قط الا المسلمون فهذا دليل آخر على ان القصيدة مصنوعة — ٠ — »  
اما وقد عرفنا رأي الجاحظ في التوليد فلا بأس بان نعرف رأيه في اولى الشعر ، وعلى هذا تنشأ لنا صورة تصور لنا مذهبه في نقد بعض الآراء الادبية العامة ، من هذا النحو قوله<sup>(٣)</sup> :

« واما الشعر فحدث الميلاد صغير السن اول من نهج سبيله وسهل الطريق اليه امرؤ القيس ابن حجر ومهلل بن ربيعة وكتب ارسطاطاليس ومعلمه افلاطون ثم بطليموس وذو بقرات وفلان وفلان قبل بدء الشعر بالدهور وقبل الدهور والاحقاب قبل الاحقاب وبدل على حداثة الشعر قول امرؤ القيس بن حجر :

ان بني عوف ابنتوا حسنا ضيمه الداخلون اذ غدروا  
ادوا الى جارم خفسارته ولم يضع بالمغيب من نصروا  
لاحميري وفي ولاعدس ولا استعير يحكمها الثغر  
اكن عوير وفي بدمته لا قصر عابه ولا عور

فانظر كم كان عمر زرارة وكم كان بين موت زرارة ومولد النبي عليه الصلاة والسلام فاذا استظهرنا الشعر وجدنا له الى ان جاء الله بالاسلام خمسين ومائة عام واذا استظهرنا بقاية الاستظهار فماتني عام — ٠ — »

وقال في مقام آخر<sup>(٤)</sup> :

« وقد قيل الشعر قبل الاسلام في مقدار من الدهر اطول ما بيننا اليوم وبين اول الاسلام »

[ ١ ]	الحيوان — الجزء السادس ص ٨٨
[ ٢ ]	» » » » ٩٠
[ ٣ ]	» الاول » ٣٧
[ ٤ ]	» السادس » ٨٩

ففي قوله الاول جعل عمر الشعر مائتي عام وفي هذا القول جعله مائتين ونيفاً ، وفي كلا الحالين اشتطاط .—

أصحح ان امرؤ القيس اول من نهج سبيل الشعر وسهل الطريق اليه ، قد يكون امرؤ القيس اول من حفظت اشعاره او من اوائل الشعراء الذين تناسحت اليها اشعارهم واما ان يكون اول الشعراء فلا ، وقد اشار بعض شعراء الجاهلية الى تقادم الشعر فقال امرؤ القيس نفسه :

عوجا على الطلل القديم لعلنا  
نبي الديار كما بكى ابن حذام  
وقال زهير :

ما ارانا نقول الامصارا  
او معاداً من قولنا مكرورا

وقال عنتره :

هل غادر الشعراء من متردّم

فالذي يستنبط من قول امرؤ القيس وزهير وعنتره انه بقاء قلوبهم شعراء جالوا في الشعر كل مجال وحلّ قوافي سمائه كل محلق وقد انقطعت عنا اخبار الذين اورثوا عنتره وزهيراً وامراً القيس فيض قلوبهم وصوب اذهانهم وانطوت آثارهم فلانعرف عنهم شيئاً فلغة العرب متقدمة العهد فلا يمكن ان تنشأ دفعة واحدة على الصورة التي نشأت عليها في العصر الجاهلي المعروف فلاريب في انهم اسبقتم احقاب مديدة انتقلت فيها اللغة من طور الى طور حتى وصلت الى ما وصلت اليه فالعصور التي انتقلت اللغة في انائها من مرتبة الى مرتبة غامضة مبهمة فهي سر من الاسرار وهذه ثلثة في تاريخ ادبنا ولا تسد هذه الثلثة الا اذا درسنا اللغات السامية ولغات الام التي خالطها العرب في قديم الدهر ، وعثرنا على كتابات قديمة منقوشة ، ان لغة العرب لم تنته اليها بهذا فيرها فان الذي جاءنا عن العرب غيض من فيض فكثير من الكلام ذهب بذهاب اهله قال ابن فارس : ذهب علاننا او اكثرهم الى ان الذي انتهى اليها من كلام العرب هو الاقل ولو جاءنا جميع ما قالوه لجاءنا شعر كثير وكلام كثير .—

والمعروف ان بلاد العرب الجنوبية حضارة يتند تاريخها الى القرن الثامن قبل السيد المسيح فأين اللغة التي صورت هذه الحضارة وكيف تكون حضارة ولا تكون معها لغة .—



يقول احد ادباء الفرنسيين<sup>(١)</sup> :

«النثر الادبي في التاريخ لا يأتي على نحو ما يظنون قبل الشعر وإنما يأتي بعده ، والذي يأتي قبل الشعر إنما هو اللسان الطبيعي العامل ، لسان الهوائج والمنافع ولكننا نستطيع ان نجعل من قوانين التاريخ الادبي العامة ان كل ادب يبدأ بالشعر ثم ينزل الى النثر بالغناء القبيود التي تقيد اللغة الشعرية وباطراح هذه القبيود اي بالتخلي عن لوازم الفن كلها ان لم يكن بالتخلي عن نتائج الفن . —»

فاذا كان الادب يبدأ بالشعر ثم ينزل الى النثر فأين النثر الذي نزل اليه الشعر الجاهلي ، أهو هذا النثر الاسلامي المتكامل الذي ظهر فجأة دون ان يكون لتكامله عامل من العوامل ، لاشك في ان النثر الاسلامي سبقه نثر وهذا النثر سبقه شعر ولم تبق لنا الايام من هذا كله الا الشعر الجاهلي المتعارف والاقليلاً من النثر الجاهلي . —

مثل اللغات كمثل المخلوقات الحية في عالمي الحيوان والنبات فكان الحيوانات والنباتات تولد فتعيش وتموت فكذلك اللغات فانها اشبهت بشي بهذه المخلوقات وليلاد اللغات وحياتها وموتها عوامل منطقية وفلسفية وتاريخية وغير ذلك تجتمعها كلمة : حياة الالفاظ ، ولست اعلم بحداً بأخذ بمجامع القلوب نظير البحث عن حياة الالفاظ . —

فقول الجاحظ : ان الشعر الجاهلي عمره قرنان فيه اشتطاط على ان الجاحظ نفسه يقول وقد سمعتم قوله : ولسنا نحيط باوائل كلامهم — اي كلام العرب — على اي مقادير كانوا يضمونها ومن اي شيء اشتقوها وكيف كان السبب ، فان الذي يقول هذا القول لا ينبغي له ان تزلق به قدمه هذا المزلق فيجعل الشعر حديث الميلاد صغير السن . —

دمشق : في ٢٦ كانون الاول سنة ١٩٣١

— (\*\*\*) —

## مذهب الجاحظ في النقد

- ٢ -

« اهتمامه بالصنعة »

تبين لنا من النظر في نقد الجاحظ لطائفة من الآراء الأدبية العامة انه يذهب في الأدب  
مذهبه في العلم ، وما هذا المذهب الا الاستقصاء في كل شيء ، فالتحقيق اغلب صفات الجاحظ فكما  
انه يتقذر من توليد الكذابين في ابواب العلم فكذلك يتقذر من التوليد في ابواب الأدب وسواء  
ارشدت مسالكه في الدلالة على مواقع الزور في هذا التوليد ام لم ترشد انه نزاع الى التمهيص  
فاذا جاز لنا ان نستنبط صفة له من اساليب نقده التي قلبنا النظر فيها استنبطنا منها امعانه  
في التدقيق .-

فلننظر بعد هذا كله في طبيعة ذوقه ، كيف يذوق نتائج القرائح وثمرات الخواطر ،  
أ يقتصر على استحسان المعاني وحدها ام انه مولع بالصنعة وهل وقف به ولعه بالصنعة على تفضيل  
اساليب المتقدمين ام انه مال الى مذاهب المولدين وما غابتنا من هذا كله الا استخراج صورة  
عامة لذوقه الفني من آرائه المبعثرة في اضعاف كتبه حتى يتمثل لنا ذوقه كما تمثل لنا  
تحقيقه .-

\*\*\*

للاجاحظ ولع خاص بالصنعة وأريد بالصنعة في هذا المقام الفن على مصطلح عصرنا فهو  
ميال الى استحسان الالفاظ فن قوله في هذا الباب وقد نقد بيتين من الشعر<sup>(١)</sup> :  
« وانا قد سمعت ابا عمرو وقد بلغ من استجادته هذين البيتين ونحن في المسجد يوم الجمعة  
ان كلف رجلاً حتى احضر دواة وقرطاساً حتى كتبهما له وانا زعم ان صاحب هذين البيتين

[١] الحيوان - الجزء الثالث ص ٤٠

لا يقول شعراً ابداً ولو لان ادخل في بعض القبيل لزعمت ان ابنه اشعر منه ومما قوله :

لاتحسبن الموت موت البلى      وانما الموت سؤال الرجال  
كلامهما موت ولكن ذا      افطع من ذلك لنذل السؤال

وزهب الشيخ الى استحسان المعنى والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي وانما الشأن في إقامة الوزن وتمييز اللفظ وسهولته وسهولة المخرج وفي صحة الطبع وجودة السبك فانما الشعر صناعة وضرب من الصبغ وجنس من التصوير . — «  
فالجاحظ مفتون بالفن فهو يريد ان نعطي المعاني حقوقها من الالفاظ واظن ان هذا المذهب يحتاج الي شيء من التوضيح فقد يخطر على البال ان الذهاب الى استحسان الالفاظ انما يراد به الحط من مقادير المعاني حتى يتوهم المتوهمون ان الذين يستحسنون الالفاظ يقولون : المعاني لا قيمة لها وانما القيمة للالفاظ وحدها ، ولكن الالفاظ في الحقيقة انما هي خدم المعاني فقد وضعت للدلالة على فكر من الافكار فلولا الفكر لم يكن اللفظ فحسن الالفاظ يستوجب حسن المعاني فاذا وجدنا الفاظاً ضخمة ولم نجد لها معاني ضخمة استخرجنا من ذلك ان اصحابها لا يجوز كون الكلام على حسب الاماني ولا يخيطنون الالفاظ على قدود المعاني ، فقد تكون الالفاظ سيئة تشتمل على معان حسنة ولكن هذه المعاني لا يبقى لها اثر في القلوب لانها لم تعط قسطها من الصنعة ، لضرب مثلاً ذلك ولترجع الى البيتين اللذين استشهد بهما الجاحظ : معناهما ان اصحاب النفوس الكريمة يفضلون الموت على سؤال الرجال فالعنى فيها حسن ولا شك ، ولكن الشاعر هل تبيأ له ان يكسوه ما يناسبه من اللفظ ، اذا كان الغرض من الشعر ان يعرض علينا حقائق الافكار المحسوسة حتى نكاد ندرك هذه الافكار ذاتها وظواهر صيغها كل هذا في شكل مرصوص كأنه بناء مبني لا يخل فيه ، اذا كانت هذا هو الغرض من الشعر فالبيتان اللذان تقدمهما الجاحظ وخاصة البيت الثاني ليس فيها شيء من الصور الشعرية فان لفظة البيت الثاني بعيدة عن لفظة الشعر فكلمة : ذا وذاك واشباهها انما هي من الالفاظ الثقبلة على السمع . —

فلما ذهب الجاحظ الى استحسان الالفاظ لم يذهب الى استقباح المعاني وانما ذهب الى ان الالفاظ التي صورت المعنى في هذين البيتين لم تكن مناسبة لهذا المعنى فالفرق بينه وبين ابي عمرو الذي استجاد البيتين كالفرق بين الرجل الأديب وبين الرجل غير الأديب

او كالفرق بين صاحب الفن وبين الجرد من الفن فابو عمرو لا اهتمام له بالفن فانه ينظر الى مجرد المعنى سواء عليه أكان لباس هذا المعنى مناسباً له أم كان غير مناسب والجاحظ معتن بالفن فانه لا ينظر الى مجرد المعنى وإنما يريد ان يكون هذا المعنى مضبوطاً في قالب مناسب له فاذا كنا نستحسن المعاني وحدها ولا نبالي بالقوالب التي تفرغ فيها هذه المعاني فلم يبق للفن قيمة ولم يبق للمفاضلة بين الآثار الفنية وجه فاذا خطر مثلاً على بال شاعر مثل البحتري معنى من المعاني فصبه في قالب مناسب له وخطر هذا المعنى نفسه على رجل من العامة فقدذه في لغته العامية فلا فضل للبحتري على العامي فاذا كان الاصل المعنى واذا كان هذا المعنى قد وقع في خلد كل واحد منهما وكل واحد منهما استطاع ان يؤديه الى غيره هذا بلهتته الشعرية وهذا بلهتته العامية فلا تفاضل بينهما فما الحاجة إذن الى الفن فأظن انكم قد ادر كتم النتائج التي يؤدي اليها استحسان المعاني وحدها دون المبالاة بالانفاظ التي تصورها وخوفاً من هذه النتائج التي تؤدي الى القضاء على الفن ومذاهبه تفرغ اكبر أدباء العرب والافرنجة للرأمة دون حياض الفن فن أدباء العرب من واطأ الجاحظ على رأيه كأبي هلال العسكري وابن رشيق وغيرهما فأبو هلال يقول بحسن التأليف وجودة التركيب وكمال الحلية والمرض ، وابن رشيق يختار جودة الانفاظ وحسن السبك وصحة التأليف ، ومن أدباء الافرنجة من دافع عن الصنعة على نحو الجاحظ .

فمن كلام « فولتير » : ان الاشياء تؤثر فينا في الاظب من نواحي اساليبها اي من نواحي القوالب التي تصب فيها لأن للناس افكاراً واحدة بوجه التقريب ولكن الاسلوب هو الذي يفرق بين كاتب وكاتب . —

ومن كلام « فاگه » : ان الذي يتخذ الكاتب انما هو جمال الأسلوب . —  
ومن كلام « فرانس » : ليس الفكر ملكاً لمن يبدغه وانما هو ملك الذي يثبته في الازمان . —

من هذا كله يتبين لكم ان اكبر الادباء وبلغاء الكتاب قد اجمهوا على فضل الأسلوب فالاعتناء بالاسلوب قديم عمده في الأمم ، فالليونانيون كانوا على هذا المذهب ، والرومانيون اولعوا بالوع كل بهمال الأسلوب حتى أفرطوا في هذا الامر فأدى بهم إفرطهم الى التقصير في الكتابة الحسنة . —

انظروا الى الشعراء الذين عاشوا في زمن البحتري ثم نظروا الى الذين طوام فلم يتدلم

ظل ولم يتسع لم في أفجئلد البحتري ويموت شعراء غيره لولا الصنعة<sup>(١)</sup> .  
 ليس معنى هذا كله ان الادباء الذين استشهدت بكلامهم سواء عليهم حسن المعاني  
 وقبحها وانما هو لاء الأدياء يريدون ان نعطي المعاني الحسنة حقا من الالفاظ الحسنة فهم قد  
 شعروا بتأثير الالفاظ في تخليد المعاني فعضوا من مقادير هذه الالفاظ .  
 واذا اردنا ان نعرف تأثير الالفاظ فلنسمع ما قاله الاستاذ « باولوسكي » في مقالة اشار  
 فيها الى ترجمة الدكتور Mardrus للقرآن بمدان استعد لهذا الامر عشرين سنة :  
 « لقد بلغ من تأثير القرآن في قلوب الثلاثةائة مليون مسلم مبلغا اجمع فيه المبشرون على  
 الاعتراف بانهم لم يستطيعوا ان يردوا مسلما عن دينه حتى اليوم واستنتج الدكتور من ذلك  
 ان الكلمة اذا وضعت مواضعها وأزلت منازلها كانت سحرا حلالا فمن الذي يتبجح بان يأتي  
 بكلام ينزل على اكباد ثلاثةائة مليون رجل نزول الماء الزلال على الكبد الحرى . - »  
 فالجاحظ مولع بالفن ولا يقنع في خلد احد ان ولعه بالفن يفضي به الى تقيير المعاني فانه  
 يعظم المعاني ويعطيها قسطها فن قوله في ذلك وقد اعجبه تمام التشبيه وخرابة المعنى وشرف  
 هذا المعنى<sup>(٢)</sup> :

« ولا يعلم في الارض شاعر تقدم في تشبيهه مصيب نام وفي معنى غريب عجيب او في معنى  
 شريف كريم او في بديع مخترع الا وكل من جاء من الشعراء من بعده او معه ان هو لم يقدر على  
 لفظه فيسرق بعضه او يدعيه باسمه فانه لا بدع ان يستعين بالمعنى ويجعل نفسه شريكا فيه  
 كالمعنى الذي تتنازعه الشعراء فتختلف الفاظهم واعاريض اشعارهم ولا يكون احد منهم  
 احق بذلك المعنى من صاحبه اولعله يجحد انه سمع بذلك المعنى قط وقال انه خطر على بالي من  
 غير سماع كما خطر على بال الاول هذا اذا قرعوه به الا ما كان من عنبرة في صفة الذباب فانه  
 وصفه فأجاد وصفه فتمامي معناه جميع الشعراء فلم يعرضوا له ولقد عرض له بعض المحدثين ممن  
 كان يحسن القول فبلغ من استكراهه لذلك المعنى ومن اضطرابه فيه انه صار دليلا على سوء  
 طبعه في الشعر . قال عنبرة :

[١] راجع محاضرة الاصول في كتابي « المتنبى » .

[٢] الحيوان - الجزء الثالث ص ٩٦ .

جاءت عليها كل عين ثرة  
 قترى الذباب بها يغني وحده  
 قتر كن كل حديقة كالدرم  
 هزجاً كفعل الشارب المترم  
 غرداً يحك ذراعه بذراعه  
 فعل المكب على الزناد الاجزم

قال : يريد فعل الاقطع المكب على الزناد والاجزم المقطوع اليدين فوصف الذباب اذا كان واقفاً ثم حك احدى يديه بالاخري فشبهه عند ذلك برجل مقطوع اليدين بقدر يعودين وحتى سقط الذباب فهو يفعل ذلك ولم اسمع في هذا المعنى بشعر ارضاء غير شعر عنتره ٠ — «

وسواء أحسن عنتره في هذا المعنى على رأي فريق اولم يحسن على رأي فريق آخر ان الجاحظ ذهب الى استحسان معانيه ولكنه لم يقتصر على استحسان المعاني وحدها فان معاني عنتره في هذه الايات ان لم تصورها لغة شعرية تصويراً ناطقاً لما كان لها هذه القيمة فالجاحظ لم يذهب الى استحسان الالفاظ الا لان الالفاظ هي التي تبرز المعاني وتثبتها في الاذهان على تراخي الاحقاب ، اما اجادة عنتره في آياته او عدم اجادته فانما هذه مسألة متعلقها الذوق ولا جدال في الذوق فقد نستحسن معنى ويستقبحها غيرنا وقد نستقبح فكراً لا يستقبحه الناس فالذي يستنبط من كل ما تقدم ان استحسان الالفاظ على مذهب الجاحظ انما وجه اعطاء المعاني حقوقها من هذه الالفاظ بحسب مقاديرها حتى يكون لها الاثر الخالد فهو لا يتهاون بوضع الالفاظ في مواضعها لأن اللفظ اذا لم يصب في قلبه شوه المعنى او قلبه او اضاعه كلفظ : يخون في البيت الآتي قال الجاحظ وفي مخول شعر النابغة<sup>(١)</sup> :

فألبيت الأمانة لم تخنها  
 كذلك كان نوح لا يخون

وليس لهذا الكلام وجه وانما ذلك كقولم كان داود لا يخون وكذلك كان موسى لا يخون عليهما السلام وهم وان لم يكونوا في حالة من الحالات اصحاب خيانة ولا تجوز عليهم فان الناس انما يضربون المثل بالشئ النادر من فعل الرجال ومن سائر امورهم كما قالوا : عيسى ابن مريم روح الله وموسى كليم الله وابراهيم خليل الرحمن صلى الله عليهم وسلم ، ولو ذكر ذا كرو الصبر على البلاء فقال : كذلك كان ابوب لا يميزع كان قولاً صحيحاً ولو كان كذلك

نوح عليه السلام لا يجوز لم تكن الكلمة أعطيت حقها ولو ذكر الاحتمال وتجرع الغيظ فقال : وكذلك كان معاوية لا يسفه وكان الاحنف لا يفتش لكان كلاماً مصروقاً عن جهته ولو قال : كذلك كان حاتم لا يبخل لكان ذلك كلاماً معروفاً ولكان القول قد وقع موقعه وان كان حاتم لا يعرف بقلة الاحتمال وبالتسرع الى المكافأة ولو قال : سألتك فنهتني ، وقد كان الشعبي لا يمنع وكن النخعي لا يقول لا لكان غير محمود في جهة البيان وان كان ممن يعطي ويختار نعم عى لا ولكن لما يكن ذلك هو المشهور من امرهما لم تصرف الامثال اليهما ولم تضرب بها . - «

فأنتم ترون ان كل م الجاحظ في اساليب نقده انما هو اعطاء الكلمة حقها حتى يقع القول موقعه وحتى يكون محموداً في جهة البيان فالجاحظ من هذا السبب من اكبر رجال الفن واذا نظرتم غداً في لغته تبين لكم كيف يعطي الكلام حقوقه . - «

وقدمه مذهبه هذا واعني به ائزال اللفظ في منزله دون شيء من الغلو في استعمال الالفاظ على ائزال المعاني في منازلها دون شيء من المبالغة في تصور هذه المعاني وتخيلها فكأنه يتذم من الغلو في اللفظ فكذلك يتذم من الغلو في المعنى فهو لا يريد من المعاني الا ما كان صادقاً فمن قوله (١) :

« واذا استوحش الانسان مثل له الشيء الصغير في صورة الكبير وارتاب وتفرق ذهنه وانتفضت اخلاطه فبرى ما لا يرى ويسمع ما لا يسمع ويتوهم على الشيء الصغير الحقير انه عظيم جليل ثم جعلوا ما تصور لهم من ذلك شعراً تناشدوه واحاديث توارثوها فازدادوا بذلك ايماناً ونشأ عليه الناشئ وربى به الطفل فصار احدم حين يتوسط الفيافي وتشتمل عليه الفيطان في اللبالي الحنادس فخذاول وحشة اوفزعة وعند صياح يوم ومجاوبة صدى وقد رأى كل باطل وتوهم كل زور وربما كان في الجنس واصل الطبيعة نفاعاً كذاباً وصاحب تشنيع وتهويل فيقول في ذلك من الشعر على حسب هذه الصفة فعند ذلك يقول : رأيت الفيلان وكنت السملاة ثم يتجاوز ذلك الى ان يقول : رافقتها ، ثم يتجاوز ذلك الى ان يقول : تزوجتها ، قال عبيد ابن ايوب :

فله در الغول اي رفيقة لصاحب قفر خائف متنفر

وقال :

أهذا رفيق الغول والذئب والذي يهيم بربات الجمال المواصل

وقال آخر :

اخوف قفرات حالف الجن واتقى من الانس حتى قد تقضت وسائله  
له نسب الأنسى يعرف نجمله وللجن منه خلقه وشمائله

ومما زادهم في هذا الباب وأغراه به ومدته لهم فيه أنهم ليس يلقون بهذه الأشعار وبهذه الأخبار الأعرابياً مثلهم والآخياً لم يأخذ نفسه قط لتمييز ما يوجب التصديق والتصديق والشك ولم يسلك سبيل التوقف والتثبت في هذه الأجناس قط وامان يلقوا راوية شعر او صاحب خبر فالراوية عندهم كلما كان الأعرابي اكذب في شعره كان اطرف عندهم وصارت روايته اغلب ومضاحيك حديثها اكثر فلذلك صار بعضهم يدعي روية الغول او قتلها او امر افتقها او تزويجها وآخر يزعم انه رافق في مغارة نمراً فكان يطاعمه ويواكله . —

ولكن الجاحظ على اهتمامه بالالفاظ وفرط اعتنائه بالصنعة ، وعلى شدة ميله الى السلف الطيب والاعراب الاتحاح الذين لم يجد لهم الفاظاً مسخوطة ولا معاني مدخولة ولا طبعاً ردياً ولا قولاً مستكرهاً ، لم يؤثر المحافظة على اساليب المتقدمين التي تنسأت اليه من عصر الجاهلية والاسلام وانما رأى لكل عصر اطواراً وان الانتقال من طور الى طور انما هو من علامات الحياة . —

اتصل الجاحظ بعصر انقلبت فيه الافكار كل منقلب ، فقد نقلت في ذلك العصر كتب الهند وترجمت حكم اليونانيين وحوادث آداب الفرس فكانت لهذه الافكار المنقولة تأثير في ادب العرب فقد استوجبت هذه الافكار صيغاً حديثة لاعهد للبرية بها فدخل النثر في طور لم يدخله من قبل ، ولم يكن الشعر بمعزل عن آثار الانقلاب فان الشعراء اتصلوا بخلقاء متقابلين في اعطاف الحضارة والنعيم فكان من بدائه الامور ان يكوّن في شعرهم اثر من صور هذه الحياة الحديثة . —

ومن هؤلاء الشعراء الذين ظهرت على شعرهم آثار حديثة تختلف عن الآثار التي كانت



تظهر على الشعر من قبلهم في الجاهلية والاسلام بشار وابونواس والبحري واضرابهم —  
فكما انتقل الجاحظ في النثر من طور الى طور فلجأ الى اساليب تستطيع ان تستوعب  
الآثار المنقولة فكذلك انتقل ذوقه في الشعر من طور الى طور فاختر من هذا الشعر ما ظهرت  
عليه آثار الانقلاب فلم يؤثر المحافظة على الآثار القديمة وإنما تطلب الصور الحديثة دون المبالاة  
بالمصيبة التي تعترض على الذين يفضلون شعراهل البدو —  
فمن الطبيعي بعمد هذا الانقلاب ان يفضل ابانواس او بشاراً من الذين وسّموا آفاق الشعر  
ولم يضيعوا هذه الآفاق —

فاذا تناول مثلاً حماد مجرد لبشار وقال فيه ابياتاً ناضل الجاحظ عن بشار فقال<sup>(١)</sup> :  
« وما ينبغي لبشار ان بناظر حماداً من جهة الشعر وما يتعلق بالشعر لان حماداً في  
الحضيض وبشاراً مع العيوق وليس في الارض مولد قروي بعد شعره في المحدث الا وبشار  
اشعر منه — »

ولا يعرف الجاحظ شاعراً بعد بشار اشعر من ابينواس<sup>(٢)</sup> —

وله آراء كثيرة في ابينواس تتعلق بفصاحة أسلوبه وجودة طبعه —  
منها قوله<sup>(٣)</sup> :

« مارأيت رجلاً اعلم باللغة من ابينواس ولا فصح لهجة مع مجانبة الاستكراه — »  
ومنها قوله بعد ان ذكر رجلاً له<sup>(٤)</sup> :

« وانا كتبت لك رجزه في هذا الباب لانه كان عالماً راوية وكان قد لعب بالكلاب  
زماناً وعرف منها ما لا تعرفه الاعراب وذلك موجود في شعره وصفات الكلاب مستقصاة في  
اراجيزه هذا مع جودة الطبع وجودة السبك والحذق بالصنعة وان تأملت شعره فضلت له الان  
تعترض عليك فيه المصيبة او ترى ان اهل البدو ابدأ اشعر وان المولدين لا يقاربونهم في شيء

[١] الحيوان — الجزء الرابع ص ١٤٥

[٢] = = = ص ١٤٦

[٣] طبقات الانباري — ص ٩٧

[٤] الحيوان — الجزء الثاني ص ١٠

فإن اعترض هذا الباب عليك فأنك لا تبصر الحق من الباطل مادمت مغلوباً — ٠ —  
 ليس معنى هذا كله أن الجاحظ يفضل المولدين من الشعراء على شعراء الجاهلية والاسلام  
 وإنما معناه أن الجاحظ بماشي عصره ٦ فكما ماشى هذا العصر في تجديد النثر بسبب جدة  
 الأفكار فكذلك ماشاه في استحسان الشعر المولد. والافان الجاحظ ما كان يتأخر من  
 ضرب الامثال بامرئ القيس بن حجر والنابغة الذبياني وزهير بن ابي سلمى ثم يجري والاختل  
 والفرزدق<sup>(١)</sup> —

دمشق : في ٢٣ كانون الثاني سنة ١٩٣٢

— «\*6:9\*» —

# كتاب التكملة والصلة والذيل

للقاموس

— (١٠) —

في خزانة القرويين عمرها الله بفاس ذات النفائس والمخطوطات النادرة المؤسسة في  
الدولة المرينية دولة العرفان والعلم على يد نابغة ملوكها العظام أبي عنان المريني سنة ٧٥٠ هـ  
— توجد نسخة من الكتاب ذي الاسم اعلاه بخط مؤلفه أبي الفيض محمد مرتضى الحديفي  
الزبيدي ثم المصري المتوفى بها سنة خمس ومائتين والفر وهي مبيضة وعليها طرره في مجلدين  
ضخمين يشتمل الاول منهما على ٤٢٦ ورثة والاخير على ٢٤٧ ورقة طول كل ورقة ٢٢ سنتيما  
في عرض ١٨ تحت عدد ورقه ح ٨٠ — ١٣٦ .

فالجزء الاول يضم بين دفتيه من باب حرف الهزة الى آخر حرف الراء . والثاني يضم  
حرف الهاء والراء والياء فقط مكتوبان بكاف عذبه تلاش . وفي اول الجزء الاول بتر حيث  
لا توجد به خطبة الكتاب ولا توجد به فصول الالف والباء والتاء والجيم والحاء من باب  
الهزة ويوجد بكل من الجزءين تمزيق يسير وخرق السوس والتنقيح . نعم يمكن الاستفادة  
منه الا يسيراً مع مشقة .

سطور كل صفحة من ١٦ الى ١٨ الى ٢١ على غير نظام اذ كانت مؤلفه يزيد ما ظر له  
احاقته ولم يتقيد بمسطرة خاصة وربما كل بالطرة .

ويوجد فراغ بين المجلد الاول والاخير وهو الحروف الساقطة بين حرفي الراء والهاء  
فاما ان يكون هناك مجلد تام قد ضاع او مجلدان وهذا بعيد اذ لم يكن بين فراغ المؤلف  
من تبويض المجلد الاول والاخير الا نحو سبعة اشهر هي التي يبض فيها الجزء الاخير . ويمكن  
ان يبض ذلك قبل او بعد ان وجد . نعم قد يكون يبض في الزمن المذكور جزء آخر ثالثاً

او جزءين ولكن من باب خرق العادة وطى الزمن ودونك تاريخ الجزءين مدققاً باليوم والساعة :

يوجد في آخر المجلد الاول مانصه بالحرف الواحد : تم حرف الراء والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وكن الفراغ من ذلك في الثالثة من ليلة الاربعاء لست بقين من شوال من شهر سنة احدى بعد المائتين والالف على يد مسوده العبد الفقير ابي الفيض محمد مرتضى الحسيني غفر الله له بمنه وكرمه آمين .

ويوجد في آخر المجلد الاخير مانصه : وهذا آخر الكتاب الذي سميته التكملة والصلة والذي لمفات صاحب القاموس من اللغة مما ملأه الحفظ واوله الخاطر من ذكر اللغات التي وصلت اليها وغرائب الالفاظ التي ائثالت الي وهذا بعد ان عاتني كبره واحطت بما جمع من كتب اللغة خبراً وخبرة . ولم آل جهداً في التقرير والتحري والتحقق وايراد ما هو حقيق واطراح ما لا تدعو الضرورة الي ذكره حذراً من اضجار مسائله وتخفيفاً على قارئه وان كان ما من الله به من التوسعة ومنحه من الاقتدار على البسط وزيادة الشواهد من فصيح الاشعار وشوارد الالفاظ الي غير ذلك مما اعجز عن اداء شكره . ليكون للبدأدين معيناً ولم على معرفة غوامض لغات الكلام الالهي واللفظ النبوي معنا . وقد اعفيت من الحشو وبينت له واب فيه بقدره معرفتي ونقته من التصحيف والمغير [كذا] والخطأ المستفحش والتفسير المزداد . الي آخر ما اطال به في مدح الكتاب . ثم قال وقد نبت فيه على مواضع واتع للمنف فيها خطأً اما سهواً او هو من تغيير النساخ مع اني لا آمن ان اقع فيما وقع فيه والله المستعان .

ثم ذكر الكتاب التي منها أخذ وعليها اعتمد قال وان كان يسبق في الخطبة الحو القفيا على اصل الشرح ولكن اذ كررنا المشاهير منها واقترع على بعضها دون كلها : فن كتب اللغة التي هي بمنزلة الاصول الجهرة لابن دريد والصحاح للجوهري والتهذيب للازهري والحكم لابن سيده والعياب للصفاني والتكملة على الصحاح له ايضاً . فهذه الستة هي كالاصول في علم اللغة وتهذيب التهذيب للارموي . وما عرفت له لابن بري فبواسطة هذا الكتاب ثم ذكر كتباً اخرى في اللغة والانساب وفي الرجال والصحابة واسماء البلدان الي غير ذلك من غرائب الكتب المولفة في انواع من اللغة ككتاب السرج والهجاء لابن دريد

وكتاب ايمان العرب له وكتاب<sup>(١)</sup> غريب الحمام المفدى وعدد كتباً اخرى الي ان قال :  
ومن الله ارجو حسن الثواب وبرحمته اعتصم من هول يوم المآب وصلى الله على سيدنا محمد وآله  
وصحبه وسلم تسليماً كثيراً كثيراً ابداً والحمد لله رب العالمين . انتهى ذلك في الثالثة من شهر الجمعة  
المباركة الثاني والعشرين من جمادى خمسة (كذا) سنة ١٢٠٣ احسن الله ختامها . وكتب  
ابوالفيض محمد مرتضى الحسيني غفر الله ذنوبه وستر عيوبه بمنه وكرمه حامداً لله تعالى  
ومصلحها . واني لأعجب من الجريقي مؤرخ مصر حيث ترجم لمرتضى المذكور وعدد  
تواليه وهمل ذكر تكملة القاموس المذكورة على اهميتها مع كونه تليده لكنه هو نفسه  
معترف بانه لم يستوعب كل تواليه ذكراً .

وهاكم نموذجاً من الكتاب :

في اول ورقة من الجزء الاول المبتور هذه العبارة : (جياً الجراد) هجم على البلد وكل  
طالع نجاة جانيه و (جياً جيوء) خنس و (الجباثة) المرأة تنبوعها العيون هذا ما يوجد اول  
الجزء الاول .

وفي الورقة ٣ من الجزء الاول ايضاً : فصل الحاء مع الهزة (الشيبة) كهمزة المرأة  
تطلع ثم تحتي قال الزبيران بن بدر : ان ابض كثنائي الي الخبأة الطلعة ويروي الطلعة  
القباء (كذا) وخبأ الشيء حفظه كخبأه وخبأه بالكسر لغة في الخبء بالفتح لما خبي وغاب  
وخبأيا الارض ما يخبؤه الزراع من البذر او ما خبأه الله من معادن الارض جمع خبيثة .  
وقال في فصل الميم مع الهزة :

المروءة ذكرها المصنف ولم يضبطها ولم يحدها وهي بضم الميم والراء ممدودة وقد تشدد وللعامة  
في النطق بها اختلاف فمنهم من يقول مروءة بالفتح ومنهم من يقول بالتشديد مع فتح الميم  
ومنهم من يقول بضم الميم وفتح الراء مع التشديد وكل ذلك خطأ واما حدها فاختلاف فيه ففي  
العباب هي الانسانية وكمال الرجولية انتهى . وسئل عنها الاحنف فقال هي العفة والحرفة  
وقال غيره هي ان لا تفعل في السر امراً وانت تستحي ان تفعله جهراً الي ان قال وقيل هي السمات  
الحسن وحفظ اللسان وتجنب الجون . وقرأ صار ذا مروءة الي ان قال ويقال في تصغير الراء

(١) [المجمع] قوله (كتاب غريب الحمام المفدى) في مقدمة التاج [كتاب الحمام

والهدى] .

والمرأة مرءي (كذا) ومرئية (كذا) . ويقال في امرأة امرأة غير مسموز بعد الرا عن ابن عديس في الباهر ونقله اللبلي<sup>(١)</sup> في شرح الفصيح ومرأ كمنع اطعم على بناء دار او تزويج الخ اه . وكل ما تقدم نقله يمكن ان يستغنى عنه بماله في الشرح .

وقال في فصل الرا مع الخاء :

الزرخ امم له صاحب القاموس وقال الصغاني هو الزج بالرحم والمزرخة بالكسر ما يزخ به والمصنف اورده بتقديم الرا فوم . ما صبت منه زرينغة بالكسر اي شيئاً .

وقال ايضاً في فصل الشين مع الخاء .

الشخاخ كفراب البول نفسه والمشخة موضعه ورجل شخاخ كثيره وهي بياض . وكسحابة بالشين<sup>(٢)</sup> منها عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الشخاخي . روى عن البخاري مات بالشاش سنة ٣٢٣ الخ .

وقال في فصل اللام والحاء المهمله :

اسلنطح الشيء طال وعرض والرجل انبسط ووقع على ظهره . وانا مسلطح واسع عريض .

وما في هذه المواد الثلاث الاخيرة زائد على ماله في الشرح وعلى اقرب الموارد ايضاً بل صاحب اقرب الموارد وقع في الوم الذي وقع فيه صاحب القاموس في زرخ . فيظهر ان الكتاب ضروري لعشاق اللغة العربية ومن يريد التوسع فيها . ولقد ظفرت بنسخة أخرى عند بعض علماء فاس لجملة مشتملة على افتتاحية الكتاب يمكن منها جبر الكسر او بعضه وبالله الاستعانة .

محمد الحجوي الرباط (مراكش)

— (\*\*:\*\*) —

(١) [المجمع] لعل صوابه اللبلي كما يفهم من كشف الظنون .

(٢) [المجمع] في معجم البلدان قرية من قرى الشاش ينسب اليها ابو محمد عبد الرحمن بن

محمد بن عبد الخالق البخاري الشخاخي فصوابه بالشاش .

## « سيرة » الامام محمد بن اسحاق المطلي

« المتوفى سنة ١٥١ »

من جملة نفائس المكتبة القروية الفاسية مجلد مخطوط اثر نفيس حوى الاجزاء ٣ و ٣ و ٤  
 و ٥ من السيرة اعلاه تجزئة عشرين ولقد قابلتها بسيرة ابن هشام المختصرة منها فاذا الفرق  
 بينها زيادات في الاولى لا توجد في الثانية كما ان في الثانية زيادات لابن هشام معروفة وعلى كل  
 جزء من الاجزاء الاربعة خطوط جماعة من علماء المشرق والمغرب واجازات وسماعات عجيبة  
 على نسق ما كان معروفاً عند الحفاظ المتقنين المتصددين للتحريير والاتقان والتثبت في النقل الذي  
 لا وجود له في عصرنا الحاضر .

هذه السيرة هي من رواية الشيخ ابي الحسين احمد بن محمد بن النور البزار عن ابي طاهر  
 المخلص عن رضوان عن احمد بن عبد الجبار العطاردي عن يونس بن بكير عن مؤلفها الامام  
 محمد بن اسحاق المطلي رضي الله عنهم .

وهذا المجلد الشاهد العدل الذي لا يقبل الطعن — سهم مصيب في نحر الجعود بين الذين  
 يزعمون ان لا وجود للسيرة الاسحاقية ويتمون ابن هشام كما اتهموا رواة الشعر الجاهلي  
 وكما يتمون ابصارهم في شمس الظهيرة .

محمد الحجوي

الاستاذ السيد زكي مغامر (١)



(١) عضو المجمع العلمي والمتوفى في هذه السنة .



وُلد السيد زكي مغاخر في حلب سنة ١٨٧١ م وكان جده غنياً فاعتنى بتربيته وادخله مدرسة الفرنسيين وكان وبعد قليل مات جده فسافر الى العمق وبقي فيه مع والده نحو خمس سنوات اقتبس في خلالها اللغة التركية من التركمان القاطنين في تلك الجهات ثم عاد الى حلب فدخل المدرسة الرشدية العسكرية ولم يكن قد تعود الدرس فجعل يدرس في الليل والنهار وهو لا يفهم معنى ما يدرس فكان يبكي احياناً وكان عمره يومئذ ثلاث عشرة سنة لكنه لم تمض عليه مدة حتى اصبح الاول في صفه . وبقي يتدرج كذلك محافظاً على الاولوية حتى اخذ الشهادة المدرسية وسافر الى الاستانة ليدخل في المدرسة العسكرية الطبية ولكن افي ناظرها الارمني قبوله تعصباً منه فمال الى الصحافة فعمل محرراً في جريدة (سعادت) اليومية ومن ذلك الحين اخذ اسمه في الاشتهار بين الاتراك ثم ازداد شهرة بين ادبائهم بما كان يكتبه في مجلة (مكتب) وقد عدوه في الطبقة الاولى ثم اُفقت هذه المجلة فاشترك مع سديقه الشاعر (فائق اسمعديك) على نشر مجلة باسم (عندليب - زكي) و (عندليب) بوقوع (فائق اسمعديك) كان يوقع به اشعاره . ثم ان السلطان عبد الحميد نفي (عندليب) الى سيواس فأقفلت المجلة . ثم اخذ (المترجم) يحرر في جريدة (اقدام) لصاحبها احمد جودت بك فبقي عدة سنين ولما انشأ (ظاهر بك) جرائده ومجلاته تقلد المترجم رئاسة تحريرها كلها اكثر من سنة وكان الاحتياج رائده في قبول رئاسة التحرير . وقد غلبت الحرية على لجة جريدة (معلومات) العربية احدى الجرائد التي تولى (المترجم) تحريرها فكانت الصحف العربية والاسلامية المنتشرة في جميع الاقطار تنبسط منها وتحتج بما ينشر فيها . ولما وفد بطريرك الروم الكاثوليك في الشام (بغرس الجريجري) الى الاستانة نوه المترجم به في صحفها بما لم يعتد سماعه في حق بطاركة العرب فلقت ذلك نظر بطريرك اليه واستصعبه معه لينكتب له عرائضه وبذلك تعرف برجال المابين معرفة شخصية وعي اثرها جرى تعيينه عضواً في مجلس بلدية العاصمة واذ ذاك ترك التحرير في الصحف عدا جريدة (اقدام) فبقي يحرر فيها ويرسل الصحف العربية المصرية كالمؤيد واللواء ثم اسس محلاً تجارياً في الاستانة لاخيه السيد جميل مغاخر وكان يساعده فيه كما يقوم بوظائفه الرسمية الاخرى ويقضي الليل في الدرس والتأليف ومكاتبه الصحف . ثم عين مديراً لمجلة البوليس ثم عضواً في دائرة الترجمة والتأليف في نظارة المعارف ثم لما قامت الحكومة

الكألية عهدت اليه وكالة المعارف في انقرة امر تصحيح الكتب التي تطبع في (المطبعة العامة) وهي آخر وظائفه ومنها انتقل الى (التقاعد) .

ومن آثاره ترجمة كتاب (الرق في الاسلام) تأليف احمد شفيق باشا المصري ورسالة عن (بديع الزمان الهمذاني) وكتابا باسماء (مفتاح المكالمة العربية) . وترجم كتاب (التمدن الاسلامي) للرحوم جرجي زيدان وقد نشر تباعاً في جريدة (اقدام) وبذلك اشتهر جرجي زيدان عند الاتراك شهرة واسعة ثم ترجم رواية (ابي مسلم الخراساني) و(عروس فرغانه) و(صلاح الدين الايوبي) و(الاسماعيليين) وكلها لزيدان . كما ترجم كتاب (تجويز المرأة) للرحوم قاسم بك امين وكتب نحو عشرين مقالة عن حياة المثني في جريدة (بيام صباح) وخمس عشرة مقالة عن (ابي العلاء) في جريدة (اجتهاد) وبالجملة فان المترجم كان من اكبر العوامل في نشر آثار العرب وفضائلهم بين ادباء الاتراك المتأخرين .

وفي سنة ١٩٢٠ طلب اليه بعض الوراقين ان يترجم له القرآن الكريم من العربية الى التركية ففضى سنتين ونصفاً من حياته الادبية في ترجمة هذا الكتاب ترجمة خالية من الاغلاط ولكن بعد اتمام الترجمة قام جماعة من الحاسدين المتعصبين وطعنوا على الكتيب بخاف هذا على نفسه واخر طبع الكتاب فاستفاد من ذلك صاحب مكتبة (جهان مهران الارمني) وعهد بترجمة القرآن من الفرنسية الى احد الاتراك لجماعت ترجمة مشوهة وسارع لطبعها فتهافت الناس عليها واشتروها وكان لها اسوأ تأثير عند العلماء المدققين . ولكن الطابع استفاد من عمله فطبع الكتاب مرتين حتى علم الناس انها ترجمة غير صحيحة فنبذوها وكانت السبب اكساد التراجم التي نشرت بعده . اما ترجمة (المترجم) للقرآن الكريم فقد نشرها الكتيب خفية بعد زمان متأخر بعنوان (ترجمة قرآن كريم) ونسبها الى هياة علمية وان (اسماعيل حقي) هو الذي صححها . ولم يفز الوراق بما كان يرغب فيه لان الناس ابتعدوا عن اشتراء التراجم ونفروا منها . ويوجد من ترجمة المترجم نسخة في دار الهممع العلمي العربي ونسخ عديدة اخرى في تركيا ومصر . ثم حولت الاحرف العربية الى حروف لاتينية فقامت جميع الكتب التي انتشرت بالحورف العربية .

وبينما كانت (الترجم) يرأسل جريدة اللواء المصرية جاء الاستاذ الكاتب الفرنسي (بنيرلوتي) ومعه كتاب توصية الى المترجم من مصطفى كمال صاحب اللواء فأصبح صديقاً حميماً له وكان المترجم يتلقى عنه الافرنسية وهو يتلقى التركية عن المترجم الذي كتب مقالات عديدة عن هذا الكاتب الكبير في اقدم وثر وثقون . وفي خزانه المترجم جميع مؤلفات هذا الكاتب العظيم وكلها مهداة اليه بخطه فضلاً عن المراسلات الكثيرة التي دارت بينهما وربما نشر منها شيء في الصحف .

# آراء وافكار

—(٥)—

## النثر الجاهلي

بعد ان سكنت الضوضاء التي أحدثتها الاستاذ طه حسين حول (الشعر الجاهلي) منذ بضع سنين قامت اليوم ضجة أخرى حول (النثر الجاهلي) أحدثها تلميذه الدكتور ذكي مبارك فقد نشر في جريدة (البلاغ المصرية) منذ حين مقالات بعنوان (النثر الجاهلي) و (نشأة النثر الفني) حرك بها من اقلام كبار كتاب الادب في مصر فانبثروا لتأييده في بعض مآذبه اليه ومعارضته في بعضه . وقد احببنا ان ننشر خلاصة من هذا الموضوع الجم الفائدة .  
الطريف الاثر في آدابنا العربية :

افتتح الدكتور مبارك مقاله الاول بهذا السؤال :

[ هل كان للعرب ثر فني في عصور الجاهلية ؟ وهل كانوا يفصحون عن أغراضهم بغير الشعر والخطب والامثال ؟ ]

واجاب على ذلك مخطئاً اولاً من قال ان العرب قبل الاسلام لم يكن لهم وجود ادبي ولا سياسي . وقائل هذا القول اما سلم يرى ان الاسلام هو الذي خلق العرب ونقلهم من الظلمات الى النور . اموأرخ يشك في ما اثر عن العرب من الآثار الادبية . ومنهم من غلا فزعم ان عرب الجاهلية كانوا يعيشون عيشة اولية وهذه الحالة لا تسمع لهم بتولد النثر الفني فيهم . وصاحب هذا الرأي هو الموسيو (مرسيه) وشايبه عليه الدكتور طه حسين . ويراد بالنثر الفني ما يلجأ اليه الرجل لاداعة فكرة او دفع شبهة او ايضاح مشكلة . واستبعد الدكتور مبارك ان يكون للام التي تجاوز العرب كالفرس واليونان وغيرهم ثر فني قبل الميلاد باكثر من خمسة قرون ثم لا يكون للعرب ثر مثله بعد الميلاد بخمسة قرون .

قال والدليل على خطأهم في ذلك ان القرآن أشار الى انه كانت لدى العرب كتب تدرس وكتابة تمارس بدليل آية [وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا يخطه يمينك] فالنثر الفني كان موجوداً وكان يُكتب ويتداول . وعدم وصوله الينا لا يقتضي عدم وجوده . فهو قد ضاع لاسباب : اهمها شيوع الامية وقلة التدوين في الجاهلية وبعد ثرم عن الحياة الاسلامية التي حدثت بنزول القرآن .

وبعد ان اثبت الدكتور مبارك وجود النثر الجاهلي على هذه الصورة عاد يبحث عن طريق يثبت به كيف كان ثرم الفني ؟ وما هو أسلوبه ؟ وما هي الاتجاهات العقلية التي كان يرمي اليها كاتبو ذلك النثر في ذلك العصر ؟

فذهب الى ان النصوص المروية كأشجاع الكهات وعظائم الخطباء وخطب الوفود لا تكفي لتعيين اساليب النثر الجاهلي وهي على اثباتها مما وضع في العصر الأموي لاغراض دينية او سياسية او قومية أي بيان فضل العرب . وبعد ان افاض في اثبات رأيه هذا قال : والنتيجة اننا لانستطيع ان نعطي النثر الفني الجاهلي لونا نطمئن اليه مادامنا لم نتطرق بنصوص صحيحة منه اماماروي من تلك النصوص فهو منحول مخلق . وهذا الشعر الجاهلي ارتابوا في صحته اكثره مع ان الشعر يسهل حفظه ويعنى بروايته فكيف بالنثر وهو ليس بهذه المثابة . فاذا لم تكن النصوص المروية كافية في تعيين أسلوب النثر الفني فما هو الشيء الذي يثبت لنا ذلك ؟

اجاب الدكتور مبارك بانه القرآن . وبدعي ان رأيه هذا فيه مفاجأة حادة يصعب التسليم بها على كثير من الباحثين المسلمين ولذا تغير اتجاه هذا البحث الى المتزح الذي بعد ان كان ادبياً محضاً . فرد على الكاتب طائفة من انبل كتاب مصر امثال الاساتذة محمد عبد المطلب [رحمه الله] ومحمد لطفي جمعة وفريد وجدي . ولا يخفى ان القرآن في اعتقاد المسلمين وحيي آهي فكيف يقول الدكتور انه نثر جاهلي .

وقد اجاب على هذا بان اقتضاه القرآن نموذجاً للنثر الجاهلي لا يلزم منه الفني ان يكون القرآن وحيياً آهياً كما لا يلزم منه ان لا يكون كذلك . وكل ما يريد اثباته هو ان أسلوب النثر الفني الجاهلي ان فقدنا نصوصه الاصلية الجاهلية فاننا نراه مصوراً أو مثلاً على آيات القرآن التي ضربت على غرار ذلك النثر وهي تعطينا صورة صحيحة عنه . لانها انزلت لهداية اولئك

الجاهليين وارشادهم . ولا يمكن ذلك الا بمخاطبتهم بما يفهمون من الكلام والاساليب . وقد صرح القرآن نفسه بان الرسول لا يرسل الا بلسان قومه ليبين لهم . ولا معنى لهذا الا ان القرآن مفرغ في اساليب العرب النثرية الفنية حتى يتيسر فهمها فيسترشدوا بها . وكان الله كتور يقول هذا كل ما أريده من قولني ان القرآن نموذج للنثر الفني الجاهلي . أما كونه كلام الله لا كلام البشر او بالمعكس فليس من مباحث الادب التي نحن في صددها . وقد تهكم الله كتور باستاذة [طه حسين] الذي قال ان القرآن [لا هو شعر ولا هو نثر وانما هو قرآن] . ثم ختم مقالة بقوله [والخلاصة ان القرآن نثر وانه دليل على ان العرب كان عندهم نثر فني قبل الاسلام . فكان لهم بذلك وجود ادبي متين قبل ان يتصلوا بالفرس واليونان . وفي هذا قضاء على اوهام من زعموا [ ويريد بهم موسيو مرسية وطه حسين ] . ان اول كاتب في اللغة العربية هو ابن المقفع الفارسي الاصل . وان العرب لم يكونوا يعرفون من قبل غير الخطب والاسجاع والامثال .

وبعد ان اثبت الله كتور مبارك انه كان للعرب الجاهليين نثر فني نموذج القرآن بحث في ان [الزخرف] الذي يهتم به علماء البلاغة هل اتصل بذلك النثر بمقتضى طبيعة اللغة العربية ام وصل اليها من الخارج حين اتصل العرب بالفرس واليونان ؟

يرى الموسيو [مرسية] ان [الزخرف] اتصل باللغة العربية عن طريق الفرس وقال [طه حسين] انه جاءها عن طريق اليونان . وهذه الفكرة ترجع الى [رينان] القائل بان المدينة العربية غريبة عن العرب .

والدكتور مبارك لا ينكر ان كل أمة [ومنها العرب] تتأثر بمحاورة أم أخرى لكنه مع هذا يرى ان [الزخرف] عنصر اصيل في اللغة العربية . وشاهده على ذلك القرآن ايضاً فهو منمم بالزخرف والصنعة المحكمة التي تدل على ان المخاطبين بها وهم العرب يعرفون ماهي الكتابة الجيدة وما هو الأسلوب الجذاب . ثم اشار الله كتور الى ان البحث عن زخرف القرآن من اي جهة اتصل به هو بحث خطر : لان الرأي العام الاسلامي لا يسمح بدراسة القرآن درساً تحليلياً يبين ماهيه من العناصر العربية الاصيلة والعناصر الدخيلة . ومع هذا فمعرفة الصفات الاصيلة في النثر العربي ومحاكاة القرآن لا يتيسر لنا ما لم يصل اليها مجموعة نصوص صحيحة من النثر الفني الجاهلي تمثل لنا من ماضيه قرنين على الاقل . ومن اين لنا تلك المجموعة وليس في يدينا

الأقليل من النثر المنسوب الى القرن الذي يباشر ظهور الاسلام ومثله لا يمكن الركون اليه في معرفة طبيعة لغة من اللغات . فلم يبق لدينا الا القرآن وهو اثر عربي صرف لان الرسول الذي تلقاه عربي نشأ في بيئة عربية وبلغه بلسان عربي . اما اثر القرآن بأداب اجنبية فاحتمال محض وهو لا يفي من اليقين شيئاً فالزخرف الفني في القرآن تابع اصيل فيه فيكون طابعاً اصيلاً في لغة الجاهليين الذين خطوبوا به وفهموه حق فهمه . واتصال العرب بالفرس قد يحدث تطوراً في هذا الزخرف لكنه ليس العلة الاولى فيه كما ظنه بعض المستشرقين . وهذا الزخرف او الخواص الفنية الموجودة في القرآن ووجدت في النصوص التي عاصرتة كالأحداث النبوية وخطب الخلفاء والقواد الذين جاؤا بعده بقليل فتم لنا بهذا ان لغة الجاهليين كان لها ثرفني وان لذلك النثر الفني زخرفاً وصنعة أصيلة فيه كانت تزين نصوصه الكثيرة المفقودة والتي حاكها القرآن ووصفها لنا ابلغ وصف .

ولم يكشف الدكتور مجامر من امر [الزخرف] بل تعداه الى العلوم العربية كالنحو والبلاغة والعروض والبديع فذهب الى انها اصيلة في لغة العرب بدليل وجودها في القرآن ولم يتحدث في القرن الاول والثاني كما ظنه مؤرخو الآداب العربية . اذ لا يعقل ان يظهر كتاب كالقرآن بين قوم لم يفكروا في الفصاحة والعروض والنقد وطرائق التعبير فالقرآن ظهر في لغة تجاوزت طور الطفولة . واربابها المتكلمون بها لم يكونوا من الأمية بحيث وصفوا بل هم مستعدون — بثقافتهم الادبية — لفهم ما فيه من قواعد البلاغة واساليب البيان قال : بل أنا اذهب ابعد من ذلك فأقرر ان الاسلام كان تاجاً لنهضة علمية وادبية وسياسية واخلاقية واجتماعية في الحدود التي كان يستطعها العرب .

فالاسلام لا يتصور ان يكون نقل العرب من ظلمات الى نور بل من نور الى نور اتم لكن نورهم الاول لم تصل اليها صورته المختلفة . لاقى الاسلام من المعارضة آلاف المصاعب أفيمكن الاقتناع بانه لم يُقل في معامع تلك المعارضة سوى ما نقل اليها من الخطب والرسائل ؟ اين السنة اليهود العرب والأشراف من قريش ؟ واين ما قاله الصحابة في الرد على خصومهم ؟ وكل ما نقل اليها لا يصف حياة العرب العقلية فلا بد أن يكون هناك آثار ونصوص اندثرت ولوبقيت لفقتها اسراراً حجة من حياة العرب العقلية وثقافتهم الادبية ومبلغ [الزخرف] الذي كانوا يذنبون به لغتهم .

ثم اشار الدكتور الي ان ضياع آثار الجاهلية كان بالاسلام . وضياع آثار الاسلام كان بحروب الردة حتى كاد القرآن نفسه يتلاشى لولا ما فعله ابو بكر من جمعه وتدوينه فلعب الجاهلية علوم ادبية كانوا يهذقونها قبل ان اتصلوا بالفرس والروم في العهد العباسي: فاذا استكثر المستشرقون ومن لف لفهم من أدبائنا — على ابي الاسود الدثلي ان يكون هو اول من فكر في وضع علم النحو فانا استقل ان يكون هو المفكر الاول . بل اول من فكرم عرب الجاهلية الذين عرفوا النحو وغيره من العلوم الادبية . وما قبلته أتحمّل تبعته والدفاع عنه وارجوان يكون له اثر في فهم البيئة القديمة التي نزل فيها القرآن والتي سموها خطأ عصر الجهل وهي في رأيي عصر معرفة ونور .

ثم استشهد الدكتور بكلام لابن فارس يتنسم منه انه كانت للعرب معرفة بالنحو والعروض واصول اللغة وقواعد الكتابة . وهو على الجملة يرى ان العلوم العربية كانت معروفة قبل الاسلام . وما حققه الدكتور مبارك قبل الاسلام . وما حققه الدكتور مبارك في مقالته هذين يمكن تلخيصه هكذا :

- [١] كان لعرب الجاهلية ثر في .
- [٢] زخرف الفن الذي كان في ثرم اصيل فيه لادخيل .
- [٣] آثار النثر الجاهلي ونصوصه لم يصل اليها الا النثر القليل المشكوك في صحته .
- [٤] القرآن هو وحده الاثر العربي الموثوق به الذي صور لنا النثر الفني الجاهلي .
- [٥] القرآن كما صور لنا نثر الجاهلية دلنا على انه كان لم حياة عقلية وعلوما لغوية .



## مطبوعات حديثة

==()=

### ترجمة القرآن الى الفرنسية

« بقلم المحامي احمد لايمش Ahmd Laïmèche وابن داود B. Ben Daoud »

« طبع بمطبعة : هنتز إخوان - وهران - في ٣٤٦ ص من »

« القطع الوسط »

لأدري ما الفائدة من ترجمة القرآن ؟ -

أفلا ترى ان لغة القرآن تشمل على اسرار لا يعرفها الا الراسخون في هذه اللغة فكثير من اساليبه لم يجز على الحقيقة وانما المراد به الخجاز وصور الخجاز تختلف في الامم فالترجمون انما يترجمون ظواهر الكلام ويففلون عن بواطنه فما هو اثر ترجمتهم . -

خذ مثلاً من الامثال ، خذ هذه الآية : « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم

غشاوة ولم عذاب عظيم . - »

فقد ترجم المؤلفان ظاهر هذا الكلام وانما ائمة المفسرين ذهبوا غير هذا المذهب فالبيضاوي

يقول في تفسير هذه الآية :

« ولا ختم ولا تفتيشة على الحقيقة وانما المراد بها ان يحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم على

استحباب الكفر والمعاصي واستقباح الايمان والطاعات بسبب غيهم وانما كهم في التقليد

واعراضهم عن النظر الصحيح فتجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق واسماعهم تعاف استماعه

فتصير كأنها مستوثق منها بالختم الى آخر ما جاء في هذا التفسير الى ان قال : وسماء على

الاستعارة ختماً وتفتيشية . . . »

فكيف يعرف الانجليزي الذي يقرأ ترجمة الآية ان في هذا الكلام استعارة وان

العلم والتفنية لم يكن على الحقيقة ، واذا غاب عنه هذا الامر فكيف يدرك اسرار القرآن ،  
واذا هو لم يدرك اسرار القرآن فلست ادري كيف يكون نظره الى الآيات وكيف تكون  
قيمتها في نفسه . —

ثم ان المسلمين غرق شقي منهم من ينظر الى ظواهر الآيات ومنهم من يتغلغل في بواطنها ،  
انظر مثلاً الى صورة التين : والتين والزيتون وطور سينين ، فقد ترجم المؤلفان هذا الكلام  
على ظواهره وانما المفسرون ذهبوا مذاهب في تفسير هذا القسم فمنهم من زعم ان التين دمشق  
والزيتون فلسطين ومنهم من يقول وماتعرف دمشق الأبدمشق ولا فلسطين الابفلسطين وان  
كنا وانما وقفنا من ذكر التين على مقدار طعمه وانه نافع وانه غذاء قوي فقد اسأنا غلباً بالقرآن  
وجهلنا فضل التأويل . —

فكيف يعرف الافرنجي هذه الامور كلها وانما يحمل القسم على ظواهر الكلام ولا  
يحيط ببواطنه فتعنى عليه اسرار القرآن . —

ثم ان لكل لغة نغمات خاصة تعمل عملها في القلوب خذ سورة من السور ، خذ سورة  
الزوال :

« اذا زلزلت الارض زلزالها . وأخرجت الارض انقالها . وقال الانسان مالها ! .. »  
أفلا تجد ان الزلزال انما هو امر عظيم وان هذا الامر العظيم انما يستلزم الفاظاً تدل على  
العظمة وان كلمة الزلزال وحدها فيها نعمة خاصة توحى اليك هذه العظمة ، وان هذا كله انما  
هو من عبقرية اللغة فكيف تستطيع ان تنقل هذه العبقرية من لغة الى لغة من دون ان تضع  
نغماتها واسرارها . —

شفيق جبري

## في دولة الادب والبيان

[ عمر ابوالنصر ]

« ٢٢٣ صفحة من القطع الوسط طبع بمطبعة روضة الفنون »

« سنة ١٩٣٢ في بيروت »

— (١) —

مقالات في موضوعات شتى ، في الادب والنقد وفي تصوير طائفة من رجال الحكومة في لبنان ، هجم فيها الكاتب على خصم من المذاهب بشيء من الجرأة فبقي - في اكثر هجماته على الساحل خوفاً من الفرق - .

صاحب هذه المقالات من المفتونين بكلمات التضريح والتعفير والتحطيم فلست تجد في خطرات نقده الا الفاظ الهدم والنقض واشباهاها . -

مرة تحدثه نفسه بهدم اللغة فليس بضير اللغة في مزعمه ان يخطي احدنا في فتح الحياء وضم التاء وليس يسوء القواعد في مذهبه ان تبدل بعض الحركات الصرفية فهو يرى ان هذه المباحث انما هي قشور في الادب لكنه بعد هذه الثورة العارضة لا يلدث ان يهدأ فيرجع اليه فكره فيستنهض الناس للحفاظ على اللغة فحرام عليهم في رأيه ان ينتهكوا حرمتها . -

ومرة يهجم في صدره ان يحطم الادباء كلهم فليس في الادب العربي في سورية على حسب دعواه ميزة ، وليس فيه لون جديد من الروايات الحياة فادبنا ضيق النواحي مضطرب النسيج ضعيف المادة فلا ينعم بالخلود اديب من ادباء العصر في باقيات الايام .

غير انه بعد هذه الهواجس يحاسب نفسه فيلهمه الله الصواب فيقول :

« اهدم ماشئت من رأي ثم اقمنا بما عندك من رأي ومذهب ، هذا النقد الحق » .

فاذا خرج القاري من قراءة هذه المحجسات والخطرات بشيء فلا يخرج باحسن من

هذا القول . -

شفيق جبيري

الكتاب السنوي

« للمجمع المصري للثقافة العلمية »

عدد صفحاته ٢٣٢ صفحة بتخللها رسوم وتماوير فنية واحصائيات وبيانات

المجمع المصري للثقافة العلمية مجمع علمي يضم اليه عدداً من خيرة علماء مصر وقد خدم منذ ألف الى اليوم اللغة العربية والعلوم المصرية خدمة جلى بنشر الكتب والقراء المحاضرات ونشرها مطبوعة .

وان في عداد المواد التي يتألف منها دستور هذا المجمع مؤتمر أعاماً يقيم في اوائل كل عام تلتق فيه محاضرات قيمة تنشر في كتاب سنوي . وهذا الذي نحن بصدد كتاب مؤتمره الذي التأم من ٢١ الى ٢٧ مارس (آذار) سنة ١٩٣٠ يجوي احدي عشرة محاضرة في اهم الموضوعات العلمية والمدراية والتاريخية والطبية والصحية القساها اقطاب يستنار بشها ع عليهم ، م الحكيم علي بك ابراهيم رئيس المجمع ، والاستاذ فؤاد معروف ، والاستاذ اسماعيل مظهر ، والحكيم علي مصطفى شرفه ، والحكيم جورجى صبحي ، والحكيم حسن صادق ، والحكيم اندراوس شخاشيري ، والاستاذ سلامة موسى ، والحكيم محمد شرف ، والحكيم محمد رضا مدير ، والحكيم علي حسن . وبذكر اسماء هؤلاء الاعلام كفاية عن تقر يظ محاضراتهم كل واحدة بمفردها فبكل واحدة منها غنى عن مطالعات كثيرة وتنقيب طويل في موضوعها العلمي .

عبد الله رعد

## الكنائس الشرقية البيزنطية

مؤلف هذا الكتاب الاب الياس اندراوس البولسي يأتي في مئتين وخمس وتسعين صفحة بقطع الربع مزبناً برسوم جملة تمثل بيعةً وديرةً وشخصيات بارزة تاريخية وحالية لعلية الرؤساء الدينيين للكنائس التي كتب عنها .

عنى المؤلف بالكنائس الشرقية البيزنطية جماعات المسيحيين المنتمين للطقس البيزنطي سواء كانوا على المذهب الكاثوليكي ام على المذهب الارثوذكسي وتميزاً لم عن الكنائس الغربية المنسبة ذوها للطقس الروماني وهم الذين يستعملون في صلواتهم اللغة اللاتينية ويُعرفون باللاتين . اما الذين عرفهم بالكنائس الشرقية البيزنطية فهم فروع يستعملون اليونانية والسلافية والالمانية والكرجية والعربية حسب الامصار وكلهم طقس واحد . وقد جعل المؤلف هذا الكتاب بمثابة دليل الى معرفة هذه الكنائس لجاء احصاء دقيقاً وقد استند فيه الى مصادر قيمة عددها في خاتمة كتابه .

شمل هذا الاحصاء عدد نفوس كل جماعة من هاته الجماعات مع ذكر مختصر لتاريخها وام بيعة وديرها وبرز رجالها وكيفية ادارتها . وفرق فيه لكل فرع بين اتباع المذهب الكاثوليكي منه واتباع المذهب الارثوذكسي من اجل المقابلة في الارقام وفي طرق الادارة متوخياً في ذلك نوعاً من التوطئة وبمباراة أخرى رمى فيه دلوه بين الدلاء الناشدة التفاهم واصلاح ذات البين بين الفئتين الاختين وتوحيدهما .

اما لغة هذا الكتاب فغربية صحيحة لا بأس بها ، لانكاف في عبارتها ولاخطاً او غريب في اعرابها وتلك خير طريقة في كتابة الكتب المعدة ان يفهما العالم وغير العالم .  
عبدالله رعد

## شعراء الجزائر في العصر الحاضر

« جزؤه الاول في نحو ٢٠٠ صفحة وقد طبع في المطبعة التونسية »

[ سنة ١٩٢٦ ]

كنت وأنا انصفح تراجم هؤلاء الشعراء وأقرأ نظمهم وثرنم أشعر بامرئ قد هنأ نفسي مسرة واعتباطاً . الامر الاول وحدة اللغة العربية القصحي بيننا معشر المشاركة وبين اخواننا المغاربة فهم يكتبونها كما نكتبها ويتذوقون بلاغتنا كما نتذوقها وبذلك تتوحد منازعنا ومشاربنا وهذه مزية القرآن وهو العروة الوثقى التي نضم اليها ما نفرق من اطراف الاقطار الاسلامية . والامر الثاني ما نراه من اللهجة الحادة في مخاطبة الطامعين ومقارعة المتغلبين مما يدل على ان اليقظة اصبحت فيهم تامة كما هي في الاقطار المشرقية وانهم اخذوا يفهمون الحياتين الاجتماعية والسياسية ويوفقون بينها وبين ما أمر به القرآن وتتطلبه تعاليم الاسلام . وهؤلاء الشعراء والكتاب في بلاد المغرب كافة بعد ان كانوا يعدون بالأحاد اصبحوا يعدون بالعشرات بل والمئات . والكتاب يتضمن ترجمة نحو (١٢) شاعراً واديباً وقد زين برسومهم وادرج الكثير الطيب من اشعارهم وطلق عليها ناشرة الفاضل السيد [محمد الهادي الزاهري] تعاليق لغوية توضح المبهم وتزيل الغموض الخفي المشكل .

« المغربي »

## الاسلام في حاجة الى دعاية وتبشير

لا نرى إلحاح المبشرين في تبشيرم الاسباب في نهضة الشعوب الاسلامية وانتباهها الى وجوب العمل على إصلاح تقاليدھا وعاداتھا واخلاقھا . وكنا نظن ان شمالي [افريقية] هو أبعدا لافطار عن هذه النهضة او اليقظة — واذا الامر على العكس واذا في تونس والجزائر بل والمغرب الأقصى نهضة وبقظة تحتذي مثال النهضة المصرية وتمشي على اثرها في مقاومة التبشير والمبشرين من ذلك مقالات بقلم الاستاذ محمد السعيد الزاهري الجزائري — كان نشرها اولاً في صحيفة [الفتح] وقد عاد اليوم فجردها في كتيب صغير .

« له »

## تهذيب الاخلاق

« والتعلم الاجتماعي الوطني »

كتاب مدرسي يهذ العنوان ألفه [الخورى انطون يمين] وقد راعى فيه برنامج المعارف اللبنانية وضمنه المساحات الاخلاقية والاجتماعية التي لا يسع الفتيان جهلها ولا طبع نفوسهم بطابعها . فواجبات الانسان ازاء خالقه . وصحة بدنه . وتوفير ماله . وإدارة منزله . وتربية اولاده — ثم موقفه ازاء المدرسة والمجتمع والدولة والوطن وسائر الامر — كل ذلك مما تضمنه الكتاب . واتى عليه مؤلفه ابضاحاً وشرحاً بالاسلوب اللين . والتعبير الهين . مقسماً الى دروس متقاودة . وابحاث متناسقة متناسبة .

« له »

## هدية كتب الى المجمع

- اهدى الى مكتبة مجمعنا السيد محمد بن محمد زبارة الحسيني امير قصر صنعاء اليمن ونزيل القاهرة — طائفة من كتب العلم المفيدة ننشر اسماءها فيما يلي شاكرين له هديته :
- ١- الجوزآن الاول والثاني من تفسير الشوكاني المسمى [الفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير] . والشوكاني اكبر عالم قام في اليمن بل في العالم الاسلامي في القرن الماضي وقد زاحم المجتهدين الاولين في فهم اسرار الدين وبكفي ان نقول هو صاحب (نيل الاوطار) وقد توفي في صنعاء سنة ١٢٥٠ هـ والكتاب طبع في مطبعة السيد مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر .
- ٢- الروض النضير شرح مجموع الفقه الكبير تأليف القاضي الحافظ شرف الدين الحسن بن احمد السياغي الصنعاني المتوفى سنة ١٢٢١ هـ وهو اربعة اجزاء كبار طبعت في مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر .
- ٣- نعمة الروض النضير شرح مجموع الفقه الكبير للسيد الحافظ العباسي بن احمد الصنعاني وهو من المعاصرين الاحياء . والتتمة في مجلد يبلغ نحو ٣٥٠ صفحة .
- ٤- رسالة تتضمن مقاله أجلاء العلماء في الديار المصرية وغيرها في تقريب كتاب (الروض النضير) المذكور .
- ٥- كتاب (تحفة الزاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين) تأليف الامام الشوكاني المذكور وقد طبع في مطبعة السيد مصطفى البابي .
- ٦- تجميع اساليب القرآن على اساليب اليونان تأليف السيد محمد بن ابراهيم الوزير الحسيني الصنعاني مؤلف (اشار الحق على الخلق) المتوفى سنة ٨٤٠ هـ طبع في مطبعة المعاهد بجوار قسم الجمالية بمصر في نحو ٢٠٠ صفحة والكتاب يرمي الى لزوم الاكتفاء بالقرآن عن الفلسفة اليونانية التي اولع بها علماء الاسلام وبعض فرقة كالمعتزلة وغيرهم .
- ٧- البرهان القاطع في اثبات الصانع وجميع ماجات به الشرائع تأليف السيد محمد الوزير المذكور طبع في المطبعة السلفية في نحو ٧٠ صفحة .
- ٨- مجموعة الرسائل اليمنية : خمسة منها في مجلد واحد :



- (١) الرسالة الوازعة للمعتدين عن سب صحابة سيد المرسلين تأليف الامام يحيى بن حمزة الحنفي .
- (٢) العقد الثمين في اثبات وصاية امير المؤمنين تأليف الامام الشوكاني .
- (٣) العصبة عن الضلال : عقيدة السيد الحسن بن احمد الجلال اليمني .
- (٤) فيض الشعاع الكاشف للقناع عن اركان الابتداع تأليف السيد الحسن المذكور .
- (٥) قرة العين في الجمع بين الصلاتين تأليف الفقيه حامد بن حسن شاكر الصنعاني .
- وكل هذه الرسائل طبعت في (ادارة الطباعة المنيرية) لصاحبها محمد منير الدمشقي والرسالة السادسة طبعت على حدة وهي [الوجه الحسن المذهب للحزن لمن طلب السنة ومشى على السنن] تأليف اسحق بن يوسف بن الامام المتوكل على الله اسماعيل المتوفى بصنعاء سنة ١١٧٣ هـ طبعت في مطبعة الجمل ببوار الازهر .
- ٩- بهجة الجمال ومحنة الكمال في المذموم والممدوح من الخصال في الأئمة والعمال تأليف شيخ الاسلام محمد بن يحيى بهران اليمني الصعدي توفي سنة ٩٥٧ هـ طبعت في مطبعة الجمل ايضاً .
- ١٠- نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر<sup>(١)</sup> .
- « المغربي »

— (\*\*\*) —

# الف ليلة وليلة تاريخ حياتها<sup>(١)</sup>

« المحاضرة الاولى »



يخطو الدهر دائباً في وناه و كبرياه وصمت ، فيعفو الاثر . ويفري الحجر . ويبري الحديد ، وتنال يده العابثة كل شيء في حياة المرء بالتغيير والنقص ، الا شيئاً واحداً يلوذ منه بسواد القلب فيستقر في قراره ، ويكن كون السر في دخيلته وإسماره ، أريد به ذكريات الصبي ، واحلام الحدائث ، فهي باقية والجسم يتقونه البرلى ، ثابتة والعيش تزعرعه الاحداث ، ناضرة والمنى يصوتها اليأس ، مشرقة والنفس يغشاها من ألم ظلام وسحب ، فمن منكم يأسادة لا يذكر اول بيت أبصر فيه الوجود ، واول ملعب عرف فيه الرفيق ، واول مكتب رأى فيه المعلم ، واول موعد لاقى فيه الحبيب ؟ ومن منكم لا يذكر ساعات السمرا اللذيذة الهادئة ، في غرفة النوم الوثيرة الدافئة ، حيث كان أطفال الأسرة يتجمعون حول الجدّة الخنون . او الأم الرؤم . او الظئر الحانية ، فينصتون في سكوت وشوق الى مائة صه عليهم من روائع الأسمار . وبدائع الأفاصيص ، وهم من طلاوة الحديث وجاذبية الحادث وبشاشة المحدث في حال لا يصف الشعور بها غير الشاعر ، ثم لا يلبث هذا الرحيق العجيب ان يخذل الاعصاب الطفيلية الرقيقة ، فتغفو تحت جناح الكرى ، وتسمع بقية الحديث الشهي في الحلم !

هذه الافاصيص الشائقة التي كانت لعقولنا الصغيرة سمحرا ، ولعواطفنا المشوبه سكرآ ،

(١) محاضرة للعلامة السيد احمد حسن الزيات عضو المجمع العلمي العربي ألقيت باسمه

في ردهة المحاضرات في ٢٦ شباط سنة ١٩٣٢ .

ولقلوبنا الغضة فتنة ، هي نوع من الاحلام والاماني تراءت في ليل الحياة الطويل ، ثم تجتمعت في ذاكرة الزمن القديم ، وتنقلت من عهد الى عهد ، ومن مهد الى مهد ، ومن بلد الى بلد ، تحمل في طواياها نفحات الحكمة المشرقية العالية ، وعطور الازمن البعيدة السعيدة . فوجودها أثر لوجود الانسان ، لانها ظاهرة طبيعية من ظواهره : كالغناء والشعر والرقص فلا تعرف لها أولية . ولا تحدد في الغالب لظهورها علة . ولكن علماء الاساطير يزعمون أنها نشأت في الهند ، وهاجرت منها الى بلاد الفرس ، ثم رحلت الى بلاد العرب ، ثم استقر بها النوى في أقطار الغرب ، وفي كل مرحلة من هذه المراحل كانت تصطبغ بصبغة البيئة ، وتتأثر بخصائص الجنس ، وتسم بسنن العقيدة .

وأما أبطالها الذين وجدوا على الرغم من قانون الوجود ، ونازعوا أبطال التاريخ ثوب الخلود ، فقد كان لبعضهم ولا شك حظ من الحياة ، وشهرة بلازمة الاسفار وملابسة الغير ، فحدث الناس اولاً بما فعلوا ثم سرّجوا حول أسمائهم وأبناهم الا كاذبب والاعاجيب حتى أصبحوا أعلاماً على شخصيات متميزة في البطولة والحرب والحب والحيلة والكرم : كدعد وليل في الشعر وابي نواس وجمحا في التنادر .

أما أكثر الابطال فن خلق الخيال ، ابتدعهم رموزاً للثل الاعلى ، او القدر العايب او الجد العاثر ، او السلطان الجائر ، او الهوى المتسلط ، او الامل الآسي ، او الحظ السعيد .

وعلى ذكر الطفولة ومناغيات الامومة أراكم ولا ريب تركتموني أنكم وعدتم بالذاكرة الى تلك العهود الحبيبة تخيلون سحرها ، وتستعيدون ذكراها ، وتصيحون الي ذلك الصوت الحنون ، ينبعث خافتاً من أعماق الماضي القريب او البعيد ، مردداً أسماء اولئك الابطال الذين طالما اكتبتم لا كتبناهم ، وتألمتم لمصائبهم ، وشاركتهم بالعطف في نعماء الحب ، وبأساء الحرب ، ولأواء الخطب : من أمثال حسن البصري ، ونور الدين المصري ، والشاطر محمد ، والشاطر حسن ، الى آخر ما سجلته الذاكرة . . .

انا كذلك يا سادتي ذكرت حين كتبت هذه السطور — هاتيك القبور التي ضمت هواي . ورفقة صباي ، ونوعاً من الحنان والاخلاص لم أذق له طعماً منذ غاض في هوة البلى منبهه . . . ثم ذكرت شيئاً آخر : ذكرت مجلي من مجالي الأنس في القاهرة كان جمعة القلوب ،

وألفة النفوس ، واستجيم الخواطر ، فعصفت به روح المدينة الحديثة ، ذلك منظر المحدث  
 او القصاص او المسامر او الشاعر في مقهى الحى وهو في حلقه الشرقية الموقوفة الضافية ، فوق  
 صفته الخشبية البالية العالية ، وقد تجتمع بين يديه ، وعن يمينه ، وعن شماله ، أوزاع العامة ،  
 وشيوخ المحلة يستجمون من كلال العمل اليومي يرشف القهوة العريضة ، وتدخين النرجيلة  
 العجمية ، وتبادل العواطف الاخوية ، ثم الاصفاء المشترك الي (ابى درويش) وهو يقص  
 بصوته العريض المتشد ، وجرسه الهادي المتزن — حروب (عنترة) او وقائع (ابى زيد)  
 او مخاطر (ابن ذي يزن) فينقلهم بقوة تمثيله او يحسن ترتيبه ، على جناح الخيال — الي عصور  
 هؤلاء الابطال ، فيشهدهم مجد البطولة وسلطان الحب وفتك السحر وبطش المردة . ثم يرى  
 الخليل أن فورة الحماسة والشوق قد طفت في النفوس لوقوع البطل في أسر اوشدة ، فيسكت  
 ليجمع النقوط من السمار والنظار . فلا يجده هؤلاء مندوحة عن تعجيله ليجهل هو الي إطلاق  
 البطل من أساره ، وإيقاظ الجمهور من شدة قلقه ومرارة انتظاره . . . .

وفي ليلة من هذه الليالي الساهرة تجدون هذه القهوة ذات الضوء الشاحب ، والسمت  
 العالم ، والمنظر الكئيب — قد خفقت فوقها الرايات ، وأشرفت في جوها الثريات ،  
 وتلاآت في سمائها المصابيح ، وأخذت زخرفها بالسامرين ، وقد جلسوا متقابلين على  
 الدكك العالية يطوف عليهم غلمان باكواب من ذوب السكر المعطر بماه الورد ، وصاحبنا  
 المحدث قد خرج الي القوم يتهادى في عمته المكورة وجبته المعصفرة وقفطانه الانيق الاصفر .  
 وقد تدلت من حزامه الحريري ذلاذل تنوس على بطنه المنتفخ الضخم . فاذا استوى على  
 عرشه الخيود — توهج الفخور من جانب وتضوعت العطور من جانب ثم خشعت الاصوات  
 ورنت اليه العيون وأنشأ يتحدث . فاذا بدا لاحد ان يسأل بعض الجالسين عن سبب هذا  
 المهرجان عجب اولاً من انه لا يعرفه ، ثم أجابه بلهجة الفخور المزهو : هذه ليلة زفاف عجلة  
 الي عنترة . . . فاذا كانت القصة قصة بني هلال — وجدتم هذا الهوى الجميع قد استحال  
 الي عصبية شنيعة . ورأيتم اخوان الامس قد أصبحوا أعداء اليوم : فطائفة تتمصب لبني  
 هلال . وطائفة لتعصب لبني زناتة . وهؤلاء يريدون الشاعر على ان يقص واقعة . واولئك  
 يسألونه ان يقص اخرى ، والشاعر لا يجيب الا من يجوز له العطاء . فاذا رجحت كفة  
 وشالت كفة أخذ يروي من ذاكرته وغيبه — على هوى الفئة الغالبة مالم يسجله تاريخ . ولم

بدونه كتاب . فيزور الغرائب ، ويختلق الوقائع ، ويقمش مآخزنه في حافظته — من مختلف الاسمار ورقائق الاشعار ليحوك منها للبيطل جلةً تميز العجب في قلوب أشياعه ، وتلهب الغيرة في صدور خصومه . فلم ما فتحة أخرى تميل به الى الجهة الثانية ، وإما معركة بين الجزين تكون هي القاضية .

هذا الرجل الذي صورته لك هذه الصورة المتقاربة ، هذا الرجل الذي ينام النهار ويجلس الليل يحدث اربع ساعات متعاقبة ، هذا الرجل الفكاهة اللبقة الحافظ الواعظ — هو الاثر التاريخي والنموذج الحقيقي ، لذلك القصاص البارع الذي خلف لنا كتابنا العالمي الخالد ( الف ليلة وليلة ) .

يرجع تاريخ هذا القصاص بإسادة الى صدر الاسلام ، والفضل في وجوده كان أيضاً للقرآن الكريم . فقد اشتمل كما نعلمون على مجملات من أخبار القرون الخالية والنذر الاولي ، وكان أعلم القوم يومئذ بتفصيلها — من أسلم من أهل الكتاب كقيم الداري ووهب بن منبه . وكعب الاحبار وعبد الله بن سلام : فكان هؤلاء ومن أخذ عنهم يجلسون الى الناس في المساجد ، يفصلون ما في كتاب الله من قصص الانبياء ، ويسرفون في تهويل هذه الانباء ، ابتغاءً للعبرة ، والتأسساً للموعظة ، ووافق هذا الضرب من الوعظ هوى النفوس . فازداد إقبال الناس عليه ، وكثر إفك القصاص فيه ، حتى طردهم امير المؤمنين علي من المساجد ، ما خلا الحسن البصري .

ولكن دهاة السياسة رأوا سلطان هذا الفن على العقول وقوة أثره في توجيه الميول — فالتخذوه لساناً للدعاية وسبيلاً لافتعال الاحاديث . واختلاق الافاصيص في الاغراض الجزئية المختلفة . بدأ بذلك معاوية فولد رجلاً على القصص كان اذا صلى الصبح جلس يذكر الله ورسوله ، ثم دعا الخليفة وحزبه ، ودعا على أهل خصومته وحزبه . وكان هو اذا انتقل من صلاة المغرب جلس الى القاص حتى يفرغ من قصصه ، وكان ولاته وقواده يقدمون القصاص في بعض حروبهم ليقتصوا على المقاومة أخبار الشهداء وما وعدوا به من حسن الجزاء . ففعل ذلك الحجاج في العراق ، وجاراه فيه من حاربهم من زعماء الفرق . فقد ذكر ابن الاثير في حوادث سنة (٧٧) أن عتاب بن ورقاء سار في أصحابه قبيل المعركة يحرضهم على القتال

ويقص عليهم . ثم قال : اين القصص ؟ فلم يجبه احد . فقال : اين من يروي شعر عنترة ؟ فلم يجبه احد .

وسار الشعر والقصص في ركاب السياسة جنباً الى جنب يشبهان علي الناس وجوه الرشد ، ويموتان على العقول صور الباطل ، والقصاص كانوا في ذلك أشد وطأة على الحق : لانهم ينسبون ما يفترون الى التاريخ اوال الدين . فلما هدت نائرة الاحزاب ، وسكنت طائفة الفتن ، ونفخت العقول — عاد القصاص الى المسجد ، فوجد الواعظ قد غلبه على مكانه ، والعالم قد فطن الى كذبه وبهتانه ، والخليفة قد استغنى عنه برواته وندمانه ، فانقلب الى العامة يسامرهم في أملاكهم وأعراسهم بما أثر من ايام العزب ونقل من أساطير العجم ، وروي من أخبار الفتوح .

وانتشر القصاص في العواصم العربية حتى صاروا ظاهرة من ظواهر اجتماعها ، وحاجة من حاجات عامتها ورعاها ، واشتدت هذه الحاجة حين الفجرت الدواهي على العالم الاسلامي في اواخر العصر العباسي وبعده : من عنف المتسلطين من السلاجقة ، وعنفت المتغلبين من المغول ، وعنوت المتعصبين من الفرنك ، فطلبهم العامة تفرجاً للكرب ، وخالصة تشجيعاً على الحرب ، ولكنهم كانوا في مصر ابرع صناعة ، وأتق بضاعة ، وأرفع مكانة ، لان طبيعة اقليمها ، ونظام اجتماعها ، وطباع سكانها كانت تعين على ذلك : فهي قطر زراعي ملموم الرقعة ، متصل العارة ، يجود بالخير الكثير ، على الجهد القليل ، فكان لذلك أهله قليلي الاسفار يؤمنون بكل خبر ، كثيري البطالة يميلون الى اللهو والسمر ، وكانوا لا ينفكون بين يسر متدفق طلق — اذا عم الفيضان ، وعدل السلطان ، واقتصاد الموت وعسر منجمهم كثر — اذا غش الغلاء ، وألح الوباء ، وبغى الحاكم . وعلى الحالين كان السامر او المسامر عنصرين من عناصر الحياة بنضران بهجة العيش في الرخاء ، ويسر يان كربة النفس في الشدة .

وكان اول من تولى القصص الرسمي في مصر سليمان بن عنترة القيبي سنة ٣٨ تولاه مع القضاء ثم أفرد به ، ثم تعاقبت القصص من بعده في مصر على اختلاف بينهم في القدرة والغرض ، فكانوا أصداء للعقيدة ، وأبواقاً للسياسة ، تسمع منهم في كل عهد لهجة ، ولكل دولة سنداً وحجة . وترون ذلك أقوى ظهوراً في عهد الفاطميين . فقد كان ( يعقوب

ابن كاس) وزير المعز يعتمد على المناظرات في نشر فقه الشيعة ، وعلى القصص في جذب القلوب لاهل البيت . وكان مقتل الامام (علي) ومأساة الامام (الحسين) موضوع المنايز والسوامر في شهري رمضان والحرم .

وقيل ان ربيعة حدثت في قصر (العزير بالله) فتناقلتها الافواه ورددتها الاندية فطلب الى شيخ القصاص يومئذ [ يوسف بن اسماعيل<sup>(١)</sup> ] ان يلقي الناس عنها بما هو أروع منها ، فوضع قصة عنتره ونشرها تباعاً في اثنين وسبعين جزءاً سميت بها مجالس القاهرة منذ ذلك الحين الى اليوم وهي الياذة العرب لا ينازعها هذا الشرف الى الآن عمل في آخر .

وفي القرن الرابع للهجرة كانت فورة هذا الفن ونهضته في بغداد والقاهرة . ففي عهدي (المقتدر بالله العباسي) و (العزير بالله الفاطمي) كانت القصاص الحكوميون والشعبيون يفتشون لوضع الاخبار ، ويتنافسون في جمع الاسمار ، من الوراقين والرحالين والعامه .

ولكن القصاص في العراق كان من عمل الكتاب ، بصورون فيه أنبل عواطف الناس ، وأجمل مواقف الحياة ، وبلقونه زهوراً وعطوراً في مجالس الخلفاء ، وسوامر الملوك ، فكانت بلاغة المحدث وجلالة السامع ونبالة الموضوع تطبع القصة بطابع الجمال والاعتدال والقصر ، وتنزع بها الى السليقة الغريبة المحبولة على الایجاز والقصد في الشعر والخطب والرسائل والقصص .

فما جمعه ووضع (الجهشياري) و (ابن دلان) و (ابن العطار) في القرن الرابع من الاقاصيص في الحب الطروب ، والترف المسرف ، وما وضعه من قبل هؤلاء (سهل بن هرون) و (علي بن داود) و (أبان بن عبد الحميد) من الاسمار في الامثال الرمزية والحكمة العالية والسياسة الرشيدة ، وما صنعه من قبل هؤلاء (عيسى بن دأب) و (هشام الكافي) و (الميثم بن عدي) من الاخبار في الهوى العذري والسخاء العربي في الاسلام والجاهلية - كل اولئك موسوم بسمة العقلية العربية الخالصة من حذف الفضول وترك الانتطراد وقلة المبالغة .

(١) وقيل انه الشاعر الطيب ابو المؤيد محمد بن الصائغ الجوزي . ومن قال بهذا الرأي

الاستاذ كوسين برسيغال الذي طبع لهذه السيرة ملخصاً في باريس .

أما القصص في مصر فكان غالباً من عمل القصاصين والمسافرين ، بلفقونه من الكتب ، ويتلقفونه من الافواه ، ويحدثون به الدهماء في المجالس العامة . ورزق هؤلاء القصاص على قدر ما عديم من القصص . فاذا ما انقطع احدهم عن الحديث لنضوب معينه انقطع به أسباب العيش ، فهم لذلك مضطرون الى تطويل الموضوع بالاستطراد ، وبسط الحادث بالتزويد ، وجذب القلوب بالإغراب والمبالغة .

ومن ثم اتخذ الادب القصصي في مصر شكلاً لا عهد للادب العربي به . ذلك هو شكل القصة بالمعنى الذي نفهمه من كلمة رومان ( Roman ) في اصطلاح الفرنك ، فان المعروف الشائع من قبل — إنما كان المثل ( Fable ) والأقصوصة ( Conte ) والحكاية ( nouvelle ) وهذه الانواع قد تولد بعضها من بعض على نحو ما يرى الاستاذ ( برونتير ) الناقد الفرنسي من تطبيق مذهب ( دارون ) على الانواع الادبية ، فالأقصوصة نشأت من المثل ، والحكاية نشأت من الأقصوصة ، والقصة نشأت من الحكاية ، باتساع الخيال ، وفعل المبالغة ، وحكم الزمن . ولكن القصة العربية قد تأخر نشوؤها الى القرن الرابع حتى ظهرت بمصر ، لان عملها يقتضي التطويل والتحليل والعلم بطبائع الناس وأوصاف الشعوب ، والعرب في عهودهم الاولى كانوا أبعداً بطبيعتهم ومعيشتهم عن هذه الامور ، ثم كانوا في عصور التخصر والاستقرار يؤثرون الخاصة بادبهم فيضطرون في حضرة الملوك ان يراعوا أدب الحديث فلا يفرقون في الحادث حتى يجانب العقل ، ولا يسهبون في السمر حتى يجاوز المجلس ، ولا يسفون في القول حتى يصادم الخلق ، اما القصاص المصري فقد تهيأت له الاضباب اللازمة لخلق القصة : كان سمير الازواع والعامية فلم يتقيد بهم بقوانين الخلق ، ولا بقضايا المنطق ولا بوقائع التاريخ ، فهو بصطنع اللهجة الصريحة ، ويستعمل الالفاظ القبيحة ، ويبالغ في الخلط والتلفيق ، قصداً الى الإغراب والتشويق ، ويعتمد غالباً على المفاجآت القوية ، ويستطرد كثيراً الى الحوادث العرضية ، ثم يصادم الوقائع ويشوه الحقائق ، لانه يجهلها ، والجمهور الذي يسمعه لا يعلها ، فاستطاع بذلك ان يزور أغرب الحوادث ، ويجمع شتى الاحادث ، ويترك لنا هذه المجموعة القصصية التي كانت ولا تزال للخاصة بمعث لذة ، وللعامية مصدر ثقافة .

كان القصاص المصري يعتمد في مادته على ما يصدر عن بغداد من الاقاصيص الموضوعية



والمنقولة ، والروايات القديمة الصحيحة والمدخولة ، ثم بضيف الي ذلك ما تنو قل سيف مصر وما تجتمع من الاخبار من التجار والرحالين والبحارين ، فقد كان هؤلاء بعد عودتهم من البلدان النازحة بدونون ماراوا من الاعاجيب ، كما فعل اليعقوبي وابن فضالان وبزرك بن شهر بارمثلاً ، إذ يتحدثون بها الناس كأن يقولوا لهم ما حكاه ابن خرداذبة من ان في بعض الامم رجالاً عرض الوجوه ، سود الجلود ، لا تزيد قامة أطولهم على اربعة أشبار ، وفي جلودهم تقط حمر وصفر ويبيض ، وإن فيهم من له أجنحة يطير بها ، ومن رأسه كراس الكلب ، وجسمه كجسم الثور او الاسد ، وما جاء في كتاب (المستطرف) من ان في (البلغار) من طوله اكثر من ثلاثين ذراعاً ، يأخذ الفارس تحت إبطه ، كما تأخذ الطفل الصغير ، وبكسر ساقه بيده كما تقطع حزمة البقل . وما رأى الرحالون بالطبع هذه الاشياء ، وانما رأوا صورها علي الآثار التي خلفها البابليون والفرعنة والرومان والفرس فظنوها حقيقة .

كانت القصص يتناول هذه الاخلاط فيؤلف منها قصة كثيرة الفصول والفضول ، تدور حوادثها على بطل واحد ، ولكنها تعرض من قبيل الاستعراذ الي حوادث شتى ، لا يصلها بحياة البطل الا صلة واهية . انظروا مثلاً كيف صنع قصة (عنترة) : بناها على حادثة أصلية صحيحة : هي (حرب داحس والغبراء) التي شبت لظاها بين عبس وذبيان قبيل الاسلام . ثم دارت رحاها على قطب من أقطابها وهو (عنترة بن شداد) العبسي . فذكر نشأته في حادثة خرافية جذابة ، ثم وصف رجولته وبطولته وفصاحته وحبه وكرمه ، وما اتصل بذلك من عادات البدو ، كالضيافة والحماسة والإجارة والشعر والغزو والسلب والنار ، ولكن حروب عبس وذبيان مهاوول فيها وطول لا تشغل بال السامعين طويلاً ، ولا تدر عليه من المال كثيراً ، فهو يوقع الخصومة بين عنترة وبين فرسان العرب فيقاتلهم ويقاتلهم ويسمهم جميعاً بالنكول والهجز . والقصص في اناء ذلك ينقلنا في السهول والاوادية ، ويقلبنا بين المضارب والاخبية ، حتى جلا لنا من الحياة الجاهلية صورة صادقة لا تتمثل في خواطرهم من طريق التاريخ المقتضب المنكك الا بعد جهد . ثم يرى مع ذلك ان الشوق شديد ، وان الامد الذي يريده بعيد ، فيخرج البطل من الجزيرة العربية ويقدم به الى مصر بلد القصص فيفقد عنترة بها حروباً ، ويهلك شعوباً ، ويتني حصوناً لا تزال العامة تعرفها الي اليوم باسمه ، ثم يذهب الي القسطنطينية ويواجه من امرأة رومية . حتى اذا

ظفرت المنون اخيراً بالشجاعة الخارقة عاد ابنه من (بزنطة) الى الحجاز فطالب بعرش ابيه وحارب معاديه ومقتصبيه ، والميثة التي اختارها القصاص لعنترة تدل على قدرة فنية عجيبة ، وكان (لامرتين) لا ينفك بها مهبياً ، ومنها طروبيا ، فقد ذكر أن (الاسدالرهيمى) احد خصوم (عنترة) المقهورين الموتورين رماه غيلةً بسهم مريش مسموم ، فلما أحس البطل فعل الموت في جسمه الوثيق خشى على قومه من بعده شرّ الهزيمة وعار الفشل ، فوقف أحيان العدو الثائر متطلياً جواده ، متكئاً على رمح ، وأمر جيشه بالتقهقر والنجاة ، فارتد الجيش وبقي هو واقفاً يعالج سكرات الموت ، والعدو يخفّض للهجوم ، ولكنه لا يجرو عليه خوفاً من عنترة حتى فاضت روحه على صهوة جواده ، وكان الجيش المتقهقر قد بلغ مأمنه ، فلما طال وقوفه ، وجاوز الحد سكونه ، ارتاب الجيش المهاجم ، فدبر الخيلة لكشف الامر فأرسلوا الى جواده حجراً نعيجه ، فلم يكدر يراها الفرس حتى وثب وثبةً خراً له ، فارتد على الارض صريعاً .

والغالب فيما أظن ان القصاص الماهر قد اخذ هذا الختام البارح من مصرع (سليمان بن داود) أمام عماله السخرين من الجن ، وقد أجملته البلاغة المحجزة في هذه الآية الكريمة « فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته . فلما خرو تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين » .

ظهرت هذه القصة الحماسية الجميلة في عصر كان وادي النيل فيه منبع الحوزة ، باهر الجلالة ، صافي المورد ، لا يكدره والغ ولا واغل : فكان استقلاله بهم العزة ، وعروجه توجي الشهامة . فلما هبت الاعاصير الهوج بالبربرية الجامحة ، فأطفت منائر بغداد ، وزعزعت عرش الخلافة ، وعبثت الهجمة الجاهلة بتراث العرب : من علم وادب ، وخلق ودين ، وعدت ذئاب الغرب باسم الصليب على الشام ومصر ، لتبج الهلال الآفل ، وتمنش المجد الطريد — رأينا القصة المصرية تصور هذه الحياة الحزينة تصويراً عجبياً . ورأينا القصاص قد اتسع خياله ، بقدر ما ضاق علمه ، فو يخلق بلاداً لم توجد ، ويتصور حوادث لم تقع ، ويعتمد في العمل على الجن والسحر والخوازيق .

فبين القرنين السادس والثامن من الهجرة — ظهرت في مصر سلسلة من القصص الطويلة الجذابة عُملت من أسماء مؤلفيها : لان القصاص المحترفين إنما كتبوها لانفسهم فيما راج

ثم توارثوها خلفاً عن سلف حتى بلغت عهد المطبعة ، فذُشرت على شكلها ، دون اسم ولا موسم ولا تعريف .

وأشهر قصص هذا الدور سيف بن ذي يزن ، والاميرة ذات الحمة ، وفيروز شاه ، فأما أنها كتبت في هذي العهود فذلك واضح لادنى نظر من لغتها وأسلوبها وماتدور عليه من عادات واعتقادات وصور ، وأما أنها كتبت بمصر فذلك ثابت من أماكن ووقائعها ، واسماء اشخاصها ، فأبطالها جميعاً عاشوا بمصر ، حتى الذين لم يروها أقدموم إليها . . .

فالمهلل بن ربيعة كان الوجه الجري ميدان حروبه ، وسيف بن ذي يزن هو الذي أجرى النيل من جبال القمر بكتابه السحري الذي دفنه في جزيرة الروضة بالقاهرة ، وهو الذي خطط مدن مصر ، فالجزيرة اسم من أسماء زوجاته ، وسبك الثلاث ودمهور الوحش قائدان من قواده ، والنيل تفرع الى فرعي رشيد ودمياط : لان الملك (سيفاً) وهو قادم به من السودان وقف بقاتل الكفار الذين اعترضوه في رأس الدلتا فوقف النيل بوقوفه ، ولكن الماء وراءه قد عب عبابه وطلعت أواذبه فاندفق شطر منه الى الشمال . واتجه الملك بالشاطر الآخر الى اليمن .

ومدينة (سمنود) أصلها سماء نود لان الحكيم (نودا) صاحبها قد عقد عليها سماء بالسحر توفعاً لغارات الملك سيف وهو ذاهب بالنيل الى مصبه . ثم دفنه المؤلف أخيراً فوق جبل المقطم ، وقال ان قبره هو الذي يعرف الآن بالجيوشي .

ولقد كان للحروب الصليبية أثر ظاهر في نسج هذه القصص في هذا الدور ، فان العواطف الدينية والخماسة القومية التي ألهمتها في قلوب المسلمين هذه الغارات قد حملت القصص على ان يتملق هذه العواطف ويقضيها بما يلقى من الاشعار والاخبار في فضائل الجهاد والاستشهاد والصدق والصبر .

فسيف بن ذي يزن كان حينئذ مسلماً يقفم المعاقل والأرصاد على الوثنية والشرك في معالم الارض ومجاهلها ، وهو يقول : « لا اله الا الله إبراهيم خليل الله » . وكذلك سائر الابطال في سائر القصص ، الا انهم كانوا بعد الاسلام لا قبله .

وبين القرنين الثامن والعاشر للهجرة كان حكم المماليك بفساده ، وحكم الاتراك باستبداده ، قد أتيا على ما بقي من اركان الاجتماع ، وحللا أواصر الاخلاق والطباع ،

وهي الناس بلحاح الأوباء ، وشراة الحياة والرؤساء ، واستشهرت نفوسهم ذل الحرمان والقهر ، فأخذوا الى التصوف او الى المجون ، وعالجوا همومهم بالحشيش والافيون ، وحارب بعضهم بعضاً بالشطارة والحيلة ، وتقاتلوا على مهام الحياة بالخدعة والغيلة ، وحال نظام الفتوة في مصر الى مناسر من الاصوص والعيارين ، بقطعون متون السبل ، وبمبتون بالامن والناس من ضعف السلطان يخضعون لهؤلاء ، ويملونهم إجلال الزعماء ، ويتناقلون حوادثهم وأحاديثهم بالاعجاب والمبالغة فظهر حينئذ ذلك القصص الوضيع الذي يمثل هذه الحال بمقارنتها وسفالتها ، وبصور تلك البيئة جغرافياتها وجبهاتها ، كقصص الذي يدور على (علي الزبيق) و (احمد الدنف) و (حسن شومان) و (دليلة المحتالة) او (دالة المحتالة) كما يسميها (المسمودي) . وأصبح أسلوب القصص في هذا الدور دائر أبين الجهالة والقحة . فهو يستعمل في قصصه لغة مبتذلة وتراكيب فاحشة وجملاً مخموفة ووقائع واحدة يرددها في كل قصة . ويكررها في كل مناسبة . وكانت شهوة السهر والسمر قد بلغت مداها في ذلك الحين لتغلب الباطالة على أهل القاهرة واعتماد الناس في جمع الثروة على الحيلة والشموذة والسحر والتمدر . فتكدسوا في السواحل حول القصص وقد تجتمع لهؤلاء من خلال القرون ذخيرة وفيرة من الاساطير والاسمار . فهبوا يدونونها كما دونت تلك السير من قبل . فكان مما دون في تلك الحقبة الغربية كتابنا وموضوع محاضرتنا ( الف ليلة وليلة ) .

( الف ليلة وليلة ) يأسادة كتاب شعبي تمثلت فيه طوائف الشعب وطبقاته ، وتراءت من خلاله ميوله ونزعاته ، ونسكت فيه أساليبه ولهجاته ، فهو كالشعب وكل شيء للشعب . قد لقي من جفوة الخاصة وترفع العلية أذى طويلاً ، أغفله الادب فلم يتحدث عنه ، واحتقره الادباء فلم يبحثوا فيه ، ورآه ( محمد بن اسحق المعروف بابن النديم ) فقال إنه غث بارد ، لانه نظر اليه نظره الى الادب الارستقراطي الذي بصور ترف الخيال وجمال الصناعة . فلما حقق العصر الحديث تغلب الديمقراطية وسيادة الشعوب ، واستتبع ذلك عناية اصحاب المذهب الابداعي ( الرومانتيكيين ) في الغرب بحياة السوق والدماء عنايتهم بحياة الملوك والنبلاء وهب رواد الاستعمار وعشاق الآثار بنقبون عن ( فولكلور<sup>(١)</sup> ) الشرق اخذ ادبنا بحكم

(١) فولكلور (Folklore) كلمة انكليزية يراد بها في الادب الاوربي - مجموع

التقاليد والاساطير والاشعار الشعبية لأمة من الامم .

التقليد والعبودية — يعطون علي أدب السواد ، فدونوا اللغة العامية ، وجمعوا الأغاني الشعبية ، ونظروا بعض النظر في فن القصص ، وسموا في درجة من الدهش — الى قول الاوربيين : ان في أدبنا الموروث كثر أدبنا — من هذا النوع له في أدبهم أثر قوي وشأن نابه . ولكنهم لم يخلدوا بدياً الى هذا القول بثقة . واستكثروا على هذا الكتاب الخرافي السوقي ان يذكروا في الكتب ويوضع في المكاتب وينبه الناس الى فضله ، وبيننا العرب باننا حتى رأينا بميوننا انه نقل منذ أوائل القرن الثامن عشر الى كل لغة . وحل الموقع الاول من كل أدب ، وظفرنا بمجباب النوابع من كل أمة . حتى قال (فولتير) انه لم يزاو من القصص الا بعد ان قرأ الفليلة وليلة اربع عشرة مرة . وتمنى القصص الفرنسي (استندال) ان يحو الله من ذاكرته (الفليلة وليلة) حتى يعيد قراءته فيستعيد لذته .

ثم قرأنا أن أقلام المستشرقين اخذت تتجادل منذ أوائل القرن التاسع عشر في اصله ، وتكشف عن مناجي جماله وفضله ، وان دوائر المعارف الكبرى سجلته في حقولها ، وخصته بالطريف الممتع من فضولها . وان الاستاذ (فكتور شوفان) أفرد له في كتابه (تاريخ المؤلفات العربية) جزءين سرد فيها مخطوطاته ومطبوعاته وترجماته ، وجزءين آخرين لخص فيها طائفة كبيرة من حكاياته ، وان الكتاب الروائين قد استغلوه للسينما والمسرح فاستخرجوا للاول رواية (لعن بغداد) والثاني (قسمت) او (القضاء والقدر) ، وان رجال التربية والتعليم في فرنسا والمانيا وانكلترا — قد اقتبسوا منه أدباً للاطفال فاختصروه وضودوه ، ولقيت انا منذ عامين في القاهرة مستشرقاً اسبانياً وآخر اميركياً قد أرسلت الاول جامعيته ، والثاني جمعيته ، لينقبا في مدن الشرق عن مخطوطات (الفليلة وليلة) .

حينئذ اخذت خاصتنا تقرؤه وتسمعه ، ومطابقتنا الراقية تصححه وتطبعه ، وأدباؤنا المترفعون يشيرون اليه في تاريخ الادب . ولكنهم الى اليوم لم يدرسوه دراسة علمية تكشف عن لبابه ، وتستقطر النطف العذبا من عبابه ، وهو على الرغم من جميع ما فيه ، قد سجل على توالي القرون أطوار اجتماعنا ، وصور بالألوان الزاهية مختلف أخلاقنا وطباعنا ، ونشر في الشرق والغرب أنوار حضارتنا وازدهار ثقافتنا وجمال تقاليدنا ، وأتم نقص التاريخ الذي تجاهل الشعب . والأدب الذي احتقر العامة . فكان منه للناقد الاجتماعي والمؤرخ الفيلسوف

والاديب الباحث والكاتب القصصي — منهل ثراينابيع ، صافي المورد . وهو — فضلاً عن ذلك — كان للشعب العربي في زمن انحلاله ، وضياح استقلاله ، وصعوبة اتصاله — قبس يبعث الحرارة في النفوس الخاملة ، وذكرى تلوع القلوب أسمى على المجد الناهب ، وصلة ثقافية تجمع المنازع المتفرقة على الوحدة .

بكاد يكون (الفليلة وليلة) طمأنينياً على بغداد ، بل ربما كان أدل عليها اليوم في نظر الشعوب الحديثة من شأنها الرفيع في الحضارة ، ومكانها البارز في التاريخ : ذلك لأن آثارها المادية قد ألح عليها طغيان الدهر ، وفيضان النهر حتى محواها . اما هي في هذا الكتاب فلا يزال سناها باهياً لم يخب ، وصداءها داوياً لم ينقطع ، فهو للحضارة العربية في (بغداد) متحف زاخر بالاعاجيب ، دونه ماله الحضارة الفرعونية في مصر من معابد ومقابر وكنوز ، لانه يسير في البلاد وهي ثابتة ، ويتحدث الي جميع الشعوب وهي صامتة ، حتى أصبح لفظ (بغداد) في جميع اللغات مرادفاً للعمرات الزاهرة ، والترف العجيب — واسم الرشيد رمزاً للعدل الشامل والزمن الخصب . ذكر احد كتاب الانكليز فترة من الزمن الرخي فقال : كان ذلك في العصر الذهبي إذ كان يحكم الخليفة العادل هرون الرشيد .

ذلك بعض فضل الكتاب على (بغداد) . وقد ذكرت من قبل أنه لم يؤلف على هذه الصورة فيها ، ولم يؤلفه احد من بنينا ، وانما جمع في مجالس القصص في القاهرة ، ودون على هذا الشكل في القاهرة ، وطبع اول طبعة كاملة في مطبعة الحكومة بالقاهرة . ثم كان حظ القاهرة من كتاب (الفليلة وليلة) ان صورها للناس مثابة للاحتيال والسطارة والشموذة والجهل بينما يصور (بغداد) مهبطاً للفضل ، وموطناً للنبل ، ومعدناً للكرم ، وعشاً للحب ومظهرأ للترف ، حتى كان من جراء ذلك ان اهل (بغداد) لا يزالون يقولون (عياق مصر وحيال مصر) ونحن مازلنا نقول في القاهرة : تبغدد فلان اذا أظهر البغدة . وهي كلمة مشتقة من (بغداد) تدل على السرف والترف والبطر والنبل !

وسبب اختلاف حظ البلدين من الكتاب ان القصاص المصري اذا تحدث عن مصر — وهو منها وفيها — يتحدث عما يرى ، وعبر عما يسمع ، وقد علمنا في اي عهد من عهود الضعف والانحلال ظهر هذا الكتاب بمصر . اما اذا تكلم عن بغداد فإيما يتأثر بعوامل اربعة : يتأثر بما وضع من الافاصيص الجميلة في بغداد — ويتأثر بما ملأ الآذان وشغل

الاذهان عن عظمة بغداد وأبهة الخلافة — ويتأثر بما ركّب الله في طباع الناس من تقديس الماضي ، وتعظيم البعيد — ويتأثر بجمله أحداث التاريخ وتطور الامم ، فيأبى وهو في القرن العاشر من الهجرة ان يعترف بموت (الرشيد) ، ومصراع (بغداد) ونسكبة المجد الأثيل .

اما بعد فاني أحاول الآن باساذقي ان أكشف عن حقيقة (الف ليلة وليلة) بمقدار ما تهيأت لي المراجع في (بغداد) ، بعد ان توفرت على قراءته ودراسته في مختلف الطبقات ، ووقفت على ما شرعته من الابحاث في بعض اللغات . وما أريد بالطبع ان أذفع السأم في نفوسكم بذكر ما لا يمتحمله المقام من التحليل المفصل ، وانما أجتزئ به بذكر ما لا يسمع الرجل المثقف جملته من امر هذا الكتاب .

وهنا يدركنا المساء كما يدرك شهر زاد الصباح ، فترجي البقية الى الاسبوع المقبل اذا تفضلتم بالسماح .

احمد حسن الزيات

# مجلة المجمع العلمي العربي

السنين ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنه ١٩٢١ م  
تشرى دمشق مرة في الشهر

آذار - نيسان

١٩٣٢

دمشق

المجمع العلمي العربي

— (١٣٦) —

قيمة الاشتراك السنوي { في سورية ولبنان ٢٥٠ قرشاً سورياً  
الدفء مقدماً { وفي جميع الاقطار ٦٠ فرنكاً

بجاميع المهلة عن السنين الماضية

في الداخل ٥٠٠ من السنة الاولى الى الخامسة الى كل سنة منها

في الخارج ٦٠٠ = السادسة الى الحادية عشرة = ٣٠٠

= الاولى الى الخامسة = ٦٠٠

= السادسة الى الحادية عشرة = ٣٥٠



## الكلمات الايوبية

—(١)—

وأعني بها الكلمات التي تولدت في عهد الدولة الايوبية والدول التي خلفتها في مصر والشام : كنتُ — وانا أنصفح الجزء الاخير ( الثامن ) من نهاية الارب لمؤلفه النويري المصري — أعثر على كلمات جارية في لغة تخاطب المصريين في ذلك العهد . وهي كلمات (عامية) — أو نكسرهما فنسميها ( مولدة ) — مما لا يعرفه فصحاء العرب ولم يدونه أرباب المعاجم . والذي جعلني أهتم بتلك الكلمات أنها مازالت الى اليوم شائعة على ألسنتنا وعائشة في لغة تخاطبنا : فهي إذن قد عاشت نحو ثمانية قرون . وما يدربنا لعلها كانت حية قبل ذلك التاريخ ايضاً .

والبحث في كلمات اللغة من حيث نشوؤها وتطورها ومرور الازمنة المختلفة عليها — هو فن اوضحى حديث من مناحي المباحث اللغوية التي يعنى بها علماء اللغات الراقية وبضمون فيها المصنفات النفيسة . وما زال هذا الفن — أو الابتكار في البحث اللغوي — مجهولاً لدينا بمشرب العرب ، بيد أن الانتباه اليه ، والفكرة فيه قد أخذت تنمو . وسيأتي زمن يكون فيه لكلمات لغتنا ( ولا سيما غير القاموسية منها ) تاريخ ومؤرخون ومصنفات . واخشى ان يسبقنا الى هذا الضرب من خدمة لغتنا العربية اولئك المستشرقون الفضلاء كما فعل المستشرق الكبير (دوزي) مذ جمع الكلمات التي أهملها أرباب المعاجم العربية وأودعها كتاباً ضخماً ذا جزئين .

وهذه الكلمات التي سنسردها في مقالنا هذا من جملة الكلمات التي تولدت بل الأجدد ان نقول من جملة الكلمات التي كانت شائعة الاستعمال في عهد الايوبيين وخلفائهم كما كانت شائعة كذلك في الانظار التي حكموها وخاصة القطرين المصري والشامي .

وكما دعونا الكلمات التي كانت شائعة في عهد الخلفاء العباسيين — (الكلمات العباسية) —  
 يحسن ان نسمي الكلمات التي كانت شائعة في عهد الايوبيين الى زماننا هذا — (الكلمات  
 الايوبية) — والكلمات التي تولدت في عهد اختلاط الافرنج الصليبيين والسوريين —  
 (الكلمات الصليبية) وستأتي الاشارة في مقالنا هذا الى كلمة من تلك (الكلمات الصليبية) .  
 ولانعلم ان كانت بعض تلك (الكلمات الايوبية) مآورثة الايوبيون من العباسيين او لم  
 يرثوه منهم بل تولد في زمنهم هم . لكننا نعلم يقيناً ان كثيراً من تلك الكلمات قد ورثه العهد  
 التركي العثماني من اليهود التي سبقته ثم انتشر في عهد سيطرة العثمانيين على مصر والشام .  
 ومازال شائعاً بيننا الى هذه الايام .

\*\*\*

فأول تلك الكلمات الايوبية كلمة (ديوان) على ان كلمة (ديوان) مآورثة الايوبيين عن  
 قبلهم كما ورتوهاهم لمن بعدهم اوبقال ان كلمة (ديوان) هي حجو الزاوية في البنائين بناء (الكلمات  
 المرعبة) في الاسلام وبناء (الكلمات الادارية) في الاسلام . اليس أول من استعملها  
 عمر بن الخطاب ؟ - واذكر بعضهم ان معنى (الديوان) كان موجوداً قبل ان يعرب لفظه : اذ  
 انه (اي المعنى) وجد في زمن النبي صلى الله عليه وسلم . فقد روى (حذيفة) رضي الله عنه ان  
 النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( اكتبوا لي من تلفظ بالاسلام من الناس . فكتبنا له الفأ  
 وخمسمائة رجل ) . وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انني اكتببت  
 في غزوة كذا وامراً في حاجة . قال ارجع فاجمع مع امرأتك ) . فيفهم من هذين الحديثين  
 ان الاحياء (وقيد النفوس) او (نفوس الغزاة خاصة) نشأ في عهده صلى الله عليه وسلم .  
 أما تسمية ذلك بالديوان فكان في عهد عمر :

ذلك انه بعث بعثاً وعندده المرمزان الفارسي فقال عمر : هذا بعث قد أعطيت أهله  
 الأموال فان تخلف رجل منهم وأخل بمكانه ( اي ترك المكان او العمل الذي و كلفه اليه  
 أميره ) فمن أين يعلم صاحبك ( أي أميرك الذي وليته ذلك الجيش ) فأثبت لم ديواناً . فسأله  
 عمر عن (الديوان) ففسره له فكلمة (ديوان) أم الكلمات الادارية الدخيلة .  
 وكان (الديوان) ديوانين : ديواناً بالشام : لغته الرومية ، وديواناً في العراق : لغته  
 الفارسية . ثم تحولوا الى اللغة العربية . ويحكي في سبب تحول ديوان الشام الى العربية أن

بعض كتاب الروم في الديوان الشامي أراد ماء لدواته فبال بالدواة . فبلغ الخليفة عبد الملك بن مروان خبره فأدبه وكان ذلك من جملة الاسباب في تحويل الديوان من الرومية الى العربية .

ومن الكلمات الابوية الادارية كلمة (المجلس) بمعناها الاداري المتعارف اليوم وكلمة (كتابة الانشاء) و (كتاب الانشاء) و (كتابة الحساب) و (كتاب الحساب) ونسجها اليوم المحاسبة و (كتابة التصرف) و (كتاب التصرف) وكانوا يريدون (بالصرف) ما يزيد اليوم بالاعمال الداخلية او الاعمال الادارية مما يقابل الاعمال المالية والمسكوبة . ومن كلمة (التصرف) هذه جاءت كلمة (التصرف) و (التصرفية) عند الاتراك العثمانيين . وكلمة (الخرانة) ويريدون بها مستودع الامتعة والسياب والتقادوم والخلع وشاعت لدى الاتراك العثمانيين باسم (خزينة) و (خزنة) لكنهم يريدون بهما مستودع النقود والاوراق المالية . وكلمة (جامكية) بمعنى الراتب والاجر . و (العوائد المقررة) وهي صلات وهدايا تخص بها الحكومة بعض ذوي المازلة في الدين أو الشرف او العلم . وكلمات (الناظر) و (النائب) و (المباشر) . وفي غزاة اليوم أسرة تسمى بالمباشر وهي من أصل مصري . وما زالت كلمة (مباشر) تطلق في محاكنا الشرعية على الذي يجلب الخصوم او يبلغ اوراق المحكمة (الدعوتية) ويسمى (المحضر) ايضاً . وكلمات (الرتب) و (المناصب) و (أرباب المناصب) ويريدون بها ما يزيد بها اليوم . وكذلك (التشريف) و (التشريف) بمعنى الرتب الرسمية وهي شائعة في الدولة المصرية اليوم بمقابل كلمة (الرتب) الشائعة عندنا . وكلمة (المرسوم) و (المنشور الشريف) وجمعها (المناشير) وهو ما يتضمن الاوامر السلطانية الصادرة بالتعيينات الادارية او القضائية او العلية وترادفها في الدولة العثمانية كلمة (فرمان) وهي كلمة فارسية . وكلمة (دستور) ولها معان عرفها العرب الاقدمون ثم شاعت في الدول الاسلامية الاعجمية بمعنى (الاؤذن) وبمعنى (الوزير) وبمعنى (الكتاب) يتضمن قوانين الدولة ونظمها وأوامرها . وكلمة (كشف) بمعنى تقرير اوبيان ينظمه الموظف ويفصل فيه أعمالاً قام بها او حسابات أجراها . ومثل (الكشف) كلمة (عرض) يودعه رئيس الديوان تفصيلاً لاستعراض الجند وقيود رواتبهم . وكلمة (تحرير) بمعنى الكتابة و (ضبط) تقييد الشيء و كتابته و (جريدة) و (جرائد) للسجلات والدفاتر التي تقيدها المعاملات الحكومية . وغلبت اليوم على دفاتر

قيود المحكمة الشرعية . وكلمة (شطب) كانوا يريدون بها نقل [المعاملة] او [القيد] من دفتر الى دفتر . ولا بد أنهم يمدون خطأ بالخبر على المعاملة الاولى إشارة الى إهمالها وعدم الاعتداد بها وبهذا المعنى «معنى إمرار الخط على السطر وإفساده» نتعلمها نحن اليوم منذ نقول [اشطب] و[شطب] وفي اللغة الفصحى [ارمح] و[رمح] يقال رمح الكاتب ما كتبه إذا أفسد سطره بعد كتابتها . وكلمة [جندية] بمعنى العسكرية والتجند و[أجناد الحلقة] الحلقة في اللغة العربية بمعنى السلاح وقد استعملها الايوبيون وخلفاؤهم بمعنى الجنود بالتحتهم يقومون في مواضع الخفاة للحراسة والخفارة . ومثلها [المسلحة] و[المسالخ] وهي مراكز الجنود بالتحتهم تعدد للغرض المذكور . وما زال يوجد مكانان في الطريق بين بيرت وطرابلس الشام على ساحل البحر أحدهما يسمى [ابوحلقة] على بعد كيلومترين او ثلاثة من طرابلس فيه عين ماء وكان في زمن الجراكسة المصرية مركزاً للجنود الخفراء - والمكان الآخر يسمى [المصيلحة] بياض التصغير محرف عن [مصيلحة] تصغير [مسلحة] اسم عقبة كؤود فيها بناء شبه قلعة صغيرة كانت تقيم فيها الجنود للخفارة وحفظ القوافل والمسافرين .

وكلمة [استدعاء] والاستدعاء في اللغة بمعنى الطلب ثم صار يطلق على كتاب الشكوى الذي يرفعه المستدعي الى الحاكم طالباً انصافه او النظر في مقلته او تسوية بعض مشاكله بما هو من وظيفة ذلك الحاكم الذي قدم اليه الاستدعاء . فمعى كلمة [الاستدعاء] في الاصطلاح موافق لمعناها في أصل اللغة العربية وهو الطلب . على ان كلمة [طلب] نفسها ما زالت الى اليوم تستعمل في الحكومة المصرية بمعنى الاستدعاء أو نوع آخر من أوراق المعاملات الرسمية . فلاحاجة الى ان يقال ان كلمة [استدعاء] محرفة عن كلمة [استدعاء] بتقديم العين على الدال . والعمري ان هذه الكلمة [استدعاء] أفصح وأدل على المعنى الاصطلاحي من أختها : ذلك ان معنى [استدعى] هو ان يتقدم المظلوم الى الحاكم ويستعديه على خصمه اي يطلب منه ان [يُعديه] ومعنى [يُعديه] يزيل عدوانه عنه ومعنى [العدوان] الظلم والتعدي . فعمزة [أعداء] هي للإزالة كالمعمزة في [أشكاه] القاضي اذا زال شكايته وأنصفه من خصمه . فالاستدعاء في اللغة هو طلب إزالة العدوان . فاذا كُتِبَ هذا الطلب في كتاب صح ان نسمي الكتاب [استدعاء] فيكون الفرق بين [الاستدعاء] و[الاستدعاء] ان [الاستدعاء] في اللغة يدل على تبرد الطلب . أما [الاستدعاء] بتقديم العين فيدل على طلب خاص وهو إزالة

العدوان عن المستعدي المظلوم . فالاستدعاء اصطلاح حسن . ولكن الاصطلاح على [الاستعداد] أحسن منه . على اننا يمكننا منذ الآن ان نخصص كلمة [الاستعداد] بتقديم العين لكتب الشكاوى التي ترفع الى قضاة العدل . وتبقى كلمة [الاستدعاء] بتقديم الدال في كتب المصالح الاخرى التي ترفع الى سائر الحكام .

والمستودعات الاميرية كانت تسمى في عهد الدولة الابوية [البيوت السلطانية] وتختلف اسمائها باختلاف مايجعل فيها : فهي [الشراب خاناه] و[الفراش خاناه] و[السلاح خاناه] الخ وكان كلمة [خاناه] بمعنى البيت كانت تلفظ في التركية القديمة بالف مد بعد النون . اما في التركية العثمانية فاختلفت الى [خان] فيقال [جيجانه] و[طوبجانه] . وكان لكل بيت مباشر هو المسؤول عمافيه . قال في [نهاية الارب] مبيناً وظيفة مباشر [الفراش خاناه] : « ويعرض ما يسلمه للفراشين عليهم . . . ويضبط ما يتسلمه الصناع الذين يفصلون الخيام الجديده وغيره من آلات [الفراش خاناه] من قماش بياض ومصبوغ وغزل وجلود ومشمعات الخ » .

في هذه العبارة عدة كلمات ابوية : منها [الفراشون] وهم الذين يتولون أمر فرش قصور العظماة وغلبت اليوم في مصر على الذين يلتزمون تقديم آلات الضيافة من فرش وغيره في الولائم والمآتم . وكلمة [الخام] الظاهر انه أراد بها ما يراد بها في بعض بلاد الشام اليوم وهو ضرب من الثياب البيض غير خالصة البياض ولذا تسمى في دمشق [البطانة السمراء] وفي القاموس [الخام الجلد الذي لم يدبغ والكرباس الذي لم يغسل وهو فارسي معرب] فاستعماله اليوم في الثياب السمراء موافق لمعنى [الكرباس] لأن الكرباس الثوب الأبيض من القطن او الثوب الخشن . والخام من القطن ايضاً وهو خشن . وكذلك يطلق لفظ [الخام] اليوم في الفن أو الصناعة — على المواد الأولية قبل ان تتحول الى مصنوع كالصوف والقطن قبل نسيجها والجلد قبل صنعه والمواد المعدنية قبل صهرها الخ . وهذا الاستعمال موافق لمعنى الخام في اللغة كما قال القاموس غير أن القاموس خصه بالجلد . وأهل الصناعة والاقتصاد اليوم تحطوا به الى كل مادة تُصنع : جلداً أو غيره . وكلمة [قماش] تزيد بها اليوم ما كانوا يربطونه في العهد الأبوي أعني الثياب المختلفة التي تلبس أو تفرش . وهو استعمال عامي إذ للقماش في اللغة معنى غير هذا . وقول المؤلف [قماش بياض] يوافق استعمالنا اليوم من

إطلاق [البياض] على الثياب البيض الرقاق التي تفصل أقمصة وسراويلات ويسمى هذا الضرب من القماش في دمشق [مادام] وفي القديم كان يسمى الكرباس ويجمع على الكرايس لكن الكرباس يكون فيه خشونة كما يفهم من كتب اللغة وكا يفهم من استعمله مذ يقولون [وكان فلان متقشفاً يلبس الكرايس] .

وكلمة [مشحات] ايضاً مما استعمله اليوم ونريد به ثياباً تغطي بالشمع وتبقى بها المطر ويسمى الشمع الذي يلبس لاتقاء المطر في اللغة العربية [مطراً] على وزن منبر . قال عمر ابن ابي ربيعة :

[فأسرج لي الدهماء واجعل بمطري ولا يعلن خلق من الناس مذهبي] وكلمة [جندرة] ورد ذكرها في نهاية الارب مع تفصيل الثياب ورفوها وحشوها فلعلهم يريدون بها ما ذكره علماء اللغة مذ قالوا جندرة الثوب اذا أعاد وشبه بعد ذهابه قال الجوهري وأظنه معرب . ونريد بجندرة الثوب اليوم تموجاً خاصاً في وشي الثوب او في صبغه وتلوينه . و [آلة الحمام] يريدون بها ما نريده اليوم مما يستعمله المغتسلون في الحمامات من طشوت وطاسات .

وكلمة [طواشيه] مما استعملوه في العهد الابوي ويستعمل اليوم في ذلك المعنى ايضاً وكانوا في العهد الأموي يدعونهم [خصيان] .

وكلمة [بخش] بضم الباء يريدون بها [الثقب] لكنها اليوم أصبحت عامية مبتذلة . وكلمة [نفر] مراداً بها الشخص الواحد فيقولون كما نقول اليوم: اخذ القائد معه خمسين نفراً مثلاً اي خمسين نفساً . ولها معنى في اللغة غير هذا .

وكلمة [قلوب] ذكرها في نهاية الارب مع الأباذير والتوابل ويريدون بها لب الفستق واللوز والبندق وتسمى في بعض بلاد الشام [قلوبات] أما اهل دمشق فيسمونها [مكسرات] . وكلمة [الأقسما] يذكرونها مع الفقاع [ضرب من الأشربة] والفواكه والحلويات ولعلمهم يريدون [بالأقسما] ما ذكره الخفاجي في شفاء الغليل قال هو نقيع الزبيب وهو معرب [أبسما] . أما الأقسما في بعض بلاد الشام فيراد به نحو شراب التوت او اللبون محلى بالسكر ومبرداً بقطع الثلج التي تبقى جامدة تقعقع تحت الاسنان . وقد أخذت كلمة [الأقسما] تموت رويداً رويداً وتحلها كلمة [شربات] .

ويقولون [دسوت النحاس] الدست له عدة معانٍ في اللغة وليس منها معنى القدر الكبير كما هو الشائع على السنة العامة اليوم فهو إذن مولد زيرادفه [الخلقين] والخلقين كلمة يونانية . وكانوا يقولون [الكرائيب] بتقديم الراء على الكاف ويريدون بها المغارف وهو لفظ شائع الى اليوم في مصر لا في الشام لكنهم [أي أهل مصر] اليوم يلفظونه على أصله فيقولون [كرائيب] بتقديم الكاف جمع [كُرُوبه] وهي المغرفة . قال في مستدرك التاج إنها كلمة مصرية . فأنت ترى ان المصريين الأقدمين كانوا يلفظونها بحرفه مذ يقولون [ركائيب] لا [كرائيب] . وليس هذا بهجيب منهم : فان أبناءهم اليوم يقولون في [أرائب] جمع أرب [أنارب] بتقديم النون . ومازلت أذكر السيد احمد بك الحسيني رحمه الله مذ قال لي أما تحب لحم الانارب ؟ فلم أفهم ذلك حتى فسرته لي .

وكانوا يستعملون كلمة [لخصم] أي التنزيل في الحساب كما تستعملها اليوم وكذا كلمة [وصول] . ويقول المصريون اليوم [إبصال] أما في الشام فما زالوا يقولون [وصول] و[وصل] . وقال في شفاء الغليل إنها مولدة عامية . ولقد تطرّف بعض المولدين مذ قال :

[أنفقت عمري في هواك وليتني أعطى وصولاً بالنسيب أنفقته]

وكذلك يقولون [خأق ماعليه من أجرة الفان] أي أدى بقيقه كما نقول اليوم وهو تعبير عامي . أما قولهم [عبر الشئ] أي وزنه ليعلم مقدار ثقله بالنسبة الى موزون آخر — فهو فصيح لا مولد . ومثله فعل [استعبر الشئ] وهو المستعمل في بلادنا اليوم لمعرفة الموزون او المكييل . وكذلك كلمة [إردب] في الكيل المخصوص ما زالت مستعملة الى اليوم . ومثلها [فدان] في المساحة .

وسألني بعض كبار المهندسين عن كلمة تقوم مقام (Precis) الافرنسية مذ يقولون « مسح المهندس الارض الفلانية فبلغت خمسين متراً بالضبط » فان الكلمة الافرنسية لا يجوز لنا استعمالها لجمتها وكلمة [بالضبط] لا يتداولها . فقلت يمكنك ان تقول [بالتمام] أو [تماماً] . ثم اتفق ان رأيت صاحب [نهاية الأرب] يقول (ص ٢٤٤) في صدد معرفة عمر الغلام الذي تؤخذ عنه الجزية « يُدار خيط على عنق الصبي مرتين تحويراً ثم يوضع طرف الخيط بين أسنانه وتُدخل أنشودة في رأسه فان دخلت دل ذلك على بلوغه وإلا فلا » فقوله [تحويراً] قد أراد به في غالب الظن ما يزيد من الخن اليوم في قولنا [بالضبط] وما يقوله

الافرنسيون بقولهم ( Précis ) و ( Precisement ) فمعلينا اليوم الا ان نحبي هذه الكلمة فنقول [ فلان عمره ستون سنة تجريراً ] و [ زرت فلاناً في الساعة الثامنة والنصف تجريراً ] و [ فلان بلفت قصبات أرضه التي اشتراها الف قصبة تجريراً ] « الی غیر ذلك .

ذكرنا كلمة [ قصبات ] ونحن على يقين ان معظم أهل الأقطار العربية لا يعرفون ما المراد منها لكننا نحن استعملناها في المعنى الذي يستعملها فيه الدماشقة اليوم والمصريون قديماً : فقد ذكر صاحب [ نهاية الأرب ] الفدّان وحدد مقداره فقال : « هو ارباعاً قصبة بالقصبة الحاككية والقصبة الحاككية ستة أذرع وثلاثاً ذراع بذراع القماش » . ولا يخفى ان ذراع القماش هو الذراع المستعمل اليوم في بلاد الشام ويسمى ايضاً الذراع الاسلامبولي . وفي دمشق مقدار من المساحة الارضية يعبرون عنه بالقصبة وهو ثمانية واربعون ونصف [ مربع ] بالذراع المذكور اي الذراع الاسلامبولي أو ذراع القماش فتكون النتيجة ان قصبة المساحة التي كان يسميها المصريون في العهد الابوي بل والعهد الفاطمي [ القصبة الحاككية ] نسبة الى الحاكم بامر الله الفاطمي — هذه القصبة هي المستعملة اليوم تقريباً في دمشق فيقولون [ قصبة ] ولكن لا ينعنونها بالحاككية كما كان ينعنها المصريون الابويون . وقال القلقشندي في [ صحيح الأعشى ] القصبة الحاككية طولها ستة أذرع بالهاشمي وخمسة أذرع بالنجاري وثمانية أذرع بذراع اليد اه .

ورأيت في [ نهاية الارب ] كلمة عربت منذ ثمانية قرون ودخلت في لغة اجدادنا السوريين من لغة الافرنج الصليبيين وقد نبه اليها المؤلف نفسه فقال « وفي بعض الأعمال الشامية نواح مفصولة ومضمّنة على أربابها بشيء معلوم يؤخذ منهم عند إدراك المغل » ثم قال مفسراً كلمة [ مفصولة ] مانصه : « وكلمة « الفصل » بالشام كله كلمة افرنجية واستمر استعمالها في البلاد الساحلية التي ارتجعت من أيدي الافرنج جريباً على عاداتهم اه » . وكأنه أراد بقوله [ جريباً على عاداتهم ] ان أهل الشام في زمن الحروب الصليبية كانوا يبرّون كلمات الافرنج ويستمرون على استعمالها . وهل المصريون ياترى ما كانوا يفعلون ذلك ؟ وكلمة [ فصل ومفصولة ] استعمالهما المؤلف الثوري — كرامى القاري — في صدد استئجار الأرض الزراعية المخطّاة . فناحية من نواحي الشام تكون مفصولة أي ذات فصل بان تكون إقطاعاً بتصرف أمير من الامراء الإقطاعيين فيعتمد هذا الامير على بعض اتباعه فيؤجره الناحية لقاء مبلغ



من المال — هذه الارض الاقطاعية المؤجرة على هذه الورة كان يقول عنها أسلافنا أهل الشام انها أرض [مفعولة] وإيجارها [فـل] . وقال المؤلف النويري ان الشاميين أخذوا هذه الكلمة من لغة الافرنج فكيف أخذوها؟ قال الاستاذ احمد الزين مصحح كتاب [نهاية الارب] معلقاً على عبارة المؤلف ما نصه : « لعل أصل هذه الكلمة في اللغة الافرنسية Vassal [فـتـال] ومعناه التابع الذي أعطاه متبوعه إقطاعاً نظير واجبات يؤديها كما في معجمات هذه اللغة فكأن أهل الشام اشتقوا من [فـتـال] لفظ [الفـل] وأرادوا به المعنى المصدرى اي التبعية ثم حرفته أسنتهم الى كلمة [الفـل] كما هنا حسب نطقهم العربي واشتقوا منه لفظ [مفعولة] » اه كلامه .

فأجدادنا أهل الشام لما لم يجدوا في اللغة العربية كلمة خاصة تدل على استئجار تابع الامير من متبوعه أرضه الاقطاعية وسموا الملبين بقولون مهبرين عن هذا المعنى بكلمة (Vassal) استجازوا تعريبها وقالوا [الفـل] و [الارض المفعولة] حتى استعملها النويري في كتابه . فيصح لنا نحن اليوم ان نسميها [كلمة صليبية] ونبحث عن أخواتها ونفهمها اليها بعنوان [الكلمات الالمبية] وقد يعثر المتتبع اليقظ على كثير من هذه الكلمات .

ونختم هذا البحث بكلمتين إداريتين كان المصريون في عهد الدولة الابوية يستعملونهما: احدهما كلمة [الترصيع] يريدون بها ما يزيد بكلمة [التنظيم] مذقول : نظم العامل العمل او نظم جدولاً بالعمل امامه فكانوا يقولون رصع العمل وترصيع العمل ولا بأس باستعمال هذه الكلمة في مثل هذا المقام او مقام آخر يشبهه . اما الكلمة الاخرى فهي [معدوق] مذقولون مثلاً : « وامر البيوت السلطانية معدوق بناظر خاص » ويريدون [بمعدوق] ما يزيد اليوم بكلمة [منوط] مذقول هذا الأمر منوط بفلان اي معلق به ومرتبطة به واليه مرجعه . ولكلمة [معدوق] معنى في اللغة لا يمكن إرادته هنا الا على استكراه . فليس لنا في استعمال [معدوق] حاجة مادامت لدينا كلمة [منوط] بشرط ان لا نشدد واوها ونقول [منوط] كما يفعل بعضهم .

« المغربي »

## مذهب الجاحظ في الادب<sup>(١)</sup>

—(١)—

أحطنا حتى اليوم بثلاث نواحٍ من نواحي الجاحظ فقد تكشف لنا عمله ودينه ونقده ، فكان في عمله يبني على أصول معينة وصولاً إلى الحقائق وكان في دينه يعمل عقله في التفسير والتأويل دون أن يكون لأحد سلطان عليه ، وكان في نقده على نحو ما رأينا بناءً في عمله يتوخى الحقائق معتماً بالفن الاهتمام كله ، فاذا عرفنا هذا فهل علينا من حرج أن نعرف طائفةً من مذاهبه في الأدب كما عرفنا طائفةً من مذاهبه في العلم والدين والنقد ، وآراء الجاحظ في الأدب مشتتة في أثناء كتبه فلا نجد له مباحث مطردة في هذا الباب يأخذ بعضها برقاب بعض فكانه يلهو بمجامع المعاني لهواً وهذا اللهو من خصائص عبقرته —

وعلى هذا النحو اننا لانطمع في استقصاء آرائه الادبية وإنما نتوخى معرفة اليسير منها لعلنا نتمتع بصورة الجاحظ في صورة الأديب كما تصورناه في صورة العالم أو في صورة الفيلسوف أو في صورة الناقد —

قبل أن أتفرغ لبيان أفكاره الأدبية لا أرى لي مندوحة عن الإشارة إلى مذهبه في الأدب ، فالجاحظ من أصحاب الأدب المجرّد ، انكم تعلمون ان الجاحظ عاش في عصر استفاضت فيه الحرية في كثير من الامور ، من أجلّة هذه الامور تسمية الأشياء باسمائها دون اللجوء إلى الكشايات ، فاذا تصفحنا بعض الشعر في ذلك العصر ظهرت لنا ألفاظ عارية تمور الطبيعة في حقائق صورها دون شيء من التعفف ، والجاحظ متعمق بعصره الاتهام كله على نحو ما تبين لكم ذلك فلم ينسج من أثر من آثار هذا العصر فاذا وجد ان الأدب

(١) سلسلة محاضرات الاستاذ السيد شفيق جبري احد اعضاء المجمع العلمي العربي التي

شرع في المحاضرة بها في كلية الاداب في دمشق سنة ١٩٣١ .

المجرد مذهب من المذاهب المستفيضة أخذ به ولم يتورع فهو صورة عصره في كثير من الامور فمن قوله في هذا المعنى<sup>(١)</sup> :

« وبمض الناس اذا انتهى الى ذكر ٠٠٠ ارتدع وأظهر التعزز واستعمل باب التورع واكثر من تجده كذلك فانما هو رجل ليس معه من العفاف والكرم والنبل والوفار الا بقدر هذا الشكل من التمتع ولم يكشف قط صاحب رياء ونفاق الا عن لؤم مستعمل<sup>(٢)</sup> » ونذالة متمكنة الى آخر ما ذكره ثم أيد مذهبه هذا بطائفة من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وكلام بعض الخلفاء الراشدين والسلف الطيب ٠ -

ففي كلام الجاحظ ما يدل على ان هذا الشكل من الادب لم يشرع الشيوع كله فقد كانت طائفة من الناس يرتدعون ويظهرون التعزز ويستعملون باب التورع الا ان الجاحظ كان يرى ان هذه الأخلاق انما هي من ضرب التمتع وكيف كان الامر فالذي بهمنا انما هو المذهب نفسه ولهذا المذهب رجال ظهوروا في فرنسا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر منهم ( Henri Beyle ) في مقدمتهم ( Balzac ) و ( فلوير Flaubert ) ثم ( زولا ) وغيرهم فيسكاد بكون ( بالزك ) أستاذ الأدب الجرد أو الأدب الواقع على حسب المصطلح فقد أحيوا في رواياته جماعات تصورها على نحو جماعات العم والدم ٠ -

لمح ( بالزك ) في مقدمة رواية من رواياته الى غرضه فالغاية التي يرمي اليها انما هي كتابة تاريخ الرجل الطبيعي ، فأنتم تدركون من هذه الكلمة النتائج التي تؤدي اليها كتابة التاريخ الطبيعي للبشر ، شأن صاحب هذا المذهب انما هو وصف القبح والجمال ووصف الخير والشر على وجه واحد فلا قبح ولا جمال ولا خير ولا شر في نظر أهل هذا الأدب وانما هي مظاهر مختلفة يظهرها الرجل فهم يشبهون الانسان بحيوان أو نبات ٠ -

ليست غايتنا التبسط في الكلام على أهل الأدب الجرد وانما أردنا ان نقابل بينهم وبين الجاحظ فالجاحظ يختلف عنهم من حيث انه لم يتوسع في هذا المذهب فهو لم يضع روايات يرمي فيها الى تصوير القبح والجمال أو الخير والشر وانما لجأ الى مفردات قد لجأوا الى أشباهها نظراً الى التزامها بموضوعاتهم فهو يشبههم في قليل من المواطنين فقد نجد من كلامه ما هو مجرد من الأدب نسبة الى عصرنا وقد يكون هذا الكلام مألوفاً في عصره الا أنه كيف يكون

(١) الحيوان - الجزء الثالث ص ١٢٠ (٢) لعله : عن لؤم مستعمل ٠

الامر فلا نستطيع في هذه الايام ان نستعمل أضراب هذا الكلام لأن عصرنا لم يتبها لهذا النوع من الأدب ، اما كلام الجاحظ الذي اشرت اليه فانه ينبغي لنا في بحثنا عن لغته . — وقد جرته هذه الحرية في الأدب الى حرية مثلها في اللغة فاسمعوا ما قاله في بعض كلامه على الكلاب<sup>(١)</sup> :

« فأما الذي شهدت أنا من ابي اسحاق بن دينار النظماء فانا خرجنا ليلة في بعض طرقات الأُبَّامة وتقدمته شيئاً وألح عليه كلب من شكل كلاب الرعاء وكره ان بعدو فيغريه وبضربه وأنف ايضاً من ذلك وكان انفاً شديداً الشكيمة اثناء للعصيمة وكره ان يجلس مخافة ان يشر عليه بيوله أو لعله ان يعضه فيهرت ثوبه وألح عليه فلم ينله بسوء فلما جزنا حده وتخلصنا منه قال ابراهيم في كلام له كثير بعدد خصاله المذمومة فكان آخر كلامه أن قال : ان كنت سبع فاذهب مع السباع وطليك بالبراري والفياض وان كنت بهيمة فاسكت عنا سكوت البهائم ، فلما بلغ الى قوله البهائم ثم قال :

ولا تنكر قولي وحكايتي عنه بقول ملحون من قولي : ان كنت سبع ولم أقل ان كنت سبعاً وانا أقول : ان الأعراب يفسد نواذر المولدين كما ان اللحن يفسد كلام الأعراب لأن سامع ذلك الكلام انما يعجبه تلك الصورة وذلك المخرج وتلك اللغة وتلك المادة فاذا دخلت على هذا الامر الذي انما أصبح بسفنه وبعض كلام العجمية التي فيها حروف الأعراب والتخفيف والتثقيب وحولته الى صورة الفاظ الأعراب الفصحاء وأهل المروءة والنجابة انقلب المعنى مع انقلاب نظمه وتبدلت صورته . — »

فلم يأنف الجاحظ بعد أن بسط مذهبه هذا من لحن أو من كلام غير معرب أو من لفظ معدول عن جهته حتى نال في كتاب البخلاء<sup>(٢)</sup> :

« وان وجدتم في هذا الكتاب لحناً أو كلاماً غير معرب ولفظاً معدولاً عن جهته فاعلموا اننا انما تركنا ذلك لأن الأعراب يبغض هذا الباب ويخرجه من حده الا أن أحكي كلاماً من كلام متعاقلي البخلاء واشحاء العلماء كسهل بن هارون وأشبايهه . — »

ولم يقتصر على استعمال اللحن والكلام غير المعرب واللفظ المعدول عن جهته وانما وصي

(١) الحيوان — الجزء الاول ص ١٣٦ .

(٢) البخلاء — ص ٣٣ .

بهذا المذهب فقال<sup>(١)</sup> :

« ومتى سمعتَ حفظك الله بنادرة من كلام الأعراب فإياك وان تعكسها الامع إعرابها ومخارج ألفاظها فانك ان غيرتها بأن تلحن في إعرابها واخرجتها من مخرج كلام المولدين والبلديين خرجت من تلك الحكاية وعليك فضل كبير . وكذلك اذا سمعت بنادرة من نوادر العوام ومُأخَذة من مآخ الحِشوة والطعام فإياك وان تستعمل فيها الإعراب أو أن تُغَيِّرَ لها لفظاً حسناً أو تُجَمِّلَ لها من فيك من جأسر بما فان ذلك يفسد الامتاع بها ويخرجها من صورتها ومن الذي أريدت له ويذهب استطابتهم إياها واستملاحهم لها . — »

فاذا عرفنا ميله الى الحرية في التصوير والمي الحرية في اللغة لزماننا نعرف مذاهبه في هذا التصوير وفي هذه اللغة ، ماهي الأصول التي يبني عليها الفن . —

لم يمتن الجاحظ بشيء في أبواب الفن اعتناؤه بالمناسبة بين الألفاظ والمعاني فان قاعدة : لكل مقام مقال تكاد تكون أغلب قواعده ، فما أكثر ذكره لها في كلامه ، وما أكثر تذيئه على استعمالها ولا يجب في ذلك ، فاذا رأيتم غداً كيف يناسب بين ألفاظه ومعانيه وكيف تكون ألفاظه على أنداء هذه المعاني عرفتم السبب الذي من أجله يحرص هذا الحرص على أن يكون المقال طابقاً للمقام ، فقد نبه على هذه القاعدة في مواضع كثيرة من كلامه لا أرى في حاجة الى ذكرها كلها وانما اجتزى بذكر بعضها فن قوله في هذا المعنى<sup>(٢)</sup> :

« واكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ واكل نوع من المعاني نوع من الاسماء فالسديمف للسديمف والخفيف للنفيف والجزل للجزل والافصاح في موضع الافصاح والكناية في موضع الكناية والاسترسال في موضع الاسترسال وان كان موضع الحديث على انه مضحك وملهي وداخل في باب المزاح والطيب فاستعملت فيه الاعراب انقلب عن جهته وان كان في لفظه سخرى وابدلت السخرى بالجزالة صار الحديث الذي وضع على ان يسر النفوس يكثر بها وبأخذ باكلامها . — »

أو قوله<sup>(٣)</sup> :

(١) البيان والتبيين — الجزء الاول ص ٨١ .

(٢) الحيوان — الجزء الثالث ص ١٢ .

(٣) = = = ص ١١٤ .

« وقبيح بالتكلم ان يفتقر الى ألفاظ المتكلمين في خطبة أو رسالة أو في مخاطبة العوام والجار أو في مخاطبة أهله وعبدته وأمته أو في حديثه اذا حدثت او خبره اذا أخبره ، وكذلك من الخطأ ان يجلب الفاظ الأعراب والفاظ العوام وهو في صناعة الكلام داخل ولكل مقام مقال ولكل صناعة شكل . — »  
أو قوله (١) :

« ووجدنا الناس اذا خطبوا في صلح بين المشائر أطالوا واذا أنشدوا الشعر بين السماطين في مدح الملوك أطالوا وللأطالة موضع وليس ذلك بخطئ وللأقلال موضع وليس ذلك من عجز . . . ورأينا الله تبارك وتعالى اذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحى والحذف واذا خاطب بني اسرائيل أو حكي عنهم جعله مبسوطاً وزاد في الكلام . — »

ومثل الإشارة الى قاعدة : لكل مقام مقال كثير في كلام الجاحظ ولكن كيف يريد الجاحظ ان يكون هذا المقال ، ماهي قواعد الانشاء في نظره ، أيريد ان يرسل الكاتب كلامه على بحيثته دون شيء من التنقيح أم يريد ان ينقح هذا الكلام . —  
اهتم الجاحظ بالتنقيح كل الاهتمام فهو يعلم مقدار فتنة الكاتب بكلامه فلم يجهد بدأ من تنبيهه على التهذيب فقال (٢) :

« وينبغي لمن كتب كتاباً ان لا يكتبه الا على الناس كلهم له أعداء وكلهم عالم بالامور متفرغ له ثم لا يرضى بذلك حتى يدع كتابه غفلاً ولا يرضى بالرأي الفطير فان لا بتداء الكتاب فتنة ومجبها فاذا سكنت الطبيعة وهدأت الحركة وتراجعت الاخلاط وعادت النفس وافرة أعاد النظر فيه فتوقف عند فصوله توقف من يكون ووزن طبعه في السلامة أنقص من وزن خوفه من العيب ويتفهم معنى قول الشاعر :

ان الحديث نثر الناس خلوته حتى يلج بهر عجي واكشار

ويقف عند قولهم في المثل كل مجر في الغلاء يسر فيضاف ان يعتبره ما اعتري من أجرى فرسه وحده أو خلا بعمله عند فقد خصومه واهل المنزلة من اهل صناعته ليعلم ان صاحب القلم يعتبره ما يعتري المؤدب عند ضربه وعقابه فما أكثر من يعزم على خمسة أسواط

(١) الحيوان — الجزء الاول ص ٤٦ . (٢) الحيوان — الجزء الاول ص ٤٤ .

فيضرب مائة لانه ابتداء الضرب وهو ساكن الطباع فأراه السكون ان الصواب في الاللال فلما ضرب تحرك دمه فأشاع فيه الحرارة فزاد في غضبه فأراه الغضب ان الرأي في الأكثر وكذلك صاحب القلم فما أكثر من يتدي الكتاب وهو يريد مقدار سطرين فيكتب عشرة والحفظ مع الاللال أمكن وهو مع الأكثر أبعد . (واعلم) ان العاقل ان لم يكن بالمتبع فكثيراً ما يعتربه ما يعتربه من ولده ان يحسن في عينه منه المقبح في عين غيره فليعلم ان لفظه أقرب نسباً منه من ابنه وحركته امس به رحماً من ولده لان حركته شيء احده من نفسه وبداءته من عين جوهره فصلت ومن نفسه كانت وانما الولد كالمخطة بتمخطها والذخامة بقذفها ولاسواء اخر اجك من جزئك شيئاً لم يكن منك واظهارك حركة لم تكن حتى كانت منك ولذلك تجيد فتنة الرجل بشعره وفتنته بكلامه وكتبه فوق فتنته بمجديع نعمته وليس الكتاب الى شيء اخرج منه الى اقسام معانيه حتى لا يحتاج السامع لما فيه من الروية ويحتاج من اللفظ الى مقدار يرتفع به عن الفاظ السفلة والحشوة ويحطه من غريب الاعراب ووحشي الكلام . — «

وقال في مقام آخر (١) :

وليس في الارض خصمان يتنازعا الى حاكم الاكل واحد منهما يدعي عدم الانصاف والظلم على صاحبه وليس في الارض انسان الا وهو بطرب من صوت نفسه ويعتربه الغلط في شعره وفي ولده الا ان الناس في ذلك على طبقات من الغلط فمنهم الفرق المنمور ومنهم من قد نال من الصواب ونال من الخطأ ومنهم من يكون خطؤه مستوراً لكثرة صوابه فما أحسن حاله مالم يمتحن بالكشف ولذلك احتاج العاقل في استحصان كتبه وشعره من التحفظ والتوقي. ومن إعادة النظر والتهمة الى أضعاف ما يحتاج اليه في سائر ذلك . — «

ولكنه على شدة اهتمامه بالتنقيح والتهديب لا يريد المبالغة في هذا الامر لانه يعلم ان المبالغة قد تنضي بالكاتب في خاتمة الامر الى شيء من التنطع والتنطس فلذلك قال (٢) :

« وليس له ان يهذبه جداً وينقعه ويصفيه ويروقه حتى لا ينطق الا بلب اللب وباللفظ الذي قد حذف فضوله وتعرفه وأسقط زوائده حتى عاد خالصاً لا شوب فيه. فانه ان فعل

(١) الحيوان — الجزء الثاني ص ٣٧ .

(٢) = = الاول ص ٤٥ .

ذلك لم يفهم عنه إلا بان يجددلم أفهاماً مراراً وتكراراً لأن الناس كلهم قد تعودوا المبسوط من الكلام وصارت أفهامهم لا تزيد على عاداتهم إلا بان يعكس عليها ويؤخذ بها إلا ترى ان كتاب المنطق الذي قد سم بهذا الاسم لو قرأته على جميع خطباء الامصار وبلغاء الاعراب لما فهموا أكثره وفي كلام إقليدس كلام يدور وهو عربي وقد صني لوسمعه بعض الخطباء لما فهمه ولا يمكن ان يفهمه من يريد تعلمه لانه يحتاج الى ان يكون قد عرف جهة الامر وتعود اللفظ المنطقي الذي استخرج من جميع الكلام ( قال معاوية بن أبي سفيان ) رضي الله تعالى عنهما لصحار العبدي : ما الایجاز ؟ قال : أن تجيب فلا تبطي ، وتقول فلا تخطي ، قال معاوية : أو كذلك تقول ، قال صحار : أقلني يا امير المؤمنين ، لا تخطي ولا تبطي ، فلو ان سائلاً سألك عن الایجاز فقلت لا تخطي ولا تبطي ، وبحضرتك خالد بن صفوان لما عرف بالبدية وعند اول وهلة ان قولك لا تخطي متضمن بالقول وقولك لا تبطي متضمن بالجواب وهذا حديث كما ترى آثروه ورضوه ولو ان قائلاً قال لبعضنا : ما الایجاز ، لظننت انه يقول الاختصار ، والایجاز ليس بعني به قلة عدد الحروف واللفظ وقد يكون السباب من الكلام من أتى عليه فيما يسمع بطن طومار فقد أوجز وكذلك الإطالة . وانما ينبغي له ان يحذف بقدر ما لا يكون سبباً لإغلائه ولا لترداده وهو يكتبني من الإلهام بشرطه فما فضل عن المقدار فهو المخطئ . — »

واذا كان الجاحظ يرمي الى التهذيب والتنقيح فمن الطبيعي ان يجعل للألفاظ صفات وخصائص وأن يحمل الكاتب على توخي هذه الصفات وهذه الخصائص ، ماهي طبائع الالفاظ التي يميل اليها الجاحظ ، قال في هذا المعنى <sup>(١)</sup> :

« وأحسن الكلام ما كان قليله بغنيك عن كثيره ومعناه في ظاهر لفظه وكان الله عز وجل قد ألبسه من الجلالة وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله فاذا كان المعنى شريفاً واللفظ بليغاً وكان صحيح الطبع بعيداً عن الاستكراه ومزهاً عن الاختلال مصوناً عن التكلف صنع في القلب صنيع الغيث في التربة الكريمة ومتى حصلت الكلمة على هذه الشريطة ونفذت من قائلها على هذه الصفة أصبحها الله من التوفيق ومنها من التأيد ما لا يتمتع من تعظيمها به صدور الجبارة ولا يذهل عن فهمها عقول الجهلة ، وقد قال عامر بن



عبد القيس : الكلمة اذا خرجت من القلب وامتت في القلب واذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان . — «  
ومن قوله ايضاً : (١) :

« ومتى شا كل ابقاك الله ذلك اللفظ معناه وأعرب عن لغواه وكان لتلك الحال ونقما ولذلك القدر لفتما وخرج من سماجة الاستكره وسلم من فساد التكلف ، كان قيننا بحسن الموقع وبانتفاع المستمع وأجدر ان يمنع جانبه من تناول الطاعنين ويحمي عراضه من اعتراض العيابين ولا تزال القلوب به مغمورة والصدور مأهولة ومتى كانت اللفظ ايضاً كريماً في نفسه متخيراً في جنسه وكان سليماً من الفضول بريئاً من التعقيد حجب الى النفوس واتصل بالأذهان والتحم بالمقول وهشت اليه الأسماع وارتاحت له القلوب وخف على ألسن الرواة وشاع في الآفاق ذكره وعظم في الناس خطره وصار ذلك مادة للعالم الرئيس ورياضة للمتعلم الرديء .  
فان أراد صاحب الكلام صلاح شأن العامة ومصلحة حال الخاصة وكان ممن يعم ولا يخص وينصح ولا يبغض وكان مشغولاً بأهل الجماعة شديراً لأهل الاختلاف والفرقة جمعت له الحفظ من أقطارها وضيقت اليه القلوب بأزمتهما وجمعت النفوس المختلفة الأهواء على محبته وجعلت على تصويب إرادته ومن أعاره الله من معرفته نصيباً وأفرغ عليه من محبته ذنوباً حنت اليه المعاني وسلس له نظام اللفظ وكان قد أغنى المستمع من كد التكلف وأراح قاري الكتاب من علاج التعم ولم أجدر في خطب السلف الطيب والأعراب الأتقح الفاضل محفوظاً ولا معاني مدخولة ولا طبعاً ردياً ولا قولاً مستكرهاً واكثر ما نجد ذلك في خطب المولدين البلديين المتكلمين ومن أهل الصنعة المتأدبين وسواء كانت ذلك منهم على جهة الارتجال والانتصاب أو كان من نتائج التغير والتفكير . ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولاً كريماً وزمناً طويلاً يردد فيها نظره ويقب فيها رأيه اتهاماً لعقله وتتبعاً على نفسه فيجعل عقله ذمماً على رأيه ورأيه عيساراً على شعره إشفافاً على أدبه وإحرازاً لما خوله الله من نعمته . — «

فأكبر همه انتخاب اللفظ النبهي الشريف واجتناب اللفظ المهين الرديء .  
وقبل ان يشرع الكاتب في الكتابة يلزمه ان يتصور المعنى ثم يتصور اللفظ على قدر

هذا المعنى<sup>(١)</sup>.

«وشر البغاء من هيا رسم المعنى نبل أن يعي المعنى عشقاً لذلك اللفظ وشغفاً بذلك الاسم حتى صار يجري اليه المعنى جراً ويلزقه به الزاقاً حتى كأن الله تعالى لم يخلق لذلك المعنى اسماً غيره ومنعه الإفصاح عنه إلا به —»

هذه بوجه التقريب القواعد التي رسمها الجاحظ في صناعة الكلام وإذا أجملناها وجدنا أنها تتعلق بالمناسبة بين الألفاظ والمعاني وبتنقيح الالفاظ دون شيء من الغلو في هذا التنقيح وبما يؤدي إليه التنقيح من انتخاب الالفاظ وتخيرها فهي من هذا الوجه تشبه في بعض الأحوال القواعد التي يضعها أدباء الأفرنجية فإذا قابلنا مثلاً بين ماقاله الجاحظ وبين ماقاله الشاعر الفرنسي «بوالو» في فنه الشعري وجدنا القولين متشابهين في كثير من الوجوه . فإذا تم للأديب هذا كله واجتمعت له أسبابه فليعمل بعد هذا بما قاله الجاحظ له<sup>(٢)</sup> :

«وليس ينبغي لكتب الآداب والرياضات أن يحمل أصحابها على الجد الصرف وعلى العقل المحض وعلى الحق المر وعلى المعاني الصعبة التي تستكده النفوس وتستفرغ الجهود وللصبر غاية وللإحتمال نهاية —»

فما ينبغي للأدب في نظر الجاحظ أن يكون متعباً للعقل وإنما الأدب في رأيه ضرب من الرياضة وعلى هذه العورة يشبه مذهب الجاحظ في قدر الأدب مذهب أكابر الأدباء في فرنسا وفي جملتهم الاستاذ «لانسون» Lanson الذي يريد أن يكون الأدب : رياضة وذوقاً ولذة<sup>(٣)</sup> . —

في ٥ آذار سنة ١٩٣٢

شفيق جبري

(١) رسائل الجاحظ على هامش الكامل — الجزء الأول ص ٢٨ .

(٢) = = = = = ص ١٥٥ .

(٣) راجع كتابي : المتنبي — ص ٤ .

## قصيدة الفراسة



هذه أرجوزة تعد ٢٣٣ بيتاً تضمنت ذكر فضائل الاجناس وما خص كل جنس من جميل الطبع وقبيح الخلق وأثر كل بلدة بأهله — على سبيل الاختصار وهي من النوادر العزيزة الوجود اذ لم أرها في غير مسودة كتاب كنوز الذهب في تاريخ حلب ل احمد بن ابراهيم موفق الدين أبي ذر ابن المعجمي المتوفى سنة ٨٨٤ وقد كتبت هذه القصة بخط يده وعنه نسختها وكان المرحوم العلامة الشيخ طاهر الجزائري رآها عندي في احدى زيارته منزلي وطلب مني أن أسمع له بنقلها فاعتذرت له ولم أجب طلبه حرصاً عليها وأخبرني انه لم يرها مدة حياته سوى مرتين هذه المرة احداً مع كثرة اطلاعه وولعه بالبحث والتنقيب عن الكتب المخطوطة النادرة .

والذي يغلب على الظن استدلالاً من أسلوبها واستنباطاً من تسميتها البلدان والاقاليم وأجناس الناس بأسمائها المذكورة فيها — أنها مما نظم في القرن الرابع او الخامس . وليس الغرض من نشرها بيان نعوت البلدان والسكان التي ذكرت فيها ولا ذكر محاسنهم ومساوئهم إنما الغرض من نشرها بيان عقلية ذوي الثقافة في أهل الزمن الذي نظمت فيه فيما حكته عنهم وهي من جهة أخرى قد تعد أثراً تاريخياً قديماً يستحق ان يحرص على حفظه وصونه من فقدان والضياع .

والذي أعتقد من ذوي الثقافة في هذه الايام انهم لا يحفظهم ما يرونه في هذه القصيدة من ذكر مساوي بلادهم أو اجناسهم فان شعبة مداركهم ترشدهم الى ان طباع الناس والأقاليم قد استحال الكثير منها الى الضد والنقيض اذ من نظر في مرآة الوجود وبحث في أحوال تلك البلاد وأخلاق أهلها وطبق محاسنها ومساوئها على ماورد في هذه الأرجوزة —

تراءى له أن أكثر ما تضمنته قد أحاله الزمان الى عكسه فاقطب البلاد العاصم خرباً والحرب عامراً وهذا مصداق ما قاله الحكيم : « ليس ترداد حركات الفلك الا احالة الكائنات عن حقائقها » قيل ومنه أخذ المتنبي قوله :

لومن صحب الدنيا طويلاً تقلبت علي عينه حتى يرى صدقها كذبا  
ان الكائنات تتأثر بالزمان اكثر من تأثرها بالمكان قال فيلسوف العرب النابغة  
المعري :

اما المكان فثابت لا ينطوي	لكن زمانك ذاهب لا يثبت
يقال ان زماناً يستفيد لهم	حتى يبدل من بؤس بنماء
ان المواهب كلها عارية	ومن السفاهة غبطة بعطائها
زمان ينشاطب ابناءه	جهاراً وقد جهلوا ما عتوا
يبدل باليسر اندامهم	وتهدم احداثه ما بنسا

ولابي تمام في المعنى :

ارض مصردة وأخرى تسجم	تلك التي رزقت وأخرى تحرم
واذا تأملت البلاد رأيتها	تثري كما تثري الرجال وتعدم
حظ تعاوره البقاع لوته	واد به صفر وواد مغمم
	حلب : كامل الغزي

وهذه هي القصيدة :

### القصيدة الموعود بذكرها

الحمد لله على الهداية	والعلم والتوفيق والدراية
هذي قصيدة الحدس والفراسة	لأفمة لصاحب السياسة
يعرف منها كل مستسر	في الناس من ذي صالح رشر
وأسيك جنس فهم الفجاية	والرأي والتحرير والامسابة
وأهمر يرغب في السداد	ويقتنى للمهن الشداد
وأهمر في طبعه شراسه	وأهمر ليس له رياسه

ومن يكون صالحاً للخدمة      ومن له عزيمته وهمته  
وعلم ما أذرت البلاد      في طبعهم وماله استفادوا  
فأفهم مقالي فهو عين الرشد      ان كنت تبغي بغيثي وقصدي

## « ذكر العرب »

خير البرايا والأنام العرب      كذاك قال العالم المحرب  
طابوا فروعاً وزكوا أصولاً      لانهم لم يلدوا مجهولاً  
وتزلوا نجداً واراض نجد      سليمة من كل طبع مرد  
فسلطوا من شره العراق      وغلظة الشام والرساق  
ففيهم العزة والحمية      والشيمة الطاهرة الزكية  
كراهة الغدر وبذل الجود      والطنن بالثقف الأملود  
وفيهم الخداع والعداوة      والشر والارهاب والقساوة  
وفيهم نجابة الاولاد      وعندم فضائل الأجداد  
رعاية الجار وحق الضيف      موجودة فيهم وضرب السيف  
وفيهم تراحم وعطف      وفيهم عتب وفيهم عنف  
أمينهم ليس له مماثل      كما الخوون ماله معادل

## « ذكر العجم »

والفارسيون لهم مكارم      يعرفها من لهم بلائم  
لهم خلال ولم رياسة      وفيهم السداد والكياسة  
وعندم بخل وفيهم كبر      وعزرة ومنعة وفخر  
والرحمات عندم كثيرة      واللغات فيهم شهيرة  
وفيهم نجابة معروفة      وهمة وعزيمة موصوفة  
وعندم رأي وفيهم علم      وصنعة وحكمة وفيهم

## « ذكر الترك »

والترك فيهم فسوة وعظمة      وجراًة ما ان لديها مرحمة

لا يعرفون العفو والوفاء      ولا يرون الجود والسخاء  
 وفيهم النسيان والكفران      وفيهم الابطال والشجمان  
 وفيهم الليوث يوم الحرب      وفيهم كل مليح عذب  
 لهم قدود ولم خصور      والوجنات الحمر والشعور  
 وفيهم نجابة الأولاد      لكن عروا من حكمة السداد

## « ذكر الديلم »

والعقل في الديلم والسداد      في حسنهم ليس له نقاد  
 وفيهم شهامة وفضل      وعفة ورتبة ونبيل  
 في نسلهم نجابة ونسوة      ونغظة في طبعهم وجسوة  
 وفيهم جبرية وظلم      وفيهم قساوة وغشم  
 وعندهم شطر من الآداب      ومن رجوع العقل للصواب

## « ذكر الأكراد »

والشركن الشر في الأكراد      لبعدهم عن منج السداد  
 وفيهم للحرب والقتال      جلادة والظمن بالعوالي  
 لكن جميل الخلق والصباحة      ليست لهم كلالا ولا السباحة  
 ونسلهم يصلح للجلاد      وللأمور الصعبة الشداد

## « ذكر الروم »

والروم فيهم أدب وظرف      وغلظة ونفمة ولطف  
 وفيهم العقول والألباب      وفيهم الآراء والصواب  
 وفيهم فوارس الشجاعة      والعلم والحكمة والصناعة  
 وفيهم اللذة والتمتع      لكنهم ما فيهم تصنع  
 وفيهم البخل وذل النفس      وفيهم الفم وصدق الحدس  
 لكل شيء يصلح الغلام      منهم وهذا الشرف التمام

## « ذكر الأرمن »

وليس في الأرمن خير فاعلم      ان كنت يا صاح اخا تفهم

للشغل الشاق من الاعمال براهم ذو العز والجلال  
 وفيهم ضرب من الجمال لكنه يندر في الرجال  
 وفيهم فذارة وخسة وذل نفس ليس فيه لبسة  
 « ذكر الفرنج »

كذلك الفرنج شر الأمم في غلظ الطبع وخبث الشيم  
 أبجل من براه رب الناس من سائر الضروب والاجناس  
 لكنهم ابعمال يوم الحرب واعمل الخلق بحمد القضب  
 وعندما سياسة قليلة وحكمة لكنها ضئيلة  
 وفيهم رشاقة القدود وحمرة الوجنت والحدود  
 « ذكر اللان »

واللان جنس خلقوا للخدمة والمعاناة وحفظ الحرمة  
 فان تردم للتكاح والولد فان في ذلك على غير الرشد  
 « ذكر الهند »

والهند فيهم عفة وفسق وقسوة وباطل وحق  
 لهم شعور ولم قدود وهم اهيل وم عبيد  
 ان استرقوا يصلحوا للرق وللطرفات<sup>(١)</sup> ولللاشق  
 وللتناج ثم للاولاد وللخصومات وللجلاد  
 « ذكر السند »

الأم جنس الناس جنس السند فلا ترد منهم سلوك القصد  
 لهم خصور ولم شعور لكنها اذا م كثير  
 براهم الله الشديد الحول فاتبعه سبيلي واستمع لقولي  
 « ذكر البربر »

أنجب اجناس الرقيق البربر لاسما الجنس اللطيف الاصفر  
 للوطي والأولاد والبيوت يحترن لا للكد والتعنيت

نعم وفيهم للغناء طبع وللعلوم الرائقات جمع  
والكيس والظرف لم شعار فاخترهم فجنسهم مختار  
وفيهم سوء وخبث دخله وعندم بخل وفيهم خله  
« ذكر الزرنج »

ان الزرنج في العبيد وسط وأمرم أمر به تخط  
بصلحن للنكاح لالولده ثم للخدمة والتودد  
ما فيهم عقل ولا رياسة كلا ولا عندم سياسة  
« ذكر أجناس السودان »

وفي الزوج غلظ الطباع وفيهم ميل الى البضاع  
ما فيهم لنا حكمهم منية ولا لقائهم غداً من بنية  
الا لاهل الريف والريثاق وكل ذي أمر شديد شاق  
برام لذاك رب الناس فلا تكن عليهم بالآسي  
« ذكر صقع سرنديب »

من في سرنديب يكون مولده بطيب منه عيشه ويحمده  
ولا يزال ضاحكاً مستبشراً كأنما يشرب صرفاً مسكراً  
« ذكر خراسان »

من في خراسان يكون شهماً قاسي الفؤاد لا براعي رحماً  
له رواء حسن ومبسم لكنه عن خيره مجهم  
« ذكر نيسابور »

كذلك نيسابور فيها عجب وليدها فيه البذا والمعجب<sup>(١)</sup>  
لا يعرف الفضل لرب الفضل لما عليه قد يرى من جهل  
وفيهم شراسة وخفة وظلظة ومسكة وكلفة  
« ذكر اصفهان »

وجي فيها شرة وخيرة لكنها شهرتها الشهيرة

(١) كذا ولعله الصخب .



ليس لمن في ارض اصهبان خليقة غير اذى الجيران  
 لهم رداء ولم جمال رفهم الخيلة والادلال  
 وفيهم تعجب في الطبع لغير دين ولغير شرع  
 « ذكر الري »

والري فيها الكيس والظرافة لكنها في طبعها كثافة  
 لهم عقول ولم آداب لكننا آراؤهم تصاب  
 وفيهم شجاعة وقوة وعندهم في طبعهم عتوة  
 وليدها يركب كل صعب ولا يخاف نازلات الخطب  
 « ذكر مرو »

ومرو في تربتها السلامة وفي بنيتها النقص والقدامة  
 ليس بها فضل ولا وسامة ولا لها في اهلها كرامة  
 « ذكر طوس »

تولد الجهل مع المولود وتسلب الرشد من الرشيد  
 وليدها يعرف في الاقطار بانه من جملة الابقار  
 وفيهم شراسة وحدة وعندهم لآمة وشدة  
 والحسن في غلمانهم معروف لكنهم ليس بهم ظريف  
 « ذكر هراة »

وفي هراة كل امر معجب من العلى والدين والتأدب  
 وكل فضل من دقيق العلم في اهلها وكل امر نغم  
 وفيهم بسالة وقوة لكنهم ليس لهم مروة  
 وفي أنانهم جمال ظاهر يعرفه المقيم والمسافر  
 وفيهم بغض لاهل الحق فيا لهذا من لثم الخلق  
 « ذكر همذان »

وان ترد في همذان خيرا عن ولو انك كنت طيرا

مدينة في طبعها فظاظة      وفي بندها الشر والغلاظة  
الجهل فيهم شائع مشهور      والعقل بهم خامل محمور  
وفيهم دناءة ولوم      وترف شيطانه رجيم  
قد سلبوا الغيرة والسدادا      والفوا الخصام والعنادا  
وفيهم تماشر في الذنب      فيا لهذا من قبيح الادب  
وفيهم محاسن وظرف      لكنها ليس عليها عطف  
« ذكر الاهواز »

وعند اهل الخوز والأهواز      جماع كل الشر والمخازي  
وفيهم علي ذفي الاتس      بأس ولكن ليس عن تفرس  
وفيهم من الجمال والمقه      خليقة لكنها مستفقه  
وفيهم لباقة وشكل      لكنها عم عليها الجهل  
وقد سبى النساء للرجال      في الحسن والعفة والاشكال  
« ذكر مازندران »

مازندران في بندها ظرف      وعندهم رياسة ولطف  
لكنهم في خلقهم شراسة      وحدة أزرى على الرياسة  
وفيهم تكرم وجود      بعناده الاحرار والعبيد  
« ذكر البصرة »

وعند اهل البصرة الرذاة      واللوم قد ضما الى الدنائة  
في تربة الارض وفي الهواد      جبلة للفهم والذكاء  
وفيهم شر وفهم لوم      شعاره عليهم معلوم  
وفيهم سماحة الاخلاق      قد جبلت بالرقع والشقاق  
وفيهم نتائج النفاق      وكما يجمع في النفاق  
« ذكر الكوفة »

والكوفة الحمراء في هوائها      عجائب وترها وماثها  
القدر في ترابها مجبول      والخير عن مياهها مشغول

وما لهم عهد ولا وفاء  
لكن عليهم غلب المراء  
بالمبدعات عنهم سار المثل  
وطبق الارض سهولاً وجبل  
وعندهم غوص على العلوم  
منشورها والحكم المنظوم  
وفيهم حسن الطلا معروف  
يعرف ذلك الفهم الطريف

« ذكر بغداد »

وعند بغداد اعتدال تام  
في ارضها ليس له اكتتام  
مولودها افهم كل ناطق  
بالعلم والآداب والخلائق  
وعندهم كيس وفضل شامل  
لكنه يشوبه مخائل  
وفيهم عجب وتيه و صلف  
ودين كل ما حووه من لطف  
وعندهم سوء وفسق زائد  
وفطنة لكنها مكائد  
وعندهم من المراء والرها (١)  
ماليس يحصيه سوى رب السما  
قد جبلوا على السرور والطرب  
والسعي بين الناس بالامر العجب  
ليس لهم عهد ولا ميثاق  
خص بهذا الخلق العراق

« ذكر بابل »

وبابل شر البلاد والقرى  
تكسب طبع اهلها شر الأرا  
ففيهم خلاف وبهم شقاق  
وعندهم في دينهم نفاق  
وفيهم دين ونسك شامل  
وفيهم الخداع والتحايل

« ذكر الموصل »

والموصل الحدباء خير منزل  
قليلة الاسواء والتمايل  
لهم خواص في الغناء والطرب  
وكما يكون من شرط اللعب  
وعندهم سماحة وجود  
لكنها يفسدها التشكيد  
لاهلها تيه وعجب زائد  
والدين في عرصتهم غريب  
اكثره لفضلهم معاند  
والظلم والبغي لهم حبيب

(١) الرما لغة في الرياء .

« ذكر الجزيرة »

واسمع هديت صفة الجزيرة      وماسرى عن اهلها من سيرة  
ترايبها وماؤها المنساب      ليس به علم ولا آداب  
لكنه أشيب بالجهالة      والحق المجنون بالرزالة  
ما فهم عقل ولا صباحة      وجاهم صنعته الفلاحة

« ذكر نصيبين »

صاب نصيبين عذاب الحمى      وخص فهم ضرها وعمها  
فما ترى في ربها صحيحا      ولا فنى مذبذباً مليحاً  
دأبهم الخصام والمهاترة      والشر والتكذيب والمكابرة

« ذكر سنجار »

وارض سنجار فشر ارض      اعطاب العلم وباغي العرض  
أخلاقهم سيئة ردية      وكلم في فهم سوية  
لا يعرفون الجود والتكرما      ولا اللذات ولا التنعما  
قد شغلوا بتمب الأشغال      عن العلى وكرم الخلال

« ذكر حرات »

واهل حرات فشر الناس      في الوصف والتقدير والقياس  
البخل فهم أظهر الاوصاف      بلا ممارسة ولا خلاف  
وفهم من غلط الاخلاق      ما جل عن حكاية الخذاق  
تقاصروا عن شرف الفضائل      وانهمكوا في أزدل الرذائل

« ذكر الرها وماردين وآمد »

وفي الرها وآمد عجائب      وماردين عندهم غرائب  
كل اهلها لثام بكم      عن العلى والمكرمات صم  
ليس لهم في الدين والعلوم      حظ ولا في الشرف القديم  
فهم جفاء وشرور ونزق      وعندهم في الود والحب مذق  
وكل مولود من الغلاب      في ارضهم يعيش كالخيران

ومن ترف فيهم صغيرا لم يك في رياسة كبيرا  
«ذكر الرافقة»

لا سيما ان حل ارض الرافقة وحل في تربتها علائقه  
وكان من ماء البلخ مشربه ومن ثراها اكله ومكسبه  
فابك على ذكائه وفطنته وكيسه وعلمه وحكمته  
كذا حكي الرواة عن هارون في وصفها ثم عن المأمون  
«ذكر الشام»

والشام عين الارض والبلاد وخير دار وأجل ناد  
يكسب من يحله جلادة وعزمة بفضدها نجادة  
وفيهم ميل الى الولاية ومن له شأن من الكفاة  
وفيهم فساعة وصبر لاسيا ان حل يوما أمر  
لكنا الحدة فيهم عادة وغفلة نتاجها بلادة  
«ذكر منبج»

فمنبج طيبة البراري لاهلها رغبة القرار  
لكنها مفسدة للرأي مبيرة للفهم والذكاء  
فيها جمال ولها بهاء وفي بنيتها منطلق هراء  
طالما ليس له سيادة ونجمها ما عنده افادة  
وفي بنيتها قوة وشدة لكننا ليس عليها عمدة

«ذكر حلب»

وحلب خزانة الذكاء وموطن العفة والحياء  
طالما للغرباء سعد وهي لمن فيها شقا وكد  
لكنها تمطي دقيق العلم لأهلها من بعد لطف النعم  
لكنها نتيحة التلاحح وموطن المراء والكفاح  
والعصبيات لديهم وافرة وعلقة الحذق عليهم ظاهرة

## « ذكر أحماءة »

وفي حماة حمق وخفة      وفيهم للمكرمات كلفة  
 لكنهم فيهم ذكاء ظاهر      يعرفه من لم يعاشر  
 وفيهم غلاظة الطباع      معروفة في سائر الاصقاع  
 « ذكر شيزر والمعرة »

في شيزر واختها المعرة      خلائق الجهل وطبع الشرية  
 فشيزر جهل بلا مضرة      والفهم والضمر لدى المعرة

## « ذكر حمص »

وعند حمص كل أمر مجيب      من نجدة وفطنة وأدب  
 لكنها منزلة الرقاعة      وموطن الخفة والفراغة  
 وفيهم الحدة والبسالة      وفيهم القوة والجهالة

## « ذكر دمشق »

وفي دمشق منظر أنيق      يعرفه العسدي والصديق  
 وفي بنيتها منظر عجيب      وخلق نتاجه غريب  
 لم رواء حسن      لكنه عن باطن يفر  
 وفيهم شكاسة الاخلاق      وغلظة تنبو عن الشقاق  
 وداهم اما شهدت وافي      فان تغب فالود منهم خاف  
 وفيهم نجابة وباس      لكنها ليس لها ايناس  
 وفيهم غلاظة وحدة      وفيهم على الغريب شدة

## « ذكر فلسطين »

وفي فلسطين ارض الأردن      والشام الاعلى كل طبع حسن  
 هواؤه وماؤه والتراب      لأهله فيه معان عجب  
 تكسب من حل به او نزلا      نجابة تدرأ عنه المللا  
 تنتج حب الدين والعبادة      لأهله والصبر والزهادة

لكنه يغلظ الاكبادا ويغظم الفطنة والسدادا  
وفيه إمساك وبجل زائد وفطنة اسكنها مكاييد  
ذكر مصر»

وعند مصر كل أمر معجب تحار فيه ففكرة المهذب  
طالها بالعب والمزاح وخفة الأنفس والأرواح  
وقلة الغيرة والوفاء والحب للآراء والاهواء  
لكنها قرارة الفراعنة وخطة الأراذل الصفاعنة  
وفهم رياسة وهمة وشبق عند النسا وعلمة  
والعشق فيهم البذاء فاشي ليس لم عن قبحه تحاشي  
وفهم علم وفهم وأدب وهمة الى العلاء والرتب

« ذكر المغرب »

وعند أهل المغرب الجفاء وقوة ليس بها مرارة  
وفهم بجل شديد وقحة عند الجدال المرارة مستبجة  
وفهم شجاعة عند اللقا خليقة ليست لم تخلقا  
وعندهم علم وفهم وافر وهمة تعرفها العشائر  
والعصبيات لديهم جمه لكنهم آراؤهم ملتمة

« ذكر العجم »

في العجم العلم والدكاء والالطف والتجدة والعزاء  
وفهم دمانة الأخلاق والبأس يوم الخلف والشقاق  
وفهم الغضب سلب المال والسوء والمكر على الرجال  
لم ، ذاد ، لم جمال وفهم الاعطاء والافضال  
وفهم ميل الى اللذات والعشق ، الغناء والفرحات

« ذكر اليمن »

وعند أهل اليمن القباحة موجودة وقلة الرجاحة

وقلة العقل لديهم فاشية      اكثما طباعهم مواتية  
وعندهم فصاحة . علم      وعزيمة صادقة . فهم  
وفهم السخاء والتكرم      وفهم غدر . شر يعلم

\*\*\*

فهذه نتائج البلاد      وكنه ما يختص بالعباد  
نقلتها عن كل طب ندس      رحب المعلوم صادق التفرس  
ظاهرة الدليل . البرهان      وانحة المنار والتبيان  
تنفع من يرغب في السياسة      ويمتطي غوارب الرياسة  
ويعتني بخبرة الأنام      من الأجلا ومن العوام  
وقدأت من حسن التهذيب      تلقح رأي الفطن اللبيب



## الاسماء العربية للثمار النباتية

—(١)—

نشر العالم المحقق الدكتور امين باشا الملعوف في هذه المجلة بحثاً مستفيضاً في اصطلاحات النبات<sup>(١)</sup> بدأه بالبزرة وأنهاه بالزهرة وترك الثمرة وأشكالها دون ان يتعرض لها . ولا شك ان الألفاظ التي استقر عليها الدكتور المشار اليه سواء أكانت من وضعه أم من وضع الذين تناولوا هذا البحث من قبله هي على ما رأيت أصح ما يجب على المؤلفين اقتباسه لكتب علم النبات وكتب الزراعة وما إليها .

ولما كانت معرفة الاسماء العربية لثمار مختلف الثمار تهتم جميع الذين يتدارسون العلوم النباتية والزراعية جثت بهذه المقالة كتحققاً لبحث امين باشا الذي له فضل السبق في هذا المضمار . ولا يظن احد انني وضعت لأشكال الثمار أسماء لم يسبقني اليها العلماء من قبل . فالحقيقة ان عملي في هذا البحث يقتصر على تقييد الألفاظ التي وضعها السابقون واختيار ما أراه منها أصح من غيره . وربما لم يزد ما هو من وضعي ( والأصح ما أنبه اليه قبل غيري ) على لفظة واحدة أو لفظتين .

والكتب التي راجعت فيها الاسماء الموضوعة لأشكال الثمار هي الآتية :  
أولاً كتاب الدر اللامع في النبات وما فيه من الخواص والمنافع تأليف انطون فيجيري  
بك طبع سنة ١٢٥٢ هـ في مصر .

ثانياً كتاب مبادي علم النبات تأليف جورج بوشط طبع سنة ١٨٧١ في بيروت .  
ثالثاً كتاب علم النبات الزراعي تأليف جون برسيغال ، نقل الى العربية سيف وزارة الزراعة المصرية وطبع سنة ١٩٢٠ م .

(١) أنظر م ٧ ص ٢٨٩ وم ٨ ص ٣٢١ و ٤٦٥ من مجلة الجمع العلمي العربي .

- رابعاً معجم العلوم الطبية والطبيعية للدكتور محمد بك شرف .  
 خامساً أم كتب النبات المدرسية التركية ككتاب الدكتور اسعد شرف الدين .  
 طبع في القسطنطينية سنة ١٩١٢ و كتاب حسين رمزي بك ، طبع سنة ١٣٢٠ مالية في  
 القسطنطينية و كتاب الدكتور شرف الدين ميمومي ، طبع سنة ١٩٠٩ في مصر . وغيرها  
 وهي أربعة كتب أخرى .  
 سادساً مفردات ابن البيطار ومعاجم اللغة الأصلية .

\*\*\*

لا يخفى على الذين لم يلمحوا علم النبات ان الثمار تقسم ثلاثة أقسام أساسية وهي  
 البسيطة والمركبة والمؤتلفة ( أو المدغمة أو المشتركة ) . وان الاولى اي البسيطة على ثلاثة  
 أشكال : جافة ولحمية و ما بينهما . وان الشكل الاول اي الثمار الجافة منها التي لا تنفتح عندما  
 تنضج ومنها التي تنفتح .

فمن الثمار الجافة التي لا تنفتح ثمرة يسمونها بالفرنسية ( Achaine ) تكون بزرتها منفصلة  
 عن الغلاف الثري وقد سماها جميع المؤلفين المار ذكرهم « فقيرة » الا الدكتور محمد بك  
 شرف فانه عرب اللفظة الأجمعية فقال اخينيوم واخين : وأرى انه يلزم الاحتفاظ بلفظة  
 الثمرة الفقيرة التي شاعت منذ نحو قرن الي يومنا هذا .

ومنها ثمرة تدعى بالفرنسية ( Caryopse ) تكون بزرتها وغلافها الثري متلاحمين  
 كحب الخنطة والشعير والذرة وأشباهاها . وقد سماها فيجيري بك « الثمرة اليابسة » . وسماها  
 بوست وشرف « الحبة » ووردت في كتاب علم النبات الزراعي بلفظة « البرة » أما الاتراك  
 فانهم أطلقوا عليها لفظ « الثمرة القلوية » و « الثمرة الجوزة » وأرى ان « البرة والحبة »  
 هما أصلح لفظ لهذا الشكل من الثمار .

ومنها ثمرة تدعى ( Samare ) لها زائدة كالجناح منهم من عرب اسمها الاعجمي فقال  
 « سمارة » ومنهم من سماها ثمرة مجنحة وثمر جناحي . اما بوست فدعاها بالمتساح . وأظن ان  
 لفظ « الثمرة الجناحية » أرجح ما تسمى به .

ومن الثمار الجافة التي تنفتح ثمرة تدعى ( Capsule ) لم أجد لها اسماً في معجم شرف ولا  
 في كتاب بوست . وجاءت في كتاب فيجيري باسم « الثمار الجوزية » وكذا في كتب الاتراك

الا واحداً منهم سماها «العلبة» كما سماها مترجموا كتاب علم النبات الزراعي . وعندني ان أصلح لفظة لهذه الثمرة هي الجرو . ج . ج . ج . فقد ورد في اللسان ان الجرو «وعاء بزر الكماير وفي المحكم بزر الكماير التي في رؤوس العيدان» . وجاء في المخصص «... وكان سنابله جراء الخشخاش ...» . قلت وثمرة الخشخاش هي كبسول نباتياً .

اما لفظة العلبة فيرجح استعمالها لثمرة أخرى جافة ينفخ نصفها الأعلى كما ينفخ غطاء العلب ويسمونها بالفرنسية ( Pyxide ) . وسيت في هجم شرف وفي كتاب علم النبات الزراعي «الشر الحقي» ودعاها الأتراك باسم «الشر الصوفي ؟» اما بوست فأطلق عليها لفظة العلبة وهو أرجح اسم لها على ما أرى .

ومن الثمار الجافة التي تنفتح تلك التي تدعى ( Follicule ) وهي ذات غلاف ثري واحد يتصدع على امتداد تدريز واحد ايضاً . وقد سماها جميع من ذكرنا من المؤلفين «ثمرة جرابية» الامتجمي كتاب جون برسيغال فقد أسماها «الحوصلاء» واللفظة الاولى أرجح لانها متفق عليها .

ومن ثمار نباتات الفصيلة القرنية كالقول والفاصولياء وأشباهها وتسمى بالفرنسية ( Gousse ) وغلافها الثمري ينفخ على امتداد تدريزين . وقد سماها المؤلفون ثماراً قرنية وثماراً بقلية ونسب الدكتور شرف الى الجمع فقال «ثمر بقولي» . وأصلح لفظة لها هي السنفة والحُبلة . فلنظة السنفة استعملها ابن سيده وابن البيطار لهذه الثمار . وورد في اللسان «يقال لأكمة الباقلاء واللوبياء والعدس وما أشبهها سنوف واحدها سنف» . ومن البديهي ان الك في هذه الجملة هو الغلاف الثمري بعينه اي ما يدعى بالفرنسية ( Carpelle ) والسنفة تطلق على ذلك الغلاف وعلى البزور التي هي ضمنه اي على الثمرة كلها .

وجاء في اللسان «الحُبلة ثمر السلم والسيال والسحر وهي هنة معقفة فيها حب صغار أسود كأنه العدس . وقيل الحُبلة ثمر عضة العرضاء وقيل هو عاء حب السلم والسمر واما جميع العضاء بعد فان لها مكان الحُبلة السنفة» .

ومنها الثمار المسماة ( Silique ) كثمار الخردل واللفت والملفوف والمشور وقد وردت في كتاب ليجري وكتب الاتراك باسم «الثمار الخرنوبية» وسماها بوست «الحببية ؟» وجاءت في كتاب جون برسيغال بلفظة «الثمار الخردلي» اما الدكتور شرف فقال «ثمر

خردلي ، ثمر بقولي ، حبله « قلت وأصلح الجميع « ثمر خردلي » اما ألفاظ « ثمر بقولي وحبله » فغلط .

هذا في الشكل الاول من الثمار البسيطة وهي الثمار الجافة اما الشكل الثاني اي الثمار اللحمية فهي ايضا تحتوي على اصناف عديدة نكتفي بذكر اصلح الألفاظ العربية لها دون الخوض في بحث تعريف بعضها عن بعض نباتياً لان ذلك من متناول كتب النبات .

فمن الثمار اللحمية التي يكون فيها الغلاف الثمري الداخلي ملتصقاً بالغلاف الأوسط ثمرة تدعى ( Baie ) كالعنبه وقد سماها الأتراك وبوست وشرف « الثمار العنبية » ووردت في كتاب فيجوري وكتاب برسيفال باسم « الثمار اللبية » ولعل الاولى أصلح . وما يدخل في هذا الباب الثمار التي تدعى ( Péponides ) وهي الثمار البطيخية كثمار البطيخ والخيار والقرع وأشباهاها .

ومن الثمار اللحمية التي يكون فيها الغلاف الثمري الداخلي منفصلاً عن أجزاء الثمرة السائرة تلك التي تدعى ( Hespérides ) وهي الثمار البرتقالية والأتراك يسمونها الثمار النارجية .

ومنها الثمار التفاحية ( Melonides ) وقد أجمع كلهم على تسميتها بهذا الاسم . ومنها التي تدعى ( Drupe ) كثمرة المشمش واللوز والخوخ فقد سماها الترك « عُتمة » وهي في اللغة شجرة الزيتون البري . ولست أرى لهذه اللفظة مبرراً في هذا المقام . وكذا اللفظة فصاة التي جاءت في معجم الدكتور شرف لان الفصحى في كتب اللغة حب الزبيب واحدته فصاة . ولعل أصلح لفظة تلك التي استعملها بوست وشرف وهي « ثمرة نووية » .

والشكل الثالث من الثمار البسيطة هي التي بين الجافة والطيرية كالثمار الرمانية ( Grenade ) اما القسم الثاني من الثمار اي الثمار المركبة فان منها الثمرة التوتية ( Sorose ) والثمرة التيبية ( Sycone ) والثمرة الصنوبرية ( Cône ) وهي كلها لاخلاف فيها .

واما القسم الثالث من الثمار اي الثمار المؤتلفة فكثير العليق ( Fruit des Rubus ) الذي يسميه الأتراك « ثمر نواتي » خطأ وكاجتماع فقيرات سبغ ثمار بعض الانواع النباتية .

وبعد بلخص بحثنا هذا على الشكل الآتي :

« اللفظة الفرنسية »

أصلح الالفاظ العربية

Achaine	الشمرة الفقيرة
Caryopse	البرة ، الحبة ، الشمرة الحبية
Samare	الشمرة الجناحية
Capsule	الجرو
Pyxide	العلبة
Follicule	الشمرة الجراية
Gousse	السفة ، الحبله
Silique	الشمرة الخردلية
Baie	≡ العنبية
Péponide	≡ البطيخية
Hespéride	≡ البرتقالية
Mélonide	≡ التفاحية
Drupe	≡ النووية
Grenade	≡ الرمانية
Sorose	≡ التوتية
Sycone	≡ التينية
Cône	≡ الصنوبرية
Fruit des Rubus	≡ العليقية

مصطفى الشهابي

# آراء وافكار

—(١)—

## الخط العربي

[ النقطة . الشكل — الحركات . علامات الفصل الخ ]

للعلامة المرحوم الشيخ طاهر الجزائري معذرف نفيس اسمه « توجيه النظر الى اصول الأثر » عثرنا فيه على بحث متعمق في الخط العربي وعلامته الفصل والوقف والحركات المشوبة بغيرها وغير ذلك مما يستدعيه إصلاح الخط حسبما يتناهى أفاضل هذا العصر . البحث طويل يستغرق نحو عشرين صفحة وقد تضمنته بعض ماله علاقة بالموضوع مباشرة قال :

علم قوانين الكتاب أو الخط معروف : وهناك علم يسمى علم قوانين القراءة وهو علم تعرف منه العلامات المميزة بين الحروف المشتركة في الصور والعلامات الدالة على الادغام والمد والقصر والفصل والوصل والمقاطع الخ . وهذا العلم وعلم قوانين الخط متلازمان لغاية واحدة وهي معرفة دلالة الخط على اللفظ . وقد ذكر بعضهم ان شدة الاحتياج الى هذين الفنين وفروط عناية النفوس الانسانية بمعرفتهما وتعلمهما أغنت عن التصنيف فيهما .

وقال بعضهم الخط علامة فكما كان أبين كان أحسن . وأهل العلم وان لم يستقبحوا إغفال الشكل في المكاتبات فانهم يعدون ذلك في كتب العلم مستقبحاً . وكثيراً ما دعا حسن الخط الى المطالعة في كتاب لا يميل المطالع اليه . ومن نعمة جودة الخط مراعاة المناسبة بين الحروف بعضها مع بعض وبين الكلمات كذلك . ومن نعمة ذلك مراعاة الفواصل وحسن التدبير في فصل الكلمات . وللخط استمداد من الهندسة ولذلك قال بعض الحكماء الخط هندسة روحانية وان ظهرت بألة جسمانية . والخط العربي يمكن فيه من السرعة ما لا يمكن في غيره ويحتمل من تكبير الحروف وتغييرها ما لا يحتمل غيره ويقبل من التنوع ما لا يقبله غيره . والمشهور من أنواعه : ( المونق ) ( الثلث ) ( المسخ ) ( التوقيع ) ( الريمان ) ( المحقق ) ( الرقاع ) .

ولكل منها شيء يختص به : (المحقق) و (الريحان) يختص بالمصاحف والأدعية .  
 و (النسخ) بالتفسير والحديث ونحوهما . و (الثلاث) بالتعليم . و (التوقيع) بالتوقيع الكبار  
 التي للإمام والقضاة والأكابر . و (الرفاع) بالتوقيع الصغار والمراسلات . و (المؤنق)  
 بكتابة الشعر . و الخط الدقيق لا ينتفع به أحد بل ربما ضعف نظر صاحبه فلا يعود ينتفع به  
 هو أيضاً . وقال أبو حنيفة كنا نكتب المصاحف بالكوفة فيمر بنا علي بن أبي طالب فيقوم  
 علينا فيقول أجهل فلك قال فقططت منه ثم كتبت فقال : هكذا : نوؤوا ما نوؤ الله  
 عز وجل . وقد يكون في تدقيق خط الكتب فائدة كأن يكون صاحبها رجلاً يحمل  
 كتبه معه . قال محمد بن المسيب الأريثاني : كنت أسني في مصر وفي كني مئة جزء في كل  
 جزء ألف حديث . وقيل لأبي بكر عبد الله الفارسي وكان يكتب خطاً دقيقاً لم تفعل هذا ؟  
 فقال : « لقلعة الوراق والورق . وخفة الحمل على العنق » .

وقد اختلفت خطوط الامم من حيث الحركات واتصالها بالحروف وعدمه فكان الخط  
 العربي والعبراني والسرياني مما توضع حركته فوق الحرف أو تحته وبذلك تبسّر لم ان يجرؤا  
 على مقتضى الحال من الشكل عند الاشكال وتركه عند عدمه أو عند شدة الاستعمال .  
 وللخط العربي من ايامنا وضع علامة الوقف بحيث يُقرأ فيها بدون توقف . وعابه بعضهم  
 بان فيه من الاشتباه ما لا يوجد في غيره من الخطوط لكن الشكوى تزول اذا التزم فيه الشكل  
 وعلامة الوقف ونحوه .

والعربية أخت السريانية وحروفها أخوات حروفها . واتفق ان وجد في العربية حروف  
 ستة زائدة : هي حروف (ثخذ ضطغ) فلم يجترعوا لها صوراً جديدة بل صوراً مناسبة لأخواتها  
 القديمة فصارت الثاء مع التاء والحاء مع الخاء والذال مع الدال والضاد مع الصاد والظاء  
 مع الطاء والغين مع العين على صورة واحدة .

وقد اخترعوا النقط للحروف فزال ما كان يقع من الاشكال بين المشابهات منها : كالحاء  
 والحاء والدال والذال والسين والشين الخ فصاروا لا يكتبون الا بالنقط سوى بعض  
 الكتب القديمة فانها كُتبت بدون نقط جريباً على الطريقة القديمة ثم روعي النقط تماماً الا  
 التواقيع فانهم اعتادوا كتابتها بدون نقط كما في الشهادات والصكوك وهذا أيضاً مما  
 لا ينبغي ان يقع .

وكانت الحروف العربية قديماً من دون شكل كسائر الخطوط السامية ثم اخترعوا الحركات تحتها أو فوقها لاني صفها كالخطوط السامية الأخرى . وجعلوا للدلالة أو حرفاً خاصاً داخلها مع الحروف الممدودة في الصف مما لا يوجد نظيره . في الخطوط الأخرى . والحركات ست : حركة محضة : ضمة لثمة كسرة . وحركة مشوبة وهي التي تكون بين حركتين غير خالصة إلى أحدهما كالحركة التي بين الفتحة والكسرة وهي الالف المائلة إلى كسرة — و كالحركة التي بين الفتحة والضمة وهي الالف المائلة إلى ضمة — و كالحركة التي بين الكسرة والضمة وهي الياء المائلة إلى ضمة أو الضمة المائلة إلى ياء .

ويتولد منها حركات أخرى لكن هذه الست هي الاصول . وقد رأى كثيرون من فضلاء العرب اليوم وجوب إحداث علامات تدل على الحركات المشوبة ليكون الخط العربي وافيًا بالفرض فيما إذا كتبنا كلمات أجنبية فيها شيء من تلك الحركات الفرعية والواقع تحريف في تلك الكلمات يؤدي أحياناً كثيرة إلى تغيير المعنى ولودعا داع إلى هذا في عهد الخليل ابن احمد لبادر هو أو أحد تلاميذه إلى تلبية الداعي .

وقد يقال لماذا لم يضع الأسلاف علامات لهذه الحركات المشوبة وأجاب بعضهم بأن السبب هو كون تلك (الحركات المشوبة) ليست في لغة قريش التي هي المقصود الأول وطليها عند اختلاف اللغات المعول . ويقوم إلى هذا ما كان لهم من شدة العناية بالرواية والتلقي من الأقباء فلم تبق ثمة حاجة إلى إحداث علامات للحركات الفرعية . على أن من بحث وتنبع وجد أنهم وضعوا علامات للحركات المشوبة أيضاً وقد ذكرها سيبويه في كتابه كما ذكرت في كتاب ( المحكم في نقط المصاحف و كيفية ضبطها ) لابي عمرو الداني فاستحسن بعضهم جعل علامة الفتحة المائلة إلى الكسرة — الفتحة الأصلية نفسها لكنها مقبولة بحيث يكون طرفها متجهياً إلى جهة اليمين هكذا ( - ) وقد جعل بعضهم هذه العلامة مشتركة بين الإيمالة الصغرى والإيمالة الكبرى إلا أنه فرق بينها فجعل في الإيمالة الكبرى تحت الحرف . وربما زاد بعضهم على ذلك فوضع فوق الألف تقطتين هكذا ( ǀ ) وجعلها في الإيمالة الصغرى فوق الحرف وقد التزم هؤلاء أن يكتبوا ذلك بالمداد الأحمر .

وأما الفرس ونحوهم فإن الأولى لهم أن يضعوا علامة الإيمالة تحت الحرف وذلك



لأمرين : أحدهما ان الإمالة ليست من الامور الطارئة في لغتهم ولذا كتبوا حرف المد الذي بعدها بصورة الياء : الثاني أنهم وان عدوا من كسر نحو سير وشير مما مالوه — لاحقاً فانهم يعدون من فتحه أشد لحساً . والظاهر أنه ينبغي لمن أراد أن يكتب نحو قس وزن وكل بالإمالة كما ينطق به العامة وهو في الاصل مكسور — أن يجعل علامة الامالة تحت الحرف رعاية لما ذكر . وقد التزم بعض الكتاب ان يجعل الفتحة اذا تلاها مدّة قائمة وبعضهم لم يلتزم ذلك الا في بعض المواضع نحو يرقى ويروي ويهوى والمرتقى والمنتقى ونحو راس وياس واستاذن اذا خففت فيه الهزرة بخلاف مثل كاتب وكتابة حتى ان بعضهم يرى عدم لزوم الفتحة فيه مطلقاً لدلالة الالف عليها وخصها بعضهم بالمواضع التي حذف فيها حرف المد نحو هذا وهؤلاء وههنا والآله والرحمن والسنوات ولكن ونحو ذلك . وكالتزم بعضهم أن يجعل الفتحة اذا تلاها مدّة قائمة — التزم بعضهم ذلك في الكسرة فجعلها قائمة اذا تلاها مدّة سواء كان ذلك في موضع لا يخشى فيه الاشتباه نحو كريم وحليم وكبير وجليل أو كان في موضع يخشى فيه الاشتباه نحو ( أدبي وأقصي وأعطي وأولي وأبدي وأخني ) فانها أفعال مضارعة للمتكلم وهي اذا فحّثت بالها صارت أفعالاً ماضية للغائب الا ان الداعي هنا أضعف من الداعي فيما قبله والأولى للكاتب أن لا يلتزم شيئاً لا يلزم خشية أن لا يقوم بحقه . هذا وقد يظن ان الفتحة والكسرة قد وضعتا من أول الأمر على صورة واحدة غير أنه فوق بينهما يجعل الفتحة من فوق والكسرة من تحت وليس الامر كذلك فان الخليل لما وضع العلام جمل علامة الضمة واواً صغيرة توضع فوق الحرف — وعلامة الفتحة الفاصخيرة فوق الحرف الا أنه جعلها مغممة وعلامة الكسرة ياءً توضع تحت الحرف واختار لذلك الياء المردودة وهي التي يرجع بها الى الجهة اليسرى هكذا ( ے ) الا انها تغيرت فيما بعد حتى صارت كما فتحة . وقد اختار بعض المعجم وضمها فوق الحرف علامة على الامالة الا أنه اختصر فيها حتى صارت هكذا ( ے ) ومناسبة الياء للامالة لا يخفى ولو وضعت تحت الحرف لم يكن في ذلك بأس لتميزها بصورتها ويمكن التصرف فيها على أوجه شتى مختلفة الوضع هكذا ( < < < )

وينبغي لمن أراد ذلك اختيار أسهلها عليه . وأما الضمة المشوبة بالفتحة فالأولى أن تجعل علامتها نفس الضمة المشهورة بدون زيادة شيء عليها الا انها تجعل مقبولة بان يكون طرفها مغمماً الى الاعلى

هكذا (٤) وذلك مثل (الصلوة والزكوة والحياة) في العربية عند من يكتبها بالواو ويجعل حركة ما قبلها ضمة مشوبة بالفتحة مثل زور وأشوب في الفارسية وينبغي تسمية هذه الحركة بالضمة المشوبة وبزيادة هاتين العلامتين يتيسر كتابة الفارسية بدون إخلال بشيء من حركاتها وذلك أن الفرس وكثيراً من الأمم لا يوجد في لغتهم إلا خمس حركات وهي الضمة والفتحة والكسرة والفتحة المائلة إلى الكسرة والضمة المشوبة بالفتحة وأما الضمة المشوبة بالكسرة فالأولى أن تجعل علامتها نفس الضمة المشوبة بزيادة خط تحتها متصل بها هكذا (٥) وهذه الصورة مناسبة لما وضعت له لأن وضع شبه الكسرة تحت الضمة يشعر بأن هنا حركة متميزة من حركتين هما الضمة والكسرة وأن الضمة متقدمة على الكسرة وعالية عليها وإن كان التقدم هنا والسبق على طريق الحجاز أمثال ذلك مرت (بمذعور وابن بؤر) وهذه الحركة وإن كانت قليلة في العربية فهي كثيرة في بعض اللغات المشهورة وينبغي تسميتها بالضمة المائلة لأن في لفظ الامالة بحسب العرف اشعاراً بوجود الميل إلى الكسر ومما يترك لهذه الحركة رد ونحوه من المضاعف المبني لما لم يسم فإله . وقد أشار إلى ذلك سيبويه حيث قال : أما ما كان من بنات الياء فتألف لانهن في موضع ياء وبدل منها فنحو انحوها كما أن بعضهم يقول قد (رُد) وقال الفرزدق :

وما (خَل) من جهل جاحلنا ولا قائل المعروف فينا يغنف

فيسم كأنه ينحو نحو فعل فكذا نحو انحو الياء : وأما الكسرة المشوبة بالضمة فالأولى أن تجعل علامتها نفس علامة مقابلتها وهي الضمة المشوبة بالكسرة لكونها أشبه الحركات بها إلا أنها توضع مقلوبة هكذا (٦) ومثال ذلك قيل وجي وخيف وهيب وانقيد واختير وخفت وهبت وينبغي أن يكتب مثل قيل وجي على هذه اللغة بالياء دون الواو وذلك لأن الحرف الذي ينشأ عن هذه الحركة هو الياء أقرب منه إلى الواو : وقد ذهب بعض الناس إلى كتابته في غير العربية بصورة الواو وذلك لكونه مشوباً به وجعل الحركة التي أشأ عنها نوعاً من أنواع الضمة لكونها مشوبة بها وهو مخالف للظاهر فإن الظاهر كون هذه الحركة نوعاً من أنواع الكسرة لأن الكسر أغلب عليها وكتابة الحرف الذي نشأ بصورة

الياء لكونه أشبه بها . وأما في اللغة العربية فيتميز كتابته بالياء لثلاثة أمور : (أحدها) ما ذكر وهو كونه أشبه بها . (الثاني) ان أشهر اللغات فيه هي لغة من يلفظ به بالياء . (الثالث) رعاية الاحتياط فانه اذا كتب على هذه اللغة بالواو ولم ينتبه القاري للاشمام وأق بالضم الخالص يكون قد ترك اللغة الفصحى وهي لغة من يشم الكسرة ضمة الى لغة غير نصيحة وهي لغة من يقول فيه قول وجوب بالضم الخالص . وأما اذا كتب بالياء فانه اذا لم ينتبه للاشمام وأق بالكسر الخالص يكون قد ترك اللغة الفصحى وهي لغة من يشم الكسرة ضمة الى اللغة التي هي أفصح منها وهي لغة من يقول قيل وجي بالكسر الخالص . واكثر الناس في أمر العلام اما مفترط واما مفرط . فمن المفرطين في ذلك من لا يكاد يرفع علامة في موضع من المواضع . ومن المفرطين فيه من لا يكاد يترك موضعاً بغير علامة وقد رأيت بمض قرأ الفرس جعل لما ونحوها علام فجعل لما الشرطية الطاء وللإستفهامية الميم والموصولة اذاً اشارة الى أنها خبرية لا انشائية وللزائدة الداد اشارة الى انها صلة في الكلام وللكافة الكاف وجعل ذلك فوق ميم ما وكتبه باحرف صغيرة بمداد أحمر وجري علي مثل ذلك في كثير من الاشياء والاولى في أمر العلام ان لاتوضع الا حيث يضطر اليها أو يبعث عليها باعث .

وهاك جدولاً في الحركات وما يتعلق بها :

أسماء الحركات	العلامات	مثالها بالعربية	مثالها بالفارسية	معناها
الضمة	.....	ou 'جد'	بُرْ	ملآن
الضمة المشوبة	.....	o صأوة	خوذ	نفسه
الضمة المائلة	.....	u رُدْ	.	.
الكسرة	.....	i صل'	چِه	أي شيء
الكسرة المشبعة	.....	eu هبت	.	.
الفتحة	.....	a هب'	سَر'	رأس
الفتحة المائلة	.....	e دَرَجَة'	سَه	ثلاثة

وهذا البحث واسع الأطراف جداً وفيما ذكرنا كفاية للطالب المنتبه والله الموفق .

\*\*\*

ومن إجادة الخط مراعاة علامات الوقف . وقد اصطلح كتاب القرآن الكريم على علامات مختلفة لأقسام الوقف المختلفة : فجعلوا (التاء أو الميم) للوقف التام و(الحاء) للحسن و(الكاف) للكافي و(الصاد) للاصالح و(الجيم) للجائز . وقد التزموا كتابة هذه العلام بالاحمر ووضعها فوق موضع الوقف . وللشعراوي تقسيم آخر للوقف وجعل لكل قسم علامة خاصة غير ما ذكره توضع فوق محل الوقف وتكون بالمداد الأحمر والأقسام الخمسة هي : (اللازم) و(المطلق) و(الجائز) و(المجوز لوجه) و(المرخص للضرورة) : فعلمة اللازم (الميم) وعلامة المطلق (الطاء) وعلامة الجائز (الجيم) وعلامة المجوز (الزاي) وعلامة المرخص (الصاد) . وهناك وقف فبيع جعلوا علامته (لا) .

وللكتاب اصطلاحات أخرى في العلامات (فالسبن) علامة السكنة وهي الوقف اللطيف من غير التنفس . و(القاف) علامة الوقف الذي قال به بعض العلماء دون بعض . و(قف) علامة على ان الوقف مستحب لا واجب .

ومن جملة علامات الوقف ما اصطلح عليه المحدثون من وضع (دائرة) بين الحدين للفصل بينهما . وكان بعضهم يدع بقية السطر أبيض ليكون اليباض مؤكداً للفصل . ومنهم من جعل اليباض علامة الفصل وهو مختلف المقادير حسب مقتضيات من تعلق المعاني بعضها ببعض قلة وكثرة وقد أشار الي ذلك ابن السيد حيث قال : والفصل انما يكون بعد تمام الكلام الذي ابتدئ به واستثناف كلام غيره . وسعة الفصول وضيقها على مقدار تناسب الكلام فان كان القول المستأنف مثلاً للقول الاول أو متعلقاً بمعنى منه جعل الفصل صغيراً وان كان مبايناً له بالكيفية جعل الفصل أكبر من ذلك فاما الفصل قبل تمام القول فهو من أعيب العيوب على الكاتب والورثاق جميعاً . وترك الفصول عند تمام الكلام عيب أيضاً الا انه دون الاول اه . وكان الصحابة لا يعرفون شيئاً مما أحدث في المصاحف الا النقط الثلاث على رؤوس الآيات . وقيل اول ما أحدثوا النقط عند آخر الآيات ثم الفواتح والخواتم . وقال قتادة بدأوا فنقطوا ثم خمسوا ثم عشروا . أي كتبوا الأعراس والأخماس وأسماء السور وعدد الآيات . وقال بعض المقرئين : لا أستجيز النقط بالسواد لما فيه من التغيير لصورة الرسم . وأرى أن تكون الحركات والتنوين والتشديد والسكون والمد بالهمزة والمهمزات بالصفرة . واول من فعل الشكل في الصدر الاول بطريق النقط هو ابو الاسود الدؤلي . واما الشكل المتداول الآن فن وضع الخليل فالنقطة عنده الف صغيرة فوق الحرف والضمة واوصغيرة فوقه أيضاً والكسرة ياء صغيرة مردودة تحته ووضع لكل من المهمزة والتشديد والروم والإشمام والسكون علامة .

وينبغي ان يتخذ للوقف اربع علامت :

(١) علامة السكت وهي خط هكذا (—) يوضع بعد الحرف المسكون عليه والمراد بالسكت الوقفة الخفيفة مثال استعمالها ماتراه في هذا الشعر من قول بعض القضاة :

[ فما خفض الأعادي قدر — شافي ولا قالوا فلا تـ قد — رشافي ]

وقول الكهيت :

[ وما أنا ممن يزجر الطير - ةمه أصاح غراب أم تعرض ثعلب ]

فالسكتة الخفيفة في المواضع الثلاثة لازمة لتساعد على فهم المعنى المراد .

(٢) علامة الوقف الحسن وقد اختلفوا فيها : فمنهم من جعلها كتابة الكلمة الأولى بالحبر الأحمر . أو كتابة الحرف الأول ولا سيما ان كان واداً أو بوضع خط أحمر فوق الكلمة الأولى - كل ذلك إشارة الى أن تلك الكلمة مما يسوغ الابتداء بها وان ما قبلها يسوغ الوقف عليه . ومنهم من يجعل العلامة نقطة صغيرة ومنهم من يجعلها واداً مقلوبة هكذا ( ٦ ) وهذه العلامة هي التي يختارها مثال استعمالها :

« سوسوا أحرار الناس بحض المودة ٦ والعامة بالرغبة والرهبة ٦ والاسافل بالخافة . »

(٣) علامة الوقف الكافي واد مقلوبة يزداد عليها نقطة أو خط تمييزاً بينها وبين علامة الوقف السابقة هكذا [ ٦ أو ٦ - ] .

(٤) علامة الوقف التام نقطة كبيرة هكذا ( • ) ومنهم من يجعلها ثلاث نقط على هيئة نقط الشين ( ••• ) أو دائرة مطبقة ( ○ ) أو منفرجة ( ◯ ) . واذا كان الوقف التام أنواعاً فيحسن أن يجعل لكل منها علامة من هذه العلامات الأربع ومنهم من جعل للوقف التام علامات غير هذه .

ومن العلامات التي اصطلاح عليها الكتاب رقم ( اه ) المختزلة من ( انتهى ) حينما يريدون ان الكلام المنقول قد انتهى وتم . واذا حذفوا جملة في خلال الكلام يقولون ( قال ) وينتقلون الى ذكر ما يريدون بعد حذف المحذوف ثم نحتوا من ( قال ) حرف القاف فيكتبون هكذا ( ق . ) واصطلاح المتأخرون على وضع علامة للاستفهام واخرى للتعجب وهو حسن اذا روعي وضعها في محلها المناسب لا أن يخبط في وضعها خبط عشواء . واما وضع علامة قبل مقول القول للدلالة عليه فيحسن اذا خيف التباس أو نحوه . وبحث العلامات بحيث واسم الاطراف جدير بان يفرد بالتأليف اه ملخصاً .

## مطبوعات حديثة

—(١)—

### ديوان الحلاج

[ ترجمه الاستاذ لويس ماسينيون ]

« طبع في باريز في المطبعة الأهلية — ص ١٥٨ من القطع الوسط. »

الاستاذ لويس ماسينيون أحد أعضاء مجلنا العلمي متفرغ لدراسة الصوفية ، وله في هذا الباب كتاب : الحسين بن منصور الحلاج بحث فيه عن الحلاج من مجامع نواحيه بحثاً مستفيضاً مبنيّاً على القواعد الحديثة في التنقيب وله كتاب آخر بحث فيه عن اصول مصطلحات الصوفية . وله كتاب فيه أربعة نصوص تتعلق بترجمة الحلاج . —

وآخر ما أهداه الى المجمع العلمي : ديوان الحلاج فقد رتب هذا الديوان ونقله الى اللغة الفرنسية ونشره . —

قد يكون نقل الشعر من لغة الى لغة من كتاباً خشناً لما في كل لغة من الخصائص والأمرار التي لا تكون في لغة غيرها ، ففي لغة استعارات اذا نقلت الى لغة ثانية كانت غريباً من السخرية . —

أما نقل المصطلحات الفلسفية من لسان الى لسان فليس فيه من المصاعب ما في نقل صور اللغة الشعرية وخاصة ان كانت اللغة المنقول اليها مشتملة على المصطلحات الجردة أي على خصائص اللغة الفلسفية . —

وشعر الحلاج انما هو شعر فلسفي ليس فيه الا القليل من الصور الشعرية وانما احتوى على صور مجردة بعيدة عن الاستعارات وأمثالها فالفاظ العلم والايمان والتجارب والجسم

والروح والخطاط والروم والفكر وأشباها مما اشتمل عليه شعر الحلاج إنما هي ألفاظ مجردة غير لاصقة بالمادة فلا يصعب وجود أمثالها في اللغة الفرنسية تدل عليها الدلالة الواضحة دون شيء من كد الدهن —

من أجل هذا السبب كان نقل الأستاذ ماسينيون لشعر الحلاج من العربية إلى الفرنسية نقلاً واضحاً حرص فيه صاحبه على خصائص لغة الحلاج وأسرارها —

شفيق جبري

## الموجز التاريخي

### [ لصف الثالث الابتدائي ]

« قرته وزارة المعارف في مصر سنة ١٩٣١ — ١٩٣٢ »

ألفه هنري الشماع مدير مدارس جمعية الايمان القبطية بشبرا وبوسف فهمي أستاذ الآداب والتربية بالقسم العالمي بالأزهر الشريف —

طبع بمطبعة رعمسيس — ٤١ شارع الظاهر — مصر .

رسالة مدرسية صفحاتها ٣٨ —

جاء فيها كلام مختصر على العرب وعلى النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الخلفاء الراشدين :

رضي الله عنهم —

وعلى خالد بن الوليد وعمرو بن العاص —

وعلى معاوية بن أبي سفيان وعلى هرون الرشيد —

وعلى احمد بن طولون وعلى المعزدين الله الفاطمي وعلى الحاكم بأمر الله وعلى صلاح الدين

الايوبي وعلى شجرة الدر وعلى الظاهر بيبرس وعلى قانصوه الغوري وعلى سليم الاول وعلى محمد

على بك الكبير —



وفي الرسالة خرائط وصور بعض المساجد في مصر كجامع عمرو بن العاص وجامع بن طولون وجامع الغوري وصلاح الدين وسليم الاول . —  
 وفي آخر كل فصل أسئلة تتعلق بالفصل ذاته . —  
 توخى المؤلفان في رسالتهما سهولة اللغة ولكن هذه السهولة قد خرجت بهما في بعض المواطن عن متانة التركيب فلا يقال : قالب شفيق ، ولا يقال يتحقق من موعمه ولا يقال : اشترك في حروب ضد الروم الى أشباه هذه التراكييب الضعيفة فقد يكون الكلام سهلاً من غير ان يكون ضعيفاً في مبناه .

شفيق جبري

## بحث لغوي في آراء

« بمعنى الرأي »

[ بقلم جبران النحاس ]

كراسة صغيرة صفحتها اربع عشرة أثبت فيها صاحبها طائفة من الأقوال التي جاءت فيها كلمة الرأي .

اما الشعراء الذين استشهد بأشعارهم فهم : مطيع بن أبياس وأبو العتاهية وأبونواس وابن الرومي وابن الهبارية وعمرو بن عثمان القيني والبحتري والمعتز وابن نباتة السعدي وأبو الفرج البغواء والشريف الرضي ونجم الدين بن صابر الخنجيني .

وأما الكتّاب فهم : أبو اسحق الصائبي ، أبو منصور الثعالبي ، القاضي عبدالقادر الجرجاني وقد أورد صاحب الكراسة آياتاً لا يبي تمام وردت فيها كلمة الرأي منها :

فاذا رأيت أسى امرئ أو صبره يوماً فقد عاينت صورة رائه

فقال الصولي في شرحه على هذا البيت : هذا شيء استعمله الطائي وغيره فأما مذهب سيبويه في ذلك فاذا حمل عليه كان كالغيب لأنه لا يجعل همزة حوالبه وما كان مثلها اذا

خفف ياء خالصة ولكن تكون بين بين وياء رآيه ياء خالصة لا يجوز قلبها الى المدزة في هذا الموضع فبمع الاختلاف في الروي وأما غير سبويه فلا يبعد في مذهبه أن يجعل همزة حوياته ومثلها اذا خفف ياء وهو مذهب ضعيف ونحو من ذلك ما جاء في شعر أبي النجم لأنه قال :

هل تعرف الربع عفت جواؤه

وقال فيها :

وعزّ شأء المغربين شأؤه

فواء شأؤه لا يجوز ان تهمز . همزة جواؤه لا يجوز أن تجعل . آ خالصة .

شفيق جبري

# مصطلحات علمية

« والترجمة والتعريب »

— («) —

كنت منذ شرعت تدريس العلوم الطبيعية والرياضية في المدارس العربية بدمشق ،  
أي منذ عشرين عاماً ، أراجع ان أخذ هذه العلوم عن الكتب الغربية ، اذ لامشاحة في  
أن بلاد الغرب هي منبع هذه العلوم في هذا العصر ، لكنني كنت ألامي في سبيل الوصول  
المغايبي عقبات حمة في ترجمة المصطلحات الأعجمية الى اللغة العربية ، فان نفسي كانت —  
ولا تزال — تأتي استعمال تلك المصطلحات على علائها أو تعريبها باعتقادي بان كلالهاتين  
لا يخلو من الدلالة على احد امور اربعة : (الاول) عدم المبالاة باللغة العربية من ان يعترها  
الفساد والتشوه فتصبح يمرور ازم من منيها من لغات مختلفة معرفة الألفاظ مكسرة الحروف  
بجيت لا يجدر أن يقال عنها انها «اللغة العربية» بل يجب أن تسمى باسم آخر ، فتبقى اللغة  
الأصلية مدفونة في ضرائح الكتب كاللغة اللاتينية وغيرها من اللغات المهجورة لا يعرفها  
ولا يقوم بذكرها سوى أفراد نلائل من محبي التفكك بها والولعين بالاطلاع على قديمها ، ثم ان  
هؤلاء يأخذ عددم في النقص كما أخنى الدهر عليها وأفناها الى ان تندرس وتنتلثي فتصبح  
نسياً منسياً ، (والامر الثاني) من الامور الاربعة التي يدل عليها تحييد التعريب : التكاثر  
عن بذل شيء من الهمة في التفتيش عن ألفاظ عربية تقوم مقام المصطلحات الأعجمية المراد  
تعريبها ، (والثالث) الهجز عن ذلك ، (والرابع) العهد الى إفساد اللغة لسوء قصد بها .  
فلما كنت اعتقد بما تقدم من ان الميل الى التعريب لا تخرج أسبابه عن الامور الاربعة  
المذكورة ، ولما كنت أعتمد على سعة اللغة العربية معتقداً بان كل معنى يجول في ذهن  
لا بد من أن يكون له فيها لفظ ولو كان كامناً في أغوار معاجمها — كنت أخذ على نفسي أن

لا أجتاز عقبة من عقبات تلك المصطلحات دون تذييلها بترجمتها الى العربية ولو تكبدت في ذلك أعظم المشقات وفاديت باعز الأوقات . وقد وفقت والله الحمد الى ترجمة جميع المصطلحات التي لايتها في نقل ما نقلته الى العربية من العلوم الغربية حتى الآن وخطي في تلك الترجمة مبنية على ما يلي :

اولاً : ان لا أتقيد بالترجمة الحرفية بل كنت أترجم بعض الآلات مثلاً بالفاظ تفيد فعلها أو خاصة من خواصها كترجمتي Coupe - circuit « بالحرارة » وهي الآلة المعروفة عند العامة (بالبوشون) تجعل في مسير التيار الكهربائي حتى اذا اشتد التيار الى درجة الخطر احترقت فانقطع التيار فاندفع الخطر فهي إذن تحرز من خطر الحريق ولذا سميتها بالحرارة ، فلأردنا ان نترجم أعجميتها بالحرف للزم ان نسميها ( قاطعة الدارة الكهربائية ) في تسميتها بالحرارة منفعتان الاولى استعمال لفظ واحد بدلاً من ثلاثة الفاظ والثانية ان يفهم من اسمها ماخاصتها وما فائدتها ، وذلك كما ترجم بعض الأفاضل ( بالون ) بالمنطاد و ( صومارن ) بالفواصة و ( اوتوموبيل ) بالسيارة مع ان كلمة بالون لا يفهم منها الانطباد بل يفهم شيء منفتح كروي الشكل و ( صومارن ) معناه ( تحت البحر ) لا ( الفواص ) و اوتوموبيل معناه ( المتحرك من نفسه ) لا ( السيارة ) مع انه لا يتحرك من نفسه فيتضح من ذلك ان هذه الأسماء العربية أقرب الى فهم حقيقة مسمياتها من أسمائها الأعجمية نفسها ، وهذا من جملة ما سننقل الاسماء الأعجمية الى العربية بالفاظ عربية دون تعريبها كما سنبين ذلك في مقال آخر ان شاء الله .

ثانياً : ان أتجنب في الترجمة الصيغ غير القياسية كاسم الآلة والصفة المشبهة وان اختار الصيغة القياسية كاسم الفاعل ومبالغته واسم المكان أسوة بالمتقدمين الذين ولدوا كلمات كثيرة على هذه الأوزان فان اسم الآلة سماعي لا يصح ان نصوغ على وزنه ما نشاء من الاسماء لان أوزانه كثيرة فالعرب يتنبوا لكل آلة وزناً من الأوزان المعلومة وهكذا جاءت أسماء الآلات مسموعة عنهم فكما انه لا يسوغ لنا ان ننقل أحد هذه الأسماء من وزنه الى وزن غيره من سائر الآلات ، فلا يجوز لنا مثلاً ان نقول بدلاً من ملعقة ملعق وزان مثقب ان ملعاق وزان ، ففتح أو أن نشق احد تلك الاسماء من فعل غير الفعل الذي اشتقه منه العرب فنقول ( ملعقة ) بدلاً من ( ملعقة ) ، كذلك لا يجوز لنا أن نصوغ أسماء جديدة

على أوزان اسم الآلة ، واما اذا كان ثمت اضطرار الى وضع اسماء لمسميات حديثة لم تكن عند العرب فالجمال أماننا واسع لاستعمال كثير من الصيغ القياسية كاسم الفاعل واسم المفعول واسم المكان ومبالغة اسم الفاعل وهي صيغ لاخلاف في قياسيتها وليس لكل منها سوى وزن واحد سلافاً لاسم الآلة الذي كثرة أوزانه لا يهد من ان تؤدي الى الخلاف بين المترجمين واللغويين فاذا ترجم احدنا (مكرسكوب) مثلاً بالمجهر (بالكسر) كان لغيره الحق ان يترجمه بالمجهر ولاخر بالمجهره ومن هنا الخلاف في وضع المصطلحات واتساع الفوضى اللغوية التي تسعى الى ازالتها ، اللهم الا اذا انعقد مؤتمر لغوي عام منتخب من جميع البلاد العربية مفوض اليه توليد ما يترتبه من الاسماء ، يقر اللفظ ثم ينشره بين العرب ذمة . فيكون استعماله شبه إجباري بالتواطوء بحيث لا يصح لمؤلف او مترجم او كاتب ان يستعمل غيره<sup>(١)</sup> واذا لم يعقد هذا المؤتمر فان ترجمة الاسماء الحديثة على الصيغ القياسية الآتية المذكور خير من ترجمتها على أوزان مباحية لا ينشأ من السير عليها الا الخلاف والتفرق في الرأي .

ثالثاً : اذا كان اللفظ الأعمجي كلمة واحدة ولم يتمكن ترجمته بكلمة عربية واحدة فاني لا أقتيد بذلك إذ لا ضرورة اليه بل يمكن ان تترجم الكلمة الأعمجية الواحدة بكلمتين عربيتين على ان يكون ذلك موافقاً لقواعد اللغة كما ترجمت (الكتروود) بالمفذا الكهربي (مترونوم) بميزان الضياء و (ترمومتر) بميزان الحرارة « وان يكن ترمومتر مركباً في الاصل من كلمتين فانه في الظاهر كلمة واحدة » وكذلك كل ما كان مركباً من (متر) وكلمة أخرى نحو (بار-متر) (وهو ميزان الجو) ومانومتر (وهو مقياس الضغط) وإغرومتر (وهو مقياس الرطوبة) ، وما المانع لهذه الترجمة ؟ فان قيل ان المصطلح العربي صار كلمتين مع ان مقابله الاعمجي كلمة واحدة فالأرجح ان يبحث عن كلمة عربية واحدة تقوم مقام كلمتين —

(١) وما يجدر بهذا المؤتمر ان يعرض الكلمات التي يستحسنها على أنظار الناس في المدن العربية الكبرى على صفحات جرائدها وان ينظر فيما يرد عليه في تلك الكلمات من الملاحظات وذلك الى مدة معينة ثم يقرتها ، وبذلك يمكن التواطوء على ان يكون استعمال كلماته والأخذ بأرائه شبه إجباري فينتظم الحال وتزول الفوضى ، والا فان اعماله تذهب من هذه الوجهة سدي على ما نظن .

قلت فان وجدت تلك الكلمة فهي مرجمة على غيرها بلاربيت ولكن على ان تفيد المعنى المراد وان تكون موافقة لقواعد اللغة ، لا كما اراد بعضهم ان يترجم ترمومتر (بالحرار) وما نومتر (بالمضاط) واغرومتر (بالمرطاب) فهب اننا نواطأنا على توليد أسماء جديدة على أوزان اسم الآلة فان (مضاط) مثلاً لا يفيد المعنى المراد من مانومتر وهو « الآلة التي يقاس بها الضغط » بل يفهم من مضاط « الآلة التي يفعل بها الضغط » كما يفهم من مفتاح الآلة التي يفعل بها الفتح لا التي يقاس بها الفتح ، وشتان ما بين المعنيين . فما الذي يضيرنا من استعمال كلمتين ترجمة لكلمة واحدة اذا لم تساعد سليقة لغتنا على غير ذلك . ألم يكن كثير من الكلمات العربية يقابلها في اللغات الاعجمية كلمتان او اكثر كقولهم Face antérieure (وهي كلمتان) مع ان عربيتهما مقدم (وهي كلمة واحدة) وقولهم Pendant deux jours (وهي ثلاث كلمات) وعربيتهما يومين (وهي كلمة واحدة) وقولهم Un morceau de fer (وهي اربع كلمات) وعربيتهما حديدة (وهي كلمة واحدة) وقولهم Il est venu (وهي ثلاث كلمات) وعربيتهما جاء (وهي كلمة واحدة) ، فهل غبطنا بذلك أصحاب هذا اللسان وقاموا يسعون الى التفتيش عن كلمات مفردة تقوم مقام هذه العبارات ؟ كلا ، فان لكل لغة قوالب فالترجمة هي ان يؤخذ المعنى من اللغة المترجم منها ويفرغ في قوالب من اللغة المترجم اليها ، وعكسها لما تقدم فان سليقة لغتنا كثيراً ما تساعد على ترجمة المصطلح الاعجمي المركب من كلمتين او اكثر بكلمة عربية واحدة كما ترجمت Ultra - microscope (وهي مركبة من ثلاث كلمات) بكلمة عربية واحدة وهي (الجهارة) .

وان قيل ان (ميزان الجو) مركب إضافي وهو مما تصعب النسبة اليه فكيف ترجم Hauteur barométrique مثلاً ؟ قلت لاضرورة لترجمة النسبة بالنسبة ، بل يمكن ترجمتها بمركب إضافي فلك ان تقول في ذلك « ارتفاع ميزان الجو » ( مجازاً أي ارتفاع زئبقه ) فتكون حركات على المعنى المراد من العبارة الاعجمية مفرغاً في قالب عربي .

فهذه هي انواعها التي بنيت عليها خطفي في ترجمة كثير من مصطلحات العلوم وحيث ان بعض أصدقائي طلب الي ان أنشر تلك المصطلحات على صفحات هذه المجلة ، فنزولاً عند رغبتهم ، سأقوم بنشرها تباعاً مبتدئاً ببعض مصطلحات جاءت في كتابي المطبوع « القطفوف

الينعية في علم الطبيعة» وقد درجتها كما يلي جاعلاً أرقاماً في هذا ما لم يسبقني احد اليه منها والله الموفق .

\*\*\*

١ - [ Calorie - حريرة ]

ان كل ما قبل الزيادة والنقصان يقال له في علم الطبيعة (قدر) افرسبته Grandeur كالطول والمال والحرارة ولاجل مقايسة كل قدر من الأقدار اضطر البشر الى ان يتخذوا من ذلك القدر جزءاً معيناً ليقايس به سائر أجزاء القدر وقد اصطلح علماء الطبيعة علي ذلك الجزء (بالواحدة) - افرسبتهها Unité<sup>(١)</sup> - غير ان أكثر الواحدات تختلف باختلاف الامم فواحدة الطول مثلاً عند العرب الذراع وعند الافرنسيين المتر وعند غيرهم الاصبع والأنش والميل الخ حتى ان بعض الواحدات يختلف عند الامة الواحدة ايضاً بحسب استعمالها فالافرنسيون اذا أرادوا قياس طول معتدل اتخذوا له المتر واحدة وفي قياس الأطوال الصغيرة يتخذون السنتمتر وهو جزء من مائة جزء من المتر وفي قياس الطارق الطويلة يتخذون الكيلومتر وهو الف متر ولما لم يكن لبعض الواحدات المستعملة عند الغربيين في العلوم الحديثة مقابله عندنا قد اضطررنا الى ان نقتبسها منهم ونستعملها في علومنا وصنائعنا التي طالما أخذنا ما عنهم . فلاقيت اثناء ترجمتي بعض كتبهم طائفة من هذه الواحدات أردت ان استعمل لها الفاظاً عربية فلم أجدها وفق من طريقة قد أتتني بالفاظ عربية فيها من الفوائد ما لم يكن في أصلها الأعجمي وهذه الطريقة هي :

ان آخذ مصدر المرة من مادة القدر المراد قياسه ثم أصغر ذلك المصدر ، مثال ذلك : عندما أردت أن أضع لفظاً يقابل Calorie<sup>(٢)</sup> وهي الواحدة التي تقاس عليها كمية الحرارة

(١) وقد ترجم بعضهم Unité بالوحدة وهي ترجمة حرفية لا مبرر لها لان الوحدة مصدر مع ان المراد من Unité هنا ليس المصدر بل الاسم وكذلك كثير من اسماء المعداد الافرنسية يرد بمعنى الاسم المطلق أو اسم المنفع ل نحو Radiation فإنه اسم مصدر بمعنى الاشعاع مع انه يرد بمعنى الشعاع وكذلك Solution وهو الحل فهو يرد بمعنى (الحلول) .

(٢) Calorie مشتقة من كلمة لاتينية وهي Calor او Caloris ومعناه الحرارة .

— أخذت مصدر المرة من الحرارة وهو (حرارة) ثم صغرتَه فصار (حريرة) ففي ذلك فائدتان : الاولى كون مصدر المرة يفيد الوحدة والثانية كون التصغير يفيد ان الكمية المفهومة من ذلك اللفظ هي جزء صغير منخذ للقياس عليه فهاتان الفائدتان غير موجودتين في معنى اللفظ الاعجمي وزد على ذلك انهم يضطرون أحياناً الى التماز واحد للحرارة اكبر من الواحدة المذكورة الف مرة فيسمونها Grande calorie مما يجعلهم في حاجة الى تقييد الاولى بـ Petite calorie واما انا فقد سميت Grande calorie بالحررة و Petite calorie بالحريرة . فلا يخفى ما في ذلك من الاختصار وخفة اللفظ .

٢ —	[ Dyne — أَيْدَة ]
٣ —	[ Mégadyne — أَيْدَة ]
٤ —	[ Sthène — آد ]

Dyne واحدة منخذة لقياس القوة تساوي جزء ١٠ من ٩٨٠ جزء ١ من ثقل الغرام في دمشق<sup>(١)</sup> قترجمتها بالأَيْدَة تصغيراً للأَيْدَة وهو مصدر مرة من آد الشيء إذا قوي واشتد وصلب لأن Dyne كلمة مشتقة من Dunamis اليونانية ومعناها القوة ، ثم ان عندهم للقوة واحدتين أخريين احدهما ما يسمونه Mégadyne وهي مركبة من كلمتين يونانيتين وهما [ Mégas — اي كبير ] و [ Dunamis اي قوة ] فمعنى هذه الواحدة أَيْدَة كبيرة وهي تساوي الف ألف أَيْدَة<sup>(٢)</sup> فسميتها (أَيْدَة) والثانية ما يعبرون عنه بـ Sthène وهي من Sthénos اليونانية ومعناها القوة ايضاً وهي تساوي مائة أَيْدَة قترجمتها بـ (آد) بمعنى القوة ايضاً .

(١) او جزء من ٩٨١ جزء ١ من ثقل الغرام في باريز لان الاشياء في باريز أثقل منها في دمشق لكون باريز أقرب من دمشق الى مركز كرة الارض وهو مركز الجاذبة التي تولد ثقل الاشياء وهكذا كلما بُعِد عن خط الاستواء تقرباً من أحد قطبي الارض ازدادت الجاذبة الارضية فازدادت الاشياء ثقلاً لان القطبين أقرب الى مركز كرة الارض من خط الاستواء لانضغاط هذه الكرة في قطبيها كما هو معلوم في علم الجغرافية .

(٢) اذا جعلوا في المقياسات Méga في صدر الكلمة أفاد معنى الف الف مرة واذا

جعلوا Micro أفاد معنى جزء من الف الف جزء .



## ٥ - [ Dioptrie - كُـسْبِرَة ]

هي واحدة لقياس درجة كسر العدسات البلورية لأشعة الضوء وقدر هذه الواحدة قوة عدسة اذا ورد على أحد وجهيها حزمة أشعة متوازية خرجت هذه الحزمة من وجهها الآخر متقاربة بعضها من بعض حتى تتلاقى في بعد عن العدسة قدره متر. واصل Dioptrie، ( Dioptron ) وهي كلمة يونانية مؤلفة من Dia بمعنى من بين و Optesthai بمعنى رأى ، فتكون كسيرة ليست ترجمة Dioptrie بالحرف ولا ضرورة الى ذلك كما كنا قدمنا .

## ٦ - [ Barye - ضُـمَيْطَة ]

## ٧ - [ Pièze - ضغطة ]

Barye واحدة متخذة لقياس الضغط وتقدرها ضغط أيبدة<sup>(١)</sup> على سنتيمتر مربع واحد وهي كلمة يونانية أصلها Barus ومعناه ( الثقل ) فترجمتها بالضُمَّيطة لأنها واحدة لقياس الضغط ، و Pièze كلمة يونانية أيضاً أصلها Pièzein ومعناه ( ضغط ) تستعمل لقياس الضغوط الكبيرة وتساوي الف مليار ضُمَّيطة فترجمتها ( بالضغطة ) .

## ٨ - [ Lumen - مُـضَوِيٌّ ]

## ٩ - [ Lux - نُـوْبِر ]

Lumen كلمة لاتينية معناها الضوء سماها بها واحدة اتخذوها لقياس شدة الضوء فترجمتها ( بالضوي ) و Lux كلمة لاتينية معناها النور سماها بها واحدة اتخذوها لقياس درجة تنور الاشياء بالضوء فترجمتها ( بالنوير ) ولا يسمع المقام هنا تعريف هاتين الواحدتين .

## ١٠ - [ Erg - مُـعْمَيْلَة ]

Erg كلمة مأخوذة من Ergon اليونانية ومعناها السعي اتخذوها لقياس ما يقال له في علم الميكانيك ( العمل الميكانيكي ) فسميت هذه الواحدة ( مُعْمَيْلَة ) جرياً على القاعدة التي قدمت بيانها .

## ١١ - [ Loupe - مَكْبَرَة ]

## ١٢ - [ Microscope - جَاهِرَة ]

## ١٣ - [ Ultra - microscope - جَهَّازَة ]

[ Lunette — نظارة ]	
[ Télescope — راصدة ]	— ١٤
[ Photographie — مصورة ]	

Microscope كلمة مؤلفة من الصدر Micro وهو يفيد جزءاً من الف الف جزء من المتر او Micros بمعنى (صغير) ومن Scope وهي مشتقة من Skopein اليونانية ومعناها (فحص) فيكون المعنى «آلة صالحة لفحص الاشياء الدقيقة» فترجمتها (بالجاهرة) بمعنى (كاشفة) من جهر الشيء اذا كشفه وفي الحقيقة ان الآلة المذكورة تكشف ما لا تستطيع العين ان تراه من دقائق الاشياء وقد ترجم بعضهم مكروسكوب بالمجهر (بكسر الميم على صيغة اسم الآلة) مع ان اسم الآلة سماعي لا يسوغ لنا ان نبني على أوزانه اللهم الا بالتواطوء كما قدمت ذلك في اول المقال .

ومما يحسن لنا ترجمة مكروسكوب بالجاهرة دون المجهر كون المجهر له معان في اللغة العربية «فالمجهر من الكلام والصوت : الجهر ويقال رجل مجهر اذا كان من عاداته ان يجهر بكلامه» فلا يخفى ما في استعمال المجهر بمعنى (مكروسكوب) من الالتباس بين هذه المعاني وزد على ذلك انه اذا ترجمنا Microscope بالجاهرة تسنى لنا ان نترجم Ultra-microscope بالجاهرة (بصيغة المبالغة) وهي آلة تكشف ما لا تستطيع الجاهرة ان تكشفه من دقائق الاشياء فما أجمل المناسبة التي بين اللفظين العربيين (جاهرة وجاهرة) بالنظر الى اللفظين الاخرين Microscope و Ultra - microscope ولولا هذه المناسبة بين الصيغتين العربيتين لحرنا بماذا نترجم اللفظ الثاني ومعناه «ما وراء الجاهرة» .

[ Oculaire — العينية ]	
[ Objectif — الجرمية ]	— ١٥

للجاهرة عدستان مكبرتان احدهما ما يرفع الناظر عينه عليها فيقال لها عينية ترجمة Oculaire والثانية التي توجه الى المادة المفحوصة ، وقد عبرت عن هذه المادة بالجرم ترجمة ل'Objet وان لم تكن ترجمة حرفية غير ان قلة استعمال لفظ الجرم تساعد على ان يجعل له شبه تخصيص بالمادة التي تفحص بالجاهرة او غيرها من الآلات البصرية وكان الحق

ان يترجم Objet بالاشخص لانه ضد الخيال غير ان كثرة استعمال الشخص لا سيما في غير معناه الاصلي لاتساعد على التخصيص المذكور وعلى ذلك ترجمت Objectif بالجرمية .

١٦ — [ Revolver — دوارة ]

في الجاهزة آلة يعاقق بها بضع جرميات فتدار على محورها لتجعل الجريمة المراد استعمالها امام الجرم المعوض فتشبهها لها بالآلة التي تبدل فيها القذائف في المسدسات سموها Revolver فترجمتها بالدوارة لدورانها على محورها ولاشتقاقها من *Evolve* الانكليزية ومعناها كلاب وآلت .

[ Lame — الصفحية ]

١٧ — [ Lamelle — الفراشة ]

يجعل الجرم المراد فحصه بالجاهزة على صفحية رقيقة من زجاج ثم يستتر بصفيحة أخرى من زجاج أرق من الاولى كثيراً فالاولى معروفة «بالصفحية» ترجمة لـ *Lame* اما *Lamelle* فكان حقها ان تترجم «بالصفحية» بصيغة التصغير لكن مشابهتها للاولى في الرسم تؤدي الى الالتباس فاضطرت الى ترجمتها بالفراشة ( بفتح الفاء وتخفيف الراء ) وهي في الأصل كل رقيق من عظم أو حديد .

١٨ — [ Diaphragme — الحظار ]

في الجاهزة تحت عدستها الجرمية صفحية مستديرة في وسطها ثقبة لتبديد حزمة أشعة الضوء التي ترد على الجرمية فسموا هذه الصفحية *Diaphragme* من كلمة يونانية *Diaphragma* ومعناها الحجاب فترجمتها بالحظار (بالكسر) وهو كل شيء حجز بين شيئين وانما ترجمت الحظار على الحجاب ليكون أقرب الى التخصيص بالصفحية المذكورة لانه أقل استعمالاً من الحجاب .

[ Alcool — الفؤول ]

*Alcool* كلمة تستعمل بمعنى ما يستقطر من الخمر وتعتبر عنه العامة بالاسبرتو ووجود الالف واللام في صدر كلمة *Alcool* يدل على انها عربية الاصل لكنه قد توارثت الآراء في أصلها فمن قائل كل أو كحول ومن قائل كؤول أو كمول أو قولي المغير ذلك ، اما الكحل فليس من وجه شبه بينه وبين المائع المبحوث فيه إذ ان الاول جامد والثاني مائع والاول

أسود والثاني بلالون اللحم الا اذا قلت ان الأصل كُحِيل (بضم ففتح) وهو النفط «زيت الكاز» فهو يشبه الاسبرتو في أمرين : السائلة وسرعة الاحتراق . وأما كُوُول فأقرب لفظ عربي اليه الكُوولة ومعناها أن يشتري الرجل أو أن يبيع دبتأله على رجل بدين لذلك الرجل على آخر وهذا المعنى ايضاً لاعلاقة له بمعنى Alcool ، وأما كهول فعناه ان يصير الرجل كهلاً وهذا ايضاً بعيد عما نبحت فيه ، وكذلك لم أر مناسبة بين الاسبرتو وبين القلي والحاصل اني لم أجد لفظاً أوفق للمطلوب من القول (بفتح العين) من غاله بقوله اذا ذهب بعقله أو بصحة بدنه ، ولا جرم أن الاسبرتو يذهب بعقل شاربه وبصحة بدنه وتسميته بالمصدر للبالغة لانه هومادة الاوسكار في كل شراب مسكر ، وقد جاء في القرآن الكريم « لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون » أي ليس في كأس الشراب التي يطاف بها على أهل الجنة خمار يقتال عقولهم ولا يصدرون عنها سكارى .

[	Rayon — شعاع	]	
[	Radiation — شعاعة	]	— ١٩
[	Rayonnement — اشعاع او تشعشع	]	
[	Vecteur — شُعْ	]	— ٢٠
[	Radiant — مُشِعْ	]	— ٢١
[	Radiateur — مُشِعَة	]	— ٢٢
[	Roue — شعيع	]	— ٢٣

الشعاع ضوء الشمس الذي تراه كأنه حبال مقبلة عليك وفي الاصطلاح الشعاع الخلط الهندسي الذي ينتشر عليه الضوء افرنسيته Rayon وقد دل علم الطبيعة على ان شعاع الضوء الابيض ليس بسيطاً بل هومؤلف من ألوان لا تحصى أشهرها سبعة معلومة في ذلك العلم فسما كل لون منها Radiation فترجمتها بالشعاعة لان الشعاعة واحدة الشعاع .  
وأما Vecteur فهي كلمة اصطلحوا بها في علم الهندسة على كل خط ممتد بين محورق الشكل الدوراني [ كالقطع الناقص والقطع الزائد ] وبين محيطه ومعنى Vecteur الشعاع ايضاً فترجمته بالشُعْ [ بضم الشين وتشديد العين ] لانه بمعنى الشعاع .  
وأما Radiant فهو من مقاييس محيط الدائرة في علم الهندسة ترجمته بالمشِعْ .

وأما كلمة Radiateur فقد عبروا بها عن آلة تستعمل لتدفئة المكان بهواء حار يجري فيها فترجبتها بالمشعّة لأن هذه الآلة تنشر حرارتها كما تنشر الشمس أشعتها .  
 وأما Rone - وهو ما ترجم بالدولاب أو بالعجلة - فأرى الأفضل ان يترجم بالشعيع وهو في اللغة العجلة لاسيما وان قضاياه تكون ممتدة من وسطه الى محيطه كالأشعة .

- ٢٤ - [ Incandescence - التوهج ]  
 ٢٥ - [ Luminescence - التلاؤلؤ ]  
 ٢٦ - [ Phosphorescence - البصيص ]  
 ٢٧ - [ Fluorescence - البريق ]

بصطلحون بـ Incandescence على إضاءة الشيء ساخناً وبـ Luminescence على إضاءته بارداً وبـ Phosphorescence على نشره أشعة في الظلام وبـ Fluorescence على نشره أشعة في الضوء وهو ينار فخصصت التوهج بالحالة الاولى والتلاؤلؤ بالحالة الثانية والبصيص بالحالة الثالثة والبريق بالحالة الرابعة .

- ٢٨ - [ Projecteur - النوّارة ]  
 ٢٩ - [ Projecteur - المُوَرّعة ]

يعبر الافرنسيون بكلمة Projecteur عن آلتين مختلفتين في الشكل وفي الاستعمال وكان الأجدران يعبروا عن كل منهما بلفظ خاص به . أما الاولى فنستعمل لاجل إضاءة المواضع البعيدة وتبادل اشارات المخاطبة بتقطيع الضوء بفترات معينة فسميتها بالنوّارة ( بالتشديد ) لشدة نورها ولقوة ارسالها أشعة الضوء الى بعد شاسع . وأما الثانية فهي تستعمل في إيقاع الأخيلة<sup>(١)</sup> على ستار ابيض في غرفة مظلمة كإيقاع الصور المتحركة<sup>(٢)</sup> وغيرها فسميتها بالمورقة ( بضم الميم و كسر القاف ) ويقال لها : « الفانوس السحري » .  
 « للبحث صلة »

الطبيب : محمد جميل الخاني

—(•••••)—

(١) الأخيلة جمع خيال وأما خيالات فجمع خيالة . (٢) سبينا .

# الف ليلة وليلة تاريخ حياتها

—(١)—

« المحاضرة الثانية »

ليس من اليسير على الباحث الكشف عن حقيقة كتاب كالف ليلة وليلة أصله مفقود ، ومؤلفه مجهول ، وزمان وضعه مبهم ، ومكان حوادثه مشتبه ، لاننا اذا فزعنا الى التاريخ نسأله قال : إن ما يتصل بالأقاصيص والأساطير كان خارجاً بطبيعته عن اختصاص الاديب ومنهاج المؤرخ ، واذا رجعنا الى نص الكتاب ندرسه لتبين من لغته وأسلوبه وأسماء أبطاله ومواطن رجاله وعقائد أهله — نصيب كل جنس وجيل في تكوينه وجدناه من هذه الجهة ضعيف الحجة خادع الرأي لئيل الغشاء ، لان كثيراً من النساخين والقصاصين في البلاد المختلفة قد اعتوروه فنقلوه على دفق لهجاتهم ، وعشوا به على مقتضى شهواتهم ، حتى لا تجد نكتتين منه لنفقان لافي الترتيب ولا في النص . ففي حكاية البنات مع الحمال والصعاليك الثلاثة مثلاً يقول الصعلوك الثاني : انه قرأ القرآن بالروايات السبع وحفظ الشاطبية ، والشاطبية في علم القراءت كالألفية في علم النحو ، وفي بعض النسخ لا يذكر الشاطبية ويكتفي بذكر الروايات السبع . فلوان ذكر الشاطبية كان عاماً في جميع النسخ لحكمنا بان هذه الحكاية كتبت بعد سنة ٥٩٠ وهي السنة التي توفي فيها الشاطبي . وفي حكاية مزين بغداد يذكر المزين الفيلسوف سنة ٦٦٣ في نسخة وسنة ٦٥٣ في نسخة أخرى ، فعلى اي الرقمين نعتمد في تاريخ هذه الحكاية ؟ إذن لم يبق للباحث غير الاعتماد على النقد المبني على تاريخ الحضارات المقارن وعلى ما بقي في الكتاب من صور الاساليب ورسوم التقاليد التي لم يشوهها الناسخ ولم يعف عليها الزمن .

كان أول من ذكر الف ليلة من المؤرخين علي بن الحسين المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦ في كتابه صروح الذهب فقد قال حين عرض لأخبار إرم ذات العباد « ان هذه أخبار موضوعة من خرافات مصنوعة نظمها من تقرب من الملوك برواياتها وان سبيلها سبيل الكتب المنقولة الينا والمترجمة لنا من الفارسية والهندية والرومية ( وفي رواية أخرى الفلوية بدل الهندية ) مثل كتاب هزارأفسانه ، وتفسير ذلك بالفارسية خرافة ويقال لها (أفسانه) . والناس يسمون هذا الكتاب الف ليلة وهو خبر الملك والوزير وابنته وجاريتهما شهرزاد ودنيا زاد» ثم جاء بعده محمد بن اسحق المعروف بابن النديم المتوفى سنة ٣٨٥ فقال في الفهرست: « اول من صنف الخرافات وجعل لها كتباً وأودعها الخزائن الفرس الاول ، ثم أغرق في ذلك ملوك الاشفانية وهم الطبقة الثالثة من ملوك الفرس ونقلته العرب الى اللغة العربية وتناوله الفصحاء والبلغاء فهذبوه ونقوه وصنفوا في معناه ما يشبهه ، فأول كتاب عمل في هذا المعنى كتاب هزار أفسانه ومعناه الف خرافة .

وكان السبب في ذلك أن ملكاً من ملوكهم كن اذا تزوج امرأة وبات معها ليلة فتلها من الغد فتزوج بجارية من أولاد الملوك لها عقل ودراية يقال لها شهرزاد ، فلما حصلت معه ابتدأت تخبره وتعمل الحديث عند انقضاء الليل بما يحول الملك علي استبقائها ويسألها في الليلة الثانية عن تمام الحديث الى أن أتى عليها الف ليلة . . . . . رُزقت في انثائها منه ولداً أظهرته وأوقفت الملك على حيلتها عليه فاستعقلها ومال اليها واستبقاها ، وكان الملك تهرمانه يقال لها دنيا زاد فكانت موافقة لها على ذلك . وقد قيل ان هذا الكتاب ألف لحميا ابنة بهمن» .

ثم قال ابن النديم في موضع آخر : « والصحيح ان شاء الله ان اول من سمر بالليل الاسكندر وكان له قوم يضعكونه ويُخرفونه لا يريد بذلك اللذة وانما كان يريد الحفظ والحرس ، واستعمل لذلك بعده الملوك هزار افسانه ويحتوي على الف ليلة وعلى دون المائتي سمر لان السمر ربما حدث به في عدة ليال . وقد رأيت به تمامه دفعات ، وهو بالحققة كتاب غث بارد الحديث» .

فالرجلان كما ترون متفقان على ان الكتاب منقول عن هزار افسانه الفارسي وانه موضوع في خبر الملك والجاريتين شهرزاد ودنيا زاد وان اسمه في عصرهما كان الف ليلة لا الف

ليلة وليلة « ولا عبرة بمجمي » اسم الكتاب كاملاً في الطبعة الحديثة المصرية لمروج الذهب فان ذلك من زيادة المصحح » . ويختلفان في نسب البنث والجارية فيقول المسعودي ان شهرزاد بنت الوزير ودينازاد جاريتها وهو الصحيح ، ويقول ابن النديم ان شهرزاد من أولاد الملوك وان دينازاد قهرمانه الملك ، ويزيد ان الكتاب يحتوي على الف ليلة وعلى دون المائتي سمر وانه ألف لخميا أو ميميا أو حماني أو حماني أو حماني أو حماني علي اختلاف الروايات وهي بنت الملك بهمن بن اسفنديار .

هاتان هما الوثيقتان الخطيرتان في تاريخ هذا الكتاب ولا يوجد غيرهما فيما نشر علينا من كتب مؤرخينا القدماء اللهم الا إشارة الى وثيقة ثالثة مفقودة نقل عنها المقرئ في في الخطط والمقرئ في نفع الطيب وعزواها الى مؤرخ مصري اسمه القرطي الف كتاباً في تاريخ مصر على عهد الخليفة العاضد الفاطمي ذكر فيه الف ليلة وليلة وقايس بين قصصه وبين ما يتداوله الناس في عصره من الحكايات المشهورة . وفي هذا دليل على ان الكتاب على أي صورة من الصور كان معروفاً في مصر على عهد الفاطميين ، وان اسمه كان إذ ذاك الف ليلة وليلة ، وان عنصراً من القصص العربي قد دخل في هيكله . ثم تجاهله بعدئذ ادباً وناو مؤرخونا فلم يحققوا مصدره ، ولم يسجلوا نموه وتطوره ، حتى جاء رأس المستشرقين البارون سلتستر داسمي ، فبدأ البحث العلمي في أصله بمقالين نشرهما في جريدة العلماء Journal des savants أولهما في سنة ١٨١٢ والآخر بعده باحدى عشرة سنة . وجملة رأيه أن الكتاب تأليف جماعة لا تأليف واحد ، وانه مؤلف في العهد الاخير ، وانه عربي الوضع من فاتحته الى خاتمه ، ودفع قول المسعودي ان فيه عناصر أجنبية من الهندية أو الفارسية . فناقش أدلته قوم آخرون أشهرهم الاستاذ (يوسف فون هامر) الألماني فقد نشر في سنة ١٨١٩ مقالاً في إحدى المجلات الألمانية ، وفي سنة ١٨٢٣ مقالاً آخر في المجلة الاسيوية أيد فيها رأي المسعودي تأييداً لا سبيل عليه لاخذ . وفي سنة ١٨٣٩ ترجم الاستاذ (وليرلين) الانجليزي قسماً من الف ليلة وليلة وقدم له مقدمة حاول ان يثبت فيها ان الكتاب تأليف رجل واحد وانه ألف فيما بين سنتي ١٤٧٥ و١٥٢٥ للميلاد . ثم استأنف هذا البحث في هذا العصر طائفة من ثقات العلماء أشهرهم : كوجي ومولر ونولندي واوستروب وكريمسكي وشوفان وكارادفو ، فاستجلبوا على قدر إمكانهم ما غمض من أصل هذا الكتاب حتى أصبح



من الممكن بعد تمحيص ما قالوه وتصحيح ما جهلوه أن نثبت في هذا الأصل رأياً يقارب الصواب ان لم يكنه .

[ أصل الكتاب وطبقاته ] — أصل هذا الكتاب نواة من الأفاصيص الهندية والفارسية تسمى هنارافسانه ترحم الى العربية من الفهلوية في أواخر القرن الثالث للهجرة بعنوان « الف ليلة » وهو الذي رآه المسعودي وانتقده ابن النديم . ثم تجمع حول هذه النواة في الازمنة الواقعة بين القرن الرابع والقرن العاشر من الهجرة طبقتان طبقة بنداوية صغيرة وطبقة مصرية كبيرة . فأما النواة أو الأصل أو الاطار كما يسميه السائحون فمؤلف من الحكايات الباقية الآتية : حكاية الملك شهريار وأخيه شاه زمان وهي مقدمة الكتاب وحكاية التاجر والجنى ، وحكاية الصياد والجنى ، وحكاية حسن البصرى ، وحكاية الحصان الآبنوس ، وحكاية الامير باسم دجوهرا السمندي ، وحكاية أردشير وحياة النفوس ، وحكاية قمر الزمان بن الملك شهرمان والأميرة بدور ، وحكاية سيف الملوك وبديعة الجمال .

وقد اختلفت كلمة الباحثين في أصل هذا الأصل كما ألمعنا الى ذلك من قبل ، ففريق يرى ورأيه الأرجح ان المقدمة وبعض حكايات الاصل هندية وبيني هذا الرأي على المشابهة في الموضوع والطريقة والأسلوب ، فأما المشابهة والموضوع فان في حكاية الملك شهريار واخيه مشابه من « كاثاسارت ساجارا » الهندية . وأما المشابهة في الطريقة فان إدماج حكاية في حكاية وتوليد قصة من أخرى احدى خصائص الأدب القصصي الهندي وهي ملحوظة في قصة (مهاهاراته) و ( بنجه تثنري ) اصل كايلا ودمنة ، لان الباعث الاول على اقص في أدب الهند كان ابناء الفرصة واكتساب الوقت حتى يؤفك المتهور عن عزمه ، ويججز المتسرع عن وجهه ، كما فعل البيغاء مثلاً مع زوجة صاحبه في حكاية (سو كاسابتاقي) فقد كان يقص عليها كل يوم أحسن القصص ليعوقها بلهو الحديث عن زيارة خليلها في غيبة خليلها ويقطع حديثها دائماً بقوله : سأقص عليك البقية غداً اذا بقيت في البيت . وهذه الطريقة وذلك الباعث نجدهما في كثير من حكايات الف ليلة وليلة فلانزع إذن في انها هندية . وأما المشابهة في الأسلوب فان من لوازم القاص الهندي ان يقول : لاتفعل ذلك والإأصابتك ما أصاب فلاناً فيسأله السامع وكيف ذلك فيجيب القاص على هذا السؤال برواية

القصة . وهذا الأسلوب نفسه مستعمل في تلك الحكايات من الف ليلة ، وقولهم فيها وكيف ذلك ؟ ترجمة حرفية لهذه الجملة السنسكريتية ( كاثام امانات ) ثم يمضي هذا الفريق في تطابق نظريته على بعض الحكايات وينتهي الى ان هناك طائفة من الأناصيص لاشك في انها فارسية وهي حكاية الحصان الأبدوس وحكاية حسن البصري وحكاية سيف الملوك وبديعة الجمال وحكاية قر الزمان والاميرة بدور وحكاية بدر باسم والاميرة جوهر السمندلية وحكاية أردشير وحياة النفوس .

وفريق آخر يرى ان الأصل كله فارسي تأثر بالعقائد اليهودية والاغريقية والاسلامية ويريد أحدهم وهو الاستاذ گوجي ان يجعل بين هيكل الف ليلة وليلة وبين قصة استر اليهودية صلة ونسبة . ذلك لان ابن النديم في الفهرست يقول ان هزار افسانه ألف لحيا بنت بهمن ، والطبري يقول ان استر هي زوج بهمن ، والمسهودي يجعل استر زوجة ليجتنصر ويسميا دنيا زاد ، ثم يطلق اسم شهرزاد ايضاً على أم حميا بنت بهمن اي على زوجة بهمن وهي التي سماها الطبري استر . ويقول المسهودي ايضاً في موضع آخر ان أم حميا يهودية ، ويعود الفردوسي والطبري والمسهودي فيطلقون اسم شهر زاد على حميا نفسها وهي بنت الملك بهمن وزوجه على عادة الفرس الاولين . أما وجه الشبه بين قصة استر المذكورة في التوراة وبين مقدمة الف ليلة فهو أن الملك أسريوس كان كالمملك شهر يار لا يرى المرأة الا ليلة واحدة ، فتزف اليه البكر مساءً ليطردها من قصره صباحاً دون ان يقتلها كما يفعل شهر يار واستر كانت كـشهر زاد تستهوي الملك وتحلب لبه فيستبقيها ، وهي بنت الوزير وشهر زاد بنت الوزير ، وهي تغرر بنفسها لتتخذ بنات جنسها من شر الفضيحة والنل ، وشهر زاد تفعل ذلك الفعل لتدراً عن بنات قومها خطر السباء والقتل .

أما علة هذه الآراء المتناكرة التي تجعل هذا الاصل عربياً بحتاً او فارسياً بحتاً او هندياً مشوباً — فهي ان القصص العرب قد عبثوا به عبثاً شديداً فبدلوا اسماؤه وغيروا أسلوبه وموهوا لونه واخترعوا بعضه وطبعوه بطابع اسلامي محض ثم بعثروه في جوانب الكتاب وثنايا القصص حتى التاث على المقاييس الفنية فرزه وتجدده .

واما الطبقة البغدادية فتتألف من أناصيص غرامية صغيرة انتزعت من حياة العرب واتسمت بسمة الاسلام وفاضت بنعم الحب والترف . تمثل حياة الطبقة الوسطى بأسلوب

صحیح عذب وتصور حضارة بغداد في ايام العروس<sup>(١)</sup> بجيالك قوي خصب ، وتشهدكم سورة الغني في الأسواق ، وضجة الغلمان في الافنية ، وقصف الجوارى في المقاصير ، ومداعبة الزوارق اللاهية في دجلة ، وتجمل من الخليفة الرشيد ملاك رحمة ورسول عنابة يجي متتكراً وظاهراً في كل مكان بالثروة للحروم والعدل للمظلوم والوصل للعاشق البائس . ولا أقصد بذلك الى أن كل حكاية يتدخل فيها الرشيد تكون بغدادية ، فان اقتتان الناس بمجده ، وازدهار العراق في عهده ، جماله رمزاً للخفاء والعدل حتى في زمن غير زمنه ووطن غير وطنه .

تجمعت هذه الطبقة في مدى القرنين الرابع والخامس مما أثر عن الرواة ودون في الكتب مستقلاً وغير مستقل . فهي على ما أرجح بقايا القصص التي نشرها الادباء البغداديون ثم طواها الزمن ، وقد عد ابن النديم في الفهرست عشرات منها كقصة علي بن اديم ومنزلة ، وقصة عمرو بن صالح وقصاف ، وقصة ابي العتاهية وعتب ، وقصة وضاح وأم البنين ، وقصة احمد بن قتيبة وبانوحة ، وقصة ريمانة وقرنفل وقصة سكينه ولرباب الخ . . .

وأشهر حكايات هذه الطبقة حكاية علي بن بكار وشمس النهار ، وهي قصة شهيد بن من شهداء الحب تشعر النفوس حرقة الأسي علي جدهما العاثر ونهايتهما الخزنة ، وقد صيغت في أسلوب رقيق وعبارة مهذبة واشتملت على نوع من الأدب بكاد يتخلو منه أدب الخاصة وهو الرسائل الغرامية التي تجري بين العاشقين اذا عنز اللقاء رجيل الصبر . ثم حكاية أنس الوجود وورد الأكام وهي طاعة حب وشعر وغزل . تجدون من فيرسا : اما محباً أو حبيباً أو واصلاً بينهما ، والشعر الذي تضمنته انما أنشي لها خاصة فهو مطابق لمقتضى أحوالها ، مشتمل على أسماء أبطالها ، وذلك قليل في سائر الكتاب كقوله من أبيات :

ماخاب من سماك أنس الوجود يا جاهعاً ما بين أنس وجود

يا طلعة البدر الذي وجهه قد نور الدنيا وعم الوجود

ثم حكاية البنات الثلاث مع الحمال والصعاليك الثلاثة . ثم حكاية النائم اليقظان أو أبي الحسن الخليج . ثم حكاية بدور وجبير بن عمير الشيباني . ثم حكاية الرشيد مع الخليفة الثاني محمد بن علي الجوهري . ثم حكاية المعتضد مع ابي الحسن الخراساني وهي تدور

(١) ايام العروس اسم كان يطلقه البغداديون على عصر الرشيد . (المسعودي)

على السرف والترف والحب وتقص طئنا مصرع المتوكل . ثم حكاية الشاب البغدادى مع جارئته . ثم حكاية الجوارى الضرائر . ثم حكايات السندباد البحرى وهى وصف جذاب شائق لسبع سفرات مخطرات فى مباء الهند والصين قام بهن السندباد فى عهد بلغت فى بغداد والبصرة غاية لم تدرك يومئذ فى العمران والعظمة .

ومما لاجدال فى أنها كانت فى الاصل رحلة حقيقية شوهاها الناس بالمبالغة ، وزئنها القصاص بالافتعال والتزئد ، ولعل صاحبها هو الذى نجابها هذا المنحى من الاغراب كما فعل بزرك بن شهريار فى كتابه عجائب الهند . فلوصفئناها من سحف الأساطير وصرف الحديث كالسكة العملاق التى بظنها الملاحون جزيرة ، وبيضة الرخ التى يحسبها الرأون قبة اذن لتكشفت عن تفاصيل دقيقة تطابق ما كتبه الرحالون فى هذا الموضوع كوصف جزرالمهرابا أوالمهرجان كمايسميه السندباد ، والبحث عن الماس بواسطة النسور فى سيلان ، وماذكر عن الفيل والكركدن وشجر الكافور وتجارة القرنفل الخ . . .

وأصدق ما فى حكايات السندباد تصورها لنفسية الرحالة الذى يشغف قلبه حب الأسفار ومصارعة الأخطار وجهاً لوجه ، فهو فى كل سفرة يخوض غمرات الهول ويكابد غصص الفرق ويأخذ على نفسه الموثق الغليظ الا يزعم رحلة بعد هذه المرة . فاذا ما عاد سالماً غانماً الى دياره ، ونم حيناً بالعيش الرخى بين ندماء وسماره ، عاده الوله الشديد الى البحر الغادر ، ونازعتة نفسه الطلمعة الى الأفق البعيد ، فيجتوى الراحة ، ويعاف النعيم ، ويتناح البضائع ، ويكتري السفينة ، ثم يقلع من البصرة !!

واما الطبقة المصرية فهى أوسع الطبقات وأجمعها وأصلحها للبحث وأصدقها فى اللهجة وأقلها فى البلاغة . تألفت فى مدى خمسة قرون بين القرن الخامس والقرن العاشر من القصص العربية والتقاليد الاسلامية والسير اليهودية والاساطير الفرعونية . وقد قسمتها حين حللتها الى طبقتين قديمة تنتهى بالقرن الثامن وحديثة تنتهى بالقرن العاشر . فالطبقة القديمة حسنة الأسلوب مطردة السياق شريفة الغرض تدور على المغامرة والحرب ، وتعارض الأخلاق وتضارب العواطف ، وتعتمد على الطلامم والأرصاد والجن والسحر والقدر كحكاية جودر التاسجر وإخوته ، وحكاية الوزيرين نور الدين وشمس الدين ، وحكاية مسرور وزين المواصف ، وحكاية قرالزمان الثانية ، وحكاية الخياط والأهدب ، وحكاية مندين

بغداد وهي قطعة فنية قوية رائعة ، ثم حكاية علي شار او بشار مع زمرد . والطبقة الحديثة على الجملة عامية اللغة ركيكة الأسلوب جريئة العبارة تدور تارة على حيل المحتالين ومكابد العيارين ومخاطر اللصوص ، وتارة على تصوير الأخلاق وتذكير النفوس الغافلة بالعبث . وظهور القمصان المختال الباعر بمباب القمصان المتصوف الزاهد في هذه الطبقة — إنما اقتضته طبيعة المجتمع المصري يومئذ من التجاء فريق من الناس الى الله وانصراف فريق آخر الى الشيطان . وقد كان من الممكن ان تبدو هذه الظاهرة ايضاً في قصص بغداد لولا ان مغامرات الهبو والحلب فيها قد ناهت في نفوس القمصانيين على كل شيء وهم الى ذلك كتاب يتأهبون عن حياة العامة . فقد كان في بغداد على عهد الخليفة المعتضد بالله رجل اسمه العقاب وكنيته ابو الباز شهر بالكيد والحيلة حتى قال فيه السعودي في الجزء الثاني من مروج الذهب ص ٤٢٩ من طبعة مصر « أنه برز في مكائده وما أورده من حيله على دالة الخساسة وغيرها من سائر المكارين الختالين ممن سلف وسلف منهم » ثم ذكر بعض حوادثه وهي غريبة .

وكان في بغداد كما كان في القاهرة نظام (التوابين) وهم اللصوص الذين اذا أتمهم الكبر عن السرقة تابوا ورسمهم الخليفة شيوخاً لأصناف اللصوص فاذا حدثت حادثة عرفوا فعل من هي . ذكروا ذلك السعودي ايضاً في ص ٤٧٣ من الجزء نفسه وكانت بغداد والقاهرة تتبادلان هذا الصنف من الزعماء والشيوخ كما يقصه علينا الف ليلة وليلة .

تأثر القصاصون المصريون في حكايات الخليل إذن بطبيعة العمران فضلاً عن تأثرهم بما بقي مذكوراً على بعض الألسنة من أساطير اليهود الفرعونية ، فان قصة علي بابا واللصوص الاربعين مثلاً تشبه قصة وردت في (كتاب الأفاصيص الشعبية في مصر القديمة) لتكبير الأثريين الاستاذ (ماسبيرو) . ثم تأثروا في أفاصيص العبر والعظات بالاسرائيليات كحكاية مدينة النحاس وقصة حاسب كريم الدين وبلوقيا وجان شاه ، وذلك مادعا الاستاذ (فكتور شوفان) الى ان يقول ان القمص المصريين الاخيرة إنما وضعها يهودي مصري أسلم ، وذلك بالطبع وهم من الاستاذ لان علم العرب بالاسرائيليات منذ ظهر الاسلام لا يقل عن علم اليهود بها .

وأشهر أفاصيص هذه الطبقة حكاية علي بابا واللصوص الاربعين ، وحكاية علاء الدين

ابن الشامات والمصباح العجيب ، وهي التي اقتبسوا منها لص بغداد للسينا ، ثم حكاية معروف الاسكاف ، وحكاية ابي قير وابي صير ، وقصة حاسب كريم الدين ومملكة الحيات وقصة مدينة النحاس ، وحكايات احمد الذنف وحسن شومان وعلي الزبيق ودليلة المتتالة وزينب النصابة ، وحكاية الملك الناصر والولاة الثلاثة ، وحكاية الرجل الصمدي وامراته الافرنكية .

وفوق هذه الطبقات الثلاث أو الاربع تراكم في العصور الحديثة عدد من القصص الكبيرة والأقاصيص العذيرة ليلبلغ الكتاب الغاية التي حددها له اسمه . وفي هذه الزيادة تختلف النسخ اختلافاً شديداً . من تلك القصص طائفة حائلة اللون من أثر التقليد كقصة عجيب وغريب وسهم الليل وهي من قصص البطولة والحرب تستمر وقائها في العراق بين العرب والعجم أو بين دين الحنيفة والنجوسية ، وتستمر صورها من قصة عنتره وسيرة ابن ذي يزن ، ثم قصة عمر النعمان وأولاده وهي مضروبة على قالب أردشير وحياة النفوس ، ثم قصة تاج الملوك والاميرة دنيا وهي كسابقتها تقليد لقصة أردشير ، ثم حكاية جان شاه وهي تقليد سخيف لحكاية حسن البصري ، ثم حكاية وردخان والملك جليعاد وهي ملفقة من أمثال كليله ودمنة .

وطائفة أخرى يغلب فيها أثر التجديد كحكاية مكتار الحكيم ، وأقصوة شول وشمول ، وحكاية الجارية تودد وهي حكاية ثقافية تعليمية كتبها فقيه مصري في العهد الأحدث على الرغم من وقوع الحادثة ببغداد ، وقيام المناظرة برياسة النظام المتكلم في مجلس الرشيد ، فان الجارية كانت تجيب السائل في الفقه على المذهب الشافعي وتصرح بذلك ، وتذكر في التوريم الزراعي الشهور القبطية ككبيك وبرموده وبشنس ومسرى وأمشير ، ثم تقول في حضرة الرشيد : الويل ثم الويل لمصر والشام من جور السلطان . ومن الغريب ان الاستاذ اوستروب يقول في دائرة المعارف الاسلامية ان هذه القصة نشرت في اسبانيا بعنوان (لادزن زلاتيردور) أو توديز . ويظن ان تودد تصحيف تودور . ولم يخ لي الاطلاع على هذه القصة لارى كيف تنفق مع قصة كل ما فيها مناظرة في علوم الثقافة الاسلامية البعثة .

وهناك عدما ذكرت مجموعة من أناس من الفرسان والاجواد ونوادير الاولياء والزهاد

نقلت من العقد الفريد والمستطرف وعروس المجالس ومناقب الصالحين لم يقصد بها الا توسيع الكتاب .

[ مؤلف الكتاب وزمن تأليفه وسبب تسميته ] — ذهبت جهود الباحثين باطلاً في تحقيق هوية المؤلف ، لان هزارافسانه نقل الى العربية غفلاً لم يسم واضعه ، ثم غشيت به الطبقتان البغدادية والمصرية على التدريج ، فكان كل قصاص يكتب لنفسه ماسمع وجمع في عصره من ثمرات القرائح وقطرات الأقلام دون ان يسندهما الى راوٍ او يعزوها الى مؤلف . ولماذا يفعل ذلك وهو يريد ان يحفظ وبقص لا أن يروي وينشر ! فلما هيأت الاحوال أسباب تدوينها في العهد الذي ذكرته قبض الله لها من ضم شتات الفتى ونسق نظام وحدتها ثم دونها على هذه الصورة . ولم يستطع ذلك الجسدي الجهول ان يملئ اسمه على الخلود ، إما لتواضع فيه حمله على إنكار ذاته ، وإما لتواطؤ من النكران والنسيان أمات اسمه بعد مجاته ، ومن التوافق الغريب ان أسماء الكتاب الذين وضعوا القصص الفرنسية الكبيرة في العهد الذي دون فيه الف ليلة وليلة قد سحبت النسيان عليها ذيله كذلك ، كأغاني رولان وقصص المائة المستديرة وقصص الحكماء السبعة مثلاً .

وقد اختلف العلماء في أن يكون المؤلف واحداً أو جماعة ولست أرى لهذا الخلاف وجهاً فان الكتاب تكون على اليقين من أعمال مستقلة ثم نما بالاتفاق على توالي الحقب ، فوضعه وتكوينه إذن عمل جمع ، وجمعه وتدوينه عمل فرد ، وتحليله الى الاعمال الفردية المتعاقبة أمر فوق القدرة ومن وراه الامكان . أما التاريخ الذي قرأ فيه على هذا الوضع الأخير فهو النصف الاول من القرن العاشر من تاريخنا ، ومن الممكن ان يفسر منه في السنوات العشر الواقعة بين سنتي ٩٢٣ و٩٣٣ وهما تواريخان سنفي ٥١٧ و٥٢٦ من التاريخ المسيحي . وقد حصره الاستاذ وليرلين الانجليزي بين سنتي ٤٧٥ و٥٣٥ للميلاد اي في مدى خمسين سنة فوافقناه في الغاية وخالقناه في البدء ، ولم نر هذا الرأي اعتباراً من جهة ، ولا استنباطاً من النص الظنين من جهة أخرى ، وانما اعتمدنا في تقيده على دليل مادي وهو ان الاستاذ الفرنسي (جلان) قد أخذ ينشر ترجمة الكتاب لبلاط الملك لويس الرابع عشر سنة ١٧٠٤ وقد نقله عن نسخة عربية مخطوطة في ثلاثة مجلدات أرسلت اليه من سورية بعد سنة ١٧٠٠ وهي مكتوبة بمصر غفلاً من التاريخ ، ولكن الذي نقلها الى الشام وهو من

طرابلس كُتِبَ عليها بخطه انه امتلكها سنة ٩٤٣ للهجرة ثم انتقلت من يده الى يد آخر من حلب فكُتِبَ عليها أيضاً تاريخ هذا الانتقال وهو سنة ١٠٠١ فيكون تأليف الكتاب إذن قد تم قبل سنة ٩٤٣ بزم من نقدره كما قدره (لين) بعشر سنين .

هذا من جهة الطرف الاعلى اما من جهة الطرف الادنى فاننا نجد ذكر القهوة المعروفة يتردد في بعض الحكايات كحكاية ابي صير وابي قير وحكاية علي نورالدين ومريم الزنارية مثلاً وذلك لا يكون قبل العقد الاول من القرن العاشر لان القهوة لم تنتشر في الشرق الا في هذه المدة ، ثم نجد لفظ الباب العالي وبعض النظم العثمانية تذكر من حكايات أخرى كحكاية معروف الاسكاف وهي مصرية قطعاً والعثمانيون لم يستولوا على مصر قبل سنة ٩٢٣ فيكون الكتاب إذن قد دوت بعد هذه السنة وقبل سنة ٩٣٣ .

ذلك تحقيق ائمن الذي صنف فيه الكتاب جملة ، اما تجديد التساريخ لكل حكاية وكل طبقة فذلك عمل ان تيسر في حكاية تعذر في أخرى ، وبعض الباحثين قد حاول ذلك في شيء من التوفيق كالاستاذ ولير بوير الامريكى فانه نشر سنة ١٩٢٤ بحثاً في ٤٤ صفحة من المجلة الاسيوية جزم فيه بان حكاية الوزيرين شمس الدين ونورالدين قد كتبت بعد حكم الظاهر بيبرس أي بعد سنة ٦٢٦ ويرجع انها كتبت سنة ٧٠٦ وان قصة الخياط والاحدب بما تشتمل عليه من الحكايات الاخرى كمرين بغداد قد ألفت سنة ٨١٩ للهجرة والنسحول في هذا الموضوع يخرج بنا الى التفصيل الذي يملك في الروح ويحمد نشاط الحديث .

سمى العرب هنار افسانه الف ليلة ولو أرادوا الترجمة الامينة لقالوا الف خرافة أو أسطورة ، فعدهم عن العنوان الصحيح بدلنا على أحد أمرين : إما ان الليلة كانت في اصطلاحهم ترادف الاسطورة باعتبارها زمناً لها وذلك ما نستطيع استنباطه من قول محمد ابن اسحق الوراق : « ابتدأ ابو عبدالله الجهمياري صاحب كتاب الوزراء بتأليف كتاب اختار فيه الف سمر من أسفار العرب والمعجم والروم وغيرهم كل جزء قائم بذاته لا يتعلق بغيره وأحضر المسامرين فأخذ منهم أحسن ما يعرفون ويحسنون ، واختار من الكتب المنصفة في الأسفار والخرافات ما يحلى بنفسه . . فاجتمع له من ذلك اربعمائة ليلة وثمانون ليلة كل ليلة سمر تام يحتوي على خمسين ورقة وأقل وأكثر ، ثم عاجلته المنية قبل استيفاء ما في نفسه من تجميعه الف سمر . . . » وإما ان يكون عدد الالف في الاصل انما أريد به التكثير



لا التحديد على حد قوله تعالى : « ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » وأحر به ان يكون كذلك فان ابن النديم قد رآه بتمامه مراراً وقال ان فيه دون المائتي سمر وهو اليوم بطبقاته وزياداته وأستطراداته لا يتجاوز ٢٦٤ حكاية قسمها المؤلف على الف ليلة وليلة تقسماً فيه عبث الهزل أو سخر الصنعة فان شهرزاد يدر كهها الصباح دائماً ولما يمض على حديثها غير بضع دقائق على انه لم يبق ممرآه ابن النديم الا تلك الحكايات التي سردناها عندما تحدثنا عن الأصل .

إما زيادة الليلة على الالف فمن عمل القرن السادس لان النسخة التي رآها القرطبي بمصر على عهد الخليفة العاضد الفاطمي كانت تحمل اسم الف ليلة وليلة . ويقول ( جاد مستر ) في تحليل زيادة الليلة ان العرب يطبرون بالأعداد الزوجية وهو زعم غريب مارأيت في تاريخنا ولا في أدبنا ما يؤيده . ولقد ظل الكتاب اكثر من قرنين يسمى الف ليلة وكان الجهشياري يريد أن يسمي كتابه الف سمر وعندنا الفية ابن معطي والفية ابن مالك ، وأغرب من هذا الزعم ان يؤيده اوستروب في دائرة المعارف ويزيد عليه ان ميل الناس في تلك العصور الى التسجيع في عناوين الكتب كان من البواعث ايضاً على هذه التسمية ! وليس في قولنا الف ليلة وليلة كما نعلمون تسجيع ولا مزاججة . والغالب في رأبي أن الليلة انما زيدت فوق الالف لافادة الكمال كلفحة الإيلاء ورجحة الميزان ، لان الالف عدد تام بالنسبة الى هذا الكتاب فاذا زيد عليه الواحد كان كاملاً . والكمال درجة فوق التمام ، وان في لغة التخاطب ما يشبه ذلك فقد يقال في المن قضيت لك الف حاجة وحاجة وفي المبالغة زرتك الف مرة ومرة وهلم جرا .

« للبحث صلة »

احمد حسن الزيات

عضوالمجمع العلمي العربي

## رحلة اوليا جلبي

« في البلاد العربية »

—(١)—

تمهيد ٠ — محمد ظلي افندي المعروف باوليا جلبي اي الولي الفاضل سائح تركي شهير من رجال القرن الحادي عشر الهجري ( ولد في سنة ١٠٢٠ وتوفي في سنة ١٠٩٠ ) زار أكثر الامصار التي كانت تتألف منها السلطنة العثمانية المترامية الاطراف في ذلك العهد ووضع في وصف رحلاته العديدة بضعة مجلدات لم يطبع منها الا القليل وهي تعد عند الترك من الآثار القيمة لما تضمنته من بيان عمران البقاع والبلدان التي شاهدها ووصف مناظرها ومبانيها وأحوال سكانها وصفاً لا بأس فيه تتخلله طائفة من النبد الجغرافية والتاريخية والاجتماعية لولا أن فيها شيئاً غير يسير من شوائب المبالغة والاحاديث الخرافية وذكر الاضرحة والكرامات التي كان يهتم الجلبي بها كثيراً شأن رجال تلك الايام .

قيل ان اوليا جلبي لم يوفق في صباه في تلقي العلوم وان جمال صوته ساقه للولع بفنون الادب والموسيقى الى ان كان ذات يوم في رمضان سنة ١٠٤٥ يتلو القرآن في جامع اياصوفيا فأعجب السلطان مراد الرابع بصوته ورفع الى قصره وجعله من ندمائه . الا أن تلك الابهة والنعمة اللتين صادفهما اوليا جلبي في القصر كانتا محاطتين بضروب التقييد والحصر . فلم تروقا لعينيه ولم تنفقا

مع خفته وظرفه وحبه للحربة والانطلاق وشغفه بالسفر وجوب الآفاق .  
 فقاد القصر بعد مكوث سنتين وراح يجول في الامصار تارة منفرداً وتارة  
 مع كبار الوزراء والقواد لاسيما مع خاله ملك احمد باشا احد صدور ذلك  
 العهد البارزين . ورافق أم الجيوش التي ساقتها الدولة العثمانية إذذاك في الشرق  
 والغرب وحضر الحروب ووصفها وبهذا تسنى له ان يرى اكثر بلاد الاناضول  
 والروم ايلي ووصل الى جزيرة كريت وجال ايضاً في أجزاء بعض ايران  
 والقفقاس وجنوبي روسية ومولداويا وترانسلفانيا ودالماتريا وهنغاريا والنمسا  
 والمانيا وهولاندة .

وقد زار هذه البلاد الاوربية وهو في بطانة السفير العثماني المرسل الى  
 هولاندة . ولم تفته من البلاد العربية الشام ومصر والحجاز . جاء مرة الى  
 دمشق صحبة مرتضى باشا المعين نائباً على الشام وذهب مرة أخرى معه لما  
 جرد جنده لجباية الاموال الاميرية من الدرروز وغيرهم في جنوبي جبل لبنان  
 وجبل الجليل وأرسله الباشا في غيرها بمهمة الى غزوة فرباكثر مدن الشام  
 الشمالية والجنوبية وعرفها ووصفها . وقد استرعت رحلة هذا السائح التركي  
 أنظار علماء المشرقيات في اوربا فترجموا منها ما يختص ببلادهم الى اللغات الالمانية  
 والانكليزية والهبرية . لذلك أحببت ان أحذو حذوهم فأنتقل الى لغتنا وصف  
 البلاد العربية التي زارها لحسابي ان في ذلك ما يفيد معرفته من الأوضاع  
 الجغرافية والحالات الاجتماعية التي كانت قبل ثلاثة قرون . وقد تصرف  
 في عبارة الجلي وحذفت منها ما ليس في ذكره نفع وعلقت عليها نبذاً في ترجمة

الاشخاص وذكر أسماء المدن والقرى التي كانت في طريقه او حولها مما فاتته بيانه ووصفت منها بعض ما نسى لي زيارته وروايته أو العثور على ذكره في الكتب الجغرافية والتاريخية والرحلات القديمة والحديثة وعينت بسر الفرق بين حالتها حينما مرّ بها الجلبلي وحالتها الحاضرة ليكون ذلك تكملة لهذه الرحلة واقتداء بما يكتبه مؤلفو كتب الأدلة للسائحون في بلادنا كإزمير وشوفه ومونارسه ويديبكو وغيرهم من أفاضل الفرنج الذين لم يقتف أثرهم احد من كتابنا بعد حتى أصبح هؤلاء الغربيون الغريباء يعرفون بلادنا ومساكنها وخطوطها ومصانعها وعاداتها وحالات أهلها وطبائعهم معرفة تامة ليس لاكثر مفكرينا نصيب منها وما ذلك الا لوفرة ما عندهم من هذه الكتب وأشبابها وفقدانها لدينا بالكلية .

وقبل الشروع بسر الرحلة لا بد من التنويه بان المهجي صاحب خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر وقد ترجم كثيرآ من فضلاء الترك وأعيانهم في ذلك العهد لم يذكر اسم أوليا جلبي على الرغم من ان هذا جاء الشام وساح فيها ومكث في دمشق مدة ولم يترجم ايضآ مرتضى باشا الذي جاء الجلبلي في حاشيته وظل والياً في دمشق نحو سنة وقد تحربت فلم أعثر على ذكر هذا الوزير الاعرضآ في صدد ترجمة عبدالسلام الرعشي احد أعيان الجند بالشام وصاحب الحول والطول في ذلك العهد . قال المهجي : وكان عبدالسلام لما وجهت نيابة الشام لمرتضى باشا الكرجي ثانية في سنة سبع وستين والف وتصرف بها متسلماً اضطرب لذلك اضطراباً شديداً لما كان قد وقع له من المعادة في توليته الاولى فأخذ يدبر أشياء لمدافعتة ثم أداه اجتهاده الى ان جمع جمعاً عظيماً في الجامع

الأموي وأحضر أكثر أهل البلدة وذكر لم ظلمه وأشار عليهم بان لا يرضوه  
 حاكماً عليهم وكان نائب الشام السابق المعروف بالسلاحدار لم يخرج بعد من  
 دمشق وكان مقيماً بالميدان الأخضر فذهب القوم اليه وأبرموا عليه ان يبقى  
 نائباً وكتبوا في هذا الشأن عروضاً ومحاضر وأرسلوها الى الابواب السلطانية  
 وخرج منسلم مرتضى باشا هارياً ولما وصل اليه وهو في الضريق ارسل الى الباب  
 السلطاني يعلمهم بما وقع فقرر في نيابة الشام بخط شريف فلم يكنه واطهروا  
 المانعة وجمعوا جمعاً عظيماً من أوباش الشام وعزموا على محاربتة وطلعوا الى قرية  
 دوما وهم في جيش عرمرم وكان مرتضى باشا وصل الى القטיפه فلما سمع بخبرهم  
 ولى راجعاً ولم يدخل دمشق « اه . فيظهر من هذا ان مرتضى باشا عين لنيابة  
 الشام مرتين الاولى في سنة ١٠٥٨ حينما جاء معه أوليا جلبي ودخل بموكب  
 عظيم واستقبلته جنود دمشق وأعيانها استقبالا فخماً كما سيأتي ذكره . على ان  
 هذا الباشا كان على ما يظهر جباراً عاتياً فعزل بعد سنة لكنه عاد المرة الثانية  
 في سنة ١٠٦٧ فلم ترض به جنود دمشق وأهلها واضطروه للرجوع فنقمت  
 الدولة بسبب ذلك على عبدالسلام المذكور ورفقائه الذين قادوا هذه الفتنة  
 وكان من جملتهم الامير منصور الشهابي وابن عمه الامير علي فقتلتهم جميعهم تباعاً  
 وصادرت أموالهم وأملاكهم وفاقاً لعوائد تلك الايام .

أما الرحلة فهي كما يأتي :

كان أوليا جلبي يتدبر قضاء فريضة الحج فانتهز فرصة سفر مرتضى باشا  
 المعين نائباً على الشام فالتحق بقافلة الباشا المؤلفة من مئات الحواشي والاتباع

والجند والوف الر كائب والبغال المثقلة بالعتاد والامتعة وغادر مدينة اسكدار في غاية شهر شعبان سنة ١٠٥٨ (١) وراح يتنقل مع تلك القافلة في بلاد الاناضول كأزنيق واسكي شهر وآق شهر وقونية وآذنة ومسيس « المصيصة » وغيرها الى أن أشرف على خليج الاسكندرونة وسار موازياً شاطئ البحر الرومي فوصل الى « ييَّاس » وهي الآن آخر بلدية تركية متاخمة لبلاد الشام الحالية (٢) .

(١) في هذه السنة جالس السلطان محمد خان الرابع على كرسي آل عثمان وهو صبي ابن

سبع سنوات .

(٢) قال ياقوت في معجم البلدان : ييَّاس مدينة صغيرة شرقي انطاكية وغربي المصيصة

« وصحيفه انما شمالي انطاكية وجنوبي المصيصة » بينها قرية من البحر بينها وبين الاسكندرية « وصحيفه الاسكندرونة » فرسخان قريبة من جبل اللكام . قال الجعفري :

ولقد ركبت البحر في أهواله      وركبت هول الليل في ييَّاس

وقطعت أطوال البلاد وعرضها      ما بين سندان وبين سجاس

والشمال الشرقي من ييَّاس الكنيسة السوداء والمارونية نسبة الى هرون الرشيد

الذي اختطها وكاننا من الثغور في طرف جبل اللكام قاله ياقوت الحموي في المشترك .

وكذلك كان في هذه الكورة التي تدعى قيليقيّة التابعة الآن لجمهورية تركيا قلاع عديدة

ذكرت مراراً في التساريخ الاسلامي كانت تتعاورها أيدي المسلمين والأرمن والروم في

حروبهم وغاراتهم مدة قرون الى ان ثبتت في يد الترك ذكرتها ابوالفداء في تقويم البلدان

أسماء سيس التي كانت عاصمة ملك الارمن والمصيصة «سيس» على جانب نهر جيجان بنسائها

ابوجعفر المنصور واياس على الساحل «برس برت شمالي سيس وتل حمدون بالقرب من جيجان

وفي شرقي هذا التل حصن حموص وسرفند كار وفي شمالي جيجان عين زربة «آناوارزا» هذا

عدا عن آذنة وطرسوس وهذه على مقربة من الثغور أو الدربندات في جبال طوروس التي كانت

تفصل بين المسلمين والروم . وهذه البلاد كان يدعوها المسلمون الثغور ثم دعوها ببلاد ابن

لأون ملك الارمن . وقد تغيرت أسماء أكثر هذه القلاع الآن واصبحت تعرف بأسماء

تركية كطوبراق قلعة وبيلان قلعة وفروسيس قلعة الخ .

وقد وصف قلعة ييأس ودورها وبساتينها ودار مكسها ومينائها وخانها  
وجامعها الذي بناه محمد باشا الصوقوللي الصدر الاعظم الشهير وأثنى على أهلها  
لانهم كانوا يردون عادية قرصان البحر ويمرسون المسالك والمضائق الممتدة  
شمالى ييأس وجنوبها من شر لصوص الجبال ويسهلون سبيل الحجاج والتجار  
المارين ببلدتهم من برالترك الى برالشام وبالعكس ونوّه بشدة حرها في الصيف  
ورداءة هوائها واضطرار أهلها الى الاصطياف في النجود والهضاب المحيطة بهم  
وذكر ان الوفا من الاكراد والتركمان أصحاب قطعان الغنم والماعز يتسلقون  
هذه النجود في فصل الصيف ويطلقون مواشيهم ترعى أعشابها الغضة وتشرب  
مياها النيرة (١) .

(١) هذه نجود جبل اللكام الذي يدعوهُ الافرنج آمانوس وعامة الترك كاورطاغي ودعته  
حكومتهم جبل البركات ، وسلسلة اللكام تعد عند اكثر الجغرافيين التخم الطبيعي بين  
الشام والاناضول وبمر الآف في وسطها من الغرب الى الشرق الحد الذي اعتبر رسمياً بين  
جمهورية تركيا وبلاد الشام الواقعة تحت الانتداب الافرنسي ، وهي تنفصل في الشمال  
عن جبال مرعش وسيس بنهر جيجان وتجه بخط مستقيم الى الجنوب حتى مضيق بيلان الذي  
يفصلها عن جبل الاحمر الممتد شمالي انطاكية وغربها ، وفي هذه السلسلة الشاخنة اودية  
ورهاد عميقة ونجود ومزابع عالية صالحة للاصطياف ورعي الماشية لجودة هوائها وغزارة  
مياها وروعة مشاهدتها وطيب أعشابها ووفرة حراجها مما لانظير له في لبنان أو غيره ، وفيها  
قم شاهقة أعلاها الصخرة البيضاء (آق قيا) ٢٥٠٠ متر ومغبر ارموغر ٢٢٦٧ متراً يجلبها  
الثلج في معظم أيام السنة وتشرفان على سهول حلب وأذنة على السواء ، وفيها مضائق كانت  
تعب منها في العصور الغائرة جيوش الغزاة والفاحين من الشمال الى الجنوب وبالعكس ، وكان  
القدماء ولاسيما الارمن أقاموا في النماط الحاكمة على هذه المضائق الوعرة قلاعاً كانوا  
يشنونها بالمقاتلة لمنع الاعداء من المرور ، منها في الشمال وفي منتصف الجبال « قلعة حجر

قال اوليا جلبي : وبعد ان مكثنا في بياس يومين غادرناها واجتزنا في جنوبها جسراً متقن الصنع ذا أربع منافذ من آثار محمد باشا الصوقولي ووجدنا في قربه على شاطئ البحر تكية باسم الشيخ عبدالقادر الكيلاني دائرة الاركان شغلان» صعبة المرتقى تشبه عش النسر بمنعتها ورفعتها تعلو عن سطح البحر ١٢٥٠ متراً ومثلها في الشمال وعلى مقربة من اسكندرونة «قلعة المر كز» وفي الشرق على حاشية سهل العمق «قلعة دريساك» ومثلها في الجنوب «قلعة بفراس» . ولما جاء الصليبيون استولوا على هذه القلاع وأقاموا فيها الفرسان الهيكليين وظلت تتعاورها أيدي الارمن والروم وصليبيو انطاكية الذين لم ينفكوا يتنازعون أمرها فيما بينهم كما ان المسلمين في عهد بني حمدان وبني أيوب والمماليك لم يتوانوا عن مهاجمتها حينما كانوا يغزون بلاد الارمن والروم ويقابلهم هؤلاء بالمثل فيتحذ كل منهم هذه القلاع نقاطاً للاستناد عند زحفه شمالاً أو جنوباً وظل هذا الأخذ والرد مستمراً إلى ان جهز الملك الظاهر بيبرس في سنة ٦٦٤ هـ جيشاً لغزو سبيس قاعدة بلاد الارمن اذذاك وولى قيادة هذا الجيش الملك المنصور ناصر الدين محمد بن الملك المظفر محمود صاحب حماة فجاء فاستولى على هذه القلاع وأباد الفرسان المرابطين فيها ودمرها ثم أتم غارته على سبيس وحواليها ورجع ظافراً . هذا وكان جبل اللكام في اول عهد الاسلام موطناً لقوم عرفوا «في كتب العرب بالجراجمة نسبة لمدينة جرجومة عند مدائن الزاج فيما بين ييتاس وبوقة قرب انطاكية وقد صالح الجراجمة المسلمين على ان يكونوا أعواناً لهم وعينوناً ومسالح في جبل اللكام وكانوا يستقيمون للولاية مرة ويعوجون أخرى فيكاتبون الروم بمالئوتهم على المسلمين وخرج قوم منهم في حرب مصعب بن الزبير إلى الشام مع قائد الروم فنغزوا في نواحي الشام لاسما لبنان وعرفوا بالردة فاضطر عبد الملك بن مروان إلى أن صالحهم» ذكره في معجم البلدان . وسكان هذه الجبال الشاهقة في يومنا تركان سنيون لا يزالون على الفطرة معروفون بصدق المعاملة يقطنون في الشتاء في قرام الخبأة في بطون النجاج قرب السفحين الغربي والشرقي وفي الصيف يصعد أكثرهم كما قال اوليا جلبي — إلى المربع والنجد المرتفعة لرعي الماشية وقطع الحطب ويحذو حدوهم جم غفير من أكراد حرة اللجاة في شمالي العمق وهم أهل وور واكارون . وجبال اللكام كانت وما تزال



آهلة بالدرائش . ثم استأنفنا المسير نحو القبلة فررنا بتكية ثانية أصغر من الأولى فيها بضعة دراويش ينتسبون الى العاريقة البكناشية ثم اجتزنا جسراً نصب على نهر تجتمع مياهه من الاودية المنحدرة من أدالي الجبال التي ذكرناها وتنصب في البحر . وعلى مقربة من هذا الجسر مررنا بقلعة تدعى «قلعة المرکز» تبعد عن البحر رمية سهم بنيت في سفح جبل عال مربعة الشكل ذات بناء جميل قيل أنها من عهد القياصرة (١) . ولما مر السلطان سليم من هذا المكان سنة ٩٢١

غنية بالحراج (١٥٠٠ هكتار) على الرغم من انكباب الامم الغابرة على قطعها لبناء الاساطيل والمعابد والقصور وهي قد اشتهرت بوفرة مافي منحدراتها الشرقية والغربية من الصنوبر الحلبي والارز والشوح والسنديان والبلوط وازنان والقيقب والاشجار المثمرة البرية كالنفاح والأجاص والزعرور وبكثر الداب والصفصاف السحقي والجوز والوردار في الأودية الرطبة كما ان الزمرديق والقطب ولاسيما اللبنة منتشرة وكثيفة في اكثر الاماكن وفي قرب بياس في لواء اسكندرونة منجم كبير يحوي معادن مختلفة كالحديد والكروم والآميانت والمانغاز والنيحاس لكنها بنسبة قليلة لانني بنفقات الاستخراج . وقد عرف القدماء هذه المعادن واستمروا منها معدن الزاج الذي ذكر المؤرخون ووجه بين بياس وبوقة .

(١) اذا خرج السائح من بياس موازياً شاطي البحر بمادف على بعد كيلومتر منها نهر بياس الذي ذكر اولياً جلبي جسره وفي ضفته اليسرى يبدأ التنم الذي اعتبر الآن رسمياً بين بلاد الشام وبلاد الترك وهذا التخم يسير شرقاً بموازة ذلك النهر متساقطاً مغير هابطاً ضفة نهر الاسود اليسرى . وبمادف السائح في طريقه سهلاً كثيراً الهصى والبلاان منبسطة بين سفوح جبل اللكام والبحر وفيه يمر النهر المسى (دكر من دره) وتذكر اولياً جلبي جسره . ويرتأي بعض الباحثين ان معركة ايسوس العكبرى التي وقعت بين دارا ملك الفرس واسكندر المقدوني وغلب فيها دارا وكانت سبباً لاستيلاء الاسكندر على بلاد الشام حدثت في هذا السهل الواقع جنوبي بياس والذي عليه اكثر المحققين بانها وقعت

وهو ذاهب للاستيلاء على مصر افتتحها بالامان وهي الآن تابعة لنيابة يباس وفيها قائد وعدة جنود وحوها كروم وبساتين وفي داخلها جامع وبضعة بيوت لسكنى الجنود .

وبعد ان اجتزنا هذه القلعة مررنا في ساحل البحر بمضيق يدعى صقال طوتان ( قابض الذقون ) لانتقطع والعياذ بالله منه للصوص وقطاع الطريق وجاهم من أشرار الاكراد الذين يهبطون من ناحية الجومة من أعمال حلب . لذلك يجدر بالمجتازين من هنا ان يكثرؤا من الحيطه والحذر . وبعد ان مررنا بمكان يدعى آجي جاي ( النهر المر ) وصلنا بعد ساعتين ونصف الى قلعة اسكندرون (١) .

شمالى يباس بالقرب من نهر دلي شاي . اما التكايا التي ذكرها الجلبي فقد دثرت . وبعد مسير عشرة كيلومترات بصادف السائح أطلال « قلعة المر كز » التي ذكرها الجلبي ماثلة بجدرانها وبيعض أبراجها الضخمة وهي احدى قلاع جبل اللكام المنبئة التي نوهنا بها وبصيرها وقل من يعرفها الآن بهذا الاسم بل باسم القرية القريبة منها « صاري سكي » وكان الصليبيون يسمونها حصن كاستيم أو حصن كودفروا وثمة في شمالي هذه القلعة أطلال جدار يمتد من الغرب الى الشرق يدعوه الفرنج جدار السلوقيين لا يزال قسم منه قرب البحر سالماً في الجملة وقسم آخر في سفح الجبل وكان هذا الجدار على ما يظهر لسد الطريق في وجه الجيوش الزاحفة من الشمال الى الجنوب او بالعكس .

(١) بعد مغادرة قلعة المر كز يضيق السهل الممتد في الساحل تدريجاً الى ان يقترب ذيل جبل اللكام من البحر فيؤلف معبراً ضيقاً كان يسميه الرومانيون باب قيليقية والى الصليبيون Portella وكان يعتبر هذا المضيق في العصور الغابرة الحد الفاصل بين سورية وقيليقية وكان فيه للملك الارمن دار للمكس . وقبل الحرب العامة مد الالمان في وسطه سكة الحديد الآخذة من اسكندرون الى (طوبراق قلعة) غلب . وبعول الصخور التي عن يمين

وصف اسكندرونه - سميت هذه البليلة باسم بانيتها اسكندر الكبير وبعد ان خربت عوادي الزمن عمرت في اول عهد الاسلام (١) ثم خربت مرة أخرى وصارت لمجالقطاع الطارق وقرصان الافرنج فاستوعى هذا المضيق ويساره أعمدة رخامية أثرية يعرفها الملاحون باسم أعمدة يونس ويزعمون ان الحوت الذي ابتلع النبي يونس عاد فلنجاه على شاطئ هذا المضيق . على حين انها ليست الا بقايا باب كبير من آثار اليونانيين او الرومانيين كان معداً لسد المضيق وفتحته في وجه المارين والعايرين او للإشارة اليه . وفي رواية ان جسد الاسكندر بعد موته وضع فوق هذا الباب ومرت من تحته قواده وجهالفة . وقلعة المركز على قيد علوة من هذين العمودين ولا يزال سكان هذه البلاد وهم أتراك يدعون المنيق والقلعة معاً باسم صقال طوتان .

(١) قال ابو الفداء : باب اسكندرونه من جند قنسرين . قال احمد الكاتب : وباب اسكندرونه مدينة على ساحل البحر الرومي بالقرب من أنطاكية بناها ابن ابي دؤاد الايادي في خلافة الواثق . قلت ان اسكندرونه كانت موجودة قبل الاسلام . وقد ذكرها المؤرخان اليونانيان هرودتس وكسنتون باسم ميرياندروس . الا ان هذه كانت خارج البلدة الحالية والى الجنوب الشرقي منها وكانت مستعمرة لفريق من الفينيقيين . وقد اكتشفوا في الايام الاخيرة كثيراً من آثار ميرياندروس وفسيفسائها . اما اسكندرونه الحالية فهي بلا ريب من عهد الاسكندر شيدها خلفاءه وسموها باسمه تمجيد النصر الباهر على دارا ملك الفرس في وقعة ايسوس . ولعل ابن ابي دؤاد الذي ذكره احمد الكاتب معها بعد خراب قد يكون أصابها في ذلك الحين . يبلغ عدد سكانها الآن ثلاثة عشر الفا وهم بازدياد اكثرهم من الأرمن اللاجئين من بلاد الترك بعد سنة ١٣٤٠ . وقد جعلت منذ احتلال الافرنسيين قاعدة لتصرفية شبه مستقلة تتبع حكومة دمشق في بعض الامور وتشمل الجزء الشمالي الغربي من ولاية حلب القديمة وألحق بها ثلاثة أفضية اسكندرونه وأنطاكية وقرق خان وألحق بالقضاء الاول ناحية اسكندرونه وعرسوز وبالثاني نواحي أنطاكية والسويدية وعواقية وجبل موسى وكسب والاوردو وقصير الفوقاني والوسطاني والتهتاني والحربية وباشالث نواحي قرق خان وحاجبل والريمانية وبيلان .

الحال نظر نصوح باشا الذي كان صدراً عظيم في زمن السلطان احمدخان فشرع ببناء قلعة حصينة في اسكندرونة ولكن السلطان نعم عليه بعد حين لتهامل بدي منه فقتله وبقيت القلعة دون اكمال . وحبذا لو اكملت هذه القلعة وجدد عمران اسكندرون لأنها فرضة بحرية ذات مكانة وقريبة من حلب نحو مرحلتين . وقد علمت انه يزورها في كل عام من سفن المسلمين والافرنج اكثر من مائتي غليون . هذا وحرمان هذه الفرضة من قلعة جعل الافرنج يتقاعسون عن دفع المكوس الى الملتزم الذي التزمها بمائتي حمل (١) . ولاسكندرونة قاضي يجبي من قراها خمسة أكياس (٢) ولها ميناء لطيف لولا ان غريبه مكشوف يأتي بالرمل فيجول دون اقتراب السفن من الشاطئ ويضطر هالارسو على بعد رمية مدفع . والى الغرب من ميناء اسكندرونة وعلى بعد ٢٦٠ ميلاً بحرياً (٣) يوجد رأس اندراوس في جزيرة قبرص وقد قيل لي انه اذا اعتدل الهواء وصفا أديم السماء ترى من هنا جبال قبرص المجلجلة بالثلوج . اما انا فلم يتسن لي رؤية ذلك . ويكثر وجود الافرنج والروم في اسكندرونة لهذا لا تجد فيها جامعاً او خاناً او حماماً او سوقاً سوى الحانات فانها كثيرة . وقد اعتاد الصادي والغادي الى اسكندرونة ان يمكث ليالي الشتاء في هذه الحانات حتى صارت تشبه الحانات . ويجلب الماء الى اسكندرونة على ظهور الحمير من

(١) اذا كان الحمل مائة الف قرش فالمائتا حمل تعادل عشرين مليوناً من القروش ولعل الجلبي مبسلف بهذا المبلغ . (٢) الكيس خمسمائة قرش . (٣) صحيجه مائة وخمسة أميال .

نبتع في خارجها يدعى نبتع القوافل (١) وقد اعتاد الداخلون الى هذه البلدة والخارجون منها ان يضربوا خيامهم قرب هذا النبتع . وفي اسكندرونة وكلاء اوقناصل لسبع دول . اما القناصل الاصليون فمركزهم في خان الافرنج في حلب . واما كانت الاسكندرونة فرضة بحرية وباب تجارة لحلب وضواحيها تجذب بجانب جمر كها مخازن عظيمة يقوم فيها تجار الافرنج بالبيع والشراء دون انقطاع . حتى انه لما مر مولانا مرتضى باشا من هنا بجو كبه الحافل كان من سفن الافرنج ستة وعشرون غايونا راسياً في الميناء فأطلق كلها المدافع ترحيباً بجانبه ودام الاطلاق مدة غير يسيرة حتى كادت الغلايين لا ترى من كثرة النار والدخان . وتحيط باسكندرونة مستنقعات (٢) . ثم قننا من هنا مع الركب فمررنا بنبتع القوافل وسرنا نحو القبلية فحاذي الساحل تارة ونصعد في الجبال أخرى وكان المطر ينهمر علينا بشدة الى ان وصلنا الى بليدة تدعى بيلان (٣) .

(١) يدعى هذا النبتع الآن رأس العين ومذ ماتقدمت اسكندرونة في العمران مدت الانابيب الحديدية من رأس العين الى البلدة وأسيت فيها المياه واستراحت الحمير من النقل .  
 (٢) كانت هذه المستنقعات ذات مساحة عظيمة تحيط باسكندرونة وتقتل أحيائها وأزقتها وتجعل هواؤها وبيلاً والانامة فيها خطيرة لشدة الوبالة الناشبة في سكانها . دام هذا الحال الى أوائل القرن الحاضر اذ مدت الحكومة العثمانية سكة حديدية صغيرة كانت تنقل بها التراب من الآكام القريبة وتطمر بها تلك المستنقعات وظلت العناية بالطرف قائمة الى الآن حتى زال كثير منها وحسن المناخ عما قبل وازداد عمران الاسكندرونة .  
 (٣) الطريق بين اسكندرونة وبيلان وطوب بوزاخ (٢٧ كيلومتراً) ، عبدة ومعنى بها وهي من أنزه الطرق وأجملها . يغادر السائح مستوى البحر في اسكندرونة حيث الحرارة

وصف بيلان ٠ - وبيلان مركز قضاء يتبع أيلة حلب فيها نحو ثلاثة آلاف من السكان ودورها مبذية من الطين على طرفي جبلين متقابلين بينهما واد ٠ وهذه الدور ير كعب بعضها فوق بعض وتجللها أزقة ضيقة ٠ وهواء والرطوبة شديدي الوطأة فيمر من أمام رأس العين وعلى قيد غلوة منه المكان الذي بظن انه كانت فيه مدينة مير ياندرس ثم يشرع بتسلق أعضاد جبل اللكام وكما اعتلى يجد الهواء العليل والمشهد النضر في الكيلومتر العاشر يرى على يمينه الطريق الصاعدة الى قرية صوغوق اولوق (علوها ١٠٠٠ متر وسكانها أرمن) وفي غربها قرية النار كيزلك (علوها ٥٠٠ متر وسكانها أتراك) ويقصد أهل اسكندرونة وحلب هاتين القريتين للاصطياف حيث يجدون المناخ الطيب والمنظر الجميل والحراج الغياض والفنادق الجميلة ناهيك عن زرقة البحر ومراء الرائع وفي الكيلومتر (١١) مفترق الطريق الصاعدة الى قرية عاتق الارمنية (علوها ١٠٠٠ متر) وهي وان لم تضارع جارتها بالحراج والفنادق لكنها تفوقها بالينابيع الباردة وجمال المناظر في الصرود والشاهقة بقربها كثيفة كوزيل (١٦٠٠ متر) وقمة شاكشاك (١٨٣٥) وفيها مشاهد تأخذ بجماع القلوب حقاً ٠ فالواقف اذا تطلع الى الشرق يرى آكام جبل اللكام تحدر أمامه نحو سهل العمق ومستنقعاته وبجيرة أنطاكية الزرقاء رماني شررها من الجبال والهضاب كجبل الزاوية والاعلى وباريشا وسمعان والكرد وغيرها الممتدة في الأتق البعيد حتى سهول حلب الغربية واذا تطلع نحو الشمال يرى قمماً في جبل اللكام تناطح السحاب كما لما طاغ (١٨٣٥) ودازته (١٧٠٢) وآق قيا (٢٥٠٠) ومغرب (٢٢٦٢) ويرى بينها نجاداً ومرابع متسعة انتشرت فيها الوف من قطعان الغنم والماعز ترعى الاعشاب والانجم الغضة وفي الغرب سلسلة جبال طوروس التي تنفصل عن أمانوس بسهول قيليقية الفسيحة والبحر الضخم وقد سترت الغيوم البيضاء زرقته فزادت في ردة المشهد ٠ وهذا ما حمل يا قوت في مهمم البلدان ان يذكر جبل اللكام تائلاً : هو الجبل المشرف على انطاكية وبلاد ابن ليون والمريجة وطرسوس وتلك الثغور اه ٠ هذا وفي الكيلومتر (١٣) يصل السائح الى بيلان ٠ وهي بليدة جميلة المنظر ، طيبة الهواء ، غزيرة المياه (علوها ٥٠٠ متر) يشطرها الوادي السحيق الفاصل ما بين جبل اللكام وجبل الاحمر الى شطرين بنيت

بيلان جيد وماؤها عذب وصحة أهلها حسنة وفيها مسجد جميل له قبة مكسوة بالرصاص وامامه خان عامر وفيها أيضاً حمام وحوانيت عديدة وينتج فيها فواكه وأعناب لذيدة فهي صالحة في الجملة للاصطياف ثم ان في الجبال التي تعلوها نجومود اشتهرت ببقاء هوائها وطيب مراعيها (١) ثم غادرنا بيلان وسرنا دورها كما قال الجلي في سنجي الوادي بعضها فوق بعض ، سكانها ٣٠٠٠ ثلثاها من الترك والثلث من الارمن . لم يذكر جغرافيو العرب بيلان اذ لم تكن عاصمة في زمنهم وربما هي التي كانت تدعى باب اسكندرون . قال ابو الفداء : باب اسكندرون في زماننا هو دربند بلاد سيس من جهة حلب وهو على دوت مرحلة من بغراس وليس هناك مدينة بالاصالة ولا قرية وبين بغراس وباب اسكندرون اثنا عشر ميلاً اه . قلت والعدران كان مخصراً بقلعة بغراس التي سمي العرب المفيق او الدربند بها في حين ان الافرنج سموه باب سورية ( Pylea Syriae ) ومنه مررت في العمود الغابرة اكثر جيوش الفاتحين الواردين على الشام او الخارجين منها . وبيلان تقع في مبداء هذا المفيق العظيم الذي يفعل جبل اللكام عن جبل الاحمر وربما كان اول من سعى - يفي عمران بيلان هو السلطان سليمان القانوني فقد أعجبه مكانتها من الوجهة البحرية والتجارية فبنى فيها في سنة ٩٦٠ هـ الجامع والخان اللذين ذكرهما اوليا جلبي ووضع جنوداً لحفظ المفيق وأسكن عدداً من التركان جلبيهم من الاطراف وما زال هؤلاء يزدادون وبيلان تتقدم في العدران وصارت ممر القوافل والجيوش بعد ان كان الممر بعيداً عنها قليلاً الى الشمال وصار اهل اسكندرونه يلبأون اليها في الصيف للتمتع بهوائها ومائها اللذين نوتهم سائحنا بنجومودتها . وما برحت بيلان في عهد بني عثمان مركزاً للقضاء اليان وقدت في سنة ١٣٤٠ هـ وما بعدها جموع الارمن على اثر اخراجهم من بلاد الترك فاسكنت الحكومة الافرنسية طائفة منهم في موضع ( قرق خان ) في غربي سهل العمق وعلى طريق حلب المعبدة فعمروا هذا الموضع الذي لم يكن الى ذلك الحين شيئاً مذكوراً وجعلوه بليدة حاكمة بالبور والحوانيت والفنادق والمقاهي وغيرها ثم نقلت مركز القضاء اليه في سنة ١٣٤٢ هـ وترك بيلان قاعدة لناحية فأقل نجمها من ذلك الحين .

(١) يعني الجلي بنجومود جبل الاحمر المعروف هنا بقزل طاغ وبعده البعض تمة سلسلة

نحو الجنوب نصعد عقبات ونهبط أودية الى ان اجتازنا مضيقاً فيه جنود مكلفون بحفظ الدروب (١) وشاهدنا في يميننا على بعد رمية مدفع «قاعة بغراس» وهي

آمانوس ويمسبه آخرون مستقلاً عنه بمضيق بيلان . وهذا الجبل وفروعه الغربية الممتدة من جنوبي بيلان الى ميناء عرسوز ورأس الخنازير تداشتمر مثل جبل اللكام بما في منحدراته وآطامه من حراج الشجر الغضبيض والمرايع الغضراء والمشاهد الجميلة والينابيع السارية مع شيء من الضباب الذي يخفف وطأة الحر في الصيف . واكثر حراجه مؤلفة من الصنوبر الحلبي والصنوبر الاسود والبطم والبلوط والقطلب والشوح والجوز وغيرها ويستخرج القطران من أشجار الصنوبر بكثرة . وفي هضابه المرتفعة آثار معادن مختلفة لم تستثمر بعد . ويقطن النصيريون في السهول الساحلية المصاحبة لسفوحه الغربية بين اسكندرونه وعرسوز وأشهر قراهم قره آعاج وهم فلاحون ويقيم التركان في النجود والهضاب لاسيما حول غابات كسريك وقره كوز وجنككان وبش اولوق ومهنتهم قطع الحطب وصنع القطران وهم على الفطرة وصدق العاملة وتربي قرى الارمن في جبل موسى غربي انطاكية الى الشمال دود الحرير وبه نبع أهلها الامشاط من خشب القنطار . وفي سني الحرب العالمية لما أجبرت الحكومة العثمانية هؤلاء على الهجرة كما جرى لبقية الارمن اعتصموا بجبلهم بين الحراج وحاربوا الحملة التي هاجمتهم واستبلوا الى ان توصلوا للاتفاق مع سفن الحلفاء فركبوها راجلاً ونساءً وانتقلوا الى ساحل مصر وهناك الفوا كتائب الانتقام الارمنية التي زحفت مع جيش الجنرال اللبي سنة ١٩١٨ ودخلت مدن الشام وكان منها ما ذكره المؤرخون .

(١) بعد مغادرة بيلان يظل السائح صاعداً في طريق طوب بوغاز الى الكيلومتر (١٦) حيث بلاقي مضيق بيلان او دربند بغراس كما كان يدعى « علوه ٧٠٠ متر » فيشرف من هذه الروابي المنصورة على منظر غاية في الروعة والبهاء فهو يرى في الشرق سهل العمق ومستنقعاته وبحيرته والجبال والآكام المحيطة به فيجلق في ساء التفكير ويتذكر كيف مرت من هنا جمافل الأشوريين والفرس والمقدونيين والرومانيين والبيزنطيين والمسلمين الأولين بقيادة ميسرة بن مسروق العبسي والحملة الصليبية الاولى وجيوش المماليك والتركان والتتار وبرايم باشا المصري الذي كسر فيه سنة ١٢٤٨ الجيش العثماني بقيادة



قلعة قديمة تعاورتها أيدي كثير من الملوك الى ان اقتحمها السلطان سليم بالامان حينما مر بهذا الطريق وهو ذاهب لقتال الملك قانصو الغوري في مرج دابق . والقلعة صغيرة القد خمسة الشكل مبنية على هضبة اتخذت قضاءً تابعاً لولاية حلب وأقيم فيها كنفخدا وقائد جند الانكشارية ومحافظ القلعة وجنود وفيها جامع وخان وحمام وسوق صغيرة (١) على انها لانحرافها عن الطريق ليست

السرदार حسين باشا . وبعد المضيق يبدأ الطريق بالانحدار في الكيلو متر ٢٠ موقع جفالي وفيه مخفر للدرك يؤمنون السابلة في هذه المسالك الوعرة وهنا يلح السائر على يمينه ( قلعة بغراس ) رابضة فوق رابية تشرف على هذا الطريق .

(١) قال ابو الفداء : بغراس من جند قنسرين ذات قلعة مرتفعة ولها اعين وواد وبساتين قال ابن حوقل وبغراس على طريق الثغور وكان بها دار ضيافة لزيدة وهي في الجبل المطل على عمق حارم وفي معجم البلدان لياتوت بغراس مدينة في لحف جبل اللكام بينها وبين انطاكية اربعة فراسخ ذكرها البحتري في شعر مدح به احمد بن طولون الذي حاصر سبأ الطويل التركي صاحب انطاكية في سنة ٢٦٤ وجرت بينها حروب كثيرة ببلاد جند قنسرين والعواصم قال البحتري :

سيوف لها في كل دار غداً ردى وخيل لها في كل دار غداً نهب

علت فوق بغراس فضاقت بماجنت صدور رجال حين ضاق بها درب

كانت تدعى هذه القلعة في زمن الروم حصن لوقا وهي في يومنا خراب في الجملة على ان اطلالها لا تزال ماثلة وهي اكبر مما ذكره الجلي كانت تسع زهاء الف جندي وكان لها سورات وكنيسة وهو كبير واربع طبقات من القاعات المعقودة سقفها وكثير من المستودعات والاصطبلات والغرف والآبار وكان لها قناطر علوها ١٨ متراً تأتي بالماء من الجبال الى القلعة والبناء الحالي اسلامي يتخلله بعض آثار للروم وللصليبيين . قال الكولونل جاكو مؤلف كتاب انطاكية ماخلاصته : ان لقلعة بغراس مآسي مججمة في تاريخ المسلمين منها ان الروم لما جاؤا بقيادة القيصر نيكوفور فوكاس في سنة ٣٥٨ هـ وغزوا بلاد الشام

عامرة وانحصرت الآن شهرتها بزهورها الفيّاحة لاسيما بالسنبل والمسك الرومي وأهلها يقلعون من جبالها وحدائقها أبصال الزهور الجميلة فيحملونها ويبيعونها في بقية البلدان وقد يضلون بها الى استانبول . « للبحث صلة »  
وصفي زكريا



حتى حمص وعرقنة وطرابلس وجميع الساحل واعملوا فيها النهب والحرق والحراب عادوا ومعهم من السبي مئة الف صبي وصبية من ابناء المسلمين ولما ساقوا هؤلاء المساكين امامهم ليأخذوهم الى القسطنطينية اشتدت انواء الشتاء وسدت المسالك في جبال أمانوس وطوروس فاضطروا للوقوف بهم في قلعة بفراس . ولما لم تكن الأتوات ووسائل الايواء والتدفئة كافية حصدم الجرع والبرد والامراض وصارت سهول العمق مقابر لهم ٥٨٤ قلت وبعد ثلاث سنوات تمكن الروم من فتح انطاكية بجنائنة اهل بفراس الذين بعد ان التجؤا الى انطاكية تقبوا الأسوار ومكنوهم من الدخول . وحينما جاء الصليبيون في الحملة الأولى اخذوا بفراس فيما اخذوه من بلاد الشام الشمالية وجعلوها مع قلعة دربساك وحارم وارتاح محمراً امامياً لانطاكية الى ان جاء الملك الناصر صلاح الدين الايوبي سنة ٥٨٤ فحاصر بفراس ودربساك وقتلها بشدة حتى افتتحها بالامان الا انه بعد بضعة اعوام جاءها مقدم الأرمن ابن لأون فدخلها وظللا بيده تارة ويبد الصليبيين أخرى الى ان استولى الملك الظاهر بيبرس عليهما نهائياً حينما فتح انطاكية عنوة سنة ٦٦٨ . هذا ولم يبق من القرية في اسفل القلعة من العمران الذي ذكره الجلبي سوى ٣٠ - ٤٠ دار منتشرة على طول الوادي والعيون والبساتين التي ذكرها ابوالفداء يسكنها فلاحون من النصيرية والتركان ولم أدر اذا كانوا كما قال الجلبي يتاجرون حتى الآن ببصل الزهور أم لا .

## عبقرية الجاحظ (١)

—(١)—

تبين لنا في كلامنا على عصر الجاحظ ان الجاحظ متصل بكل أفق من آفاق هذا العصر ، فلئن استفاضت حرية التفكير في عصره فما غاب عن هذه الحرية فقد كان يرجع الى عقله في كل مذهب من مذاهبه ، ولئن شاعت الزندقة والخرافات والاباطيل في أيامه فما غفل عن التنديد بها والتقدير منها ، بقي أن نعلم مقدار اتصاله بالناحية الثالثة من نواحي عصره ، وهي جهة الانقلاب الفكري فما هو نصيب الجاحظ من هذا الانقلاب . —

نقلت في أيامه كتب الهند وترجمت بحكم اليونانيين وحولت آداب الفرس ، فما هو حظ الجاحظ من هذا النشاط الفكري . —

قد كنت ذكرت لكم في بعض المواطن ان الجاحظ انما هو كامل من الكملة وأردت بكلمة الكامل ما يريد الافرنجة بكتبتهم Encyclopédiste فالجاحظ لخص معارف عصره على نحو ارسطاطاليس في القديم ، وقد أشار بعض الافرنجة الى امتداد هذه العبقرية وانبساط مجالها فاستشهد أحدهم وهو البارون «كارادي فو» Baron Carra de Vaux في كتابه : أصحاب الفكر في الاسلام ، بفصل الجاحظ في نوع الكتاب وهو الفصل الذي عقده في مقدمة كتاب الحيوان فدل على براعته في الانشاء فبعد أن ذكر البارون طائفة من هذا البحث نال :

« هذا بوجه التقريب نمط من أنماط فصول الجاحظ ، ان في هذا كله مجموعاً قديكون في بعض الأحيان غير منسجم ولكنه ملآن بالحوادث والأفكار ، اني لا أجسر على أن

(١) سلسلة محاضرات الاستاذ السيد شفيق جبري احد اعضاء الجمع العلمي العربي التي

شرع في المحاضرة بها في كلية الاداب في دمشق سنة ١٩٣١ .

أؤكد أن كل فصوله قد تكون خصيبة مثل هذا الفصل ولكننا قد نلّاق في كلها بعض الشيء ، ولندكر ايضاً أن في رسائله الصغيرة قطعاً جديرة باستيقاف الباحثين وخليقة بدراسة خاصة في رسالة الترييح والتدوير تعرض لنا ولا أدري كيف يكون ذلك سلسلة طويلة فيها مسائل في كل أنواع الموضوعات والعلوم ، في التاريخ والأساطير وطبقات الارض كأن هذا كله انما هو برنامج «موسوعة» تدل على روح التطلع في القرن التاسع وفي رسالة الأسود والأبيض كلام موجز على تاريخ الزنج وذكر أبطالهم وفتوحاتهم ، كل هذا مجموع حوادث قل من يعرفها وقد تنفع في البحث عن روح الامم والأجناس . —

ان هذا النوع من علم الروح كثيراً ما يستهوي الجاحظ فهو يرجع اليه من حين الى آخر فان عقله الغريب الميال الى النقائض يحمله على النظر في الامم التي لم يكن لها على أيامه مقام عال ، وعلى هذه الصورة ان لرسالته في مدح الترك فائدة ومن الممكن ان تكون هذه الرسالة اول الكتب التي توسّع أصحابها في الكلام على الترك وجعلوا لهم بعض الشأن فان خصائص الامم تشغل ذهن الجاحظ فهو يأتي على ذكرها في عدة مواطن . — «

\* \* \*

خاض الجاحظ في كل باب من الأبواب فلم يتعاضمه الكلام على الاجتماع أو على الأخلاق أو على التربية والتعليم أو على الطبيعة أو على التاريخ الطبيعي أو على فلسفة اللغة الى غير ذلك من المذاهب التي تدل على سعة عبقريته غير أن استقصاء هذه الغرائب والعجائب قد بطول أمره ولكننا لامندوحة لنا عن الإلمام ببعضها حتى نعرف شيئاً من امتداد عقل الجاحظ . —

بتنقل الجاحظ على نحو ما تال البارون «كاراديثو» من فكر الى فكر ولكنه بظل في هذه التنقلات صاحب نكتة ، خفيف الروح ، محبوب النفس ، انه يلعب من دون ان يضر غيرة في هذا اللعب . —

مرة يخطر بباله باب من أجل أبواب الاجتماع في هذا العصر وهو الكلام على حقوق النساء فينبري للدفاع عن المرأة والمطالبة بتوفير حقوقها فكأنه نصير النساء في أيامنا

هذه (١) :

« ولسنا نقول ولا يقول أحد من يعقل أن النساء فوق الرجال أو دونهم بطبقة أو طبقتين أو بأكثر ولكننا رأينا ناساً يزرون عليهن أشد الزرابة ويحتقرونهن أشد الاحتقار ويخسونهن أكثر حقوقهن وأن من العجز أن يكون الرجل لا يستطيع توفير حقوق الآباء والأعمام الابن ينكر حقوق الأمهات والأخوال فلذلك ذكرنا جملة ما للنساء من المحاسن ولولا ان ناساً يفتخرون بالجلد وقوة المنة وانصراف النفس عن حب النساء حتى جعلوا شدة حب الرجل لأمته وزوجته وولده دليلاً على الضعف وباباً من الخور لما تكلفنا كثيراً مما شرطناه في هذا الكتاب . — »

وقد قال في مقام آخر (٢) :

« ونحن وان رأينا أن فضل الرجل على المرأة في جملة القول في الرجال والنساء أكثر وأظهر فليس ينبغي لنا أن نقصر في حقوق المرأة وليس ينبغي لمن عظم حقوق الآباء ان يصغر حقوق الأمهات وكذلك الاخوة والأخوات والبنون والبنات وأنا وان كنت أرى ان حق هذا أعظم فان هذه أرحم . — »

ومرأة يتغلغل في أعماق الجماعات فينقأ النظر في أخلاقهم فلا يزال يمارس هذه الأخلاق ويدون في ذهنه نتائج مراحه وتجربته حتى يكشف الغطاء عن أسرارها فيقذف في هذا المعنى بالرأي الخبير الذي لا تزیده الايام الا قوة وتمكناً من هذا الباب كلامه على السفلة والوضعاء والمحقّرين الذين اذا صار اليهم شيء من الامر ظلوا وغشموا (٣) :

« والكثير في الأجناس الدليلة من الناس أرسخ وأعم ولكن الذلّة والقلّة مانعتان من ظهور كبرهم فصار لا يعرف ذلك الا أهل المعرفة ، كهيبتنا من السند وذمتنا من اليهود ، والجملة ان من قدر من السفلة والوضعاء والمحقّرين أدنى قدرة ظهر من كبره على من تحت قدرته على مراتب القدرة ما لا يخفاء به فان كان ذمياً وأحس بما له في صدور الناس تزيد في ذلك واستظهرت به طبيعته بما يظن ان فيه رفع ذلك الخرق

(١) رسائل الجاحظ على هامش كامل المبرد - الجزء الاول ص ١٥٢ .

(٢) = = = = = ص ١٦١ .

(٣) كتاب الحيوان الجزء السادس ص ٢٢ .

وحياض ذلك الفن<sup>(١)</sup> وعند تلك الثلثة فتتقد ما أقول لك فانك ستجده فاشياً وعلى هذا الحساب من هذه الجهة صار المملوك أسوأ ملكاً من الحر وشي قد تلتته علماً وهو اني لم أر ذا كبير قط على من دونه الا وهو يذل لمن فوقه بمقدار ذلك ووزنه . —»

ونحن اذا تنقدا ما قاله وجدناه فاشياً كل الفشو حتى نكاد نلس بايدينا هذه الأخلاق في كل جانب من جوانبنا فما أصدق قوله ، وما أبين رأيه ، لقد تعمق في روح الجماعات وأمعن في دراسة هذه الروح فبعد دراسته للحيوان وإظهاره لآخلاقه وطبائمه ومقابلته بين أصناف هذا الحيوان وكلامه على تعادي هذه الأصناف ، بعد هذا كله يرتفع الى أفق أعلى من أفق الحيوان فيصور عداوة الانسان ويوضح أسباب هذه العداوات فيقول<sup>(٢)</sup> :  
« وأسباب عداوات الناس ضروب منها المشاكلة في الصناعة ، ومنها التقارب في الجوار ، ومنها التقارب في النسب والكثرة من أسباب التقاطع في العشيرة والقبيلة والمساكين عدو للمسكن والفقير عدو للغني وكذلك الماشي والراكب وكذلك الفحل للخصي وبغضاء السوقي موصولة بالملوك وكذلك الوصيلة بالمال الرغيب وكذلك الوارث والموروث ولجميع هذا تفسير ولكنه بطول . —»

فلو أحببنا أن نتحن قوله في هذه الايام لما وجدنا فيه المخرافاً عن الحق فليس آراؤه في الاجتماع الابنات تجربته وعيانه وكما انه درس أخلاق الجماعات العامة فكذلك درس أخلاقهم الخاصة وأمعن في هذه الدراسة في مثل كلامه على الخجل أو على الفسق أو على الحسد فلم يفته لون من ألوانها أو حركة من حركاتها أو هيئة من هيئاتها ، ومن قرأ كتابه في الحسد والحسود تجأت له قدرته على تصوير الاخلاق الخاصة فيكاد يكون في هذا الباب عالماً من علماء النفس يتصل باجزائها فيقاربها ويخالطها ويعرض لكل ناحية من نواحيها ويصف هذه الناحية أدق وصف وبصورها أتم تصوير حتى اذا فرغ من البواطن انتقل به الكلام الى الظواهر فراقبها وتأمل فيها واستخرج منها صفاتها البارزة وخصائصها الظاهرة ولولا اني اعتقد ان في نقل طائفة من هذا كله تشويهاً لحاسنه لنقلتها لكم . —»

ماذا أنتقل ، أنتقل هذا التعريف الوجيز الذي صور فيه بكلتين داء الحسد فقال :  
« والحسد أبقاك الله من داء ينهك الجسد ويفسد الأود ، علاجه عمر ، وصاحبه

(١) كذا في الاصل . (٢) كتاب الحيوان — الجزء السابع ص ٣٠ .

ضجور وهو باب غامض وامر متمذر وما ظهر منه فلا يداوى وما بطرن منه فداويه  
في عناء ٠ — «

فمن كان له صلة بحاسد من الحساد تجت له صحة هذا التعريف وشعر بقوته فأبي  
حاسد لم نر جسده منهوكاً وصدرة ضجوراً لا يملكه غمض الليل ولا يذوق لذة البال فلا تقع  
عينه على صاحب نعمة إلا اضطربت كل أعصابه وكأن الطبيعة عادلة فقد جعلت في قلب  
الحاسد عقابه وما هذا العقاب إلا النار التي تأكله ٠ —

أم أنقل لكم حالة الحاسد الظاهرة :

« وما لقيت حاسداً قط إلا تبين مكدونه بتغير لونه وشخوص عينه واخفاء سلامه  
والاتبال على غيرك والاعراض عنك والاستئفال لحدبثك والخلاف لرأيك ٠ — «  
أم حالته الباطنة وهي تخلص في :

« تراكم الغموم على قلبه واستحسان الحزن في جوفه وكثرة مضغه ووسواس ضميره  
ونفص عمره وكدر نفسه ونكد عيشه ٠ — «  
أم تمكن الحسد من صاحبه وسلطانة عليه :

« ما خالط الحسد قلباً إلا لم يمكنه ضبطه ولا قدر على تشيئه وكتائه حتى يترد عليه  
بظهوره وعلانه فيستهبده ويستميله ويستنطقه لظهوره عليه فهو أغلب على صاحبه من السيد  
على عبده ومن السلطان على رعيته ومن الرجل على زوجته ومن الأسر على أسيره ٠ — «  
أم وصفه علاج الحسد :

« فإذا أحسستَ رحمك الله من صديقك بالحسد فأقلل ما استطعت من مخالطته فإنه  
أعون الأشياء على مسالته وحصن سرّك منه تسلم من شره وبوائق ضره وإياك والرغبة  
في مشاورته ولا يفرنك خدع ملقه ويبان زلقه فان ذلك من حبال نفاقه فان أردت ان  
تعرف آية مصداقه فأدنين اليه من يرببتك عنده وبذلك بحضرتة فإنه سيظهر من شأنه لك  
ما أنت به جاهل ومن خلاف المودة ما أنت عنه غافل وهو الخ في حسده لك من الذباب  
وأسرع في تمزيقك من السيل الى الحدور ٠ — «

أم وصفه الحاسد نفسه :

« فهو الكلب الكلب والنمر النمر والسم القشب والفحل القطم والسيل العرم وان ملك

قتل وسبى وان مُلِك عصى وبنى حياتك موته وموتك عرسه وسروره يصدق عليك كل شاهد زور ويتكذب كل عدل مرضي لا يجب من الناس الأ من يبفضك ولا يبفض الأ من يجبك عدوك بطانة وصديقك علانية ٠ — «

فاذا دققنا في هذه الأوصاف كلها نجحى عندنا ماقلته لكم من ان الجاحظ عالم من علماء النفس يبني علمه على تجربته ثم يصف ما توحى اليه هذه التجربة وصف صاحب صنعة وفن ٠ — ولما كانت التربية والتعليم لا تبعد كثيراً عن الأمور الاجتماعية لم يشأ الجاحظ أن يكون غريباً عنها فقد أدلى في هذا الباب بدلوه ، وعلى بعد عهده عننا وعلى تقدم علم التربية والتعليم في عصرنا استطاع الجاحظ أن يأتي فيه بمذاهب تكاد تكون من أحدث المذاهب ، انكم تعالجون التربية والتعليم علماً وعملاً فأظن أن من أحدث قواعد التي تطبقونها في مدارسكم تدريب الطالب على الاستنباط من دون أن يلجأ الى الحفظ لان الحفظ يسد عليه سبيل الاستنباط فيحصد عقله ويبلد ذهنه فاليكم ما قاله الجاحظ في هذا الباب (١) :

« وكرهت الحكماء الرؤساء أصحاب الاستنباط والتفكير جودة الحفظ لمكان الاتكال عليه واغفال العقل من التمييز حتى قالوا : الحفظ عذق الذهن ولأن مستعمل الحفظ لا يكون الأ مقلداً والاستنباط هو الذي يفضي بصاحبه الى برد اليقين وعن الثقة والقضية الصحيحة والحكم المحمود انه متى أدام الحفظ أضرب ذلك بالاستنباط ومتى أدام الاستنباط أضر ذلك بالحفظ ٠ — «

و كتابه في المعلمين قد اشتمل على القواعد المتبعة في التعليم في أيام الجاحظ فهو يصور لنا أساليب التربية والتعليم في العرب ٠

ولم يكن نصيب الجاحظ من علوم الطبيعة بأقل من نصيبه من بعض فصول في الاجتماع والأخلاق والتعليم وما شابه ذلك ، الأ انه قد يكون في آرائه الاجتماعية أصح فكرياً وأقل خطأً اما في علوم الطبيعة فالجاحظ على جلالته بعض أقواله فيها قد لا يسلم من خطأ فان علوم الطبيعة قد تقدمت في السنين الأخيرة ولكن الأخلاق واحدة في العصور قديمها وحديثها فالחסد الذي صوره الجاحظ انما هو شبه الحسد الذي تقاسى شره في أيامنا ٠ —



خاض الجاحظ في كثير من علوم الطبيعة في الحكمة الطبيعية والكيمياء وتوسّع في التاريخ الطبيعي وخاصة في علم الحيوان —  
فلننظر الى بعض آرائه في هذه العلوم —

انكم تعلمون انهم كانوا في عصر الجاحظ يرجون الدين بالعلم معى هذا أنهم اذا جادلوا في أمر من أمور الدين استعانوا في بعض الأحوال بمذاهب العلم من هذا الشكل بمجادلة الجاحظ لجوسفي عارضه وقد قرأتم هذه المعارضة في كلامنا على عصر الجاحظ في فصل حرية الفكر ، فمن قول الجاحظ :

« والماء ليس يجمد للبرد فقط فيكون متى رأينا بلدة تلجها أكثر حكمتنا أن نصيبتها من البرد أوفر وقد تكون الليلة باردة جداً وتكون متغيرة فلا يجمد الماء ويجمد فيما هو أقل منها برداً . وقد يختلف جمود الماء في الليلة ذات الريح على خلاف ما يقدررون ويظنون . وقد خبرني من لا أرتاب بخبره انهم كانوا في موضع من الجليل يستنخون به بلبس المبطنات ومتى صبوا ماء في اناء وزجاج ووضعوه تحت السماء حمد من ساعته فليس جمود الماء بالبرد فقط . . . »

اما اليوم فاننا لا نرضى بهذا الرأي على علته فاننا اذا بحثنا عن جمود الماء قلنا يجمد الماء ويزداد حجمه اذا وصل الى درجة من الحرارة تبلغ الصفر في الميزان المتوي وجموده على صورة قطعة من جليد مركبة من بلورات مسدسات الشكل كثافتها ٠.٩١٨ —  
وكما تعرض للحكمة الطبيعية فقد تعرض للتاريخ الطبيعي فهو من أصحاب مذهب « التولد الذاتي » وله في هذا المعنى حكايات كثيرة من جعلتها قوله <sup>(١)</sup> :

« والذباب من الخلق الذي يكون مرة من السفاد والولادة ومرة من تعفن الاجسام والفساد الحادث في الأجرام والبسائلاء اذا عتق شيئاً في الأقباء استحال كله ذباباً فرجما أغفلوه في تلك الأقباء فيعودون الى الأقباء وقد تطاير من الكوى والخروق فلا يجمدون في الأقباء الا القشور والذباب الذي يخلق من الباقلاء يكون دوداً ثم يعود ذباباً وما أكثر ما ترى الباقلاء مثقبات في داخله شيء كأنه مسحوق اذا كان الله قد خلق فيه الذبان وطيره منه وما أكثر ما تجده فيه تام الخلق ولو تم جناحاه لقد كان طار — »

وله من هذا الشكل آراء كثيرة في كتاب الحيوان فهو يؤمن بحدوث الخلق من غير ذكر ولا أنثى ويخلق الديدان من الحيف<sup>(١)</sup> ويخلق القمل من العرق والوسخ اذا علاما ثوب أوريش أو شعر<sup>(٢)</sup> :

لقد أبطل العلم هذه الآراء بمجموعها فقد دلت تجاريب « باستور » Pasteur على ان « التولد الذاتي » أمر ممنوع فكل حجيرة مصدرها حجيرة مثلها وكل حي لا يلد إلا حي مثله معنى ان الأحياء لا تلدها المواد العضوية أو المواد المعدنية .—

وقد كان للمثقفين معتقدات غريبة في هذا الباب فقد زعموا ان القمل يلد لحم الانسان وان الديدان يلدن اللحم الفاسد وان البق ينشأ عن اختار الزواحف وماشابه ذلك .— ان هذا كله قد زدّه العلم في أيامنا واذا وجدنا الديدان في اللحوم فعنى هذا ان الذباب باض في هذه اللحوم فلو منعنا الذباب عن البيض لامتنعت الديدان فاذا ظهرت أحياء في مادة عضوية أو في مادة معدنية فهذه الأحياء ناشئة عن أحياء مثلها تغلفت في هذه المواد وما أكثر تجاريب « باستور » في هذا المعنى .—

والى جنب هذه الآراء الباطلة قد تجد للمباحظ آراء جلييلة في العلم تكاد تكون من أحدث الآراء فالحيوان في بيئته ما يكون تركيب خلقته مناسباً لهذه البيئته فمن قول الجاحظ في الضب<sup>(٣)</sup> :

« قالوا : من كدب الضب ان لا يتخذ جحره الآ في كُدْبِيَّةٍ وهو الموضع الصلب أو في الارتفاع عن المسيل والبسيط ولذلك توجد برائنه ناقصة كليلة لانه يحفر في الصلابة ويمتق الحفر .— »

فانظروا كيف طأل نقصان برائنه وكلاهما فبرائنه ناقصة كليلة لانه يحفر في الصلابة ويمتق الحفر وهذا التعليل علمي محض .—

والى جنب هذا كله بحشه عن غريزة الحيوان وعن إحساسه وما أحبت ان استقصي هذه الآراء فادل علي ما بطل منها وعلى ما صح في عصرنا هذا فان هذا العمل انما هو عمل العالم

(١) كتاب الحيوان — الجزء الثالث ص ١١٤

(٢) = = = الخامس ص ١١٢

(٣) = = = السادس ص ١٢

لا الاديب فاذا تفرغ علماءنا لتدوين أطوار العلم في العرب استطاعوا أن يجهدوا للجاحظ مادة واسعة في هذا الباب وأما عملنا فاننا نقتصر فيه على ايجاز في الكلام على الجاحظ من حيث سعة عبقريته . —

وبينا نجده يبحث أمثال هذه المباحث اذ يتفرغ لباب من أروع أبواب اللغة وهو باب : حياة الألفاظ ، انكم تعلمون أن لتغيير معاني الألفاظ أسباباً منطقية وأسباباً روحية وأسباباً أدبية ، فن جملة الأسباب المنطقية الاستمارة فالاستعارة تنقل اسم الشيء الى شيء غيره لصفة من الصفات يشترك فيها الشئان فوردة الشجر تعبر اسمها وردة الكتابة بسبب الرقة التي تشترك فيها الورقتان فانظرا ، كيف يخوض الجاحظ في مثل هذا الفصل فيقول (١) : « ثم سمو الأظام التي كانت بالمدينة للامتناع بها من الأعداء صياصي قال الله عز وجل : وانزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيمهم والعرب تسمي الجارح وذا الجثة صاحب سلاح فلما كان اسم سلاح الديك وما يتنوع به صيصية سمو قرن الثور الذي يجرح صيصية وعلى انه يشبه في صيصية صورته ، يعمية الديك وان كان أعظم ثم لما وجدوا تلك الأظام معاقلمهم وحصونهم وجنتهم وكانت في مجرى الترس والدرع والبيضة اجر ومما مجرى السلاح ثم سموها صياصي ثم سموها شوكة الحائك التي بها تهبأ السداة واللحمة صيصية اذا كانت مشبهة بها في الصورة فان كانت أطول شيئاً ولانها مانعة من فساد الحوك والغزل ولانها في يده كالسلاح متى شاء أن يجأ به انساناً وجاء به وقال دريد بن العيمة :

نظرت اليه والرماح تنوشه كوقوع الصياصي في النسيج الممدد

وقد تسمي العرب ابرة العقرب شوكة كما تسمي صيصية الديك شوكة وهي من هذا الوجه شبيهة بشوك الغزل ويقال لمن ضربته الحرة قد ضربته الشوكة لأن الشوكة اذا ضربت انساناً فما اكثر ما تعتريه من ذلك الحرة . . . . . — «

ثم توسع في هذا الباب على هذا النحو . —

هذا نمط من الأفكار التي عاجلها الجاحظ بدلكم على شيء من سعة علمه وامتداد أفياء عبقريته ومن خصائص الذين يخوضون في أبواب كثيرة ويتعرضون لمذاهب شتى قلة التعمق فقد تعرض لهم أفكار كثيرة لانبساط ثقافتهم فيتلون بها الإمام ولا يتمتعون فيها تعمقاً فهم

(١) كتاب الحيوان — الجزء الثاني ص ٨٥

يفهمون كل ما يقع عليه نظرم ولكنهم قد لا يفهمونا إياها في بعض الاوقات علي نحو  
 فهمهم لها فالجاحظ من هذا القبيل في بعض مباحثه فهو يلهو بالمعاني لهما فيخرج من فكر  
 الي فكر ومن معنى الي معنى ولكنه يضرب في آفاق كل المعاني ويجول في ميدان كل  
 الأفكار ، اي كتاب من كتبه بل اي سطر من سطوره لا يوطئ للقاري مجال  
 التفكير وسواء اتوسع في افكاره أم ألم بها إلاماً انه عظيم ولست أدري هل أورتنا  
 عقربة العرب أعظم منه فهل نعرف حياة أوسع آفاقاً من حياته العقلية وذهناً أخصب تربة  
 من ذهنه وفكراً أشد انطلافاً من القيود من فكره ، لقد ذاق لذّة الحياة العقلية وتغاب  
 في أعطافها فخالط عالم الأفكار واستأنس بهذا العالم فلم يستوحش من ناحية من نواحيه ،  
 خاطب العقل في قرن متكامل ولكن هل تعلمون أي عقل خاطبه ، لقد خاطب العقل الذي  
 يكره كل باطل من الأباطيل وكل قيد من القيود ، فما كان عقله بأنس الآ بقاء  
 الاشياء وما كان هذا العقل ينقبض الآ عن ظلامها في كل يوم كان يطلع على العالم  
 بأفكار حديثة فما كان غذاؤه الآ الأفكار والآ المعاني ، لقد سكر كل حياته بألوان  
 الأدب وبرّات الفاظه وثل كل عمره من لذّة العلم فجعل هذا الأدب وهذا العلم نزهة عقله  
 ومشحة طبعه وبيع نفسه وعمارة صدره !

دمشق : في ٢ نيسان ١٩٣٢

شفيق جبري

## صفي الدين الحلبي

— «\*» —

هو الشاعر المطبوع أبو المحاسن عبد العزيز بن سرايا الشهير بصفي الدين الحلبي .  
والحلة المنسوب اليها الشاعر هي سلة بني مزيد ، وتسمى حلة بابل لوقوعها قرب بابل  
القديمة الى الجنوب ، الا أن أطلال بابل على شاطئ الفرات الشرقي ، والحلة على شاطئه  
الغربي شمالي أطلال الكوفة ولا تزال الحلة عامرة الى عصرنا ، وبنو مزيد أصحابها بطن  
من بني أسد بناها منهم الامير سيف الدولة صدقة بن منصور بن ديبس ( كزبير ) ابن علي  
ابن مزيد الاسدي سنة ٤٩٥ هـ في مبداء الدولة السلجوقية . وكانت من أرقى مدن العراق غير  
أن توارد الاعراب عليها ونزلهم بها جعلها كثيرة الفن والحوادث

### الحالة السياسية والاجتماعية في عصره

نشأ المترجم في عصر الدول التركية التي كان سلطانها حينئذ يمتد من شواطئ المحيط  
الاعظم ( الهادي ) الى برقة غرباً ، ومن شواطئ المحيط القطبي الشمالي الى حوض الكنج  
واليمن ودنقلة جنوباً ، ولو كان هذا الملك العظيم مستظلاً براية واحدة ومحكوماً بنظام  
واحد لنشأ في أحضانه أسمى حضارة شهدها سكان كوكب الارض ، ولكن سلطان  
هذا الجيل التركي لم يكن متوحداً الا في الجذم الطوراني وأصول اللغة ، وكان متقاطعاً  
في الدين والمذهب ، متدابراً في أصول الحكم والسياسة متفتناً في اختراع صنوف الغالم  
والقسوة ، فلم يجر على العالم الا الفن المبيرة واختفاء آثار الحضارات السابقة لحكمه ،  
فكونت منه دول لا تحصى من التتار في الصين وشمال آسيا وأواسطها وشرقي أوربة ، ومن  
بقايا السلجوقيين في الجزيرة وآسيا الصغرى وشمال الشام ، ومن المالك التركمانية بالشام  
ومصر وبرقة والنوبة والحجاز . وكان ملوك كل دولة من هذه الدول الكثيرة يحكمون

البلاد بولادة وعمال من الترك مؤبدين بجيش من جنسهم وكان من الرعايا المقهورين كل رجال القضاء والادارة وجباية الاموال واعمال الري والعمارة . وفي الجملة أكثر أرباب الاقلام والادباء والمدرسين والمؤلفين ، ولذلك كانت تأثير سلطانهم في اللغات الوطنية وادابها ضعيفاً بالاضافة الى تأثيره في اضطراب الأمن وزعزعة أركان الحضارة القديمة ، واذلك بقيت اللغة والآداب الصينية غالبية على مغول الصين ، والفارسية غالبية على مغول فارس وأواسط آسيا وعلى بقايا الملجوقيين فيها ، والعربية غالبية على الدويلات المنتشرة من السطوقية في العراق والجزيرة وعلى دولة المماليك بمصر والشام ، ومن تلك الدويلات دويلة كان ملوكها سلالة مملوك تركي من مماليك ( ملك شاه السلجوقي ) يدعى ( أرئق ) .

سرف شاعرنا أكثر عمره في خدمة ملوكها . وكان الشأن في كل أسرة ملكية من الترك في العراق والجزيرة ومصر والشام اذا طال أمد حكمها في بيئة عربية أن يستمروا أو يلوا بالآداب العربية ، فيروج عندها الادب العربي بعض الرواج ويجههم تأليف الكتب بأسمائهم ، وربما اتخذوا من ادباء العرب بطانة لهم وندماناً وسماراً ، بل ربما نظم بعضهم الشعر لهذا نجد شاعرنا ينتقل أحياناً في العراق والجزيرة والشام ومصر ويعيش بالادب ، ونجده يكثر في شعره من وصف ظلم الاتراك لكثرتهم في زمنه وامتلاء اسواق الرقيق بهم مما يسببه المغول في غاراتهم على شمالي آسيا وشرقي أوروبا ، وكثر في شعره الطرديات لولع الترك بالصيد .

نشأته . — ولد المترجم سنة ٦٧٧ هـ بمدينة الخلة من أسرة عربية من قبيلة سنيس احدى قبائل طلي ، وكانت عشيرته على اشتغال كبرائها بالفقه والأدب على حالة بدو : تحمل السلاح ، وتشارك في الغارات والحروب ، وتطالب بالنار ؛ فنشأ المترجم نفسه على هذه السجايا ، فتأدب على أهله وعلما بلده وعلما بغداد لقرىبها منها وشب مطبوعاً على قول الشعر ينظمه تأديباً وطرباً لا استجداء به وتكسباً كما قال هو عن نفسه .

وحدث في شببته ان شبت فتنة بين أسرته المسماة آل محاسن وبين أسرة أخرى تسمى آل ابي الفضل فاغتال آل ابي الفضل خالاً له يدعى صفي الدين ابن محاسن : قتله في مسجده ، وكانوا أقوى من أسرة المترجم ، فأعمل صفي الدين لسانه وقلبه وقصد أمراء الدواحي ورؤساء العشيرة يستنجدهم على أخذ نار خاله من آل ابي الفضل ؛ وحدثت بين

الفريقين موقعة الخندل فيها آل ابي الفضل فافتخر صفى الدين هو وعشيرته باخذ ثأرهم من عدوم . فذلك حيث يقول في مطلع قصيدته الشهيرة :

سلي الرماح العوالي عن معالينا      واستشهدي البيض هل خاب الرجا فينا  
الا ان هذه الموقعة لم تكن خاتمة الفن ، بل بقيت العداوة يستخدم أوارها ويشند  
أذى آل ابي الفضل على المترجم وأسرته حتى أزعجوه عن المقام في بلده ، وخشي غائلهم ؟  
فخرج مهاجراً حتى ألقى عصاه في مدينة ماردين من إقليم ديار بكر بارض الجزيرة الفراتية  
مستظلاً بحماية ملوكها من بني أرتق « كفلن » وهم ملوك دولة من فروع الدولة السلجوقية  
دخلوا في طاعة التتار وحاسنوم فأقوم على حكم ماردين وإقليم ديار بكر . ومؤسس  
ملكهم أرتق الكبير وهو مملوك شجاع من ممالك آل سلجوق . وعاصر المؤلف منهم الملك  
المنصور نجم الدين غازي وولده الملك الصالح ، وعامله معاملة كريم مستجير بهما لا هاملة  
شاعر مستجيد . وكتب الى أهله بالحلة عند وصوله الى ماردين يقول :

ألا بلغ هديت سراة قومي      بحلة بابل عند الزرود  
الا لا تشغلوا قلباً بعدي      فاني كل يوم في مزيد  
لاني قد حلت حمى ملوك      ربوع عبيدكم كهف الطريد  
فمن بك نازلاً بحمى كليب      فاني قد نزلت حمى الاسود

وبقي في كنف الملك المنصور غازي يدحه ويناديه حتى مات المنصور سنة ٧١٢ ومدحه  
بجملة مدائح منها القصائد المسماة بالارتقيات ، وهي تسع وعشرون قصيدة كل منها تسعة  
وعشرون بيتاً على حرف من حروف المعجم يبدأ في كل بيت منها بحرف وبه ينتم أي يكون  
روياً ومبدأ وجعلها ديواناً سماه « درر الفخور في مدائح الملك المنصور » ثم كان في خدمة  
ولده الملك الصالح فخف على قلبه ومزجه بنفسه واضطفاه وأسبغ عليه نعمته وجعله في خاصة  
بطانته يناديه ويؤانس ، ويخرج معه الى الصيد والوفائع ، وطاب له العيش في ماردين ،  
ووفرت نعمته واقتبل على اللهو والطرب ونظم الشعر في الغزل والخمريات واللداعبة والمجون حتى  
اذا ناهزت سنه الخمسين عزم على المتاب من شرب الخمر وارتكاب الآثام ، وجعل باكورة  
التوبة الرحلة لحج بيت الله الحرام وزيارة قبر النبي عليه الصلاة والسلام سنة ٧٢٤ هـ ودخل  
مصر بعد حجه سنة ٧٢٦ وسلطانها يؤمئذ الملك الناصر محمد بن قلاوون ووزيره و كاتب

سره القاسمي علاء الدين بن الاثير الجزري الكاتب المؤلف المشهور ، فمدحه ومدح  
الناصر بقصيدة طنانة عارض بها قصيدة ابي الطيب « يا اي الشموس الجانحات غواربا » ومعلمها :

اسبلى من فوق النهود ذوايبا      فتركن حبات القلوب ذوايبا

فأغدق عليه نعمه وهداياہ . ثم رحل الى الشام فنزل بدويلة من بقايا آل أبوب مستظلة  
بمحاية سلاطين مصر من آل قلاوون ، وتحكم مدينتين او ثلاثاً من مدن وادي العاصي  
وحاضرتها مدينة « حماة » وكان سلطانها في ذلك الوقت الملك المؤيد ابو الفداء عماد الدين  
اسماعيل مؤلف كتاب « تقويم البلدان » والتاريخ المسمى « المختصر في أخبار البشر » فنزل  
ضيماً عليه فأكرمه ، وبقي أنيراً عنده مدة ، ويظهر من مرائيه ومدائمه ومكاتباته انه  
أقام بالشام عدة سنين ، ولقي بدمشق الشهاب محموداً الحلبي وابن نباتة المصري . وتكسب  
فيها بالتجارة . ثم لحق بمخدمه بماردین بعد غيبة طويلة . وصار يختلف الى بلاد الجزيرة  
وبغداد والشام ويراسل أديباها ويمدح ملوكها ويرثيهم . ولم نعلم عن يقين البلد الذي  
مات به ونرجح أن تكون وفاته بماردین . ومات سنة ٥٧٥٠ هـ .

علمه وأدبه . — كان علم صفي الدين لا يعدو اللغة وآدابها وكان يحفظ كثيراً من شعر  
المتقدمين الجودين في اللفظ والأسلوب من أمثال ابي نواس والبحتري وابي تمام وابن الرومي  
وابن المعتز ، فأثرت فيه خمريات ابي نواس وغلامياته وأثرت فيه أوصاف ابن المعتز  
وطردياته ، وكثيراً ما أثار على معاني هؤلاء ، ولم يكن علمه بغريب اللغة ولا تاريخ العرب  
في جاهليتهم واسلامهم موازياً لشهرته بالادب ولا بافتخاره بالانتماء الى سنن من طي هـ ،  
ومبلغ علمه من الادب واللغة أنه حفظ الكثير من الشعر فأكسبه ملكة قلما تهبأت لاحد  
في عصره .

ذكاؤه وتوقد خاطره . — كان صفي الدين على جانب عظيم من توقد الخاطر وسرعة  
البديهة يعرف ذلك من قرأ ديوانه فرأى فيه الكثير من غرائب الصنعة البدعية كالاكثار  
من عجيب التصعيف وما لا يستقبل بالانعكاس والاكثار من القصائد المهمله الحروف  
والهجمتها المصغرة الالفاظ وذوات القافيتين وضوابط الشطرنج والعلوم ، ولو انه بذل بعض  
هذا الجهد في استخلاص لباب اللغة والغوص على المعاني الرائعة لبذت المتقدمين ، ولكن  
هكذا كان ديدن أهل عصره ورغبتهم من الادب .



أخلاقه . — نشأ صفي الدين في الحلة على فطرة عربية من الشم وإباء الضيم ، وحب الإرتقام والأخذ بالثار ، وشهود المعارك والرغبة عن ذل السؤال ، ونظم الشعر للتطرب والرياضة لا للاستجداء كما يتحدث بذلك عن نفسه في مقدمة ديوانه وكما يستخلص من قراءة شعره في شبابه غير أنه لما لحق بجدمة متأخري آل أرتق قبيل انتهاء دولتهم ، وكانوا أهل ترف وانعماك في اللذات ومعاقرة للخمر وهو بالصيد والقنص اعتماد من عاداتهم ، ونادمهم في مجالسهم ، وتغزل في غلاتهم . وأغش وغجر . ولما علت سنه عزم على التوبة والنسك وحلف الا يشرب الخمر ، ولكنه نقض التوبة مراراً فعاد وشربها مرضاةً للأمرء والرؤساء .

ومن الغريب في امره تصريحه في قصيدة خمزية ذكر فيها تنقيص شهر رمضان على الشاربين لذاتهم بان لا ينسك الا بعد ٦٨ سنة من عمره وذلك حيث يقول منها :

فيه هجر اللذات حتم وفيه (غير مستحسن وصال الغواني)

وقبيح في التنسك الا (بعد ستين حجة وثمان)

ولا أدري سبباً لارجاء التوبة التصوح الى هذا السن المضبوطة بالعدد الا تغمينه شطري مطلع القصيدة التي بحث بها الشريف ابو ابراهيم موسى بن اسحق الى ابي العلاء المعري وهذا هو المطلع :

غير مستحسن وصال الغواني بعد ستين حجة وثمان

فأجابه ابو العلاء بنونته الشهيرة التي مطلعها :

طلاني فان يبض الاماني فنيث والزمان ليس بنان

ولا ندرى على اي حال انتهت حياته ، وكان الحلي يتشيع نوعاً تشيع يترضى عن الصاحبين ، وينكر على الأمويين والعباسيين جد الانكار ، وتلك نزعة قديمة المهد في أعراب الفرات والجزيرة منذ عهد علي ، معاوية وأرسنخا فيهم ، وجود مشاهد الخجف وكر بلاء بين ظهرانيهم .

شعره . — نشأ صفي الدين في القرن الذين خلفوا قرن القاضي الفاضل واتحلوا طريقته في التهافت على استعمال المحسنات البديعية والشغف بها شغفاً أخرجهم عن قصد البلاغة فكان معاصراً لكثير من كبار ادبائهم وشعرائهم ومؤلفيهم من أمثال شهاب الدين محمود

الحلبي وابن فضل الله العمري وابن نباتة المصري وصلاح الدين الصفدي وعلاء الدين بن الاثير والملك العالم المؤرخ الاديب مؤيد الدين صاحب حماة ، فكانت صفي الدين علماً شامخاً بين هؤلاء الاعلام معترفاً له بالسبق في فنون من الشعر والاجادة في أخرى ، وكلهم كاتبه وراسله وعارضه وعابته فاذا وازناه بهم واحداً واحداً من كل وجه طال بنا المقام ، ولكننا نشير اليك هنا بأن شهاب الدين كاتباً ومؤلفاً أرجح منه شاعراً وأن صناعته في الكتابة أروع من صناعة صاحبه: فصفي الدين اشعر منه واكثر طروقاً لفنون الشعر وأبوابه وأن ابن فضل الله العمري امام لايجارى في الادب والتاريخ ووصف الارضين والشعوب والممل والملل والنحل وكتابة الترسل ، وصفي الدين في غير الادب ليس هناك فهو يفضل ابن فضل الله في الشعر ويفضله في كل ما تقدم ، وأن الصفدي وإن كان ذائع الصيت في الشعر واتحالم البديع إلا أن التأليف غلب عليه ، فزاحمت ملكة التأليف وتقرير الحقائق ملكة الشعر واتزاع الخيال وبذلك يكون صفي الدين أشعر منه وأطبع في الشعر ، وكذلك شأنه مع ابن الاثير . بقيت الموازنة بينه وبين ابن نباتة وهما متشابهان في كثير من الامور ، فهما شاعران مطبوعان غلبت فيهما ملكة الشعر على كل صناعة ادبية ، بل كانا أشعر شعراء المشاركة في عصرهما ويتناز ابن نباتة بركة اللفظ ، ومراعاة الذوق الادبي ، ودقة النكتة ، ولطف الكناية والتعريض ، وليس ذلك فيه بهجيب ؛ فهو مصري صميم تحرّج بشعر القاضي الفاضل ، وابن سناء الملك ، والبهاء زهير ، وابن مطروح ، وابن قلاؤس الاسكندري ، فانطبعت في شعره صورهم وتقمصت به أرواحهم ، وبرع ابن نباتة في التورية جد براعة حتى لم يبق لاديب معه فيها كبير نصيب ، ولم تقل كتابته على الطريقة الفاضلية عن شعره كثيراً ؛ فهو كاتب بديعي بارع متكسب بصناعة الكتابة والترسل في دواوين مصر والشام .

واما صفي الدين فشاعر بديعي حليل اللفظ رائع الاسلوب متفنن في كل عرض صاحب مقطعات ومطولات ومسمطات وموشحات وينظم من أوزان العرب والمولدين ، ويقول الدوبيت ومجزو الدوبيت . وهو من الغلاة في البديع فيجيد المطولات المؤلفة كتابتها من الحروف المهملة تارة والمهجمة أخرى أو التي حرف منها مهممل وحرف معجم أو التي كلمة منها مهملة والاخرى مهجمة أو التي كل أسماؤها مصفرة ، أو لا تستعمل بالانعكاس ، ثم هو بمدّ غابة في الجناس ، إلا أنه ليس له في التورية كثير غناء ولكن الاديب الحاذق يرى

أن كل ما امتاز به الحلبي داخل في باب التكلف والتحدق لافي باب الانطباع والرقعة والرشاقة .  
وبذلك يُفضل ابن نباتة في جملة علي الحلبي في جملة .  
احمد الاسكندري « للبحث صلة »

—(\*)—

## آراء وافكار

—(٠)—

### استنفهام

طالعت في الجزء الاخير من مجلة المجمع فصلاً للاستاذ المحقق الشيخ بهجة الأثري فيه لغة وأدب وتشريع وتاريخ وقد وافقت على كل ما جاء فيه تقريباً . وأسر ما سرني منه إنكاره الحيل الشرعية واستهجانها تسمية كتاب الامام محمد بالحيل واستشهاده بأقوال ابن قيم الجوزية على إبطال هذه الحيل من أصلها وذلك في كتابه القيم « اعلام الموقعين » .  
أما الذي لم أوافق عليه في هذا الفصل المتمتع فهو قوله : « ومن مأثور أقوالهم ركب جنج نعامة » لمن جد في امر . فان المثل « ركب جناحي نعامة » أو « جناح نعامة » ولا يخفى ان الجنج غير الجناح . فالجنج هو الجانب ويقال جنج الليل يضم فسكون أو بكسر فسكون أي جانبه وقيل اوله وقيل قطعة منه نحو النصف . ويقال كأنه جنج ليل يشبهه المسكر الجرار . ويقال جنج الطريق ايضاً أي جانبه . وعلى كل حال لم يرد « جنج نعامة » ولا جنج اي طائر وانما هو جناح . واما استشهاد الاستاذ الأثري بقول شاعر الحماسة :  
كان بصحراء المربط نعامة تبادرها جنج الظلام نعائم

فهو دليل على قولهم « جنج الليل » و « جنج الظلام » لا على « جنج النعامة » ولا أزال أحفظ ان اليازجي الكبير في مقاماته استعمل « الجنج » بمعنى « الجناح » مضافاً الى الطائر فأخذ عليه في ذلك احمد فارس صاحب الجوائب . فان كان عند الاستاذ الأثري نص أو شاهد بوثق به على ورود جنج بمعنى جناح مضافاً للطائر فليدل به فانما انا مستفهم .

جنيف : شكيب ارسال

## ملاحظات

اطلعت في الجزء الثاني عشر من المجلد الحادي عشر من مجلة المجمع العلمي على مقال للاستاذ سليم عنخوري يحتوي على ترجمة الخلاج فرأيت فيه من المآخذ ما يجب التنبيه عليه . ذكر في ص ٧٤٦ و ٧٤٧ ان الذي دعاه الى ترجمة الخلاج كونه أديباً متكماً ينظم شعراً عربياً خالص العروبة لا مغمز فيه ولا لحن يذهب فيه مذهباً غريباً - الى ان قال : فالخلاج إذن شاعر له منزلة على غيره هي تفردته بطريقة اختطها لنفسه .

والحقيقة اننا لم نر أحداً ممن ترجم الخلاج مع كثرة من ترجمه قال عنه إنه أديب أو شاعر، لتكون له طريقة خاصة أو شاعرية خاصة . وغاية ما قالوا عنه أنه نسبت اليه أبيات كان يتمثل بها . وجميع ما نسب اليه لا يتجاوز ثلاثين بيتاً من الشعر مع جواز انه لم ينظمها . ومثل هذا العدد الضئيل لا يمشره في جملة الشعراء حتى ولا النظامين . ويشهد لهذا ان صاحب المقال نسب الى الخلاج هذين البيتين ( انا من أهوى ومن أهوى انا . الخ ) مع ان ابن خلكان في تاريخه ذكرهما في ترجمة اخلاج ولم ينسبهما اليه ، ونسب اليه ايضاً : ( أرسلت تسأل عني كيف كنت وما . الخ ) ونسب ابن خلكان اليه ايضاً هذين البيتين ثم ذكر ان من تمثل بهما ايضاً سمنون بن حمزة الزاهد وهو من المعاصرين للخلاج . فهذا يؤيد ان ما نسب اليه لا يخرج عن حد النسبة أو التمثيل وأي رجل عنده أدنى ملكة في العلم لا يتمثل باقوال الشعراء .

وجاء في ص ٧٤٤ ان الخلاج صحب حال حياته القاسم بن الجنيد والثوري والحسن البصري فصحبته للحسن البصري وللثوري لم نر أحداً قال به قبله . كيف وبين وفاتيهما وولادته عشرات من السنين فوفاة الثوري سنة ١٦١ هـ ووفاة الحسن البصري سنة ١١٠ هـ فاذا ثبت ان الخلاج تمل سنة ٣٠٩ هـ وبالغنا في عمره وقتلنا سنة يوم قتل ستون سنة فتكون ولادته عام ٢٤٩ وعايه فتكون وفاة الثوري قبل ولادة الخلاج بـ ٨٨ سنة . ووفاة الحسن البصري قبل ولادته بـ ١٣٩ سنة فكيف تسنى له الاجتماع بها ؟

وقوله : القاسم بن الجنيد خطأ . وانما هو ابو القاسم الجنيد بن محمد .

وجاء في ص ٧٤٩ و ٧٥٠ ان الوزير حامداً أحضر القاضيين : ابا عمرو بن العلاء وجعفر

ابن بهلول في محاكمة الحلاج . فزيادة ابن العلاء . وهم ايضاً لان ابا عمرو بن العلاء توفي سنة ١٥٤ فيكوت بين وفاته ومحاكمة الحلاج نحو من ١٥٥ سنة والذي في تاريخ ابن خلكان : القاضي ابو عمر بن غير واو ولم يذكر اسمه ولا اسم ابيه .  
وجاء في ص ٧٤٤ ضطر ١٤ العباس بن سريج وانما هو ابو العباس بن سريج كما في ابن خلكان .

هذا ما رأيت من المآخذ الجديدة بالذكر وهناك امور أخر أضربنا عنها صفحاً .  
دمشق : محمد احمد دهمان



## مطبوعات حديثة

— (١١) —

### آداب المعلمين

« مما دون محمد بن سحنون التبوخي عن أبيه . عني بنشره السيد حسن حسني »  
« عبد الوهاب التونسي طبع بمطبعة العرب بتونس سنة ١٩٣١ ص ٧٦ »  
هذا الكتاب من مطبوعات اللجنة التونسية لنشر المخطوطات العربية نشرها صديقنا العلامة السيد حسن حسني عبد الوهاب الذي اشتهر بتأليفه وتحقيقاته الكثيرة باللغتين العربية والفرنسية قدم له مقدمة مستوفاة للتعريف بالمؤلف وهو من أهل القرن الثالث للهجرة وشفعها بلحمة عن الكتابات افرريقية في زمن المؤلف فقال : « ان الغزاة العرب من الصحابة وتابعيهم لما فتحوا افرريقية في أواسط القرن الاول للهجرة كان الكثير منهم في عيالهم وذرائعهم فعندما أناخوا بمسكروهم وخطوا ( قبر وانهم ) كان أول ما أنشأوا الدور والمساجد ثم التفتوا الى تعاليم صبيانهم فاتخذوا لهم محلاً — كتاباً — بسيط البناء يجمعون فيه لقراءة كلام الله العزيز . . . . . حكي غياث بن ابي شبيب قال : كان سفيان بن وهب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر علينا ونحن غلثة بالقيروان فيسلم علينا في الكتاب وعليه عمامة قد أرخاها من خلفه . . . » « ولم يزل شأن الكتابات في نمو وعددها في ازدياد وتكاثر في العاصمة وفي المدائن الافرريقية الكبيرة كتونس وسوسة وصفاس حتى لم يخل منها درب من الدروب أو حي من الأحياء وربما تعددت الكتابات في الحارة الواحدة مثلما تعددت المساجد في الحارات . . . ولا يجب ان اعتبرت الكتابات في القديم كملحقات بالمساجد وتوابع لها بل انما رجعت ايضاً في دور الأعيان والأغنياء ، وبالاحرى في قصور الوزراء والأمراء . . . » وقال : ان التعليم الابتدائي ما كان يختص بالولدان دون البنات بل

انه كان شاملاً للجنسين لا سيما عند المياسير وذوئي الحيشيات وأرباب المناصب العالية .  
ومما لا ريب فيه ان معلومات من فاضلات النساء كن يهذين ويعلمن الجوارى والبنات  
المقصورات في الدور والقصور في كل عصر من العصور . ثم ذكر طريقة التعليم في الكتاب  
وما الى ذلك من الفوائد التي حققها من التاريخ فكانت صورة صادقة لعناية المسلمين  
بتعليم أبنائهم .

أما من الكتاب الذي علق عليه وقدم له هذه المقدمة البارعة وفقى عليه بأراء بعض  
علماء العرب في التربية كابي بكر بن العربي وابن خلدون الحضرمي — فهو على أسلوب الرواية  
عند المحدثين ، ذكر فيه ماجاء في تعليم القرآن وفي العدل بين الصبيان وفيما يجوز من الأدب  
وما لا يجوز وفي واجبات العلم واجارته وما يوجب له من لزوم الصبيان الى آخره . فجاء الأصل  
والتعليق من جميل ما يقتنى . يستفاد منه على صغر حجمه . م . ك



### تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده

« الجزء الاول وفيه سيرة السيد جمال الدين الأفغاني تأليف السيد محمد »

« رشيد رضا . الطبعة الاولى في مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٥٠ — ١٩٣١ »

« ص ١١٣٤ »

كان قراءة العربية أشوق ما يكون لصدور هذا الكتاب بعد ان صدر الثاني والثالث  
منه منذ سنين . وهما في منشآت أستاذنا الشيخ محمد عبده وما قيل في تأييده وراثته . وهذا  
الجزء في سيرته توسع فيها صديقنا الاستاذ توسعاً عظيماً لم يترك معه من سيرة المترجم له  
مجالاً لقائل وشفعها بوثائق تاريخية أهمها ما كان من قلم المترجم له رحمه الله مثل ترجمته لنفسه  
منذ نشأته ومفكراته في الحوادث العراقية ، وقد اتهم بأنه مشايخ لرجال الثورة فحبس  
أشهراً ثم نفي الى الشام ثلاث سنين ، وقد توسع المؤلف ايضاً فيها ووقع للاستاذ الامام في  
السياسة ، وذكر أثره في نهضة مصر العلمية ، وهذا أهم من حياته السياسية . فان في حياته  
العلمية عبراً كثيرة ودروساً مفيدة في الاصلاح الاسلامي ، تعلم وتذكروا ثقفاً ، ولا يستغنى

عن تدارسها من يضرب باصغر سهم في الحركة العلمية المصرية . وقد لحظنا من مجموع هذا التاريخ ان المترجم له زُجَّ في السياسة زجاً فكان مضطراً الى ركوب مراكمها الخشنة ولذلك رأيناه بعد ان صفا له الزمن وكان مفتي مصر الاكبر يتغلى عن السياسة ولم يرض ان يدخل غمارها بالفعل مع أنه أريد على الدخول فيها قائلاً في الاعتذار أنه مُخلق معلماً ويرجو أن يموت معلماً . وهكذا كان الى ان ناداه ربه الوجوه . لاجرم ان نشر هذه الوثائق المفيدة برمتها قد أورث الكتاب تطويلاً ولكنه تطويل محبوب غير مملول ، وقد حفظ المؤلف بهذا الصنيع جانباً كبيراً من تاريخ مصر الحديث ومثلاً صادقاً عن وقائع يهتم لها بناء هذا الشرق القريب عامة . وكان المؤلف يستخدم أساليب المعلمين في التدريس بأسلوبه فيكرر العبارة لترسخ في أذهان الطلبة ويرد عليها الشواهد لبيان ما فيها من المقاصد . وقد يرى المطالع انه قد خرج من الموضوع كثيراً بما يقرأ من الاستطراد الذي قد ينفع الاستغناء عنه ثم لا يلبث المؤلف ان يعود بالقاري أدراجه فيدرك انه في صدد قراءة سيرة عظيم من عظماء الاسلام .

وهذا النمط من التأليف بما يجمل في مطاويه من متانة عربية شائقة لا نزاع فيها هو فيما اختص به فيما نرى الكاتب المدقق السيد محمد رشيد رضا وقد يكثر في كتابته من ذكر خصوصيات لا شأن لها في العموميات . وكان الموضوع يكتسب روعة وجلالاً أكثر لو ضلت منها مکتوباته . وهذه الثمينة الطفيفة لا تقدر في ذلك الوجه الجميل .

ومما يجب ان يستفاد منه ان الرجل الحكيم الشيخ محمد عبده بدأ بتعلم اللغة الفرنسية في الرابعة والاربعين من عمره وقد كاللناه قبيل وفاته فكان يتكلم بها مع أحد علماء المشرفيات برشاقة لا غبار عليها ولم يخص عليه مدة ساعة كاملة غلطة أو شبه غلطة . وقد بدأ بتعلمها على أستاذ فكان هو يتلو أمامه قصة لاسكندر دوماس وذاك يصلح له النطق ويفسر له الكلم ثم تعلم نحوها بالتدريج وكان يسافر كل سنة الى سويسرا وفرنسا ويحضر في جنيف دروس العظلة في كتيبتها فتعلم الفرنسية في أوقات الفراغ مع اشتغاله بالقضاء وقال عن نفسه في هذا الصدد : « ثم ان الذي زادني تعلقاً بتعلم لغة اوربية هو اني وجدت انه لا يمكن لاحد ان يدعي انه على شيء من العلم يتمكن به من خدمة أمته وبقنود به على الدفاع عن مصالحها كما ينبغي الا اذا كان يعرف لغة اوربية كيف لا وقد أصبحت مصالح المسلمين



مشبكة مع مصالح الاوربيين في جميع أقطار الارض وهل يمكن مع ذلك لمن لا يعرف لغتهم ان يشتغل للاستفادة من غيرهم أو للخلاص من شر الشرار منهم .»  
م . ك

### الرسالة النباتية

جردنا هذه الرسالة للاستاذ الامير مصطفى الشهابي من هذه المجلة وهي كما علم القراء في بعض نباتات زراعية لم ترد في معجم أسماء النبات للدكتور احمد عيسى ومعجم العلوم الطبيعية والطبيعية للدكتور محمد شرف وقصدنا بذلك ان يقف عليها من لا يعلمون على أجزاء هذه الصحيفة . وأبحاث الاستاذ المؤلف على ما يوقن العارفون لا تحتاج الي تقريبظ لانها أثر من آثار البحث والدرس وله الفضل في استخراج مئات من الألفاظ من معاجم اللغة العربية في المعاني الزراعية وإيجاد ما يقابلها من الاسماء اللاتينية هذا الرغير ذلك من أبحاثه التي يعرفها قراء هذه المجلة .  
م . ك

### طوق الحمامة

« في الألفة والألاف تأليف الامام ابي محمد علي بن حزم الاندلسي المتوفى »

« سنة ٤٥٦ هـ عنيت بنشره مكتبة عرفة بدمشق »

تمثلت الحياة لعين السلف بصورتها الحقيقية فغيروها وادر كوا ما هيبتها واجادوا وصفها فأتروا لها ظاهرة الا وقد احصوها ولا خافية الا وقد نفذوا اليها ببصائرهم فجات مؤلفاتهم في هذا المبحث ضافية وافية تنطق بفضل غزير وسعة علم وعلو همة .  
وقد اتى عهد طويل على كثير من هذه المؤلفات كانت فيه مهملة لا تعرف قيمتها ولا يقدر نفعها لما غشي بصيرة الخلف من جهل وضلالة حتى انها كادت تندثر لولا ان تداركها الغرب بحكمته فغني بجمعها وحفظها ونشرها . ومن هذه الكتب القيمة التي طوحتها العصور الي عهد قريب « طوق الحمامة » في الألفة والألاف للعالم الكبير الامام ابي محمد علي بن

حزم الاندلسي المتوفى سنة ٤٥٦ هـ فقد أتى فيه المؤلف على صفة الحب ومعانيه وأسبابه واعراضه وما يقع فيه وله مقتصرًا في جميع ما أورده على الحقيقة المتساهدة والحوادث الواقعة والخبرة الشخصية فجاءت رسالته هذه صفحة أدبية اجتماعية أخلاقية تدبر ناحية مظلمة من نواحي النفس البشرية وتحل عقدة هي أشد عقد الحياة الاجتماعية تعقيداً ألا وهي الحب الجنسي منذ النظرة الأولى حتى النفس الأخير على ما يتخلل هذين الأصلين المتقابلين من علامات وصفات وتعريض وإشارة ومراسلة وسفير وطبي سر وإذاعة وطاعة ومخالفة ومساعد ورفيق وواش ووصل وهجر ووفاء وبين وتنوع وخنى وسلو وقبح معصية وفضل تعفف وذلك بأسلوب لا يختلف عن مناهج العصر الحاضر في التأليف وعبارة سهلة متمتعة بتخللها قطع شعرية من نظم المؤلف مما يجعل لهذا الكتاب شأنًا أدبيًا واجتماعيًا وينم عن فضل مؤلفه وغزارة علمه وسحر خلقه وسعة خبرته وصدق فراسته .

وكننا نود لو أشار الناشر إلى الأصل المطبوع في لندن من هذه الرسالة البديعة لئلا يُنمط حق ناشره الأول .

أسعد الحكيم

# مجلة مجمع العلمي العربي

العدد ١٣٣٩ سنة ١٩٢١ الموافقة سنة ١٩٢١ م  
تشرني دمشق مرتين اشهر

أيار - حزيران

١٩٣٣

دمشق في  
مركز تحقيق وتحرير علمي  
المجمع العلمي العربي

— (١٣٣) —

قيمة الاشتراك السنوي { في سورية ولبنان ٢٥٠ قرشاً سورياً  
وفي جميع الاقطار ٦٠ فرنكاً }  
الدفع مقدماً

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

في الداخل ٥٠٠ من السنة الاولى الى الخامسة الى كل سنة منها  
= ٣٠٠ = السادسة الى الحادية عشرة =  
في الخارج ٦٠٠ = الاولى الى الخامسة =  
= ٣٥٠ = السادسة الى الحادية عشرة =

## كتب الآداب القديمة والحديثة

- ٢ -

كنا أسلفنا فيما سبق كلمة تحت هذا العنوان بينا فيها حالة كتب الآداب وما منيت به في الطبع والشرح ووعدنا بتقديم مثالين على صحة ما قلناه وقد ذكر المثال الأول ونشر في الجزء ١٠٩ و ١١٠ من هذه المجلة ثم حيل بيننا وبين انجاز القول بما لاطاقة لنا برده .  
والآن نقدم للقراء الكرام كلمة في المثال الثاني وهو زهر الآداب وفاء بما وعدنا .  
كتاب زهر الآداب وثمر الالباب لآبي اسحق الحصري القيرواني بغني اسمه عن التعريف به وشهرته في عالم الآداب العربي تكفي مؤنة الاسهاب في مدحه واطرائه وقد طبع غير مرة ولم تسلم طبعة من الزيادة على سابقتها في التعريف والتصحيف حتى اصبح ذلك الزهر والثر مسيماً بشوك من الأغلاط والتشويه لا يبلغ الا بشق الانفس . ثم قبض الله لاحياء هذا الكتاب الجليل الاستاذ الفاضل الدكتور زكي مبارك فعني بطبعه وشرحه وصدر هذه الطبعة بما يأتي قال في الجزء الأول منه :

وقد ظل بين يدي نحو تسعة اشهر وانا ممتقل في سنة ١٩٢٠ فقرأته ثم قرأته وعنيت بضبطه وتصحيح ما وقع فيه من الاغلاط ثم رأيت ان افصله . . .

ثم قال : كان زهر الآداب مطبوعاً على هامش العقد الفريد من غير ضبط ولا شرح وكان يكفي ان يطبع الكتاب طبعة ازهرية ليصح مثلاً في السجع والتشويه ولتقضى في قراءته العيون وتضل في فهمه العقول فأنفقت من جهدي ومن وقفي سب في تحقيق ما جناه مر السنين وعبث الجاهلين ما لا أمن به على القاري الا وانا آسف محزون .

ثم قال : في الطبعة القديمة كثير من الأغلاط ولا غرابة في ذلك فقد كان الأدب يوم ظهرت قليل الانصار وقد اعتمدت في ضبط هذه الطبعة على مراجعة الاصول التي أخذ

منها زهر الآداب وعلى ما اثنى به من مختلف المعاجم والقواميس فان استطاع القاري ان يلفتني الى خطأ فإني اصلاحه فإني بشكره خاليق . وقفت على هذه المقدمة فاخذتني نشوة الطرب لما جاء فيها وكدت أطير فرحاً بابرار هذا الكتاب الجليل الى عشاق الادب مصححاً منقحاً مشروحاً وحمدت الله على ان لم يكن طبع طبعة ازهرية ولم يكن مثلاً للسخ والتشويه .

الا ان القدر لم يشأ ان يكون مدى سروري اكثر من لمخ البصر . فلقد تصفحت بضع صفحات من كل جزء فسقطت علي ما لم اكن اتوقع . واصطدمت بما لم يقف في الحسبان .

ولما كان الاستاذ الفاضل أذن للقاري — ان استطاع — ان يلفتني الى خطأ فإنه اصلاحه . رأيت ان الفت نظره الى ما عثرت عليه عند نظري في هذا الكتاب نظرة عجي . نزولا عند رغبته . ورغبة في تلافي ذلك في طبعة أخرى وقد افردت ما جاء في كل جزء على حدة ليكون ذلك اقرب الى الرجوع الى الاصل عند ارادة ذلك .  
فما جاء في الجزء الأول :

في ذيل الصفحة ٢ . تفسيره النقد بالوزن والتحرير والتقدير بالضبط . وذلك غير سديد . وفيه ايضاً . قال في تفسير مدايرة . ذات سأم وملال والمدابرة في الاصل المزجبة . والمذكور في كتب اللغة دايرة اذا قاطعه واعرض عنه وعاداه . ولم اجد المدابرة بمعنى السأم والملال وفي ديوان ابي العتاهية . مدبرة وفي نسخة . مصرفة .  
وفي ص ٦ زمن المروءة وفسر الزمن بالبالي والمشهور في هذه القصة زمر المروءة اي قليها . ولا يخفى ما في تفسير الزمن بالبالي .

وفيها . وان من الشعر لحكمة ويروى حكماً . ضبطها بكسر الحاء وفتح الكاف . والصواب لحكماً بضم الحاء وسكون الكاف بمعنى الحكمة .

وفي ص ٧ كان يبرق عمامته اي يصفرها بالعين والصواب يصفرها بالحاء .  
وفيها . احدى النفثات في العقد . والصواب النفثات .

وفي ص ٩ وعقلة المستوفز فسر العقلة بالعقال والمستوفز بالمستعجل . وهو المساعد منتصباً غير مطمئن يقال اطمنن فإني اراك مستوفزاً .

وهذا من كلام ابن الرومي . والذبي في ديوانه وطقة المستوفز . وفي امالي القاضي  
ونيزة ما مثلها .

وفي ص ١٣ وعقلة الطي وحف المقل . وهذا من كلام المتنبي . وقد فسر المقل  
بالظبية التي استبان حملها . وهو خطأ والصواب وحف النفل كما في ديوان المتنبي .  
وفيها : وقد رعتها اذ كان شعري رائعاً . وطرف مشبي عن عذارى ارمذ  
ضبط شعري بكسر الشين والصواب الفتح .

وفي ص ١٤ واسمه عمير بن شيمم بالباء الموحدة والصواب بالياء المثناة .

وفيها : ويقال للصقر قطامي وقطاني والصواب قطامي في الموضعين .

وفيها : حياء وتقيا . والصواب وبقيا كما في امالي القاضي .

وفيها : ما ظل مسلماً . والصواب ما ظل .

وفيها : لغر الثنايا . والصواب كغر الثنايا .

وفي ص ١٥ من كف ناظم . والصواب من سلك .

وفيها : رمين فانفذت القلوب . والصواب فاذن .

وفيها : الأجرى . وفي القاضي الاجوى . وعليه لا يصح تفسير الحيزوم بما اكتنف الحلقوم .

وفيها : الى هذا يتطرق : والظاهر . وهذا ينظر الى .

وفي ص ١٦ لرننا للهجتها . والرواية . لرؤيتها كما في الديوان .

وفيها : نغار السليم . والرواية السقيم كما ذكره في الذيل .

وفيها : سعدى . ضبطت بكسر الدال . وهي بفتحها .

وفي ص ١٧ ووافق فيه قطراً . والرواية ووافق منك قطراً كما في امالي القاضي .

وفيها : أو عصا زيد : ضبطت بكسر الزاي والصواب الضم .

وفي ص ١٨ من لؤلؤ تجنيه : والرواية تجلوه كما في الديوان .

وفيها : فسر الظلم بالشر . وهو ماء الاسنان ويريقها لا الشر .

وفي ص ١٩ العناج ضبط بفتح العين والصواب كسرهما .

وفيها القعب ضبط بضم القاف والصواب فقيها .

وفي ص ٢٠ انها الرشحاء . وفسرها في الذيل بانها كثيرة العرق وذلك من عيوب

- النساء . والصواب رسماء اي قليلة لحم العجز والنخدين .  
 وفي ص ٢١ الكتبة بضم الكاف وسكون الباء والصواب سكون التاء وفتح الباء .  
 وفي ص ٢٢ بقافية انفاذا وفي ديوان جرير بقارعة .  
 وفيها : فرى هندواثي وفسر الفرى بالثقي والصدع وفي الديوان فرى بالقاف وهو الصواب  
 وفي ص ٢٣ فسر الدمنة بمربط الخليل والابل . ولا يخفى ما فيه .  
 وفي ص ٢٤ فسر القوام بكسر القاف . بالتقوم ولم اره لغيره .  
 وفي ص ٢٥ قال : يفري الشعر بمحوه ومحو الشعر كناية عن غاية الابداء . والمعروف  
 فري الشيء قطعه وشقه .  
 وفيها : ولكن لثيم لا يقوم له زند . والرواية ولكن هجين ليس يورى له زند .  
 وفي ص ٣٦ فانك لم يغير عليك كماجز وفي ص ٣٧ كفاجر . والمعروف في  
 البيت كفاخر .  
 وفي ص ٣٩ فسر الحجرة بالخصن . والصواب بمقد الازار ومن السراويل موضع التكة .  
 وفي ص ٤٠ وسيف لا ينبو . قال في تفسيرها والنبوة عدم الاصابة ويقولون لكل  
 جواد كهوة ولكل سيف نبوة . والصواب ان يقال نبا السيف عن الضريبة اذا كلت وارتمت  
 عنها ولم يمض .  
 وفي ص ٤٢ وكان قد جزع المزاد ذكره في موضعين بالزاي والصواب المذاد بالذال .  
 وفي ذيلها . فسر الضراب بالمطاردة . وقال فيه . الدكادك جمع دكدك والظاهر  
 ان الدكادك جمع دكدك واما دكدك فجمع دكدك .  
 وفي ص ٤٥ ونجبل فحل لا يقرف . فسر في الذيل بقوله . لا يقرف من القراف  
 بالكسر وهو داء يقتل البعير يريد انه قوي متين لا تقربه الادواء . وما ابعدها هذا التفسير  
 عن قول الاصل . ان العود من لحائه والولد من ابائه والله انه لنبات اصل لا يخلف ونجبل  
 فحل لا يقرف وظاهره انه من القرفة يقال اقرف الرجل اذا من الهجنة والاقراف من قبل الفحل  
 والهجنة من قبل الام . والمقرف من الخليل المهجين وهو الذي امه برزونة وابوه عربي وقيل  
 بالعكس والمقرف ايضا النذل قال الشاعر :

فان بك اقراف فمن قبل الفحل

- وفي ص ٤٦ ان العباءة لا تملك وان يملك من فيها والصواب وانما يملك .
- وفي ص ٤٧ فصول القول والصواب فضول .
- وفيهما : والنقرى دعوة الفرد والمعروف دعوة بعض دون بعض .
- وفيهما : لا ترى الآدم فينا ينتقر . والصواب الآدب .
- وفيهما : قال في تفسير بيت زهير وهل ينبت الخطي الا وشيحه .
- الوشيج عروق القصب . ومن البين ان المراد بالوشيج هنا شجر الرماح .
- وفي ص ٤٨ مقامات حسان وجوهها . والرواية وجوههم .
- وفيهما : فلم يفعلوا او لم يلوا ولم يألوا والصواب ولم يلجوا .
- وفي ص ٥١ سرك من ذمك . والظاهر . سرك من دمك .
- وفيهما : بدن لا يشتكي مثل مالا يزكي . والظاهر مثل مال لا يزكي .
- وفيهما : هل مُتَعَدِّنٌ سَالِمًا . الى آدم ام هل مُتَعَدِّنٌ ابن سالم ضبط تعد بالبناء للمفعول في الموضوعين وظاهر انها بالبناء للفاعل .
- وفيهما : عن عدو في ثياب صديق بضم القاف والصواب كسرهما .
- وفي ص ٥٢ العرائن الاوائل ، والاولى تفسرها بالسادة والاشراف .
- وفي ص ٥٣ وكيف ايجازها وتحسيرها وفسر التحسير بالايداء والمناسب للمقام .
- وتحجيرها ، من حبر الكلام .
- وفي ص ٥٧ في وصف الدنيا والمنزل ثلعة والدار قلعة وقد فسر القلعة بالحصن ، والصواب الانتلاع يقال الدنيا دار قلعة بضم فسكون اي انتلاع وتحويل وهو المناسب لأول الكلام ، خلق الدنيا للفناء فجددها بال ونعيمها مضجحل .
- وفي ص ٦٢ نظر الفتيق الى الهجان المصعب ، وقال في الذيل والفتيق السمين والهجان البيض ، والصواب الفتيق بالنون وهو الفعل المكرم الذي لا يركب ولا يهان لكرامته ، والهجان الكرام ، وهو المناسب للبيت وما قبله .
- وفيهما : العين الشنفرى ، والظاهر المنقري .
- وفي ص ٦٤ وسلت سخيمات الصدور فعالك الكريم ، والصواب وسل .
- وفيهما ذبول العصب ضبطت بضم العين وهي بالفتح .



- وفي ص ٦٥ تسح ترايه ، والصواب يسح .  
 وفي ص ٦٦ في وصف سيف .  
 وتراه معتماً اذا جردته بدم الرجال على الادم الفاقع  
 فسر الفاقع بشديد الصفرة وقال معتم جمد الدم عليه ، والصواب ان الفاقع هنا الاحمر  
 يخلط حمرة يياض او الخالص الحمرة .  
 وفيها : اذا جردته والصواب جردته .  
 وفي ص ٦٧ مزبد يجري بالزبد والاولى يقذف بالزبد .  
 وفيها : الرود الجميلة الوافرة الحياء والصواب الشابة الحسنة .  
 وفيها : الشواجر ، القواطع او الروابط ، والاولى متداخلة يقال رماح شواجر مختلفة متداخلة  
 وفي ص ٦٨ مالي رأيت ثراكم ببسالة ، والرواية ببسابة وهو المناسب .  
 وفيها : وابنة الرق الحية والدؤلول السم ، ولم اجد الدؤلول ، والظاهر انها محرفة عن  
 الدؤلول بالدال المهملة يقال وقعوا في دؤلول اي شدة وامر عظيم وبنيت الرق الداهية ،  
 وفي تفسير الكلمات خطأ وفي تفسير المعنى خطأ آخر يظهر للمتأمل .  
 وفي ص ٧٢ للماراة والصواب للماراة .  
 وفيها : المرو الحجارة السود والصواب البيض .  
 وفي ص ٧٤ ان رأيك اذا احتجب اليه ، والصواب احتجبت .  
 وفي ص ٧٥ ولي نظر لولا الفخرج عازم ، وقال في تفسير عازم اي طامع . والرواية  
 عازم اي شديد حاد .  
 وفيها : فسر المهابة بالظبية ، وهي البقرة الوحشية .  
 وفي ص ٧٧ او ينأى عنهما رفدك ، وشياق القول يدل على ان الاصل ، ولا ينأى .  
 وفي ص ٧٨ فاطمعي اولك في أخائك ، والصواب فاطمعي .  
 وفي ص ٧٩ وازمي من وراها ، والصواب من رماها .  
 وفي ص ٨٨ جذب بضعه : نوه به ، والاولى انعشه .  
 وفي ص ٩٠ اذا عم بالسراء عم سرورها ، والصواب اذا مس بدليل الشطر الثاني وان  
 مس بالضرء .

- وفي ص ٩١ ورهن المتكفين والصواب وهن .
- وفي ص ٩٢ في الف قرن ، والصواب قران .
- وفي ص ٩٣ تريد تخمير اللفظ وقال : المراد من تخمير اللفظ التروي في تخميره كما تخمر الخمر لتجود ، والصواب تخمير اللفظ كما ذكره الجاحظ في البيان والتبيين فلا حاجة الى هذا التخمير .
- وفي ص ٩٥ ومثله الجؤشوس ، والصواب الجؤشوش .
- وفي ص ٩٦ وقال ابو داود ، وقد اعيد في ص ٩٧ والصواب ابو داود كما في البيان والتبيين .
- وفي ص ٩٧ بجميع عدة السن الخطباء ضبط بكسر عدة عين والصواب ضمها .
- وفيها : وسعلة بكسر السين والصواب ضمها .
- وفي ص ٩٨ تلخص المتببس والصواب تخلص .
- وفي ص ٩٩ مطرطا والصواب مطرحا .
- وفيها : افنته ما قرت حياضك والصواب افناه .
- وفيها : قرت ، اخذت ، والصواب جمعت يقال قرى الماء في الخوض جمعه .
- وفيها : فيض العقول ، والرواية صوب العقول .
- وفي ص ١٠٣ في وصف النسخ ، ثم تستبرأ باعادة النظر فيها قال ، تستبرأ : يتجفف ، والصواب ان يكون من قولهم استبرأ الأمر طلب آخره ليقطع الشبهة عنه ، ولا معنى هنا للتجفف باعادة النظر .
- وفي ص ١٠٤ ووصل جوهر معانيه والصواب وفصل كما في المفتاح وغيره .
- وفيها : الودم : الدلو ، والصواب ان الودم جمع وذمة وهي سير بين اذان الدلو واطراف العراقي .
- وفيها : الدخاريص فتمات الازرار ، والصواب ان الدخاريص ما يوصل به البدن ليوسعه وهي البنية ولم ار من ذكر انها فتمات الازرار .
- وفيها : البروز : الاطراف الرقاق ولم ار من ذكرها كذلك .
- وفي ص ١٠٥ استطلقت طبيعة الغباوة فشني من سوء التفهم واورث صحة للعوام ،

وصواب العبارة فاستطلقت طبيعته العبادة فشنفي من سوء التورم واورث صحة التفهم .  
 وفيها : انه لعجيب ان يرى السكاكي ان التخنث صنعة ١٠٠٠ . واعجب منه ان يحكم  
 الاستاذ المبارك على السكاكي بذلك مع ان هذه الجملة لم ترد في كلام السكاكي كما يظهر  
 ذلك بادنى نظر في كلام السكاكي .

وارى ان اجتزي بهذا القدر من الجزء الأول حتى لا يمل القاري وانا على ثقة ان  
 ما لم اذكره اكثر مما ذكرته وعسى ان اعود الى سرد ما فيه خدمة لهذا الكتاب .  
 « الجزء الثاني »

في اول صفحة منه وهي رقم ٣ الكريم لا يحظر ضبطها بضم الياء و كسر الظاء والصواب  
 فتح الياء وضم الظاء .

وفيها : الفتيق الفحل الهاجج ، وقد اسلفنا انه الفحل المكرم ، ولم نعلم من اين جاء الاستاذ بالهاجج  
 وفي ص ٤ كالعود المطرى ، ضبطها بفتح الميم وسكون الظاء و كسر الراء ،  
 والصواب المُطْرَى .

وفيها : الحزور السريع الى اكرام الضيف وهو خطأ فان المراد مجزور في هذا البيت  
 رجل بعينه كان وكيل القاسم بن عبد الله على مطبخه وفيه يقول ابن الرومي الايات ، كما  
 ذكر ذلك صاحب التاج .

وفيها : دمع العيان والصواب العيون .  
 وفي ص ٥ فاستنزته حمة القرم ، قال في شرحها الحمة ابرة العقرب بلسعها من بلسه ،  
 ومن البين ان الحمة هنا بمعنى الشدة ، اذ لا ابرة للقرم ولا لسع .

وفي ص ٦ ويتسايل جوذابه مرقاً ، فسره فقال الجوذاب خبز يوضع في التنور ومعه  
 طائر او لحم ، وهذا لا مرق فيه ، وفي القاموس الجوذاب طعام يتخذ من سكر ورز ولحم  
 وقال في التاج في مادة ذبج وقد جاء منها الذوباج مقلوباً عن الجوذاب وهو الطعام الذي  
 يشترح ومنه ما اطيب ذوباج الارز بجاجي الأوز ، يريد ما اطيب جوذاب الارز بصدور  
 البط ونحو هذا في اللسان ، وليس فيه خبز .

وفي ص ٨ غبا والصواب غيبا .  
 وفي ص ١٠ وضروب النور والصواب وظروف النور .

- وفيها : في ييادق الذهب والصواب بنادق .  
 وفي ص ١١ على ابي محذر والصواب محرز .  
 وفي ص ١٤ النخيرة في موضعين ٦ والصواب النخيزة .  
 وفيها : منشد التقربض والصواب القربض .  
 وفي ص ١٧ بندس بكسر الدال والصواب ضمها .  
 وفيها : صفن بكسر الفاء والصواب فتحها .  
 وفيها : ان استوقف فطن وانرعى ابن ٦ قال ابن قزوين والصواب فطن بالقاف وابن ٦  
 كلاهما بمعنى اقام .  
 وفي ص ١٨ ام النجوم الشوابك . هي الشمس . وفي التاج واللسان ام النجوم الهجرة  
 لانها مجتمع النجوم .  
 وفي ص ٢٠ وصلت اصلت والصواب وصلب صآب .  
 وفيها : متوحش والصواب متوجس .  
 وفيها : الدقيقتان . صفة للساقين والصواب للأذنين لان التوجس تسمع الصوت  
 الخفي وهذا يكون بالأذنين لا بالساقين .  
 وفي ص ٢١ نبات نعش ملبب . ضبط نعش بفتح الشين وملبب بتشديد الباء الاولى .  
 والصواب جر نعش وتوينها وضبط ملبب بغير تشديد ٦ يقال الب الدابة فهي ملبب وملب<sup>٢</sup>  
 مككرم ومحب .  
 وفيها : مداوك الصيقل : ادوات كالماون وغيره . وفي كتب اللغة المدوك حجر  
 يسحق به الطيب .  
 وفي ص ٢٢ وغذاره والصواب وعذاره .  
 وفي ص ٢٣ كخصوة العيب والصواب كخصوة  
 وفيها : القارح الفرس القوي ٦ والقارح المسن  
 وفي ص ٢٤ حرة آذانها ٦ والصواب حشرة اي لطيفة  
 وفيها : السج السواد ٦ والصواب خرز أسود  
 وفي ص ٢٥ اللهوات مجاري الخلق ٦ واللهاة اللحمه المشرفة على الخلق

- وفي ص ٢٦ ويوم كلون العاشقين ، والصواب كليل العاشقين  
 وفي ص ٢٧ يحضر بضم الياء والصواب فتحها  
 وفيها : قلت البقرة في رأس الورك ، والذي في التاج والقلت ما بين الترقوة والعنق ،  
 والقلت المطمئن من الخاصرة ، وفيه وفي اللسان ، قلت الفرس ما بين لهواته الى عنقه ،  
 ولعلها محرفة عن النقرة  
 وفي ص ٢٨ لين المرذعين ، ولا معنى لهذا اللفظ والظاهر انه محرف عن المرذغتين  
 والمرذغة ما بين العنق الى الترقوة  
 وفيها : لين الفرق ، والظاهر انه العرف  
 وفي ص ٢٩ الجحظة من ذوات الاربع هي الشفة من الانسان والصواب كالشفة أو مثل الشفة  
 وفيها : والشظا عظم لاحق بالذراع ، والصواب لاصق  
 وفيها : وأحوال عاذرة ، والاولى غاذرة  
 وفي ص ٣٠ تبادره ، بضم الراء والماء وبه يخزل الوزن ، فالصواب إسكان الماء  
 وفي ص ٣١ لم شيئاً ، والصواب لم يكن شيئاً  
 وفيها : وري يونس ، والصواب ورؤي  
 وفي ص ٣٤ سلسلة النظام ، والصواب سلسلة  
 وفيها : يا ابن القرم ضبط بكسر القاف ، والء واب الفتح  
 وفي ص ٣٥ قال يزيد حوراء ، والصواب ابن حوراء  
 وفي ص ٣٧ قدمت عتبة ببغداد ، والصواب بغداد  
 وفي ص ٣٨ في سماع ، والصواب في سماع  
 وفي ص ٤٠ ولا ترد الغربان الا وماؤه ، والصواب ولا ترد الغدران الا وماؤها  
 وفيها : ويوماً بالاسنة اكهباً ، والرواية بالسنور اكهباً  
 وفيها : تردي غواربها العدى ، والرواية تردي غواربها القنا  
 وفيها : في بلاميع ، والصواب بلامع جمع بلع  
 وفيها : حمل اللائمة ، والصواب اللائمة  
 وفيها : عن الصلة الى القطمية ، والصواب القطمية

- وفي ص ٤١ من القضية الدالة ، والصواب الذميمة الدالة  
 وفيها : الحاجد ، والصواب الجاحد  
 وفي ص ٤٢ عكف الدهر بهم فثووا . وبه يحتل الوزن ، والصواب عليهم  
 وفيها : الحر تحمل الشكر ان اجناه ، والصواب نحل  
 وفي ص ٤٣ وهي تلفهم ضبطت بفتح الفاء ، والصواب ضمها  
 وفي ص ٤٤ فخرج ، والصواب فخرج  
 وفيها : بيض بائقه ، والصواب بنايقه  
 وفي ص ٤٦ وروى حاضرآ ، والصواب وروض حاضر  
 وفيها : لقد انتت سلوي ، والصواب انتت مساوي  
 وفيها : وما اشتبهت سهيل المجد ، والصواب طريق كما في ديوان ابي تمام ، ولعل  
 أصلها سبيل  
 وفيها : عابر الانباء ، وفي الديوان عائر الانباء  
 وفيها : ثنا خير كان القلب منه يجربه ، وهو خطأ وأصل البيت ثنا خير كان القلب  
 امسى يجربه  
 وفي ص ٤٧ ابن دواد ، والصواب ابن ابي دواد  
 وفي ص ٤٨ لم يكن فرضه ، والرواية فرصة  
 وفيها : وليس لقولة ، والصواب لرهبة  
 وفيها : تهايمي ، والصواب تهايمي  
 وفي ص ٤٩ على أبدي ، والصواب يدي  
 وفيها : لعنة الله ، والصواب لعنه  
 وفي ص ٥١ واما المختار ، والصواب المختار  
 وفيها : ابن نهراق ، والاولي مهرا  
 وفي ص ٥٣ ورجع الى العشرة وابناء المودة ، والصواب وآب الى المودة  
 وفيها : ولا يستحسن ، والصواب يستحسن  
 وفي ص ٥٤ ومتع من عضل الامات كما متع من وأد البنات ، والصواب منع في الموضعين

- وفيهما : تعالى حده ، والصواب جده  
 وفي ص ٥٥ كمثل هذي ، والصواب كن فقدنا  
 وفيها : قال الرومي ، والصواب ابن الرومي  
 وفيها : فان يجن بعهد ، وفي الديوان فان تبعن  
 وفي ص ٥٦ وشتم ، والصواب وشتمهم  
 وفيها : تضرع ، والصواب ضم الراء  
 وفي ص ٥٩ هزئون ، والصواب هزأون  
 وفي ص ٥٩ في عيني اليمن ، والصواب اليمنى  
 وفيها : ان اللائمة ، والصواب الأئمة  
 وفيها : من وحشيه ، والصواب وحشية  
 وفي ص ٦١ لا احسبه كما وصف ، والصواب لأحسبه  
 وفيها : شرح ، والصواب شرح  
 وفيها : اذا كنت في القوم الطوال فطلتهم ، والصواب فضلتهم كما في امالي القاضي  
 وفي ص ٦٢ ونصيف من الرجال . ولا معنى له ، والظاهر انه محرف عن قضيف وهو  
 الدقيق العظم القليل اللحم  
 وفيها : دعوا التجاجؤ ، والصواب التجاجؤ  
 وفيها : يمخذي نعم السبت ، والصواب نعال  
 وفيها : وكنا اذا ما الخائن الجدره . سنى برق غاد ، والصواب الحسان الجدر .  
 سنا برق غاو . كما في كامل المبرد  
 وفي ص ٦٤ وبالقوادم والخواني قوة النجاح . والصواب الجناح  
 وفيها : والجزع على الاموات غناء . والصواب عناء  
 وفي ص ٦٥ وعلى الصنو من ذريته ، والارلى وعلى الصفوة  
 وفيها : ومفزع الوري وحسنه العالم . والصواب وجنة العالم  
 وفي ص ٦٦ في نظام من النهى ونضاح . والصواب ونصاح  
 وفي ص ٦٧ يلثمه بنمه تفضله والصواب بفضله

- وفيها : يتسم الحمد بسميته ٤ والصواب بسميته  
 وفي ص ٦٨ الذي يد في الفضل والصواب في بد الفضل .  
 وفيها : قال في شرح الادعي : الادعي بيض النعام والصواب مبيض النعام .  
 وفي ص ٦٩ طبقة المتكئين . والصواب المتكئين .  
 وفي ص ٧٠ ضبط لحاقه بكسر اللام والصواب فتحها .  
 وفي ص ٧١ لا يذهب الخبر ماله . والصواب لا يذهب الخبر .  
 وفيها : لا يتفد فيها ماله . والصواب بتفد .  
 وفي ص ٧٢ ثقابة المعرفة والظاهر اتقانه المعرفة .  
 وفيها : في المهامة . والصواب في المهامة  
 وفي ص ٧٣ شفاء نفسي منك تخميشة . والصواب تخميشة  
 وفي ص ٧٤ تمت بهن شمائل . والصواب نمت  
 وفي ص ٧٦ وريم على السكر خمشته . والصواب جمشته  
 وفيها : ونسب لا يجفى . والصواب لا يجفى  
 وفي ص ٧٧ لم ينس علم ما . والصواب ما علم  
 وفي ص ٧٨ عشر بنين والصواب عشرة  
 وفيها : عبيد او موالي . والصواب موالي  
 وفي ص ٨١ رأى السلطان . والصواب السلطان  
 وفي ص ٨٢ وذو عينين بفتح احدهما والصواب احداهما  
 وفيها : فلا رأي للمحمول الا ركوبها والمعروف فلا يسع المضطر  
 وفي ص ٨٣ كما تتأني . والصواب تتأيا  
 وفيها : اذا عض منيه الثغاف تأدوا . والصواب تأودا  
 وفيها اذا ازدت والصواب ازددت



## مصطلحات علمية

- ٢ -

- [ ٣٠ - Aberration — الكدورة ]  
 [ ٣١ - Stigmatisme — الرشاد ]  
 [ ٣٢ - Astigmatisme — الأطوح ]

الأشعة الضوئية التي تصدر من نقطة مضيئة واحدة وتتكسر في عدسة بلورية فهي لا تلتاق في نقطة واحدة ولذا لا يكون خيال النقطة نقطة صافية مثلها وإنما يكون بقعة كدرة تزيغ البصر فعبروا عن ذلك بـ ( Aberration ) بمعنى التيه والضلال لأنه ينشأ من ضلال الأشعة وعدم تلاقيها في نقطة واحدة وحيث ان المراد من التعبير نعت الخيال لانعت الأشعة فقد ترجمت هذا الحال «بالكدورة» والمراد كدورة الخيال . ثم عبروا عن حالة الآلات التي تستطيع ان تجعل خيال النقطة نقطة مثلها بـ Stigmatisme من Stigmatos اليونانية ومعناها «النقطة» فعبرت عن ذلك «بالرشاد» لرشاد الأشعة اذ ذلك بتلاقيها في نقطة واحدة ، واما الآلات التي لا تستطيع ان تجعل خيال النقطة نقطة مثلها ( ومنها عين الانسان ) فقد عبروا عن حالتها بـ Astigmatisme فالصدر a في هذه الكلمة لفظ يوناني يفيد العدم فترجمتها «بالأطوح» وهو ضد الرشاد .

- [ ٣٣ - Punctum remotum — نقطة المدى ]  
 [ ٣٤ - Punctum proximum — نقطة الكتب ]

Punctum كلمة لاتينية معناها النقطة و Remotum معناها البعيد فيراد بـ Punctum remotum أبعد نقطة تستطيع العين ان تراها بلا تعب فترجمتها بـ «نقطة المدى» تقول مدى البصر اي منتهاه وغايته واما proximum فعناه «القريب» ويعبرون

ب Punctum proximum عن أقرب نقطة تستطيع العين رؤيتها فترجمتها ب «نقطة الكشَب» .

[ Emmétropie — اعتدال البصر ]	— ٣٥
[ Myopie — الحُصور ]	— ٣٦
[ Hypermétropie — الطمس ]	— ٣٧
[ Presbytie — الادرهمام ]	— ٣٨
[ Astigmatisme — الطُوح ]	— ٣٩

Emmétropie كلمة مركبة من Emmétros اليونانية ومعناها «المطابق للمقياس» ومن ops اليونانية ايضاً ومعناها النظر فيكون المعنى «النظر المطابق للمقياس» فعبروا ب Emmétropie عن حالة العين السليمة فترجمتها «باعتدال البصر» و Myopie أصلها Myopia اليونانية وهي مركبة من Myein ومعناها غمض عينه ومن ops ومعناها النظر فيريدون ب Myopie حالة العين التي لا ترى الاشياء البعيدة واضحة بل تتكلم اذا نظرت اليها فترجمتها «بالحُصور» (بالغمض) ، يقال حُصرت العين (بفتح السين) اذا كلت لبعده الشيء الذي حدثت اليه ، والمصدر حُصور لا حُصرت كما جاء في بعض الكتب لان المصدر حُصير (بالكسر) بمعنى تلمف .

و Hypermétropie مركبة من المصدر Hyper وهو يفيد شيئاً من الإفراط ومن Métron ومعناه المقياس ومن ops ومعناه النظر كما تقدم فيعبرون ب Hypermétropie عن حالة العين التي تتكلم من النظر الى الاشياء القريبة فيضطر صاحبها الى انظر الى تلك الاشياء من بعيد فعبرت عن هذه الحالة بالطمس ، لانه يقال طمسَ بعينه اذا نظر نظراً بعيداً ، والطمسُ النظر الى الشيء من بعيد (تاج العروس)

و Presbytie مأخوذة من Presbutès اليونانية ومعناها الشيخ الكبير وقد عبروا بهذه الكلمة عن حالة العين التي ترى الاشياء القريبة كدرة والبعدة واضحة ولما كانت هذه الاشياء تحدث في الشيخوخ سُموا بذلك وقد ترجمتها الى العربية بالادرهمام لانه يقال ادرم فلان اذا كبر سنه ويقال ادرم بصره اذا أظلم ومن حسن الصدق ان اللفظ العربي يفيد من اللفظ الأعجمي معنيته اللغوي والاصطلاحي .

و Astigmatisme حالة العين التي ترى الخطوط الأفقية مشوشة والقائمة واضحة او بالعكس فعبرت عن هذه الحالة بالطوح (بالفتح) (راجع الكلمة رقم ٣٢) .

٤٠ — [ Poêle — المصطلى ]

٤١ — [ Calorifère — المَحْرَر ]

٤٢ — [ Radiateur — المُشْرِعة ]

Poêle هو المعروف عند عامتنا (بالصويبة) العربية من التركية وقد ترجمته بالمصطلى من اصطلى بالنار اذا استفأ بها وقد ورد هذا اللفظ في كتب اللغة فاستعماله خير من توليد لفظ جديد .

و Calorifère مركبة من Calor اللاتينية ومعناها الحرارة ومن Ferre اللاتينية ايضاً ومعناها أقلّ ويعبرون بـ Calorifère عما تنولديه الحرارة في طريقة التدفئة المسماة بالتدفئة المركزية فترجمت الكلمة المذكورة بالمَحْرَر على صيغة اسم المكان .

ولاجل Radiateur (راجع الكلمة رقم ٢٢) .

٤٣ — [ Pendule — النواص ]

Pendule عبارة عن ثقل معلق يترجع<sup>(١)</sup> فعبرت عنه بالنواص (بصيغة المبالغة) من ناس الشيء اذا تذبذب متديلاً (لسان العرب)

٤٤ — [ Force centripète — القوة الجاذبة ]

٤٥ — [ Force centrifuge — القوة النابذة ]

٤٦ — [ Centrifugeur — الخاضة ]

اذا ربطت حجراً بطرف خيط واخذت في تدوير الخيط كالمقلاع تولد هناك قوتان : قوة تجذب الحجر نحو يدك وقوة تدفعه الى بعد فعبروا عن الاولى بـ Force centripète من Centrum اللاتينية ومعناها المركز و Petere ومعناها الكسب فترجمت Force centripète بالقوة الجاذبة من جذب الشيء اذا جذبته لان هذه القوة تجذب الحجر نحو المركز وهو طرف الخيط مما يلي يدك وانما اخترت الجذب دون الجذب ليكون خاصاً بهذه القوة فالجذب أعم وعبروا عن القوة الثانية بـ Force Centrifuge من Centrum

(١) اي يتذبذب .

اللاتينية وقد تقدم ذكرها و Fugere بمعنى الفرار فترجمت Force centrifuge بالقوة النابذة من نبد الشيء من يده اذا طرحه ورمى به .  
و Centrifugeur آلة تستخدم فيها القوة النابذة لاجل سرعة ترسيب ما يكون في المائع مما هو أثقل منه فعبرت عنها بالخطأضة ( بالتشديد ) .

٤٧ — [ Mire — المستهدف ]  
[ Voyant — الشاخص ]

Mire عند المهندسين مسطرة طويلة ينصبها أحدهم لينظر اليها الآخر من وراء آلة التسوية فعبرت عن تلك المسطرة بالمستهدف من استهدف له الشيء انتصب وذلك تخفيعاً بهذا المعنى لان Mire يطلق على غير ذلك ايضاً و Voyant لوح مربع في ظهره حلقة تدخل في المستهدف فيشد اللوح فيه فترجمت ذلك اللوح بالشاخص .

[ Balance — الميزان ]  
[ Balance romaine — القبان ]  
[ Peson — الميزان ] — ٤٨  
[ Bascule — القذائف ] — ٤٩  
[ Dynamomètre — الريعة ] — ٥٠  
[ Barorsope — الرايزة ] — ٥١

Balance و Balance romaine معلومان . اما Peson فهو آلة ذات نابض<sup>(١)</sup> يعاقي بها مايراد وزنه فيقدر ثقله على حسب امتداد نابضها به فعبرت عنها بالميزان (بالكسر) من رزنه اذا رفعه لينظر مائقله واما Bascule وهو ميزان الاثقال فقد ترجمته بالقذائف ( بالتشديد ) وهو الميزان وذلك تخصيصاً به ، واما Dynamomètre فاصلها من Dunamis اليونانية ومعناها القوة ومن Métrons ومعناها المقياس والمراد مقياس القوة فعبرت عنها بالريعة لان الريعة في الأصل حجر تقيمن باشالته القوى .

وأما Barorsope فهي مركبة من Baros اليونانية ومعناها الثقل ومن Skopein ومعناها فحص وقد اصطلحوا بـ Baroscope على آلة تكشف القوة الدافعة التي تقع

(١) تريد بالنابض ما تقول له العامة زبرك المغرب من الفارسية .

من الهواء ( أو من أي غاز كان ) على الأجسام الغائصة فيه ولما كان المعنى اللغوي من كلمة بارسكوب « فاحص النقل » ترجمتها « بالرائزة » من رازة روزاً اذا رفعه ليعرف نقله .

٥٢ — [ Dialyse — الميز ]

٥٣ — [ Dialyseur — المائزة ]

٥٤ — [ Osmose — التروح ]

Dialyse من Dialysis اليونانية ومعناها الانحلال أو الحل ويريدون بها انفصال المواد الكيميائية بعضها عن بعض وهي منخل في الماء مثلاً وذلك بان ينفذ بعضها الأغشية ذات المسام والآخر لا ينفذها فترجمت هذه الكلمة بالميز ( بالفتح ) من مازة ميزاً اذا عزله وفرزه عن غيره وترجمت Dialyseur بالمائزة .

واما Osmose فهي من Osmos اليونانية ومعناها الدفع ويصطلحون بهذه الكلمة على خاصة يتخالط بها المائتان المنفصلان بمضهما عن بعض بشاء ذي مسام بان ينفذ أحدهما أو كلاهما الغشاء ليصل الى الآخر فعبرت عن هذه الخاصة بالتروح وهو الرشح تقول نضح الماء من الاناء اذا تحلب وخرج من مسامه وقد عبر بعضهم عنها بالحلول على اني لم أجد مناسبة بين معنى الحلول والمعنى المقصود .

٥٥ — [ Fontaine avec jet d'eau — النضاخة ]

يقول بعضهم لعين الذي ينبع ماؤها من سفلى الى علو فوارة وبعضهم نافورة وغير ذلك مع انه ليس في هذه الألفاظ ما يفيد نبعان الماء من سفلى الى علو فأوفق تعبيرها : « النضاخة » على ما أرى لانه جاء في معاجم اللغة نضغ الماء ما كان منه من سفلى الى علو .

٥٦ — [ Casse - noix — البداعة ]

Casse - noix آلة لكسر الجوز أو اللوز ترجمها بعضهم بالمرضاح أو بالمرضاخ أو الفهر أو مكسر الجوز أو غفور الجوز مع ان المرضاح الحجر يكسر به الحصى أو النوى والمرضاخ كالمرضاح وزناً ومعنى والفهر الحجر قدر ما يندق به الجوز وليس لاحدى هذه الكلمات معنى يلائم المراد فرأيت أن تترجم Casse - noix بالبداعة لانه يقال بدغ الجوز واللوز كسره .

[	Diézer — الصدح	]	— ٥٧
[	Bémoliser — الترخيم	]	
[	Si dièze — سي صادح	]	— ٥٨
[	Si bémole — سي رخيم	]	— ٥٩
[	Harmoniques — مدروجة	]	— ٦٠
[	Musical — رنيمي	]	— ٦١

من المعلوم في علم الغناء ان ارتفاع الأصوات الغنائية يزداد في تدريج فيكون بين كل صوت والذي أرفع منه فرق في الارتفاع يقال له مسافة وهي اما كبيرة فيقال لها «بردة» واما صغيرة فيقال لها «عربة» وهي تكاد تكون قدر نصف بردة الا انه يضطر المغني أحياناً الى ان يحدث بين صوتين بينهما بردة صوتاً متوسطاً ينفرد عن كل منهما قدر عربة ولاجل الحصول على هذا الصوت اما ان يرفع أغلب الصوتين قدر عربة واما ان يخفض أرفعهما قدر عربة فيقال للطريقة الاولى Diézer فعبرت عنها بالصدح من صدح صدحاً اذا رفع صوته بفناء والصدح حدة الصوت (المخصص) .

ويقال للطريقة الثانية Bémoliser فعبرت عنها بالترخيم من رخيم الصوت لان وسهل فعلية يترجم Si dièze مثلاً بـ (سي صادح) و Si bémole بـ (سي رخيم) .  
واما Armoniques فقد اصطلحوا به على الأصوات الغنائية التي يأخذ ارتفاعها في الازدیاد بنسبة كنسبة ازدیاد الأعداد من الواحد فصاعداً فعبرت عن هذه الأصوات «بالمدروجة» . وترجم Musical بالرنيمي .

### [ Ampoule — العجّابة ] — ٦٢

يعبرون بـ Ampoule عن زجاجة صغيرة يحصر فيها الدواء الذي يحقن تحت الجلد فعبرت عنها في العربية بالعجّابة (بالفتح) استعارة من حجاب الماء وهي أمة أخاته التي تعلمه وحجابه تجتمع على حجاب .

### [ Chlorophille — الكلورفيل ] — ٦٣

### [ Hémoglobine — الهيموغلوبين ] — ٦٤

Chlorophille كلمة مركبة من Khloros اليونانية ومعناها « اخضر » ومرتب

Phillon ومنها ورق الشجر فيريدون بـ Chlorophille المادة الخضراء التي في الشجر  
وخصوصاً في ورقه فترجمتها بالخضب (بفتح فسكون) اذ جاء في اللغة «الخضب خضرة  
الشجر» .

Hémoglobine مركبة من Haima اليونانية ومعناها الدم ومن Globus  
اللاتينية ومعناها الكرة ويقعدون بـ Hémoglobine المادة الملونة لكريات الدم  
فعبرت عنها: «بالعمانية» لان النمان من أسماء الدم والمراد «المادة العمانية» .

٦٥ — [ Capsule surrénal — الكُظُر ]

اذا أردنا ان نترجم التعبير الافرنجي بالحرف لزم ان نقول «الحقة التي فوق الكاية»  
على اني كنت عثرت في كتب اللغة على لفظ عربي واحد يفيد مدلول هذه الكلمة وهو  
«الكُظُر» (بضم فسكون) ومعناه الشحم على الكاية وقد كنت نشرت ذلك في مجلة  
الصحة العمومية التي كانت تصدر في دمشق منذ ١٢ سنة .

[	Volant — المَحَالَة	]	— ٦٦
[	Arbre de couche — الجُرُوع	]	— ٦٧
[	Tiroir — الجُرُور	]	— ٦٨
[	Excentrique — المخرف	]	— ٦٩
[	Courroi — المِجْرَة	]	— ٧٠
[	Hélice aérienne — المَعَارَة المَوَائِيَة	]	— ٧١
[	Turbine atmosphérique — العنفة الموائية	]	— ٧٢

Volant دولاب جسم يدور على محور المحرك لها كنة فاستمرت له المحالة (بالفتح)  
وهي في الأصل الدولاب الكبير أو البكرة الكبيرة .

Arbre de couche المحور الذي يدور عليه ذلك الدولاب فترجمته بالجُرُوع  
(بالضم ويفتح) وهو في اللغة المحور الذي تدور عليه المحالة .

Tiroir شيء في ما كنة الخار كلعبة بخر ذهاباً واياباً ليتناوب بذلك ضغط الخار  
وجهي المكبس فعبرت عن تلك اللعبة بالجُرُور (بالفتح) وهو فعول من الجر .

و Excentrique لوح صغير في ما كنة البخار مستدير او غير مستدير بدور على محور غير مار بوسطه بل منحرف عنه ولذا سميت «بالمنحرف» .

و Hélice آلة تدور في مؤخر الباخرة لتدفعها ومعنى Hélice في الأصل نوع من الأصداف فاستعير الى الآلة المذكورة لشبهها به فعبرت عن هذه الآلة بالمخارة (بالفتح) وهي في الأصل الصدفة أو نحوها من العظم ثم استعرتها لما يدور في مقدم الطائرة مع تقبيدها بالهوائية كما في أصلها الافرنسي .

و Turbine يراد به دولاب قائم المحور يدوره الماء فترجمته بالعنفة ( بفتح العين والنون ) فقد جاء في اللغة العنف الذي يضربه الماء فيدير الرمح<sup>(١)</sup> .

و Courroie يطلق في فن المكينك على رباط من جلد أو غيره يعقد طرفاه ويطوق به دولابان لينقل به الدوران من أحدهما الى الآخر تقول له العامة كشاط وترجمه بعضهم بالأسار أو السير أو البند مع ان في العربية كلمة يمكن تخصيصها بمذلوله وهي الحجر ( بكسر الميم وتشديد الراء ) فقد جاء في اللغة الحجر خيط غليظ يطوق به الدولاب ليدور بواسطته .

[	Transparent	—	شفاف	]	
[	Translucide	—	شاف	]	— ٧٣
[	Ombre	—	الظل	]	
[	Pénombre	—	الشعاع	]	— ٧٤

يريدون ب Transparent ما ترى الأشياء من ورائه باشكالها فهو الشفاف و ب Translucide ما ترى الأشياء من ورائه دون ان تدرك اشكالها فترجمه بعضهم بنصف شفاف مع انه لاحاجة الى هذا التكلف فالأرجح ان يترجم بالشاف<sup>(٢)</sup> لانه أقل شفوفاً من الاول فيخص به اسم الفاعل وتخص المبالغة بالأول .

و اما Ombre فهو معلوم و اما Pénombre فيريدون به الظل اللطيف فترجمه أحدم بشبه الظل وترجمه غيره بالظلميل (بالتصغير) مع ان عربيته الشعاع اذ جاء في اللغة الشعاع الظل غير الكثيف .

(١) تقول له العامة فرأش .



[ Pédal — الموطى ]	— ٧٥
[ Grade — المرقاة ]	— ٧٦
[ Diffusor — الناشر ]	— ٧٧
[ آرما — الرقيم ]	— ٧٨

Pédal ما يجعل عليه الحائك او شاحذ السكاكين<sup>(١)</sup> قدمه فترجمه بعضهم بالمداس أو الرجليّة أو الدوّاسة الى غير ذلك مع ان المداس الحذاء والدوّاسة الأنف فأصح ما يلائم المعنى على ما أرى « الموطأ أو الموطى » اذ هو في اللغة موضع القدم .

و Grade من مقاييس محيط الدائرة في علم الهندسة فعبرت عنه بالمرقاة .  
و Diffusor بوق من الورق المقوى يستعمل في الحاكي ( الفنراف ) فعبرت عنه

بالناشر .

و « آرما » — وهي تطلق في الشام على اللوح يعلق على الحانوت أو غيره مكتوباً فيه ( أي اللوح ) اسم صاحب المحل وصنعتة الخ — هي كلمة ايطالية الأصل استعملها الترك ثم انتقلت اليينا . فأرى ان مرادها العربي « الرقيم » اذ جاء في القرآن الكريم « أم حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا » قال المفسرون المراد بالرقيم لوح رصاص نقش فيه أسماءهم ونسبهم الخ .

[ Moment — ناتج ]	— ٧٩
[ Collimateur — موجته ]	— ٨٠

يعبرون بـ Moment في علم الميكانيك عما ينتج من فعل القوة وغيرها فترجمته بالناتج ومن مر كباته Moment de la force ( ناتج القوة ) و M. de l' inertie ( ناتج العطالة ) و M. du couple ( ناتج المزدوجة ) الخ فعليه ترجمت Résultante بالحاصلة .

واما Collimateur فهو آلة تدير أشعة الضوء الى جهة من الجهات فعبرت عنها

بالموجته .

[ Propagation de la lumière — انتشار الضوء ]	
[ Reflexion — انعكاس ]	»

(١) المعروف عندنا بالهائج .

[ انتشار الضوء — Diffusion de la lumière ]	
[ انكسار — Réfraction ]	»
[ انحراف — Déviation ]	»
[ تبديد — Dispersion ]	»
[ كدورة — Aberration ]	» — ٨١
[ انعراج — Diffraction ]	» — ٨٢
[ تداخل — Interférence ]	»
[ استقطاب — Polarisation ]	»

كل ذلك مصطلحات تتعلق بخواص الضوء في علم الطبيعة لا يسع المقام شرحها وفي بعضها شيء من التخصيص وإنما سنذكر كلمة عن Polarisation فقد جاء عن هذه الكلمة في لاروس ما مفاده ان مدلول Polarisation الاصطلاحي ليس فيه معنى القطب اصلاً وقد كان المراد ان تشتق الكلمة من Polein اليونانية ومعناها الدوران لان البلور الذي شوهدت فيه خاصة الضوء هذه لأول مرة كان يدار على نفسه لاجل مشاهدتها ، لكنه قد خطئ في الاشتقاق فجاءت الكلمة على هذا اللفظ اه ثم ترجمها بعض المصريين بالاستقطاب وأخذها الترك عنهم فانقلت اليها وشاعت حتى صار تغييرها متعذراً ولذا اضطررت الى ابقائها .

### ٨٣ — Psychromètre — مقياس الخصر

هو آلة تستعمل في قياس الرطوبة التي في الجو و Psychro كلمة يونانية أصلها Pusukhros ومعناها البرد فترجمت Psychromètre بمقياس الخصر ( بفتح الخاء والصاد ) وهو البرد .

[ vaséline — دهن النفط ] — ٨٤

[ Lanoline — دهن الصوف ] — ٨٥

كل من Vaséline و Lanoline مادة دهنية تستعمل في المراهم فالاولى تستخرج من النفط فسميتها بدهن النفط والثانية تستخرج من صوف الغنم فسميتها بدهن الصوف .

## [ Sillon — الذقبة ] — ٨٦

يعبر الافرنسيون عن أول ما يظهر من الجرب بـ Sillon ومعناه التلم لان الجرب ينبعث عن حشرة دقيقة تنقب بشرة الجلد فتدخل فتشفي تحتها فتجفر تلماً يؤدي الى الحك فترجم بعضهم Sillon بالتلم أو بالأخدود لكن الأصح ان يترجم — بالنظر الى مدلوله هذا — بالذقبة (بالضم) اذ جاء في اللغة النقبه أول ما يظهر من الجرب<sup>(١)</sup> وما يستدعي النظر في ذلك ان العرب كانوا يفقهون ان الجرب ينشأ من حشرة تنقب الجلد .

## [ Tarlatane — السحل ] — ٨٧

## [ Gaze — الشف ]

## [ Ouate — السبيج ] — ٨٨

## [ Hydrophile — نشف ] — ٨٩

يراد بـ Tarlatane كساء من قطن كثير الخفة والمعمات فأرى ان يترجم بالسحل (بفتح فسكون) جاء في المخصص السحل الثوب من القطن وجاء السحل ثياب بيض واحدها سحل . و Gaze كساء رقيق يحكي ما تحته عربيته «الشف» (بالفتح ويكسر<sup>(٢)</sup>) فاستعملها خير من التعريب . و Ouate يراد به في الطب قطن مندوف معرض مطبق بعضه فوق بعض يستعمل في تقييد الجراح فأرى ان يترجم بالسبيج وهو في اللغة المعرض من القطن ليوضع عليه الدواء ويوضع فوق جرح . و Hydrophile مركبة من Hudór اليونانية ومعناها الماء ومن Phyllos ومعناها الحب فيكون المعنى محب الماء فيقال Coton hydrophile و Gaze hydrophile فعليه تترجم Hydrophile بالنشف ( بفتح فسكون ) وهو ما ينشف الماء اي يشربه .

## [ Gant de Caoutchouc — الختاع ] — ٩٠

## [ Doigtier de — الختيمة ] — ٩١

Gant de caoutchouc قفاز من المطاط — (كوشوك) — يلبسه الجراح حين العمليات الجراحية فأرى ان يترجم بالختاع (بالكسر) وهو في الأصل كف من جلد الببازار خوقاً على يده من مخالب البازي الواحدة ختاعة . و Doigtier هسة من

(١) فقه اللغة للثعالبي . (٢) عاميته شاش .

المطاط كاصبع القفاز يلبسها الطبيب ليسبر بعض أجواف البدن فيمكن ان تستعار لها كلمة «ختيمة» وهي في الأصل قطعة من ادم يلفها الرامي على اصبعه .

[ Chape — الخُطَّاف ] — ٩٢

من معاني Chape الافراسية خشبتان أو حديدتان يستند اليهما طرفا محور البكرة أو الميزان أو غيرهما فالكلمة العربية التي تفيد هذا المعنى هي الخُطَّاف ( كَرْمَان ) اذ جاء في التاج الخطاف حديدة حجناء <sup>(١)</sup> تكون في جانبي البكرة فيها المحور وفي المخصص الخطاف الذي تجري البكرة فيه . « للبحث صلة »

الطبيب  
محمد جميل الخالفي

# الف ليلة وليلة

## تاريخ حياتها

- ٢ -

« من المحاضرة الثانية »

طريقة الكتاب وأسلوبه ٠ — كانت طريقة العرب في القصص ان يسردوا الاسمار والاحاديث على نمط يجعل كل حكاية قائمة بذاتها لا يربطها بما يسبقها ولا بما يلحقها علاقة ٠ وترون ذلك واضحاً في أمثال لقمان وكتب النوادر فلما نقلت الأفاصيص الهندية الى العربية في القرن الثالث عن طريق الفارسية ادخلت في ادبنا القصصي طريقة طريفة تجعل الحكايات سلسلة متناسكة الحلقات متعاقبة الخطوات متتابعة النسق ٠ وذلك على ضربين : الأول ان تعلق جميع الحكايات بحكاية أصلية تكون فاتحة لبدائها وسبباً لروايتها ابتغاء التهويق عن فعل ما لايجل ٠ وذلك في العربية مذهب كتاب الوزراء السبعة وكتاب كليلة ودمنة « اغلب كتاب الف ليلة وليلة ٠ وهو في الفارسية مذهب بختيارنامه وقصة جبار درويش وقصة نوروز شاه وكتاب طوطي نامه وانوار سبيلي مثلاً ٠ والضرب الثاني ان تروى الحكايات موزعة في الكتاب على عدة ابواب بحيث تكون الحكاية في أي باب من هذه الأبواب مقدمة لحكاية الباب الذي يليه ٠ ومن هذا الضرب في ادبنا كتاب سلوان المطاع في عدوان الاتباع لابن ظفر الصقلي المتوفى سنة ٥٦٥ ٠ وكتاب فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء لاحمد بن عمر بشاه الدمشقي المتوفى سنة ٨٥٤ ٠ في ادب الفرس كتاب مرزبان نامه لموزبان بن رستم بن شروين ٠ وقد ترجمه ابن عمر بشاه واستمد منه ٠ ذلك فضلاً عن الطريقة الفارسية التي احتدبناها في الافاصيص الغرامية المطولة ٠ فالف ليلة وليلة إذن يجري على ثلاث طرق : يجري على الطريقة الهندية في الحكايات المتداخلة المتسلسلة

حكايات الأصل وحكاية البنات الثلاث والصماليك الثلاثة وحكاية الخياط والاحدب والطيب وحكاية جان شاه وحكاية وردخان . . . الخ

ويجري على الطريقة الفارسية في الحكايات المفردة المجردة كحكايات العشاق في بعض اقصيص الأصل وما جرى مجراها من حكايات الطبقة البغدادية فانها مضروبة على قالب القصص الفارسي في الاعتماد على الحب الوهمي الذي يصيب ظرفاء الشباب على اثر طريف يزور في الكرى ، او صورة تعرض في الطريق ، او حكاية تلقى في المجلس . ثم يجري على الطريقة العربية الخالصة في الاقصيص الصغيرة المقتبسة من كتب الأدب كحكاية حاتم الطائي وحكاية معن بن زائدة وحكاية ابراهيم بن المهدي وحكاية خالد بن عبدالله القسري مثلاً ، اما أسلوبه فيختلف باختلاف الزمان والمكان والجنس والشخص ، فاذا حكمنا عليه فانما نحكم على جملة لا تفصيله ، وتوخى الصفات العامة في نقده وتحليله ، فهو في عمومته أسلوب سهل المأخذ مطرد السياق ، سوقي اللفظ ، مبسوط العبارة كثير الفضول كثير التضمين جري الإشارة لا يعرف الكتابة ولا يبقى الحياء ولا يصطنع التحفظ ، لأن سبيله سبيل العامة فهو يسير في ثمرتهم وفضولهم وسذاجتهم ومراحتهم وبلادتهم ولا يستطيع ان يكون الا كذلك . يسير سير الأعرج المفلوج وراء المذهبين الكتائبين اللذين راجعا على التعاقب في عهده وهما مذهب ابن العميد في العراق ومذهب القاضي الفاضل في مصر . فهو يسرف في الجمع ويكثر من انتباس الأمثال وتضمين الملح ، ويتطرق أحياناً بذكر مصطلحات النحو على سبيل التشبيه أو التورية كقوله في قصة قمر الزمان الثانية : « باتا على ضم وعناق ، وإعمال حرف الجر باتفاق ، واتصال الصلة بالموصول ، وزوجها كثنوين الإضاءة معزول » وهو بغالي في تضمين الايات في خلال الحكايات ويعين في ذلك غالباً حتى يمل . وترصيع النثر بالشعر اسلوب لا يألفه الأدب العربي ولا الأدب الفارسي ، وانما هو مميزة من مزايا الأدب الهندي ايضاً . . . اقتبسه الفرس ثم نقله كتابهم الينا في منتصف العصر العباسي وروجه في عهد بني بويه مؤلفو القصص ومنتشو الرسائل والمقامات كابن العميد والصاحب والبديع والخوارزمي ومن رسم خطاهم أو سار على هدام . وموضع هذه الاشعار يكون عادة في مواقف السرور والحزن والوصف وثوران العواطف . ولكن القصص يسي في الغالب استعمال التضمين فينطوي مواضع الاشعار ،

او يجهل محل المناسبة ، او يردد الايات نفسها سيف كل موقف . وقد تدفعه السماحة الى الاستطراد الغث فيقول :

وقال الشاعر ايضاً في المعنى ثم يورد ابياتاً لا يصلها بالموضوع سبب كما فعل في مقدمة علي نورالدين ومرج الزنارية مثلاً فانه حين وصف البستان لم يترك نوعاً من انواع الفاكهة الا ذكره وروى ما قيل فيه من الشعر حتى استغرق في ذلك خمس صفحات من الكتاب ! ان خير ما يمتاز به اسلوب الف ليلة وليلة هو الوضوح والصدق والصرامة والجازية ، فالعاني تسبق الالفاظ الى الذهن ، والصور تسبق الوصف الى الخاطر ، والشوق يبعث اللذة ويشير الاهتمام ويحرك الانتباه ويربط السامع او القارئ بموضوع القصة . على ان القصص يعالج التصوير والحوار بدقة وبراعة في كل ما يتصل بأحوال الشعب واخلاق العامة ، فاذا سما الى مقام الملوك والخاصة خاتمه قدرته وغلبت عليه بيئته وطبيعته ، فيفقد ما يسمى في الفن الكتابي بالصبغة المحلية وهي ان يسند الى الشخص ما يلائم طبيعته وطبقته وبيئته من قول أو فعل . فالأفاصيص الهندية والفارسية تشوبها روح القصص الاسلامية كحكاية قمر الزمان بن الملك شهرمان والحكايات البغدادية تظهر فيها اللهجة المصرية كحكاية ابي الحسن الخليل ، ثم نراه يجري على لسان الخليفة الرشيد ما يأتي عليه جلاله وكماله ان بقوله ويجعله يفعل ما لا يجوز في العقل ان يفعله ، كأن ينادي وزيره جعفرأ بقوله : يا كلب الوزراء ويكلفه في قصة الفتاة المقطعة بالمشور على القاتل في مدى ثلاثة ايام والا شنقه هو واربعين من بني برمك . وكان يخلع في حكاية علي نورالدين مع انيس الجليس حلة الملك ليرتدي مرقعة بالية قذرة لكريم الصياد فيفيض قلبها على اطرافه ، ويسيل قدرها على منكبها وأعطافه ، ولو أن ما كلف به الرشيد من التعب المزري كان لضرورة ملجئة لوجدنا له مساعاً من الفن ولكنه جسمه ما جسمه ليتسنى للخليفة ان يسمع غناء انيس الجليس وهي في قصر من قصوره وفي ضيافة خادم من خدمه ! فهو يدسفه في هذا الزي الزري على الحبيبين والبستاني يقدم اليهم ما معه من السمك فيكفوه شيه في الخابنج فيشويه ! !

وكثيراً ما تدفع القصص شهوة الإغراب الى تجاوز المبالغة المعقولة فتفوت من الفن صفة الامكانية وهي ان يلبس القصصي الحوادث الخيالية ثوب الحقيقة فيقرب ما يدينها من الظروف ويمهد لها اسباب الوقوع حتى لا تتنافر مع العقل والعلم والعرف والتقاليد . والامثلة

على هذا العيب مستفيضة في كل قصة . وفي الكتاب طائفة من الحكايات قد استوفت شروط الفن القصصي كلها كقصة الصياد والخفي وقصة مزين بغداد ومقدمة حكايات السندباد وقصة علي بن بكار وشمس النهار .

هذا اذا نظرنا الى الاسلوب في جملته وعمومه ، اما اذا تنبنا باللمح الخاطف في نواحي الكتاب وجدناه فيما بقي من الاقاصيص الهندية والفارسية وما جرى مجراها من الحكايات الحديثة المقلدة بين السذاجة ابله الاشارة لانها من نوع الخوارق التي تدخل على القلوب الغريزة ، ولا تظهر الا بتصديق العقل البسيط ، فهو جارٍ مع طبيعتها متفق اللون مع صورتها ، وفي الطبقة البغدادية تراه متين العبارة عفيف اللفظ حسن السبك دقيق الوصف كثير السجع تليل الفضول لانه في الغالب مكتوب بمحذى على المثل العليا من قصص الفرس وتاريخ العرب ، وقد يسف في بعض الاقاصيص اسفاً قبيحاً فيثقل بسفنه على الطبع ويعتدي بضعفه على الذوق ، كما تراه في قصة الخليفة مع النائم اليقظان مثلاً ، اما الاسلوب في الطبقة المصرية فهو في قسمها الأول وخاصة الاقاصيص المكتوبة منه اشبه شيءً بالاسلوب الطبقة البغدادية مع اتساع في السجع وجرأة على الحشمة ، والغالب عليه التقليد فتارةً يجري على منهاج الطريقة الهندية كما نرى في حكاية وردخان والملك جايعاد وتارةً ينسج على منوال الطريقة الفارسية كفعله في قصة قمر الزمان الثانية وحكاية «سرور وزين الموصف» وقد يجري في مجراه الخاص من التهمك الساخر والمزاح المضحك فيكون رقيقاً كما تراه في قصة الأحذب وخاصة في مزين بغداد ، ولكنه في القسم الثاني وفي سائر القصص الاقلية التي فيها القصص ليلقوها في السواحل مهلهل النسيج عاصي اللفظ مرزول المبالغة سيء التلقيق شديد الرطابة على الحياء والمرودة لصدوره عن قصاصين محترفين جهلاء يتملقون فيه شهوات العامة بالأفحاش ، ويستفزون فضول الجمهور بالمبالغة ثم يكترفيه ترداد الجملة المحفوظة الملتزمة فيقال دائماً في وصف القينة العازفة : ( فعملت على العود من غرائب الموجود الى ان طرب الحجر الجمود وصاح العود في الحضرة يادود ) وفي ايشار البعد : « بعدك عن الحبيب اجمل وأحسن . عين لا تنظر وتلب لا يحزن » وفي غرابة الحادثة « لو كتبت بالابر على آفاق البصر لكنت عبدة لمن يعتبر » وفي وصف الشيخ الفاني « قد ابقي ما ابقي وعركه



الدهر فما استبقى ، كأنه مُنفَى مُنفَى ، في خِرَاقَةٍ زُرُقَاءَ ، تَمُرُ بِهَا الأرياحُ غُرْباً وشرَفَاءَ ،  
كما قال فيه الشاعر :

أرعشني الدهر اي رعش      والدهر ذو قوة وبطش  
قد كنت امشي ولست اعبا      واليوم اعبا ولست امشي

وفي وصفه ساحة الحرب ومجالس الأُنس ورياض الأرض وأثاث البيت لا يكاد  
يغير شيئاً من الاسجاع والاوزاع ومقطوعات الشعر .

ذلك ياسادتي ما استطعت استشفافه من صور الاساليب الاثريه في الكتاب وسترون  
حين تعيدون قراءته أن القصاص والمصنفين والمصححين في مصر قد اخضعوه اخضاعاً  
شديداً للهجاتهم واساليبهم وأمثالهم حتى جعلوا البحث اللغوي الفني من البعد بحيث لا تبلغ  
اليه وسيلة .

فلسفته ومراميه . — سيداتي وسادتي إن من يطلب من الف ليلة وليلة فلسفة خاصة  
وفكرة عامة وجهة مشتركة كان كمن يطلب من كافة الناس عقيدة واحدة وطبيعة ثابتة  
واغراضاً متفقة ، فهو كما قلنا من قبل كتاب شعبي يصور الحياة الدنيا كما هي لا كما ينبغي  
ان تكون ، فاذا رأينا مذاهبه تتناقض ومراميه تتعارض وآراءه تختلف ، فذلك لأن  
الاجتمع الذي يصوره كذلك .

ولم يكن الكتاب نتاج قريحة معلومة ولا نتيجة خطة مرسومة حتى تتلصق في جوانبه  
الدوافع والنوازع والغاية ان هو الا صدق يتردد خافتاً لعقائد الشرق القديم وعقلياته  
وعاداته ففي الفلسفة نراه يتأثر بالأفلاطونية الحديثة والأخلاق الاسلامية فيدعو الى  
القناعة باليسير والعزوف عن الدنيا والاعتدال في اللذة والمبالغة في الحذر والتفويض  
المطلق للقدر ، فروحه من هذه الجهة تتنافر مع صوره البراقة ووسائله الطامحة وحوادثه  
المغامرة ، ثم نراه في اقاصيص اخرى ولا سيما الحديثة يزين الأثنية ، ويرتضي القسوة ،  
ويتشوف الى المكاسب الدنيئة ، ويشره الى اللذة الخسيسية ولا يكاد يعتقد بالمواظف  
الكرمية . . وقد يصور المتعاصي والحسي والهبوط الجموح بما لا يتمثل في الدهن الاعلى سبيل  
الخيال كالذي يحكيه عن فتى من ابناء الملوك رسا الى جزيرة كل من فيها من تجار وصناع  
نساء كأنهن اللؤلؤ المكثون ففرض بينهن في هذا النعم اياماً اقل ما أصاب فيها من اللذة انه

كان يلقي الشبكة في الماء على سبيل اللهو فتخرج اليه من الاصداف خريدة من بنات الجنان كأنها حورية من حور الجنان الخ . . فاذا اختبرناه في السياسة والاجتماع رأيناه ملكياً يقيم في كل مدينة عرشاً وينصب على كل مجمع من الاحياء ملكاً حتى الحيات والحشرات والطيور والوحوش والقردة ، ديمقراطياً يشرك الملك والصلوك في مُمْتَه الحياة ومجالى الانس عائلياً يبني نظام البيت وتأسيس المجد على الزوجة والولد . لذلك تجدونه يستهل معظم اقايصه بجنين الوالدين الى النسل ، وفزعها الى الله أو الى المنجم من داء العقم . وقد يسمو مغزاه الى الفلسفة الاجتماعية العالية ، مثال ذلك حكاية السندباد والحمال . فالحمال يؤوده الحمل الفادح ، وينهكه الحر اللالغ ، فيلبي حمله على مصطبة امام بيت من بيوت التجار يتردد اليه النسيم الرطيب ، ودة نزع منه روائح العطر والطيب ، ثم يرى عظمة ذلك التاجر في كثرة خدمه وظلانه ، ويسمع تغريد البلابل والفوخ في بستانه . ويصفي الى رنين أوتاره وغناء قياته ، وينشق افاويه الطعام الشهي من صحافه والوانه ، فيرفع طرفه الحائر الى السماء ويقول سبحانك يارب لا اعتراض على حكمتك ولا معقب لأمرك ! أين حالي من حال هذا التاجر؟؟

انا مثله وهو مثلي ، ولكن حمله غير حملي !!

على أن أسوأ ما سجد الف ليلة وليلة من ظلم الانسان وجور النظم هو القسوة الجائرة على المرأة ، فان حظها منه منكود وصورتها فيه بشعة ، وكيف ننظر من كتاب بي على خيانة المرأة ان يصف المرأة ؟ ان شهرزاد المسكينة انما تسهر جفنها وتكد ذهنها لتقص على الملك شهر يار أعجب القصص ابتغاء الحظوة لديه حتى تدرأ القتل عن نفسها والخطر عن بنات جنسها ، ومن الخطل الأليم ان يسند القصص كل هذه النقائص الى النداء على لسان واحدة منهن في مقام الدفاع عنهن ، وان يجري على فمها في حضرة الملك تلك الكلمات الجريئة الخزية في وصف بهيمة الرجل !!

الف ليلة وليلة يدور لنا المرأة في القسم الهندي الفارسي خطالة خائنة تبيع عرض الملك للعبد في قصة شريار وأخيه ، لجوجة جموحة أنانية في قصة الحمار والثور تصر على ان يبوحن لها زوجها بسره ، وهي تعلم ان في افسانه ضياع عمره ، حاقدة كائنة منتقمة في قصة الوزراء السبعة ، قاسية عاتية مرهوبة في حكاية قمر الزمان الاولى ، وهي في بغداد سجيبة في قصرها ، مغلوقة على أمرها قد انتبذها زوجها وألقى زمانه في أيدي الجوارى

والقيان ، وعى كلتا الحالتين من حرية ورق نراها وسيلة لذة وغرض شهوة وأداة خدمة ، أما هي في مصر والشام فوجودها عدم ، لا تسمع لها صوتاً في بيت ولا ترى لها أثراً في سوق ، فاذا خرجت من ظلام الستار الى ضوء النهار كانت طاغية جاهلة كزوجة معروف الاسكاف ، أولصة حيالة كدليلة وبنتهازينة ، أو قوادة مرتادة كأولئك الهجائز اللاتي ينقلن الفتنة من مكان الى مكان ويصلن المنكر بين فلانة وفلان .

اما تصوير الكتاب لمظاهر الاجتماع الشرقي في القرون الوسيطة من العادات والاخلاق والمراسم في السوامر والولائم والأعراس والمآتم والأسواق والمحام فقد بلغ الغاية من ذلك كله ، الا ان الطبقة المصرية في هذا الباب كما قلنا أصدق وأجمع لان القصاص وهم مصريون تكلموا عن علم ووصفوا عن رؤية ونقلوا عن سماع ، فاذا قرأتم مثلاً حكاية نورالدين وشمس الدين وجدتم المصريين كانوا في حفلة العقد يطلقون الجنود ويشربون السكر وينضحون الوجوه بماء الورد ، وفي زفاف العروس ينقلون المواشط والقيان بالقاء النقود في الدف او الأطار كما يسميه الف ليلة أو الطار كما يسمى الآن في مصر ، وفي جلوسها على المنصة يجلسونها بين صفيين من كرائم السيدات في يد كل منهن شعبة موقدة ، ثم يلبسونها حلة بعد حلة في فترة بعد فترة حتى يخلع عليها سبع حلل ، ومع كل سيدة من المدعوات الى الحفل صرة من الثياب المعدة لذلك الزفاف يحملها خادم ، فكما خلعت العروس حلة خلع المدعوات كذلك حلة الى تمام السبع ، ولا تزال هذه العادات باقية في بعض البلاد وبعض الأسر في مصر .

واذا قرأتم حكاية علاء الدين ابي الشامات وجدتمهم كانوا يستعملون الخشيش قوة للزوج ويتخذون المحلل خلاصاً من الطلقة الثالثة وهما ختان شائعتان اليوم في الطبقة الدنيا اقرأوا حكاية معروف الاسكاف تجدوه مثلاً صادقاً لبعض الناس هناك في ضعف الارادة وسلامة الصدر وحب الأبهة وتبذير مافي الجيب اتكالاً على الغيب واهتماماً للحق وتجبدوا زوجه فاطمة العرة التي فرّ من جبروتها وجفوتها وقسوتها وعنادها الى أقصى مجاهل الارض فتبعته لا يزال لها شبه في الباقيات الطالحات بمصر من عهد الجهالة .

اما الطبقة البغدادية فقد عبث بها القصاص وشالوها بلهجاتهم وعاداتهم ولكنهم مع ذلك حرية بثقة الباحث اذا استطاع تنقيتها من شوائب البهرج والدخيل .

بقي علينا ان نعرف وجهة كتابنا في الدين ، وليس من العسير على القاري العادي ان يتبين تلك الوجهة فان في كل صفحة من صفحاته دليلاً على انه مسلم صادق الايمان قوي العقيدة بأخذ تقاليد الدين صحيحة ومشوبة مأخذاً العامي الرائق المطنين فلا يبحث ولا يستنبط ولا يطبق حتى في مقام الحكمة والموعظة لا يكاد يذكر حديثاً أو آية وإنما يستند في ذلك الى ما ثور الشعر ومنثور الحكم ، فسيبلة في الدين إذن أن يدعو اليه ويهتف به ويتعصب له ، لذلك نراه لا يتحدث الا عن المسلمين ، ولا يتبذ أشخاصاً لقصصه حتى الاجنبية منها الا من المسلمين ، فاذا كان احد اللجنة أو اناس غير مسلم واضطر الى الحديث عنه انتهى به الى الاسلام أو دبر له عقبى سيئة وذلك نادر ، كما فعل في حكاية مسرور المسيحي وزين المواسف وزوجها اليهوديين ، فالحبيب والحبيبة أسلمتا فورفت عليهما ظلال النعيم والحب وظل الزوج يهودياً فدفتنه امرأته حياً ، والف ليلة وليلة بعد ذلك سني لا يكاد يعرف فرقة أخرى من فرق الاسلام حتى الشيعة وكان لهم عي عهده في مصر دولة الفاطميين ، وفي العراق نفوذ البويهيين لم يذكرهم الا في حكاية علاء الدين وهي مكتوبة بمصر على عهد المماليك ، ولقد دل حين تعرض لهم في هذه القصة على جهالة قبيحة أزدعاه سيئة فقد أشار في موضع منها الى ان الروافض كانوا يكتبون اسمي الشيعيين على بواطن الأعتاب ، وقال في موضع ثان ان اهل بغداد كانوا يغلطون الأبواب خوفاً من الروافض ان يلقوا الكتب في دجلة ، وقال في موضع ثالث : ان الرشيد سأل الرجل الذي هم باغتياله وهو يلعب الكرة والصولجان فنجاه أصلان بن علاء الدين : أما أنت مسلم ؟ فقال كلا وانما انا رافضي .

مخطوطاته ومطبوعاته وترجماته . - صنف المنقوبون ما عثروا عليه من مخطوطات الف ليلة وليلة فكان ثلاث مجموعات مختلفة : مجموعة أسيوية ومجموعتين مصريتين ، فأما المجموعة الأسيوية وهي أقدمهن فلا تشتمل الا على القسم الاول من الكتاب واحدى نسخها مبتورة ، وأشهرها نسخة كلكتوتا وهي تحتوي على مائتي ليلة وقد شرع بطبعها الشيخ البيني في جزءين بمدينة كلكتوتا سنة ١٨١٤ م وأتمها سنة ١٨١٨ م فكانت أول مخطوطة طبعت من هذا الكتاب في الشرق والغرب ثم نسخة (برسلو) وهي التي طبعتها الاستاذ (مبكت) في اثني عشر جزءاً ، ظهر الجزء الاول في سنة ١٨٢٥ والأخير سنة ١٨٤٣ ، وأما المجموعتان المصريتان فهما أحدث من الاولى وبين نسخهما اختلاف شديد في الأسلوب والترتيب والعدد والقصص

ومن هاتين المجموعتين نسخة كلكتوتا الثانية التي جمعها وطبعها الاستاذ ( مالك نوكنن ) في أربعة مجلدات من سنة ١٨٣٠ الى سنة ١٨٤٢ ، ثم نسخة بولاق التي طبعتها الحكومة المصرية في مطبعتها بالقاهرة سنة ١٨٣٥ في مجلدين وهي أكل النسخ جميعاً وأصحها وعنهما صدرت جميع الطبعات في مصر والشام وبومباي ، ونقلت جميع الترجمات الى جميع اللغات ماعدا ترجمة (جلان) : فأما الطبعات فكلهن سواسية في قبح الشكل وسوء النقل وقلة العناية لمدورهن عن أرباب المكاتب وأصحاب المطابع وهؤلاء يتنغون أو فر ربح في أيسر كلفة . على ان أديباً من الآباء اليسوعيين قد طبعه ببيروت طبعاً جميلاً في اربعة مجلدات بعد ان قص من قصصه وانتضب من جملة وهذب من عبارته ، ثم جاء منشي الللال فأرنب عليه في الحذف والبتر والاختصار وطبعه بمصر في خمسة أجزاء صغار ، وهاتان الطبعتان ولا سيما الاولى أليق الطبعات باخلاق الفتي وحياء الفتاة ولكنهما لا تنعمان غلة الأديب الباحث .

واما الترجمات فأولها في الوجود ترجمة الاستاذ جلان وهي أنيقة الأسلوب رائعة السبك الا انها غير دقيقة ولا آمنة ولا وافية ، على ان لها اليد الطولى على الكتاب في التعريف به والثبوت به واسمه والدلالة على فضله ، طبعت هذه الترجمة بباريس في اثني عشر مجلداً ابتداءً من سنة ١٧٠٤ الى سنة ١٧١٧ ونقلت عنها سنة ١٧٠٧ ترجمة انكليزية مختصرة في ستة مجلدات بعنوان اللبالي العربية ، وأشهر الترجمات بعد ذلك في السعة والدقة والصدق ترجمة بورتن بالانجليزية وترجمة ماردروس بالفرنسية وترجمة هبكت بالالمانية .

\*\*\*

ذلكم باسادي ما يتحملة المقام والوقت من تاريخ الف ليلة وليلة ، وانكم لترون من هذا الإجمال فعل الترجمة العربية فيه ، ومظهر العقيدة الاسلامية في جميع نواحيه ، وطابع العقيلة السامية في أخبائه ومساميه ، حتى أصبح الكتاب عنواناً عريضاً من عناوين آدابنا ، وشاهداً جديداً على الحيوية القاهرة والشخصية الآمرة في آباءنا ، والأفها ذا نفسر هذا ؟

لقد خلفوا اليهود على الدين فظهر عريباً رائماً في رسالة محمد ، وخلفوا اليونان على

العلم فماد عريباً ساطعاً في فلسفة ابن رشد ، وخلفوا الرومان على الحضارة فبهرت العالم  
بالممران والعدل في عصر الرشيد ، وخلفوا الفرس على الأدب فأخضعوا سنتهم وأفندتهم  
لأدب القرآن ، وخلفوا الهنود على القصص فأروهم روعة الخيال وقوة الإلهام في ألف ليلة  
وليلة ، وخلفوا الأمم العظيمة على أكثر الأرض فأوشكوا ان يعرفوا العالم ، فليت  
شعري أنغيرت الصحراء ، أم فسدت الدماء ، أم ضويت الأنبياء ، أم هي ربة الأسد  
واستجمامة المتعب واستجماعة الواهب ، ثم استئناف الهجمة الأولى على الموقع الأول  
في الحياة .

لقد أعتكم طويلاً وأتعبتكم كثيراً وكدت أخرج من المحاضرة الى الخطابة  
فعدراً ياسادتي وشكراً .

أحمد حسن الزيات  
عضو المجمع العلمي

## صفي الدين الحلبي

- ٢ -

صفة شعره . - ونوضح ما أجملناه من وصف شعره بما نقول :  
 أغراض شعره . - نظم الحلبي الشعر في أكثر أغراضه فأجاد في بعضها وقصر في بعض :  
 (١) فاما باب الفخر والحماسة الذي صدر به ديوانه فأكثر ما قاله منه في صباه وجرى  
 في أكثره على طبيعة شعر المتقدمين ؛ فقلل من البديع ، وأكثر الجزالة وظهرت فيه صورة  
 البداوة التي شب عليها في بلدته الحلة ، وهي من مدن الاعراب . فمن ذلك قوله من قصيدة  
 يفخر فيها بانتصاره في الموقعة التي أخذ فيها بثأر خاله :

كسيت جلالاً من غبار القسطل	لمن الشواذب كالنعام الجفل
يحملن كل مدرع ومسريل	يبرزن في حلال الهجاج عوابساً
في الخدر من ذيل الهجاج المسبل	شبه العرائس تجملن فكأنهن
فعل الصواج في كرات الجنديل	فعلت قوائمن عند طرادها
بشبا حوافرها وان لم تنعل	فنتظن ترقق في الصخور أهلة
كالاسد في أجم الرماح الذبيل	يحملن من آل العريض فوارساً
فكأنه من بأسه في معقل	تنثال حول مدرع بجنانه
علياء صدر الجيش صدر المخفل	ما زال صدرا: است صدر الرتبة الـ

وهي طويلة ومثلها تصيدته التي أسلفنا أولها ، ونختار منها الايات الآتية :

واسشهدني البيض هل خاب الرجافينا	سلي الرماح العوالي عن معالينا
في أرض قبر عميد الله أيدينا	وسائلي العرب والأتراك ما فعلت
دنا الاعادى كما كانوا يدينونا	يايوم وقعة زوراء العراق وقد

بضمير ما ربطناها مسومة  
 وقتية أن نقل أصغوا مسامعهم  
 قوم اذا استخصموا كانوا فراعنة  
 اذا ادعوا جاءت الدنيا مصدقة  
 أن الزراير لما قام قائمها  
 انا لقوم أبت اخلاقنا شرفاً  
 بيض صنائعنا سود ونائعنا  
 لا يظهر العجز منا دون نيل مني  
 الا لتغزو بها من بات يغزونا  
 لقولنا أو دعونا م أجابونا  
 يوماً وان حكوا كانوا موازينا  
 وان دعوا قالت الايام آمينا  
 توهمت انها صارت شواهينا  
 أن نبتدي بالاذى من ليس يؤذينا  
 خضر مرابعنا حمر موازينا  
 ولو رأينا المنايا في أمانينا

(٢) وأما المدح فهو جل صناعته وزعم في مقدمة ديوانه انه كائن لا يتكسب به في نشأته . ثم أعوزته ضرورة الفرار من وطنه الى اتجاع الملوك والتكسب به . وله مدائح جيدة في الملوك ومدائح نبوية منها بديعته التي فحمت للشعراء بعده باب نظم البديعيات ؛ فهو أول من نظمها . وبديعته التي تعتبر الاولى من هذا النوع واستعمل فيها كل أنواع البديع المعروفة في زمنه عارض بها بردة البوصيري في الوزن والقافية والموضوع ، اذ كانت الغاية في عصره بين المدائح النبوية ، ولانها حوت من أنواع البديع الكثير مع النجم لفظ وبراعة معنى ، فلم يبلغ شأؤ البوصيري فيها ، ولكنها أصبحت في الغرض الصناعي الذي وضعت من أجله فاتحة البديعيات ، فعارضه باديء بدء عز الدين الموصلی ، وزاد عليه تسمية النوع ، ولكنه تكلف لذلك تكلفاً غير يسير ، ثم جاء ابن جابر الهوارى الضرير الاندلسي مهاجراً الى الشرق ، ودخل الجزيرة ، ومدح ابن الصالح ملك ماردین بعد وفاة الحلبي ، فعارضه بقصيدة بديعية جارى الحلبي في عدم التصريح باسم النوع فجاءت بليغة في حملتها ، ثم جاء تقي الدين بن حجة الحموي ونظم بديعته المشهورة مصرحاً فيها باسم النوع ، ولم تخل من تكلف ، ثم عارضها آخرون لا يحصون الى وقتنا هذا . ومطلع بديعية الصفي المسماة الكافية البديعية في المدائح النبوية هو :

ان جئت سلماً فـلـ عن جيرة العلم واقر السلام على عرب بذي سلم  
 (٣) وأما المراثي فهو من يجيدها ، وكان يعارض في كثير منها مشهورات مراثي المتقدمين ومن ذلك قصيدة يرثي بها أخاه عارض بها نونية المعري التي رثي بها أباه والتي أولها :



نعمت الرضا حتى على ضاحك المزن فلا جادني الابعوس من الدجن  
 فيقول صفي الدين في أول مرثيته وأغار على كثير من معانيها وضمن بعض شطورها :  
 بكيت دماً لو كان مسكب الدما بغني وضاعفت حزني لو شفى كمداً حزني  
 وأعرضت عن طيب الهناء لانفي (نعمت الرضا حتى على ضاحك المزن)  
 ومن أغرب مرثيته تخميسه لقصيدة ابن زيدون النونية وصرف غزلها الى رثاء .  
 وباب المرثي في ديوانه حافل بالشعر الجيد فراجعه .

(٤) الطرديات — وقد كاد يلحق في هذا الباب أبا نواس وابن المعتز وشعره فيها  
 جزل بليغ خال من سفساف البديع ، لان المقام مقام فرسية وتبدية وإصحار . وقد اقتبس  
 هذه الخلة من بيئته البدوية الاولى ومن خدمته لمولك من الترك والكردي كمولك مارددين  
 وحماة وكان يشهد معهم المصايد ويصف لهم آلات الصيد من أقواس السهام وأقواس  
 البندق وكلاب الصيد وفهوده وشواهينه وبواشقه وصقورته كما يصف المصيد من الكراكي  
 والتم الخ .

وله في الطرد مسمطة خماسية من الرجز لا أدري ان كان عارض بها ابن نباتة في  
 طرديته أو هذا الذي عارضه ، غير أن طردية ابن نباتة ، من نوع الرجز المزدوج بمشطورين  
 فقط ومطلع طردية صفي الدين هو :

أما ترى الانواء والسحابيا قد أصحبت دموعها سواكبا  
 فأكتست الارض بها جلابيا فاظهرت أزهارها عجائبيا  
 غرائبيا أصحبت لنا رغابيا

ومطلع ابن نباتة هو :

أنى شذا الروض علي فضل السحُب واشتملت بالوشي أرداف الكؤُب  
 ما بين نور مسفر اللثام وزهر بضحك في الآكام  
 ان كانت الارض لما ذخائر فهي لعمري هذه الأزهار  
 قد بسطتها راحة الغائم بسط الدنانير على الدرهم  
 أحسن بوجه الزمن الوسيم تعرف فيه نضرة النعيم  
 وكانك معي تشعربان طردية ابن نباتة المصري أرق وأرشق .

(٥) الخمریات — وهو في وصفها خليع مستهتر يعترض على تحريمها ، وبؤنب اللامئين في معاقبتها وطالما تاب عنها ثم عاد اليها ، وكثيراً ما جعلها محل النسيب من مدائح السلطانية كقوله في مطلع مدحه للملك المنصور :

دق شوال في ففارمضان      وأق الفطر مؤذناً بالتهاني  
 فجعلنا داعي الصبح لدينا      بدلاً من سموره والأذان  
 الى أن قال :

شملتنا من ناصر الدين نعي      نصرتنا على صروف الزمان

(٦) الغزل — وهو فيه رقيق القول جيد المعنى يتندي به المدائح المطولات وينظم فيه المقطعات ، واكثر ما يكون غزله بالمذكر ، وبخاصة ظمان الاتراك . وقد يبلغ به الاستهتار أن يعقد موازنة بين الغلمان والجواري ، ولم يكن هذا ديدنه وحده بل كان دأب أدبائه زمانه ، ولولم يقارنوا منكروه . وكان ذلك كان يعجب ملوك الترك والكرديستملحونه ، ويستمعون اليه لمصادفته أهواء من أفئدتهم . ومن أرق قوله فيه :

يا ضيف الجفون أضفت قلباً      كان قبل الهوى قوياً ملياً  
 لا تحارب بناظريك فؤادي      فضميفان يطلبان ويا

وقوله :

قيل إن العقيق قد يبطل السم — ر بختيمه بسر حقيقي  
 فأرى مقلتيك تنفث سمراً      وعلى فيك خاتم من عقيق

وقوله :

ما زال كحل النوم في ناظري      من قبل اعراضك والبين  
 حتى سرت الشمس من قلتي      ياسارق الكحل من العين

(٧) الوصف — وهو فيه حسن التخييل بديع التصوير ، فاذا وصف الازهار ومجالس الانس سهل شعره ورقت ديباجته واذا وصف الوحش والفرس وسرى الليل ونحوه اتى بالمتين والجزل ؟ فمن ذلك قوله في فرس آدم مجمل :

ولقد أروح الي القنيص وأغتدي      في متن آدم كالظلام مجمل  
 رام الصباح من الدجى استنقاده      حسداً فلم يظفر بغير الأرجل

فكأنه صبغ الشبيبة شبابه وخط المشيب فجاءه من أسفل  
وقوله في وصف عود الطرب :

وعود به عاد السرور لأنه حوى اللهور قدماً وهوربان ناعم  
بغرب في تغريده فكأنه يعيد لنا ما لقتته الحمام

راجع ديوانه في الطرديات والزهريات . ولقد خاض صفي الدين في أغراض أخرى  
من الشكوى والالغاز والمعاباة فراجعها في ديوانه .

اسلوب شعره . — يظن علي شعر الحلي الاوصاف الآتية :

(١) سهولة اللفظ وانحجام الاسلوب في جملته . وقد قصد الي ذلك واعتد به في أكثر  
شعره حتى انه ربما أسف الى استعمال الاساليب العامية الصورة . « ونقل عن نفسه في  
ديوانه أن بعض الادباء سمع شعره فاستحسنه ، وقال لا عيب فيه سوى قلة استعماله للغريب  
فكتب اليه ابياتاً الخ » ثم أتى بقصيدة ذكر فيها جملة ألفاظ من غريب اللغة من الخماسية  
الاصول الصعبة المخارج كأن الغرابية عنده بطول السمكات وصعوبتها ، وكأنه غفل عن أن  
العرب انما تطيل اللفظ لزيادة المعنى إما في الحسن والقبول ، وإما في القبح والاستفطاع .  
على أن ما ورد في اللغة من الخماسي لا يعدو خمسين كلمة . وكذلك تضع العرب الكلمة ذات  
الحروف الصعبة المخارج للمعنى الفظيع كالعجوز والحجارة والداهية الخ وهالك ابياتاً منها :

انما الحيزبون والدرديس والظنا والنقاخ والعلطيس

والخرافيج والشحطب والصمة مب والعتقير<sup>(١)</sup> والعتريس

والفطاريس والعتنقس والفر نق والخر بيصص والعيطموس

لغة تنفر السامع منها حين تروى وتشمئز النفوس

وهو احتجاج بارد لا يقصد اليه منتقده ؛ فهل كان غريب مسلم بن الوليد وأبي تمام  
والمتنبي بل المعري من هذا النوع علي أنه — كما قدمنا — اذا قال الشعر في الطرديات أو  
الفخر والحماسة أتى بالغريب المراد ونسي البديع وتكلفه .

(٢) الاستكثار من استعمال البديع اذ كان من المبتدعين لبعض انواعه وأول من  
نظم البديعيات وله كتاب في الجناس ومن انواع البديع التي يستعملها في شعره الجناس

(١) ذكر اللفظين المزهر في الاسماء التي جاءت على فعليل .

والتضمين وبكثرتهم ويجيده وقد ضمن كثيراً من شطوط قصائد المتقدمين المشهورة كملقة امري القيس ومقصورة ابن دريد ولامية العرب والافتباس من القرآن — والمراجعة وما لا يستحيل بالانكاس والتوجيه باصطلاحات العلوم واهمال الحروف واعجمها على أنواع شتى والتصنيف والسجع في الشعر وهو ممن لا يخجل بالتورية كما قال ابن حجة وصدق في قوله علي انه قد وقع له منها بعض المقبول .

معاني شعره . — لبس الحلي من أولي الابتداع في المعاني والغوص على نفائسها وأكثر معانيه مسبوقة أو فطرية ، ولكن الذي جعل له هذه الشهرة الدائمة سترها في أغلب الشعر بريق اللفظ ودمانة الاسلوب وبقل اختراعه وربما كان منه قوله من قصيدة يمدح بها الصالح :

لولا كم يكن في الشعر لي ارب      ولا برزت به من خزن نامور  
فضيلة تقصت قدري زيادتها      كالاسم زادت به ياء لتصغير

وقوله منها بصف صب الخمر :

وللاباريق عند المزج لجلجة      كنتطق مرتبك الالفاظ مذعور  
كأنها وهي في الاكواب ساكبة      طير تزق فراخاً بالناقير

وقوله في تأخر منزلته :

كأنني من رقوم الهند أو جبلي      علو مرتبتي افراط تأخير يـ  
( باستتبار أن كتابة الارقام ككتابة الحروف العربية من اليمين الى الشمال كالتنطق بها )

عيوب شعره . —

(١) منها تكافه لدرجة المقت والبرد إشاراً لصناعة البديع من امثال التبنيس والقلب والاهمال والاعجم ونحو ذلك .

(٢) كقوله في ممدوح :

مهذب محجب محرب      للمجتني والمجتلي والمجتدي  
فقوله وطوله وطوله      للمغتني والمعتني والمعتدي  
وقوله في قصيدة كل اسمائها مصغرة :  
وذياك الأومع في الضحيا      ووجعك أم قُمير في سُميد

(٣) وتوع كثير من اللحن لغة ونحواً في شعره مثل قوله من قصيدة منصوبة الروي  
بصف الدروع :

مروا بها خزر العيون فأوجست جزعاً وكادت بالكافة تميدا  
وقوله وقد استعمل همزة القطع موصولة ولا يجوز ذلك حتى في الضرورة :

وأبلغ الرملة الأنيقة (وأبلغ) معشراً لي بربها وأهिला  
كنت جلدأ فلم يدع بينكم لا جسم حولاً ولا قلبي حيلة

(٤) فساد معانيه واستعاراته وتشبيهاته في كثير من المواضع كقوله في تشبيه خمسة  
بخمسة فجمع البدر والحلال في آن واحد في وصف فارس يلعب بالصولجان :

ملك يروض فوق طرف قارع كرة بجوكان حكاها ضرابا  
فكان بدرأ في سماء راكباً برقاً يزحزح بالحلال شهابا

القاهرة : احمد الاسكندري

## فن الجاحظ (١)

—(١)—

قد تعتق طائفة من مذاهب الجاحظ في العلم أو قد تبلى جملة من آرائه في الفلسفة فالعلم لم يثبت على حالٍ من الأحوال والفلسفة لم تجهد على شكل من الأشكال فهما عرضة للتغيير في كل عصرٍ من العصور فلكل زمنٍ معتقداته وآراؤه ولكن الجاحظ إن لم يخأده علمه أو فلسفته خأده فنه ولفته —

لقد قضيت أياماً وأنا أفكر في فن الجاحظ كيف أشرع في الكلام على هذا الفن وكيف أفرغ من هذا الكلام واشتدت حيرتي لما طالمت طائفةً من كتب الأفرنجية ورأيت كيف يبحثون عن فن شعرائهم أو كدِّابهم أو خطبائهم وأظن انه سيمضي على أدبنا حين من الدهر قبل أن نصل الى ما وصلوا اليه في هذا الباب —

ان لم أسلوباً في البحث عن الفن لم يمهده أدبنا بعد فلا يكتبون بالإشارة الى جزالة الكلام أو الى رفته أو الى محاسن التشبيهات والكنايات وغير هذا من الصور ولكنهم يعرضون لألفاظ الكاتب فيبحثون عن هذه الألفاظ بحثاً مستفيضاً من حيث دلالتها على المعنى من طريق الحقيقة أو من طريق المجاز أو من حيث رنات هذه الألفاظ أو من حيث دلالتها على لونٍ من الألوان أو على صوتٍ من الأصوات أو من حيث انبعاثها مجردة أو محسوسة الى غير هذا من دقائق البحث ثم يبحثون عن النعت والمنعوت ثم يبحثون عن الفعل الى اشباه هذه المباحث التي لا أجد لها في أدبنا نظيراً —

قضيت أياماً وأنا أفكر كيف أشرع في الكلام على فن الجاحظ وخاصة بعد أن

(١) نسللة محاضرات الاستاذ السيد شفيق جبري احد اعضاء المجمع العلمي العربي التي

شرح في المحاضرة بها في كلية الاداب في دمشق سنة ١٩٣١ |

تراءى لي تقصيرنا في هذا المجال وقلت في نفسي : وما أنت قائل في هذا المعنى وكيف أنت داخل هذا الباب أم كيف أنت خارج منه وخاصة فإنه أجل أبواب الجاحظ التي تدل على خلوده في الأدب —

أحبَّ الجاحظ الحياة حبًّا جمًّا فصور كل معرض من معارضها ولو أن كل صورة من هذه الصور بحقائق ألوانها فكان إفصاحه عن شعوره بالحياة خالصاً من كل تصنع فألبس كل معرض من المعارض ضرباً من اللباس وجعل لكل صورة من الصور نوعاً من الخطوط والألوان جريباً على قاعدته الغالبة : لكل مقام مقال —

ومن ولعه بهذه القاعدة وحرصه على أصولها تعادق الجاحظ بحجة الصيغ ومبروتها فهو يتوخى الأساليب التي يوافق بها الناس على مقادير عقولهم فمرة يخاطب بلغة العقل ومرة بلغة الحواس وهذا كله دليل على حرية عقربته وحرية فنه —

لقد عرفتم كيف كانت حياة الجاحظ العقلية ووقفتم على نشاط فكره وعي رغبته في التطلع ورأيتم كيف يميل إلى ذوق الأفكار وإلى توجيهها وكيف يسلك إلى التخصيص مسالك شتى ، مرة يستظهر بعقله ومرة بالتجربة والعيان ، فكل همه مصروف إلى معرفة الحق وقد دفعه شغفه بهذه المعرفة إلى اجتناب كل كلفة وكل صيغة شعرية في عمله مما يبعد الأشياء عن حقائقها —

فلذلك كان فنه في أبواب العلم والفلسفة مبنياً على العقل وحده فهو في هذه الأبواب قليل الاستعارات قريب العبارات منقاد لرأيان الكلام يستعمله نفور من معنائه يهمله على نحو مقاله فيه البديع في مقامته الجاحظية لأنه في العلم والفلسفة يخاطب العقل وحده ولغة العقل مجردة والتجريد من خصائصها فالجاحظ قليل العور في عمله وفلسفته حتى إذا اضطر إلى تشبيه في أثناء كلامه له على بعض الحيوان قرَّب تشبيهاته ولم يغفل فيها بحيث تكون على مقربة من حواسنا ندر كها هذه الحواس دين شيء من النصب والكلفة .

من هذا الشكل تشبيهه الذر بالخيط الأسود أمده قال (١) :

« فلا يلبث ذلك الانسان أن يراهما قد أقبلت وتلفها تأخيط الأسود الممدود — »  
فانظروا إلى هذه الصورة المحسوسة فإنه لم يغفل في المشبه به ولا في لونه ولا في هيئة

(١) كتاب الحيوان — الجزء الرابع ص ٣٠

فالخيط والسواد والمدك كل هذا من الصور التي تراها العين لأول وهلة -  
ولو عرضنا طائفة من تشبيهاته لوجدناها بمجامعها على هذا النمط واليكم بعض  
الامثال :

البعوضة مع صغر جسمها تفسخ الانسان في أسرع من الاشارة باليد - والحية  
تسقط أسرع من الملح - والشعر الذي يكون تحت حنك الكلب كأنه طاقة -  
وساقا الكلب كأنهما خشبة من صلابتهما - والحية اتصبت كأنها ربح مراكوز أو عود  
ثابت - والخصي كأن السيوف تلمع في لونه وكأنه مرآة صينية وكأنه وذيلة مجلوة  
و كأنه سحارة رطبة و كأنه قضيب فضة قدمه ذهب و كأن في وجناته الورد -  
و اذا أحب في غير أبواب العلم أن يبرز بعض صفات في معارضه مع ورة لجأ الى تشبيه  
الموصوف بأشخاص معروفين مشهورين حتى يكون المشبه به على مقربة منا كوصفه أحد  
البخلاء (١) :

« وكان يستعمل على خُوانه من الخدع والمكائد والتدبير ما لم يبلغ بعضه قيس بن  
زهير والمهأب بن ابي صفرة وخازم بن ابي خزيمة وهرثة بن أعين و كان عنده فيه من  
الاحتيال ما لا يعرفه عمرو بن العاص ولا المغيرة بن شعبة -  
انه لا ينزع في تشبيهاته الا الى ما يقرب من طريقته التي لجأ اليها كل حياته في كل  
مذهب من مذاهبه وما هذه الطريقة الا الطريقة الحسية حتى انه كثيراً ما يشبه بماسة من  
الحواص كاليد أو كالدح فكل صوره محسوسة -

لم يكن فنه في العلم والفلسفة الا فن الفلاسفة والعلماء الذين ينصرفون الى حل  
الأفكار والتنقيب عن صيغ العالم فهم لا يلتصمون من الألفاظ الا دلالتها على الأفكار  
دلالةً وجيزة فالجاحظ يجرّد كلامه من العناصر التي تجعل للكلام خصائص فنية فهو  
لا يجعل لاصور مقاماً في كلامه وانما انقام للعقل وللتمييز فكل تنميقة صحة البيان -  
ان فن الجاحظ العلمي انما هو فن الرجل الذي يخاطب العقل وأسلوبه فياض بالمعنى  
وبالمادة فهو يقذف بأفكاره كما هبطت عليه فكان كتاب الحيوان ضرب من احاديث في  
العلم والفلسفة ولكنها احاديث يفيوها عقل رجل فتان ، خفيف الروح فكان الجاحظ



في هذا الكتاب رجل مكسال فهو يخاف روح الترتيب فلا يريد الا الحديث من دون أن يستفرغ جهده في الترتيب حتى يكاد القارى يضيع في كثرة الاستطرادات وتعاظم الموضوعات وكما انه لم يتعب في قذف أفكاره فكذلك لم يتعب في قذف ألفاظه فألفاظه تنفجر من ينبوع لفته التي لا تنضب كما تنفجر أفكاره من ينبوع عقله الذي لا ينشف . ولهذا الميل المستحكم فيه وأعني به الميل الى الصيغ العقلية كان شعر الجاحظ بعيداً عن أن يكون ضرباً من الشعر فالجاحظ على نحو ما قاله فيه البديع في أحد شقي البلاغة يقطف وفي الآخر يقف ، فمن شعره قوله :

يطيب العيش أن تلقى حليماً      غذاه العلم والرأي المصيب  
ليكشف عنك حيرة كل ريب      وفضل العلم يعرفه الأريب

فاذا دققتم في الفاظ هذين البيتين كالعلم والرأي والحيرة والريب تبين لكم انها أفاظ مجردة والشعر لا يعرض علينا الأفكار المجردة كما يفعل النثر ولكنه يعرض علينا حقائق هذه الأفكار المحسوسة حتى نكاد ندرك الأفكار ذاتها وظواهر صيغها ، كل هذا في شكل مرصوص كأنه بناء مبني لا خلل فيه فالشعر غرضه أن يعرض الفكر في معرض ظاهر فهو يتحامى التجريدات ومصطلحات العلم واستدلالات الفلسفة التي هي من خصائص النثر فهي تجعل الشعر في عالم يختلف عن عالم الخيال وعالم الصيغ المحسوسة<sup>(١)</sup> وفن الجاحظ ممزوج بهذا الاصطلاح العلمي والاستدلال الفلسفي فما أبعدته عن أفق الشعر واذا مال في شعره الى شيء من التصوير كالتشبيه بوشي البرود وما شا كله فلانجد في تصاويره نوعاً من الإبداع وإنما يصب فيها على قوالب محفوظة ويذهب فيها مذاهب مألوفة .

غير أن الجاحظ لم يجبس نفسه على مذاهب العلم والفلسفة فقد أحب الحياة كما قلت لكم وصور كل مشهد من مشاهدنا وإنما جعل لكل صورة خصائصها فاذا أعطى الفلسفة والعلم مقاديرهما من الفن فهل قصر عن إعطاء غيرهما من معارض الحياة ما يستحقه من لوازم الفن .

إذا جاوزنا أفق العلم والفلسفة الذي جال فيه الجاحظ كل مجال وبني فنه فيه على أصول العقل وجدنا أن فن الجاحظ قد دخل في طور آخر .

(١) راجع كتابي : المتنبي - شعر العبقرية .

هل كان الجاحظ مصوراً .—

يقولون : المصور يبحث عن الألفاظ الدالة على المعاني من طريق الحقيقة دون المجاز المصور يبحث عن الألفاظ المحلية والألفاظ الفنية وعن صحة التعت .—  
فلنعتمد الى صورة من صور الجاحظ ، كصورة قاضي البصرة عبد الله بن سوار ،  
قال الجاحظ<sup>(١)</sup> :

كان لنا بالبصرة قاضٍ يقال له عبد الله بن سوار لم ير الناس حاكماً قط ذميماً ولا ركيماً ولا وقوراً حليماً ضبط من نفسه وملك من حركته مثل الذي ضبط وملك ، كان يصلي الغداة في نزله وهو قريب الدار من مسجده فيأتي مجلسه فيعتبي ولا يتكبر فلا يزال منتصباً لا يتحرك له عضو ولا يلتفت ولا يجل حبوته ولا يجل رجلاً على رجل ولا يعتمد على أحد شقيه حتى كأنه بناء مبني أو صخرة منصوبة فلا يزال كذلك حتى يقوم الى صلاة الظهر ثم يعود الى مجلسه فلا يزال كذلك حتى يقوم الى العصر ثم يرجع لمجلسه فلا يزال كذلك حتى يقوم لملاة المغرب ثم ربما عاد الى محله بل كثيراً ما كان يكون ذلك اذا بقي عليه من قراءة العهود والشروط والوثائق ثم يعلي العشاء وينصرف ، فالحق يقال لم يتم في طول تلك المدة والولاية مرة واحدة الى الوضوء ولا احتاج اليه ولا شرب ماء ولا غيره من الشراب كذلك كان شأنه في طوال الايام وفي قصارها وفي صيفها وفي شتائها وكان مع ذلك لا يحرك يده ولا يشير برأسه وليس الا ان يتكلم فيينا هو كذلك ذات يوم وأصحابه حواليه وفي السماطين بين يديه إذ سقط على أنفه ذباب فأطال المكث ثم تحول الى مؤق عينيه فرام الصبر في سقوطه على المؤق وعلى عضه ونفاذ خرطوميه كما رام من الصبر على سقوطه على أنفه من غير أن يحرك أرنبته أو يفض وجهه أو يذب باصبعه فلأطال ذلك عليه من الذباب وشغله وأوجعه وأحرقه وقصد الى مكان لا يحتمل التغافل أطبق جفنه الأعلى على جفنه الأسفل فلم ينهض فدعا ذلك الى أن يوالي بين الأطباق والفتح فتفتحي ريثما سكن جفنه ثم عاد الى مؤقه بأشد من مرته الاولى فغمس خرطوميه في مكان كان قد أوهاه قبل ذلك فكان احتمالها وعجزه عن الصبر عليه في الثانية أقل فحرك أجنفانه وزاد في شدة الحركة وأح في فتح العين وفي تنابع الفتح والإطباق فتفتحي عنه بقدر ما ~~سكنت~~

(١) كتاب الحيوان — الجزء الثالث ص ١٠٦

حر كنهه ثم عاد الى موضعه فما زال بلع عليه حتى استفرغ صبره وبلغ مجوده فلم يجرد بدأ من أن يذب عن عينيه بيده ففعل وعميون القوم اليه ترمقه وكأ أنهم لا يريدونه فتغنى عنه بقدر ما رد يده وسكنت حر كنهه ثم عاد الى موضعه ثم ألجأه الى ان ذب عن وجهه بطرف كنه ثم ألجأه الى ان تابع بين ذلك وعلم ان فعله كله بعين من حضره من أمنائه وجلسائه فلما نظروا اليه قال أشهد أن الذباب ألح من الخنفساء وأزهى من الغراب وأستغفر الله فمأ أكثر من أعجبته نفسه فأراد الله عز وجل أن يعرفه من ضعفه ما كان عنه مستوراً وقد علمت أفي عند نفسي من أضعف الناس فقد طلبني وفضحتني أضعف حلقة ، ثم تلا قوله تعالى وان يسلمهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب . وكان بين اللسان قليل فضول الكلام وكان مهيباً في أصحابه وكان أحد من لم يطعن عليه في نفسه ولا في تعريض أصحابه للمثالة . — «

فلترجع بعد ان قرأنا هذا الوصف الى كل دقيقة من دقائقه . —

للصورة في عصرنا هذا شروط خاصة فمن خصائص الصورة أن يفصل المصور على وجه عام هيئة الموصوف كالكلام على قامته وعلى لونه وعلى عينيه وعلى شعره وعلى أسنانه وما شابه ذلك فيتكلم على محاسن هذه الهيئة أو على مساوئها فاذا فرغ من هذا كله تكلم على خصائص عقله فوصف بمآمد هذا العقل أو مقابجه ما بطن منها وما ظهر فاذا فرغ من هذا تكلم على قلبه فوصف بمختلف عواطفه وأهوائه . —

ليس في هذا الرسم شيء من المصاعب وإنما المصاعب ان يفتح الواصف عن كل شكل من الأشكال بلهجة من الكلام خاصة تباغت القاري فتسليه وتسره . —

أهمل الجاحظ الكلام على هيئة القاضي فلم يصف لنا شيئاً من قامته أو لونه أو عينيه أو شعره أو غير ذلك من ظواهره ولكنه لم يهمل الكلام على جلسته ، كيف يجلس هذا القاضي :

« يأتي مجلسه فيعجب ولا يتكى فلا يزال منتصباً لا يتحرك له عضو ولا يلتفت ولا يحل حبوته ولا يحل رجلاً على رجل ولا يعتمد على أحد شقيه الخ . . . »

قلت لكم : المصور يبحث عن الألفاظ الدالة على المعاني من طريق الحقيقة لا من طريق الهجاز فاذا دققتم في هذه الألفاظ التي لجأ اليها الجاحظ وجدتم انها بعيدة عن الهجاز

ولما اضطر الى تشبيه هذا القاضي في وقار جلسته رجع الى عاداته في التشبيهات المحسوسة فشبهه ببناء مبني وبصخرة منصوبة فلم يقل في هذا التشبيه وانما كانت الصورة على مقربة من حواستنا فهي مثل قوله : كالخيط الأسود الممدود -

فالجاحظ في تصويره يعتمد الى الألفاظ التي تفصح عن المعاني من طريق الحقيقة واذا لجأ الى المجاز وقليلاً ما بلجأ فانه يقرب ولا يبعد -

وكما يبحث المصور عن هذا الضرب من الألفاظ فكذلك يبحث عن الألفاظ الفنية فلما قال الجاحظ : ثم ربما عاد الى محله بل كثيراً ما كان يكون ذلك اذا بقي عليه من قراءة العمود والشروط والوثائق ، لما قال الجاحظ هذا القول استعان بالألفاظ الفنية ، ما هي هذه الألفاظ : العمود والشروط والوثائق ، هذه هي مصطلحات القضاة -

وكما لم يهمل الجاحظ الكلام على جلسة القاضي فكذلك لم يهمل الكلام على محاسن صفاته ، ففي ثلاث كلمات وصف هذه المحاسن فقال : لم ير الناس حاكماً قط ذمياً ولا ركيناً ولا وقوراً حليماً ضبط من نفسه وملك من حركته مثل الذي ضبط وملك -

وبعد أن فرغ من الكلام على صفات عقله تكلم على بعض صفات قلبه : ما هي هذه الصفات : الشعور اللذيذ البارز في صلاة الظهر وصلاة العصر وصلاة المغرب وصلاة العشاء في أوقاتها -

لا شك في ان الجاحظ لم يبطل الكلام على هذه الصفات كلها وانما وصف منها ما له متعلق برجل قاض ، قد لا يكون للصورة في عصر الجاحظ القواعد التي لها في عصرنا ولكن الجاحظ لم يقل عن الكلام على الأشكال بلهجة تباعث فتسلي وتسره ، فمن هذه التسلية ومن هذه المسرة : سقوط الذباب على أنف القاضي وإطالته المكث وتحويله الى مؤق عينيه والمباغنة فيهما صبر القاضي على عضه وعلى نفاذ خرطوميه من غير أن يحرك أرنبته أو بغض وجهه أو يذب باصبعه ،

ومن هذه التسلية ومن هذه المسرة إطباق القاضي جفنه الأعلى على جفنه الأسفل وموالاته بين الإطباق والفتح وتحريكه أجنفانه وزيادته في شدة الحركة والمباغنة فيهما ذب القاضي عن عينيه بيده وبطرف كفه -

فالجاحظ مصور من أكبر المصورين وتكاد تكون قصة القاضي عبد الله بن سوار

مثال التصوير في أدبنا فقد جرت الجاحظ الى هذا القاضي التباه القاري<sup>١</sup> فثبت انتباهه هذا في مختلف أوضاعه وواتد عن هذه الأوضاع أفكاراً وآف بين هذه الأفكار فالصورة لم تكن حلاً مجرداً وإنما هي رسم حقيقي ، إنما هي معرض من معارض الحياة ليس فيها شيء من اوصاف العقل أو العاطفة مما لا تقع عليه عين وإنما فيها وصف شيء تراه العين فهي صورة واضحة قوية صور فيها وضع من الأوضاع في مختلف حالاته . —

لا شك في انكم قد لاحظتم ان من أساليب الجاحظ في هذه القطعة التردد فمن ترديده قوله : فلا يزال كذلك حتى يقوم الى صلاة الظهر . . . فلا يزال كذلك حتى يقوم الى العصر . . . فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة المغرب . . .

والترديد وسيلة من وسائل الفن فان الكلمة المرددة توضح الفكر أحسن توضيح فتوحى المعنى الى الذهن وتستثير هذا الذهن فان اللفظة اذا رددت كان لترديد جرسها تأثير في تثبيت العناصر في الذهن . —

وكثيراً ما ياجأ الى هذا الباب فرمة يردد انتم ذاته كقوله في قصة محمد بن أبي المؤمل في البخلاء :

« ولم يكن أكله الا على قدر أكله اذا أتى بذلك في طبق نظيف مع خادم نظيف عليه مندبل نظيف . »

ومرمة يردد الفعل كقوله في وصف سمابة<sup>(١)</sup> :

« فاذا سمابة نصحيا تكاد تمس الأرض وتكاد تمس قم رؤوسهم . . . ثم قوله : ثم انها دفعت بأشد مطر . . . ثم اندفعت بالضفادع العظام . . . ثم اندفعت بالشبايط . » أو قوله<sup>(٢)</sup> :

« ومن العجب في قسمة الارزاق ان الذئب يصيد الثعلب فيأكله ويصيد الثعلب القنفذ فيأكله ويربغ القنفذ الأفعى فيأكلها . . . »

فكرة ركلة : نأكله ثماني مرات في خمسة سطور وما يقال في التردد يقال في لجوء الجاحظ الى استعمال اللفظ وضده إظهاراً للمعنى فالغاية التي يؤدي إليها ترديد التمتع أو

(١) كتاب الحيوان — الجزء الاول ص ٦٨

(٢) = = = السادس ص ١٠٢

الفعل أو الاسم إنما هي شبه الغاية التي يؤدي إليها استعمال اللفظ وضده فكل هذه الوسائل إنما المقصد منها تثبيت الفكر في الذهن -٠

هذه عناصر يسيرة يتركب منها بنسأ الجاحظ ، أما جملة البناء فان لها أشكالاً شتى .

مرةً نتموج عبارته فنبتسط ثم تمتد حتى تغيب عن النظر فلا يقف بك كلامه الا بعد شيء من الشعب ونماذج هذه العبارة كثيرة منها قوله في وصف الكتاب<sup>(١)</sup> :

وقد يذهب الحكيم وتبقى كتيبه وبذهب العقل ويبقى أثره ولولا ما أودعت لنا الاوائل في كتبها وخأدت من عجيب حكمتها ودوأت من أنواع سيرها حتى شاهدنا بها ماغاب وفتحنا بها كل مستغلق كان علينا فجمعنا الى قليلنا كثيرهم وأدر كنا مالم نكون ندر كه الأبيهم لما حسن حفظنا من الحكمة واذهب سبينا الى المعرفة -٠ «

ومرةً بقطعها تقطيعاً كأنها ألحان موسيقى كل لحن له رنته<sup>(٢)</sup> :

« اللهم انما نعوذ من فتنة القول كما نعوذ بك من فتنة العمل ونعوذ بك من التكلف لما لا نحسن كما نعوذ بك من العجب بما نحسن ونعوذ بك من السلاطة والهذر كما نعوذ بك من الهي والحصر -٠ «

فيأخذ كلامه في مثل هذا التقطيع نصيبه من الراحة ويمهد للقاري مثل هذا النصيب :

ومرةً يرسل الكلام إرسالاً لا يبالي بتوجهه وتقطعه ، من هذا القبيل كلامه في

البعلاء وفي كثير من كتاب الحيوان -٠

من كل ما تقدم يتبين لكم أن الصور التي بعرضها علينا الجاحظ قليلة وهي صور قريبة لاتعجب الحواس في إدراكها وإنما الجاحظ اذا أراد أن يصبغ فنه عمد الى صباغ من غير الجنس الذي نعهده فهو يجيي فنه وينفخ فيه روحاً بلجونه الى توضيح حقائق التفاصيل انه يصور الأفكار بريشة الحوادث نفسها فيختار لها أحوالاً وخصائص تزينها هذه الأفكار واذا أردتم أن تعرفوا نموذجاً من هذا الفن فارجموا الى كلامه على ذرء الحمام وطلبه الوارد<sup>(٣)</sup> .

(١) كتاب الحيوان - الجزء الرابع ص ٤٢ .

(٢) مقدمة البيان والتبيين .

(٣) كتاب الحيوان - الجزء الثالث ص ٤٦ .

ليس في هذا الكلام شيء من الصور وإنما فنُّ الجاحظ فيه تصوير الأفكار ذاتها  
بتفصيل دقائقها وأكثر كلام الجاحظ على هذا النمط —  
وإذا شاء الباحث أن يستوفي خصائص فنِّ الجاحظ أو شك أن ينقطع به الكلام  
وأظن أن في هذا القدر إشارة إلى أنه بقي علينا أن نعرف كيف عالج الجاحظ لغة هذا  
الفن وكيف زاو لها —

دمشق : في ١٤ أيار سنة ١٩٣٢ شفيق جبوري



## آراء وافكار

—(١)—

### اصل بناء حلب الشهباء

لقد اضطرب قول المؤرخين في أصل بناء مدينة حلب الشهباء ، وقد خبطوا في الامر خبط عشواء ، فمنهم من جعلها من بناء ابراهيم الخليل ، ومنهم من جعلها من بناء العماليقين وآخرون جعلوها من بناء الحثيين أو الروطانوس ، الذين تشهد الكتابات الهيروغليفية بانهم كانوا يسكنون سورية الشمالية ، وهم من ذرية (لود) وقد ملكوا سورية قروناً طوالاً ، ولم يقوض مرادق ملكهم الا الحثيون الذين دفعوا لهم الجزية ، وهناك قوم عزوا بناءها الى بلكورس أو بلوكوسكس ملك الموصل ، الذي ملك في القرن الخامس عشر قبل المسيح فبناها ودعاها بهذا الاسم ، على شرف حلب بن مهر بن خاب الذي كان متسلطاً على قنشرين .

على ان علائق الشهباء مع الحثيين هي بيئة فان أقدم عصر ذُكرت فيه هو القرن المشرون قبل المسيح ، أما تاريخ تأسيسها واسم بانيتها ، فهذا ما استسر علمه على المؤرخين ، ولكن الاب (دورم) البهانة الاثري الشهير نشر في مجلة سورية العلمية سنة ١٩٢٥ خلاصة ما بلغ اليه في هذا الشأن فقال : لم يعلم الباحثون شيئاً يذكر من تاريخ حلب القديم ، حتى هذه الأعوام الاخيرة . ولكن الكتابات الهيروغليفية تذكر حيناً بعد آخر مدينة حلب في النصوص المتعلقة بامينوفيس الثاني أورعمسيس الثاني في عهد الدولة السابعة عشرة أو التاسعة عشرة ، فالوثائق التاريخية المصرية لاتدل على وجود مدينة حلب قبل القرن الخامس عشر قبل المسيح . اما الكتابات السامرية فانها لاتبدأ بذكر اسمها الا في عهد (سلما ناصر) الثاني الذي ملك من سنة ٨٥٩ حتى سنة ٨٢٤ وهي تدعوها (Halman)



أوحلوان — كذلك الكتاب المقدس فان مدينة «حلبون» المذكورة فيه ليست سوى قصبه «حلبون» التي تقع على ثلاث ساعات من دمشق ، وهي عاصمة بلاد الحلبونيين التي اشتهرت بحرها الجيد . أما المؤرخون اليونانيون والرومان فانهم كانوا يدعونها «بيروه» وكذلك الملك سلوقوس نيكاتور كان يسميها بهذا الاسم ، وقد تلا تلوم المؤرخ اليهودي «يوسيفوس» .

فلارب إذن في وجود مدينة حلب منذ القرون الاولى لتاريخ بلاد سورية ، وكانت تعقد المعاهدات التاريخية مع ملك الحثيين وكان الشعبان كفرسي رهان ، وان سجلات «حانوزا» الملكية تتضمن ماجل ودق من تاريخ مملكة حلب وماطراً عليها من الكوارث والتقلبات منذ عهد حانوزيبيليس الاول الذي حكم في القرن العشرين قبل المسيح فلم تبقى شبهة في ان مدينة حلب قد ذكرت لأول مرة في التاريخ في القرن العشرين قبل الميلاد . ولكن ما هي ياترى تلك الكوارث والتقلبات التي تسردها سجلات حانوزا الملكية ، وكيف يتتدي تاريخ مدينة حلب ؟ تمكن معرفة هذا من الكتابة المذكورة التي صُورت باحرف بابلية .

وكان ملك حلب في ذلك العهد ( ٣٣٦ قبل المسيح ) «ريشيرهاما» وملك الحثيين «مورشيليشو» الثاني عم ريشيرهاما . اما الكتابة فليست سوى نص معاهدة وُقعت بين الملكين المتحاربين ، وليس لدينا سوى نسخة منها نُقلت باصر «موفاتاليش» بن «مورشيليش» وقد فقدت النسخة الاصلية . وقد جاء في تلك المعاهدة ما نصه :

« كان ملوك بلاد مدينة حلب ( Halaap ) قديماً السلطان على مملكة عظيمة وكان حانوزيبيليس الملك الكبير ، ملك بلاد مدينة حاطي قد جعل تلك المملكة تزحم منكب الجوزاء وتعلو جناح النسر » وفيها ايضاً بعد بضع عبارات : « بعد حانوزيبيليس ملك بلاد مدينة حاطي هدم مورشيليش الملك الكبير حفيد حانوزيبيليس الملك الكبير مملكة بلاد مدينة حلب ( Halaap ) وبلاد مدينة حلب » .

ونقرأ في وصية تلميپينوش السياسية ( قرب سنة ١٧٢٥ قبل المسيح ) ، ان مورشيليش قد أتى الى مدينة الحانوزيين بمجموعي «حالايا» وبخيراتها . وطلبه فلا إشكال في حدوث حرب في تلك الأعصر بين الحثيين وبين الحلبيين

الأولين . وكانت الوقائع التي سردناها نتيحة تلك الحرب . لا بل ان دخول مورشيليش الاول مدينة حلب واستيلاءه عليها لم يكن سوى مرحلة من مراحل التوسع الحثي . فان التاريخ والوصية المشار اليهما بقولان ايضاً « ان مورشيليش الاول قام من حلب على بابل وأوقع في بابل البوار والدمار » .

مع ان كبار الباحثين جعلوا هذا الهجوم على مدينة بابل نحو عام ١٨٧٠ قبل الميلاد ، فكان الشاهد الصادق على ان الحرب بين الحثيين والحلميين قد نشبت في أواخر القرن العشرين قبل المسيح .

فقد ظهر ان مدينة حلب في ذلك العهد كانت قطب مملكة زاهرة تسمى ( بلاد مدينة حلپاس ) ومنها جاء اسم حلب ، فيكون اسمها لم يزل ثابتاً منذ تأسيسها حتى عهد العرب الذين سموها هم ايضاً به .

ولكن مملكة حلب ومدينة حلب ، بعد ان دمرهما «مورشيليش» الاول ، عادتا الى الوجود اذ رجع احد الملوك فبنى المدينة من جديد . ولا يدخل في علم التاريخ شيء من أطوارهما مدة اربعمائة سنة أو أكثر حتى أواخر القرن السادس قبل المسيح ، اذ نشاهد الحلميين في عهد «توداليش» الاول ملك الحثيين ، قد لف شملهم بسكان «هانيكالباد» في جنوبي شرقي نهر الفرات واتحدت وجهتهم في مقاومة الحثيين ، فأصبحوا لهم حرباً عليهم إلباً . وكان من وراء ذلك العصيان تقويض مدينة حلب باسم «توداليش» الاول . وقد بنيت مرة ثانية ولكنها ما فتئت على خلاف مع الحثيين ، بل كانت تشور عليهم أحياناً . فن نصح نص المعاهدة التي عقدت بين مورشيليش الثاني وريميشرها ، ا ، ثبت له ما سبق وعرف تاريخ حلب حتى الى ما بعد الحرب التي نشبت في أواخر القرن السادس عشر قبل الميلاد .

اما المصريون فانهم حكموا حلب في عهد تو طمس الثالث ، الذي ملك من سنة ١٥٠١ قبل المسيح حتى عام ١٤٤٧ . ومنذ ذلك الحين انجلت عن تاريخ حلب الشكوك والأوهام .

حلب : الخورى جبرائيل رباط



## مطبوعات حديثة

### كتاب الجزائر

« تأليف السيد احمد توفيق المدني طبع في المطبعة العربية في الجزائر »

« سنة ١٣٥٠ هـ ص ٤٠٨ »

من أمتع الكتب التي نشرت في الجزائر على عهدنا الأخير على أسلوب عصري بديع  
تام بتأليفه ووضع وطبعه ، هذا السفر النفيس كتبه مؤلفه بأسلوب رشيق وعبارة منسجمة  
فرسم لنا صورة الجزائر طبق الأصل بحيث من يقرأ كتابه يلم بتاريخ ذلك القطر وتقويم  
أرضه وعادات أهله وأخلاقهم وأصول إدارته وقبائله ومراكزهم وعناصره وسكانه . قال  
ان العربية العامية فيه هي أفصح اللهجات العربية وان من يتكلم بها العامة ومن دخلوا في  
الجيش فيزجون العربية بالفرنسية بالبربرية بالابطالية الخ ، وأفاض في المعاهد الاسلامية  
وغيرها وجميع ماله علاقة بادارتها وصنائعها واقتصادياتها وحضارتها الحديثة والقديمة .  
وكان المؤلف على تحمسه الظاهر في بعض صفحات كتابه صادقاً في آرائه لم يسعه الا ان  
يقول قول المؤرخ الاجتماعي للجزائر بين ومما قال : « وبعد فالجزائر اليوم تسير  
خطوات شاسعة في ميدان النهضة العربية الاسلامية وانها بطلانها وكتابها وشعرائها  
ومدرسيها ورجال العمل فيها تعي نفسها مركزاً متيناً في عالم النهضة العربية ، انما الخطوة  
التي بقي عليها ان تخطوها هي ان يشارك الشبان المتعلمون تعليماً فرنسياً عصرياً في الآداب  
والعلوم العربية ، وان يشارك علماء العربية وكتابها وشعراؤها في العلوم العصرية الحديثة  
حتى تتوحد الثقافة ويسير الفريقان بدأ في يد في طريق واحدة وغاية الجميع رفعة شأن  
الوطن ورفع الجزائر الخالدة الى أسمى مقام . » (ص ١٠١) وقال (ص ١٤٤) انساني

طغيان اللغة العربية العامية على كل البلاد العربية والبربرية من جهة ونرى ان هذه اللغة قد أخذت تترقى وتتهذب وتزداد كل يوم اقتراباً من اللغة الفصحى والفضل في ذلك راجع للمدارس والدروس والصحافة والمحاضرات . « والمؤسف ان خمسة في المئة من المسلمين هناك يعرفون القراءة والكتابة وينقسم التعليم فيها (ص ٢٩٣) الى قسمين تعليم الفرنسيين والاوربيين وهو إجباري فليست تجد قرية أو دشرة أو مركزاً صغيراً الا ورأيت فيه بناية المدرسة الجميلة وأطفال القرية اوالمركز يجيرون على التعليم ، والقسم الثاني تعليم المسلمين وهو يسير الهويثا . والتعليم في الجزائر يتبع مبدئياً نظام التعليم في فرنسا وفي أمهات المدن مدارس لتخرج المدرسين والمدرسات ، وجملة الاوربيين الذين يتلقون علومهم في هذه المدارس يبلغون زهاء ١٣٦ الفاً من البنين والبنات ( وجملة الاوربيين ٩١٣ الفاً ) ويتعلم في مدارس الحكومة من المسلمين ٦٠ الفاً ( وجملة المسلمين نحو ٦ ملايين ) فيبقى ٧٨٠ الفاً من المسلمين لايدخلون المدارس ، ومنهم من يتلقى علومه في نفس المدارس الفرنسية وعدددهم ٩ آلاف ٤٨ الفاً يتلقون العلوم بالفرنسية في مدارس خاصة وعددها في القطر الجزائري ٥٤١ مدرسة منها ٥١٩ مدرسة للذكور وتلاميذها ٤٥ الفاً و٢٢ مدرسة للبنات تليذاتها ٣٠٠٠ ، وفي الجزائر ثلاث مدارس للتعليم الثانوي في مدينة الجزائر وقسنطينة وهران وثماني مدارس عليا ( كوليج ) وعشرمدارس حرة اوربية وثلاث مدارس تمهيزية للبنات ويزيد إقبال المسلمين على التعليم الثانوي . وللتعليم العالي في الجزائر ( الجامعة ) وفيها كلية الحقوق وكلية الطب والصيدلة وكلية الآداب وفيها تلتقى دروس اللغة العربية الفصحى والمدنية الحديثة والفلسفة الاسلامية ويستفيد في العلوم الاسلامية الاوربيون وقليل من المسلمين ومن أبناء المسلمين نحو ٧٥ طالباً يتلقون التعليم في مختلف الكليات . والتعليم الابتدائي العربي مهمل ويعنى بعض العناية بتعليم العربية في الثانوي والعالي ، وفي الجوامع مدرسون يدرسون الفقه والتوحيد والنحو وهم منبشون في ٣٣ بلدة من بلاد الجزائر ، ويعلم علماء الدين في ثلاث مدارس اسلامية وهي المدينة وتلمسان وقسنطينة ومن هذه المدارس يؤخذ القضاة والمفتون وغيرهم ، وهناك مدارس قرآنية حرة لتعليم العربية وهي ثلاثون مدرسة في القطر الجزائري تعلم ثلاثة آلاف من أولادها والإقبال عليها كثير وهي تقوم بمال المسلمين وفي استطاعة اهل كل قرية اودشرة اومدينة

أن تؤسس مدارس قرآنية والحكومة تشتترط لهذه المدارس ان تكون أما كتبها صحيحة وان يكون الشيخ او المؤدب محرراً شهادة تثبت انه اهل للتدريس ولكن الجزائريين هملون التوسع في هذه المدارس للبنين كما أهملوا البنات ، وهناك بعض المدارس الاسلامية التي يتخرج فيها الطلبة على الاصول القديمة لكنها غير منتظمة وذلك لتهاون الجزائريين بها مع ان الحرية مطلقة لهم في ذلك . الى غير ذلك من المدارس الزراعية والصناعية والتجارية وكلها مفتحة الابواب لا تطلب غير الاقبال عليها من المسلمين كما أقبل عليها غيرهم من نزلاء الجزائر والغرباء عنها من القاصية فاستفادوا وأفادوا . وقصارى القول أن كتاب الجزائر من الكتب الخالدة المفيدة فيه روح الشباب والتجدد ولا نصح ان تخلو منه خزانة كتب شرقية فلؤلفه الشكر على هذه التحفة البديعة التي أنحف بها المكتبة العربية .

م . ك



### الصبح المنبي

— عن —

« حياية المنبي »

أعاد طبعه الشيخ ياسين عرفة بدمشق — مطبعة الاعتدال — ٢٩٢ صفحة من القطع الوسط .—

يتضمن هذا الكتاب جملة صالحة من أخبار المنبي على ما هو متعارف ، غير أن عيبه انما هو عيب بعض كتبنا في القديم فلم يرو صاحب الأخبار من مبادئها الى خواتمها على صورة مرتبة فقد رواها على صورة مفارقة مبداً وانه ليروي لنا أخبار المنبي عند سيف الدولة اذ ينقلب بنا لجأة الى أخباره عند ابن العميد على غير مناسبة فلو ذكر صاحب الصبح المنبي أبناء المنبي دفعة واحدة من دون أن يتخللها شيء من نقد الشعر أو غيره مما لا محل له في فصل الأبناء لكفى القاري كثيراً من العناء فأدبنا في القديم لا يزال فوضى بنقصه كثير من الترتيب .—

وقد تولى إصلاح خطأ المطبعة الأستاذ عز الدين علم الدين عضو مجمعنا العلمي وقدم

الكتاب بمقدمة أشار فيها الى فريق من الذين شرحوا ديوان المنبي ولمح الى إسباب صاحب كتاب الصحيح المنبي في استطراداته وذكر بعض حسنات هذا الكتاب من جملتها صدق كثير من احكامه على المنبي وإلمامه بكثير من حوادث بعض الابيات التي يستعين بها الدارس على فهمها ومفاضلته بين كثير من القوائد . —

وأشار الى زيادات هذه الطبعة أي طبعة الشيخ ياسين عرفة . —  
والكتاب مطبوع طبعاً جيداً على ورق جيد وفيه بعض خطأ من هذا الخطأ أم وزير كافور فقد سماه صاحب كتاب الصحيح المنبي : ابن حرايه وبقي اسمه هكذا في الطبعة التي نتكلم عليها والصحيح ان اسمه : ابن حنزابة . —

شفيق جبري

### أحاديث الزواج في مصر

كتاب جيد الورق متقن الطبع طبعته مطبعة المعارف ومكثتها بمصر القاهرة وضعه مؤلف عالم ضليع من فلسفة الاجتماع لم يشأ — تواضعاً او لغرض من الاغراض — ان يذكر اسمه في فاتحته بل جعله 'غفلاً' واستعار له اسم «رسول الزواج» واكرم به من رسول فصيح اللسان جلي البيان ، وجه رسالته بنوع اخص الى الفتى الناهض والفتاة المصرية يسأيهما بما فيه من فلسفة وادب صحيحين وبضئ عظيمهما بنور وحي الحكمة التي فيه حتى اذا اقبلا على الزواج ترسما رسم خطواته .

قسم المؤلف احاديثه الى ابواب عالج فيها فلسفة الزواج ومنافعه ومشاكله وكل ما يتعلق به من اوليات وشروط ونتائج ومخصص الاسباب في كل ذلك وردتها الى علمها ومنابتها ووصف دواء ادوائها . وقد حلاه برسوم منتقاة كل واحد منها بوافق الفصل الموضوع فيه ويزيده بياناً فوق بيانه الادبي واللغوي . حريّ بهذا الكتاب ان يقرأه الكبير والصغير وان تكون له مكاتبه على مناقض العائلات الكريمة .

عبد الله رعد

## منابت الصهيونية

ككتب مطبوع في مدينة سان باولو إحدى امهات مدن البرازيل وضعه السيد توفيق قربان . وهو يحتوي على قصة ملفقة القصد منها تكريه الناس من اليهود الصهيونيين المستعمرين لفلسطين ولكنه بهذا التلغيق لم يصب الهدف بل حطّ فيه من كرامة السحيين واليهود عامة . لانه اول في هذه القصة آيات التوراة على غير تأويلها والتوراة كتاب منزل في اعتقاد المسيحيين واليهود وله فوق ذلك اعتبار كبير عند سوام من الشعوب ومكانة عظيمة في التاريخ . وليته طرق غير هذا الباب فيما رماه اذاً لما طاش سبمه .

وتلي قصة منابت الصهيونية في هذا الكتيب قصص اخرى من تعريب السيد قربان الا ان تسميته لها « اجتماعية » في غير موضعها لان ما في كل منها من المغزى لا ينطبق على مبادي الشرف والاستقامة ، وخصوصاً مغزى القصة التي اسماها بعنوان « رجل مستقيم » فلسفة الدين والاجتماع كثيرة التشعب والفروع عند الامم والشعوب واكمل شعبة منها انصار . الا ان السيد قربان كتب ونقل باللغة العربية ، اذاً فكتابته موجهة الى قراء العرب ، ولا اظن ان الكثيرين بين هؤلاء يقولون قوله او يرون رأيه . . —

اما من جهة اللغة المكتوبة بها هذه القصص في هذا الكتيب فلا بأس بها .

عبد الله رعد

## الاسلام

« للسيد هنري ماسي — طبع باريز سنة ١٩٣٠ عدد صفحاته ٢٢١ بقطع صغير »

Henri Masset - L' Islam , 221 pages . Paris 1930

يحتوي هذا الكتاب بالرغم من صغر حجمه على موجز تاريخ النهضة الاسلامية وقد افتتح كتابه بمقدمة عن العرب قبل الاسلام ثم بحث عن الاسلام وتطوره النبوي والمدني منذ نشأته حتى تاريخنا هذا كما أنه بحث في اصول الادارة الاسلامية وتقدمها في القرن الاولي . وما لا تفر المؤلف عليه قوله بأن محمداً ( ص ) حط من شأن المرأة وسلبها الحرية التي

كانت تتمتع بها في زمن الجاهلية والحقيقة ان الاسلام هو الذي صان حقوق المرأة كما صان حياتها . ونرجو ان لا يكون المؤلف قد تأثر ببعض المصادر المتخاملة على الاسلام وتاريخه  
جعفر الحسيني



### احصاء الابنية الاثرية

« في مدينة حلب »

للسيد ج سوافاجه — طبع باريز سنة ١٩٣١ عدد صفحاته ٥٦

*Inventaire des Monuments Musulmans de la ville d'Alep .*  
56 pages . Paris 1931

يحتوي هذا الكتاب على وصف لأشهر ابنية حلب الاسلامية الاثرية وعاديتها وقد بين مؤلفه في مقدمته خطورة حلب الاثرية وما تمتاز به عن بقية المدن الاسلامية الشرقية من وفرة آثارها وتنوعها ويمتاز هذا الكتاب عن غيره باشارته الى مواضع الخلل في كل بناء وما يحتاج اليه من الترميم والاصلاح وقد زينه برسوم ومخططات بعض هذه الابنية وبمح ان يتخذ هذا الكتاب دليلاً لكل من يزور مدينة حلب فيستنير به وينتفع بفوائده وذلك لخبرة مؤلفه الواسعة في آثار سورية الاسلامية .

جعفر الحسيني



### أخبار دمشق عن الصليبيين

*The Damascus chronicle of the Crusades H. R. A. Gibb*

كتاب نقله الى الانكليزية المستر ( ١٩٠٥ . ١٩٠٦ ) أستاذ اللغة العربية في جامعة لندن عن كتاب ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي وهو ذلك الكتاب العربي الذي طبعه الاستاذ اندروز في المطبعة الكاثوليكية في بيروت سنة ١٩٠٨ . وأضاف اليه مقدمة وجيزة مشفوعاً بفهرس الأسماء الواردة في تلك الرسالة مرتبة بحسب حروف الهجاء والأسماء اللاتينية القديمة وما يقابلها باللغة الانكليزية . عدد صفحاته ٣٦٨ وهو مطبوع على ورق صقيل وبحرف جميل .



أشار الاستاذ في المقدمة الى قلة الكتب العربية القديمة الباحثة في حروب الصليبيين الاولى وأثرها في الشرق الأدنى وبحث عن الرسالة المخطوطة التي عثر عليها منذ بضع سنوات في مكتبة البولديانا وقد تناولات ع...ماً عظيماً من تلك الحوادث بقلم ابن القلانسي فأحب نقلها الى اللغة الانكليزية ليسهل درسها على المؤرخين .

وقد جاء في مقدمته على ذكر حياة ذلك المؤلف العربي كما اقتبسها عن كتاب تراجم أعظم الرجال الدمشقيين وأسفار التاريخ الكثيرة مما نوجزه فيما يلي لئتمتلي منها قيمة هذا الكتاب الثمين الذي أخذت معظم أخباره عن مصادر رسمية بالنظر لشدة ارتباط المؤلف العربي بدواوين الدولة ولتأيمده الاخبار التي كان يسمها من المحاربين بالوثائق .

وابن القلانسي هو حمزة بن اسد المعروف بابي يعلى يمت بنسبه الى أسرة دمشقية معروفة تنتمي الى قبيلة تميم ، وقد درس الأدب والدين والشريعة واستخدم في المصالح العامة امين من ديوان الرسائل ثم انتهت اليه رئاسته . ووسدت اليه رئاسة المدينة وتوفي في ٧ ربيع الأول سنة ٥٥٥ هجرية الموافق ل ١١٨١ آذار سنة ١١٦٠ ميلادية عن عمر بلغ التسعين سنة . والكتاب المذكور هو الأثر الوحيد الذي قام بتأليفه وسماه « ذيل تاريخ دمشق » مما يدل على انه وضعه كتتممة لكتاب المؤرخ هلال الصابي وبدأ في نقل الحوادث منذ وفاة المؤرخ المذكور سنة ٤٤٨ هجرية وأورد في كتابه فقرات منه حتى تاريخ وفاته سنة ٥٥٥ هجرية . ويقسم الكتاب الى أقسام عديدة يبحث كل منها في مدة معينة ابتداءً من اول الحروب الصليبية حتى سنة ١١٦٠ ميلادية مع بيان الحوادث المهمة وما طرأ على دمشق اثناء ذلك من الامور وما تقلب عليها من ملوك وأمراء .

عبد الرحمن الجوخدار

## المخطوطات

« التي اقتناها المجمع العلمي حديثاً »

( تحقيق النصره بتلخيص معالم دار الهجرة ) مخطوط في مجلد لطيف الحجم يبلغ ٧٣ صفحة مؤلفه ابو بكر بن الحسين المراغي العثافي نزيل المدينة المنورة المتوفى سنة ٨١٦ اوله ( الحمد لله الذي جعل المدينة الشريفة دار هجرة رسوله الخ ) ويفهم من مقدمة المؤلف انه في تأليفه انما هو يلخص تاريخ الحافظ محب الدين البخار الموسوم ( بالدره الثمينة في اخبار المدينة ) وقد ضم اليه بعد التلخيص ( سوانح الشوارد وفوائد الفوائد ) الى آخر ما قال والنسخة غير حسنة الخط ولا متقنة الضبط وقد كتبت عن نسخة المؤلف التي يبضها في ١٢ رجب سنة ١٢٦٦ هـ وهي من ( كتب سلمان بن محمد الشامي ) وقد وقفها علي طلبة العلم في المدينة المنورة سنة ١١٩٤ هـ .

كتاب الفنطير ( كذا ) كامل الصناعتين ( كذا ) المعروف بالناصري سمي به لان مؤلفه ابا بكر ابن البدر البيطار صنفه برسم خزانة الملك الناصر بن قلاوون وهو مجلد كبير تبلغ صفحاته ٤٥٠ صفحة حسنة الخط ومتينة الورق . ولا يفهم موضوع الكتاب من اسمه وانما يعرف من فهرسته المسهب المفصل وهو في اظليل واوصافها وامراضها ومحاسنها ومساوئها وجميع ما يتعلق بها وارله ( ربما من دابة الآيه الحمد لله الواسع العطا الذي اسبل الغطا ) وقد قال في المقدمة انه لم يترك شيئاً مما يتعلق بالخليل حتى ذكره ( ولاسراً للزراقة والبيطرة والحاسين ( كذا ) والركبين الاواقفته علي حده الخ ) والكتاب مر كسب من عشر مقولات وكل مقولة من عدة ابواب وليس في النسخة ما يدل على زمن كتابتها وانما شكل الخط يدل على انها كتبت من عهد قريب . ويظهر ان مؤلفه ييطار قدير وله اب حاذق في صنعة البيطرة فهو ينقل عنه اشياء كثيرة في هذه الصناعة وحبذا لو طالعه احد علماء البيطرة في دمشق وخلص عنه مقالاً فان فيه فوائد لغوية واصطلاحية تتعلق بزمن الملوك الشراكسة .

( بستان الفقراء و نزعة الامراء ) كتاب في الوعظ صنفه الشيخ علي الكشامي الشافعي اوله الحمد لله الذي احكم الامور وقدرها وقد قال المؤلف انه جمعه من كتب عديدة

ورتبته على مئة وخمسة ابواب فجاء في نحو ٨٠٠ صفحة وقد فرغ من تأليفه سنة ٩٩١ هـ وقد كتبت المخطوطة سنة ١١٤٨ هـ وهي جيدة الخط مقروءة -٠-

(نتيجة العقاد في معرفة الأوقات) هو مخطوط كل صفحاته جداول ودوائر مرقومة بالخبر الاسود والاحمر والاخضر احياناً وقد افتحه مؤلفه بأرجوزة أبان فيها الغرض من تأليف نبيته قال في اولها :

(يقول يوسف الحقيير المتجني لحرم الله وعوداً يرتجي)

ومنها : (أرختها رزنامة هدية لها على امثالها مزينة)

وقوله (رزنامة هدية) تبلغ أجمديته سنة (١١١٢ هـ) وكتب هذه المخطوطة مراد ابن الشيخ علي نور الدين القباني تقيب طائفة القبانية بمصر تليذ الشيخ مصطفى ابي الاتقان الوفائي الخياط صناعة كتبها في رجب سنة ١١٩٥ هـ وقوله (الخياط صناعة) راجع الى كاتب النسخة (مراد) لا الى الشيخ أبي الاتقان الوفائي. والكتاب نفيس مفيد ولاشيا فيما يتعلق بالمليقات المصري واعياد المصريين ومواسمهم المختلفة فهو لم يدع من الاعياد الاقباط شيئاً حتى ولا عيد (ابو شنودة) و(وابوقطر) و(قاتل الحية) و(عيد مهربا) و(عيد فلوطس) الخ الخ اما المآكل وما يختار منها في الفصول فهو ايضاً فصل فيه القول تفصيلاً وكذا الاستحمام والطهوم والشروب ومهاب الرياح واوقات الزرع والحصد والقطاف الخ الخ . (شرح مقدمة قانون ابن سينا) مجلد ضمن حسن الخط مقروءه ملازوز الاسطر والكلمات لكنه كثير الغلط وعدد صفحاته (٦٢٠) واوله (الحمد لله الذي دقت حكته في خلقه الانسان) ومؤلفه هو (محمد بن محمود الأملّي) ذكر في مقدمته انه قدمه الى سلطان زمانه ولم يسمه وقد انتهى الكتاب بالفصل الحادي والثلاثين في الوصية بان الطبيب اذا تعددت الامراض في شخص فبأي مرض يبتدي؟ وبعدها وفي هذا قال مانصه (وليكن هذا القدر من كلامنا المختصر في الاصول الكلية لصناعة الطب كافياً ولناخذ في تصنيف كتابنا في الادوية المفردة) .

وفي عبارة الكتاب اخطاء كثيرة فإما ان تكون من الناسخ او تكون من المؤلف

نفسه لأنه يظهر من اسمه وأسلوب تقديمه الكتاب لسلطان عصره انه تركي عثماني .

«المغربي»

# كتاب التبصر بالتجارة

« للباحظ »

توطئة للناش

—(١)—

الجاحظ بصري المولد والوفاء ، بالبصرة وُلد وبها شب ودرج ، وفيها دوّن غالب تأليفه .

ما بين نصفي القرن الثاني والثالث نبغ الجاحظ حينما كان « العراق عين الدنيا والبصرة عين العراق »<sup>(١)</sup> ، وكيف لا تكون كذلك وهي عندئذ باب بغداد الكبير ومدخل دجلتها المتدفق بضروب المتاع وأنواع السلع المحلوبة من أطراف الدنيا ، نظير مرسيلية اليوم بالنسبة الى فرنسا أو جنوة لاطاليا وليفريول لبلاد الانكليز ، بل امتازت البصرة على تلك المراسي بنصيب أوفر وحظ أكبر إذ كانت مقصد القوافل الواردة من كل حدب وصوب ، ومحط رحال الشرق والغرب ، من جاهل الصين الى مفاوز الصحراء الكبرى ، ولذلك استفتح بها العمران وكثرت فيها المصانع والصنائع وصارت واسطة العرب والهمم وحق لها ان تتلقب « بقبة الاسلام » كما سماها عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) .  
ناهيك ببلد جمع لحسن الموقع أصداد الأشياء وأشتات الأرزاق ومختلف المكاسب والمطالب .

(١) ثمار القلوب للشعالي ص ١٢٧ ومهم البلدان لياقوت ٢ :

فاخر خالد بن صفوان البصري ببلده لدي عبد الملك بن مروان فقال :  
 « يغدو ساكنها قائماً فيجي هذا بالشبوط والشيم ، ويجي هذا بالظبي والظليم ،  
 ونحن أكثر الناس عاجاً وساجاً ، وخزاً وديباجاً<sup>(١)</sup> . »  
 وباهى الجاحظ نفسه بمسقط رأسه فقال :

« ومن أنى وادي القصر بالبصرة رأى ارضاً كالكانفور ، ورأى ضباباً تجترش ،  
 وغزلاناً وسمكاً وصياداً ، وسمع غناء ملاح في سفينته ، وحدا جمال خلف بعيره<sup>(٢)</sup> »  
 وقد قال الخليل بن احمد البصري قبله<sup>(٣)</sup> :

زروادي القصر نعم القصر والوادي في منزل حاضر ان شئت او بادي  
 تر به السفن والظلمات حاضرة والضب والنون والملاح والحادي  
 اشتهر أهل البصرة من قديم بالتطوح في الآفاق والتراجم على الأسفار البعيدة والضرب  
 في مناكب الارض طلباً للرزق والتأسساً للثراء ما جعل الجاحظ يصرح : « بانه ليس في  
 الارض بلدة واسطة ولا بادية شاسعة ولا طرف من أطراف الدنيا الا وانت واجد به  
 البصري والمدني<sup>(٤)</sup> » وقد اتفقت كلمة السائحين وأصحاب الرحلات على أهمية البصريين  
 في الترحال وغورهم في الاغتراب حتى قال ابو بكر الهمداني — وناهيك به من خبير :  
 « وأبعد الناس نجمة في الكسب بصري وحميري » ، ومن دخل فرغانة القسوى والسوس  
 الأقصى فلا بد ان يرى فيهما بصرياً أو حميرياً<sup>(٥)</sup> . »

ومن البديهي ان من كان في ذكاء الجاحظ وفطنته الغريزية وجبه استطلاع الاشياء  
 والبحث عن الجليل منها والحقير ، ويشاهد عياناً ما يجلب الى العراق من أطراف البلاد  
 وما يصدر منه الى سائر الآفاق لجدير أن يفيدنا بكل حذق وتدقيق عن الاحجار الكريمة  
 والأعلاق النفيسة والطرائف الثمينة والرياش الغالية وعن ماهيتها وأثمانها في عصره ، على

(١) معجم البلدان لياقوت ٢ : ٢٠٤

(٢) ثمار القلوب ص ٤١٩ . (٣) الكتاب المذكور ص ٤١٩ .

(٤) كتاب البخلاء ( طبعة مصر سنة ١٣٢٣ ) ص ١٦٠

(٥) كتاب البلدان للهمداني ( طبعة ليدن سنة ١٣٠٢ ) ص ٥١

أنه لم يكتب مجرد ذكر المتاجر ومصادرها بل زاد في البيان فنبه على المعمول من الجواهر واليواقيت والمغشوش من العطور والعقاقير ، وفرق بين العالي منها والمتوسط والردية فأضاف إلى الخبرة التفنن وإلى المعرفة التبصر ، وهو عين موضوع كتابه « التبصر بالتجارة » الذي نشره اليوم .

فلا عجب حينئذ ان اشتملت هذه الرسالة على فوائد جمة تهتم أرباب الصناعة والتجارة كما تفيد المشتغلين بعلم الاقتصاد والباحثين عن علائق العالم الاسلامي زمن غزارة حضارته وعنفوان قمدنه مع بقية الممالك .

وهي امرى افادة ذات شأن ، ترشدنا إلى ما وصلت إليه عواصم الاسلام الكبرى — لاسيما بغداد — من التجر في العمران وتوسع سكانها في وسائل البذخ والترف . ما جعل تجارها في حاجة إلى توريد نتائج أطراف المعمورة وان بعدت وركوب الاخطار والمشاق في سبيل استجلابها وبذل النفس والنفس في اقتنائها إجابة لرغبة الاغنياء وتسدبداً لشرة النساء إما لتأنيث القصور أو لزينة ربان الحدود !

نعم ! وضع المعنون بتقوم البلدان من أبناء العربية تأليف عديدة هي عمدتنا الآن في معرفة العلائق التجارية تديماً وما اختص به كل صقع من أنواع النتائج ، منهم ابن الفقيه المزداني ، وابن رسته الاصبهاني ، وابوزيد البلخي ، والاصمغري ، وابن حوقل ، وابن البشاري المقدسي وغيرهم من كبار الجغرافيين وأصحاب الرحلات ، غير أنا لانس ان الجاحظ هو الذي فتح لم باب التأليف في تقوم البلدان وخصائصها وشرع لم هذا المنهج ، فهم في الحقيقة عيال عليه — وان توسعوا بعد — ومقتنوا أثره ومقلدوه ، الامر الذي جعل أحدهم — وهو المقدسي — يقول : « واذا نظرت في كتاب الفقيه فكأنما أنت ناظر في كتاب الجاحظ <sup>(١)</sup> »

وهي امرى شهادة اعتراف بأسبقية الجاحظ في خوض هذا الميدان ، وليس هو باول موضوع يطرقه ذلك المبدع الماهر بل البحر الزاخر الذي لا ساحل له .

حرر الجاحظ هذا البحث الاقتصادي برسم احد كبار أحبابه ممن سبقت عنايته

(١) راجع كتاب « أحسن التقاسيم ، في معرفة الاقاليم » للمقدسي — طبعة ليدن

بالتأليف والاهداء اليهم ، فهو — وان لم يسمه — احد الأربعة : محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم ، وقاضي القضاة احمد بن ابي دؤاد ، والوزير الفتح بن خاقان ، وابراهيم ابن العباس الصوفي ؟ وأراني في غنى عن إثبات نسبة هذه الرسالة الى الجاحظ ، وان لم يأت ذكرها بين مصنفاته الواردة في فهرست ابن النديم ومعهم الادباء لياقوت ، لكن أبو منصور الثعالبي<sup>(١)</sup> والعلامة التويري<sup>(٢)</sup> تكفلا بتعريفنا بها ونقلها جملاً منها بالحرف الواحد ونسبتها الى مؤلفنا الكبير حسبما نشير اليه في محله .

على ان « التبصر بالتجارة » ليس باول كتاب للجاحظ لم يذكر من بين مؤلفاته فان « خصائص البلدان له » — وهو غير « كتاب البلدان » — لم يرد اسمه بعد في قائمة مانسب اليه لياقوت في مجمه وقد نقل عنه أبو منصور الثعالبي كثيراً<sup>(٣)</sup> .

أجل ! كثيراً ما يستعمل الجاحظ الفاظاً دخيلة في غضون مصنفاته وقد وقع جانب عظيم منها في رسالته هذه في التعريف بمسميات أجنبية ، وهو أمر متعارف جرت به عادة الكتاب والمؤلفين في عصر الدولة العباسية ، فلطالما استعملوا اصطلاحات ومعربات جعلها فارسي المأخذ لقرب بلاد ايران من العراق ، ولقد تتبع صديقنا ساكن الجنان العلامة احمد تيمور باشا أثر بعض المعربات الواردة في كتاب «نشوار المحاضرة» للتنوشي فعدد لشرحها فصولاً متممة نشرها في مجلة المجمع العلمي الدمشقية<sup>(٤)</sup> .

وقد حاولنا شرح ما ورد ضمن هذه الرسالة من غريب الدخيل على قدر الاستطاعة والجهد ، وباحتمال لو توفق من أبناء العربية من يضع لنا معجماً لغوياً يوضح لنا به السبيل الى فهم الفاظ الدخيل والمصطلحات التي كانت مستعملة في القرون الوسطى الاسلامية مثلاً فعل المستعرب الهولاندي دوزي في « مستدركه على المعجم العربية » ، وهي أمنية طالما أبداها كل من يعاني استقراء تصانيف الدور العباسي .

أما الاصل المنقول عنه فهو مثبت في ضمن مجموع خطي محفوظ بالمكتبة العمومية

(١) « ثمار القلوب » . (٢) « نهاية الارب » .

(٣) ثمار القلوب ص ٤٣٨ و ص ٤١١ . (٤) تفسير الالفاظ العباسية ، مجلة المجمع

العلمي العربي ، جزء تشرين اول سنة ١٩٢٢ ص ٢٨٩ وما بعده .

(مكتبة سوق العطارين) في حاضرة تونس ، وهذا المجموع يحتوي على أذكار وأدعية وذكر بعض الغزوات ، ثم رسالة حافلة في الخط وتماريفه من تأليف الوزير العباسي الشهير أبي عبدالله علي بن مقله ، ثم كتاب «التبصر» هذا ، ثم شرح قصيدة أبي الفضل ابن المحوي التوزري المعروفة بالمنفرجة من وضع الامام علاء الدين علي بن جمال الدين البصري الشافعي نزيل دمشق ختمه خلال سنة ٥٨٧٣ هـ ، وفيما يظهر ان كامل المجموع بخط يد هذا الشارح وهو خط شامي معتاد تغلب عليه الصحة الا في الاعلام والدخيل والمعربات : وبالرغم من بحثي الشديد للوقوف على نسخة ثانية من كتاب (التبصر) فاني لم أظفر بها فاقصرت على ايراد ما هو موجود هنا .

وقد بذلت جهدي في اكساء هذا الاثر الجليل الثوب الذي يليق به إحياء لذكرى واضعه الخالد ، وهو سبحانه ولي التوفيق .

المهدية الفاطمية (تونس) : ح . ح . عبد الوهاب الصادحي

شعبان ١٣٥٠

وفي الصفحة التالية يرى القارى ذلك الأثر الجليل :



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كُتِبَ أَبُو عَثْمَانَ عَمْرُو بْنُ بَجْرٍ الْجَاهِظُ الْبَصْرِيُّ :

سَأَلَتْ أكرمك الله عن أوصاف ما يستظرف في البلدان من الامتعة الرقيقة ، والأعلاق النفيسة ، والجواهر الثمينة المرتفعة القيمة ، ليكون ذلك مادة لمن حذقته التجارب ، وعوناً لمن مارسه وجوه المكاسب والمطالب ؛ وسميته بكتاب « التبصر » والله ولي التوفيق .  
زعم بعض المحصلين من الاوائل ان الموجود من كل شيء رخيص بوجدانه ، غالى بفقدانه اذا مست الحاجة اليه .

وقالت الروم : اذا لم يرزق أحدكم في ارض فليتحول الى غيرها .  
وقالت الهند : ما من شيء اكثر الارخص ما خلا العقل فانه كلما اكثر غلا ، (١) :  
وقالت العم : اذا لم تربحوا في تجارة فاعتزلوا عنها الى غيرها ، واذا لم يرزق أحدكم بارض فليستبدل بها (٢) :

(١) نسب أبو منصور الثعالبي هذه الكلمة الى نصر بن سيار والي خراسان ، لكنه أورد لفظ « الادب » « بدل » « العقل » ( كتاب الاعجاز والايجاز — طبعة مصر سنة ١٨٩٢ ص ٢٦ ) .

(٢) نقل أبو منصور الثعالبي جملاً من الفصول التي اوردها الجاهظ هنا ولم يعزها لاحد ولا شك انه اقتبسها من هذا التأليف ، قال الثعالبي في فصل « التجار والسوقة » من كتابه ( التمثيل والمحاضرة ) : اذا لم تربح تجارة فاعدل عنها الى غيرها ، واذا لم ترزق بارض فاستبدل بها — وقال : الراجح في كل سوق ، البائع لما ينفق فيها — وقال : شاركوا الذي اقبلت عليه الدنيا فانه اجلب للرزق — وقال : من اشترى ما لا يحتاج اليه باع ما لا بد منه « ومن هنا يظهر ان ما نقله الثعالبي هو عين ما اورده الجاهظ بتغيير قليل في اللفظ

وقالت الفرس : الراجح في كل سوق هو البائع لما ينفق فيها .  
 وقالت العرب : اذا رأيتم الرجل قد اقبلت عليه الدنيا فالصقوا به فانه أجلب للرزق .  
 وقيل لبعض الميساسير : ريم كثر مالك ؟ قال : ما بعث بنسيئة قط ، ولا رددت<sup>١</sup>  
 رجحاً وان قل ، وما وصل اليّ درهم الا صرفته في غيرها<sup>(١)</sup> :  
 وكان يقال لا تشتروا ما ليس لكم اليه حاجة فيوشك ان تبيعوا ما لا تستفنون عنه .  
 وزعم بعض الحكماء انه وجد في وصية الفرس : أيها الانسان ليس بينك وبين بلد انت  
 به نسب ، فخير البلدان ما وافقك<sup>(٢)</sup> . وخير الدهر ما أصلحك ، وخير الناس من نفعك ،  
 وخير الماء ما أرواك ، وخير الدواب ما حملك ، وخير الثياب ما سترك ، وخير التجارة  
 ما ربحك ، وخير العلم ما هداك ، وأحسن الحسن ما استحسنته وان كان قبيحاً ، وكان يقال :  
 خير الصناعة الخبز<sup>(٣)</sup> وخير التجارة البر .

### « باب معرفة الذهب والفضة وامتحانها »

قال الحكيم<sup>(٤)</sup> : يستحب من الذهب سبيكه وغير سبيكه ، وان يكون كئنا رخاوة  
 وشعاع مر كوم وكبريت ثاني<sup>(٥)</sup> وانما دامت دولته لانه لا تدحضه خبث الكبر ولا

- (١) كذا بالاصل وكان المؤلف أعاد الضمير الى التجارة ولذا جعله مؤنثاً .  
 (٢) نقل الشريشي (شرح مقامات الحريري ١ : ١٠٢) وكذا الصفدي (الغيث  
 المنجم شرح لامية الحجم ٢ : ٧٦) هذه الجملة ولم يذكرها قائلها ، وكان الجاحظ يشير الى  
 كلام عثمان بن عفان — رضي الله عنه — حين سئل عن كثرة أرباحه فقال : لم أورد من  
 ربح قط ولو قل (راجع كتاب الجلاء للجاحظ ص ١٦٢) .  
 (٣) بالاصل : الخرز — واظنه تزييفاً من الناسخ والصواب : الخز — لتحصل  
 القافية والمعنى .

- (٤) كثيراً ما يبتدي الجاحظ الكلام بقوله : قال الحكيم — أو : قال — وفي ظني انه  
 لا يقصد بذلك الا نفسه كما هو هنا ، يتضح ذلك لمن تتبع تأليفه لا سيما كتاب الحيوان .  
 (٥) هذا الوصف يشبه كثيراً ما ذكره المؤلف في كتابه الحيوان (ج ٥ ص ٣٣)  
 حيث قال : واذا وصفوا حمرة الذهب قالوا ما هو الا نار . . . وشعاع مر كوم . . .

يفسده مرّة الدهور ؛ وقيل انما صار الذهب ثميناً لقلة تغيره وازدياد نضارته وحسنه اذا عتق  
ولأن الاشياء تنقص عند المس والدفن ما خلا الذهب فانه لا ينقص البتة .  
وخير الدنانير العتق الحمر الى الخضرة ، وزعم بعض الاوائل انما يتجن الدينار بلصوقه  
الشعر والحية وصعوبة استمراره فيها ، والنهرج<sup>(١)</sup> من الدنانير يعتبر بخفته وثقله .  
وزعموا ان خير الذهب العقيان وخير الفضة اللجين ، ومذاق الفضة الصافية عذب ،  
ومذاق الزبوف مرّة صدي ، والنهرج من الدراهم مالح جرسى الطنين ، والفضة صافية  
الطنين لا يشوبها صمغ وهي تقطع العطش اذا مسكت في الفم .

« باب ما يعتبر من الجواهر النفيسة ومعرفتها وقيمتها »

زعموا ان معرفة جواهر اللؤلؤ انك تجده مذاقته على ضربين : عذب المذاقة عُماني ،  
وملح المذاقة قلزمي كلاهما يرصب في الماء ؛ والمعمول منه تجده مرّة المذاق مع دسومة فيه  
وهو خفيف الوزن يطفو على الماء .  
وزعموا ان اللؤلؤة اذا كان في باطنها دودة فانك تجدها حارة المص واللمس فان ذلك  
للعة النفسانية ، واذا لم يكن بها دودة كانت باردة المص واللمس واحتماها بذلك .  
وزعم البحر يون ان اللؤلؤ الكبار المتغير اللون تلف عليه الألية الطارية المشرحة وتؤخذ  
في جوف عجيب وبدخل التنور ويبالغ في إحماه فانه يصفو ويحسن ويعود اليه الماء ، واذا  
بخر بكافور كان ذلك ، واذا عولج بمخ العظم وبماء البطيخ فانه يصفو .  
ومعرفة اللؤلؤ المحمي الجوهري من الصدفي العظمي هو ان الجوهري يكون مستوي  
الصورة ليناً ملمس ، والعظمي يكون خشناً غير مستوي الهيكل .  
وخير اللؤلؤ الصافي العُماني المستوي الجسد الشديداً التدريج والاستواء ، واذا كانت

وهو الكبريت الاحمر — ومن هنا يستدل على ان الجاحظ كثيراً ما بعيد الكلام بعينه  
في تضاعيف تصانيفه من غير ان يشعر بذلك ، وانه كان قليل المراجعة لما يكتب .  
(١) النهرج — معرف نهره الفارسية — هو الدينار أو الدرهم المموه الزيف الردي  
(راجع كتاب شفاء الغليل للحنفاحي وغيره) — وفي كتاب الجلاء للجاحظ (ص ٦٩) :  
دينار بهرج — وهو صحيح ايضاً .

حينان متساويتين في الشكل والصورة واللون والوزن كان ارفع لثمنهما ؛ والعُماني أنفس وأرفع من القلزمي لأن العُماني عذب نقي صافٍ ، والقلزمي فيه ملوحة مع عيب كثير<sup>(١)</sup> ؛  
 واذا بلغت الحبة نصف مثقال سميت دُرّة ، والمدرجة المعتدلة في التدور اذا بلغ وزنها نصف مثقال ربما بلغت في الثمن الف مثقال ذهباً ، والبيضية دون ذلك في الثمن ، واثنائها ترتفع على زيادة وزنها وتدسجها ، واذا بلغ وزنها مثقالين ان شئت جعلت ثمنها عشرة آلاف دينار وان شئت مائة الف دينار ، والمدرجة على هذا الوزن والصفة لا قيمة لها ، وهي فريدة ، وكلما كانت أصنى وأتقى كان أرفع لثمنها وأنفس ، والدرّة القيمة قلزمية ، زعموا ان وزنها ثلاثة مثاقيل ، والصغار من اللؤلؤ مرجانه<sup>(٢)</sup> :

وخير الياقوت البهرماني<sup>(٣)</sup> ثم الاحمر المورّد ، ثم الاصفر ، ثم الاسمانجوني<sup>(٤)</sup> وأدونه الابيض ؛ والياقوت من جبل سمرنديب بالهند ، وتعرف اليواقيت من المحمولات بمخال

(١) عني ذكر اللؤلؤ القلزمي قال ابو العباس احمد التيفاشي التونسي المتوفى سنة ٦٥١ في كتابه «أزهار الأفكار في جواهر الأحجار» (خطه بمكتبتي) : ٠٠٠ وكذلك ما يرجد من الجواهر بجزر القلزم وسائر بحار الحجاز فردي ولو كانت الدرّة منه في نهاية الكبر فانها لا يكون لها طائل في الثمن اذ ليس فيها شيء من أوصاف الدرّ النفيس .

(٢) قال التيفاشي في كتابه المذكور : والمرجان في لغة العرب صغار الدر وهو اللؤلؤ الدق ، واستشهد بآيات لامرئ القيس - وقيل انه اول شعر قاله - منها :  
 فاعزب مرجانها جانباً      وأخذ من درهما المستجادا

ولفظ المرجان معرب عن اليونانية وأصله (Marginto) وفي اللاتينية (Margarita) وأطلق اسم المرجان فيما بعد على العروق الحمرة التي تطلع من البحر ويتخذ منها الخلي والأعلاق والسبح .

(٣) البهرمان : فارسي معرب معناه : أحمر اللون ؛ قال التيفاشي : والياقوت البهرماني هو أحمر نقي الحمرة لانتشوبها شائبة ، والبهرمان اسم العصفور وبه سمي هذا الصنف من الياقوت .

(٤) الاسمانجوني : فارسي معرب مركب من كلمتين (آسمان) اي السماء و (گون) لون ، ومعناه أبيض بزرقة كلون السماء .

ثلاث : برزانتها في الوزن ، وبرودتها في الغم عند المص ، وعمل المبرد فيها ، لأن الياقوت حجر ثقيل الوزن بارد في الغم بطيء عمل المبرد فيه ، والمعمول منها يكون خفيف الوزن ، حار المص ، سريع المبرد فيه .

وخير الياقوت الصافي النقي المضي من أي لون كان ، وارتفاع القيمة على قدر كبرها وصغرها<sup>(١)</sup> والياقوت الأحمر البهرماني الصافي إذا بلغ وزنه نصف مثقال ربما بلغ في الثمن خمسة آلاف دينار ؟

وكان وزن فص اشاتم الذي يسمى « الجبل » مثقالين قوتم بمائة الف دينار واشتراه ابو جعفر المنصور بأربعمائة الف دينار<sup>(٢)</sup> . والياقوت الاسمانجوني ربما بلغ الفص منه مائتي دينار .

وخير الزبرجد الشديد الخضرة ، الصافي الجوهري ، ومعرفة الزبرجد الفائق من المعمول تتخذ معرفة البواقيت : برزانتها وبرودة مذاقته وعمل المبرد فيه على صل ، والمعمول منه رخو خفيف الوزن ، حار في المذاق ، يسرع المبرد فيه ؟

(١) كذا بالأصل ولعل ضمير المؤنث في قوله : كبرها وصغرها — عائد على ياقوتة .

(٢) نقل ابو منصور الثعالبي من هذا التأليف فصولاً و فقرات عديدة ببعض التصرف

نسب بعضها الى الجاحظ وغفل عن كثير منها ، فمن ذلك قوله : زعم الجوهريون (؟) ان الياقوت لا يكون الا من جبل سرنديب بالهند ، وخيره الاحمر البهرماني ، ثم الوردية ، ثم الرماني ، واذا بلغ البهرماني نصف مثقال كانت قيمته خمسة آلاف دينار ، وكان وزن الفص الذي يسمى (الجبل) مثقالين قوتم بمائة الف دينار فاشتراه المنصور بأربعمائة الف .

(كتاب ثمار القلوب ص ٤٣٤) — ونقل المصنف من تأليف الشيخ شمس الدين ابن ساعد الانصاري وسماه « منتخب المناظر في احوال الجواهر » جملةً مهمة جداً تتعلق بالياقوت وتكوينه وأصنافه وأثمانه جاء في ضمنها : وكان في خزانة الأمير بين الدولتين محمود ياقوتة شكلها شكل حبة العنب وزنها اثنا عشر مثقالاً قوتم بعشرين الف دينار ، وكان للمصنم العباسي فص يسمى «ورقة الآس» لانه كان على شكلها وزنها مثقالان الاشعيرتين اشتراه بستين الف درهم ( كتاب الغيث المنجم ١ : ٨٣ ) .

وزعموا ان خير الزبرجد الناضر الصافي النقي ، فاذا بلغ وزن قطعة منه نصف مثقال  
بلغ في الثمن النقي مثقال ذهباً ، وارتفاع القيمة على مقدار كبره وصغره ،  
وكان فص الخاتم الذي يسمى ( البحر ) وزنه ثلاثة مثاقيل اشتراه ابو جعفر المنصور  
بثلاثين الف دينار وهو اليوم في خزائنه بعض الخلفاء .

وخير الفيروزج الشير بام<sup>(١)</sup> الاخضر الاسمانجوني الصافي العتيق ، والفيروزج حجر  
لا يعمل المبرد فيه ولا يتغير في النار والماء الحار ، وغاية ثمن فص فيروزج اذا بلغ وزنه  
نصف مثقال عشرون ديناراً .

وخير العتيق الباني الشديد الحمرة الذي يرى في وجهه شبه الخطوط ، وكلما كان  
أصنى وأضوأ كان أجود في الثمن .

وخير البيجادي<sup>(٢)</sup> الأحمر الشديد الحمرة المتهب لونه التهاب النار ، وكلما كان  
أصلب وأكبر كان أنفس وأثمن ، والممول منه رخو ، وامتحان جودته من رداءته انك  
اذا قربته من الريش احتمله ، وكلما كان أحمل للريش كان أجود ، وغاية ثمن فص بيجادي  
فائق اذا بلغ وزنه نصف مثقال ثلاثون ديناراً . والجوهر النفيس لاقية له وذلك لانساع  
ضوئه وانتشار شعاعه بالليل .

(١) شيربام : فارسي معرب مركب من لفظين ومعناه ( لون اللبن ) .

(٢) البيجادي : حجر كريم احمر اللون يشبه الياقوت فيه خاصية الكهرباء في جذب  
الطين ، واصله في الفارسية ( بيجاده ) وهو اسم الكهرباء ، وقد عرب قديماً وورد في اشعار  
العرب ، قال الفرزدق ( الاغانى ط بولاق ج ١٩ ص ٢١ ) :

أغرثك منها لونة عربية علت لونها إن الجيادي أحمر

راجع معجم المجموعة الجغرافية العربية تأليف المستشرق دي خوي طبعة ليدين ص ١٨٤  
( Indices, Glossarium - Bibl. Géogr. Arab., de de Goeje ) وانظر ايضاً  
التعليق الجميل الذي وضعه صديقنا العلامة المحقق المغفور له احمد نيمور باشا على هذه السكينة  
في تفسيره للالفاظ العباسية ( مجلة المجمع العلمي الدمشقية ج ٧ ص ٢٠٤ من سنة ١٣٣٩ )  
وقال ابن عبد ربه : ومدينة بلخ بخراسان بها معادن الجيادي العتيق ، وهو جنس من  
الفصوص تسميه العامة البزادي ( العقد الفريد ٣ : ٢٥٧ ) .

والبور يُختار له صفاته وعظمه ، وخير الزجاج البلوري الصافي الأبيض النقي ،  
والفرعوني الفائق<sup>(١)</sup> . وخير الماس<sup>(٢)</sup> البلوري الصافي الأبيض النقي ، ثم الأحمر ، وإذا  
بلغ وزنه نصف مثقال بلغ في الثمن مائة دينار ، وكلما كان أكبر وأعظم كان أبلغ في  
الثمن وأرفع .

### « باب معرفة الطيب والعطر والروائح الطيبة »

زعموا ان خير العود الهندي المندي<sup>(٣)</sup> الذي لا غش فيه ، وكلما كان أصلب فهو أجود  
وامتحان جودته بمجدة أرجه وشدة رائحته ؛ وزعموا ان خير العود الهندي الثقيل الوزن  
الذي يرسب في الماء ، وأدونه الخفيف الوزن الذي يطفو على رأس الماء ، والخفيف الوزن  
عندهم ميت لا روح فيه وهو ضعيف الرائحة ، والثقيل الوزن منه له ذكاء وقوة أرج  
ورائحة .

وخير المسك التُّبَيْي<sup>(٤)</sup> اليابس الفاسح وأرداه البُدَيْي ، وغش المسك من

- (١) زرد ذكر الزجاج الفرعوني في كتاب ( الحيوان ) للمجاهد ج ٣ ص ١١٦
- (٢) الماس : يوناني معرب وهو الدياتم وقد ورد ذكره في الحديث الشريف  
( النهاية لابن الأثير ج ٤ ص ٧٩ ) — وقال التيفاشي : الماس نوعان : الزيتي والبلوري ،  
والزيتي أجودهما ، والبلوري أبيض شديد ككون البلور ، والزيتي مخالط ببياضه صفرة  
ككون الزيت ، وهو شبيه بلون الزجاج الفرعوني ( كتاب ازهار الافكار — خط ) .
- (٣) المندي : منسوب الى « مندل » وهو بلد بالهند يجلب منه العود الذي الشذا  
( راجع معجم البلدان لياقوت — لفظ مندل — وشفاء القليل ) — وقال أبو منصور الثعالبي  
وفي كتاب « العطر » [ للباحظ ] : وخير العود الهندي المندي ، وكلما كان أصلب فهو  
أجود وامتحان جودته اذا كنت فيه رطوبة ، ومن خصائصه ثبات رائحته في الثوب اسبوعاً  
واكثر ( ثمار القلوب ص ٤٢٣ ) .

- (٤) بالاصل : التبي وهو تحريف وصوابه : التبي نسبة الى بلاد التبت ، وفي كتاب  
( الحيوان » للمجاهد ج ٤ : ٤٦ ) ان المسك كان يجلب من التبت — وفي « المحاسن  
والاضداد » ( باب محاسن الهدايا ص ١٧٩ ) : وكان مما تهديه ملوك الامم الى ملوك فارس

الآنك<sup>(١)</sup> وجندبادستر<sup>(٢)</sup> ودم الاخوين<sup>(٣)</sup> وسياه دارو<sup>(٤)</sup> وكماخف وزنه وفاح فهو أجود .

وزعموا ان خير العنبر الاشهب الزاجي<sup>(٥)</sup> ثم الأزرق ، ثم الأصفر ، وأدونه

طرائف ما في بدم « فن الهند الفيصلة والسيوف والجلود ، ومن التبت المسك والحريز والاولافي ، ومن السند الطواويس والبيفاء ، ومن الروم الديباج والبسط . » — ويؤيده ما نقل الاصطخري وابن حوقل حيث قالوا : ولم [ أي أهل ماوراء النهر ] من المسك الذي يجلب اليهم من التبت وخرخيز ما ينقل الى سائر الامصار فيفوق غيره من المسوك ثمناً وجودة ( المسالك والممالك للاصطخري طبعه ليدين سنة ١٨٧٠ ص ٢٨٠ و ٢٨٨ — والمسالك والممالك لابن حوقل طبعه ليدين سنة ١٨٧٢ ص ٣٢٧ و ٣٣٧ ) .

(١) آنك : فارسي معرب وهو الرصاص ، وعند ابن البيطار : الرصاص ضربان أحدهما الرصاص الاسود وهو الآنك ، والآخر الرصاص القلعي وهو القصدير ( جامع مفردات الادوية طبعه مصر ٢ : ١٤٠ ) .

(٢) جندبادستر : فارسي معرب وهو مثانة حيوان بري بحري يكون في الانهار العظام يسمى القندر ( وندد الافرنج Castor ) وخصاه هي الجندبادستر ( التميمري ٢ : ٢١٧٠ وابن البيطار ١ : ١٧١ ) .

(٣) دم الاخوين : قال ابن البيطار بالنقل عن ابي حنيفة الدينوري : هو صمغ أجور لشجرة يؤتى به من سقطرى ، ثم قال : وهو الأبدع عند الاطباء ، ويقال له الشيان ، بضاً . ( جامع المفردات ١ : ٧٢ و ٢ : ٩٦ ) — قلت : والمعروف ان دم الاخوين هو العندم عند قدماء العرب ، وقيل هو البقم .

(٤) سياه دارو : ويكتب ايضاً : سيادرو — وسيادروان ، وفي القانون لابن سينا سيادوان . فارسي معرب ، وهو صمغ الجوز الشامي ( راجع كشف الرموز لابن حمدوش ط حجو بالجزائر ١٣٢١ ص ٩٩ ) .

(٥) الزاجي : سمي القلقشندي من انواع العنبر ستة أضرب اولها اشجوري ثم الزنجي [ قلت : وهو لا محالة تحريف الزاجي أو الزاجي ] وهو أجود العنبر وافضل له . . ( صبح ٢ : ١١٧ و ١١٨ ) — وجاء في تاج العروس : ( والزاجي جنس من الكافور ) منسوب الى



الا ..... [ هنا ورقة كاملة من الأصل بها ثلاثون سطراً تعطلت قراءتها لانخرام كتابتها واستيلاء الزاج على أحرفها بحيث لم يتيسر نقلها باي وجه ولم يبق ظاهراً منها سوى ما هو مرسوم بالجرمة - في السطر السابع عشر - وهو : باب معرفة الثياب وما يستجد منها ]

..... وخير الوشي [ في الثوب ] السابري <sup>(١)</sup> والكوفي ، والابريسي ، والمذهب

بلد كما قاله الجوهري وصوبه بعضهم أو الى ملك سمه رباح اعتنى بذلك النوع من الكافور وأظهره ( تاج ٢ : ١٤٠ ) - وفيه : ورباح موضع بالهند ينسب اليه الكافور ، وبسط بحثاً طويلاً في الغلط الحاصل في الصحاح للجوهري إذ نسب تارةً الرابحي الى بلد بالهند وتارةً الى دويبة يجلب منها الزبد - وذكر ابن البيطار - في مادة كافور وعنبر - ان الرباحي مشتق من اسم ملك هندي اسمه رابح ( جامع المفردات ٢ : ٣٣٤ ) - وقال داود الانطاكي : يسمى الرباحي لتصاعده مع الريح ، وقيل الرباحي - بالموحدة - نسبةً الى رباح أحد ملوك الهند أول من عرفه ( تذكرة - مادة كافور ) - وقال دوزي في مستدركه على المعاجم العربية : ان بعض المصنفين يسميه ايضاً الرباحي. Dozy, Suppl. aux diction. arabes, vol. I p. 499 - وبما تقدم يتضح ان الاختلاف في اسم الرباحي أو الرابحي قديم ولا يعرف على وجه التحقيق نسبه ، ولذا احترمنا هنا الصيغة الواردة بالأصل مع التنبيه عليه - ووقفنا أخيراً على فصل ممتع نشره العلامة المحقق الاب انتاس ماربي الكرملي كشف فيه الغطاء عن معنى الرباح ووجه اشتقاقه وأثبت ان اصل اللفظ - الزابج - وهو اسم جزائر ماليسية ( جازة وسومطرة وبرنيو ) عند قدماء العرب - والنسبة اليه زابجي ، فخره النساخ والمؤلفون المتأخرون فقالوا الرباحي والرابحي وغير ذلك ( راجع مجلة الجمع العلمي دمشقية ص ٢٣٢ من سنة ١٣٣٩ )

(١) السابري : نسبة الى سابور ، وفي حديث حبيب بن ابي ثابت قال : رأيت على ابن عباس ثوباً سابرياً استشف ماوراءه ، وكل رقيق عندهم سابري والاصل فيه الدرود السابرية منسوبة الى سابور [ النهاية لابن الاثير ٢ : ١٥٢ ] - وفي التاج : والسابري ثوب رقيق جداً ، قال ذوالرمة :

فجاءت بنسج العنكبوت كأنه على عصوبها سابري مشرق

المنسوج ثم الوشي الاسكندراني الكتان البحت<sup>(١)</sup> ثم المنسوج بالذهب ، ثم الوشي الغزلي ، ثم الذي لا ابريسم فيه ولا ذهب وهو الباني لانه يرتفع علي هذه السبيل من الغزلي ، والابريسي الكتان لا يبلغ في الثمن ما يبلغه الباني لانه ربما بلغ الثوب الغزلي الف دينار . وخير السجباب<sup>(٢)</sup> القائم<sup>(٣)</sup> ثم الظهور منه ، ثم الخزري<sup>(٤)</sup> ثم الخوارزمي ، ثم الذي لاغش فيه من زغب الارانب .

ومنه المثل : عرض سايري ، اي رقيق جداً [ تاج ٣ : ٢٥٢ ] — وقال ابو منصور الشعالي : والسايري ، وهو الرقيق الناعم من كل ثوب ، والأصل فيه النسبة الى نيسابور وعرب فقيل سايري [ ثمار القلوب ص ٤٣٩ ] .

(١) نقل ابو منصور الشعالي العبارة الآتية في لفظ « كتان مصر » ولم يذكر عن أي تأليف للملاحظ نقل ، قال : قال الجاحظ : قد علم الناس ان القطن خراسان وان الكتان لمصر ، ثم للناس في ذلك في تفاريق البلدان ما لا يبلغ مقدار بعض بلاد تدين الموضعين ، وربما بلغت قيمة الحمل من دق مصر الذي من الكتان لا غير مائة الف درهم [ ثمار القلوب ص ٤٢٠ — وراجع ايضاً كتاب « ما يعول عليه في المضاف والمضاف اليه » الشعلي — خط مكتبي ] .

(٢) السجباب : قال القلقشندي : حيوان أكبر من الفار يعيش في الشجر العالي ، فيها ياوي ومنها يأكل ، وهو كثير ببلاد الافرنج والعقالبه ، ووبره في غاية النعومة وجلده في نهاية القوة ، ويتخذ منه الفراء النفيسة التي يلبسها الناس والرؤساء ، وأحسن ألوانه الازرق [ صبح الاعشى ٢ : ٥٠ ] أقول وهو المسمى باللاتينية Scuriolus وبالفرنسية Ecureuil .

(٣) القائم [ بقافين الثانية منهما مضمومة ] — هو دويبة في قدر الفار لها شعر أبيض ناعم ، ومنه يتخذ الفراء ، وهو أغر قيمة من السجباب [ صبح ٢ : ٤٩ ] .

(٤) الخزري : نسبة الى بحر الخزر وما كان حوله من البلاد .

وخير الثعالب الاسود<sup>(١)</sup> الخوري الغليظ الشعر الذي لا يمتش بصبغ ، ثم الابيض ، ثم الاحمر المحصري<sup>(٢)</sup> ثم الاحمر الخوري ، ثم الخلنجي<sup>(٣)</sup> .  
وخير القاقم اكثرها أذناً : وخير السمور الصيني ، ثم الخوري الشديد البياض مع شدة السواد الطويل الشعر .

وخير الفرش وأرفعها ثمنًا وأجوده المرعزي<sup>(٤)</sup> القرمزي الأرمني المنير ، ثم الخورق ، ثم الخز القطوع<sup>(٥)</sup> ثم اللديجاج على عمل الخسرواني<sup>(٦)</sup> الرومي ، ثم الخز المدجج على

(١) قوله : خير الثعالب الاسود ، جاء في كتاب الحيوان للجاحظ [ ج ٦ ص ١٠٠ ] وفي الثعلب جلده وهو كريم الوبر وليس في الوبر أغلى من الثعلب الاسود وهو ضروب منه الأبيض الذي لا يفصل بينه وبين الفئك ، ومنه الخلنجي وهو الاعم » .

(٢) كذا بالاصل وأظنه خطأ من النسخ وصوابه « المحصري » أي المصبوغ بالمصرة وهي العصفرة ، وقال ابن سيده : والثوب المحصر هو المصبوغ بالطين الاحمر أو بجمرة طفيفة [ المخصص ٤ : ٩٤ ] .

(٣) الخلنجي : المقصود به اندسي يشبه لونه خشب الخلنج وهو شجر معروف [ ابن البيطار ٣ : ٦٨ ] وقد عرف أبو الوليد أنرا كشي اللون الخلنجي بقوله : مخطط بسواد وذخنة [ راجع مستدرك المعاجز العربية لدوزي ج ١ ص ٤٠٠ ] .

(٤) المرعزي والمرعزياء — بكسر الميم — اذا خفت مدت واذا شددت فصارت ، وأصله بالنبطية ( مرعزي ) وقد سكت العرب به قديماً ، قال جرير من قصيدة يهجو بها التيم :

كسالك الخنظلي كساء صوف ومرعزي فانت به تفيد

أي تبتغى عجباً [ راجع المعرب للجواليقي ص ١٣٧ ] .

(٥) القطوع جمع قطع وهو ضرب من الوشي في الثياب [ المخصص لابن سيده ] .

(٦) الخسرواني ، نوع من نسج الحرير الرقيق الحسن الصنعة منسوب الى عطاء الأكامرة ، وهو فارسي معرب [ المعرب للجواليقي ص ٦٠ وشفاء الغليل للخفاجي ] .

الميسافى ، ثم البزبون<sup>(١)</sup> ، ومهما كان من هذه الضروب منسوجاً بالذهب فهو أجود وأبلغ في الثمن ، وقد تكون هذه الضروب كلها منسوجة بالذهب إلا الأرمني والميسافى والبزبون .

وخير البزبوت المسكيّ الدقيق النسج ، ثم المخطط ، ثم المفأس<sup>(٢)</sup> ثم الساذج ، ثم المعين<sup>(٣)</sup> ثم المنقط ، والغفارة المسكية إذا كانت رقيقة العمل ثقيلة ربما بلغت في الثمن خمسين ديناراً .

وابوقلاخون<sup>(٤)</sup> من الزلالي<sup>(٥)</sup> الحسروانيّ الروميّ القرصنيّ على خطوط مختلفة البنفسجيّ في الأحمر والأخضر ، وزعموا أنه يتلون أواناً بارتفاع النهار ووجه الشمس ، والقيمة مرتفعة منه جداً .

وخير الأكسية من العوف المصرية ، ثم الخوزية الفارسية ، والمرعزيّ سيف المرعزيّ الفارسية الشيرازية ، ثم الاصفهانية ، والمرعزيّ في الابرسم القسوية ، ثم البزبون كعضفور ، السندس ، وقال ابن بري : هو رقيق الديباج [تاج العروس ٩ : ١٣٩] .

(٢) وبالاصل ، المفأس ، وهو تحريف بيتن ، والمفأس بمعنى الختم والمزركش على هيئة الفلوس كما يقال ثوب مدّآر ومدرم أي موشى على صورة الدنانير والدرهم .

(٣) المعين ، ثوب في وشيه ترايبع صفار شبيهه باعين الوحش [المخصص ٤ : ٦٧] .

(٤) ابوقلاخون ، عرفه مرتضى الزبيدي بقوله : ثوب رومي يتلون أواناً للعيون

نقله الجوهري ، وقال الازهرى : يترأى إذا أشرفت عليه الشمس بالوان شق ، قال :

ولا أدري لم قيل له ذلك ، وقد يشبه به الدهر والروض وزمن الربيع [تاج العروس

٩ : ٣١] — أقول : لفظ أبوقلون يونانيّ معرب وهو في الاصل Abokalamon —

والنسيج المسعى أبوقلون في المشرق هو المعروف في الديار التونسية بعنق الحمام .

(٥) الزلاية — بالكسر — البساط ج زلالي كما في لسان العرب والعياب ، وفي

مستدرك التاج [مادة زلل ج ٢ : ٣٥٩] والزلال الصافي من كل شيء ، قال ذو الرمة :

كأن جلودهن موهات على أبقارها ذهب زلال

فكان المقصود هنا من الزلالي الصافي اللون .

الطبرية<sup>(١)</sup> ، ثم الصوف في الصوف .

وخبر الطيالة الروبانية الطبرية ، ثم الآملية<sup>(٢)</sup> ثم المصرية ، ثم القومية<sup>(٣)</sup> . وخبر اللبود الصينية ، ثم المغربية الحر ، ثم الطالقانية البيض<sup>(٤)</sup> ثم الارمنية ، ثم الخراسانية .  
وخبر النور البري الموشح الشديد بياضه المشبع سواده الطويل الوشي الساباني<sup>(٥)</sup> .  
وأظرف النور الذي يكون في وسط سواده نقطة سوداء صغيرة بيضاء ، وان كان سواده

(١) على ذكر الاكسية الطبرية نقل الجاحظ : ان قيمة الكساء الأبيض الطبري في

عصره يساوي اربعمائة درهم والقومسي منها مائة درهم [كتاب الحيوان ٣ : ٨] .

(٢) قوله : الطيالة الروبانية نسبة الى الروبان وهي مدينة من نواحي قزوين [الاصطغري

ص ٢٠٦ - وابن حوقل ٢٦٩] - وكذا الآملية نسبة الى آمل وهما مدينتان بهذا الاسم :

الاولى عاصمة طبرستان - وهي المقصودة هنا - مشهورة بضانها وصوفها ومنسوجاتها [المقدسي

ص ٣٥٥ وابن حوقل ٢٧١] والثانية مدينة في غربي جيحون في سمت بخاري بينها وبين جيحون

نحو ميل .

(٣) القومية ، نسبة الى قومس من اكبر مدائن الديلم ، قال ابن حوقل : ويرتفع

من قومس اكسية معروفة تحمل الى الامصار وهي فاشية في جميع الارض [المسالك والممالك

ص ٢٧١] - وقال المقدسي : اما قومس فلهم المناديل البيض من القطن المعلقة صفراء وكبار

وسواذج ومحشاء ربما يبلغ المنديل منها التي درهم ، ولم ايضا اكسية وطيالة وثياب رفاق

من الصوف [كتاب احسن التقاسيم ص ٣٦٧] .

(٤) نقل ابو منصور الثعالبي هذه العبارة من هذا التأليف وعزاها الى صاحبها فقال :

وذكر الجاحظ في كتاب «التبصر بالتجارة» ان خير اللبود الصينية ثم المغربية الحر ثم الطالقانية

البيض [ثمار القلوب ص ٤٣٣] . وتبعه النويري فنقل عين العبارة المتقدمة عن الجاحظ

لكنه جعل اسم الكتاب «النظر في التجارة» [نهاية الارب ج ١ ص ٣٦٧] وهو تحريف واضح

لتشابه ما بين لفظ «التبصر» و«النظر» - فلينتبه .

(٥) الساباني ، نسبة الى السابان ، وهو في الفارسية الطائر المعروف بالزرزور الذي

ريشه منقطع بنقط بيض ونقط سود ، وبه شبه الجاحظ هنا المختار من جلد النور البرية ،

كان أقرب اليه أن يقول في نمته زرزوري اي في لون الزرزور ، وهو عربي صريح .

متصلاً بهفه بعض بشظية من سواد خفيفة كان أطرف له ، واذا كانت فيه حمرة مع بياض بقى وسواد حالك كان أحسن وأبلغ في الثمن ؛ ونمور البربر صفار ومقدار الجلد منها ما يغشي سرجاً مفرداً ، ومنتهي ثمن الجلد منها خمسون ديناراً ، واما المغربية والهندية فهما أوسع وأكبر ولا يلبانان في الثمن ولا يرتفعان ، وخير النمود الرشي ، وخير القطن الابيض اللين الصهار الحبوب اللطيف البياض الصافي .

وزعم ان القرمز حشيشة تكون في أصلها دودة حمراء ثبتت في ثلاثة مواضع من الارض<sup>(١)</sup> : في ناحية المغرب بارض الاندلس ، وفي رستاق يقال له تارم<sup>(٢)</sup> وفي ارض فارس ، ولا يعرف هذه الحشيشة وأما كنها الا فرقة من اليهود يتولون قلعها كل سنة في ماه اسفندارمذ<sup>(٣)</sup> فتيبس تلك الدودة ويصبغ بها الابرسم والصوف وغير ذلك ؛ وخير ما يصبغ في الأماكن بارض واسط .

(١) عرف الرحالة ابن حوقل القرمز الارمني بقوله : وهو صبغ أحمر يصبغ منه المرعزي والصوف ، وأصله من دود ينسج على نفسه مثل دود القز اذا نسجت على نفسها القز [ المسالك والممالك ص ٢٤٤ ] .

(٢) تارم ، من مدائن فارس من ناحية شيراز بينهما ٨٢ فرسخاً [ الاصحطري ص ١٣١ وما بعدها — وابن حوقل ص ٢٠١ و ٢٠٣ و ٢٢٦ — والمقدسي ٤٢٣ و ٤٢٦ ] .

(٣) ماه اسفندارمذ ، هو اسم الشهر الثاني عشر من السنة الشمسية عند الفرس ، واليوم الخامس منه هو « اسفندارمذ روز » كان من الأعياد الكبيرة عند قدماء الفرس وفيه كانوا ياتنقطن الاعشاب من الجبال والادوية ويتخذون الادهان ويهيشون الجوز والدخن ، وفيه تكتب الرقاع لدفع الهوام والحشرات فيكشون من ظهور الحجر الى طلوع الشمس رقية على كواغذ مربعة ويلصقون منها على الجدران [ راجع كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية للبيروني طبعة لبيسيج سنة ١٨٧٨ ص ٢٢٩ — وعنه نقل القزويني في كتابه « عجائب المخلوقات » طبع بهامش حياة الحيوان ص ١٢٨ وما بعدها ] —

أقول : وهذه العادة الفارسية القديمة لم تزل متبعة في البلاد التونسية من كتب رقاع صفار بها آية السموم من القرآن وذلك اليوم الاول من شهر مايو الأعجمي ثم يلصقونها بمدخل البيوت دفعا للعقارب والحشرات السامة .

وزعموا ان البلسان شجر بارض مصر يُشرطُ في ايام الربيع فيخرج منه دهن البلسان فيؤخذ منه ٦ وهو مفقود في الارض كلها ما خلا مصر<sup>١</sup> .  
 وحب الزلم<sup>٢</sup> ينبت بارض شهرزور ٦ وزعموا انه جيد للجراح ٤ والقرماز شجر بالفارسية بنجكشت (? ) قلما يوجد الا ومعه الدفلى ٦ وهو نبت يستخبر بالدفلى النابتة عنده يقال له قازهر<sup>٣</sup> فلذلك غرس معه في موضع يكون به ٦ وقيل<sup>٤</sup> جميعاً من الروم وله قصة عجبية طويلة .

« باب ما يجلب من البلدان من طرائف السلع والامتعة والحواري »  
 « والاحجار وغير ذلك »

يُجلب من الهند : الببور والتمور والفيلة وجلود التمور والياقوت الاحمر والصندل الأبيض والأبنوس وجوز الهند<sup>٥</sup> .

(١) البلسان المصري ٦ قال الاصطخري : وحوالي القسطاط زرع ينبت مثل القضبان يسمى البلسم يتخذ منه دهن البلسان لا يُعرف بمكان في الدنيا الا هناك [ الاصطخري ٥٤ ]  
 وجعله ابن حوقل في عين شمس خاصة [ المسالك والممالك ص ١٠٦ ] .  
 (٢) حب الزلم ٦ عرفه ابن البيطار بقوله : هو حب دم مفرطح اكبر من الحمص قليلاً أصفر الظاهر أبيض الباطن طيب الطعم لتبذ المذاق ويجلب من بلاد البربر ٦ وينبت في ناحية شهرزور ٦ وقد ينبت منه شي<sup>٦</sup> بصعيد مصر يسمونه بالسقيط [ جامع مفردات الادوية ٤ : ٢ و ١٦٦ ] — قلت وهو المعروف عندنا في تونس بحب عزيز .

(٣) المشهور ان الفازهر حجر كريم لانبات كما ورد هنا ٦ وانه صنفان حيواني ومعدني وهو عند الاثريج ( Bézoar ) واسمه فارسي معرب وأصله بازهر ومعناه « منفي السم » — وقد ذكر معدنه وأوصافه وخواصه ومنافعه جماعة من علماء الاحجار كابن البيطار في مفرداته والتيفاشي في كتاب أزهار الافكار والقزويني في عجائبه وسوام كثير ٦ فليراجع هنالك .

(٤) قال ابو منصور الثعالبي : وبلاد الهند من الخصاص ما لم يكن لغيرها فمنها الفيل والكركدن والبير واليهام والطاؤوس والذجاج الهندي والياقوت الاحمر والصندل الأبيض والعاج والساج والتوتيا والقرنفل والسنبل والفلفل وغيرها من العقاقير [ ثمار القلوب ٤٢٣ ] .

ويجب من الصين : الفرند والحريز والغضائر<sup>(١)</sup> والكاغد والميداد والطواويس والبراذين الفرّة والسروج والأبود والدارصيني وادارند<sup>(٢)</sup> الروم الخالص ، ويجب من أواني الفضة والذهب والدنانير الخالصة القيسرانية والعقاقير والبريون والايرون والديباج والبراذين الفرّه والجواري وطرائف الشبّه والأفقال المحكّمة واللورا<sup>(٣)</sup> ومهندسو الماء وعلماء الحراثة والاكاراة وبناء الرخام والخصيان .

ومن ارض العرب : الخليل العراب والنعام والنجائب والقانة<sup>(٤)</sup> والأدم<sup>(٥)</sup> .  
ومن البربر ونواحي المغرب : السمور والقرظ<sup>(٦)</sup> واللبود والبزاة السود .

(١) الغضائر ج غضارة هي القصعة أو الصحن الكبير ذوساق يتخذ من خزف ، وارفغ الغضائر ما يوقى به من الصين كمنص عليه الجاحظ هنا لاشتهارها وحسن صنعها وجودة طليها وجمال رونقها ، وقال شمر : الغضار الطين الاحمر نفسه ومنه يتخذ الخزف الذي يسمى الغضار . وقال ابن دريد فاما الغضارة التي تستعمل فلا أحسبها عريضة محضة [ تاج العروس وغيره ] .

(٢) لفظ « اذارند » هنا لا معنى له ، وأظنه تحريفًا من الناسخ ، ويظهر انه قصد الراوند . قال مرتضى الروند الصيني وهو أنواع اربعة أعلاها الصيني ودونه الخراساني ويعرف بروند الدواب تستعمله البياطرة وهو خشب أسود ، والاطباء يزدونها الفأ فيقولون «راوند» ولفظه ليس بعربي محض [ تاج ٢ : ٣٥٩ و ٣٦٠ مادة راد ] .

(٣) كذا بالأصل ولم أر لها معنى ، ولا شك ان الناسخ حرف فلم يأت باللفظ على أصله اللهم الا ان يكون اللاذ واللاذة وهي ثياب من حرير تنسج بالصين تسميها العرب والعجم اللاذ [ المخصص ٤ : ٦٨ ] وفي القاموس اللاذة ثوب حرير أحمر ينسج بالصين .

(٤) القانة وجمها القان ، هو شجر جبلي ينبت بجزيرة العرب . زاد الازمري ينبت في جبال يتهامة ويتخذ منه القسي [ لسان العرب ] .

(٥) الأدم ج أديم ، هو الجلد المدبوغ اذا كان عليه شعره أو صوفه أو وبره .

(٦) بالأصل القرض ، وهو تحريف واضح وصوابه القرظ ، وهو ورق السأم تدبغ

به الجلود ، وقيل هو السنط بمتصر منه الاقافيا وهو مما يتداوى به [ المعجم اللغوية ] .



ومن اليمن : البرود والأدم والزرافات والجواميس (١) والعقيق والكندر (٢) والخطير (٣) والورس (٤) .  
ومن مصر : الحر المهاليج (٥) والثياب الرقاق والقراطيس ودهن البلسان ، ومن المعدن الزبرجد الفائق .

ومن الخزر : العبيد والإماء والدروع والبيضات والمغافر .  
ومن أرض خوارزم : المسك والقاقم والسمور والسفجاب والفنك وقصب الطيب .  
ومن سمرقند : الكاغد (٦) .

(١) كذا بالأصل ولا أدخلها إلا الجواشن ج جوشن ، وهو الدرع من حديد . وقال ابن سيده زرد يلبسه الصدر والخيزوم [ المحكم ، خط بالمكتبة الزيتونية في تونس ] .  
(٢) الكندر ضرب من العلك عن ابن سيده وهو الألبان عند الأطباء وغيرهم [ تاج ٥٢٩ : ٣ ] .

(٣) الخطير - بالكسر - نبات يجعل ورقه في الخضاب الأسود يختضب به ، وقال ابوحنيفة هو شبيه بالكنم وكثيراً ما يثبت معه واحده خبطة [ تاج ١٨٣ : ٣ ] .  
(٤) قال الثعالبي ومن خصائص اليمن الزرافة ، وكان الاصمعي يقول اربعة قدملاآت الهنديا ولا تكون الا باليمن الورس والكندر والخطي والعقيق [ كتاب ثمارالغلوب ٤٢٥ ]  
وقد جعل الناسخ هنا الخطي - وهي الرمح - مكان الخطر ، فلينتبه .

(٥) على ذكر الحمير المصرية قال الاصطخري : وبمصر بغال وحمير لا يعرف في شي من بلاد الاسلام أحسن ولاأتمن منها ، ولم من وراء اسوان حمير صفار في مقدار الكباش معلمة تشبه البغال المعلمة ، اذا خرجت من مواضعها لم تمش ، ولم حمير يقال لها [ السملاقية ] بارض الصعيد زعموا ان احد أبويها من الوحشي والآخر من الاهلي فهي أسير تلك الحمير [ راجع مسالك المالك ص ٥٥ وكذا ابن حوقل ص ١٠٧ ] .

(٦) كاغد وكاغد وكاغد ، لفظ صيني معرب دخل العربية بطريق الفارسي ، ولم يكن الكاغد معروفاً بالمشرق في اول عهد الاسلام وانما كانت الكتابة على القراطيس المنقذة من البردي المصري أو على الرقوق ، واول ظهور الكاغد في الاسلام كان في سمرقند صنعه هنالك أسارى من الصين أمرهم الامير زياد بن صالح في وقعة اطلخ سنة ٣٤ الهجرة

ومن يلج ونواحيها : العنب الطيب والفوشنة<sup>(١)</sup> .

ومن بوشنج : الكبر المرئي .

ومن مرو : الضرابون بالبرابط والبرابط الجيناد والطنافس والثياب المروية<sup>(٢)</sup> .

فاتخذوه له من خرق الكتان والقنب على ما كان جار في بلادهم فقدم الناس من ذلك الحين  
وكثر صنعه في بقاع متعددة من بلاد الاسلام ، ومنها دخل الى اوروبا واشتهر — قال  
ابو منصور الثعالبي : كواغد سمرقند هي من خصائصها التي عطلت قرطيس مصر والجلود  
التي كان الاوائل يكتبون فيها لانها أنعم وأحسن وأرق ، ولا تكون الا بسمرقند والذين  
ثم كثرت الصنعة واستمرت العادة حتى صارت متجراً لاهل سمرقند فم خبرها والارتفاق بها  
الى جميع البلدان في الافاق [ ثمار القلوب ص ٤٣١ ] — وذكر المقرئ في خطه ان  
جعفر البرمكي هو اول من استبدل الكتابة على القرطيس بالكاغد في الدواوين [ النويري  
١ : ٣٦٧ ] .

أقول : ومن أشهر الاصناف التي كانت تصنع قديماً في العالم الاسلامي : الكاغد  
الفرعوني تقليداً للقرطيس المصرية المستعملة الى حدود ذلك الوقت ، والكاغد السلجاني  
نسبة الى سليمان بن رشيد ناظر بيت المال بخراسان على عهد الخليفة هارون الرشيد ،  
والجعفري منسوب الى جعفر البرمكي الوزير العباسي ، والطلحي منسوب الى طلحة بن طاهر  
ثاني امراء بني طاهر ، والنوحى نسبة الى الامير نوح الاول من بني ساسان ، وسوى ذلك  
كثير ، ودشاعت الوراقة في البلاد العربية وخصت بدور صناعة في العراق واليمن  
وفارس والشام ومصر والمغرب — لا سيما في القيروان والمهديّة — وفي الاندلس خصوصاً  
بمدينة شاطبة ( Xativa ) وغيرها [ انظر كتاب الفهرست لابن السديم ص ٢١ وصح  
الاعشي ١ : ٤٧٤ و ٤٧٦ ] .

(١) الفوشنة ، ويسمونها أبو بكر بن الفقيه الهذلي [ الفوشنة ] [ كتاب البلدان

ص ٢٥٥ ] ولم نهند الى معرفة ماهيتها .

(٢) ثياب مرو ، قال الثعالبي : كانت العرب تسمي كل ثوب صفيق يحمل من

خراسان المروية وكل ثوب رقيق يحمل منها الشاهجاني ، لان مرو عندهم أم خراسان ،  
ويقال لها مرو الشاهجان ، وقد بقي الى الآن اسم الشاهجان على الثياب الرقيقة ، ومما تخصص

ومن جرجان : العناب والتدرج وحب الرمان الجيد والبرمق<sup>١</sup> اللين والابريسم الجيد<sup>٢</sup>  
ومن آمد : الثياب الموشية والمناديل والمقارم<sup>٣</sup> الرقاق والطبالسة من الصوف .  
ومن دباوند<sup>٤</sup> : نصول السهام .

به مرو الثياب [المهم] [ثمار القلوب ص ٤٣١] — ومن ينسب الى مرو من الرجال يقال  
له مروزي ومن الثياب مروزي [العقد الفريد ٣ : ٢٥٧] . أقول : والمتعارف هو ان  
النسبة الى مرو الروز : مروزي ، والى مرو الشاهجان : مروزي ، للتفريق بين المدينتين .  
(١) لم تقف على معنى اللفظ [البرمق] وكأنه تحريف [الترمق] بالفتح ، فارسي معرب  
[نومه] وهو اللين الناعم من كل شيء ، وانشد الليث لروبة يصف شبابه .  
أجر خزا خطلاً ونزماً ان لربعان الشباب عثقا

[تاج ٧ : ٧٥] — ويمكن ان يكون ايضاً [يلقى] ج يلامق وهو ضرب من الفراء المبطنه .  
(٢) قال الاصطخري ، ويرتفع من جرجان ولا يرتفع من بزر طبرستان ابريسم ، و بجرجان الثلج  
والخيل وفواكه الصرود والجرود من التين والزيتون وسائر الفواكه [الاصطخري ص  
٢١٣ وابن حوقل ص ٢٧٣] — وقال المقدسي ، ولاهل جرجان المقانع القزيات تحمل الى  
اليمن والعناب ، ولم ديباج دون [أحسن التقاسيم ص ٣٦٧] .

(٣) المقارم ج مقرمة وهي الستر ، وعن ابن الاعرابي هي الحبس نفسه بقرم به الفراش  
قال . وهو ثوب من صوف فيه الوان من عهون فاذا خيط فصار كأنه بيت فهو كآلة ، وقد  
تزين المقارم في اطرافها بالراز وهي نسيجة حمراء عرضها ثلاث اصابع وأربع [المخصص  
٤ : ٧٥] أقول . وقد أخذ الافرنج لفظ مقرمة عن اللغة العربية واطلقوه على نوع من  
الطرز يسمونه Macramé .

(٤) دباوند — كذا بالاصل وهو عندي تحريف من الناصخ وصوابه [دباوند] وهو  
جبل عال بناحية كرمان ، قال ابن الفقيه . وبكرمان مدينة يقال لها [دندان] وهي  
مدينة كبيرة واسعة وبها اكثر معادن الذهب والفضة والحديد والنحاس والنوشادر والصفير  
ومعدنه يجبل يقال له [دباوند] جبل مرتفع شاهق في الهواء ارتفاعه ثلاث فراسخ  
[كتاب البلدان ٢٠٦] .

ومن الري : الخوخ والزبقي والبرمق والاسلحة والثياب الرفاق والامشاط والقلائس الملكية والقسيات<sup>(١)</sup> الكنان والمان<sup>(٢)</sup> .

ومن اصفهان : الشهد والعسل والسفرجل والكثيرى الصيفي والتفاح والملح والزعفران والاشنان والاسفيداج<sup>(٣)</sup> والكحل والسرر المطبقة والاثواب الجياد والشراب من الفواكه<sup>(٤)</sup>

ومن قومس الفؤوس والامساح والجبتر (٥) والطيالسة من الصوف .

ومن كرمان النيلج والكون .

ومن الجور الجوارشن (٦) .

(١) بالاصل : العسيات ، وعندى انها القسيات ، نوع من الثياب كانت تجلب اولاً من قس بمصر ثم أطلق الاسم على غيرها ، وقد ورد ذكرها في الحديث الشريف ( راجع النهاية في غريب الحديث والاثر لابن الاثير ) وقال ابن سيده : الثياب القسية تنسب الى قس وهو موضع وهي ثياب فيها حرير تجلب من نحو مصر وقد نهي عن لبسها [ المخصص ٤ : ٧٢ ] .

(٢) قال الثعالبي وكان يحمل الى السلطان مع خراج الري — وهو اثنا عشر الف الف درهم — من الرمان مائة الف ومن الخوخ المقدد مائة الف رطل [ ثمار القلوب ٤٢٨ ] .  
(٣) الاسفيداج ، فارسي معرب وهو نوع من الطلاء أبيض اللون شارقه ويسميه الافرنج Blanc de ceruse وهو المعروف في تونس بالباروق ، وقد أطلال ابن البيطار ذكر صنعه وتحضيره فليراجع [ جامع المفردات ١ : ٣١ ] .

(٤) قال الثعالبي وكان يحمل من اصفهان الى حضرة السلطان كل سنة مع خراجها — وهو واحد وعشرون الف الف درهم — قدر كبير من الكحل ومن العسل الف الف رطل ومن الشمع عشرون الف رطل ، وكلها موصوف بالجودة والزعفران بها كثير [ ثمار القلوب ٤٢٧ ] .

(٥) الجبتر ، فارسي معرب وهي المظلة تتخذ للوقاية من الشمس .

(٦) كذلك بالاصل والاقراب ان تكون الجوارشن ج جوشن وهي الدرود وقد ذكرها الجاحظ في « المحاسن والأضداد » [ فصل محاسن الهدايا ] .

- وبزر قطونا (١) .
- ومن برذعة البغال الفرة (٢) .
- ومن نصيبين الرصاص .
- ومن فارس الثياب الكندان التوتزي والسايري وماء الورد (٣) ودهن الدياتموفور ودهن الياسمين والأشربة .
- ومن فسا الستق وأصناف الفواكه وطرائف الشعر والزجاج .
- ومن عمان وسواحل البحر اللؤلؤ .
- ومن ميسان الأنماط والوسائد .
- ومن الأهواز ونواحيها السكر والديباج الخبز (٤) .

(١) بزر قطونا ، نبت معروف وهو صنفان شتوي وصيفي وأنفع ما فيه بزره ، وهو الاسفيون بالفارسية وفي اليونانية فسيلون Psyllium [ راجع المختصر الفارسي للصقلي ، والمعتمد في الادوية لابن رسولاً طبع مصر ص ١٦٦ ، وكشف الرموز للجرائدي وغير ذلك ] .

(٢) قال الاصطخري ويرتفع من نواحي برذعة بغال تجلب الى الآفاق [ المسالك ١٩٠ ] وقال ابن حوقل ويجلب منها من البغال الجياد الموصوفة بالنجابة والصحة والجلد والصبير الى خراسان والعراق والشام وغير ذلك ما يستغنى بشهرته عن ذكره [ حوقل ٢٤٨ ] .

(٣) قال الثعالبي جور من كور فارس مخصوصة بالورد الذي لا أطيّب منه في سائر البلاد يضرب به المثل في الطيب وهو مجلوب الى أقاصي المشرق والمغرب . . . وكان يحمل من فارس الى الخلفاء كل عام مع خراجها من ماء الورد سبعة وعشرون الف قارورة [ ثمار القلوب ٤٢٧ - وراجع أيضاً الاصطخري ١٥٢ وابن حوقل ٢١٣ والمقدسي ٤٤٣ ] .

(٤) السكر من خواص الأهواز ومفاخرها ومتاجرها ، ولا يكون الا بها على كثرة قصب السكر في سائر النواحي ، والمثل مضروب بسكر الأهواز كما قال ابو الطيب المشنبي

تقضم الجمر والحديد الاعادي      دونه قضم سكر الأهواز

وكان يحمل الى الخلفاء كل عام مع خراج الأهواز - وهو خمسة وعشرون الف درم - ثلاثون الف رطل من السكر ؛ ومما ينسب الي الأهواز من النفائس ديباج تسري وبخر السوس ، قال كشاجم يصف الروض

- ٠٠٠ والصدآجات والرآصات (١) ٠٠٠٠ وأنواع التمر والدبس والقند (٢) •
- ومن السوس ٦ الأترج ودهن البنفسج والشاه سبزم (٣) والجبلال والبراذع •
- ومن الموصل ٦ الستور والمسوح (٤) والدراج والسماكي •
- ومن حلوان ٦ الزمان والتبن والكاخخ (٥) •

كأن الذي ديجت تسر وطرزت السوس فيه تسر

[ ثمار القلوب ٤٢٦ ] •

(١) حصل هنا ترهل عطال قراءة بعض الكلمات • اما لفظ «الصناجات» الواردة بالاصل فأظنها تحريفاً من الناسخ ولا أخالها الا «النبصاحات» وهي الجلود واحدها نصاحة [راجع المخصص ٤ : ١٠١] — وكذا قوله «الرآصات» فهي عندي «الطراحات» ج طراحة وهي مقاعد صغيرة مرآة تطرح في البيوت •

(٢) القند والقندة ٦ مرآب «كند» وهو عصارة أو غسل قصب السكر اذا جمد وهو المعروف عند الأطباء بسكر النبات ويسميه الافرنج Sucre candi اي سكر مرآبي (٣) شاه سبرم ٦ ويقال ايضاً شاهسفرم وشاهسفرم ٦ نوع من الريحان كان يسمى الريحان السلطاني والحبق الكرمانى ٦ واللفظ فارسي مرآب «شاه سيرغم» وهو مما عربت قديماً لوقوعه في شعر الأعشى [شفاء الغليل وتاج العروس ٨ : ٣٦١ — وكتاب المعتمد لابن رسولاً ص ١٧٨ وغير ذلك] •

(٤) المسوح ج مسح ٦ عرف ابن سيده كساء منقط يكون في البيت يستتر به ويفترش [المخصص ٤ : ٨٠] ولا يخفى ان منسوجات الموصل كانت لها من قديم الزمان شهرة كبيرة في الشرق والغرب حتى ان الامم الافرنجية أطلقت عليها اسم Mousseline تذكيراً لاصل موردها •

(٥) الكاخخ ٦ فارسي مرآب وأصله «كامه» ويجمع على كواخخ ٦ قال الجواليقي الكاخخ الذي يؤتمم به [كتاب المرآب] وقال مرتضى وغيره في شرح الكاخخ ومنهم من خصه بالمخالآت Hors d'œuvres التي تستعمل لتشهي الطعام [تاج ٢ : ٢٧٦] وكذا شفاء الغليل — أقول والمعنى الاخير هو المقصود هنا ويؤيده ما حكاه الجاحظ نفسه في البيان والتبيين [ج ٣ ص ١٩١ من طبعة مصر سنة ١٣٣٢] •

ومن أرمينية واذربيجان ، الأبود ٠٠٠٠ والبراذع والفرش والبسط الرقاق والتكك والصوف (١) .

« باب ما يختار من البزاة والشواهين والبواشق والصقور وغير ذلك »

« من جوارح الطير »

خير البزاة البيض ما يقع بناحية الترك الى جيلان ، ثم السود الغراية التي بناحية الزنج الى الهند والى اليمن ، ثم الحمر المشرفة ، ثم الديزج (٢) .  
وخير الشواهين السود الغراية البحرية ، والبيض الجرجانية .  
وكذلك البواشق يستحب منها السود الغراية البحرية ، ثم البيض الهندية ، ثم الحمر البحرية ، الحُمُرُ البطن والصدر بيكانات (٣) بيض ، المزهرون ، الكبير الرأس ،

(١) قال ابن حوقل عند ذكره أرمينية واذربيجان ، وبهذه البلاد وفي اضعافها من التجارات والمجالب وأنواع المطالب من الدواب والأغصام والثياب المحلوبة الى النواحي والأقطار ، معروفة لهم ومشهورة كالتكك الارمنية التي تعمل بسلاس ، تباع التكة من دبتار الى عشرة دنائير ولا نظير لها في سائر الارض . ثم قال وأكثر ما يخرج الى بلاد الاسلام من اللبياح والبزبون وثياب الكتان الرومي وثياب الصوف والاكسية الرومية فمن اطرايزنده [ المسالك والممالك ص ٢٤٦ ] — وقال الثعالبي وكان يحمل الى حضرة السلطان مع خراج ارمينية كل عام — وهو ثلاثة عشر الف الف درهم — من البسط المحفورة (?) ثلاثون بساطاً ومن الرق خمسمائة وثمانون قطعة ومن البزاة ثلاثون بازيماً [ ثمار القلوب ٤٢٨ ] .

(٢) الديزج ، فارسي معرب ديزه بالكسر ومعناه ذو لونين أو هو بين لونين غير خالص [ تاج ٤٢ : ٢ ] ويروي ايضاً ديرج بالراء المهملة [ النهاية لابن الاثير ٢ : ٢٢ ] .  
(٣) بيكانات ، فارسي معرب وأصله « بيكانه » ومعناه واحد والمقصود هنا معلّم بنقط بيض .

العائر العينين من غير هزال ، العريض المخزير ، الواسع الصدر مرتفعه ، اللين الزغب ، الطويل الذنب ، الاخضر الأرجل الذي رجله قريبة من الدستبان (١) الثقيل الوزن فاذا بلغ وزنه مائة وثلاثين (٢) فذلك غابة (٣) .  
وزعموا ان اليويؤ (٤) ذكورة الصقور ، والعفصي (٥) ذكورة البواشق وذكورة البزاة بمنزلة اليويؤ الصخبر .

(١) الدستبان ، فارسي معرب وهو القفاز من جلد يتخذة البياز في يده عندما يلعب أو يصطاد بالطير الجوارح .

(٢) كذا ورد من غير تعيين ، والمطلون انه يقصد مائة وثلاثين درهماً يعني نحوارب عائلة وعشرة غرامات باعتبار وزن الدرهم الشرعي بثلاثة غرامات وخمسة عشر سنتيغرام .

(٣) قال القلقشندي المختار من صفات الشواهين فيأذكره صاحب «المصابد المطارد» الاحمر اللون اذا كان عظيم الهامة ، واسع العينين حادها ، سائل السفتين ، تام المنسر ، طويل العنق ، رحب الصدر يمتلي الزرع عريض الوسط جليل الفخذين ، قصير الساقين ، قريب العقدة من القفا ، طويل الجناحين ، قصير الذنب ، سبط الكف ، غليظ دائرة الخصر ، قليل الريش لينه ، تام الخواقي ، يمتلي المكوة [صبح الاعشى ٢ : ٥٨] — وقال ايضاً في صفة البزاة ناقلاً عن الكتاب المتقدم . المختار من ألوانها الأحمر الأكثر سواداً الغليظ خطوط الصدر ، الاشهب الشديد الشبهة الشبيه بالابيض ، الاصفر المدبج الظهور — ثم قال ان ذكر البازي يسمى الزرقي [صبح ٢ ص ٥٦ و ٥٧] .

(٤) «اليويؤ» قال القلقشندي وتسميه اهل مصر والشام الجلم ، هو طائر صغير أسود اللون يضرب للزرقة وسموه الجلم أخذاً من الجلم ، هو المقص تشبيهاً به لان له سرعة كسرعة المقص في قطعه [صبح ٢ : ٦١] .

(٥) «العفصي» طائر صغير اشتق اسمه من لونه إذ كان يشبه العفص — ورد في صبح الاعشى اسم العفصي «بالقمي» ، في التعليق عليه قال مصححو «العفصي» (٩) وكلاهما تحريف ، الصواب العفصي كما هنا للسبب الذي ينسأ — قال القلقشندي ، هو باز قضيب قليل الصيد ذاهل النفس [صبح ٢ : ٥٧] .



وقالت الفرّس لا يكاد الفرّس والبازي يكونان حسبي المنظر لا يخبر لهما ، ولا حسبي الخبر لا منظر لهما ، فان اجتمع الخبر والمنظر كان فائقاً .

### « باب آخر »

كل ثوب من اللباس والفرش اذا كان ألين وأنعم وأسنى كان أرفع ، وكل علق من الجواهر والأحجار اذا كان أصنى وأضواً فهو أنفس ، وكل حيوان من الوحشية والاهلية اذا كان أجسم وأطوع فهو آثر وأغزر ، وكل انسان من الشريف والوضيع اذا كان أعقل وأسهل فهو أجمل ، وكل امرأة حرة أو أمة اذا كانت أكثر سكوناً وأجمل حالاً وأنزر طعاماً وأشكر للناس فهي أصون ، وكل طير من السهلية والجبلية اذا كان آلف كان آثر ، وكل طارف وتالد اذا كان أذكى وأجمل فهو أهنأ ، وكل عدو صغير أو كبير اذا كان حميماً فهو أعدى وأشد حسداً ، ومن لم يعرف مأواه فمحدور قربه ؛

والدول تنتقل والأرزاق مقسومة فاجملوا في الطلب وارحموا المسكين واعطفوا على الضيف تجازوا به وتثابروا ، والقضاء جالب يجلب الامور ، وخير النوم ما يذهب الاعياء والكسل ؛

ومعرفة الاشياء بالحواس الخمس جودة الشيء بالنظر ان يكون حسناً رائقاً ، وبالخيشوم اذا كان طيباً أريجاً ، وبالمذاق اذا كان حلواً عذبةً ، وبالسمع ان يكون صافي الوقع والصوت ، وبالمس ان يكون ليناً ناعماً (١) .

وكانت المعجم تقول القلب والبصر شريكان ، والطعم والحس متفقان ، والنفطنة والحفظ رفيقان ، والسمع والمنطق مجتمعان .

وخير الناس السهل الطلق الوجه المتواضع ، وفراسة الرجل السوء ان يكون منقبضاً

(١) ذكر الجاحظ [الحواس الخمس] غير ما مر في غضون تأليفه المطبوعة ، قال هي السمع ، والبصر ، والدوق ، والشم ، والحسة — ولم يقل المس [كتاب الحيوان ج ٣ ص ٨٩] .

غير منشرح ، وان يُرى لونه الى العفرة والكبود من غير مرض ، وان يكون طائش القلب ، وان يكون للدعابة والمزاح كارهاً له عائباً ، وان تراه فايط اللفظ عند المحاوره .  
ومن فراسة الرجل الصالح ان تراه سهلاً طلقاً ذا منظر بهي وكلام شهبي ، سبط الجبين غير منقبض ولا نزق علق قلق ، وغير كاره للسدعابة والمزاح ، بذكر من بذكر بخير لين المحاوره متواضعاً .

وزعم سابور الملك انه ليس ينبغي للمناقل ان يعتد بقول سبعة من الناس بقول السكران ، الدلال ، والمضحك ، والعليل ، والعراف ، والنمام ، والنساء .

ثم الكتاب والله المنة والحمد كما هو اهله  
وصلى الله على محمد وآله . سلم



مركز تحقيقات كميوتير علوم اسلامی

## تتمة للناشئ

—(١)—

وأينا من المناسب ان نثبت هنا فصلاً عقده الرحالة ابن الفقيه الهمداني — وهو قريب من عصر الجاحظ — في (كتاب البلدان) له في «ذكر ما خص الله تعالى كل بلدة بشيء من الأمتعة دون غيرها» — وقصدنا بذلك مقابلة ما كتبه الجاحظ في باب «ما يجلب من البلدان من طرائف السلع والامتعة وغير ذلك» وهو الوارد فيما مر من رسالته هذه .

قال ابو بكر احمد بن محمد الهمداني المعروف بابن الفقيه<sup>(١)</sup> :

ولولا ان الله عز وجل — خص بلطفه كل بلد من البلدان واعطى كل اقليم من الاقاليم بشيء من نعمه غيرم لبطلت التجارات وزهبت الصناعات ولما تغرب أحد ولا سافر رجل ولتركوا التهادي وذهب الشراء والبيع والاخذ والاعطاء ، الا ان الله عز وجل أعطي كل صقع في كل حين نوعاً من الخيرات ومنع الآخرين ليسافر هذا الى بلد هذا ويستمتع قومٌ بامتعة قوم ليعتدل القسم وينتظم التدبير . قال الله عز وجل : «نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليخفد بعضهم بعضاً سخرياً» وقال الله عز وجل «وقدرنا فيها أوقاتها» .

فخص الله — جل وعز — بلاد «السند» «والهند» بانواع الطيب والجواهر كاليواقيت والاملاس وغير ذلك من الحجارة الثمينة والكر كدث والفيل والطاووس والاعواد والعنبر والقرنفل والسنبل والخلونجان والدارصيني والتارجيل والهليلج والتوتياء والقنا والخبزران والبقم والصندل والساج والفلفل ومجائب كثيرة ؛ وخص اهل «الصين»

(١) [كتاب البلدان] طبعة ليدن سنة ١٣٠٢ ص ٢٥١ .

بالصناعات واعطاهم ما لم يعط احداً فلمهم الحرير الصيني والغضائر والسرج وغير ذلك من  
 الآلات المحكمة العجيبة الصنعة المتقنة العمل ، ولمهم ايضاً مسك الا انه ليس بجيد ، وقالوا  
 انما يتغير في البحر لطول المسافة ، ثم « الروم » وما قد خصها الله عز وجل به من العلوم  
 والآداب والفلسفة والاحكام والهندسة والحدق بالابنية والمصانع والقلاع والحصون  
 والمطامير وعقد الجسور والقناطر وعمل الكيما ، ولمهم من الديباج الرومي والبزبون ، وفي  
 بلادهم الميعة والمصطكي ، ثم هذه البلاد وما خصت به من الرمي فهم رماة الحدق ولمهم الخليل  
 العجيبة والافراس السابقة ، وفي بلادهم مادن الزبرجد والذهب وزيمهم شبيه نزي العرب  
 كأنها قطعة من بلاد اليمن ، ولاهل « المغرب » البغال البربرية والجواري الاندلسية  
 والنمور الزنجية ، ثم ما قد خص به اهل « مصر » من النيل ومعجائب ما فيه من السمك  
 والخليل والتانسيح ولمهم السمك الرعاد والاسقنقور ، ولمهم الثياب الديقية والشطوية والقصب  
 الموزن المسير وغير ذلك من انواع ثياب الكشان والصوف من الاكسية ، ولمهم البغال  
 المصرية والحمر المريسية والثياب التنيسية والاسكندرانية ، ولاهل (اليمن) الحلل اليمنية  
 والثياب السعيدية والعدنية ، وفي بلادهم الورس والكنندر ، ولمهم التجائب المهرية والسيوف  
 اليمنية ، وفي بلادهم القردة والسناس وغير ذلك من انواع العجائب ، ثم (العراق) قلب  
 الأرض وخزانة الملك الأعظم وما قد خص الله جل وعلا به أهل الكوفة خاصة من  
 عمل الوشي والخزّ وغير ذلك من أنواع الفواكه والتمر والقسوب ما قد عدم مثله بالبصرة  
 والأهواز وبغداد والحجاز مثل الهيرون والمُشاش وقصب العنبر والبرنزيان ، ولمهم  
 الأدهان الطيبة الكثيرة ، ثم قل في عجائب (بغداد) ما شئت التي قد اجتمع فيها ما هو  
 متفرق في جميع الأقاليم من أنواع التجارات والصناعات ، ولمهم الذي لا يشركهم فيه احد  
 الثياب البيض المروية والزجاج المحكم من الأقداح والاقحاف والكاسات والطاسات  
 والغضائر الحجرية ، ولمهم الداروش واللكاه خاصة وفيها أعجوبة ، وذلك ان الداروش يتخذ  
 من هذا الجانب واللكاه من ذلك الجانب فلو جهد صاحب الداروش ان يتخذ من جانب  
 صاحب اللكاه لأعوزه وكذلك لو جهد صاحب اللكاه ان يتخذ في جانب صاحب الداروش  
 لتعذر عليه ذلك ، علي انهم قد احتمنوا ذلك وجرت به ففسد وتمذر عليهم ، وقد حمل المتصم  
 بالله صناع القراطيس الي سر من رأى مع تربتها ومائها وامرهم بانخاذه هناك فلم يخرج منه

الأخشن الذي يتكسر ؟ ولاهل كورة دجلة والسواد وميسان ودست ميسان من عمل السور والبسط وعمل الميسانى والحريز والذرايك والدورنك وغير ذلك من أنواع الفرش والبسط ما ليس لأحد ؟ ولاهل ( البصرة ) من الخيل وأنواع التمور ما عدم مثله في جميع كور الخيل ؟ وذكر « الجاحظ » انهم أحصوا أصناف نخل البصرة دون نخل المدينة ودون مصر واليهامة والبحرين وعمان وفارس وكرمان ودون الكوفة وسوادها وخيبر وذراتها والأهواز وما بها أيام المعتصم واذا ثلاثمائة وستون ضرباً من مغل معروف وخارجي موصوف وبديم غريب مع طيب عجيب ؟ ولاهل ( الأهواز ) انواع من السكر والتمور ؟ ولاهل ( السوس ) خاصة ( وجند يسابور ) حذق في اتخاذ انواع ثياب الحرير والديباج وكذلك لاهل ( نستر ) ؟ ثم ( الجبل ) وعجائبها وما قد أعطوا من الفواكه السرية الكثيرة والزعفران والأقطان واتخاذ طرائف الألبان كالجن واللوز ؟ ولاهل ( همذان ) خاصة حذق باتخاذ المرايا والملاعق والمخامر والطبول المذهبة التي قد فاقوا بها واتخاذها جميع اهل الارض ؟ ولاهل ( الري ) الاطباق المدهنة والحرير وآلات كثيرة يتخذونها من الخشب من الامشاط وغير ذلك من المالح والمغارف ، ولم الاكسية البيض الطرازية والطياصة البيض السرية والثياب المنيرة ؟ ثم بغداد الثانية اعني ( اصبهان ) وما أعطي اهلها من طيب الهواء وعدوبة الماء والحذق بانواع الصناعات ، فلم الثياب المروية والعنابية والملاحم العجيبة والحلل الابريسمية المنسوجة وغير المنسوجة والثياب السعيدية ؟ ( ولفارس ) فضل في اتخاذ الآلات الظرفية المحكة من الحديد حتى لقد قال بعض الحكماء لما وقف على اشياء ظرفية عند بعض الملوك من آلات فارس : لقد ألان الله عز وجل لهؤلاء القوم الحديد وسخّره لهم حتى عملوا منه ما زادوا ، فهم احذق الامة بالجوامع والأقفال والمرايا وتطبيع السيوف والدروع والجواشن ، ولم الثياب الجبائية والسينيزية ، ولم الموارد الجوري والطين السيرافي : الاكسية الفسوية والأدهان السابورية والثياب الكازرونية ؟ ولاهل ( سجستان ) عمل المشارب السجوية والكيزان وآلات كثيرة من الشبّه والصفر ؟ ولاهل ( طبرستان ) و ( الديبل ) و ( تروين ) حظ من عمل الاكسية الرومانية والآلمية واتخاذ الشستانك والمناديل واشياء كثيرة من انواع ثياب القطن والصوف والابريسم والكتان ؟ ولاهل ( جرجان ) من الابريسم ما ليس عند غيرهم ومنها يحمل الى جميع البلدان

ولم حذق باتخاذ الديباج والمقانع والسياب والستور وغير ذلك ؛ ولاهل (نيسابور) السياب  
 المحممة والطاهرية ، ولم التاخنج والراخنج وليس هذا الأَلم ؛ ولاهل (سمرقند) السياب  
 المروزية والملاحم الفانقة التي هي اعلى الملاحم ؛ (وبخراسان) فواكه كثيرة سربية واعتاب  
 طيبة ، ولم الزبيب الكشمة هاني والكشوش وبغليج بقدر ، وقد كان فيما مضى يُحمل  
 بطيخها الى الخلفاء في قدور نحاس لشدة حلاوتها ولذتها وطيبها (كذا بالاصل) ، ولم  
 الأشمغاز والأشجندان والفوشنة والكياكان والرخمين والمتمين ، وبها معدن  
 الفيروزج واللازورد والركب المروية والسياب السمرقندية ، ولم الأشكن والخلنج  
 وبها الختوت ؛ (وبالترك) السمور والفنك ؛ (وبالتبت) المسك التبتية والدرق التبتية ،  
 فسبحان من اعطى كل بلد نوعاً من الخيرات وجنساً من الصناعات ، وببارك الله  
 أحسن الخالقين .



## توهم الميةت حيا

« من كلمات اللغة »

—\*—

كنت وانا أتتبع كلمات اللغة التي توهم أهل اللسان الحرف الزائد فيها أصلياً والتي بنيت عليها ثلاث مقالات<sup>(١)</sup> — كنت أجد أحياناً كلمات فيها شذوذ في صيغتها . وقد بنوا شذوذها على التوهم ايضاً . لكنه توهم عجيب الشكل . غريب الأمر :

توهمهم في الكلمات التي سردها في المقالات الثلاث كان توهماً مبنياً على مستند . وله أساس . أما هذه الكلمات ( المكتشفة ) فان توهمهم فيها لامستند يستند اليه . ولا سبب معقول يمكن الاعتماد عليه .

فاذا قلنا لهم : لماذا قلتم ( تمنطق ) بالميم ولم تقولوا ( تنطق ) أجابوا باننا توهمنا أن ميم (منطقة) أصلية فاشتقنا منها (تمنطق) .

فهذا توهم له مستند وله أساس . ولصاحبه بعض العذر في مخالفة القياس . وأما الكلمات الجديدة فانهم خالفوا فيها القياس . وادعوا ان مخالفتهم مبنية على التوهم . لكنه ( توهم مجرد ) عن العلة والسبب بينما التوهم في كلمات النوع الأول ( توهم معاًل ) له علة وسببه .

ومحصل القول ان في اللغة كلمات شاذة في صيغتها جعلوها من باب ( توهم الحرف الزائد أصلياً ) لكنني لم أر لهذا الجمل حظاً من النظر . وانما هم اعتبروا التوهم فيه بمقياس أوسع مما صر في تخرج كلمات المقالات الثلاث .

(١) راجعها في ( م ٥ ص ٢٠٥ ) و ( م ١٠ ص ١٢٩ ) و ( م ١١ ص ٥٣٩ ) من مجلة

مجمعنا العلمي .

ومن تأمل حق التأمل في هذه الكلمات الآتية وجدهم اعتمدوا في اشتقاقها على أصول ميتة اعتبروها حية : ثم اشتقوا منها . فيصح لنا ان نقول انه اشتقاق مبني على (توهم الميت حياً) .

\*\*\*

رقم (٥١) — (كذبة — كذائن) (الكذبة) زوجة الابن قالوا في جمعها (كذائن) مع ان القياس أن يجمع على (كذبان) كما جمعوا (جنة) على (جنان) و (خلة) على (خلال) و (بغلة) على (بغال) و (قصعة) على (قصاع) و كما يجمع اليوم (لجنة) على (لجان) . هذا اذا لوحظ في لفظ (كذبة) أنه اسم غلب عليه الجود لاصفة . وكذلك اذا لوحظ فيه أنه صفة من (الكن) بمعنى الستر كان القياس ايضاً ان يجمع على (فعال) كما جمعوا (صعبة) على (صعاب) و (سحمة) على (سماح) لكنهم لم يجمعوا (كذبة) الا على (فعال) فقالوا (كذائن) ولما ذا ؟

قال (التاج) « كأنهم توهموا فيه كذينة ونحوها مما يكسر على فعائل » اه . وقد حاول الأزهرى صاحب التهذيب أن يجعل جمع (كذبة) على (كذائن) مقيساً في كل ما كان على وزن (فعللة) مضاعفاً . فكان في محاولته هذه متكلفاً متعسفاً . وبقي القول للجمهور الذين يمثلهم صاحب التاج في ان السبب في جمعهم (كذبة) على (كذائن) هو توهمهم ورود (كذينة) على وزن (فعللة) .

وبيان ذلك انهم لاحظوا في (كذبة) معنى الصفة (كسحمة) و (جأدة) اللتين يقال فيهما ايضاً (سميحة) و (جليدة) ومثلها كثير في صفات الاناث التي على وزن (فعللة) . أما (كذبة) فانها — وان كانت على وزن (فعللة) — لم يقولوا بها كذينة على وزن (فعللة) . نعم لم يقولوا ذلك قولاً واقعاً في الخارج لكنهم قالوه قولاً متوهماً في النفس . وقد ظهر أثر هذا التوهم منذ جمعوا (كذبة) على (كذائن) لأن (كذائن) على وزن (فعال) هو الجمع القياسي لما كان على وزن (فعللة) .

ومحصل القول إن العرب توهموا لفظ (كذينة) الميت حياً فجمعوه على (كذائن) واستغنوا به عن (كذبان) القياسي .

(٥٢) — (حررة — آحرتين) (الحررة) هي الارض ذات الحجارة السود كأنها أحرقت بالنار ويجمع على (حرار) و (حررات) جمعاً قياسياً كما يجمع على (حوتين)



و (حرثون) اي بالياء والنون والواو والنون جمعاً غير قياسي وانما هو معدود في شواذ جمع المذكور السالم نظير سنين ومثين وأرضين .

فالجموع الثلاثة ( حرار . حرثات . حرثون ) إما مقيسة وإما غير مقيسة ولكن لها نظائر . وهناك جمع رابع غريب الأطوار : لاقياس يعتمد عليه . ولا نظير يستند اليه . هو (أحرثون) و (أحرثين) يعني بالواو والنون أو بالياء والنون على نمط جمع المذكور السالم . وليس في هذا غرابة وانما الغرابة في وجود همزة في أوله فمن أين جاءت هذه الهمزة ؟ ؟ ؟

جاءت من قاعدة ( التوهم المجرد ) وهي التي سميناها قاعدة ( توهم الميت حياً ) قال صاحب التاج : « من جموع ( الحرثة ) ( أحرثين ) » وهو على توهم أن له مفرداً على ( أحرثة ) اه . يعني انهم توهموا وجود كلمة في اللغة تدل على معنى ( الحرثة ) وتلك الكلمة هي ( أحرثة ) بالهمزة في أولها . وبعد ان توهموها توهموا أن يقال بعد ان توهموها حية وهي ميتة — عادوا لجمعها على ( أحرثين ) . وزاد التاج عبارته السابقة قوة وتأبيداً فقال : « قال سيبويه وزعم يونس انهم يقولون حره وأحرثون كأنه جمع ( أحرثة ) ولكن لا يتكلم بها اه » أي ان العرب لم ينطقوا بكلمة أحره إذ هي ميتة كما قلنا .

أما الشاهد على محي\* (أحرثين) في اللغة فهو رجز قاله ( زيد بن عثامية ) وهو من اصحاب علي رضي الله عنه : فان علياً أعطى أصحابه يوم الجمل خمسمائة درهم وخمسمائة درهم ولما انهم زيد المذكور يوم صفين ورجع الى الكوفة ابتدرته ابنته قائلة ( اين الخمسمائة ؟ ) فأشدد :

( إن أبالك فرّ يوم صفين لما رأى عكراً والاشعرين )

( وذا الكلاع سيد الجائنين قال لنفس السوء هل تفرّين )

( لآخس الاجندل الاحرثين والخص قد بجشمتك الأمرين )

( جزءاً الى الكوفة من قفسرين )

فقوله ( لآخس الاجندل الاحرثين ) معناه ليس لك خمسمائة درهم وانما لك حجار الحرثات . وقد كفى بذلك عن الخبيثة .

هذا ما ناله ( يونس ) ورد عليه ( نعلب ) بان ( الأحرثين ) ليست جمعاً لحرثة ( يعني على توهم أحرثة ) بل هو جمع لكلمة ( أحر ) أفعل تفضيل من ( الحر ) وهو الكريم . فالأحرثون هي المواضع التي تكون أحرراً وأكرم من غيرها وان جمع ( الأحر ) على ( الأحرثين )

كجمع (الاکرم) على (الاکرمين) و (الأطيب) على (الأطيبين) . لكن (السخاوي) في (سفر السعادة) أبدأ (يونس) في ان (الأحرين) بالمدزة جمع (حرّة) من دون همزة ثم حلل ورود هذا الجمع بما لا يسعنا ذكره هنا . فانت ترى ان جمع (حرّة) على (أحرين) مبني على توهمهم وجود كلمة (أحرّة) في اللغة العربية وهذا التوهم مجرد تحكّم أو هو من قبيل توهم الميت حياً .

(٥٣) — (مُسرّ — فهو مسرور ومُسرّ) جاء في أمثال العرب (كلُّ مُجْرٍ في الخلاء مُسرّ) أصل هذا المثل أن رجلاً كان له فرس سماه (الأبليق) وكان اذا خلا به في الفلاة سابق عليه الطير والرياح وكان يُسرّ بشدة عدوه وسبقه في الخلاء حتى يُخدع بذلك وأدخل أبليقه في سباق الخيل بل لم يدخله الا برهن من اول الأمر . وثوقاً بسبقه في الميدان كما سبق في الخلاء . لكن (الأبليق) المسكين سبق وخسر صاحبه الرهن فضربوا به المثل وقالوا : (كلُّ مُجْرٍ في الخلاء مُسرّ) اي مسرور يضربونه لمن يحمده ما في نفسه ولا يدري ما عند غيره من الفضائل . والشاهد في هذا المثل كلمة (مُسرّ) بصيغة اسم المفعول من (أسره) لكن لم يرد في اللغة (أسره) وانما ورد (سرّ) ثلاثياً فهو مسرور :

إذن كيف قالوا في هذا المثل (مُسرّ) ؟

أجاب صاحبنا اللسان والتاج بما نصه : (قال ابن سيده : هكذا حكي هذا المثل أثار ابن لقيط : إنما جاء على توهم أسره) .

يعني انهم قالوا (مسر) لا مسرور بناء على توهمهم وجود فعل (أسر) في لغتهم . ولم يبين لنا ارباب المعاجم سبب هذا التوهم ومتممه : توهموا الياء في (ميشاق) أصابته لجموعها على (مبائيق) والياء حية في (ميشاق) ليست ميتة وموجودة غير معدومة اما قولهم في المثل المذكور (مسرّ) لا (مسرور) فإن (أسر) ميت غير موجود لكنهم توهموه حياً فاشتقوا منه (مسرّ) .

(٥٤) — (أنبته — فهو منبوت) : كما توهموا وجود (أسره) الرباعي فاشتقوا منه (مسر) — توهموا وجود (نبته) السلافي فاشتقوا منه (منبوت) . مع أن (نبته) ميت غير موجود وانما الموجود (أنبته) (والله أنبتكم من الأرض نباتاً) فاسم المفعول منه (منبت) لا منبوت . ومن أين جاء منبوت إذن ؟

اجاب صاحب اللسان في مادة (سرّ) وهو يشرح كلمة (مسر) الواردة في المثل السابق بقوله : ومثله منبوت في قول الشاعر .

(وبلد بغضي على النعوت بغضي كغضاء الروى المنبوت)

( اراد المنبت فتوم نبتة كما اراد الآخر المسرور فتوم أسره ) اهـ

واعلم ان الكلمتين وردتا في ( لسان العرب ) مصحفتين هكذا ( مثبت وثبتة ) بالثاء الثلاثة وهو خطأ وصوابه كما قلنا ( منبت ونبتة ) بالنون كما في التاج والصحاح . ولم يفسر لنا صاحب اللسان معنى قول الشاعر ( وبلد بغضي الخ حتى إن مصححه تبرأ من صحة معناه وقال : ( هكذا هو في الأصل ) .

هذه كلمات اربع ( كنانن ) ( أحرؤوف ) ( مسرّ ) ( منبوت ) وردت في فصيح كلام العرب وودّنت في معاجم اللغة وقد بنوا مصحتها على قاعدة التوم : اي توم وجود ( كنبنة ) ( أحرّة ) ( أسرة ) ( نبتة ) مع انها ميتة غير موجودة . وهذا مما يجعل ( قاعدة التوم ) واسعة مطردة اكثر مما كنا نظن ويفسخ لنا المجال فنحشر أغلظاً كثيرة للعرب والمستعربين من الفصحاء الاسلاميين — في هذه القاعدة ونعتبرها صحيحة مقبولة في الاستعمال . على أن نزاع علماء اللغة حول هذه الكلمات الأربع ونظائرها — لا ينتهي عند حد ما قلته وقلته في تخريجها وتوجيهها فان هناك دنادن حول امثال هذه الكلمات يمكن ترتيبها — على هذه الصورة :

(١) — قولهم ( أحررون ) ( مسر ) ( منبوت ) واشباهاها — مما ورد على لسان رجل واحد من عرب الجاهلية — خطأ ولا عبرة به ولا ينبغي أن يتخذ أصلاً يقاس عليه . وهذا هو مذهب البصريين الذين هم عمدتنا في اللغة وتقرير قواعدها اما الكوفيون جزاءم الله خيراً فيعتبرون هذا المثال الواحد المخالف للقياس — كافياً في صحته وصحة ما مائله ومُؤرّب على غرارهِ .

(٢) — ان قولهم ( أحررون ) ( مسر ) ( منبوت ) ونظائرها ليست خطأ بل هي واردة على القياس :

فأحررون إنما هي جمع (أحرّة) (ومسر) اسم مفعول من (أسره) ومنبوت من (نبتة) . (وأحرّة) و(أسره) و(نبتة) — مما نطق به العرب حقبة من الزمن اشتقوا في خلالها

كلمات (أحرون وسر ومنبوت) ثم انهم اخيراً أماتوا الاصول وهي (أحرة) (أسره) و(نبته) فلم يستعملوها وأبقوا على سلاستها - الجمع واسمي المفعول - فاستعملوها في اشعارهم وامثالهم وجاء علماء اللغة فدونوا المشتقات والسلاطات وأهملوا الأصول والامهات . ونظير ذلك ما فعلوا في فعلي (حب) و(أحب) مثلاً فان اهل اللسان أحبوا (محبوب) وأماتوا (حبه) الا قليلاً وأحبوا (محب) وأماتوا (حاب) وهذه الامامة والاحياء نظائر يعرفها اللغوي .

(٣) - إن كلمة (أحرة) وفعلي (أسره) و(نبته) مما نطق به العرب واستعملوه ولم يمتدوا لكن أرباب المعاجم أهملوه أو اغفلوه لسبب من الاسباب فلم يدونوه في المعاجم كما اغفلوا للكثير الطائل من فصيح كلام العرب حتى ذهب بعضهم الى أن ارباب المعاجم لم يدونوا الا النصف من كلمات اللغة وان ما فاتهم أو سُرفوا عنه أكثر مما خفروا به أو همدوا اليه . وذكر ابن فارس في كتابه (الصاحبي) أن علماءنا أو أكثرهم ذهبوا الى ان الذي انتهى اليها من كلام العرب هو الاقل قال : ولو جاءنا جميع ما قالوه لجاءنا شعر كثير وكلام كثير انتهى .

وهدا نحو (تبدى) بمعنى ظهر و (معتمد) بمعنى عمده الوجد و (يسوتف) بمعنى يشم الخ وهكذا يقال في كلمات (كئينة) بمعنى (كئة) و (أحرة) المفرد بمعنى (حرة) و فعل (أسره) و فعل (نبته) بمعنى (سره) و (أنبته) فان العرب نطقوا بها ولم يمتدوا كما توهم . وانما أماتها أرباب المعاجم أنفسهم . على ان ارباب المعاجم - وان أماتوها - رأينا من جهة ثانية قد أشاروا اليها ودلوا عليها : فلم يبق علينا الا البحث والتنقيب في كتب اللغة التي لم تنتشر ولم تطبع . بل إن هناك مصنفات في غريب اللغة خاصة لم تصل اليها ولم ندر أين مكانها . فلعلنا اذا ظفرنا بها وجدنا كلمات : (كئينة) و (أحرة) و (أسره) و (نبته) . ويكون شأننا مع هذه الكلمات التي لم تدون وتتمب في التنقيب عنها شأن علماء الفلك مع نجومات تدلم الأرصاد . والمواقع والأبعاد . ونواميس الجاذبية العامة على وجودها في رقعة أو منطقة من السماء معينة وان لم تكن ظاهرة للعيان الآن . ثم لا يلبث ان يصدق ظنهم ويتحقق حدسهم فيعثروا هم أو غيرهم على النجمية أو الكوكب في الحيز الذي عينوه ورسموه . وهكذا علماء اللغة قالوا لنا : إن هناك كلمات نطق بها العرب ولم ننظر بها نحن . لكننا وجدنا ما بثتها وبدل على وجودها فابحثوا عنها أنتم ونقبوا فلعلكم في العثور عليها موفقون .

## فن الجاحظ

- ٢ -  
« لفته <sup>(١)</sup> »

أحاط الجاحظ بخصائص اللغة ووقف على مجاريها ومصارفها وتبحّر في جلالها ودقائقتها فقد ذكرت لكم انه صورّ كل معرض من معارض الحياة ولكن الكاتب اذا شاء أن يصوّر الحياة على هذا الشكل لزمه أن يجب الكلمة وأن يشعر بها كما يشعر بكل جزء من أجزاء الحياة وهذا ما انصرف اليه الجاحظ فكل ما يمكنه الكاتب أن يصنعه بالألفاظ صنعة الجاحظ فقد عرض على ذهنه مفردات اللغة بمخاريفها ثم ألف بينها تأليفاً محكماً ، عرض مفردات العلوم والصناعات ومفردات الحركات والأفكار ومفردات الجد والمزلة والخلصة عرض مفردات العالم بمجامعها . -

أعظم خصائص الجاحظ في هذا المعنى تفقّه في اللغة فهو ينزل اللفظ في منازله ويصبه في قوالبه بحيث لو فتشنا عن لفظ آخر للمعنى الذي يمثله لنا لما وجدنا لفظاً غيره يقوم مقامه أو يسدّ مسدّه ، ولم يقتصر في هذا التفقه على باب من أبواب المعاني أو على نوع من أنواع الأفكار وإنما اعطى المعاني حقوقها من الألفاظ في كل فن من الفنون في الطب والفلسفة والصناعة والعلم وفي غير هذا كله من مذاهب الفكر فلا تجدون في فلسفته الألفاظ الكم والكيف وما ياتلها من مصطلحات الفلاسفة وكذلك شأنه في كل باب من الأبواب فهو يستعمل لكل معنى من المعاني اللفظ الذي خلق لهذا المعنى فاذا أحب مثلاً ان يصوّر لنا كسر الأعضاء قال : فقأ العين وهشم الأنف وهتم السن ودق العظم واذا

(١) هذه آخر محاضرات الاستاذ شفيق جريسيه وقد شرع في طبعتها في كتاب

خاص : سماه : الجاحظ معلم العقل والأدب . -

احب ان يمثل تجريد الاجسام من اغطيتها قال . سلخ الجلد ونغض الورق وكشطت الشمس جلودهم وكذلك لغته في تصوير فساد الاجسام كقوله : نغلت الجبنة او في تصوير اصوات الحيوان كقوله : شبيج البغل وثبيق الحمار او في تصوير الشرب كقوله : يبلغ في الدم او كقوله : الحسو والعبه والنفسه اء في تصوير بيوت الحيوان كقوله : الأفاحيص والتاريد الى غير ذلك من خصائص تفقهه فهو آخذ بمخنتق اللغة لا يفوته لفظ من الفاظها ولا يغفل عن سر من اسرارها . —

وإذا عمدتم الى آثار الحياة الخاصة وجدتم ان الجاحظ قد اتقن لغة كل اثر من هذه الآثار مما كان حقيراً فقد اتقن لغة البخيل مثلاً فيستعمل في تصوير البخل الفاظ البخله كالخبثات والقراريط والدوانيق والأرباع والأنصاف واشباهها واتقن لغة الطبع كالتشواء والانفاج واستحلاب الدم وتمرق العظم والقفار والمسمون واتقن لغة الطعام بمخايفها كالشبارقات والأخصة والفالوذجات وما يقاربهها واتقن لغة الماعون كالجننة الأعشار او القصعة المشبهة او الجرة المكسورة العروة او الحب المقطوع الرأس . —

انكم لتذكرون ان الجاحظ يميل في فنه الى الصور المحسوسة القريبة من كل حاسة من حواسنا وكما اولع بالصيغة المحسوسة فقد اولع باللفظة المحسوسة التي تؤثر في حواسنا فكأنما صاغ لغته ليعرض على انظارنا اشكال هذا العالم الظاهر : عالم الحركات والهيآت والطعام واللباس واضراب ذلك فلستم تجدون في لغته الا أمثال قوله : تغمس خراطيمها — بتطوس لها — يتموج في اهابه — يتخلج — تماريج ريشه — تهاويل الوانه — التوبرير الى اشباه هذه اللغة المحسوسة . —

ومن وآمه بهذه الطبقة من الالفاظ كان الجاحظ لا يتحامي في بعض الأوقات الفاظاً نجدها في عصرنا هذا بارزة عن ظل الطهارة كألفاظ المناكح وما ضارعتها ولا عجب في ذلك فان الجاحظ من اصحاب الأدب الواقع . —

وعلى الرغم من تبحر الجاحظ في اللغة وتفقهه فيها لم يجمد في هذه اللغة فقد تتبع مذاهب الفكر واعطى كل طور من اطوار هذا الفكر حقه من الكلمات فاذا عرضت له طائفة من خصائص بعض الحيوان كالجاموس وكالخنزير او من خصائص بعض الأجسام كالتسار ايتقن هذه الخصائص من الاسماء نفسها فقال : الجاموسية والخنزيرية والتارية والحيوانية

والجوهريه وعلى هذه الصورة اثبت ان لغة العرب مستمدة للحياة متأهبة لمجاراته اوضاع هذه الحياة ومذاهبها .-

وقد ذهب في هذا كله مذهباً أبعد فلم يتجنب في بعض الأوقات الألفاظ الأعمجية كلفظة : سوارست وامثالها .-

واذا وجدنا في بعض لغته شيئاً من الغموض فقد تكون هذه الألفاظ الغامضة انما هي الفاظ تاريخية وأريد بها الألفاظ التي كانت تدل في عصر الجاحظ او في العصور التي تقدمته على معنى من المعاني كالطعام واللباس والسلاح وما مائل ذلك ثم ذهب هذا المعنى بذهاب الذين كانوا يستعملونه فبقي الاسم وانطوى المسمى فلا نستطيع ان نتصور الاسم لاننا لا نرى المسمى ولا نعرفه ، من هذا الشكل أسماء بعض الطعام كالعنب النيروزيه والعنب الرازي أو أسماء بعض اللباس كالقلسوة الخدرية او أسماء بعض السفن كالجعفريه مثلاً .-

هذا آخر ما خطر بالبال من الكلام على لغة الجاحظ فقد ادركتم ان اللغة التقت الى الجاحظ طاعتها فصرفت في كل شيء وما أريد ان افرغ من هذا الموضوع قبل ان ايتن لكم على سبيل الاستشهاد مقدار اهتمام الافرنجة باللغة وبانتخاب الألفاظ .-

قال أناتول فرانس Anatole France في مقال له بحث فيه عن اسلوب لافونتين : La Fontaine

« كان لافونتين يولع بالكلمات ويعرف كيف ينتخبها ، ولا يكون المرء كاتباً الا اذا احسن اختياره للالفاظ ، فالكلمات هي افكار ، ولا سبيل الى الاصابة في الحكم الا بالتمكن من النحو والمفردات الصحيحة ، واظن ان الشعب الاول في العالم انما هو الشعب الذي يملك احسن الاصول في النحو وتنسيق اللفظ ، قد يقع في اغلب الحالات ان الرجال يتناحرون بسبب كلمات لا يدركون معانيها ، ولو فهم بعضهم كلام بعض لتعاقبوا ، ولا شيء يعمل على رقي العقل البشري مثل معجم يضيء ذلّة كل شيء .»

يجب لافونتين العبارات القديمة فاذا وقع نظره على كلمة قديمة ، جزلة المعنى استخرجها من موضعها وضمنها شعره في المقام المناسب .

كان كثيراً ما يقرأ الروايات ، وقد قرأ منها قديماً وحديثاً « اه .»

وقال رودس Roudés في كتابه الخطيب العصري :

« اما وقد عرفتم كيف السبيل الي استخراج المعاني من مكانها ، والمعاني هي مادة الخطاب والركن الذي يبنى عليه ، ولولاها لما تمهدت لكم المداخل على الكلام اما وقد صرفتم ذلك كله فقد لزمكم ان تبسطوا في استظهار المفردات حتى تتمكنوا من الافصاح عما يزدحم في صدوركم من متباين المعاني على اشكال تستعطفون بها القلوب وتجعلون للمعاني رونقا وحياة :-

اجل فقد لزمكم ان تحفظوا من الألفاظ ما اعان عليه الامكان حتى لا ترتبكوا في الكلام فاذا فائتكم لفظة من الألفاظ لجأتم الي غيرها واذا وردتم معنى من المعاني تبسر لكم الصدور عنه فبدلته وعدلته من غير ان يساوركم شيء من العجز عن ذلك . -  
ومن قل حفظه للألفاظ صعبت عليه مذاهب البيان فلا يجدد الي الافصاح سبيلاً ، فاذا لم يجتمع في الذهن طائفة كبيرة من الألفاظ التي تضافر على توضيح معنى من المعاني ذهب هذا المعنى من الصدور ، واذا لم تأخذوا انفسكم باستظهار الألفاظ والتعمق في الالمام بمعناها الحقيقي والجازي ، والوقوف على ما يشاكلها ويجانسها ، وعلى ما يخالفها وينافرها ، اخفتم ولم تظفروا بجوانبكم من البيان . -

كان الشاعر ثيوفيل غوتيه يقرأ على ما يظهر صفحة من معجم لغوي في كل يوم ومن المحتمل ان بلذاك ، وبودلير ، وفلور ، وكاهم كتاب واقفون على اسرار اللغة بجمامها كانوا يعمنون في هذه الكتب الضخمة ( المعجمات اللغوية ) التي تشتمل على عبقرية الامة وتنعكس فيها مظاهر حضارتها ، على تباينها في متعاقب الاحقاب . -

فن الصواب على ما اعتقد ان تنقيل طرائق هؤلاء الكتاب فقرأ في كل يوم صفحة من صفحات المعاجم اللغوية ، فان كذراً منا يثابرون على تلاوة روايات الجرائد فلم لا نجد من يطالع صفحة من صفحات لاروس Larousse ?

رب كلمة تمرُّ بذهن رجل ذي عميلة فتدبل له في ذهنه عالمًا بجملته ، او حكاية او نادرة من نوادر التاريخ ، او منحي من مناحي الطبيعة ، او مدينة من المدن ، او عصرًا من العصور ، وليس من السامة في شيء ان ينتقل الفكر من مبتدأ الازمان الي منتهاها ، ومن



العلل والمقدمات الى النتائج ، ومن هوميروس ، الى هوغو ، وان يجمع المرء من الألفاظ ما ينفعه في غد . —

بيد ان معرفة الألفاظ وحدها لا تكفي المرء مؤنة الابانة عن هواجس فكره على صورة تلاثم ، واسلوب يناسب ، فان من الضروري ان يعرف المرء كيف يصل هذه الألفاظ بعضها ببعض وان يركب منها جملاً صحيحة ، واضحة المرعى ، يسهل على الذين يسمعونها ادراكها وفهم معانيها والسبيل الى ذلك ان يستخرج المرء من الكتب والخطب العبارات الجميلة بانسجامها وتناسقها . —

وعلى هذه الصورة يجمعون لانفسكم مجموعة تضمون اليها في كل يوم طرائف حديثة ترجعون اليها ، فيتدرب ذهنكم على أساليب البيان ، وتقفون على اتصال الألفاظ بعضها ببعض فيكون لكلامكم رقة وطلاوة . —

شفيق جبزي

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«وبه نستعين (١)»

قد قدمت فيما قبل هذا الجزء من هذه الأخبار عن سبب جمعي لها وأفصحت عن معنى (٢) فيها وكررت ذلك في رسالة كل جزء وان تغيرت العبارة إما تصریحاً او اشارة وأعلمت قارئها ومكرر النظر فيها انها نوع لم

---

(١) «المجمع» أرسل الينا العلامة مرجليوث عضو مجمعنا العلمي في انكثرتا هذا الجزء من الشوار لنشره تباعاً في مجلتنا كأنشرنا أخاه الجزء الثامن في مجلد المسنة العاشرة ثم تجرده كتاباً مستقلاً . وقد رأينا ان نبي بعض أخطاء هذه النسخة على حاله لأن في تصحيحه وتاويله تشكيكاً وتربيداً يزيدان القاري حيرة ولبلة ، على ان في ترك بعض الأخطاء تمهلاً للنسخة الأصلية ، وتصويرها في ذهن القاري ، ودلالة على ما كانت عليه لغة التخاطب في العهد العباسي لأن كثيراً من تلك الكلمات او الاستعمالات ليس عربياً محضاً وانما هو محدث مولد ، وفي ذلك فائدة بقدرها علماء اللغة والتاريخ قدرها ، وقد يرد في هذه النسخة كلمات فيها سخر وبذاء فضلنا ان نخلي مكانها ، وان نستبدل بياضاً بسوادها ، هذا وقد بقي من أجزاء «كتاب الشوار» نحو ثمانية أجزاء لم يعثر عليها بعد ، فارجو من عثر على شيء منها ان يهدينا اليه فيستحق شكرنا وشكر عشاق الأخبار ، والمنقبين عن الآثار .

وقد وجد في طرة هذا الجزء قبل البسملة مانعه :

«الجزء الثاني من اختيار المذاكرة ، ونشوار المطالعة ، وابتكار المحاضرة ، للتوخي»

(٢) لعله : معنای او مغزای .

أسبق الى كتبه لانها مقصورة في الأكثر على ان نتذاكر بها لاحتوائها على  
 ضروب من الأحاديث السابقة والسالفة في زماننا التي نُظلم عندي بان  
 لانكسب ونضمتُ خلطها بفنون من طريف السير والحكايات وحديث  
 الاتفاقات والمنامات وغريب الرقا والامتحانات وأخبار ضروب الناس من اهل  
 (١) . . . . . والمهن والصناعات والملوك والروساء واهل  
 . . . . . ات وغيرهم من الاخلاط والأوساط وعجيب  
 . . . . . ماملات وتليمها بطريي الشعر وجديد  
 . . . . . ضمني وإياه دهرٌ دون ان يقارب زماني  
 زمانه واشتهر حذقه واحسانه . وشرحت العلة في ترك تبويبها واستفادة  
 خلطها دون ترتيبها . ونهت على الفوائد التي تتضمن وتجمع واعتذرت مع  
 ذلك الى من لعلها لا تنفق عليه . اوتكسد وثبور لديه : بأن قلت انها على كل  
 حال خير من مواضعها بياضاً وذكرت انها تصلح لمن قد فرغ من أكثر العلوم  
 واشتهى قراءة ما يبدله على أخلاق اهل الأزمنة وسننهم وطرائقهم وعاداتهم  
 وان يقايس بين ما نحن فيه وما مضى ليعلم كيف ماتت الدنيا وانقلبت الالهواء  
 وانعكست الآراء . وفُقدت المكارم . وكثرت المحن والمغارم . وهلك  
 أهل الفضل والتفضل . وتلف أهل الستر والتجمل . وصغرت الهمم . وتلاشت  
 النعم . وفقد الجمال . وعدم النبل والجلال . في أكثر الخصال . وجمهور الرجال .  
 وحقاً أقول لو عاش حكيم من اهل تلك الأزمنة حتى يرى ما حصلنا عليه

(١) هذا البياض موضع تمزيق مبادي السطور في النسخة الاصلية .

ودفعنا اليه ماشك في قيام الساعة . أو أن الناس بُدّلوا بهائم هائلة . اوجعلوا  
آلات غير مستصلحة . لفقد الاحرار وشدة الاعسار . وبطول المكاسب  
وتواتر النوائب . وحدث السنن القبيحة والعوائد السيئة الفضيحة . ونسأل  
الله العظيم فرجاً عاجلاً وصلاً للعالم شاملاً . إنه سميع مجيب رحيم ودود  
ذوالعرش المجيد . فعّال لما يريد . وهو تعالى حسبنا ونعم الوكيل والمعين .

\*\*\*

حدثني ابو العباس محمد بن نصر الشاهد قال كان ابو عبد الله جعفر بن  
القاسم الكرخي كتب الى ابي جعفر بن معدان ان يختار له وكيلاً ينظر له  
في ضيعته بالأهواز فاختر له عمرو بن محمد الاشجعي صاحبه فنظر في الضيعة  
سنة ثم ولي الكرخي الأهواز ووردها فطالب الاشجعي بالحساب فرمعه .  
وتابعه كاتبه . فخرجوا عليه فيه ستة آلاف دينار . فأمر الكرخي فلوزم  
الاشجعي في دهليزه وطولب بالمال ، فكتب الى ابن معدان بخبره . قال فكان  
رسم الكرخي ان يستدعي ابا جعفر بن معدان في كل يوم الى طعامه ، فاستدعاه  
في ذلك اليوم فتأخر وراسله بأنه من كان صاحبه وثقته واختياره متهماً  
مسلطاً عليه محالات الكتاب معتقلاً — لا يستدعي للمواكلة ، قال فامتنع  
الكرخي من الاكل وأنفذ اليه الاشجعي مع كاتب له والحساب وقال والله  
ما كنت بالذي ادعي محالاً يستمر على صاحبك وما أخرج عليه الا شيئاً صحيحاً  
وقد يجوز ان يكون ضيع ذلك ولم يتناوله ولعمري ان من يكون اختيارك  
وثقتك لا يخون ولم يك ملازماً ، وانما اجلسه انتظاراً لك لتجي فتدبر امره ،

وإذا كان ذلك قد شقَّ عليك فمالي لك . وهذا الرجل والحساب إن شئت ان تستوفي لي ذلك او بعضه او تدعه جميعه فافعل ولا تتأخر عني فلست آكل او تجبي . قال فاطلق الاثبجي الى منزله وركب هو الى الكرخي ثم لم يعاود احدهما صاحبه في معنى الاثبجي بكلمة وفاز بالدنانير ومضت القصة على ذلك .

\*\*\*

حدثني القاضي ابوبكر محمد بن عبد الرحمن بن احمد بن مروان قال حدثني خالي محمد بن هارون قال قال لي بعض أصحابنا قال كنت في بعض الليالي أنظر في كتاب التشریح لجالينوس قال فطلبتني عيني فرأيت هاتفاً يهتف بي ويقول « ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً » فاستيقظت ومرضت الكتاب .

\*\*\*

وحدثني القاضي ابو بكر قال حدثني مكرم بن بكر قال كنت في مجلس ابي حازم القاضي فتقدم رجل شيخ ومعه غلام حدث فاستدعى الشيخ عليه الف دينار عيناً دينا فقال له ماتقول فأقر قال فقال للشيخ ماتشاء ؟ قال حبسه ، فقال للغلام قد سمعت فهل لك في ان تنقده البعض وتسأله الاينظار ؟ فقال لا ، فقال الشيخ إن رأى القاضي ان يحبسه قال فتفرس ابو حازم فيعما ساعة ثم قال : تلازما إلى ان أنظر بينكما في مجلس آخر ، قال فقلت لابي حازم وكانت بيننا مودة وأنسة — لم أخرج القاضي حبسه ؟ فقال ويحك إني أعرف في أكثر الأحوال في وجوه الخصوم وجه الحق من المبطل وقد

صارت لي بذلك دربة لا تكاد تخطي ، وقد وقع لي ان سماحة هذا الغلام بالإقرار هي عن بلية وامر يبعد عن الحق وليس في ملازمتها بطلان حق ، ولعله ان ينكشف لي من أمرها شيء اكون في الحكم على ثقة ، اما رأيت قلة تغاضبهما في المناظرة وقلة اختلافهما وسكون جأشهما مع عظم المال ، وما جرت عادة الاحداث بفرط التورع حتى يقر مثل هذا طوعاً عجباً بمثل هذا المال قال فيينا نحن كذلك نتحدث إذ استوذن على ابي حازم لبعض وجوه تجار الكرخ ومياسيرهم فأذن له فدخل وسلم عليه وسدب لكلامه فأحسن ثم قال : قد بليت بابن لي حدث بـتلف مالي في القيان والبلاء عند مئة دين يعرف بفلان ، وأسماء ، فاذا منعتة مالي احتال بجمل تضطرني الى غرم له ، وإن عدلته عن ذلك وعددت حالي معه طال (١) ، وأقر به اليوم انه قد نصب المقين ليطالبه بالف دينار عيناً ويجعل ذلك ديناً حالاً وبلغني انه قد تقدم الى القاضي فيطالبه فيمبس وأقع مع أمه في بلية وتغيب عيش الى ان أؤدي ذلك عنه الى المقين ، فاذا قبضه المقين حاسبه به من الجذور (٢) ، ولما سمعت ذلك بادرت الى القاضي لأشرح له الامر فيداويه بما يشكره الله تعالى عليه ، فبحث فوجدتها على الباب . فحين سمع ابو حازم ذلك تبسم وقال لي كيف رأيت قال فقلت هذا ومثله من فضل الله عز وجل على مولانا القاضي وجعلت ادعوه . فقال علي بالغلغام والشيخ فدخلنا فأرهب ابو حازم الشيخ ووعظ

(١) يعني طال تعدادي من دون فائدة .

(٢) الجذور اجور القيان جمع جذر .

الغلام فأقرَّ الشيخ ان الصورة كما بلغت القاضي وانه لاشي له عليه ، واخذ  
الرجل بيد ابنه وانصرفا .  
قال لي القاضي كان مكرم هذا من فضلاء الرجال وعلماهم و كنت  
أرى رجلاً يدعو ابا جدي فقلت له ما غرضك فقال ألت تعلم ان ابا الجدي  
هو التيس .

\*\*\*

أنشدني ابو علي محمد بن الحسن بن المطهر الحاتمي قصيدة له في سيف  
الدولة وهي :

ووجد صعباً غادر الدمع جارياً	دنوت فراق خلف الصبر نائياً
فحأكي بلى جسيمي هناك المغانيا	وقفت بمنفي الشوق أنشد أهله
حياها واعضاي الطلول البواليا	حكى نفسي فيها صباها وأدمعي
	يذكر فيها :
حساماً ملياً بالذبي رام وافيا	وكفل أرواح العداة الى الوعى
بيد أعاديه وبغني الموايا	ساصفحه ينبو على ان حده
وتحرق من عادت وتنفع صاليا	كذ النار تهدي في الضلالة سارياً
ووقع الظبي الالخان والحرب ساقيا	جعلت الظبي كأستاذ يردم العدى
لديك فقد أضى بك المجد حاليا	فان كان بيت المال أصبح داطلاً

\*\*\*

أنشدني احمد بن عبدالله المعروف بالهتري القاضي البغدادي لابي العلاء  
صاعد بن ثابت قال أنشدني لنفسه :

ثنان من همتي ما ينتضي اسفي عليهما ابدأ من خيفة الفوت  
 لم احبُ منتجع الدنيا بجملتها ولا حيت الوري من صولة الموت  
 فاجتمعتُ مع ابي العلاء صاعد بعد ذلك بواسط في جمادى الاولى سنة  
 ٣٦٥ فسألته عن البيتين فقال غلط عليّ وما اخبرته انها لي فقلت فلن هما  
 فقال كان ابو الحسن بن ابي داود كاتب الوقف بالبصرة حدثني باسناد ذهب  
 عني ان ملكاً من ملوك المند حارب ملكاً قتل في المعركة فألفاه بعض  
 أصحابه طريقاً بين القتلى وفيه بقية من الروح فنزل اليه فقال هل لك من حاجة  
 فأنشدته لنفسه شعراً فُسِّر ونقل فكان هذان البيتان في جملة الشعر .

\*\*\*

أخبرنا ابو القاسم حسين بن محمد بن نبيل : كهل كان من اولاد الجند  
 ينفذاد فخرج الى الأهواز وأقام بها يكتب لعلي بن احمد الخراساني حاجب  
 معز الدولة وكان ادبياً سماعاً لكتب اهل الأدب وكان إمامي المذهب قال  
 رأيت في بيارستان البصرة رجلاً من الكتاب مجوساً يقول الشعر فأنشدني  
 لنفسه :

وأمنع نفسي بالحديث عن الفكر	أدافع همي بالتعلل والصبر
تزايد بي همي فيُسلمني صبري	وارجو غداً حتى اذا جاءني غد
ولافرح بأقي سوى أدمع تجري	فلا ألم يسليني ولا الغم ينتضي
علم باي قد تحيرت في أمري	الى الله أشكوا ما ألقى فانه
	قال وأنشدني ايضاً لنفسه :



أي شيء يكون اقبح منا      ان نقضنا عهد الاخاء وخننا  
 ان في حرمة المودّة ان ننه - ضي جميعاً عن الخيانة منا  
 واذا ما أصابنا الدهر بالعي - ن رددناه بالتغافل عنا  
 قال وأنشدني لنفسه :

ما بال دمعك ابن الدمع ياعيني      عسى اصابتك عين الدهر بالعين  
 اني لأجزع من فقد البكاء كما      قد كنت اجزع قبل البين للبين

\*\*\*

كان يلزم ابي بالأهواز شاعر يعرف بابي الخير صالح بن لبيب فدخل  
 اليه يوماً وانا حاضر فأعطاه رقعة صغيرة فقرأها ابي وتبسم وامرله في الحال  
 بدرام وانصرف فأخذت الرقعة فاذا هي تحية وفيها :

يا من أرق له السباح ندى      أضحى به الأحرار في رق  
 فضلاً سبقت العالمين به      والفضل مقصور على السبق  
 ألزمت نفسك غير لازمها      وعرفت لي حقين لاحقي  
 ودخل اليه يوماً شاعر يعرف بالهمداني لا أعرف اسمه ولا نسبه فدفع  
 اليه رقعة فيها :

كنى القاضي رضاي بما ارتضاه      ولم أذم رضاي ولا رضاه  
 فأمرله في الحال بجائزة سنية .  
 أنشدني غير واحد من الشيرازيين للامير عضد الدولة ابي شجاع بن  
 ركن الدولة ابي علي :

بهطّة قصر عن وصفها      بابدع الاوصاف بالزور (١)  
 كأنها في الجام مجلوة      لآلي في ماء كافور  
 وله ايضاً :

رأيت بساطاً للزبرجد ناضراً      قد ابرز أطرافاً تعدد قحافا  
 قحافاً من البلور ملأى وفرغاً      ومجروحة منه رفعن سبحافا  
 تحت كؤوساً للندى كؤوسها (٢)      وتترك احلام الحليم سخافا  
 وقال ايضاً :

نحرنا بيننا دنا      فعاد الليل اصباحا  
 ودأجا (٣) نحره مثل الـ      فرأين اذا صاحا

...

حدثني ابو العلاء صاعد بن ثابت قال كتب اليّ القاضي ابو القاسم علي  
 ابن محمد الشوخي جواب كتاب كتبه اليه :  
 « وصل كتابك :

فما شككت وقد جاء الرسول به      أن الشباب أتاني بعد ما ذهبنا  
 « البقية تأتي »

(١) العوَاب في بَيْتِية الدهر (٢ : ٣)

بهطّة تعجز عن وصفها      يامدعي الاوصاف بالزور

والبهطّة الأرز يطبخ باللبن والسمن خاصة بلا ماء وهي كلمة سنديّة كما في اللسان .

(٢) لهه سقاتها . (٣) ثنّية ودأج بمعنى الودّج وهما عرفان في العنق ينتفخان

عند الغضب .

## مطبوعات حديثة

—\*—

أصراء الشعر العربي

— في —

«المصر العباسي»

[ للاستاذ انيس المقدسي ]

٤٣٦ صفحة — المطبعة الأدبية — بيروت سنة ١٩٣٢

اعتادت طائفة من الباحثين في أيامنا هذه أن يصدروا كلاماً على شاعر من الشعراء أو على كاتب من الكتاب بتصوير العصر الذي ظهر فيه هذا الشاعر أو هذا الكاتب وعلى هذه الآثار مشى الاستاذ أنيس المقدسي في كتابه المشتمل على دراسة سبعة شعراء وهم: أبو نواس وأبو العتاهية وأبو تمام والبحثري وابن الرومي والمتنبي والمعري ٠ —  
بحث الكاتبة في فاتحة كتابه عن العوامل السياسية في خلافة بني العباس وعن أطوار الحياة الاجتماعية وعن مجاري الحركة الفكرية ٠ —

ولكن هل استطاع أن يبين مقدار اتصال الشعراء الذين يتكلم عليهم بالمصر الذي صورته فقد بحث مثلاً عن تجزؤ دول المسلمين ثم تعرض لبيان تأثير هذا التجزؤ في الأدب ، فما هو هذا التأثير الذي ذكره ، ان هو الأ مزاحمة حواضر الاسلام لبغداد في الأدب والعلم ، ولكن هل يكفي مجرد ذكر هذا التأثير أفما كان من الواجب على الباحث أن يشير إلى « تطور » الادب في المهداره من بغداد إلى حواضر الإسلام وأن يوضح خصائص الأدب في وحدة المسلمين وخصائصه في تجزؤ دولهم ٠ —  
وكأنه أراد أن يتعمق هذا النقص فلما بحث عن غارات الروم على أطراف الممالك

الاضلامية أشار إلى أن لحروب الروم أثراً في الأدب ظهر على شعر النبي قمام والبحري والمنبي ولكنه لما تكلم على هذا الأثر في شعر المنبي اقتصر على أن يذكر أن روح الجهاد مستفيضة في كثير من مدائحه في سيف الدولة أو أنه رأى الجيوش في ساحة الحرب أو أنه شاهد الأبطال ولم يكشف الغطاء عن خصائص هذه الروح فلما نعرف شيئاً في كتابه عن مبلغ فن المنبي في وصف المعارك وعن لغة هذا الفن . —

وكذلك شأنه في كلامه على الحالة الاجتماعية في عصر بني العباس فقد وصف ترفهم أحسن وصف وضوء بذخهم أتم تصوير ولكنه لما وصل إلى الكلام على البحري تعرض لمنزلة البحري في وصف القصر المعروف بالكامل فلم يقل كلمة واحدة في طبيعة هذا الوصف وخصائصه على أن كتابه أدبي ولم يكن تاريخياً من التواريخ فكان من الواجب عليه أن يفيض في الكلام على فن الشعراء مقدار افاضته في الكلام على العوامل السياسية أو الاجتماعية أو الفكرية . —

فقد اجاد في هذا الكلام وخاصة في كلامه على تطور الحياة الاجتماعية أو على الجباية والمصادرة وظهرت على هذا الكلام آثار التتبع والاستقصاء . . .

ولكن مباحثه الأدبية قد انحطت عن منزلة مباحثه التاريخية . —

إننا لا نزال في مباحثنا الأدبية بعيدين عن سواء السبيل فلا نعرف كيف نصور فن الشاعر وخصائص هذا الفن ولغته وطبائع هذه اللغة وهذه هي الدراسة المتكاملة . —

أما لغة الكاتب في كتابه فقد كانت سهلة في أكثر مواطنها لكن هذه السهولة قد انحدرت به في بعض المقامات إلى درجة المعجمة كقوله مثلاً :

الشرق الأدنى كان « تحت تأثير » الروح اليونانية

اللواتي « لعبن دوراً »

بتعصبون « ضد » أبناء الاماء

« شكّل » من فتیان الاتراك جنداً

قامت بها « حيات » منظّمة

( شفيق جبري )

(١) كتاب النكاح والطلاق

(٢) كتاب الهبات واحكام الوصايا والفرائض والأقضية

« ترجمة »

أحمد لايمش ، أستاذ مجلة الأحكام الشرعية في مدرسة ليلسان والحامي في وهران .  
الكتابان طبعوا في الجزائر - الأول ( ٣١١ صفحة ) سنة ١٩٢٦ والثاني ( ٢٤٤ صفحة )

سنة ١٩٢٨ .

للإمام ابن رشد كتاب : بداية المجتهد ونهاية المقتصد وهو يشتمل على مسائل الاحكام المتفق عليها والمختلف فيها بادلتها والتنبيه على نكت الخلاف فيها .

وقد نقل الى اللغة الفرنسية الأستاذ احمد لايمش بعض كتب من هذا الكتاب منها : كتاب النكاح وكتاب الطلاق ، ومنها : كتاب الهبات وكتاب أحكام الوصايا وكتاب الفرائض وكتاب الأقضية .

والترجمة تدل على تمكن صاحبها من خصائص المصطلحات .

شفيق جبري



رباعيات الخيام

- تعريب ودبع البستاني -

« مطبعة المعارف مصر »

لا يحتاج رباعيات الخيام الى شيء من التعريف وقد كثر الذين تولوا تعريبها شعراً او نثراً وخلاصة فلسفتها ان صاحبها جاء الي هذه الدنيا اضطراراً ورحل عنها اضطراراً فلم يجد شيئاً يلهو به في هذه الحياة الا الخمر والمرأة فالدنيا عدم والآخرة عدم ، لكن هذه الفلسفة لا تخلو من همز بعض السلطان ومن تقلب في يقين وارتياب .

اما التعريب نفسه فأحسن صفاته أنه مفهوم والكتاب قد طبع طبعاً غاية في الاتقان .

شفيق جبري



## (١) العبرات الملتبئة

## (٢) على مذبح الوطنية

— بقلم —

« الياس فنصل — ييونس آيرس — ١٩٣١ »

« ديوان شعر — جرآن صغيران »

صاحب هذه النفثات شاب في مقتبل العمر خرج من وطنه سورية فاستقرت به النوى في اميركة فاضطرب قلبه فالتمس له متنفساً يتنفس منه فلم يجد غير المناجاة الطبيعية ، فتارة كان يشكو اليها حبه فتفيض هذه المناجاة بعاطفة قلقة وشعور عاصٍ ، وتارة كان يحن الى وطنه فينغم على الطبيعة نقمة فيها جزع الشباب .

وقصائده : على مذبح الوطنية ، تشتمل على عواطف وطنية تفسح عن رغبة صاحبها في نهضة بلاده . —

شفيق جبري

## المحفوظات المختارة — والموجز في علم المنطق

من اشرف من كتب على سير اللغة العربية في هذه الآونة يشتبط حين يرى هذه اللغة المحبوبة نفست عنها غبار الخمول <sup>١</sup> ومزقت نسج العناكب الخيم فوق غارها الذي آوت اليه بعد ان استخذي سلطانها .

لقد قبض الله لها طائفة من ابنائها المخلصين فشمروا عن ساق الجد ومهدوا لها السبيل فنشطت من عقلها واخذت تحتذي على مثال اللغات الحية وترمم خطواتهن في التقدم والتوسع . ولا يكاد يمر حين من الدهر الا نرى فيه أسلوباً جديداً وطريقاً طريفاً وكتاباً حديثاً يسد فراغاً في خزانة اللغة الشريفة . ولئن ظلت ردحاً من الزمن على مثل هذه الحالة فلا تلبث بعد قليل ان تعود الى سيرتها الاولى وتبلغ مستوى اللغات الحية .

وأخر ما انتهى اليه من الكتب القيمة للدارس . كتب المحفوظات . وكتاب الموجز في علم المنطق .

## « المحفوظات المختارة »

اربعة اجزاء الفها لطلبة المدارس الابتدائية الاستاذان الفاضلان السيد احمد علي عباس المفتش بوزارة المعارف المصرية والسيد عباس حسن المدرس بالمدارس الاميرية وقد اشتملت هذه الأجزاء على قطع مختيرة من نظم ونثر من كلام البلغاء في هذا العصر وغيره في اضراض مختلفة بأسلوب يستهوي الفتنة الطلاب ويواهم مداركهم وهي مطبوعة طبعا متقنا بحرف واضح مشتملة على صور تصبي نفوس الأحداث ويقع الجزء الأول منها في نحو ٤٩ صفحة والثاني في ٤٠ والثالث في ٦١ والرابع في ١٠١ ولا تكاد تجد فيها سمنراً الا امرين :

١ - قصر ما فيها من التشيد والتعفي والترنم والوصف والحنين و . . . . . على مصر دون غيرها . ومن حق العربي ان يكون له وطن عام وهو جميع البلاد التي يقطنها ابناء جلدته وان يحن اليها كما يحن الى وطنه الخاص ويتفنى بذكرها وماضيها وانجادهما وامجادها كما يتفنى بين في وطنه الخاص . حتى لا تنفصم الأواصر التي تربطه بقومه ولا ينشأ على الجباله بها .

٢ - لم يكن للأمثال نصيب في هذه الكتب ولالشيء من الشعر الموثوق بعربيته على كثرة ما فيه من السهل . مع ان ذلك يكون ذخيرة للطلاب يستطيع ان يطبع على غمراه عند الحاجة الى ذلك .

## « الموجز »

اما كتاب الموجز في علم المنطق فقد وضعه الاستاذان الفاضلان السيد محمد حسين عبد الرزاق المدرس بمدرسة المعلمين العليا في مصر والسيد عباس حسن المدرس بمدرسة الناصرية .

واني لا ازال على ذكر من العهد الذي تعلمت فيه المنطق ولا ازال اذكر ما كنت أكابده من الصعوبة واستفرغه من الجهد في تعلمه وتفهمه . لصعوبة المنهج الذي كان المتقدمون ينهجونه .

ولقد رأيت كتاب الموجز : مهد للطلاب مسلكاً جديداً جعل منه هذا العلم على

طرف التمام كما جعل مباحته متسقة متناسقة آخذاً بعضها بحجز بعض كل ذلك بأسلوب رشيق وترتيب اتيق . ومن المفيد جداً ان يضاف الى ما فيه من المباحث مباحث أخرى لا يستغني الطالب عن الاطلاع بها ولو قليلاً .

منها : بحث الزوم . لشدة الحاجة اليه ولذكرة كثيره عند الكلام على لزوم النتيجة للمقدمتين الصغرى والكبرى .

ومنها : التعريف بالعرض العلم مع الخاصة . او مع الفصل . وبالفصل وبالخاصة فان الأول اقوى من التعريف بالخاصة وحدها . والثاني اقوى من التعريف بالفصل وحده . والثالث اقوى من هذا الثاني على ما حققه السيد الشريف .

ومنها : ذكر المشترك وما يقابله . فقد ذكر في ص ١٠١ عند الكلام على استعمال اللفظ الواحد في معان مختلفة . ولم يعرف تعريفاً وافياً .

ومنها : ذكر التناقض ولو بصورة مجملة . وذكر العكس اكثر مما ذكر وقد سلك المؤلفان سبيلاً محموداً مفيداً في ذكر الاسماء والاشارة الى ما يقابلها في اصطلاح المتقدمين . وذلك يسهل على الطالب فهم كتب المتقدمين عند الرجوع اليها .

ولو ذكر في مباحث (التفسير) ما يوافق او يراهف او يورد فيه . مما ذكره الاصوليون في مباحث اللل . من السبب والتقسيم وتحقيق المناط وتنقيحه . او اشير الى ذلك لكات الفائدة أجل وأجزل لأن الطالب يبقى على صلة مع المصطلحات القديمة وفهمها . وكما أحسكت الصلات بين القديم والحديث كثرت فائدة الطالب من الكتب القديمة . وقلت المترادفات التي يشكونها أكثر العلماء والأدباء في العصر الحاضر .

وبعد هذا فإن الموجز أفضل كتاب أخرجه هذا العصر في هذا العلم . ولعل وزارة المعارف الجليلية في الدولة السورية تقرر هذا الكتاب لمثل الصف الذي قرر له في مصر ، فتحسن إلى العلم والأمة عامة وإلى طلاب الفلسفة خاصة .

والكتاب مطبوع طبعاً جيداً مصحح منقح لا يكاد الواقف عليه يجد فيه شيئاً من الخطأ إلا قليلاً مثل قوله :

في ص ٢٠ — المصادقات . والصواب الماصدقات .



- وفي ص ٤١ — حكنا على عمر بالشجاعة . . . وسياق القول يقتضي أن يكون  
حكنا على عمر بالعدل وعلى علي بالشجاعة .
- وفي ص ٦٧ — نظروا في كل ما حاطها كأخبارها . والأولى ما حاط بها .
- وفي ص ٧٢ — (كلمة طبيعية) عربية فصيحة . والمشهور في باب النسب ان ما كان  
على فعيلة يقال فيه فعلي أما ما جاء بآباء كالسليبي في النسبة الى شليقة فهو شاذ  
لا يقاس عليه كما ذكر ذلك في شرح المفصل وغيره وفي ألفية ابن مالك فعلي في فعيلة  
النزم .
- ومنها قوله في ص ٧٤ — من اعرف الارقام . . . وقوله بعده . ان يدعي لمعرفة .  
والظاهر أن الألف سقطت من المعرفة الى قوله اعرف .
- ومنها في ص ٧٨ — بعد نضوج . . . والظاهر أن الواو زائدة لان مصدر هذا  
الحرف لم يجيء على فعول .
- ومنها في ص ١٠٣ — مع بقاء السبب . والصواب السلب . ونحو هذا مما لا يس  
قدر هذا الكتاب الجليل ولا يشوه نصرته ورواقه .
- واننا لنسدي الشكر الجزيل لهؤلاء الأفاضل لخدمة هذه اللغة خدمة صادقة قائمة  
على حكمة صحيحة وعلم جم وذوق سليم .

سليم الجندي

### « الخطرات »

- « كتاب ادب و اخلاق واجتماع بقلم وداد سكاكيني وهو يقع في ١٨٠ صفحة »  
« من القطع المتوسط والحروف الكبيرة »
- جمت المؤلفات الفاضلة في هذا الكتاب مقالات ديجتها براعتها في موضوعات مختلفة  
وهالك عناوين بعضها :
- « الشاعر ، الأدب العربي ، تطور المرأة ، الفجر ، الأمل ، الموت ، ذكرى النبي ،  
الاخلاق والمدنية الحديثة ، الأطفال والأسرة ، الخنساء ، الثروة والعمل الخ » .

وقد نظرت الى الكتاب نظرة من يستقصي المادة في مقالاته ويعترف الى مراعاة افلام المؤلف ومقاطرها ويستجلي الروح التي اوحى اليها بتلك المقالات . فاما مادة الكتاب فضعيفة وجدير بمن يكتب في الأخلاق والاجتماع ان يدرس بامعان كتب فلسفة الأخلاق وفلسفة علم النفس والاجتماع وان يقتبس منها في مقالاته حتى يتميز عن غيره بغزارة المادة . ولم اجد من حيث الأدب تلك الصور الدقيقة والافكار العميقة التي يتفاضل بها الكتاب . ويبدو ضعف المادة جلياً في المقالة التي عنوانها « الثروة والعمل » فإن هذا الموضوع المادي لا يعالج بالأخيلة الشعرية .

واما لغة الكتاب فجيده إجمالاً . ولا شك ان انشاء المؤلف الفاضلة يفوق انشاء عدد كبير من يسمونهم ادياء وكتاباً . ومع هذا وجدت في ثنايا الكتاب هنات تنفيذ الاشارة الى بعضها كقولها في ص ٤١ « بأخذ بناصية اعجابنا » وفي ص ٥٩ « جمال الطبيعة البري » فلها جمال مجرم ام لا بد من ترجمة Innocent التي يستعملها الفرنسيون في هذا الصدد . وفي ص ٦٥ « اقبل على تلك المظاهر الجديدة كرهاً عنه » والصحيح كرهاً او كارهاً او مكرهاً او على نكره الخ . وعدت فعل اثر يعلى في عدة مواضع (ص ٨٨ و ١٠٦ و ١٠٧) . وهو يتعدى بغي . وفي ص ١٢٩ « كان لنبيهة نجبة راقية من الصديقات والصواحب ترتاح لحدبها وتستزيدها منه » ولعلها تريد ان تقول يرتحن لحدبها ويستزدينها منه . وفي ص ١٧٢ « فجرح رفضها هذا اياه الأمبراطور » قلت لقد ذكرني هذه الجملة بقولهم « جرح تواضعه » ترجمة للجملة الفرنسية *Blesser sa modestie* وهي كلها تجرح فؤاد المطلع على بيان هذه اللغة . . .

والروح التي اوحى الى المؤلف بتلك المقالات هي روح عالية لأن صادق الوطنية وحب اللغة العربية والحث على التحلي بالأخلاق الفاضلة كلها تتجلى في تضاعيف الكتاب .

مصطفى الشهابي

## كتاب الجيش العرمم

طبع سنة (١٣٣٦هـ) بالحرف المغربي ، مؤلفه الشيخ الوزير الكاتب ابو عبدالله محمد ابن احمد كنفوس القرشي السوسي المراكشي<sup>(١)</sup> المتوفى بمراكش سنة (١٢٩٤هـ) .  
موضوعه : تاريخ دولة الاشراف العلويين الذين اعترف لهم اهل إفريقيا بشرف النسب العلوي منذ عهد جدم الشريف علي بن الحسن بن محمد بن الحسن العلوي الداخل الى المغرب في القرن السابع للهجرة وقد امتصى بيان تاريخهم لاسما السيامي الي سنة (١٢٨٢هـ) .

وقلما يغني عنه كتاب في ذلك لأن المؤلف واسع العلم كثير الاطلاع تقلد الكتابة والوزارة مراراً فتسنى له أن يقف على كثير من الشؤون التي تشتد حاجة التاريخ إليها .  
وفي كتابه شعر كثير وترسل جميل يليق بموضوعه لو لم يتغله شيء من السجع فيه ما فيه .

وقد ألم استطراداً بتاريخ أشهر دول الاسلام في الشرق والغرب واستهل كتابه ببحث رائق في بيان فضل التاريخ وحقيقة الإمامة والفرق بينها وبين الخلافة والملك ، واختتمه باسهاب في صفات الملك العادل منها ما كتبه الحسن البصري لعمر بن عبد العزيز . وله مصطلحات خاصة تعين على الاختصار في تعريف الاحوال التاريخية العامة كقوله في عنوان تاريخ صدر الاسلام : اللواء الاول الابيض الاكبر ، راية يزيد بن معاوية زرقاء ، راية عبد الملك بن مروان حمراء شديدة الحمرة .

والكتاب على كثرة حماسه لم يخل مما يوجب نقده — والعصمة لله وحده — فهاجت بمؤلفه ثورة عاطفة شديدة جعلته يحمل على الامير عبد القادر الجواثري الكبير حملة منكرة بعيدة عن الحق جداً ولعل عذره في ذلك ان المفاخرة حرمان والعين لا ترى نفسها .

عبد القادر المبارك

عضو الجمع العلمي العربي

(١) ترجمته في كتاب فواصل الجمان في انباء وزراء وكتاب الزمان . المطبوع

سنة (١٣٤٦هـ) للكاتب الأديب محمد غريبط .

## الحكيم ابو نصر الفارابي (١)



لا خلاف بين المؤرخين في أن اسم الفارابي (محمد) وانه ملقب (بابي نصر) وقد اختلفوا بعد ذلك في نسبة ، فمنهم من يقول هو ابو نصر محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان كافي (عيون الانباء) لابن ابي أصيبعة ، ومنهم من يقول هو ابو نصر محمد بن طرخان بن أوزلغ كابن خلكان ، ومنهم من يقول هو ابو نصر محمد بن محمد بن محمد بن طرخان كالفطحي والبيهقي ، ومنهم من يقول هو ابو نصر محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن طرخان كابن النديم في (الفهرست) ، ومنهم من يقول : هو ابو نصر محمد بن محمد بن نصر كصاعد في (الطبقات) ويقول صاعد في موضع من كتابه أبو نصر محمد بن نصر .

فلا اتفاق على تسمية آباءه ولا على ترتيبهم ، واذا كان اسم ابيه موضع خلاف فلا غرو أن احداً من المؤرخين لم يشر الى اسم أمه ولا الى نسبها .  
واكثر المترجمين للفارابي يذكرون أنه تركي لكن صاحب طبقات الأطباء يقول : ( وكان ابوه قائد جيش وهو فارسي المنتسب ) ولا سبيل الى تحقيق نسبة من هذه الناحية لتقارب البلادين واشتراك الأعلام فيهما ، واذا صح ان آباءه كان قائد جيش فهو لم يكن من كبار القواد الذين يشهد بذكرهم التاريخ .

ولعل فيما امتاز به الفارابي من الشجاعة والصبر على اجثال متاعب الدرس ومشاق الأسفار وشظف العيش ما يشعر بانه سليل أبطال .

ولم يقف الخلاف في أمر الفارابي عند حد التضارب في نسبة فقد اختلف المؤرخون في وطنه الأول ايضاً .

(١) للاستاذ المحقق الشيخ مصطفى عبد الرازق من اعضاء المجمع العلمي العربي .

والفارابي منسوب الى (فاراب) ولم يشذ عن القول بذلك الا ابن النديم في الفهرست فانه يقول : أصله من الفارياب من أرض خراسان ، والا البيهقي في كتابه المخطوط في تاريخ الحكماء فانه يذكر أن الفارابي من فارياب (تركستان) لان النسبة الى فارياب هي : فاريابي . وقد ذكر معجم البلدان أسماء جماعة من الأئمة نسبوا اليها : منهم محمد بن يوسف الفاريابي .

وفاراب التي ينسب اليها فيلسوفنا وتسمى (باراب) ايضاً هي ناحية كبيرة واسعة وراء نهر جيحون (أموداريا) كذا يقول ياقوت عند الكلام على (باراب) ولكنه يقول عند ذكر فاراب : « ولاية وراء نهر سيجون » (سرداريا) في تخوم بلاد الترك وهي أبعد من الشاش قريبة من بلاساغون ومقدارها في الطول والعرض أقل من يوم الا أن بها منعة وبأساً وهي ناحية سيجة لها غياض ولم مزارع في غرب الوادي تأخذ من نهر (الشاش) والشاش هي مدينة بما وراء النهر ثم ما وراء نهر سيجون متاخمة لبلاد الترك . ويتبين من ذلك ان لا خلاف بين عسارقي ياقوت فان (فاراب) وراء نهر جيحون وسيجون معاً ثم ان فاراب على جانبي الفرع الاكبر لنهر سيجون وهي في طرف بلاد الترك (تركستان) .

ويقول ابن حوقل الذي ظهر نحو سنة ٣٦٧ هجرية ٩٢٧ ميلادية أن على الشاطي الغربي من سرداريا كانت توجد مدينة (وسيج) التي ولد بها الفيلسوف أبو نصر الفارابي . والمستشرقون يعتمدون هذا القول لكن كثيرين من مؤلفي العريضة كالفنطلي وابن ابي أصيبعة وابن خلكان صرحوا بان الفارابي من مدينة (فاراب) وقال ابن خلكان أن هذه المدينة تسمى لهده (أطرار) ويقول الاستاذ (بارتولد) في الفصل الذي كتبه في دائرة المعارف الاسلامية : « ان الاصطخري الذي وجد في أوائل القرن العاشر يذكر أن قصبة ولاية فاراب كانت مدينة تسمى (قدر) في شرق نهر سرداريا على نصف فرسخ من مجراه وعلى الشاطي الغربي من هذا النهر على فرسخين دون (قدر) توجد (وسيج) التي هي حصن صغير .

اما المقدسي الذي نبغ في أواخر القرن العاشر الميلادي فهو يذكر ان قصبة (فاراب) كانت تسمى باسم الولاية وعنده أن (قدر) مدينة حديثة النشأة . ويرجع الاستاذ (بارتولد) أن تكون فاراب التي لم يذكرها ابن حوقل ولا

الاصطخري هي المدينة الحديثة النشأة اما (قدر) فهي المدينة القديمة و(أطرار) هي نفس مدينة (فاراب) وهي أحدث منها » .

وعلى ذلك فالراجح أن الفارابي ولد بوسج كما ذكره ابن حوقل ونسب الى ولاية (فاراب) لا الى المدينة المسماة بهذا الاسم التي حلت محل مدينة (قدر) ثم حلت محلها (أطرار) .

ولسنا نعرف مولد الفارابي الا بالتقريب استنتاجاً مما ذكره المؤرخون في وفاته فتمد ذكر ابن خلكان أنه توفي سنة ٣٣٩ هـ (٩٥٠ - ٩٥١ م) وقد ناهز ثمانين سنة ويكون إذاً مولده حول سنة ٢٥٩ هـ ٨٧٣ - ٨٧٣ م .

ولا يعرف شيء عن طفولته وشبابه انما يقول المؤرخون : انه خرج من بلده وانتقلت به الأسفار الى ان وصل بغداد وهو يعرف اللسان التركي وعدة لغات غير العربي فتعلمه وأتقنه ثم اشتغل بعلوم الحكمة على ابي بشر متى بن يونس وهو مسيحي نسطوري معروف بين تراجمه الكتب اليونانية واليه انتهت رئاسة المنطقيين في عصره ، وعلى الطبيب المنطقي المسيحي يوحنا بن حيلان ولم يذكر له المؤرخون أساتذة غيرهما .

وإذا كنا لا نعرف التاريخ الذي خرج فيه الفارابي من بلده ولا التاريخ الذي وصل فيه الى بغداد فانا نستطيع ان نتكس بعض هذه التواريخ استنباطاً من ثنايا كلام المترجمين للفارابي .

ويقول صاعد في « طبقات الأئم » ( أخذ أي الفارابي صناعة المنطق عن يوحنا بن حيلان المتوفى بمدينة السلام في أيام المقتدر ) والخليفة المقتدر توفي سنة ٣٢٠ هـ ٩٣٢ م ويقول ابن خلكان : ان الفارابي ارتحل من بغداد الى مدينة حران وفيها يوحنا بن حيلان فأخذ عنه طرقاً من المنطق . ويؤخذ من ذلك أن يوحنا كان يشتغل بجران أولاً ثم انتقل الى بغداد ومات بها قبل سنة ٣٢٠ هـ .

اما ابو بشر متى بن يونس فقد كان شيئاً كبيراً يقرأ في بغداد كتاب أرسطاطاليس في المنطق ويعلي على تلامذته شرحه فحضر أبو نصر دروسه زمناً قبل انتقاله الى حران ولعلنا نستطيع أن نقدر زمن درسه ببغداد ثم اشتغاله بجران ثم انتقال أساتذه يوحنا بن حيلان الى بغداد ومقامه فيها الى أن مات بفحو عشر سنين فيكون دخول الفارابي الى

بغداد لأول مرة حوالي سنة ٣١٠ هـ ولا يكون هذا الفرض جزافاً اذا راعينا ما ينقله ابن ابي أصيبعة من أن الفارابي كان يجتمع بأبي بكر بن السراج فيقرأ عليه صناعة النحو وابن السراج يقرأ عليه صناعة المنطق وابو بكر بن السراج توفي سنة ٣١٦ هـ فلا بد أن يكون تبادل التعلم بينه وبين الفارابي قبل وفاته بست سنين على الأقل خصوصاً اذا روعي ملاحظه بعض زملائنا المشتغلين بدراسة تاريخ النحو من أن ابن السراج قد تأثر في مؤلفاته النحوية بأساليب المنطق وقواعده .

قد خرج الفارابي اذاً من بلده قاصداً الى بغداد حوالي سنة ٣١٠ وهو يومئذ يناهز الخمسين فحضر دروس ابي بشر متى في المنطق وتعلم في اثناء ذلك العربية عن ابن السراج في مقابلة تعليمه المنطق .

والظاهر أن الفارابي حين وصل الى بغداد لم يكن جاهلاً للعربية ولا للعلوم الحكيمية كما يفيد كلام المؤرخين فليس من المعقول أن الامام ابن السراج الجمع على فضله وجلالة قدره في النحو والأدب يتعلم المنطق عن ناشئ يتلقى دروسه الاولى ثم يتأثر عقله بأسلوب هذا الناشئ وتعاليمه وليس بالمعقول أن من يجهد اللغة العربية يتتدي بتعلم ألفها وبائها عن ابن السراج . انما خرج الفارابي من بلده ليتصل بأئمة الحكمة والعلم في العراق والشام تكليلاً لما عنده من العلم والحكمة .

وقد ذكروا انه انما أخذ عن ابي بشر متى بن يونس وعن يوحنا بن حيلان علم المنطق وأخذ العربية عن ابن السراج فكيف تعلم الرياضيات وقد قالوا انه كان رياضياً بارعاً ؟ وكيف تعلم الموسيقى وقد كان يحسنها تلحيناً وتوقيعاً حتى ليحكي كما في ابن خلكان « ان الآلة المسماة بالقانون من وضعه وهو اول من ركبها هذا التركيب . ويقول غير ابن خلكان انه وضع آلة تشبه القانون وكتابه في الموسيقى اشهر كتب الفن كما انه كان في صباه يضرب بالعود ويغني » ويقول « كاراده ثو » في دائرة المعارف الاسلامية : ان دراويش المولوية لا تزال تحتفظ باغانٍ قديمة منسوبة اليه .

ثم انه كان له بالطب معرفة بل ذكر بعضهم انه مارسه عملاً ، وأنكر ذلك آخرون . فهل تعلم كل هذه العلوم وهي لا تستغني عن موقف الا قبل مجيئه الى بغداد ؟؟ ثم انهم ذكروا انه كان يعرف لغات كثيرة عند قدومه الى بغداد ورووا أساطير تدل

على انه كان يعرف سبعين لغة ومع ما في ذلك من الشطط فانه لا يخلو من اثر الحق اذ هو بالضرورة كان يعرف التركية ولعله كان يعرف الفارسية وقد اتقن العربية وهو يتحدث في بعض كتبه عن اللغة اليونانية حديث خبير بها فهل يضطلع بعلم هذه اللغات الا الرجل العليم ؟؟

بعد ان قضى الفارابي وطره من دروس ابي بشر حتى يتحول عن بغداد الى حران فأخذ عن يوحنا بن حيلان المنطق أيضاً ثم انه قفل راجعاً الى بغداد وكما يقول ابن خلكان وقرأ بها علوم الفلسفة وتناول جميع كتب ارسطاطاليس وقهر في استخراج معانيها ويقال انه وجد كتاب النفس لأرسطاطاليس وعليه بخط ابي نصر الفارابي: اني قرأت هذا الكتاب مائة مرة . ونقل عنه انه كان يقول : قرأت السماع الطبيعي لارسطاطاليس الحكم اربعين مرة وأرى اني محتاج الى معاودة قراءته . ويذكر ابن خلكان ان الفارابي الف في بغداد معظم كتبه .

ثم انتقل الفارابي الى الشام ثم توجه الى مصر وعاد الى الشام واتصل هناك بسيف الدولة ابن حمدان الذي عرف له فضله وأكرم وفادته فعاش في كنفه حتى مات .  
وكلام المؤرخين مضطرب في امر هذه الانتقالات وقد أورد ابن خلكان في كتاب «الوفيات» أن ابا نصر ذكر في كتابه المرسوم بالسياسة المدنية انه ابدأ بتأليفه في بغداد وأكمله في مصر .

وليس في كتاب السياسة المدنية المطبوع شيء من هذا .  
وذكر ابن أبي أصيبعة انه ابدأ بتأليف كتاب المدينة الفاضلة والمدينة الجاهلة والمدينة الفاسقة والمدينة المبدلة والمدينة الضالة ببغداد وحمله الى الشام في آخر سنة ٣٣٠ هـ وتممه بدمشق في سنة ٣٣١ هـ وحرره ، ثم نظر في النسخة بعد التحرير فأثبت فيها الأبواب ، ثم سأله بعض الناس أن يجعل له فصلاً تدل على قسمة معانيه فعمل الفصول بمصر في سنة ٣٣٢ هـ .

وذكر ابن أبي أصيبعة في موضع آخر ان ترجمته ما نصه : « ونقلت من خط بعض المشايخ أن ابا نصر سافر الى مصر سنة ٣٣٨ ورجع الى دمشق وتوفي بها سنة ٣٣٩ » .  
والظاهر ان الفارابي رجع من بغداد الى دمشق سنة ٣٣٠ وهي السنة التي حصل فيها



وباء ببغداد وغلاء مفرط حتى اكل الناس الجيف وفيها حدثت فتنة البريدي .  
 وأقام بدمشق في شظف من العيش وهو على ذلك دائم الاشتغال بالحكمة ، قال ابن  
 ابي أصيبعة نقلاً عن الآمدي : ان الفارابي كان في اول امره ناطوراً في بستان بدمشق  
 وهو على ذلك دائم الاشتغال بالحكمة والنظر فيها والتطلع الى آراء المتقدمين وشرح معانيها .  
 وكان ضعيف الحال حتى أنه كان في الليل يسهر للطالعة والتصنيف ويستضيء بالقنديل  
 الذي للحارس وبقي على ذلك مدة .  
 وملك سيف الدولة حلب سنة ٣٣٣ وبسط حمايته على العلم والأدب فقصد اليه الفارابي  
 فأوى منه الى ركن شديد .

ثم انه عظم شأنه وظهر فضله واشتهرت تصانيفه وكثرت تلاميذه . . . . .  
 وقد عاش منذ ذلك الحين في كنف سيف الدولة منقطعاً الى التعليم والتأليف غير  
 منقطع عن الأسفار التي كان بها مفرماً وبلغت به أسفاره الى مصر ، ثم رجع الى الشام  
 ولعله كان ينتقل بين حلب عاصمة الحمدانيين ودمشق التي كانت تدخل في حوزتهم تارة  
 وتخرج أخرى الى ان توفي بدمشق سنة ٣٣٩ وصلى عليه سيف الدولة في اربعة من خواصه  
 أو خمسة عشر ودفن بظاهر دمشق خارج الباب الصغير .  
 كذلك ذكر المؤرخون وفاة ابي نصر وكلامهم يدل على انه مات بدمشق موتاً طبيعياً  
 لكن البيهقي في كتابه المخطوط الموجود بدار الكتب المصرية المسمى « تاريخ الحكماء »  
 روى عن موت الفارابي رواية هذا نصها :

« وقد سمعت من أستاذي رحمه الله ان ابا نصر كان يرتحل من دمشق الى عسقلان  
 فاستقبله جماعة من اللصوص الذين يقال لهم ( الفتيان ؟ ) فقال لهم ابو نصر خذوا ما معي من  
 الدواب والأسلحة والسياب وأخلوا سبيلي فأبوا ذلك وهموا بقتله فلما صار ابو نصر مضطراً  
 ترجل وحارب حتى قتل ومن معه ووقعت لهذه المصيبة في أفئدة أمراء الشام مواقع فطلبوا  
 اللصوص ودفنوا ابا نصر وصلبوه على جذوع عند قبره . وبعض من لم يكن له معرفة  
 بالتواريخ يحكي ان ابا نصر قد عراه الماينبوليا ومرّ على شط دجلة برجل يبيع التمر فقال له  
 كيف تبيع التمر ؟ فأجاب الرجل بكلام غير ملائم فضربه وقال : أسألك عن الكيف  
 وأنت تبيع عن الكم . »

ولو صحت حكاية قتل الفارابي الأشار إليها من ترجموا له من كان زمنهم قريباً من زمنه كأبي الحسن علي السعدي المتوفى سنة ٣٤٦هـ ٩٥٧ م . على انا لاحظنا في ترجمة البهبهقي للفارابي خلطاً تاريخياً بزعرع الثقة بها وهذه الرواية المنقولة عن قتل الفارابي يشبه ان تكون تحريفاً لما رواه المؤرخون عن مقتل ابي الطيب المتنبّي الشاعر المشهور في عودته من بلاد فارس الى الشام سنة ٣٥٤هـ .

وقد وقع للبهبهقي خلط ايضاً في ترجمة الفارابي حيث نقل عن كتاب « اخلاق الحكماء » : ان صاحب اسماعيل بن عباد بعث الى ابي نصر هدايا وصلات واستدعاه اليه وابو نصر يتعفف وينقبض ولا يقبل منه شيئاً . حتى ضرب الدهر ضرباته ووصل ابو نصر الى الري ، ودخل مجلس صاحب متنكراً الى آخر ما ذكره من رواية تشابه القصة المروية عن اتصال الفارابي بسيف الدولة .

والصاحب اسماعيل بن عباد ولد سنة ٣٢٦ فهو عند موت الفارابي كان صبياً لم يجاوز ١٣ عاماً .

اما صلاة ابن حمدان في بعض خواصه على جنازة ابي نصر التي عني المؤرخون بتسجيلها ، فهي آية مودة وتكريم من سيف الدولة لرجل اتاه الله حكمة تتعالى عن عقول العامة وقلوبهم .

هذه هي جملة حياة الفارابي مستخلصة من الحشد المضطرب في كلام من ترجموا له . وقد عاش الفارابي عيشة الزهاد حياته كلها فلم يقن مالا ، ولا اتخذ صاحبة ولا ولداً وكان يستطيع أن يستمتع برفه العيش خصوصاً في شيخوخته أيام استغلاله بغل الملك الجواد سيف الدولة بن حمدان لكنه لم يكن يتناول من سيف الدولة الا اربعة دراهم فضة في اليوم يخرجها فيما يحتاجه من ضروري العيش وهو الذي اقتصر عليها لقناعته ولو شاء زيادة لوجد مزيداً .

وروى ابن ابي أصبحة انه كان يتغذى بماء قلوب الحملان مع الخمر الريحاني فقط - الحملان جمع حمل الذكر من ولد الضأن - قال ابن خلدان : ( وكان مدة مقامه بدمشق لا يكون غالباً الا عند مجتمع ماء أو مشتبك رياض ويؤلف هناك كتبه ويتناوبه المشتغلون عليه ) .

وفي مفتاح السعادة لطاش كبري زاده : وكان منفرداً بنفسه لا يكون الا عند مجتمع ماء أومشبتك رياض ويؤلف كتبه هناك وكان اكثر كتبه في الرقاق ولم يصنف في الكرايس الا قليلاً ولذلك كانت اكثر نسايفه فصولاً وتعليقات وبعضها مبتوراً ناقصاً « ج ا ص ٢٥٦ - ٢٦٠ .

وتلك حياة فيلسوف زاهد موسيقي شاعر اما فلسفة الفارابي فتأتي إشارة اليها واما ابداعه الموسيقي فقد رويت فيه اعاجيب .

وحكى ابن خلكان : ان ابا نصر لما ورد على سيف الدولة وكان مجلسه مجمع الفضلاء في جميع المعارف فأدخل عليه وهو يزي الأتراك وكان ذلك زبه دائماً فوقف فقال له سيف الدولة : اقعد فقال : حيث أنا أم حيث أنت ؟ فقال حيث انت تخطي رقاب الناس حتى انتهى الى مسند سيف الدولة وزاحه فيه حتى اخرجه عنه وكان على رأس سيف الدولة ممالك وله معهم لسان خاص يسارهم به قل أن يعرفه أحد فقال لهم بذلك اللسان : ان هذا الشيخ قد اساء الادب واتي مسائله عن اشياء ان لم يوف بها فاخرجوا به فقال له ابو نصر بذلك اللسان : أيها الامير اصبر فان الأمور بعواقبها فجذب سيف الدولة منه وقال له : أتحنن هذا اللسان ؟ فقال : نعم أحسن أكثر من سبعين لساناً فغظم عنده ثم أخذ يتكلم مع العلماء الحاضرين في المجلس في كل فن فلم يزل كلامه يعلو وكلامهم يسفل حتى صمت الكل وبقي يتكلم وحده ثم أخذوا يكتبون ما يقوله فصر بهم سيف الدولة وخلا به فقال له :

هل لك في أن تأكل ؟ فقال لا : فهل تشرب ؟ فقال : لا فهل تسمع ؟ فقال نعم فامر سيف الدولة باحضار القيان فحضر كل ماهر في هذه الصناعة بانواع الملاهي فلم يحرك احد منهم آتته الا وعابه ابو نصر وقال له اخطأت فقال له سيف الدولة وهل يحسن في هذه الصناعة شيئاً ؟ فقال نعم ثم اخرج من وسطه خريطة ففتحها وأخرج منها عيداناً ور كيهها ثم لعب بها فضحك منها كل من كان في المجلس ثم فكها ور كيهها تر كيهياً آخر ثم ضرب بها فبكي كل من كان في المجلس ثم فكها وغير تر كيهها وضرب بها ضرباً آخر فنام كل من في المجلس حتى البواب فتر كهم قياماً وخرج .»

والثمن كانت هذه الحكاية ادنى الى الاساطير منها الى التاريخ فهي تشبه أن تكون غلواً مجاوزاً لا اختراعاً صرفاً .

وقد روي للفارابي شعر فيه نفحة من اساليب الفلاسفة أحياناً وفيه أحياناً صريح محب للعزلة سبي الرأي في الناس وبما روي من شعره :

يا علة الاشياء جمعاً والذي	كانت به من فيضه المتفجر
رب السماوات الطبايق ومركز	في وسطين من الثرى والأبجر
أني دعوتك مستجيراً مذنباً	فاغفر خطيئة مذنب ومقصر
هذب بفيض منك رب الكل من	كدر الطبيعة والعناصر عنصري

وروي له هذا الشعر ابن أبي أصيبعة وروي له أيضاً :

لما رأيت الزمان نكساً	وليس في الصحبة انتفاع
كل رئيس به لال .	وكل رأس به صداع
لذمت بيتي وصنت عرضاً	به من العزة اقتناع
أشرب مما اقتنيت راحاً	لما على راحتي شماع
لي من قواريرها نداي	ومن قراقيرها سماع
وأجنتني من حديث قوم	قد افقرت منهم البقاع

وروي له أيضاً :

بزجاجتين قطعت عمري	وطيها عولت أمريع
فزجاجة ملئت بحبر	وزجاجة ملئت بخمر
فبذي أدون حكمني	وبذي أزيل هموم صدري

«مقدمة المجموعة المسماة - الفلسفة القديمة - المطبوعة بالطبعة السلفية بمصر

سنة ١٩١٠» وذكر ابن خلكان : انه وجد في مجموعة ابياتاً منسوبة الى الفارابي هي :

أخي خل حيز ذبي باطل	وكن للحقائق في حيز
فما الدار دار مقام لنا	وما المرء في الارض بالعجز
يتنافس هذا لهذا على	أقل من الكلم الموجز

وهل نحن الا خطوط وقمن      على نقطة وقع مستوفز  
محيط السماوات أولى بنا      فماذا التنافس في مركز

وقد شك ابن خلكان في صحة هذه الايات وذكر أنه رأها في كتاب « الخريدة »  
منسوبة الى شاعر من شعراء القرن السادس معاصر لصاحب الكتاب .  
ونحن نشك في معظم هذا الشعر أن يكون للفارابي لما في أسلوبه من تكلف ينبو عنه  
أسلوب فيلسوفنا وطبعه . ولما في معانيه من تبرم بالحياة والناس واستهتار بالشراب .  
والفارابي انما كان يعتزل الناس ويؤثر الوحدة لما رأى أمر النفس وتقويمها اول ما يتنديء  
به الانسان حتى اذا أحكم تعدلها وتقويمها ارتقى منها الى تقويم غيرها كما ذكر ذلك في  
كتاب « الجمع بين رأيي الحكيمين » تبريراً لتخلي افلاطون عن كثير من الأسباب  
الدنيوية وإبشاره بتجنبها ولم يكن الفارابي ضجيراً بالحياة ولا متبرماً بالناس أما الخمر فمأخضه  
كان يشربها شهوة وتلبيها ، ذلك الرجل الذي كف نفسه عن شهوات الحياة وهوها وقد  
يكون ضاع شعر الفارابي فيما ضاع من آثاره .

ولولا شك ابن خلكان شكاً وجيهاً لرجع عندنا أن يكون الفارابي هو القائل :

محيط السماوات أولى بنا      فماذا التنافس في مركز

بقي الكلام على فلسفة الفارابي ومكانه من الفلسفة الاسلامية .

— يقولون : الحكماء أربعة — انسان قبل الاسلام ، وهما : افلاطون وأرسطو —  
وانثنان في الاسلام ، وهما : ابو نصر الفارابي وأبو علي بن سينا . وكان بين وفاة أبي نصر  
وولادة أبي علي حوالي ثلاثين سنة وكان أبو علي تلميذاً للتصانيف الفارابي يعترف أنه  
لولاها لما اهتدى الى فهم ما بعد الطبيعة .

وكما لقب افلاطون بالحكيم الآمهي وأرسطاطاليس بالمعلم الأول لقب الفارابي بالمعلم  
الثاني وابن سينا بالشيخ الرئيس .

وآراء الناس مختلفة في تقديم الفارابي أو ابن سينا فالقنطي يقول عن الفارابي :

— « فيلسوف المسلمين غير مدافع » ويقول ابن خلكان ( وهو اكبر فلاسفة المسلمين ) .

ولم يكن منهم من بلغ رتبته في فنونه والرئيس ابو علي بن سينا المقدم ذكره بكتبه تخرج وبكلامه انتفع في تصانيفه .

أما الشهرستاني فيقول عند الكلام على فلاسفة المسلمين ومنهم الفارابي: « وانما اعلامة القوم أبو علي الحسين بن سينا » ويقول ابن سبئين الفيلسوف الصوفي الأندلسي الذي يقال : انه انقهر بمكة شوقاً الى الاتصال بالله سنة ٦٦٩ هـ في كتاب له مخطوط مانصه نقلاً عن المجموعة التي نشرها الأستاذ « ماسينيون » :

وأما الفارابي اضطرب وخلط وتناقض وتشكك في العقل الهولائي وزعم أن ذلك تمويه ومخرقة ثم شك في النفس الناطقة هل غمرتها الرطوبة أو حدثت بعدد وتنوع اعتقاده في بقاء النفوس بحسب ما ذكر في كتاب الأخلاق وكتاب الملة الفاضلة والسياسة المدنية وأكثر تأليفه في المنطق وعدة كتبه نحو ٧٥ كتاباً وفيها من الالهيات ٩ وهذا الرجل أفهم فلاسفة الاسلام وأذكرهم للعلوم القديمة وهو الفيلسوف فيها لا غير ومات وهو مدرك ومحقق وزال عن جميع ما ذكرته وظهر عليه الحق بالقول والعمل ولولا التطويل لذكرت ذلك مفصلاً .»

وابن سبئين هذا قد تناول بالنقد اللاذع بل بالتحقير الشنيع ابن سينا والغزالي وابن رشد ويقول الأستاذ « كاراده فو » في ترجمته للفارابي بدائرة المعارف الاسلامية : « ومذهب الفارابي هو مذهب الفلاسفة أعني الأفلاطونية الجديدة الاسلامية الذي بدأه من قبله الكندي ووجد في كتب ابن سينا من بعده أكل عبارة عنه وقد يكون من الراجع أن الفارابي يخالف الكندي وابن سينا في بعض المواضع ولكن من السير تعيين هذه المواضع ومن المناسب التحفظ بل الشك في تفسير ما يتعلق بتفصيل مذهبه والواقع انا لانعرف من آثاره الا قليلاً ثم ان أسلوبه لا يجلو من غموض وفيما عرفناه من رسائله ما هو مصوغ في صورة حكم في نهاية الایجاز من غير نظام في ترتيبها ثم انه لا يمكن البت عن يقين بأن مؤلفات كثيرة كمؤلفات الفارابي بتداولها تأثير أرسطو وأفلاطون وأفلوطين تنجرد من التناقض على أن الفكرة التي تعتبر قاعدة لهذا المذهب وهي التوفيق بين أرسطو وأفلاطون من ناحية وبين هذه الفلسفة المنفقة وبين العقيدة الاسلامية من ناحية أخرى ليست في نفسها سليمة من التضارب .»

وهذه العبارة في جملتها قد تبين بياناً صحيحاً عن مكانة كل من الكندي، والفارابي، وابن سينا، في الفلسفة الإسلامية وإن كانت تفاصيلها لا تخلو من نقد. والفارابي من خير المفسرين لكتب أرسطو خصوصاً في المنطق وأثره في هذا الباب هو الذي جعله يستحق التلقب بالمعلم الثاني إذ كان أرسطو هو الأول هذا هو رأي بعض المترجمين للفارابي، ومنهم «كاراده ثو»

وفي كتاب «أبجد العلوم» لحسن صديق خان ما نصه :

« وفي حاشية المطالع لمولانا لطفي : ان المأمون جمع مترجمي مملكته كخبين بن اسحاق وثابت بن قرة و ترجموها بتراجم مخالفة مخلوطة غير مختصة ومحرومة لانوافق ترجمة أسددم للأخر فبقيت تلك التراجم هكذا غير محررة بل أشرف أن عفت رسومها الى زمن الحكيم الفارابي . ثم انه التمس منه ملك زمانه « المنصور بن نوح الساماني » ان يجمع تلك التراجم ويجعل من بينها ترجمة مختصة محررة مهذبة مطابقة لما عليه الحكمة فأجاب الفارابي وفعل كما أراد وسمى كتابه « بالتعليم الثاني » فلذلك لقب « بالمعلم الثاني » وكان هذا في خزانة المنصور الي زمان السلطان « مسعود » من أحفاد المنصور كما هو مسوداً بخط الفارابي غير مخرج الى البياض اذ الفارابي غير ملتفت الي جمع تصانيفه وكان الغالب عليه السياحة على ذي القلندرية وكانت تلك الخزانة باصفهان وتسمى « صوان الحكمة » وكان الشيخ أبو علي ابن سينا وزيراً لمسعود وتقرب اليه بسبب الطب حتى استوزره وسلم اليه خزانة الكتب فأخذ الشيخ الحكمة من هذه الكتب ووجد فيما بينها « التعليم الثاني » ولخص منه كتاب « الشفاء » ثم ان الخزانة أصابها آفة فاحترقت تلك الكتب فأتهم ابو علي بأنه أخذ من تلك الخزانة الحكمة ومصنفاة ثم أحرقها لثلاثا تنتشر ولا يطلع عليه فإنه جهتان وافك لأن الشيخ مقر لأخذه الحكمة من تلك الخزانة كما صرح به في بعض رسائله وأيضاً يفهم في كثير من مواضع الشفاء أنه تلخيص « التعليم الثاني » .

وفي ذلك القول خطأ تاريخي فان منصوراً بن نوح الساماني إنما ولي أمر خراسان بعد

سنة ٣٤٣ هـ بعد موت الفارابي .

ولا ينتهي فضل الفارابي عند تفسير كتب أرسطو وتصحيح تراجمها والتמיד بذلك للنهضة الفلسفية في الاسلام التي تكاملت من بعده بل له أيضاً أنظار مبتدعة وإبحاث في

الحكمة العلمية والعملية عميقة سامية لما تنهياً بمد للباحثين كل الوسائل لتفصيلها تفصيلاً وافياً وللفارابي كتاب في المدينة الفاضلة كما أن لأفلاطون كتاباً في الجمهورية الفاضلة .  
والفارابي هو أول من عني بإحصاء العلوم وترتيبها في كتابه « إحصاء العلوم » الذي نشره أحد خريجي قسم الفلسفة من كلية الآداب في سنة ١٣٥٠ هـ ١٩٣١ م « عثمان أفندي أمين » ووضع له مقدمة طيبة والذي يعنى بنشره بعض المستشرقين الاسبانيين أيضاً ومن أجل ذلك يعتبر بعض الباحثين أباً نصر أول واضح في العالم لنواة دوائر المعارف .  
ولئن كانت الأجيال تهتف باسم الفارابي منذ ألف عام في الشرق والغرب فإنه قد استحق ذلك بما وهب من حياته لخدمة العلم والحكمة وبما ترك من أثر في تاريخ التفكير البشري وفي تاريخ المثل العليا للحياة الفاضلة .  
« القاهرة » .  
مصطفى عبد الرازق



## اصطلاحات النباتات الدنيا

—(١)—

قلت في المقالة التي عنوانها «الأسماء العربية للثمار النباتية»<sup>(١)</sup> ان الدكتور امين باشا المعلوم نشر في هذه المجلة بحثاً مستفيضاً في اصطلاحات النبات بدأ بالبزرة وانهاه بالزهرة ولم يتعرض العالم المشار اليه للاصطلاحات المستعملة في النباتات الدنيا كالفطر والطحلب والسرخس والأشنه وأمثالها. ولما كانت هذه الاصطلاحات مهمة وكان عددها كبيراً وكانت المعاجم الأعمجية العربية خلواً من معظمها وكان ما حوته تلك المعاجم فيه نظر رأيت من المفيد استقصاء بعضها في هذه العجالة وذكر الألفاظ العربية التي تصلح لها دون البحث عن شؤونها العلمية لأن القاري يراها في كتب النبات .

جميع النباتات التي تناولها هذا البحث لا زهر لها فهي إذن من عديمة الأزهار . واعلاها السرخس Fougère فان له ساقاً وورقاً وجذراً ومنه الخنثار المسمى باللاتينية Polypodium filix mas ويليهِ الطحلب ويسمونه الرماض فان له ساقاً وورقاً وهو بالفرنسية Mousse

وأدنى من ذلك الفطر Champignon والأشنه Algue فليس فيها سوق ولا ورق ولا جذور . والفطور لا خضوب فيها اما الأشنه ففيها خضوب .

وفي صف الفطور اربع رتب وهي اولاً رتبة الفطور البيضية Oomycètes وفيها تلك النباتات الدنيا التي تحدث العفونة على المواد العضوية المخلة ومعظمها من فصيلة العفونة أو المتعففات Mucorinées

ثانياً رتبة الفطور الدعامية Basidiomycètes وسماها الدكتور شرف في معجمه

رتبة الفطور الاصلية وربما كانت الاولى اصلح . وهي فطور تنشأ غُبيراتها Spores على خلايا خاصة تسمى دعائم Basides . ومنها معظم الفطور الكبيرة التي لها قبعات وترى في الحقول بعضها سام وبعض يؤكل . ومنها ايضاً التي تولد في الحبوب مرض الصدأ *Puccinia graminis* الخ .

ثالثاً رتبة الفطور الجرابية او القرينية او الزقية Ascomycètes وهي التي تنشأ غُبيراتها على خلايا تسمى واحدها قربة او جراباً Asque ومنها الكأء والقمع وهما من الفصيلة الكشبية .

رابعاً رتبة الفطور المخاطية او الهلامية Myxomycètes وهي ابسط الفطور في تركيبها .

وصف الأشنة هو صف النباتات الدنيا التي تعيش في المياه او في الأماكن الرطبة الهواء وتعرف بوجود الخضوب في خلاياها خلافاً للفطور ويسمى بعضهم الأشنة وشبيهة العجوز والغمر بع وسمها الدكتور شرف القوقس وهي ترجمة اللفظة اليونانية وردت في مفردات ابن البيطار مصحفة هكذا ( قوقس البحري ) مع ان القوقس من اجناس هذا الصف وفي الصف المذكور اربع رتب وهي :

اولاً رتبة الأشنة الزرقاء Cyanophycées وهي الأشنة التي يكون خضوبها مشوباً بمادة زرقاء اللون منتشرة في جباله الخلابا الأولى Protoplasme .

ثانياً رتبة الأشنة الخضراء Chlorophycées وهي التي لا يشوب خضوبها لون آخر . ثالثاً رتبة الأشنة السمراء Phéophycées وهي التي يكون خضوبها مختلطاً بمادة سمراء تجعل النبات اسمر اللون . وفي هذه الرتبة الفصيلة القوقسية Fucacées ومنها القوقس Fucus وهي نباتات يسمونها بالفرنسية Varechs .

رابعاً رتبة الأشنة الحمراء Rhodophycées وهي الأشنة التي يكون مع خضوبها مادة حمراء يصطبغ النبات بها .

ويطلقون لفظه الحزاز على نباتات تثبت على لحاء الشجر وعلى الصخور والجدران يسمونها بالفرنسية Lichens وقد وردت بهذا الأسم في كتب الأتراك وسمها به الدكتور شرف

ايضاً كما أطلق عليها لفظة الأشنة وشيبة العجوز . اما الاتراك فانهم اطلقوا لفظة الأشنة على ما ذكرنا دون غيره .

قلت ان الفطور والأشنة بسيطة التركيب لا تتميز فيها السوق عن الورق ولا هذه عن الجذور . وجسم النبات البسيط الذي يكون على هذا الشكل يسمى بالفرنسية Thalle ( وتسمى الشعبة التي تنسب اليها تلك النباتات Thallophytes ) . ولم اجد بالعربية لفظة تفيد هذا المعنى تماماً اي لفظة يمكن اطلاقها على جسم نبات بسيط لا ساق فيه ولا ورق ولا جذور . وسماه الدكتور شرف البارز . فالبارز هو اول ما يطلع من النبات وهو غير التالوس المذكور لأن البارز بعد ان يكبر تتميز فيه الأعضاء المذكورة . ومع هذا لا بأس من استعارة هذه اللفظة واشباهها لهذا المعنى الى ان نجد اقرب منها الى معنى التالوس الحقيقي .

وفي العربية ألفاظ كثيرة لها معنى مقارب للبارز اللغوي منها الأساس وهو البقل مادام صغيراً لا نستمكن منه الراعية . ومنها السارخ من سارخ الزرع اي طلع اول طلوعه . ومنها المة راح من قرّح النبات خرجت رؤوس ورقه . ومنها المة مطورة ج . النفاطير وهو اول نبات الوسمي . واصطلمها جميعاً لما نحن في صدده المشرة وهي الأغصان الخضرة الرطبة قبل ان تتلون بلون وتتشدد وهي ايضاً اول النبات . قلت انها اصل الجميع لأن لفظة Thalle الفرنسية مشتقة من Thallos اليونانية بمعنى الغصن . فيمكننا إذن ان نستعمل المشرة للتالوس والمشريات للتالوفيت .

والمشرة اشكال . فاذا كانت خيوطاً متشابكة سميت بالفرنسية Mycélium وعربها الدكتور شرف بلفظة ميسيل . ورأيت انه يمكن ان نطلق عليها لفظة مشيمة نباتية . وليس للنباتات الدنيا أزهار كما ذكرنا وهي تتكاثر بالتجزئة او بجلايا خاصة تحصل في المشرة يسمونها Spores وهي من اليونانية بمعنى البذر . فنحن اذا اسميناها بذراً او بزوراً كما في المعاجم الأجنبية العربية ومنها عجم شرف التيس الأمر على القاري لأن البذور في المشهور محبوب ذوات الأزهار وهي بالفرنسية Graines . ولذلك كنت سميت السبور عُبيرة ووجدت اخيراً ان العلامة بوسن كان سبقني اليها . والذي دعاني الى استعمال هذه اللفظة ان للسبور شكلاً يسمونه Conidie وهو من اليونانية بمعنى الغبار .

# مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق

السنه ١٣٣٩ هـ الموافقه لسنه ١٩٢١ م  
تشرني دمشق مرة في اشهر

نموز - آب سنة ١٩٣٢ م  
ربيع الاول وربيع الآخر سنة ١٣٥١ هـ

مركز تحقيق وتصوير مطبعه دمشق  
دمشق :

المجمع العلمي العربي

—(ص١١)—

قيمة الاشتراك السنوي  
الدفع مقدماً

في سورية ولبنان ٢٥٠ قرشاً سورياً  
وفي جميع الاقطار ٦٠ فرنكاً

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

في الداخل ٥٠٠ من السنة الاولى الى الخامسة الى كل سنة منها

» ٣٠٠ » السادسة الى الحادية عشرة »

» ٦٠٠ » الاولى الى الخامسة » في الخارج

» ٣٥٠ » السادسة الى الحادية عشرة »

والفرق بين السبور والكونيديا ان الأولى تنشأ في خلية كبيرة يسمونها Sporange اي كيس الغبيرات او وعاؤها اما الثانية فتنشأ على قمة الخيوط المشربة مباشرة فهي إذن غبيرات خارجية .

ولنباتات التي يتناولها مقالنا هذا طريقة أخرى للتكاثر وهي حصول بيضة من القمح خلية ذكورية لأخرى انثوية . فالخلية الذكورية تسمى Anthérozoïde وقد رأيت ان اطلق عليها لفظ النطفة النباتية . وهي تكون في وعاء اسمه Anthéridie وهو وعاء النطفة النباتية . اما الخلية الأنثوية فهي تسمى Oosphère من اليونانية Oón بمعنى البيضة و Sphaira بمعنى الكرة ولذلك سميناها الكرة البيضية . والوعاء الذي تكون فيه يدعى وعاء الكرة البيضية Oogone .

هذا ما رأيت ان أذكره في هذه المقالة ولعلي اتمكن من متابعة هذا البحث في فرصة أخرى .

وبعد تلخص الألفاظ التي مر ذكرها بما يلي :

Oomycètes	الفطور البيضية
Mucorinées	فصيلة المتصفنات
Basidiomycètes	الفطور الدعامية
Basides	دعام
Puccinia graminis	صدأ الحبوب
Ascomycètes	الفطور الجرابية او الزقية
Tubéracée	الفصيلة الكثمية
Myxomycètes	الفطور المخاطية او الهلامية
Algues	الأشننة
Cyanophycées	الأشننة الزرقاء
Chlorophycées	الطحالب
Phéophycées	السمراء
Rhodophycées	الحمراء

Fucus	الغؤوقس
Lichens	الحرّاز
Mousse	الطحلب
Fougère	الأسرخس
Polypodium filix mas	الخنشار
Thalle	المشيرة
Thallophytes	المشيرات
Spore	الغبيرة
Sporange	وعاء الغبيرة
Conidie	الغبيرة الخارجية
Anthérozoïde	النطفة النباتية
Anthéridie	وعاء النطفة النباتية
Oosphère	الكرة البيضية
Oogone	وعاء الكرة البيضية

مصطفى الشهابي

## كتب الادب القديمة والحديثة

- ٣ -

بعد ان انتهيت من الكلمة الأولى في زهر الآداب عثرت في جدول الأغلاق المحقق بالجزء الأول على ثلاث كلمات بين فيها صوابها فأحبت أن أعرض القراء عنها بأضعافها فأعدت النظر في الجزء الأول فرأيت فيه ما يأتي :

قال في صفحة ١٠٧ - وأصاب شواكل المراد . وطبق مفاصل السداد . وقال في الدليل الشواكل جمع شاكلة وهي ما بين الأذن والصدغ . والصواب وهي البيضاء ما بين الأذن والصدغ . وهذا بعيد عن مراد المتكلم فالأولى تفسير الشاكلة بالخاصرة لقولهم أصاب شاكلة الرمية أي خاصرتها . وأصاب شاكلة الصواب . وهو يرمي برأيه الشواكل . وفي ص ١١٧ - فليس في قوس احسان وراءها منزع . قال في الدليل منزع على وزن منبر السير الذي ينتزع به ولم أجده بهذا المعنى والذي في الأساس . رماء بالمنزع وهو السهم البعيد المرمى . وفي اللسان الذي يرمى به ابعده ما يقدر عليه لتقدر به الغلوة . وفي القاموس السهم الذي ينتزع به .

وفي ذيل ص ١٢٧ - والجمام بكسر الجيم الراحة . وفي اللسان والجمام بالفتح الراحة . وفي القاموس والجمام كصباح الراحة . وفي الصباح وجمام الفرس بالفتح لا غير راحته . وكذلك قال الفراء فما نقله عنه التاج .

وفي ذيل ص ١٢٩ - الكعاب اطراف القنا . وفي كتب اللغة الكعاب جمع كعب وهو الانبوبة بين العقدين وقيل العقدة ما بين الانبوين .  
وفي ص ١٢٩ - اعز مكان في الدنا . والصواب في الدنى جمع دنيا .

وفي ص ١٣٢ - من نجر البدر النضار لمن قرا . والصواب قرى لأنه من باب رمى كما في الصباح .

وفي ص ١٥١ - صاحت إذن بعلي . والصواب صاحب وفيها عُرُس . ضبطت بضم فسكون والصواب بكسر فسكون .

وفي ذيل ص ١٥٢ - المغفل الطيب القلب . وفي القاموس المغفل من لا فطنة له .

وفي ص ١٦٢ - بنفج . ضبطت بكسر السين وقد ضبطه في الصباح بفتحها . وفيها السحالة النخالة . وفي التاج والسحالة بالضم ما سقط من الذهب والفضة ونحوهما اذا برد .

وفيها فسر القارح بالأغر والقارح من ذوات الحافر كالبلازل من الابل .

وفي ص ١٦٣ - ابو دعبل الجمحي . والصواب ابو دهبيل .

وفي ص ١٦٩ - افصح النصارى ضبط بضم الفاء . والصواب كسرهما . والفتح عامي . وفيها ريق المطر . الغزير منه . وفي القاموس اوله . والريق ان يصيبك من المطر يسير .

وفي ص ١٧١ - الماء المقضض . والظاهر انه المقضض .

وفيها على اعلا سماواته والصواب اعلى .

وفي ص ٧٣ - الزرافين الآلات يرفع بها الماء فترى له عليها بريقاً ولعناً . وفي

القاموس والتاج الزرفين . حلقة للباب . او عام . ومنه درع ذات زرافين . ولم اجد من ذكر الزرافين بمعنى الآلات ولعل الاستاذ أراد الزرافات وهي المنازف التي ينزف بها الماء للزرع وما اشبهه . ولكنهما غير الزرافين .

وفي ص ١٧٦ - فسر النفق بالسرداب . والنفق . حرب في الارض مشتق الى موضع

آخر اي له مخلص الى مكان آخر . والسرداب بناء تحت الارض للصيف فيبينها فرق واضح .

وفي ص ١٨٢ - مذق اللسان . يمزج الجذ بالهزل ولم اجد هذا المعنى وإنما يقال

فلان مذق اذا كان ملولاً غير مخلص .

وفي ص ١٩٦ - كما هو من عضاه الزبية الاسد . قال في تفسيره العضاه جمع عاضبة

وهي الحية تقتل لساعتها . والصواب ان العضاه جمع عضاعة او عضبة وهو اعظم الشجر او

كل ذات شوكة .



واما الحية فيقال لها العاضة والعاضة وهذه لا تجمع على فعال ولم اجد من نقل جمعها كذلك . وبعد كل هذا فان اصل الرواية كما هو عن غطاء الزبية الأسد . كما رواه المبرد في الكامل .

وفي ص ١٩٨ — اشاط دمي شخص علي كرم . قال في تفسيره اشاط احرق . ولا معنى للاحراق هنا . بل من قولم اشاط دمه اذا عرضه للقتل او اهدر دمه . او من اشاط دم الجزور اذا سفكه وراقه .

وفي ص ١٩٩ — من شاب شبن له المودة ضبط شبن بكسر الشين وهي من الشيب والصواب ضمها . من الشوب بمعنى المزج والخلط .

وفيها اذال ذبول الهوى . قال في تفسيره اذال اهان . ولا يلتئم هذا التفسير مع قوله : جراً إزار العبا فالأولى أن يقال أطال أو أرشى .

وفي ص ٢٠١ — قبل ان تدرج لذاته . والصواب لذاته .

وفيها عمر بن قنثة . والصواب عمرو بن قنثة .

وفي ص ٢٠٤ — حرزاً لشلو من الاعتداء مشجون . وهو في ديوان ابن الرومي . حرزاً لشلو من الآفات مشجون .

وفيها فسر النون بالتمساح وهو تخصيص غريب لم أجده لغيره .

وفي ص ٢٠٥ — رقاق الثنايا عذبة المترنق . قال في تفسيره المترنق العين وتقول —

رنق النوم في عينه خالطها وهو تفسير بعيد بقسم ابو حية النخيري انه لم يرد . فالصواب ان يقال المترنق الريق المصفي من قولم رنق الماء صفاء عن الكدر . وهذا يلتئم مع قوله :

سقتني بكأس الحب صرقاً صرقاً رقاق الثنايا عذبة المترنق

وفي ص ٢١١ — صليل البيض تفرع . ضبط البيض بكسر الباء والصواب فتحها .

وفي ص ٢١٤ — اذا طرب الطائر المستقر . قال المستقر الحران . والصواب المتردد في

السحر يقال استقر الطائر اذا غرّد في السحر واستقر الدبك صاح فيه .

وفي ص ٢١٨ — مفدم بسبا الكتان ملثوم . أراد بسباب . قال في تفسيره :

السباب جمع سببية وهي الحبل . والصواب ان السببية شقة كتان رقيقة . وبعضهم خصها بالبيضاء وبه فسر قول طلحة المتقدم .

- وفي ص ٢٢٨ — ثم دعاء تسعة من رقيقة . والصواب من رقيقه .  
 وفي ص ٢٣٠ — فهل تستطيع . وبها يختل الوزن والصواب تستطيع .  
 وفي ص ٢٤٤ — أجبنيك الورد أغصان . والصواب والرواية أجت لك الوجد .

\*\*\*

وقدرأيت ان اجتزي بثلاثين كلمة فأكثر أقدمها للقراء بدلاً عن تلك .  
 والآن أودع الجزء الاول وانا واثق بانني أبقيت فيه لنظرة أخرى أكثر مما ذكرته  
 وأعود الى سرد ما جاء في الجزء الثاني :

- قال في ص ٨٦ — اذا كان في ايجامهم والصواب ايجاشهم .  
 وفي ص ٩٠ — ذو مقلة بصرته منسية . وفي الديوان بصيرة مذهبة .  
 وفي ص ٩١ — لولاء ماصح خط دائرة . وفي الديوان شكل دائرة .  
 وفي ص ٩٢ — تمثال طرف بشكر الخدق مكبوح . والرواية بشكر جمع شكيمة  
 وهي الموافقة لمكبوح .  
 وفي ص ١٠٧ — فلج بقلب ضبطت بكسر الفاء . والصواب فتحها .  
 وفيها . ورمى الكري رأمي ومال به رسم . ولا معنى للرسم هنا . والظاهر انه رعس  
 وهو هن الرأس في النوم .  
 وفيها واذا له علق وحشرجة . والصواب علق وهو ضيق الصدر وقلة الصبر وهو الملائم  
 لحشرجة .

- وفيها . حتى دفعت به لمصرعه سوق المعيز تساق للعتر . قال في تفسيره العتر اسم نبات  
 او شجر صغير . والصواب ان العتر هنا الذبيح . ومنه العتر والعتيرة .  
 وفي ص ١٠٨ — باعلي رستا هي دالج . ولم أجد رستا هي فيما لدي من كتب اللغة .  
 وفي ص ١١٠ — اربتك ان شطت . ضبطت بضم التاء والصواب فتحها .  
 وفيها . الا ان حسيماً . ضبطت بفتح الحاء والصواب الكسر .  
 وفيها . متاعهم فوضى فضاً . والصواب فوضى فضاً .  
 وفي ص ١١١ — قام الثقات . والصواب نام كما في الديوان والكامل .  
 وفي ص ١١٣ — من قره بصطلوبونا . ضبطها بضم القاف والصواب كسرهما .

- وفي ص ١١٦ - والله لولا الخليفة والصواب لولا رضى الخليفة وبه يستقيم وزن البيت .  
 وفي ص ١١٧ - مسالك السحاب . ضبطت بكسر الميم والصواب فتحها .  
 وفيها اذا غدى . والصواب غدا .  
 وفي ص ١١٨ - في طلا الاعناق . ضبطت بفتح الطاء والصواب في طلى بضمها .  
 وفي ص ١١٩ - لهم احنة . والرواية بهم جنة .  
 وفي ص ١٣٣ - اكلنا قريسا . ضبطت بضم القاف وفتح الراء . والصواب فتح الأول  
 وكسر الثاني .  
 وفي ص ١٤٥ - قد شد هذا . والصواب شد .  
 وفيها . نظل نلطم . والصواب نظل نلطم .  
 وفي ص ١٥١ - ودمع العاشقة المرهه . فسر المرهه بالبيضاء . والصواب هي التي  
 لا تنكحل .  
 وفي ص ١٥٢ - او كهرق السام . والصواب السام بغير مد رعاية للوزن والمعنى .  
 وفي ص ١٥٥ - من يرأي يعلم . والصواب يرأي من يعلم .  
 وفيها قد صاب آخر . والصواب صار .  
 وفي ص ١٦٣ - ولا ساج . والصواب ساج .  
 وفي ص ١٦٧ - وان سمع العلم وعاء . والصواب وعى .  
 وفي ص ١٦٨ - دعا صرد . والصواب صرد .  
 وفي ص ١٨٠ - فقلت الزيز ملبية . والصواب لمهابة .  
 وفي ص ١٨٣ - عقبة بن ابي سفيان . والدواب عتبة .  
 وفي ص ١٩٨ - فما بالوا . والصواب بالوا .  
 وفي ص ١٩٩ - الحلبي بضم الحاء . والصواب كسرهما .  
 وفي ص ٢٠٧ - عتاد بكسر العين . والصواب فتحها .  
 وفي ص ٢١٤ - لمع من ححم . والصواب ححم بضم الحاء .  
 وفي ص ٢١٧ - جبال شدورى . والصواب شرورى .  
 وفي ص ٢١٨ - كحلية العروس . والصواب كحلة .

وفيها . والسوس الآزاد . والظاهر الآزر .  
 وفيها . ثمار الكنكر . والصواب الكبر .  
 وفي ص ٢١٩ - ثم سما . والصواب همي .  
 وفيها . احمره واصفره . بكسر الراء والصواب فتحها رعاية للقافية والاعراب .  
 وفي ص ٢٢٣ . تبريح الأحاب . والصواب ترنخ .  
 ولنكتف بما اوردها مما في الجزء الثاني تاركين فيه ما لا يقل عما ذكرناه خشية ان  
 تدب السامة الى نفس القاري .

\*\*\*

وقد افتتح الجزء الثالث بمقدمة قال فيها :  
 اجمع رجال العلم والأدب على استحسان المنهج الذي سلكته في احياء زهر الآداب .  
 فقد ظهر الجزء الأول والثاني ولم اسمع من احد منهم غير الشناء . وقد زادني هذا التشجيع  
 حبا فيما أعاني من التعب في ضبطه وتنقيحه وتفصيله وشرح ما فيه من الغريب الخ .  
 ومن وقف على الجزء من الثالث والرابع لا يسعه الا ان يدعو لهؤلاء المجمعين على  
 الشناء . بان يوفقه الله بعد اليوم حتى لا يقولوا الا الصدق ولا يثنوا الا بحق . وسيرى  
 القاري من الشواهد والأدلة على صحة هذا . ما يغنيننا عن الإطالة والإسهاب .  
 فما جاء في الجزء الثالث ( في ص ١ ) ذات الرقم (٥) المجتري . ولو لم يكن في كفه  
 غير نفسه . الخ . والصواب ان هذا البيت لا يي تمام .  
 وفي ص ٦ - الخمار بالضم ما يعتري الشارب من الألم عند فقد الشراب . والذي  
 في لسان العرب والتاج وغيرهما . خمار الخمر ما أصابك من ألمها وصداعها وأذاها . فزيادة  
 عند فقد الشراب غير صواب .  
 وفي ص ٧ - وحملك المسن على الرياضة عمي . والصواب عناء . وفي المثل ومن العناء  
 رياضة الهرم .

وفيها . وبذل الانصاف . والصواب وبذلي .  
 وص ٨ - بغضه . وصوابها بغضه .  
 وفيها . عرصات السلطان . والصواب . مرضاة .

- وفيها . القارح هو الذي بلغ تمام القوة والجذع دون ذلك . وفيه اللسان وغيره .  
 الفرس في السنة الأولى حولي ثم جذع ثم ثني ثم رباع ثم قارح فالمناسب لسياق القول  
 وللمعنى اللغوي ان يقال القارح المسن . والجذع دونه .  
 وفي ص ٩ — بان فضل شجاع الفضل الخ . وهذا يشبه كلام الحكل . والظاهر ان  
 يقال فان فضل شاع الفضل في الزمان واهله .  
 وفيها . وتحلت للعيون . والمناسب للمقام . وتجلي للعيون .  
 وفيها . بتكثير قليلها الخ . والصواب وتكثير قليلها . وايضاح مجهولها سبباً الخ .  
 وفي ص ١ — ان زل السلطان اتبعت الرذيلة . والمناسب لسياق الكلام . ان رذل .  
 وفيها . يمتلئ طرفها . والمناسب للمعنى والجمع . طرفها .  
 وفيها . وحشية المضاع وجيرة المرتاع . والصواب وحشة . وحيرة .  
 وفيها . او تزورم وصوابها او تزرم كما هي الرواية .  
 وفي ص ١١ — يحوي الحمد . والصواب يحو الحمد بمحذف الياء للجزم .  
 وفيها . وافى فيثها . والاقرب الى الصواب نيبها أي شجتها .  
 وفي ص ١٢ — فلا الاعجاز جازلة . وقال في تفسيره جازلة : اصابها الدير . ورواية  
 البيت خاذلة والدير لا يكون في الاعجاز .  
 وفي ص ١٣ — غناؤك به . والاولى له .  
 وفي ص ١٤ — حسام جلت عنه العيون . والصواب القيون .  
 وفي ص ١٥ — ابرى جورها . والصواب جوزها .  
 وفيها . ومدرجة للريح غيراء . والصواب غيراء .  
 وفي ص ١٦ — اعارتها المحاسن مشيها . والصواب المها . حسن مشيها .  
 وفي ص ١٧ — وصراطه في الشعر المستقيم نفس تيساره واوقد بالبصاع ناره . وفي  
 العبارة ركافة وتحريف والظاهر ان اصلها . نصب له مناره واوقد باليفاع ناره .  
 وفي ص ١٩ — وسارية تزداد ارضاً . ولا معنى لها ولعل محرفة عن تزداد او ترتاد .  
 وفيها . فثاة ترجبها . والصواب تزجبها .  
 وفيها . وللعنوط ضبطت بفتح الخاء . والصواب الضم كما في القاموس .

- وفي ص ٢١ — ومشرقة في النظم عُزْرًا . ورواية البيت . ومشرقة في النظم عُزْرًا .  
 وفي ص ٢٢ — بالخصا . والصواب بالخصى .  
 وفي ص ٢٣ — وعصب اليمن بضم العين والصواب فتحها .  
 وفي ص ٢٤ —

غدت تستجيز الدمع خوف نوى غد وغذَى فتادى عندها كل مرقد  
 هكذا اورد البيت وضبطه وهو مطلع قصيدة لابي تمام بلغ الغاية من الشهرة والجودة  
 وصوابه .

- غدت تستجيز الدمع خوف نوى غد وعادقتاداً عندها كل مرقد  
 وفيها . فاذرى لها الاشفاق . والذي في ديوان ابي تمام فاجرى .  
 وفيها . تقضي زمام . وصوابها ذمام .  
 وفي ص ٢٥ — وموامي وصوابها ومواس .  
 وفيها . وقد حَتَّقُوا . وصوابها حنقوا كما في المصباح والقاموس .  
 وفيها . استبطي نفقاً . وفي الديوان استنبطي .  
 وفي ص ٢٦ — من بنات الفيد وصوابها العيد  
 وفي ص ٢٧ — جليت جللاه الحضرمية . وفي ديوان ابي تمام حذيت حذاء .  
 وفيها . قد حا كها . وفي الديوان احذا كها .  
 وفيها . يمه حسب . وفيه : جفر . وهو انساب .  
 وفيها . ابكار اذا نصت . وصوابها نصت . من نص العروس اقمدها على المنصة .  
 وفيها . قد طوقت عناباً . والانساب طرفت . يقال طرفت المرأة بناتنها خضبت اطراف  
 اصابعها بالحناء .

وفي ص ٢٨ —

- تطير عنها حمى الفران من بلد كما توقد عند الجبهة الورق  
 وهذا البيت لا يمكن فهمه على هذه الصورة . ولعل اصله .  
 تطير عنها حمى الظُرَّان من بلد كما تنقد عند الجبهذ الورق  
 والفران جمع ظر وهو الحجر . والجبهذ النقاد الخبير . وحينئذ يصح اللفظ والمعنى .

وفيها قول اسري القيس :

كأن صليل المسرجين تشده

وصوابه كان صليل المرو حين تشده .

وفيها اسعى الى الافلاك . والرواية اسمو .

وفي ص ٢٩ - شُذِل المرء منظر ثم نطق

وأظن ان أصل البيت

يشغل المرء عن تظان ونطق فهو يصفي بظاهر وضمير

وفيها منعمات كأنها حافلات . وصوابها منعمات .

وفي ص ٣٠ - ولم اعقل لمن حسابا . والرواية لم اغفل .

وفيها . فاغار ذلك على يد . قلبي . والرواية على يدي قلبي .

وفيها . كل اللباس عليها معروض حسن . صوابها معروض . وهو ثوب تجلى فيه

الجلارية . وكذلك قوله ومعروضها . صوابه معروضها .

وفي ص ٣١ - تام الصوت . صوابها ناعم .

وفي ص ٣٢ - سقى بضرب من المزن . والاحسن بصوب .

وفيها . به وجد وعد . ووسواس ودق . والرواية وجد رعد ووسواس برق وهي أولى .

وفيها . فجزى النسيم على غلائل خده . والاولى يجرى او فجرى .

وفيها . لم يكن قبلها من الماء جرم حاض في نفسه بغير أوان

والظاهر حاصر نفسه أو حاضن نفسه لأن الماء لا يجيئ في نفسه .

وفيها . مارآه خائب فائثنى بغير امان . والمناسب خائف

وفي ص ٣٣ - وضروب طربه لا تضرب . وصوابها وضروب ضربته لا تضرب .

وفيها . وقبل السماع منقبة الاسماع وأدام المدام . وصواب العبارة . وقبل . السماع

متمعة الاسماع وإدام المدام .

وفيها منهدمة من عتاد الملوك . والصواب منهدمة من عتاد الملوك

وفي ص ٣٤ - وحسن العهد والبغيا . والصواب والبغيا

وفيها . ولا بوردت . والصواب بودرت .

- وفيها . وتاجها التأليف . و صوابها وتناجها .
- وفي ص ٣٦ — ومستنبطاً بانواره ظلم الجنان . ولا اعلم كيف نستنبط الظلم بالانوار .  
والظاهر ان اصل الكلام . ومستنبطاً ما تواربه ظلم الجنان .
- وفيها . فكان من فرسان خيولهم و كنت عميدهم واقران نصر عليهم وانت صنديدهم .  
وهذه الجملة في غاية الركاكة . ولعل صوابها هكذا : وله فرسان خلق لهم و كنت عميدهم .  
واقران قصر عليهم و كنت صنديدهم .
- وفيها . مؤلفة مختلفة اركانها وطباعها الخ . . .
- وهذه الجملة ركيكة متناقضة . وربما كان اصلها هكذا : يؤلفه مختلف انواعها ومتباين  
الوانها وانحائها . ومؤيده بقواها الخ .
- وفيها . فلما قادمته السعادة التي ارتمه نسج وحده في الاقلام الخ . والصواب قادمته السعادة  
اليّ ورأيته نسج الخ . وبهذا يلتئم اللفظ والمعنى .
- وفي ص ٣٧ — والصمامة مصلتها . والصواب والصمصامة .  
وفيها . للأيم بمثته . . . وله اذا لم يجرها .  
ولعل صواب البيت  
للأيم نفضته . . . اذا لم يجره .
- وفي ص ٣٨ — والريح في جوفها حريق . والصواب خريق اي باردة شديدة  
الهبوب .
- وفيها . اي ثوية ابتذل . والصواب اي ثويه .
- وفي ص ٣٩ — احدثت بعد باعتابي . والاولى بعدي .
- وفيها . وان امير المؤمنين اعطاني مع ناهما الخ .
- والرواية . وان امير المؤمنين اغصني مفعها الخ . وفي هذه الابيات كلها اضطراب .  
وهي مذكورة على وجه صحيح في لسان العرب في مادة . برد .
- وفيها ان البرامك لانفجيك انجبة بصنجة الدين الخ . وهذا البيت لا يكاد يفهم .
- وفيها . وانما اجتازه فاخطره ذلك الزيارة . والاولى وانما اجتازه فأخطر تلك الزيارة .
- وفيها . فادفع مقالتهم بثانية . وسياق القول يقتضي . بثالثة .



- وفي ص ٤١ — بعد ما ترأبين كان تلاق . والاولى بعدما قد ترين .  
 وفيها . وادي اليها الحق فهو معينها . والاولى . امينها .  
 وفي ص ٤٢ — مقيم بمستن الفلا والمقام يقتضي العلى .  
 وفيها . اما غافر او معاتب . والظاهر او معاتب .  
 وفيها . فاترك من هجرانك اليأس . والظاهر فانزل بي هجرانك الخ .  
 وفيها تثوب بساق . والظاهر تنوء بياق .  
 وفيها . فاقلمن عنه راميات الخالب . والصواب داميات .  
 وفيها . فها انا مفض في رضاك . والاولى مقصى .  
 وفيها . اشيعت مشتاقاً . والصواب واشعث مشتاق .  
 وفي ص ٤٣ — قصر سوقه . والظاهر شوقه .  
 وفيها . هندي الحسام المضارب . والصواب حسام على حد قول ابي خراش . حسام  
 الحد مذروباً خشيباً .  
 وفيها . لو رأني دزي المجادة فردا . ولعل اصله اطوى المحارة وهي المكان يجار فيه .  
 او بذي المجازة فردا .  
 وفيها . بين صرحي ومنحني اعوادي . ولعل اصله بين سرحي .  
 وفيها . علي الخدين محمول . وسياق القول يقتضي . محمول .  
 وفي ص ٤٤ — ماعلى الرزح الرقائل . والصواب المراقل جمع 'موقل' . والذي يفي  
 الدبوان . ماعلى الوسج الرواتك .  
 وفيها . ظرف الصداقة . من ظرف العلاقة . والظاهر ارقى من ظرف العلاقة .  
 وفيها . واراكها وعدادها . والظاهر . وعمرادها وهو الغليظ من النبات .  
 وفي ص ٤٥ — قالت الورد والمدامة والبد رضىائي ولون خدي ووجهي  
 والتقسيم يقتضي ان يكون رضىائي بدلاً من رضىائي .  
 وفيها . يجدران امسى . وصوابها بجوران .  
 وفيها . اطلقت من السب . والصواب حي الشيب .

- وفي ص ٤٦ — وله فصل الى بعض اخوانه يعتذر لك ان يعتب الخ والعبارة في غاية الركاكة والغموض ولعل اصلها وله فصل الى بعض اخوانه يعتذر اليه .
- لك ان تعتب ولشبهك ان يعتذر فب اقل الامر من الخ :
- وفيها . الحزن احسن من كلامه . والصواب الخرس .
- وفيها . فسير جامع الكتابة . وصوابها باع .
- وفي ص ٤٧ — ويستنقى الصدر . والظاهر يسجي او يشجي .
- وفيها . وينقش الانقاس . والصواب ينفش اي يشعث او ينقس او يعيب .
- وفي ص ٤٨ — اللطيف فهمم . وصوابها فهمم .
- وفي ص ٤٩ — وأضاء له نور الزجاج . صوابها الزجاج .
- في ص ٥٠ — وشخذت مدارس الادب فواصله . وصوابها فياصله .
- وفيها . تسوء شكوكه ببيانه الخ . والظاهر يشوب الخ .
- وفي ص ٥١ — مطالعاً يمينه . والظاهر مطالعاً .
- وفيها . كأنه وحمارة تجارياً كلاً واحداً . وسياق الكلام يقتضي هكذا : كأنه وعمارة تجاذبا كلاماً واحداً .
- وفي ص ٥٢ — لماحتف صرفه . وصوابها لماخت .
- وفي ص ٥٣ — وتلقانا شاب . وصوابها . وتلقانا .
- وفي ص ٥٥ — فقلت ياسادات نفسي صبراً . وصوابها قتلت . الخ .
- وفيها الاسكندر . وصوابها الاسكندر .
- وفيها الم تكن فينا وليدا . والرواية الم نربك فينا وليدا .
- وفيها . البعث المنقري . والمعروف ان البعث الذي هجاه جرير ، مجاشعي فليتامل .
- وفي ص ٥٦ — شجيج الغزال . وصوابها القذال .
- وفيها . ومحتفل دائر . والظاهر دائر .
- وفي ص ٥٧ — فما لم في الفلا والظاهر في العلى .
- وفيها . ولا لم في الرغا وصوابها الرغى كما نص عليه أئمة اللغة .
- وفيها . يمنعني القوم . والظاهر النوم .

- وفي ص ٥٨ - من لأود وصوابها من الأود .  
 وفيها . ومذهب مقروض . وصوابها مرفوض .  
 وفي ص ٥٩ - احق الناس باللوم . وسياق القول يقضي ان يكون . باللوم .  
 وفيها . على الندى . وصوابها على الذي .  
 وفيها . أكثر صارخاً واشد معيبة . ولعل الاصل واشد ممتبة .  
 وفيها . لما هجوتك . وصوابها ولما .

سليم الجندي

## رحلة اوليا جلبي

« في البلاد العربية »

- ٢ -

ثم رحلنا من هنا وسرنا نحو القبلة فاجتزنا قره مغرط الى ان وصلنا بعد اثنتي عشرة ساعة الى انطاكية (١).

(١) قره مغرط قرية صغيرة في اسفل قلعة بغراس وشرقيها كان في جوارها خان قديم دثر في العهد الاخير ونقضت اعماره بعد ان كانت عامراً وصالحاً لايواء القوافل والمسافرين . وقد فات الجلبي ان يصف ما يراه السائح على هذه الطريق التي عبتت من عهد قريب وطولها من طوب بوغاز الى انطاكية ثلاثون كيلومتراً . وهي تسير محاذية لسفوح الجبل الاحمر التي يتوكلها السائح على يمينه ويرى على يساره سهل العمق الفسيح وبحيرة انطاكية الزرقاء والمستنقعات الواسعة الممتدة حولها . وهو بعد مغادرة الطريق الصاعدة غرباً الى قره مغرط وقلعة بغراس التي توى عن بعد يرحل حذاء ضيقة تدعى بعلامة تعد فرضة على شاطئ المستنقعات المتصلة بالبحيرة وفيها القوارب الرفيعة التي تغدو وتروح في هذه المياه وفي المسالك المنشقة بين قصب الآجام يركبها الصيادون الذين يندون في الربيع لقنص الاوز والبط ودجاج الماء والشقب وغيرها من الطيور المائية واسرابتها تفوق الحصر وثمة الثعالب والخنزير البرية وكلاب الماء ايضاً . ثم تجتاز العاريق وادياً عربضاً حافلاً بالبساتين فيه قريتا بدركة العرب وبدركة الشراكس ثم قريتا باقاري وسردلي وهما يرى السائح في الافق الجنوبي جبل القصير وجبل الاقروخ الشاخص كالمرم فوق البحر الى علو ١٧٥٩ متراً وبعد اجتياز قرية عواقية التي اتخذت قاعدة لناحية قره مغرط يودع المستنقعات ويدخل الارضين المحروثة والمزروعة من سهل العمق فيرى على يساره مخرج البحيرة الضيق يمتد من

الشمال الى الجنوب ويمجري ماءه متساقلاً ببطء زائد وهو يلتوي كالانفي الى ان يلاقي العاصي . وماء المخرج اصفر اللون لزوج مملوء بالحنكليس الذي بصطاد بكثرة ويملح ويصدر الى البلاد . وهنا يشاهد عن بعد في الأفق الجنوبي جبل حبيب النجار او سيلبيوس المشرف على انطاكية وفي الافق الغربي جبل موسى معقل أرمن هذه الديار ( ١٧٠٠ متر ) ثم يسير بمحاذاة نهر العاصي الذي يخرف عند جسر الحديد من الشرق الى الغرب متجهاً نحو انطاكية فالسويدية . اما سهل العمق فقد قال الكولونل جاكو مؤلف كتاب انطاكية ما خلاصته : تبلغ مساحته ١٦٠٠٠٠ هكتار منها ٣٠٠٠٠ مما لا يمكن استغلاله يدخل فيه ٢٢٠٠٠ المستنقعات ٩ - ١٠ آلاف بجميرة انطاكية . ويصب في هذا السهل ثلاثة انهر تأتيه من جبال عينتاب واللكام وجبل الكرد وهي غفرين وبغر او النهر الاسود وثمة نهريديعي البراك ينحدر من الجبل الاعلى . وجل صحور العمق طباشيرية وارضيه طينية كلسية الا في قليل من المواضع تكون صلصالية والصفور بازالية ( حرى ) . وكية امطاره لا تزيد في السنة على الخمسة مليمتر وهو اؤه وييل ووطأة الحر فيه اشد منها في الساحل وتفوح من مستنقعاته رائحة تعافها الانفس تنشأ من تفسخ نباتات الآجام وتنتشر فيه سحب قائمة من اسراب البعوض هي علة الوبالة ( حمى البرداء ) التي تفتك في اهله . وسبب وجود هذه المستنقعات كون ماء الجميرة لا يندفع بسهولة في المجرى الخارج منها الى العاصي حيث الميل لا يزيد في الكيلومتر عن عشرة سنتيمترات وثمة سكور اقامتها اهل شطوط الجميرة لاصطياد السمك لاسما الحنكليس والسأور يدعونها داليان هي ايضاً من العثرات الواقعة في وجه الماء . ويقال ان مستنقعات العمق كانت قديماً اقل سعة مما هي عليه الآن ويعزى ازديادها الى الفتك بجراج جبل اللكام مما ادى الى انهيار التربة من سفحه وسيرها مدفوعة بالسيول الجارفة نحو السهل فوسبت في طريق انهره الثلاثة وتبسطة ولم يبق ثمة انحدار كاف لجريان الماء بسهولة فحدثت المستنقعات وما زالت تكثر بمرور الاعصر والاستمرار على تجريد الجبال من اشجارها حتى بلغت سعتها الحاضرة . ولو تسنى تجفيفها لطاب المناخ وامكن استغلال هذه المساحة الشاسعة بمختلف الزروع كالقطن وقصب السكر والأرز وغيرها . ويرى العارفون ان التجفيف يكون بازالة السكر التي وضعا الصيادون وبكري قاع الجميرة ومجرى العاصي

حتى انطاكية ونعميقها ليسهل جريبات الماء وبتفتح أحاديده واسعة تحصر فيها مياه الأنهر الثلاثة وغيرها من الينابيع الواردة الى العمق لتسيل فيها كما ينبغي . وجل أهل العمق عرب يسودهم نفر من سراة التركان المنتسبين لآل مرسل وبعض الملاكين من الارمن وثمة بضع مئات من مهاجري الشركس في قرى الریحانية وبنی شهر وضواحيها جاؤا منذ نصف قرن في زهاء مائتي بيت من مهاجري الارمن اختطت لهم السلطة الفرنسية منذ عهد قريب قرى في المرعى العسكري وغيره اه .

قلت ويرى السائر الى انطاكية مستنقعات العمق وآجام القصب والاسل المنتشرة والباسقة فيه يتخللها كثير من القرى الصغيرة مما لا يمكن الوصول الى معظمها في زمن الفيضان الا بقوارب خاصة ويوتها أخصاص من القصب المطلي بخفي البقر الخفاف مكتظ بعضها ببعض بين الأوحال والادغال . وأهلها صفر الوجوه هنلى من وبال المرتع لكنهم مرزوقون في الجملة فهم يقلعون عرق السوس ويستدررون البان الجواميس ويبقى لهم قدر غير يسير من الغلة بعد اقتطاع ما يصيب أصحاب القرى . والزروع الشتوية والصيفية في العمق تروبو وتبسق كثيراً لذكاه تربته وهو على علاته ما برح منذ القديم ملجأ المعوزين من سكان الجبال والبقاع الممتدة بين ضواحي حلب الى شرقي اللاذقية يفتدون اليه أفواجا في السنين التي يصيبهم المحل كعامنا هذا ( ١٣٥ ) فيؤجرون من العمل في مزارعه الخصبه وبقئاتون ويمتارون بفضلات حصائده وأعشابه ثم يرجعون .

وللعمق وبطامحه ذكريات عديدة في تاريخ أم الشرق والغرب التي استولت او جاءت تستولي على انطاكية عاصمة شمالي الشام وعروس مدينتها في العصور القديمة . فالأشوريون والحثيون والفرس واليونان والرومان والسلطن والصليبيون والمصريون بقيادة ابراهيم باشا مروا من هذا السبل ذي المكائنة الحربية الكبرى أو تطاحنوا فيه بمعارك دامية . عرفه من ملوك المسلمين ابن طولون في حروبه مع سبأ الطويل صاحب انطاكية سنة ٢٦٤ كما ذكرناه في بحث بغراس ووصف المنفي مجاري العمق وحواله في احدى قصائده يمدح بها سيف الدولة لما اعزم على السفر من انطاكية الى حلب في ايام شديدة الامطار في سنة ٣٥٥ وكان اوقع في العمق باهل انطاكية الذين عصوا عليه قال :

وما أخشى نبوءك عن طريق  
وكل شواة غطريف تمهي  
ومثل العمق مملوء دماء  
إذا اعتاد الفقى خوض المنايا  
وسيف الدولة الماضي الصقيل  
لسيرك ان مفرقها السبيل  
مشت بك في مجاربه الخيول  
فاهوت ما يمر به الوحول

وعرفه منجوتكين قائد جيش الفاطميين الذي اوقع ببجيش ميخائيل البرجي نائب  
قيصر الروم في انطاكية وذلك في سنة ٣٨٤ وتعرف بوقعة المخاضة . وحصلت فيه بين نور  
الدين الشهيد وصليبي انطاكية حروب كثيرة اخصها المصاف الذي كان في سنة ٥٤٣  
في ارض يفران من العمق فانهمز الفرنج وقتل منهم وامر جماعة كثيرة هذا عدا ما جرى  
لنورالدين حول قلاع حارم وارناح وعم جرى لصالح الدين الابوي وللظاهر بيبرس  
حول دربساك وبغراس وكلها من قلاع العمق المخصصة لحفظ انطاكية . اما حصن  
ارناح الذي عدده ياقوت من امنع الحصون في العواصم فقد دثر ولم يبق من رسمه الا اسمه  
واحدث في جواره قرية تدعى الآن « ريجانية » وكذلك الامر في عم التي ضاع رسمها  
واسمها وصار في مكانها قرية تدعى « بني شهر » ويسكن هاتين القريتين مهاجرو  
الشر كس وفيها ينابيع سارية ورباع مروية خصبة يزرعون فيها انواع البقول التي تحصل  
باكراً وتصدر الى حلب . قال ياقوت : عم بكسر اوله وتشديد ثانيه قرية غناء ذات  
عيون جارية واشجار متدانية بين حلب وانطاكية وكل من بها نصارى وقد نسب اليها قديماً  
قوم من أهل العلم والحديث قال ابن بطالان في رسالته التي كتبها في سنة ٥٤٠ الى ابن  
الصائبي : وخرجنا من حلب الى انطاكية فبتنا في بلدة الروم تعرف بم فيها عيون جارية يصاد  
فيها السمك ويدور عليها رحى وفيها مشارير للخنازير ومباح النساء والزنا والخمر امر عظيم  
وفيها اربع كنائس وجامع يؤذن فيه سراً اه . وقلمة حارم لا تزال رابضة باطلالها الدارسة  
فوق تلها المشرف على بلدة حارم التي اصحبت مركز قضاء وفيها عدد غير يسير من الدور  
والابنية الرسمية والحوانيت قال ابوالفداء : حارم بلدة صغيرة ذات قلعة واشجار وأعين ونهر  
صغير . قال ابن سعيد هو حصن كثير الارزاق وقد خص بالمران الذي يظهر باطله من ظاهره  
مع عدم الهجم وكثرة المياه . وقال عن دربساك : من جند ففسرين ذات قلعة مرتفعة ولها

ذكر اوليا جلبي نبذة من تاريخ انطاكية قبل الاسلام وبعده ونوه بفتحها على يد السلطان سليم العثماني عقيب معركة مرج دابق ثم قال ما خلاصته (١) : وعين السلطان اذ ذلك محمد باشا البيقلي والياً على انطاكية

اعين وبساتين وهي خصبة ولها مسجد جامع ومنبر ولها من شرفها صروح متسعة حسنة كثيرة العشب يمر فيها النهر الأسود وهي عن بغراس في الشمال بميلة الى الشرق وبينها نحو عشرة اميال في شرقي دربساك بغرا وهي قرية اهلها نصارى صيادون يصيدون السمك وهي على بعد مرحلة من دربساك اه . نلت ويطن ان بغرا هي الآن قرية قالوا التي اختص اهلها بصيد الساور في بحيرة بغرا وهذه تدعى الآن كولباشي وهي الى الشمال من جسر مراد باشا على طريق حلب - قرق خان . وقد مر ابن بطوطة في سنة ٧٢٥ بالعمق بعد ان غادر حصن بغراس وقال عنهما « حصن بغراس حصن منيع لا يرام عليه البساتين والمزارع ومنه يدخل الى بلاد سيس وهي بلاد الأرمن وامير هذا الحصن صارم الدين ابن الشيباني ولقد لقيت هذا الامير ومعه فاضي بغراس بموضع يقال له العمق متوسط بين انطاكية وتيزين وبغراس ينزله التركمان بمواشيهم لخصبه وسعته » . وقال شيخ الزبوة شمس الدين محمد الدمشقي المتوفى سنة ٧٢٧ في كتابه نخبة الدهر في عجائب البر والبحر : زمن الثغور الساحلية الجبلية دركوش ودربساك وبغراس وحجر شغلان والاسكندرونة وقصير انطاكية وبغرا ولما بحيرة حلوة من النهر الاسود بينها وبين بغراس اه .

(١) قال ياقوت في معجم البلدان يصف انطاكية في القرن السابع : ولم تزل انطاكية قصبة العواصم من الثغور الشامية وهي من اعيان البلاد وامهاتها موصوفة بالنزهة والحسن وطيب الهواء وعذبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخبز . وقال ثم لم تزل بعد ان فتحها ابو عبيدة بن الجراح في ايدي المسلمين وثغراً من ثغورهم الى ان ملكها الروم في سنة ٣٥٩ بعد ان ملكوا الثغور المصبغة وطرسوس واذنة واستمرت في ايديهم الى ان استنقذها منهم سليمان بن قتلش السلجوقي احد ملوك آل سلجوق في سنة ٤٧٧ فاستقام امرها وبقيت في ايدي المسلمين الى ان ملكها الافرنج بعد حصار شديد وطويل من اليهسا باغبيسان



ورامي علي افندي قاضياً وهي لاتزال بيد العثمانيين فيها نائب ومحتسب ونقيب  
الاشراف وقاضي وكتبخدا جند وسردار انكشارية ودردار قلعة وفيها جنود  
وعتاد وعشرون مدفعاً بن كبير وصغير . وسور انطاكية مبني على خمسة  
التركي على اثر خيانة احد فواده المسمى فيروز الارمني وذلك في سنة ٤٩١ . قلت وبقوا  
فيها الى ان افتتحها الملك الظاهر بيبرس عنوة في سنة ٦٦٨ .

وقال ابو الفداء في القرن الثامن : « انطاكية قاعدة العواصم بلدة كبيرة ذات اعين  
وسور عظيم داخله خمسة اجبل وقلعة يربظاها نهر العاصي والنهر الاسود مجموعين وبها  
قبر حبيب النجار . قال ابن حوقل : انطاكية انزه بلاد الشام بعد دمشق عليها سور من حجر  
يحيط بها ويجبل مشرف عليها ويجري مياههم في دورهم وسككهم ومسجد جامعهم ولها  
ضباع وقرى ونواح خصيبة جداً . قال في العريزي ومساحة دور السور اثنا عشر ميلاً .  
وقال شيخ الربوة في القرن الثامن ايضاً : انطاكية قصبه السواحل وكانت احدى  
كراسي الروم وتسميها الروم تعظيماً لها مدينة الله كما تسمى الارض المقدسة وانطاكية من  
المدن القديمة ويحيط بها سور كبير يحيط على اربع جبال وشعاري ولها بساتين وحبيب  
النجار منها وله قصه في سورة يس في القرآن الحكيم في قوله تعالى : باليت قومي يعلمون بما  
غفر لي ربي وجعلني من المكرمين . ولها فرضة تسمى السويدية عند الساحل عند مصب  
العاصي في الجراه .

ومر ابن بطوطة بانطاكية في ذلك القرن في سنة ٧٢٥ هـ فقال عنها : مدينة عظيمة  
أصلية وكان عليها سور محكم لا نظير له في أسوار بلاد الشام فلما فتحها الملك الظاهر هدم  
سورها ، وانطاكية كثيرة العمارة ودورها حسنة البناء كثيرة الأشجار والمياه وبخارجها  
نهر العاصي وبها قبر حبيب النجار وعليه زاوية فيها الطعام للوارد والصادر اه .

ومما ذكره الكولونل جاكو مؤلف كتاب انطاكية المطبوع في سنة ١٩٣١ ان  
عدد سكان انطاكية في يومنا هذا ٣٥٠٠٠ اكثرهم من المسلمين السنيين الترك والنصيرية  
العرب وأقلهم من المسيحيين العرب المنتسبين لطوائف مختلفة وفيها كثير من الفنادق الجميلة  
والمقاهي والنوادي والمصارف والمدارس والجموامع ( اكبرها الجامع الكبير وجامع حبيب

جبال ونصف قلعتهما في منحدرات تلك الجبال ونصفها الثاني في سفوحها وقرب نهر العاصي . ومحيط هذا السور اثنا عشر ميلاً . وفي الحق انني لم أر حتى الآن أسواراً وأبراجاً عالية مثلاً رأيت في انطاكية . وربما بلغ علو السور

النجار) والكنائس ومنحرف أثري في دار الحكومة وانها اكثر ما تصدر الصابون ثم فيالج الحرير والسمنك والصوف والحبوب وزيت الزيتون والقطن والقطران وزيت الفار والجلود والفواكه الطيبة وغيرها . وفيها صناعات غزل الحرير وعمل الصابون والديباغة ونسج الاقشة الحريرية والقطنية والطنافس ونجارة الامشاط ونجارة الاثاث المعمولة من خشب الجوز وتجارة النقود والعاديات وان جسامه انطاكية في يومنا لا تزيد عن عشر ما كانت عليه في العصور الغابرة وان من أكبر أسباب انحطاطها بعد الزلازل الهائلة التي اتتبتها مراراً هو تخريب الملك الظاهر ميناء السويدية . وقد كانت انطاكية بفضل هذه الميناء مركزاً تجارياً عظيماً بين ممالك البحر المتوسط والافطار الشرقية اه . وما قاله مونمارشة في وصف انطاكية : يمكن للسائح ان يتلمى برؤية هذه البلدة الجميلة اذا وقف فوق التل المتخذ مقبرة للمسلمين وهو في شمالي البلدة على يمين العاصي وقد كان عليه فيما مضى حصن بناء كودفروا فنه يرى دور انطاكية المبنية على الطراز التركي وقد عطلها اسلحة مائلة مغطاة بالفرميد ويرى العاصي وقد عرض وضخم اكثر مما كان في حماة وعليه هنا ايضاً نواعير تدور بنضات لا تخلو من اللطافة وتحيط بانطاكية كلها رياض تزيدها نضرة وحبوراً . قد نورت انطاكية حديثاً بالكهرباء وسيأتون اليها بمياه الشرب من شلالات دفنة الشهيرة كما كانت في العصور الغابرة اه .

ومما قاله الشيخ كامل الغزي مؤلف نهر الذهب في تاريخ حلب عن اهل انطاكية : الجمال غالب في نسايمهم وقد اشتدت في وجهايم واعيانهم محبة الجاه والتقرب الى الحكومة يزاحمون بعضهم في ذلك لئتمكنوا من اخضاع مزارعهم وبصونوا حقوقهم وغلاتهم منه ومن غيره من ارباب الصوالة في البر . وبعد من مساوي انطاكية كثرة الامطار والريعود والصواعق والزلازل وفي الصيف المحباس النسيم عنها في بعض الليالي وكثرة الرطوبة وقال مما انفردت به انطاكية من الفواكه المشمش الهجمي المعروف

الراكب على الجبال في الجهة الشرقية نحو ثمانين ذراعاً . اما السور القريب من نهر العاصي فواطي ولا يعلو اكثر من عشرين ذراعاً كما انه غير ضخم واذا دخلت من بابي حلب ودمشق وصعدت ترى أمامك ابراجاً وباشورات

بشكرياره والدرافن والسفرجل واليني دنيا وقصب السكر والبرتقال والليمون وانواع البطيخ الاصفر والعنب والرمان وحب الآس والعباب وانفردت ايضاً بلبن الجلموس وما يعمن منه كالبدة والجبن فها مما لانظير له في غيرها وانفردت بتبغها وفليفلتها الحمراء وصابونها الجيداه . قلت واللعتان التركية والعريية شائعتان على السواء في انطاكية يتكلم الاولي المسلمون السنيون والثانية النصرية والمسيحيون على ان كلا الطرفين يفقه لغة الآخر والترك والمسيحيون في رغد من العيش والرفه العصريين ومنهم كثير من المتعلمين . هذا وفي الجنوب الغربي من انطاكية على مقربة منها قرية تدعى الحربية فيها شلالات دفنة الشهيرة تنحدر من عل نحو وادي سمحيق وتدير عدة طواحين تدعى طواحين بيت الماء ولها خرير ورغو زائدين بين اشجار الدلب والدفلى والاعشاب الخضراء مما يبهج السمع والبصر عدا عما هنالك من المناظر الرائعة والحدائق الغناء والآثار القديمة الباقية من عهد الرومانيين الذين اتخذوا هذا المكاف محلاً للقصف والزهة . وثمة شرقي دفنة وفي الهضاب الوعرة المطلة على صوفيلر احدى قري كورة القصير التي سياتي ذكرها شعاب تصل الى حصن القصير كان من معاقل الصليبيين المخصصة لحراسة انطاكية من الجنوب وهو مبني فوق رابية منفردة تحيط به وهاد عميقة وخذق ولا يزال بعض ابراجه وأسواره قائماً سر به ابن بطوطة واستحسنه وذكر اسم اميره وقاضيه . وفي غربي انطاكية على ساحل البحر بالقرب من مصب العاصي السويدية وهي قرية جميلة كبيرة اهلها نصيرية وروم وعلى مقربة منها خرائب سلوقية يزورها السواح لامتناع النظر في اطلالها المعجبية وقنواتها الفخمة الممتدة تحت الارض وقد كانت سلوقية فيما مضى فرضة انطاكية ومن اعظم موافئ الساحل الشامي وظلت في زهوها الى ان ردم الملك الظاهر بيبرس ميناءها بعد استخلاص انطاكية من ايدي الصليبيين حذراً من ان يعودوا فأفل نجمها من ذلك الحين .

يعلو بعضها فوق بعض . اما الاحجار التي بنيت منها هذه القلعة فهي جد ضخمة .  
وقدر كبت والصقت بمهارة كريمة . وعلو باب حلب التجه الى الشمال نحو  
عشرين ذراعاً (١) و كان ينبجس من الصخور التي في داخله ميساه فوارة .  
وفي غربي هذا الباب جسر عظيم يعبر منه فوق العاصي . ولوفرة علو الجبال  
المحيطة بانطاكية وارتفاع الاسوار الراكبة عليها لانتشر الشمس على هذه  
البلدة الا بعد ساعتين من طلوعها .

وفي انطاكية ثمانية قصور عظيمة اهمها قصر كتفاج باشا فيه كثير من  
الابهاء والغرف العديدة المزخرفة وبابه من الحديد . واكثر دور انطاكية  
الفخمة واقعة على العاصي . وفيها من الاولياء حبيب التجار الذين يزعمون انه  
كان من حوارى السيد المسيح وبعد قتله حفظ رأسه في نكية يزورها ويتبرك  
بها المسلمون والنصارى على السواء . وفي انطاكية مدارس للعلوم الشرعية  
وكتاتيب للصبيان . وفيها نكية لحبيب التجار يهبط اليها بدرج ملئت  
بالدراويز وأخرى في اعلى الجبل في مكان عال مشرف يوصل اليه في  
خلال ساعة . وفيها حمامات تأتي مياهها من العاصي بالنواعير وفيها خانات  
وأسواق وحوانيت عديدة . ومياه هذه البلدة غزيرة تنحدر من الجبال العالية  
المحيطة بها لذلك ترى سبلها وبنائيعها كثيرة كما ان الفاكهة تجود وتغزر

(١) هدم هذا الباب في الزلزلة التي حدثت عام ١٢٩٠ هـ اما الاسوار والابراج التي  
ذكرها اوليا چلبى فقد كانت باقية في الجملة على النحو الذي وصفها به الى ان جاء ابراهيم  
باشا المصري وافتتح انطاكية فنقض احجار الاسوار والابراج وبنى بها عام ١٢٤٧ نكنة  
عظيمة لحيشه فلم يبق منها الآن الا آثار ضئيلة .

أصنافها في البساتين التي تروى من النواعير الراكبة على نهر العاصي . هذا وبعد ان انتهينا من زيارة انطاكية عزمنا على السفر في صبيحة اليوم الاول من شوال سنة ١٠٥٨ وبعد ان أدبنا صلاة العيد في جامع السوق ضرب نفير الرحيل في قافلتنا فغادرنا انطاكية متجهين نحو القبلية وبعد ان اجتزنا كثيراً من القرى العاصرة نزلنا بعد ثمان ساعات في قرية الزنبقية على شاطئ العاصي (١)

(١) يظهر ان قافلة الجلي اختارت الطريق الصاعدة في عقبات القصير بضم القاف وشعابه وطوله ثلاثون كيلومتراً لم يتم تعبيدها بعد وفيها قرى عاصرة كما قال وهذا الطريق عمر القوافل منذ القديم فقد سلكها الرحالة ابن بطوطة في سنة ٧٢٥ حينما مر بمحمن القصير ثم بمحمن الشفر بكاس . والقصير كورة جبلية خضراء يحددها من الشمال والشرق وادي العاصي ومن الغرب البحر ومن الجنوب بناييع نهر الكبير الشمالي وهي تشمل الآن ناحية الحرية والنواحي الثلاث القصير الفوقاني والوسطاني والتهتاني وناحية الاردو وكسب . وهذه النواحي الست تتبع قضاء انطاكية وثمة ناحية دركوش تتبع جسر الشفر وفيها سلسلتان من الجبال ممتدتان من الشمال الى الجنوب تتصل بها فروع واعضاد كثيرة تجعل هذه الكورة ذات حزون ونجود متموجة يتراوح علوها من ٧٠٠ الى ١٠٠٠ متر في الاكثر وفيها نهران يصبان في العاصي الاول نهر الايض يخرج من هضاب الاردو مياهه عذبة والثاني نهر البواردة يخرج من قرب قلعة القهير ويصب في الشمال جنوبي جسر الحديد . وهي في الغرب في جهات الاردو وكسب مزدانة بمختلف الحراج الجميلة أخص اشجارها الصنوبر الحلبي واللبننة والبلوط اما في الشرق فهي خالية من ذلك ولكن اوديتها ومنحدراتها مفروسة بمختلف الاشجار المثمرة لاسيما الزيتون يأتي بعده التوت واللوز والتين والشمش وفي منخفضاتها الرطبة الحور واللب والصفاف والدفلي . وهذه الكورة كثيرة الغلال وافرة الخيرات تتوالى على سكانها المواسم واجل موسم فيها الزيتون وبه درزته الجيد الى انطاكية وصنع الصابون ثم يأتي بعده الحرير والبطيخ والتين والعنب والجبن والسمن والحنطة القصيرية مشهورة في هذه الربوع ومفضلة على غيرها وطيبور الصيد ودوابه

وهذه القرية واقعة في واد خصب له كروم وحدائق ذات بهجة وفيها نحو ثلاثمائة بيت . وقد اشتهرت بجودة تينها وجمال زنبقها . وهنا أقام علي باشا

كثيرة . ويبلغ سكان هذه الكورة في النواحي التي عددناها زهاء ٤٥٠٠٠ معظمهم من التركان السنيين وبأقي بعدهم العرب السنيون ثم النصيرية وثمة قرى للأرمن واخرى للروم وواحدة للاسماعيلية تدعى جندالية وتاريخ هذه الكورة مرتبط بتاريخ انطاكية وقد كانت تمر منها الجيوش الزاحفة نحو هذه العاصمة من اللاذقية او من جسر الشغفر وفيها من الحصون المنيعة التي كانت تخفر انطاكية من جنوبها القصير ودر كوش والشغفر وبكاس وكفردين . وفيها الآن من امهات القرى ( قرية الشيخ ) وهو الشيخ اسماعيل القصيري كان معدوداً من الاولياء وضرب به لايزال مقصوداً بالزيارة والاحفاده في هذه الديار حرمة زائدة وقد اتخذت هذه القرية قاعدة لناحية قصير الفوقاني وفي غربها نجود هي اعلى ما في هذا الجبل لما منظر جميل وهواء نقي تشرف على وادي العاصي والجبل الاحمر وسهل العمق والجبال المحيطة به وقرية ( بابطرون ) قاعدة ناحية القصير الوسطاني و ( قارصو ) قاعدة ناحية القصير التحتاني وهناك قرية ( الاردو ) وهي قصبه الناحية واهلها تركان ثم ( كسب ) واهلها أرمن وفيها دير كبير للربان الفرنسيين ومنها يمكن الصعود الى جبل الاقوع الشامخ . وفي الشرق من الامهات قرية ( در كوش ) قاعدة هذه الناحية اهلها عرب سنيون عددهم ( ٢٥٠٠ ) مبنية على يسار العاصي في اضيق مكان من واديه يعلوها من الغرب جبل شامخ وعلى العاصي نواعير كما في حماة . عد شيخ الربوة در كوش من الثغور الساحلية الجبلية وقال عنها يا قوت : در كوش حصن قرب انطاكية من اعمال العواصم اه . وقد زالت آثار هذا الحصن المتيع الذي عجز هولاء كوه عن فتحه وبنتح في در كوش فواكه جيدة كالتفاح والمان ترسل الى حلب . وهناك ( القنية ) قرية جميلة اهلها كاثوليك فيها دير للربان الفرنسيين وماؤها قليل وبقرها ( كفردين ) على رابية وكان لها حصن ذكره يا قوت يمر من تحته الدرب الناهب الى ( حمة الشيخ عيسى ) وهي ذات مياه معدنية حديدية حارة تنفع للاستشفاء من داء المفاصل بقصدها الناس من كل الجهات ولوشيدت فيها ابنية صالحة للاستحمام والبيوت لزيد الاقبال عليها . ومن الامهات ( قاريياز ) اهلها تركان

الجانبولاد المرئى باشا وليمة عظيمة لم يسمع بمثلاسها . فقد اكل كل الجند الذي بمعية علي باشا وعده كان ينوف على الستة آلاف واكل خلق عظيم لا يسمعه الحصر ممن حضر من الجوار ومع ذلك فقد بقيت الصهون والقصور

وعلوها ٨٠٠ متر وتعدا كبرواغنى قرى القصير اشتهرت بعنبا الفاخر ولوزها . و(جنيدو) واهلها روم يقام فيها في فصل الصيف سوق عام كل يوم خميس وفي غربها طريق تأخذ الى قلعة القصير الأثرية التي ذكرناها في بحث انطاكية . و(صورية) وهي كبيرة واهلها روم فيها مدرسة وكنيسة ومعاصر زيتون .

والساثر في الطريق الذي سلكته قافلة الجليلي بعد ان يغادر انطاكية يتساق عقبات جبل القصير وشمايه وهضابه فيمر بقرى نارليجه وقيارينار ثم يجتاز وادي نهر البواردة ثم بقربة الفاتكية التي اشتهرت بكثرة أشجارها وفاكهتها ثم بصورية وقليزان ومزرعة التركان وفنجار وكفر عابد وسفربة وقارينار والهيئة التي تنتهي فيها حدود لواء الاسكندرونة وبالقنية حتى يصل الى جسر الشجر . ولعل قافلة الجليلي انحرفت من قاريناز الى الزبقية وهي الآن ضيعة صغيرة قرب دركوش فيها أطلال خان قديم ثم تابعت سيرها نحو الجنوب مارة بدركوش وبالقنية الى ان وصلت الى جسر الشجر . هذا والجتاز هضاب هذه الطريق لا بد ان يلمح من أعاليها في الأفق المتمد شرقي العاصي آكام جبل الأعلى الغربية الغضراء وجبلها مزدان بأشجار الزيتون تختفي في أوديتها بلدان صغيرة جميلة عاصمة كحارم وسلقين وكفر تخاريم وأرمناز وقرى اسقاط والملافي وتل عمار والدويبي وهذه فيها حصن خراب وفي جنوبها الجبل الوسطاني الحائل بين سهل الروج ووادي العاصي وينسأحه من الشرق جبل بني طليم الذي صار يسمى الآن جبل الزاوية نسبة لزاوية في قرية منه تدعى أم رعيان ويسمى القسم الشمالي منه جبل الاربعين لمقام فيه يعرف بمقام الاربعين اختص بالأشجار المثمرة التي تنبت عذبا كالكركز والكثيرى والتفاح والتين والجوز والعنب وهو جميع الهواء طيب الماء ذو مناظر جميلة تشرف على سهول حلب الغربية الشاسعة وما فيها من البلدات والقرى كأريحا وادلب ومعرّة مصرين وسرمين وغيرها . وفي جبل الزاوية كله قبور

ملائة بالأطعمة النفيسة . وأهدى علي باشا الى مرتضى باشا ثلاث أفراس من عتاق الخيل فقابلته مرتضى باشا بفرو من السمور المرصع (١) . ثم استأنفنا المسير الى الجنوب الى ان وصلنا الى جسر الشفر وهو مكان موحش على شاطئ العاصي وتحيط به مروج خضراء وفيه خان صغير . على ان الأمن هنا مفقود نرجو الله ان يوفق اهل الخير لعمران هذا المكان وتوطيد الامن فيه

كثيرة منقورة في الصخور وخرائب أثرية أهمها في قرى أم رعيان والمغارة والحاس وادرم الجوز وكفرلانا والبارة . والبارة هذه تشبه خرائب بومبي في ايطاليا لا تزال قصورها ومابدها وشوارعها كما كانت تمتد في مساحة واسعة تدل على ما كانت عليه هذه المدينة من العظمة . هذا وبين جبل الزاوية والجبل الوسطاني سهل الروح المشتهر بحصبه وكثرة مناقعه ورداءة هوائه (مساحة ٢٠٠٠٠ هكتار منها ٩٠٠٠ مستنقعات) وبما كان في كورته لصليبي انطاكية من المعازل المخصصة لحراسة انطاكية من الجنوب . قال عنه ياقوت : الروح كورة من كور حلب المشهورة في غربها بينها وبين المعرة ولها ذكر في الأخبار .

(١) من هو هذا الباشا الكبير الذي استطاع ان يقوم بتلك الولاية العظيمة . لم يذكر الجلبي وظيفته ولا من أين أتى وما سبب مجيئه لمقابلة مرتضى باشا إذ لا بد ان يكون غير علي باشا الجانبولاد الشهير الذي حكم حلب في سنة ١٠١٤ ثم خرج عن طاعة الدولة العثمانية وحارب جيوشها مدة مديدة الى ان قتل في سنة ١٠٣٠ أي قبل مرور قافلة الجلبي بثاني وثلاثين سنة على مارواه الحبي في خلاصة الأثر . ولما حسبته انه والي مناب جاء يحتمي بزميله مرتضى باشا وجدت ( سالنامة ولاية حلب ) تذكر في قائمة اسماء ولايتها احمد باشا الدباغ في سنة ١٠٥٧ ومصطفى باشا المستاري في سنة ١٠٦٠ والجلبي لم يذكر احداً منهما . فهل كان مخطئاً في بيان الاسم ؟



ليسهل مرور الحجاج منه (١) .

وصفي زكريا

«للبحث صلة»

(١) يظهر ان رجاء الجليلي استجيب فوراً . لان محمد باشا الكوبرلي الشهير الذي كان نائباً في طرابلس الشام قبل ان يصبح صدرأ اعظم مر من هنا بعد مدة وجيزة من مرور الجليلي فرم الجسر الكبير المعقود فوق العاصي وقيل انه هو ايضاً بنى الجامع الكبير وخاناً وحمماً فعمرت بلدة الجسر على يد هذا الوزير بعد ثورها لانه كان في مكانها في العصور الفساية على ما قاله الافرنج بليدة اسمها Niaccuba او Séleucie ad Bellum ومن الغريب ان جغرافيي العرب لم يذكروا عنها شيئاً . واكتفى ابو الفداء بذكر السوق العام الذي كان يقام قرب جسر ها وقد دعاه جسر كسفهان . ومما يمكن فلان الجسر مكانة لا تنكر من الناحية الحربية والاقتصادية فقد كان يمر منه الرصيف الروماني القديم الذاهب من اللاذقية الى حلب الذي لا تزال آثاره ظاهرة في موقع يسمى اسفكون قرب خان الزعرور . وليس جسر الشفر مستقيماً بل سيفي وسطه كوع جعل لمقاومة دفع العاصي كما ان ظهره أفقي ليس فيه الاحديداب الذي يرى في معظم جسور البلاد الشامية وطول هذا الجسر اربعمائة متر معقود على اربع عشرة قنطرة تدل حجارتها على انه روم مراراً وفي منتصفه وعلى جانبه حجرة زبرت عليها كتابة عربية فيها اسم جقمق ولعله الملك الظاهر جقمق الذي حكم مصر والشام في سني ٨٤٢ - ٨٥٧ . وفي بلدة جسر الشفر الآن من السكان سبعة آلاف اكثرهم مسلمون وفيها دار للحكومة جديدة ومساجد ومدارس ودور للاهين مبنية بالحجر الابيض حسنة في الجملة ويمر منها طريق السيارات الذاهب من اللاذقية الى حلب لكن هواءها ردي لقرب مستنقعات الروج والغاب منها . وفي اواخر القرن الماضي جعلت مركزاً لقضاء يشتمل قسماً من سهل الغاب وجبال النصيرية . وتتبعه ناحيتا الجسر ودر كوش . ومعظم سكان هذا القضاء من العرب السنين والنصيرية وقليل من التركات القاطنين في مرتعات جبل القصير ومن الروم في قريتي القنية وانكزليك وتكثر اشجار الزيتون في بقعة التركان والاشجار المثمرة والكرمة في قري بداما والجسر ودر كوش والقنية وزراعة الارز والقطن في سهول قسطون وماجاورها . وفيه من المحاصيل

بزر الخردل وجزور المحمودة المعروفة في الطب باسم سمونيا . واشتهرت فيه قرية اشتبرق  
بجدرانها وبنائيمها ومتزهاتها وانكزيك بجودة هوائها وصلاحها للاصطياف وزعينة بحراجها  
ومياها ومصاندها وقسطون بخصب تربتها ولبس ومشمشان وعين عيسى وشلتون بذكرياتها  
التاريخية . وكان لبلدة الجسر على بعد ساعة في شمالها قلعة حصينة مقابلها أخرى يقال  
لها بكاس على رأس جبلين بينها واد كالخندق كل واحدة تناوح الاخرى وفوق الوادي  
جسر كان يعبر من فوقه من احدهما الى الأخرى . مر ابن بطوطة في سنة ٧٢٥ بمحصن  
الشفر وبكاس وقال انه منيع في رأس شاهق وذكر اسم اميره وقاضيه ونوه بفضل الأول  
وان الثاني من اصحاب ابن تيمية . وقال ابو الفداء المتوفى سنة ٧٣٢ : الشفر وبكاس من  
جند قنسرين قلعتان حصينتان بينهما رمية سهم على جبل مستطيل وتحتها نهر يجري ولها  
بساتين وفواكه كثيرة ولها مسجد جامع ومنبر ورستاق وهما بين انطاكية وفامية على  
قريب منتصف الطريق بينهما وفي شرفها على شوط فرس جسر كشفهان وهو جسر على  
النهر وهو مشهور وله سوق يجتمع الناس فيه في كل اسبوع والشفر وبكاس في جهة  
الشرق والشمال عن صهيون وفي الجنوب عن انطاكية وبينها الجبال اه .

فيستدل من هذا الوصف ان كشفهان ربما كانت هي بلدة جسر الشفر الحالية . وكانت  
الشفر وبكاس وما حولها من الحصون من معاقل الصليبيين المخصصة لحراسة انطاكية  
ومركز اتصال قواتهم بقوات قص طرابلس وملك القدس ومن هنا كانوا يغزون على  
المسلمين في شيزر وحماة عن طريق افامية وعلى حلب عن طريق سهل ادلب . وظل هذا  
الحال الى ان جاء الملك الناصر صلاح الدين بن ايوب سنة ٥٨٤ فافتتح انطروطوس وجبله  
وصهيون والشفر وبكاس وحصن برزية ودرباسك وبغراس فاصبحت انطاكية بعد فقدان  
هذه المعاقل كما قال في الروضتين « معدومة الاطراف قد قطعت ابدنها وارجلها من  
خلاف » . ولم يبق الآن من آثارها تين القلمتين الا اسس الجدران واحجارها المتهدمة  
وعلى بعضها كتابات عربية . وعلى مقربة من القلعتين قرية تدعى الشفر القديم تحيط بها  
المزارع والحدائق .

# جامع التواريخ

- أو -

« نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة »

- ٢ -

حدثني ابو يعلى محمد بن يعقوب البريدي الكاتب قال لما قصدت سيف الدولة اكرمني وانس بي وأنعم عليّ وكنت أحضر ليلاً في جملة من يحضر قال فقال لي ليلة من الليالي كان قتل ابيك أبرك الأشياء عليّ . فقلت كيف ذلك اطال الله بقاء مولانا ؟ قال : لما رجعنا من بغداد اقتصر بي اخي ناصر الدولة على نصيبين فكنت مقبلاً فيها ولم يكن ارتفاعها بكفني فكنت أدافع الأوقات وأصبر على مضض من الاضاعة مدة ثم بلغتني اخبار الشام وخلوها الا من ( يانس المونسي ) وكون ابن طنج بمصر بعيداً منها ورضاه بأن يجعل ( يانس ) عليها ويحمل اليه الشيء اليسير منها : ففكرت في جمع جيش وقصدها وأخذها وطرد ( يانس ) ومدافعة ( ابن طنج ) ان سار اليّ بجهدتي فان قدرت على ذلك والا كنت قد تعجبت من اموالها ماتزول به اضافة مدة ووجدت جمع الجيش لا يمكن الا بالمال وليس لي مال . فقلت اقصد اخي واسأله ان يعاونني بألف رجل من جيشه يزج هو علمهم ويعطيني شيئاً من

من المال واخرج بهم فيكون عملي زائداً في عمله وعزه . قال وكانت تأخذني حتى ربيع . فرحات الى الموصل على ما بي ودخلت الى اخي وسلمت عليه فقال ما اقدمك ؟ فقلت امر اذكروه بعد . فرحّب وافترقنا فراسلته في هذا المعنى وشرحته له فأظهر من المنع القبيح والرد الشديد غير قليل . ثم شافته فكان اشد امتناعاً وطرحت عليه جميع من كان يتجاسر على خطابه في مثل هذا فيردهم . قال وكان لجوجاً اذا منع من الاول شيئاً يلتمس منه اقام على المنع . قال ولم يبق في نفسي من يجوز ان اطرحه عليه واقدّر انه يجيبه الا امر أنه الكرديّة والدة ابي تغلب قال فقصدتها وخاطبتها في حاجتي وسألته مسأله فقالت انت تعلم خلقه وقد ردك وأن سألته عقيب ذلك ردني ايضاً فاخرق جاهي عنده ولم يقض الحاجة ولكن اقم اياماً حتى اظفر منه في خلال ذلك بنشاط او سبب اجعله طريقاً للكلام والمشورة عليه والمسألة له . قال فعلت صحّة قولها . فأقمت قال فاني جالس بمضمرته يوماً اذ جاءه برّاج بكتاب طائر عرفه سقطه من بغداد فلما قرأه اسود وجهه واسترجع واظهر قلقاً وغماً وقال انالله واناليه راجعون . يا قوم! المتجرف الأحمق الجاهل المبذر السخيف الرأي الرديّ التدبير الفقير القليل الجيش يقتل الحازم المرتفق العاقل الوثيق الرأي الضابط الجيد التدبير الغني الكثير الجيش . ان هذا الأمر عجيب قال فقلت له يا سيدي ما الخبر فرمى بالكتاب وقال قف عليه فاذا هو كتاب خليفته ببغداد بتاريخ يومين يقول ان في هذه الساعة تناصرت الأخبار وصحت بقتل ابي عبد الله البريدي اخاه ابا يوسف واستبلائه على البصرة .

قال : فلما قرأت ذلك مع ماسمعته من كلامه متجزعاً وفزعاً ولم أشك  
انه يعتقدني كأني ابو عبدالله البريدي في الأخلاق التي وصفه بها ويعتقد في  
نفسه انه كأبي يوسف وقد جثته في أمر جيش ومال ولم أشك ان ذلك  
سيولد له أمر آ في القبض عليّ وحديسي فأخذت أداريه وأسكن منه وأطعن  
على ابي عبدالله البريدي وأزيد في الاستقباح لفعله وتجهيز رأبه الى ان انقطع  
الكلام . ثم أظهرت له انه قد ظهرت الحمى التي تجيشني وانه وقتها وقد جاءت  
فتمت فقال يا غلمان بين يديه . فركبت دابتي وحركت الى معسكري .  
وقد كنت منذ وردت وعسكري ظاهر البلد . ولم أنزل داراً . قال فحين  
دخلت الى معسكري وكان بالدير الاعلى لم أنزل وقلت لغلامي ارحلوا  
الساعة الساعة ولا تضربوا بوقاً واتبعوني : وحركت وحدي . فلحقني نفر  
من غلامي وكنت أركض على وجهي خوفاً من مبادرة ناصر الدولة اليّ  
بمكروه . قال فما عقلت حتى وصلت الى بلد في نفر قليل من اهل معسكري  
وتبعني الباقون فحين وردوا نهضت للرحيل ولم أدهم ان يُرخوا (١) وخرجنا  
فلما صرنا على فرسخ من البلد اذا باعلام وجيش لاحقين بنا فلم أشك ان اخي  
أنفذهم للقبض عليّ فقلت لمن معي تاهبوا للعرب ولا تبدأوا وحشوا السير قال  
فاذا باعرابي يركض وحده حتى لحق بي وقال أيها الأمير ما هذا السير  
المهث خادمك (دنحما) قد وافى برسالة الامير ناصر الدولة ويسألك ان تتوقف  
عليه حتى يلحقتك قال فلما ذكر (دنحما) قلت لو كان شرأ ما ورد (دنحما) فيه

(١) لعل صوابه : براحوا

فزلت وقد كان السير كدّني والحى قد اخذتني فطرحت نفسي لما بي .  
 ولحقني (دنحا) واخذ يعاتبني على شدة السير فصدقته عما كان في نفسي فقال  
 اعلم ان الذي ظننته انقلب وقد تمكنت لك في نفسه هيبة بما جرى وبعثني  
 اليك برسالة يقول لك « انك قد كنت جثني تلمس كبت و كبت  
 فصادفت مني ضجراً وأجبتك بالرد ثم علمت ان الصواب معك فكنت منتظراً  
 أن تعاودني في المسألة فاجيبك فخرجت من غير معاودة ولا توديع والآن  
 ان شئت فأقم بسنجار أو بنصيبين فاني منفذ اليك ما التمتست من المال والرجال  
 لتسير الى الشام .»

قال فقلت لدنحا تشكره وتجزيه الخير وتقول كذا وكذا . أشياء  
 واقفته عليها . وتقول : اني خرجت من غير وداع لخبير بلغني في الحال من  
 طروق الاعراب لعلمي فر كبت لالحقهم وتركت معاودة المسألة تخفيفاً .  
 فاذا كان قد رأى هذا فانا ولده وان تم لي شيء فهو له وانا مقيم بنصيبين  
 لا أنتظر وعده . قال : وسرت ورجع (دنحا) فما كان الا ايام يسيرة حتى  
 جاءني (دنحا) ومعه الف رجل قد أزيحت عنهم وأعطوا أرزاقهم ونفقاتهم  
 وعرضت دوابهم وبغالهم ومعهم خمسون الف دينار وقال هو لاء الرجال وهذا  
 المال فاستخر الله وسر . قال فسرت الى حلب وملكتهما وكانت وقائعي مع  
 الاخشيدية بمد ذلك المعروفة . ولم يزل بيني وبينهم الحرب الى ان اسفرت  
 الحال بيننا على ان أفرجوا لي عن هذه الأعمال وأفرجت لم عن دمشق  
 واستغنيت عنه وكل ذلك فسببه قتل عمك لأبيك .

أنشدني ابو علي الخاتمي فصلاً في رسالة عملها الى بعض الرؤساء في صفته :  
 أفكاره همم ابعاده نغم وعوده قسم تأمله عصم  
 الفاظه حكم اوطانه حرم الحاظه نغم (١) آلاؤه ديم  
 تبني الخلائق ان يحصوا فضائله ودون ذلك ما يستنفد الكلم  
 ولو أرادوا جميعاً كتم معجزه ابي له الله ما يأتون والكرم  
 تبني مجاراته في فعله شير (٢) قد قصرت عندهم (٣) عن لعبه الفقم  
 وكيف يسطاع فعل او يرام علا ما ليس يدركه الاوهام والفهم

\*\*\*

حدثني بعض الأهوازيين قال رأيت ابا الحسن المنبري الشامي الطائي  
 الشاعر بالأهواز على باب الحسين بن علي المنجم وهو عاملها يتردد مدة وكان  
 قد امتدحه قال فتذاكرنا شدة تلون (٤) اخلاق المنجم وجنونه ونواميسه (٥)  
 في وقت وعدوله عن ذلك في آخر ثم قلت له فأين أنت منه فقال ما آيس من  
 رده ولا أطمع في وعده قلت انا : وهذا كأنه مأخوذ من الأبيات التي هجا بها  
 الحسن بن رجا وهي مشهورة فلذلك لم أوردها على جهتها والاخير (٦) من  
 الأبيات وهو :

لكنها خطرات من وساوسه بعطي وينع لا بخللاً ولا كرماً

\*\*\*

(١) لعله : نغم . (٢) لعله : بشر . (٣) لعل صوابه : عنهم عن كعبه البؤم .  
 (٤) بالاصل : تكون . (٥) لعله : تأنسه . (٦) لعله : الا الاخير .

حكى لي عن بعض الصالحين في إخراج السرقة قال تأخذ قدحاً فيه ماء وتأخذ خاتماً فتشده فيه بشعرة وتدليه في القدح وتكتب خمس رقاع فيها أسماء المتهمين بالسرقة وتكتب «السارق» في القدح وتضع رقعة تكتب فيها اسم من تتهمة على حرف القدح وتقرأ عليه ( وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلّة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلمكم نتقون . ) فاذا ضرب الخاتم القدح نظرت في الرقاع (١) فان السارق هو صاحب الاسم وان لم يضرب القدح فتضع أخرى فان السارق هو اذا ضرب . وقال لي في الأبق تكتب فاتحة الكتاب مدورة وتكتب في وسطها : ( كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ) اللهم اجعل الارض علوها وسفلها وسهلها وجبلها وبرّها وبحرها في قلب فلان بن فلان أضيّق من مسك شاة حتى يرجع .

\*\*\*

نذاكرنا في مجلس ببغداد حضره ابو علي بن محمد بن منصور الشاهد المعروف بابن كردي حديث غلبة النساء على الرجال الا الثفر من الرجال فقال لي ابو علي كان لنا شيخ فاضل من اهل القطيعة (٢) كان يضرب لنا في هذا مثلاً فيقول : ان في جهاز العروس الى زوجها سرجاً ولجماً فاذا انقضت ايام العرس : إن سبق الرجل فأسرج المرأة ووضع اللجام في رأسها وركبها ملك

(١) لعله : الرقعة . (٢) القطيعة اسم لعدة أما كن في بغداد .



عليها امرها . وان تراخي لحظة وضمت هي السرج على قفاه واللجام في فيه  
فركبته فلم تنزل عنه الا بطلاق او موت .

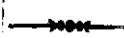
\*\*\*

حدثني ابو الفضل محمد بن عبيد الله بن المرزبان الكاتب الشيرازي قال  
حدثني سهل بن نظير اليهودي الجهبذ قال حدثني جدي سهل بن نظير وكان  
يتجهذ للوزير على قدم السنين منذ ايام الفتنة والى ان مات قال لما نكبت  
عبيد الله بن سليمان بعد نكبته (١) للموفق النكبة العظيمة كنت اتوسم فيه  
الرفعة وعلو الحال فكنت احمل الى عياله في كل شهر مائة دينار وهو في  
الجلس ثم اطلق فكنت احملها اليه الى ان ولي الوزارة فعرف لي ذلك وبلغ  
بي كل مبلغ وشكرني عليه ام شكر قال ثم ان عبيد الله نكب جرادة  
الكاتب وكان قد جرت له عليه الرياسة وعلى الناس والروضاء وكان له  
احسان سالف الي كثير فكنت احمل الى عياله في كل شهر مائة دينار واحدر  
به الى البصرة قال فبلغ ذلك عبيد الله بن سليمان وانا لا اعلم فدخلت اليه يوماً  
فقال لي ياسهل بارك الله لك في عداوتنا قال فقلت له ايها الوزير من انا  
حتى اعاديك وانا اخس كلب بيا بك قال واكثر التنصل والتهيب وبكيت  
وقلت ياسيدي ما هذا الكلام ان كان شي رقي الى الوزير ايده الله عني  
واقفني عليه ولعل عندي فيه حجة او برهاناً على بطلانه قال فقال لي تحمل الى  
عيال جرادة في كل شهر مائة دينار قال فقلت ايها الوزير انا ما فعلت هذا ولا

(١) لعله : وزارته .

تجاسرت عليه انما فعله الرجل الذي كان يحمل الى عيال الوزير ابده الله مائة  
دينار في كل شهر رعاية لحق احسانه اليه فرعى لجرادة احساناً له اليه ايضاً  
فحمل اليه مثل ما كان يحمل الى عيال الوزير ابده الله فاحمرّ وجهه خجلاً  
واطرق وسكت ملياً ثم تصبب وجهه بالعرق وقلت قبض والله علي ونكبني  
قال فاسقطت فرفع رأسه وقال احسنت يا سهل ماترى بعد هذا مني منكراً  
ولا بتي في نفسي عليك شي فاجرهم على رسمهم ولا يوحشك ما خاطبتك به .

« البقية تأتي »



## آراء وافكار

— ( ) —

### الفاظ عربية في اللغة الارمنية

وفقت بعد بحث طويل الى جمع ما يقرب من ١٥٠٠ كلمة من اللغة الارمنية وجدت بينها وبين طائفة من الكلمات العربية مشابهة في لفظها ومعناها وهذا العدد عظيم بالنسبة للغة الارمنية التي لا يتجاوز عدد كلماتها ٢٠٠٠٠ كلمة هو دليل مقنع على ان الشعبين العربي والارمني كانا يقطنان قبل التاريخ بقاعاً واحدة . ويتكلمان لغة ابتدائية واحدة . ودليلنا على صحة هذه النظرية ان البشر في حالتهم الاولى كانوا لا يملكون من اللغة الا الكلمات الضرورية التي تفيدهم في حاجاتهم البسيطة : كالأكل والشرب والفاظ العقيدة وهذه الكلمات التي استعملها العرب والارمن في زمن وحدتهما في الازمنة المتويزة في القدم بقيت الى الآن مشتركة بينهما بالفاظها ومعانيها .

وهاء نذا أقدم نماذج من تلك الكلمات المشتركة ليطلع عليها علماء اللغة العربية وعسى ان أكون ادبت بذلك بعض الواجب علي في خدمة اللغات السامية .

الارمنية <sup>(١)</sup>	العربية	معناهما في اللغتين
ح اث	حث	الخبز القفار
وارت	ورد	ورد
ذب ال	الذب	كثير الحركة
غ اراس	خرس	ابريق او جرة

(١) قد اثبتنا الكلمات الارمنية بحروف عربية لعدم وجود حروف ارمنية في مطبعتنا

ولتسهيل امر المقارنة بين كلمات اللغتين .

معناها في اللغتين	العربية	الارمنية
نسيج	وصد	ووصد
الزمن الطويل ( قرن )	دهر	ت آر
همس في قلبه وسواساً	همزه	هاموز
خاط	درز	ت رز
حد السيف او السكين	حد	ح اد
ضد البرد	حر	حر - حور
صار خداعاً	خب	خ اب
موضع المبيع والشراء	سوق	شوق ا
قبیح المنظر	شنع	ش ين ع
ضد الكذب	صدق	ص دوق
سريع التأثير في البرد	صرد	ص ورد
الميل العوج	صور	ص ور
الامساك عن الطعام	صوم	ص وم
ارتفع في الهواء	طار	ط ار
زوجة	عمرس	ع ار ص
توقد عليه من الغيظ	وغر	ووخر
ما يجعل في العجين ليختبر	خمير	خم ور
ذليل	وضع	واد
يبس العشب	عئثة	ع و ن ث
انساف	انس	ان س
ضد العجلة	عوق	ع وق
فك	حل	ح ال
حسن	بهي	وا ه
استغاث	غوث	غو ث

قذّر	قذع	قوزوت
الجلد اليابس	قشع	قاشى
قتل الشيء	قلد	قيل دو
تفقد بالبصر	قن	قنن
المخلوط من الأخلاق	دغمري	دغم ار
مال الى الباطل ، جنابة	حنث	حانث
بخل	كوز	كزوى
كيس الدراهم وغيرها	كيس	كيس
كل واحد معه آخر من جنسه	زوج	زوك
انحرف	زور	زور
شجر يقتدح به	سرخ	مارخ
متورد	سرد	مارد
سفا السنبيل	سرق	موروق
قل لجه	مشل	ماشيل
شديد العضل	ميز	ميس
الفاسد	نفل	ناغىل
الفصن الناعم لسفته	مخوط	مخوط
ضعيف نحيل	هنل	هوزال
الجلل	أهط	اوهود
هبوب الريح	هف	هوه
رعد السماء	رعد	ورود
الارض	ارض	ارض
ما يس الجسد من اللباس	شعار	شور
الشابة الناعمة	رودة	اورورت

## مجلس إحياء المعارف النعمانية « في الهند »

الفنا لجنة علمية دعوناها ( مجلس إحياء المعارف النعمانية ) بمعاونة لفيف من العلماء والغرض منها طبع المصنفات لمقدمي الاحناف مثل الامام ابي حنيفة وصاحبيه وحسن بن زياد والطحطاوي والخصاف والكرخي والخصاص وغيرهم من الاعلام الذين لم تطبع كتبهم بعد ولم تقصد من وراء ذلك الا نشر الدين وليس القصد التجارة . وقد وفقنا الله الى طبع كتابين ( الأول ) كتاب العالم والمتعلم للامام ابي حنيفة و ( الثاني ) شرح الصدرالشيدي على كتاب ( نقات الخصاف ) ونحن اليوم في صدد طبع الجامع الكبير والمبسوط والزيادات خاصة ولدينا نسخ من هذه الكتب غير ان زيادة التنقيح والتصحيح تقتضي الحصول على نسخ أخرى وقد ظفرنا بنسخة من المبسوط ونسخة من الجامع الكبير ولم نوفق الى الآن الى نسخة من الزيادات ونرجو من اعضاء المجمع العلمي وغيرهم من اهل الفضل ان يرشدونا الى مواطن الكتب التالية :

مصنفات الامام ابي يوسف كالأمامي والجامع ، اختلاف الامصار ، المبسوط ، سند الامام له ونوادره رواية بشر بن الوليد . ومصنفات الامام محمد كالمبسوط ، الجامع الكبير ، الزيادات . زيادات الزيادات . السير الصغير . السير الكبير . كتاب الصلوة . الأمامي اي الكيسانيات . الهارونيات . الجرجانيات . العمريات . الرقيات . ومسند الامام ابي حنيفة له ونوادره رواية تلاميذه : ابي سليمان — ابن سماعة . ابن رستم . المعلى . هشام . وكتاب الحججة على اهل المدينة له وغير ذلك . ومصنفات الطحاوي كالمختصر له — اختلاف العلماء . احكام القرآن وغيرها . ومصنفات الكرخي : مختصره شرحه للجامع الصغير والكبير وغير ذلك — ومصنفات الخصاف نحو كتاب أدب القضاء له وغير ذلك . ومصنفات الجصاص مثل شرحه على الجامع . وشرحه على مختصري الطحاوي والكرخي واصوله وغير ذلك . وكتاب العلل ويقال له الحجج لعيسى بن ابان . وكتاب الحجج لبشر بن غياث الريس . وغيرهم من الاعلام .  
وتهمنا هذه الكتب وامثالها والوقوف على طريقة الحصول عليها وخاصة كتاب الحججة

على اهل المدينة والمبسوط والجامع الكبير والزيادات . وكتاب الحجة وان كان قد طبع في الهند قبل خمسين عاماً الا ان فيه بياضات واغلاطاً وتقدماً وتأخيراً وتكراراً فان وجدت نسخة صحيحة منه نعمل على طبعتها ونشرها .

ابو الوفاء

رئيس اللجنة والمدرس بالمدرسة النظامية

في حيدر اباد الدكن (الهند)

حارة شلي كنج

(المجمع) نذكر في ما يلي طائفة من المصنفات المذكورة الموجودة في دار الكتب الظاهرية ليطلع عليه الاستاذ ابو الوفاء ونرجو من اهل الفضل ان يكتبوا اليه بعنوانه المذكور بما لديهم من اضر امثال هذه المصنفات :

(١) الجامع الكبير في الفتاوى : تأليف الامام محمد بن حسن الشيباني المتوفى سنة ٨٩ هـ : نسخة في ٤٣٢ صفحة كبيرة بنقص من اولها ورقة واحدة كتبت سنة ٧٦٦ بخط معتاد

[رقم ١١٢]

(٢) الجامع الصغير : للامام محمد والموجود منه ثلاث نسخ الاولى كاملة في ٤٧٥ صفحة كتبت سنة ٧٦٠ وفي هذه النسخة اوراق كتبت بخط حديث [رقم ١٠٩] .

(٣) النسخة الثانية في ٥٨٠ صفحة كبيرة كتبت بخط فارسي وعليها تعليقات وهوامش

[رقم ١١٠] .

(٤) النسخة الثالثة غير كاملة في ٣٣٢ صفحة ناقصة من آخرها كتبت بخط نسخ [رقم ١١١] .

(٥) شرح الجامع الكبير : للامام محمد بن الحسن المتوفى سنة ١٨٩ يوجد منه مجلد

واحد يتندي من كتاب البيوع وينتهي بباب الايمان كتبت بخط تعليق [رقم ١٥٨] .

(٦) شرح الجامع الصغير : للامام محمد ايضاً والشرح لبرهان الدين امام الحرمين

في ٤٦٠ صفحة صغيرة بخط سعيد بن محمود الرازي سنة ٥٨٥ [رقم ٣٧٣]

(٧) شرح السير الكبير : للامام محمد ايضاً والشرح لشمس الأئمة ابي بكر محمد بن

احمد بن ابي سهل السرخسي المتوفى سنة ٥٤٩٠ نسخة في ٧٧٢ صفحة متوسطة القطع نفيسة

الخط محلاة بالذهب [رقم ١١٥] .

وهذا الكتاب طبع مؤخراً في مطبعة حيدر آباد الدكن في الهند .

## مطبوعات حديثة



تحاف اعلام الناس

«بجمال أخبار حاضرة مكناس»

تصنيف مولاي عبد الرحمن بن زبدات طبع في المطبعة الوطنية برباط الفتح

سنة ١٩٣١ في ٦٠٠ صفحة

(جزؤه الثالث)

هذا الكتاب النفيس وان كان عنوانه (اخبار مكناس) هو في الحقيقة تاريخ مملكة مراکش بمجموعها فالمؤلف بصورها في مختلف عصورها للقاري كأنه يراها وقد صدر منذ حين الجزآن الأولان منه ثم صدر جزؤه الثالث في هذه الأيام وهو يشتمل على تراجم كثيرين من علماء تلك الديار ويقتلها تراجم بعض ملوك مراکش فان ملوكها بكادون يتنازون على سائر ملوك الاسلام باشتغالهم في العلوم الدينية على طريقة العلماء المعروفة وآخر من اشتهر منهم مولاي عبد الحفيظ ملك مراکش السابق . وقد نشر المؤلف في هذا الجزء وثائق تاريخية مما يتعلق بالشؤون المراكشية الداخلية ووثائق أخرى خارجية تتعلق باسبانيا وفرنسا والدانمارك وهي منشورة بصورها الفوتوغرافية على غاية الضبط والجمال عدا الصور والرسوم التاريخية الأخرى : من ذلك صورة تمثل سفير الدانمارك وهو داخل على سلطان مراکش مولاي محمد . وصورة تمثل سفير الانكليز كذلك . وصورة كتاب باللغة الافرنسية من ملك فرنسا لويس السادس عشر يبشر السلطان بولادة ابن له وكتاب آخر من نابليون الثالث يعزي سلطان مراکش بوفاة والده . وكتاب من اسرى الاسبانيين المسجونين في احدى قرى السوس . الى غير ذلك من الصور والوثائق التي تصف الحالة السياسية والادارية في بلاد مراکش مما كان له تأثير كبير في ضعفها واستيلاء الأجنبي عليها . وقد الحق



بالكتاب عدة فهارس للتراجم وللإعلام التاريخية والجغرافية . والكتاب حسن الورق والطبع لكن الأغلط فيه كثيرة كسائر ما يطبع في الأقطار المغربية ومع عناية المطبعة في تصحيح الأغلط بنشر جدول خاص في آخر الكتاب لمنا غلطا أخرى كثيرة العدد نفسى ان ينتبه ارباب المطابع ثمة الى تدارك هذا التقصير في مطابعم وقد ذكرنا ان مما نشر في الكتاب صورة كتاب ارسله لويس السادس عشر الى سلطان مرا كس هينؤه بولادة ابن له والكتاب نشر باللغة الافرنسية وهذه ترجمته العربية :

« من عظيم النصارى ملك فرنسا الى عظيم المسلمين ملك مرا كس والمغرب سلاماً وبعد فان المولى جل جلاله حقق امنيتنا وامنية فرنسا فرزقنا اميراً وضعته والحمد لله الملكة زهجتنا العزيزة وقرينتنا وقد بادرت باعلامكم بهذا الحادث العظيم الذي يضمن السعادة لرعيثنا ويخلد هذه العائلة الملوكية وانا تمحقق انكم ستتلقون هذا النبأ الذي يسر عائلتنا المشهورة ورعيثنا بكل سرور لما بيننا من روابط المودة وان السرور الذي ستقابلون به هذا الحادث سيكون شاهداً جديداً على ما بيننا من الصداقة المؤبدة وانا ندعو لكم ولملككم بالنصر والعافية والرفاهية ونطلب من الله ان يجرسكم بنبايته اه » .

والكتاب نشرت فتوغرافيته باللغة الافرنسية وقد كتب بخط دقيق جداً وهو لا يتجاوز خمسة الاسطر ولا يكاد يقرأ .

هذا وان تاريخ مكساس طرفة من طرف العلم التي اتحفنا بها مولاي عبد الرحمن لا يستغني عنها مؤرخ ولا سيما المتخصصين في تاريخ علاقة الشرق بالغرب في العصور الأخيرة تلك العلاقة التي هي اساس الحالة السوآى التي نحن عليها معشر الشرقيين .

« المغربي »

## نظرات الشورى

« في الأحوال الشرقية الحاضرة . وهو يقع في ٢٦٠ صفحة من القطع »  
 « المتوسط . تأليف الأستاذ محمد علي الطاهر »

صاحب جريدة الشورى الأستاذ محمد علي الطاهر من ذوي العقيدة الراسخة الناصرين  
 لحزبهم السياسي اشد النصر والطاعنين في اعدائه بلا هوادة . وقد اصدر هذا الكتاب  
 اثناء احتجاب « الشورى » وضعه احاديث وحوادث سياسية واجتماعية وادبية في كثير  
 منها فائدة وطلاوة ونكات مستلحة . ولو جوزنا لمجلة المجمع العلمي ان تبحث في الأمور  
 السياسية لقرظنا هذا الكتاب بما يستحقه لأن معظم الجاهل في السياسة الحاضرة ورجالها .  
 وربما رأى بعض الناس ان كثيراً من ابحاث الكتاب تصلح للجرائد اليومية ولا  
 تستحق النشر في الكتب اما انا فأرى انهم غير مصيبين فيما ذهبوا اليه لأن بعض الحوادث  
 التي تبدو صغيرة تكون في الحقيقة صورة صادقة لبعض الأوضاع الاجتماعية والأخلاقية  
 والأدبية كالحوادث التي نضمنها (نشوارالمحاضرة) للتنوخي وكالنكتة الآتية التي تدل على  
 كثرة الجرائد في بلادنا ووفرة محترفي حرفة الصحافة عن جدارة او عن غير جدارة وقد  
 اوردناها مثلاً لأشبابها مما حواه كتاب « نظرات الشورى » قال المؤلف :

« كان بعض الأصدقاء يسرون بالقدس وكان الموضوع كثرة الجرائد التي تُرمى  
 على الناس فقال الأستاذ احمد حلمي باشا مدير البنك العربي بالقدس انا مشترك في جريدة  
 كذا وجريدة كذا ومجلة كذا الخ ولكن يصلني أكثر من ثلاثين جريدة ومجلة برغم اني .  
 فقيل له وكيف ذلك يا باشا ؟ فقال لأن الجرائد الأخرى التي لم اشترك بها قد  
 اشتركت بي ! »

فهذه النكتة الصغيرة اجمل صورة لموضوع اجتماعي مهم ولا يمكن ان يختلف في  
 جمالها اثنان اما في السياسة فن البديعي ان الصور التي بصورها الاستاذ المؤلف مستقيمة  
 يراها خصومه في السياسة مقلوبة . والعكس بالعكس . وهذا مالا شأن لنا به في هذه  
 المجلة .  
 مصطفى الشهابي

## الخزف الشامي العراقي « في القرن الرابع عشر »

للمسيو سوفاجه : عدد صفحاته ٢٦ وعدد لوحاته المصورة ٤٩ طبع باريز

سنة ١٩٣٢

Jean Sauvaget - Poteries Syro - Mésopotamiennes du XIV<sup>e</sup> Siècle; 26 Pages et 49 Planches . Paris 1932.

بدأ نشاط المعهد الافرنسي الفني بدمشق يتجلى للعيان منذ تولت إدارته يد مخلصه وهو يضم اليوم نخبة من الشبان الافرنسيين العاملين يشتغل كل منهم في نطاق اختصاصه وهم يتفنوننا من حين الى آخر بثمرات جهودهم في الابحاث العلمية والتاريخية المتعلقة بالبلاد السورية . والمسيو سوفاجه هو احد هؤلاء العاملين في خدمة الآثار الاسلامية في بلادنا فقد ضمن كتابه هذا بحثاً عن طائفة من الخزف الاسلامي المطبوع المعروف بالخزف الشامي العراقي وقد صنفاها بحسب أنواعها مستميناً بمجموعة من هذا الخزف عثرت عليها في دمشق وهي محفوظة في المعهد الافرنسي المذكور . وقد ادلى بنظرية جديدة بالاعتبار توضح لنا تاريخ تسرب هذا النوع من الخزف العراقي الى دمشق وبقية المدن الشامية البعيدة عن الحدود العراقية مستنداً الى العوامل التاريخية التي اوجدته ويرى ان هذه الصناعة قد حملها بعض سكان مدن الفرات الشامية الذين التمسوا الى داخلية البلاد فراراً من جموع التتر التي تقدمت من العراق الى بلاد الشام في اوائل القرن الرابع عشر للميلاد .

جعفر الحسني

## البيت الشامي

« في حوران ووادي بردى وجبل قلمون »

المسيور . تومن — عدد صفحاته ٣٩ وعدد لوحاته المصورة ٣٥ مع خارطته

طبع باريس سنة ١٩٣٢

R. Thoumin - La Maison Syrienne dans la plaine hauranaise ,  
le bassin du Barada et sur les plateaux du Qalamun. 39 pages  
avec 35 planches et une carte. Paris 1932 .

وهذا الكتاب هو الجزء الثاني من مطبوعات المعهد الافرنسي في دمشق ضمنه المؤلف بحثاً عن دور سكان القرى في العهد الحاضر في حوران ووادي بردى وجبل قلمون ووصف تقاسيم هذه الدور ومواد بنائها في كل من هذه المناطق بوضوح يتجلى من الرسوم الجميلة التي زين بها الكتاب . وسيصح هذا البحث وثيقة للمستقبل عن حالة البناء في هذه المناطق لان هذا النوع من البناء سيندرثر قطعاً ليحل محله طرائق جديدة في البناء تجمع بين الطراز الشرقي والطراز الغربي كما هو الحال في معظم قرى لبنان .

وقد ذكر المؤلف في ص : ٢ : س : ٢٥ ( عسال الورد ) وصوابه ( عسال الورد )  
وذكر أيضاً في اللوحة العاشرة ( شكل ٢ ) مدرسة ( السباعية ) وصوابه المدرسة ( السباهية ) ٤

جعفر الحسيني



## اصلاح سهو

ذكرنا في الكلام على طوق الحمامة لابن حزم ( م ١٢ ج ٤ ص ٢٢٥ ) ان المؤلف لم  
يشر الى اسم الطابع الأول لهذا الكتاب والحقيقة انه اشار اليه وذكر طرقاً من مقدمته  
وهنا لا بد من شكر الطابع على عنايته في نشر هذا السفر ونرجو ان يوفق الى طبع كثير  
من الكتب النافعة .



## الثقالة و الثقلاء (١)

ما كان ينبغي أن أنقل عليكم أيها السادة بمحدث هؤلاء الثقلاء . الذين نخبّت منهم الارض والسماء . ولا أن أهتم بجمع اخبارهم ولا تهجيكم من ضرب أطوارهم — لولا اني رأيت كبيراً من علماء السلف أفردم بالذكر في مؤلف خاص سماه ( كتاب الثقلاء ) . وقد جمع فيه زبدة من آراء مفكري العرب في ما هي الثقالة . ومن هم الثقلاء ؟

فالكتاب صفحة من تاريخ أدبنا القومي الاخلاقي ومؤلفه كغيره من علمائنا الأقدمين الذين اهتموا بجمع أخبار فئات من الناس شاذة في بعض جوانب اخلاقها ومناحي طباعها . فهذا الجاحظ جمع لنا أخبار ( البخلاء ) كما جمع في كتاب آخر أخبار ( اللصوص ) . وابن الجوزي صنف في أخبار ( الحمقى والمغفلين ) . والخطيب البغدادي وصف لنا في كتاب خاص أحوال ( الطفيليين ) الذين يغشون الولاثم من دون دعوة .

وكل هؤلاء العلماء لم يهتموا بهذه الطبقات من الناس إحياءً لذكورهم . أو تهجياداً لقدومهم . وإنما كان غرضهم إعطاءنا دروساً في أخلاق السوء التي كانت عليها هذه الفئات المأفونة فتقاهما . ونظّموا أنفسهم من أدبائها . على حد قول الشاعر :

( عرفيت الشر لا للشر — بل لكيف لتوقيه )  
( ومن لم يعرف الخير من الشر — يقع فيه )

إذ لا ينبغي عليكم أيها السادة أن ساحة هذا الوجود تشبه المسرح الذي تُتمثل عليه الروايات . قوم يمشون وقوم نظّارة : يشاهدون ثم ينصرفون .

(١) هي المحاضرة التي القاها الاستاذ المغربي في ردهة المجمع العلمي مساء يوم الجمعة الواقع في ١٨ كانون الأول سنة ١٩٣١ .

وكذلك آحاد الناس على مسرح هذه الكائنات: يمثل قوم وينظر آخرون اليهم . حتى اذا انقضي دورهم صعد الى المسرح من يمثل دوره مكانهم ثم يخلفه غيره وهكذا . ولا يوجد في هذا العالم أحد لم يمثل دوراً يتحدث عنه الناس مستحسنين أو مستهجنين . والغرض من مشاهدة التمثيل سواء أكان على المسرح (التياتري) الصغير . أو على المسرح العالمي الكبير انما هو العظة والاعتبار . يرى المرء الحسنه فيرغب فيها . ويرى السيئة فينفر منها : فالوفيق هو الذي اذا نظر الى الممثلين اتعظ واعتبر . والمخذول من تمر به العبر . فلا يكون له حظ منها سوى النظر . حتى اذا مثل دوره فبج مثلاً . واضهى في الحماقة أو الثقالة آيةً ونكالا .

ومثل ذلك يقال في تأليف كتب الأدب والتاريخ واخبار الناس وما نصمته الأسفار المقدسة من القصص والمواعظ والأمثال — كل هذا إنما أريد منه عرض صور الممثلين الماضين على انظار الممثلين الآتين . فيعيد كل منهم تمثيل دوره . ويتجنب خطيئات غيره : فابن الجوزي الذي عرض تحت مواقع أبصارنا ما مثل له الحمقى والمغفلون من الأدوار الضحكة إنما اراد أن يحمّلنا على الانتباه لأنفسنا فنطهرها من الحماقة في حركاتها وسكناتها . وهو في عمله هذا عامل بأداب القرآن . لأن القرآن أرشدنا الى الاعتبار بأفعال الحمقى . وحذّرنا أن نكون مثلهم . وأن نأق من الأعمال مآتهم . فقال تعالى : ( ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا ) اي لا تنقضوا عهودكم وتكونوا كمثل المرأة المتناهية في الحمقى ( وهي ربيعة بنت عمرو من نساء مكة ) . كانت تنسك في غزلها هي وجواربها حتى اذا أحكت فتله . عمدت اليه فنقضته أنكاثاً . أي خيوطاً غير مفتولة .

ولا يخفى أن الوحي الآهي لم يقصد من ذكر قصة ( ربيعة ) المذكورة إضماراً كنا وتسليناً . وانما قصد إرشادنا وتزيتنا .

وكذلك شأن أولئك المؤلفين . في ما قصوه علينا من أخبار الحمقى والمغفلين ومثلهم مؤلف ( كتاب الثقلاء ) الذي جعلناه موضوع محاضرتنا اليوم .

وقد حلل شارح القاموس كفي ( الثقالة والثقل ) وأشار الى كتابنا هذا اي كتاب الثقلاء فقال معلقاً على قول القاموس ( وثقال الناس وثقلاؤهم من تكره صحبته الناس ويستثقلونه ) — ما نصه ( وواحد الثقلاء ثقل يقال أنت ثقل على جلسائك . وما أنت

الاثقال الظل . بارد النسيم . ويقال : مجالسة الثقيل تعني الروح . ومن أبدع ما أنشدنا في الثقل بمض الشيوخ :

( وثقيل قال صفي قلت أيش فيك أصف )

( كل ما فيك ثقيل حل<sup>(١)</sup> عني وانصرف )

وقال الراغب : الثقيل في الانسان يستعمل تارة في الدم وهو أكثر في التعارف . وتارة في المدح نحو قول الشاعر :

( تحف الأرض إمازلت عنها وتبقى ما بقيت بها ثقيلا )

( حللت<sup>(٢)</sup> بمستقر العز منها فتمنع جانبيها أت بيلا )

وقد ألفت في اخبار الثقلاء كتاب اه كلام التاج .

ونحن اليوم نستعمل كلمة الثقيل في الدم واذا أردنا المدح حرفناها وقلنا فلان (ثقليل) بالثناء المفضحة كالطاء نريد انه وقود رزين .

\*\*\*

في المكتبة الظاهرية طائفة من الجمايع المخطوطة . تحتوي كل مجموعة منها على عدة رسائل مختلفة في أبحاثها . متنوعة في موضوعاتها . وقد كنت يوماً أتقب في هذه الجمايع وأتصفح ما أودعته من الرسائل . واذا بي أمام رسالة عنوانها (الثقلاء) فأول ما خطر ببالي أن الثقلاء . هم إخوان الحمقى والبخلاء .

فلا جرم أن تكون النتيجة من دراسة أحوالهم واحدة . واذا قد طبعت المصنفات عن (الحمقى) وعن (البخلاء) . وعرفت أطوارهم . وشاعت بين الناس أخبارهم فلا يحسن أن نجس إخوانهم (الثقلاء) حقهم . فلا نعلن أمرهم . ولا نذيع سرهم . فرأيت من

(١) قوله ( حل عني ) كذا بالحاء المهملة ولعل صوابه ( حل عني ) بالمهملة على أن عامتنا اليوم يقولون — اذا استثقلوا مخاطباً — « حل عنا يا » بالحاء المهملة .

(٢) قوله حللت الخ ويروى (لأنك موضع القسطاس منها) واذكر أن هذين البيتين للناطقة قالها في النعمان وقد لاموه على مخاطبته الملك بكلمة (ثقليل) حتى اضطر الى تغيير الشطر .

وفاء الذم أن أصطنع من مضمون هذا الكتاب أعني ( كتاب الثقلاء ) محاضرة : ألقى فيها في هذه الردهة . كما كنت منذ سبع سنوات . ألقى فيها محاضرة عن ( الحمقى والمغفلين ) .

\*\*\*

وكتاب الثقلاء أيها السادة في نحو عشرين صفحة . صغيرة القطع . قديمة الخط . كالمدة اللون . قد تكون كُتبت في القرن السابع للهجرة . وهي ضمن مجموعة رسائل محفوظة في دار الكتب الظاهرية تحت رقم ( ١٨ ) في قسم الجوامع . وفي النسخة أغلاط وتمازيف كثيرة . وقد لحقتها رطوبة في أوساط صفحاتها . فتلاصقت وانسجبت وتفسّرت . ولما شققتها وباعدت بعضها عن بعض فسد كثير من كلماتها في مكان الالتصاق فكان أحياناً يغيب معنى الجملة . ويتبع ذلك إيهام وغموض في أصل القصة التي جاءت فيها تلك الجملة .

والثقلاء وان كان الناس يمتقنونهم ويتعجبون ذكراً بل ذكر أسمائهم أحياناً فان السلف الصالح رضي الله عنهم اهتموا بهم وثبتوا في نقل أخبارهم الى حدّ الورع : فهم لم يذكروا لنا تلك الأخبار كيفما اتفق . وانما ذكروها بطريق الرواية والسند . كما اذا كانوا يروون أخبار أنبياء مرسلين . لاثقلاء ممقوتين . بل الأمر أعظم من ذلك فإن رسالة ( الثقلاء ) هذه رويت عن مؤلفها بعدة طرق : فقد وجد في أولها وآخرها ما يفيد أن ( الحسن بن عمار ) قرأها على ( اسماعيل بن جلدك ) القلانسي . وأجازها بها . وأن ( علي بن مظفر ) قرأها عليه ايضاً مرة على افراد . ومرة مع جماعة . وذلك سنة ٦٤١ للهجرة .

أما ( اسماعيل بن جلدك ) فروى الرسالة عن ( ابن منصور بن مكارم ) المؤدب سنة ٥٨٥ للهجرة . وابن مكارم رواها ( سنة ٤٨٣ هـ ) عن جماعة : فهم ( علي السراج ) و ( الحسين النجار ) . وهؤلاء رووها عن ( هبة الله السمان ) . وهبة الله رواها عن ( الحسن الآدمي ) والحسن الآدمي رواها عن مؤلفها ( ابن المرزبان ) سنة ٢٨٠ للهجرة .

أرأيتم ياسادتي مبلغ اهتمام سلفنا الصالح بالثقلاء . ومقدار ما تعجبتموا من الثقلة في جمع أخبارهم ؟ وتخييص رواياتهم .

ثم أباكون هذا شأن سلفنا الصالح في العناية بهم ونحن نزهد فيهم . ونعرض عنهم ولا نسمع بساعة واحدة من وقتنا في استماع رواياتهم . والاستفادة من دراسة ثقالاتهم .



أما مؤلف كتاب (الثقلاء) فهو من علاننا الثقاة الاقدمين . ذكره صاحب كتاب (شذرات الذهب . في اخبار من ذهب) . وشذرات الذهب مخطوط<sup>(١)</sup> من أنفس مخطوطات (المكتبة الظاهرية) .

قال مؤلفه (وفي سنة ٣٠٩ للهجرة توفي ابو بكر محمد بن خلف بن المرزبان البغدادي الاخباري صاحب التصانيف . روى عن الزبير بن بكار وطبقته . وكان صدوقاً . والمرزبان كلمة فارسية معناها (حارس الحدود) . اهـ : (مر) حد و (زبان) بمعنى حارس او محافظ .

وقد لاحظت في مخطوطة (الثقلاء) اموراً تدل على قدم المخطوطة واتصالها بالأولين من علاننا .

من ذلك، ان جملة (صلى الله عليه وسلم) التي تذكر عقب اسم سيدنا الرسول لا تكتب في المخطوطة الا مرموزاً اليها بحروف اربعة : الصاد (من صلى) واللام (من الله) والياء (من عليه) و(الواو) (من وسلم) هكذا (صليو) لا بكلمة صلعم كما نفعل نحن اليوم .

وقد رأيت في (رسائل اخوان الصفا) رمزاً للتصليمة بحروف ثلاثة فقط وهي (صلعم) متصلة من دون ميم . اما (صلعم) فيظهر أنها اخترعت في حدود التسعمائة للهجرة : جاء في شرح الفية العراقي في مصطلح الحديث عند قول الناظم : (واجتنب الرمز لها والحذف) أي اجتنب الرمز للتصليمة النبوية وحذف حرف من حروفها وانما ائمت بها في النطق والكتابة كلها . ثم ذكر شارحها الشيخ زكريا الانصاري أن الشيخ (النوي) نقل اجماع من يعتمد بهم على سنينة الصلاة على النبي نطقاً وكتابة اذن لا يكون من السنة أن يرمز اليها بحرف ما .

ثم ذكر الشيخ الانصاري أن الكاتب الذي كان أول من رمز للتصليمة بحروف (صلعم) قطعت يده والياض بالله تعالى . ولا يخفى أن الشيخ زكريا الانصاري توفي في القرن العاشر للهجرة (٩٢٦) هـ .

\*\*\*

(١) شرعوا في طبعه بمصر وقد طبع منه الى اليوم ست مجلدات .

رجع من وصف ( كتاب الثقلاء ) الى وصف ( الثقلاء ) أنفسهم فنقول :  
 (الثقالة) لغة من صفات الاجسام ثم أجدثوا لها اصطلاحاً وجعلوها من صفات الارواح .  
 والروح في أصل خلقتها . ومحض جوهرها ألطف شيء في الوجود ولذا يسميها بعضهم  
 ( اللطيفة الربانية ) . لكن قد يعتري هذه اللطيفة حالة مرضية تجعلها غير لطيفة ولا  
 مرضية بحيث يصبح الانسان الذي يجالسها أو يكلمها أو يشاهدها — كما نأملت نفسه من  
 ثقالتها جبلاً راسخ الأساس . أو كأن أحد الناس ضغط على أعضائه فأخذ منه الأنفاس .  
 فالثقالة المحقونة هذه تكون في روح الثقيل لاني جسمه . بل كثيراً ما يكون جسمه  
 شخصياً خفيفاً قليل الجرم . ومع هذا تشعر النفس بثقله . وعلى العكس يكون الرجل أحياناً  
 بادناً لهماً ضخم الجسم لكن تكون روحه خفيفة الحمل . لطيفة الظل .

وقد لاحظ علماء الأخلاق أن خفاف الروح يكونون في الغالب سماتاً ضخام الاجسام  
 فما علاقة خفة الروح والدعابة بضخامة الابدان ؟ سر ذلك ما زال مجهولاً .  
 أما الثقالة ولماذا تكون في ارواح بعض الاشخاص دون بعض — فقد ذهبوا في  
 تعليل ذلك ( بيسكولوجياً ) كل مذهب :

فقال بعضهم : إن الثقالة عدوى واكتساب : فالثقيل يعدي الثقيل . كما أن  
 الأجرع يعدي الأجرع . ولو صح هذا لوجب على الحكومة أن تلقي حجراً صحيحاً على  
 الثقلاء . وهذا غير مستطاع .

وقال آخر : إن الثقالة ناشئة عن تأثير البيئة والوسط وليس هذا بصواب ايضاً لأن  
 الثقلاء واضدادهم اللطفاء يعيشون في بلدة واحدة وبيئة واحدة . وهواء وماء وطعام  
 واحد ومدرسة وحكومة وعائلة واحدة . ومع هذا يكون أحدهم ثقيلاً . والآخر  
 خفيفاً ظريفاً .

وقال آخرون : إن الثقالة وراثية فهي مخلق يرثه الثقيل من أبيه أو أحد أجداده كما  
 تورث اللطافة وخفة الروح . وإني اعرف في طرابلس الشام (بل وفي دمشق كما أخبرت ايضاً)  
 — أخوة خمسة كلهم بلغوا سن الشيخوخة وهم من أظرف الناس واخفهم روحاً واحبهم  
 للنكسة . ويخبرنا العمرون من أهل طرابلس أن أهم كانت عجوزاً خفيفة الروح حلوة الكلام  
 كثيرة المزاح والدعابة .

وربما كان هذا القول ( أي ان الثقالة وراثية كاللطافة ) — قولاً صحيحاً . ولكن  
 الاصح منه في اعتقادي أن الثقالة استعداداً خاص . ومزاجاً خاص . في بعض الأشخاص  
 فيكون هذا الانسان مستعداً لقبول هذا المرض الخلقي الخبيث . بينما ذاك الآخر مزاجه  
 غير قابل له بالخلقة والاستعداد . وهذا كمرض السرطان الذي لم يهتد الأطباء الى سببه  
 وجُلُّ ما يمكنهم أن يقولوه : إنه ناشئ عن مزاج خاص في الانسان لاعلاقة له بالارث .  
 هذه بيسكولوجية (الثقالة) أما بيسكولوجية (الاستئصال) أي شعور الانسان بثقالة  
 غيره ومناشئ هذا الشعور وأسبابه فأمره غامض جداً وذلك لتشعب هذه الأسباب  
 واختلاف تلك المناشئ ونضرب لكم مثلاً<sup>(١)</sup> قاله أحد (البيسكولوجيين) .

نرى أحياناً رجلاً تستنقله ولا ندري السبب في كراهته له . فبنا من يستنقل  
 الرجل السمين . ومنا من يستنقل الأشقر أو رجلاً آخر له أنف أفقى كمنقار النسر أو نحو ذلك  
 وقد يعطل بعض هذا النفور في بعض الناس بمصادفة حدثت له في الصغر ثم انطبع أثرها  
 في نفسه ولازمه حتى الكبر . مثال ذلك ان طفلاً كان يلبس ففاجأه رجل سمين وخوفه :  
 إما مزاجاً أو لغرض آخر . فانطبع الخوف في ذهن الطفل من كل رجل سمين وشب على  
 كراهة السمان وهكذا يقال في كثير من حالات الاستئصال اه .

\*\*\*

وتحمل الثقل والصبر على ثقالتهم سيرة من سنن الدين وما ينبغي أن يسمه صدر الحليم .  
 ولكن الى حد محدود .

اما اذا تجاوزت الثقالة حدها . وزاد بردها . وطفأ مدّها . فحينئذ لا الوحي الآهي  
 بأمر بالصبر عليها . ولا الأنبياء عليهم السلام بملومين اذا انفضوا من حوالها . وشاهد  
 ذلك ما جاء في القرآن والسنة وآداب السلف .

قال تعالى خطاباً لمحمد صلى الله عليه وسلم : ( ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا  
 من حولك ) . والفظاظة هي الثقالة بعينها : فالله تعالى يقول لو كنت يا محمد فظاً ثقيلاً  
 الروح اكركهك العرب وتفرقوا من حولك لكنك لست بفظ ولا ثقيلاً فلم ينفضوا بل التفوا  
 حولك . وسمعوا قولك . وآمنوا بك . وهذا من فضل الله على الناس : إذ خلق لم محمداً صلى

(١) رأينا هذا في مقال نشره بعض الفضلاء حديثاً .

الله عليه وسلم غير فظّة ولا ثقيل الروح حتى آمنوا به . ولو خلقه ثقيلًا لما آمنوا بالطبع  
ولكانت لهم الحجة على الله في إرساله رسولًا ثقيلًا .  
فانظروا أيها السادة ما أشبع الثقالة وأسوأ أثرها في الأمم وكيف ان غلاظة نبيّه  
من الأنبياء تصلح عذراً لأئمة في أن يكفروا بدينه .

\*\*\*

وقد افتتح ( ابن المرزبان ) كتابه ( الثقلاء ) بقوله : عن أنس بن مالك رضي الله عنه  
قال : ( لما أهدبت زينب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع طعاماً ودعا القوم . فجاءوا  
فدخلوا فجعلوا يتحدثون وجعل رسول الله يخرج ثم يرجع . وهم قعود فنزلت ( فإذا طعمتم  
فانتشروا الآية ) وقد طأق الحسن البصري رضي الله عنه على هذه الآية فقال : انظروا  
كيف أن الله تعالى ذمّ الثقل في القرآن . فقال : ( فإذا طعمتم فانتشروا ) .  
ويظهر من مجموع الآثار الواردة عن السلف أن استئصال الثقيل أدبٌ من آدابهم إذ  
في ذلك تربيةٌ للثقل وتنبيةٌ له الى إصلاح نفسه . وتدارك شرّ ثقالاته . وقد جوس  
كثيرون من السلف الصالح على هذا الادب حتى كان ابو هريرة رضي الله عنه إذا نقل  
عليه أحدٌ قال : اللهم اغفر له . وأرحنا منه .

فأبو هريرة يرى أن ثقالة الثقيل ذنب . ولذا دعا لصاحبها بالمغفرة أولاً . ثم الراحة  
من ثقالاته ثانياً . وقال بعض الفضلاء الثقيل اذا عرف نفسه أنه ثقيل لا يكون ثقيلًا .  
وهذا ما عناه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوله : ( من خاف أن يكون ثقيلًا فهو  
خفيف . وأما من أمن الثقل فهو ثقيل ) وقوله ( أمن الثقل ) معناه أن يبرر نفسه ويشهد  
لها بأنها ليست ثقيلة . وهذه الطأئية لنفسه تجعله يغفل عن رذعها فتسرح وتمرح في ميادين  
الثقالة . وهو لاه عنها . غير شاعر بثقالتها . وهذه هي المصيبة العظمى . فسيذنا عمر  
رضي الله عنه نبّه الناس وحذّرم من هذه الخطة الملعونة . وأوصاهم بان يسبثوا الظن  
بأنفسهم لئلا يتورطوا في الثقالة من حيث لا يشعرون .

وكما أن الثقيل اذا اعترف بثقالاته لا يكون ثقيلًا كذلك اللطيف الخفيف الروح اذا  
تباهى بلطافته والتعجب بجنفته لا يكون لطيفًا ولا خفيفًا . وزد على ذلك أنهم صرحوا بأن  
اللطيف الخفيف الروح اذا استأنس بالثقل واستلطفه كان ثقيلًا مثله : قال المؤلف ( ابن

المرزبان) نقلاً عن بعض الفضلاء: (إن الاستئناس بالثقل آيةٌ على الثقالة: إذ كل طيرٍ إنما يطير مع شكله).

ومن علامات الثقالة الإلحاح في طلب الحاجات من الإخوان معها اعتذروا له بعدم إمكان إجابة سؤله. وقديماً ما وصى الحكماء بترك الإلحاح حتى قال حكيم العرب أكرم ابن صيني (من ألحف في مسألة فقد أيرم وأنقل).

ومن علامات الثقالة أيضاً أن ينبؤ الزائر من المجالس مكاناً ليس من العادة الجلوس فيه كوسط الحلقة مثلاً. وقد روي أن رجلاً قصد وسط حلقة سيدنا حذيفة بن اليان رضي الله عنه. ولم يكفه هذا حتى التفت الي حذيفة وقال له: ان فلاناً صديقك مات. فاغتاض حذيفة. وقال له وانت أحق على الله أن يميتك: سمعت رسول الله صلى عليه وسلم يلعن الجالس وسط الحلقة.

وما كان السلف يتورعون من ذكر الثقل بما فيه: فكان حماد ابن زيد اذا رأى (عفان) قال ما أثقلت!

وقال ابو نعيم سمعت سفيان الثوري يقول لزانة بن قدهاة لو كنت من البغال لكنت من بغال النقل. اي لأن بغال النقل تكون كبيرة مخضمة غير مروضة ولا مهذبة بينما بغال الركوب تكون مرهفة الأعضاء لطيفة الجرم وتكون مع هذا مروضة مطبوعة على حسن السير.

وعن محمد بن عبد الرحمن قال: قال ابن طاووس (ككلام الثقل أشد علي من الشيطان) وروي محمد أن اباعاصم كان يقول (اذا ابفضت الرجل لثقله ابفضت شي الذي يليه) اي يبغض جسمه الواقع من جهة ذلك الرجل.

بل غلا ابن السماك في ذلك حتى قال: كم من رجل خفيف الروح اذا نزل به بلاء تمينا لو نعمل عنه بلاء بينا آخر من الثقلاء نحب ان يموت ونرتاح منه وأنشد:

(وثقل أشد من ثقل الموت ومن شدة العذاب الاليم)

(لو عصت ربها للجحيم لما كانت سواء عقوبة للجحيم)

وروى نصر الصائغ قال كنت عند (أسود بن سالم) فجاءه رجل من احد جانبيه فسلم عليه فلم يرد ابن سالم السلام عليه. وغمض عينيه. فدار الرجل وجاءه من الجانب

الآخر فسلم . فلم يرد عليه . فقال له : يا محمد لم لاترد السلام ؟ فالتفت أبو محمد الى من حوله . وقال لم : انظروا الى رجل غمضت عيني لثلا أراه ومع هذا فهو يريد مني أن أرد عليه السلام . الى هذا الحد كانوا يتبرمون من الثقلاء حتى استجازوا عدم رد السلام عليهم مع أن رد السلام فرض . وكان ابن سالم لما رأى الثقيل قد سلم دون أن يحافظ على آداب التسليم رأى هو أن يقابله على عمله فلا يرد عليه السلام .

وكان السلف يتفتنون في هجو الثقيل ووصفه بأساليب كلامية : فيها حسن صنعة . وفيها شفاء غيظ : قال المؤلف : حدثنا محمد بن قدامة عن أبي أسامة قال سمعت هشام ابن صروة يقول لرجل ( لآنت انقل من الزواقي ) فلم يفهم ابن قدامة معنى كلمة ( الزواقي ) قال : فذهبت الى ( الفراء ) إمام النخاعة فسألته ما الزواقي ؟ فلم يعرفها . فقال بعض جلسائه : إن العرب كانت تسمر بالليل سمرأً بلذ لها ويطيب . فاذا سمعت زقاء الزواقي ( اي صياح الديوك ) شق عليها عجي الصبح المؤذن بتفرقهم . قال ابن قدامة فأعجب الفراء بذلك . فالزواقي إذن هي الديوك التي تزقو أي تصيح وقت الفجر وتفرق أرباب السمر وتشتت شملهم فهم يستقلونها اذا سمعوا صوتها .

بل الأعبى من ذلك مارواه محمد بن سعد قال : كان في المدينة المنورة رجل له ولدان لم يكن بالمدينة أثقل منها وكان أبوهما صالحاً طيب النفس . فذكروا يوماً الثقالة في مجلسه فقال : ( على رسلكم : امرأته طالق إن كانت الزوراء عند احد ابني الاجاروشة ) : و ( الزوراء ) قصر عظيم جداً بناه عثمان رضي الله عنه في المدينة . فالأب يحلف أن ذلك القصر على ضمامته ماهو الاجاروشة ( أي حجر طحن ) بالنسبة الى ثقالة ولديه حقاً إن ظرافة هذا الأب تخفف من ثقالة ولديه . وتعملنا ترحم طيهما عليه .

وحاصل القول أن السلف رضي الله عنهم كانوا اذا اشتدت عليهم ثقالة الثقلاء فرجوا كربهم . وفشوا وطهم . بما بصوغونه من الأساليب البليغة . والنكت المستملحة . ولكن بعضهم كانت تفاجئته ثقالة الثقيل قبل أن يستمد لها فيدهش ويفهم : فقد روى حماد بن زيد قال : حدثني شيخ من اعراب البادية قال : كان عمي رحمه الله إذا رأى ثقيلاً غشي عليه . وهذا الاغماء الذي كان يصيب ذلك الأعرابي عند رؤية الثقلاء يدل على رقة شعور وحساسية نفس أكثر من اللازم . أما ابن عائشة المغني المشهور فقد كان اذا رأى ثقيلاً

اكتفى بقوله : صحيفة ميزان . وهي عبارة من الخناس الأصغر كالرطل ونحوه . والأصح في كلمة ( صحيفة ) ان تلفظ ( سجة ) بالسین لا الصاد . وهي معرب ( سنكة ) بالفارسية .  
وابو أسامة كان إذا رأى ثقيلًا مقبلًا لا يغمى عليه بل يكتفي بقوله نغمت السماء .

وروى المؤلف عن والده أنه قال : كان بعض مشايخنا إذا رأى ثقيلًا صاح : ( الحجر الحجر ) ومراده بالحجر الحجر ان الثقل في ثقافته يشبه الحجر ويحتمل أن يكون أراد إئتوني بحجر لأرشقه به واطرده عن مجلسي .  
أما ( وكيع ) رضي الله عنه فأمره غريب : ذلك انه اذا جلس اليه احد الثقلاء غمض عينيه وقام كيلا يراه .

ووكيع هذا هو شيخ الامام الشافعي رضي الله عنه . وقد عناه الامام بقوله :

( شكوت الي وكيع سوء حفظي فأشدني الي ترك المعاصي )

( واخبرني بأن العلم نورٌ ونور الله لا يهدى لعاصي )

وهكذا كانوا يتفتنون في أساليب الكلام ليدلوا على فقرتهم من الثقل . وبعضهم كان لا يرى شفاء غيظه منه إلا بأن يعرفه صراحة بأنه ثقيل . فقد روى معمر رضي الله عنه قال كنت جالساً في مجلسٍ بصنعاء اليمن مع السماك بن الفضلي . فدخل عليه فني يستثقله فقال لي ياممر تعال حتى نعد ثقلاء صنعاء . فجعل يمدم واحداً واحداً ثم عدني أنا منهم ثم عدت الفتي بمدني . فسكت الفتي ولم يمكنه الاحتجاج .

وروى مجالد ان الشعبي كان يقول ( من فاتته ركعتا الفجر فليمن الثقلاء ) . وقد يقال إن إبليس هو الذي شغله عن الصلاة فما ذنب الثقل ؟ ولكن الشيخ الشعبي هكذا رأيه في المسألة . وروي أيضاً عنه أنه كان قاعداً في مجلسٍ فأقبل رجل فلما رآه الشعبي قام منصرفاً وقال ثقيل والله .

والصحابي الجليل ( حذيفة بن اليمان ) رضي الله عنه كان يذهب في استثقال الثقلاء إلى أبعد من هذا كله : كان يقول ( إن الثقل ليدعوني أحياناً إلى طعام فأقول له إني صائم . ولا اكون صائماً ) يعني انه كان يترك إجابة الدعوة السنونة في الإسلام كي لا يجالس الثقل على طعام .

وعن ابن شبرمة قال سمعت الشعبي يقول : من الناس من يخفُّ ومنهم من يثقل حتى كأنه رحي ركبت فوق ظهري .

والامام الشعبي هذا من كبار علماء السلف وقد تكررت الروايات عنه في استئصال الثقلاء . ومثله في ذلك ( شعبة ) و ( شريك ) و ( الاعمش ) فإنهم أيضاً من علماء السلف ورواة أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد روى ( ابن المرزبان ) في كتابه ( الثقلاء ) الذي نحن بصدد اخباره كثيرة مروية عن هؤلاء الأئمة الأربعة : الشعبي وشعبة وشريك والاعمش : اربعتهم من علماء السلف . وأول اسمائهم شين . الا الاعمش فشينه في آخره . وهم متائلون في حب النكثة والميل الى الدعابة البريئة . كما أنهم رضي الله عنهم اتفقوا على استئصال الثقلاء . والتفنن في إظهار الفرة منهم .

وفي كتاب الثقلاء الكثير الطيب من أخبارهم وأقوالهم . وقد سمعتم أنفاً ما قاله ( الشعبي ) من أن من فاتته ركعتا الفجر فليعلن الثقلاء أما ( شعبة ) فقد روى مزاحم عنه قال : سألت شعبة عن رأيه في أبي بكر الهذلي فقال ( دعني لأق ) اي إن مجرد ذكر الهذلي يكاد يضطره الى التي . فكيف به لو رآه أو جالسه أو سمع كلامه ؟

وأما ( شريك ) ويسمى ( الخضي ) أيضاً : فقد روى عبد الرحمن الخوارزمي عنه قال : لقيت شريكاً فقلت حدثني بحديث كذا وكذا . فحدثني . فقلت : حديثاً آخر . فحدثني . فقلت وأخر . فقال لي باللغة الفارسية ( أنت ثقيل ) . ولو كنت ثقيلاً بالبيان خلف الأمر وهان ولكذك ثقيل على القلب ايضاً ) .

والحق أن الخوارزمي لو لم يكن ثقيلاً لما استوقفه في الطريق وكلفه أن يحدثه المرة بعد المرة . واذا كانت الاحاديث التي كلفه اياها من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ( وهي كذلك في الغالب ) كانت ثقافته أشد وانكى . اذ كيف يليق أن تتخذ قارعة الطريق حيث العامة والغواص — مدرسةً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قلنا إن ( شريكاً ) هو الذي يلقب بالخضي . فهو عربي فصح منسوب الى قبيلة الخضع إحدى قبائل مذحج العربية اليمنية القحطانية . ولا نعلم كيف تعلم اللغة الفارسية . وكان



رضي الله عنه بقصد من جميع الأقطار لتلقي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد تولى قضاء الكوفة في زمن الخليفة المهدي ثم ابنه هرون الرشيد . ومات سنة ١٧٧ الهجرة فلنفرض أنه صدق الفارسية بسبب من الأسباب ولكن ما هو السبب الذي جعله يشتد الثقلاء باللغة الفارسية لا العربية ؟

هل ان شدة تعصبه للغة العربية الشريفة حملته على ان يكثرها ولا يلوثها بسبب الثقلاء . ومن سببه للثقلاء بالفارسية ايضاً ما رواه ابن المرزبان قال : حدثنا احمد بن زهير قال حدثنا يحيى بن أيوب قال حدثنا بعضهم أن رجلاً كان يتكلم في مجلس شريك فأكثر من الثثرة وهراء القول فقال له شريك بالفارسية ( كران كران سخنت ) ومعنى ذلك بالفارسية ( ثقيل ثقيل جداً ) .

ذكرنا آنفاً أيها السادة أن هؤلاء الأئمة الاربعة ( شريك وشعبة والشعبي والاعمش ) كانوا أهل ظرف ونكتة وأشهرهم في هذا المعنى الأعمش . فقد روى العباس بن يزيد قال : أهدى رجلني إلى الاعمش بطيخة . فلما أخذ الأعمش مجلسه في الصباح حضر الرجل فقال له : ( يا أبا محمد كيف كانت البطيخة ) قال : طيبة ثم عاد الرجل ثاني يوم وسأله عن البطيخة فقال طيبة ثم ثالث يوم كذلك . فصرخ الأعمش ان كفت عني وإلا تقيأتها .

فالتذكير بالاحسان من آيات الثغالة ايضاً اذ هو كالمثل المنهي عنه شرعاً . وجاء حجاج ابن أرطاة إلى الأعمش فاستأذن عليه فقال : قولوا له ابن أرطاة على الباب . فقال الأعمش . ( أبكي على بكبي ؟ ) ولم يأذن له . واصل العبارة في كتاب الثقلاء هكذا ( ابكي عليه ابكي عليه ) ولا معنى لها ولعل الصواب ما قلته وأن يكون أصلها ( ابكي على بكبي ) و ( بكبي ) فعيل من البكاء بالهمزة وهو قلة لبن الناقة . هذا أصل معناه في اللغة ثم نقله البلغاء إلى معنى قلة الكلام عينا وفهاةً فالأعمش بسبب مرضه أصبح بكياً ابياً ثقیلاً اللسان عسر النطق . وذاك الزائر ( اي الحجاج بن أرطاة ) غير فصيح ولا يحسن الكلام فهو قدّم عي . وأبى مصاب أن يجتمع عيان : لا يتغامان . ولا يخلصان في حديثها إلى بيان .

وعن اسماعيل بن ابي خالد عن الشعبي أنه قال : ( عيادة حمقى القراء أشد على أهل المريض من مرض مريضهم ) وذلك أنهم يعودونه في غير وقت عيادة ويطيلون الجلوس .

وكانوا يريدون بالقراء ما يزيد به اليوم بكلمة ( فقهاء ) أو ( طلبة ) وفي مصر ( مجاورون ) وفي بلاد الترك ( صُفته ) وعكوف هؤلاء السُّفط على دراسة علوم الدين تجعلهم كغيرهم من المتخصصين في فنهم : منزلين عن الناس ذوي عقلية خاصة غير ملين بطبيعة البيئة التي يعيشون فيها ولا بعبادات أهلها ولا يعرفون شيئاً مما يدور في مجالس أنسهم وإذا تكلموا فإنما يتكلمون في مسائل فنونهم التي تخصصوا فيها . ولا كل أحد يفهمها أو يهتم بها . فإذا كانوا في مجلس لم يعرفوا كيف يجارون أهله في حديثهم . ولا يشاركونهم في مطارحاتهم . ولا يتفطنون إلى نكاتهم . ومن أجل ذلك يستنقلهم الناس ولا يجيئون بمجالستهم .

على أن الشعبي نسب ثقالة طول الجلوس عند المريض إلى حمى القراء مع أنها دأب كل نقيل لا حمى القراء وحدهم . ألم يبلغكم خبر الأعمش مع عواده ؟  
مرض الأعمش مرة وعاده جماعة من الثقلاء . فأطالوا الجلوس عنده حتى ملّ وسئم ثم ما كان منه إلا أن قام وتناول وسادته وخرج من الباب قائلاً : شق الله مريضكم .

وعن علي بن يحيى أن المأمون قال يوماً لجلسائه : لم صار الثقيل أثقل على القلب من الحمل الثقيل على الجسم ؟ فلم يجب منهم أحد وقالوا : أمير المؤمنين أعلم . فقال : لأن الحمل الثقيل يحمله كل من الروح والبدن . أما الشخص الثقيل فتتفرد بحمله الروح ولا يعاونها الجسم . فترزح المسكينة تحت عبء الثقالة من دون معين إلا الله . ولا عجب أن يصدر هذا التمليل من المأمون فهو حكيم خلفاء العرب وارقهم شعوراً وأكثرهم ظرفاً . وقد اتفق له أن تورط يوماً مع مغنٍ ثقيل فقال لجلسائه ما تعرفون في الثقيل ؟ فقال بعضهم : يقول الحكاه يا أمير المؤمنين : إن مجالسة الثقيل حمى الربيع . فقال لهم المأمون : فكيف إذا كان مغنياً .

قال المؤلف : وروينا عن أبي الحسن قال : أتى شريك بن عبد الله رجل من أصحاب الحديث أي من طلابه الذين يقصدون المحدثين للتلقي عنهم . وكان هذا الطالب يسمى ( أبا سويد ) فجاء يسأل شريكاً عن أطرافه كانت معه . ويعني طلاء الحديث بالأطراف عبارات من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتصر عليها الراوي ولم يرو بقيتها فالرجل جاء يسأل شريكاً عن أطرافه من أحاديث لا عن أحاديث تامة كاملة . وكان ذلك في يوم شديد الحر فأكثر على شريك من الكلام والثروة ونقل عليه جداً . وشريك

صابر وفي آخر الأمر صاح شريك : ( يا جارية تعالي ) فأقبلت . فقال لها : ( أسبلي الستر وأخرجي الذباب وأبا سويد أيضاً . )

وطلاب الحديث عادةً يكونون شديدي الحرص في طلبه . وتحقيق الفاظه . وضبط أسماء روايته . فإذا ظفروا بمحدثٍ أبرموه بالسؤال وأتعبوه بالإلحاح . ولذلك كثر تغيير المحدثين منهم كما سمعت من خبر شريك مع ( أبي سويد ) .

وكما روي أيضاً أن يحيى بن سعيد قال مرة لأحد هؤلاء الطلاب لأن تصرّفتي بالسوط أحب اليّ من أن تسألني عن حديث . وقال عبيد الله بن عمر : جئت يحيى بن سعيد يوماً فأذن لي وقال من رأيت بالباب قلت فلاناً . ففكّ رأسه بيديه وقال . جبل جبل . ثم خرجت فرأيت الرجل مازال على الباب ولم أدر إن كان أذن له بالدخول أو لا .

والحدث أبو أسامة اشترط في المستملّي عنه أن لا يكون ثقيلاً : فقد قال سلمة بن شبيب سمعت أبا أسامة يقول إبتوني بمستملّي خفيف على اللسان خفيف على الفؤاد : إياي والثقلاء . إياي والثقلاء .

وقوله ( إياي والثقلاء ) أسلوب فصيح من أساليب كلام العرب . ومعناه باعدوا بيني وبينهم واحذروا أن تجعلوهم يقتربون مني . ومثله الحديث الشريف ( إذا بلغ المرء الستين فإياه وإيا الشواب ) يعني إذا صار عمره ستين سنة فليحذر أن يتزوج من النساء الشابات وإنما له الزوج بمن كانت عموماً مثله .

وهنا ملاحظة وهي أن أبا أسامة اشترط في تليذه أن يكون خفيفاً على اللسان فهو إذن يتشامم بالثقلاء حتى باسمائهم التي أصبحت ثقيلة بدلالاتها عليهم .

وروي أبو الحسن المدائني قال : جاء رجل الى الأعمش فقال له ( يا أبا محمد أكثرت حماراً بنصف درهم وأتيتك أسألك عن حديث كذا وكذا ) فأجاب الأعمش ( أكثر بالنصف الآخر حماراً وارجع حالاً ) .

على أني أقول ما كان ينبغي للمحدثين أن يستثقلوا طلاب الحديث فان تعصيلة لذة تعلمهم على كل هذا الإلحاح والإجراج : وقد قلت في ذلك :

(كل<sup>(١)</sup> العلوم ستمتها تجددها بالـ ريث)  
 (الا الحديث فانه مثل اسمه ابدأ حديث)  
 وأخشى اذا تبرم المعلوم من طلابهم أن يقابلهم طلابهم بالمثل فيستقلوم وينشدم :  
 (لا تمنع العلم طالبه فسواك أيضاً عنده خبر)  
 (كم من رياض لا أنيس بها هجرت لأن طريقها وعس)  
 قال المؤلف : وأشد ابو سعيد الاهوازي<sup>٢</sup> يصف ثقيلاً بشعر على نسق عجيب فقال :  
 (لشوم بخت . وقضم<sup>(٢)</sup> قت . والف سبت وأربعاء)  
 (وقال صخر . وغيم شهر وطول هجر . على جناء)  
 (وكسر ضلع . وتنف صدغ بماء صمغ ومومياء<sup>(٣)</sup>)  
 (أهون من أن تراك عيني تمشي اختيالاً على الثراء)

والايات ظاهرة المعنى سوى قوله : ان الف سبت والف اربعاء هي اخف على القلب من رؤية ذلك الثقيل . فلعل المعنى قديماً كانوا يتعطلون عن العمل يومين في الاسبوع (الثلاثاء) و (الجمعة) فيكونون فيها في مسرة وهناء . فاذا جاء يوم الاربعاء بعد الثلاثاء استقلوه أما يوم السبت بعد راحة الجمعة فاسألوا صبيان الكتاب يخبروك عن مقدار ثقافته . قال ودخل رجل على (ابن مصقلة) يعود فساكن من حديثه أن قال له : يا ابا عبد الله مات فلان . ثم سكت . ثم عاد . فقال مات فلان . وسكت . ثم ثالثة . فلما اراد ان يخرج قال يا ابا عبد الله ألك حاجة . قال نعم : لاتعودني مادمت مريضاً . وذكر الزبيدي في شرحه على القاموس ان ابن مصقلة هذا يسمى رقبة وكان من المحدثين روى عن انس بن مالك و روى له الترمذي في صحيحه .

(١) البيتان لابن الرومي واصلها هكذا :

(ولقد ستمت ما ربي فكانت طيبها خبيث)

(الا الحديث فانه مثل اسمه ابدأ حديث)

قوله الا الحديث أراد به حديث الندماء .

(٢) القت الفصفصة اليابسة وهو التي تسمى في مصر برسما .

(٣) كأنه اراد بالمومياء الشمع .

وعن حماد الراوية قال : اخبرني رجل عن نفسه أنه قال للفردق يا ابا فراس انشدني من شرك قصيدة كذا وكذا . فأجابه الفردق ( يا هذا إن قدرت ان لا تكون ثقيلاً فافعل ) وقد أصاب الفردق : لأن هذا الثقل وهو من عامة الناس يكلفه ان ينشده شعره . وهو انشاده تنافس به الخلفاء . فيحق للفردق ان يستثقل ذلك الرجل مذ استنشده علي هذه الصورة .

وكما ابتلي الفردق بهذا الثقل ابتلي زميله ( الاخطل ) بثقل آخر تورط معه في غوطة دمشق .

ذلك ان الأخطل الشاعر الاموي المشهور كان يسمع بمهبد المغني الكبير ولا يعرفه فاتفق وجودهما في دمشق على باب الخليفة الاموي . فتعارفا وتألفا وخرجا الى الغوطة ومعها شراب وفاكهة وريحان وجلسا في احد البساتين على نهر جار . وتفريد اطيبار وتناشد اشعار . واذا برجل قيل له : ان هذين هما فلان وفلان . فأحب الرجل مجالستهما وكان يسمع بشهرتهما فانسأل اليهما . ونزل نزول العمى طليهما فصبرا صبر الكرام . وبعد سكوت عميق التفت الثقل الى الأخطل وقال له : يا أخطل ( أنظر القذى في كأسك ) فيحينئذ انفج الكرب عن صدر الاخطل وشفى قلبه من الثقل بهذين البيتين :

( وليس القذى بالعود يسقط في الاونا ولا بذباب وقصه أيسر الأمر )

( ولكن ثقل لا نود اقترابه رمتنا به الأقدار من حيث لا ندري )

وروى الاصمعي عن ابن ابي طرفة ( أن مجالسة الثقل محمى باطنة ) لكن ( جبريل الطبيب ) الدمشقي كان يقول : اننا معشر الاطباء نجد في كتبنا أن مجالسة الثقل حمى الروح . وقيل للشعبي هل تمرض الروح قال : نعم من ظل الثقلاء . قال فررت به يوماً فوجدته قاعداً بين ثقلين . فقلت له كيف الروح الآن ؟ قال في النزاع . ولعل العنصر العربي بطبيعته وأصل غريزته يكره الثقالة وينفر منها . واذا رأيت عربياً ثقيلاً أو يألف الثقلاء . وبحثت عن نسبه وجدت فيه عراقاً عجمياً .

هذا معن بن زائدة ( أمير العرب المشهور ) كان اذا تذاكروا بين يديه في ملذات الدنيا يقول : ( ان الوقيعة في الثقلاء من الملذات ) ومعنى الوقيعة فيهم غيبتهم وذكرهم بسوء . دعونا من ( معن أمير العرب ) ودونكم ما روي عن ( علي أمير المؤمنين ) فقد روي

(يمان بن ربيعة) أن رجلاً قال لسيدنا علي (تبتك الله يا أمير المؤمنين) فقال (على صدرك) يعني تبتني الله في القعود على صدرك فأبتلك أو أنقل عليك كما ثقلت علي بهذا الدعاء . ولعل في جو هذه الحادثة ما يمهد العذر للإمام علي كرم الله وجهه في أن يظهر كل هذا الضجير من ذلك الرجل الذي دعا له .

وروى الامام ابن المرزبان في (كتاب الثقلاء) خبراً عن علي رضي الله عنه له علاقة بالثألة وهو أغرب من الخبر السابق :

تعلمون أيها السادة أن الاشتهر الغضي من أكبر فواد سيدنا علي وأشد شيعته حباً له . ومغامرة في سبيله . وهو الذي شرب المسل في طريقه الى مصر فمات . فبلغ معاوية الخبير فقال (ان لله جنوداً منها المسل) .

فقد روى المؤلف ابن المرزبان قال : حدثنا ابو العباس عبد الله بن نصر حدثنا الحسين ابن علي حدثني محمد بن ابي الحرث حدثنا سفيان بن عيينة عن محمد بن الشعبي قال : أخبرني عبد الله (وله له يعني ابن عباس) أن علي بن ابي طالب عليه السلام كان يستثقل الاشتهار . هذا هو الخبر بسنده ومثته . وهو محل غرابة لا يكشف مرها الا المؤرخون المدققون في أخلاق السلف .

وأبشع انواع الثقالات (الثقالة المسجلة) تلك التي يكتبها الثقيل بقلمه في مكاتباته : فقد ولد لبعض فضلاء بغداد (واسمه ابراهيم . على اسم سيدنا ابراهيم الخليل) - ولد له سماه محمداً (باسم النبي صلى الله عليه وسلم) فأرسل اليه ثقيل من اهل البصرة يهينه به فقال (بلغني انك سميت ابنك محمداً . وانت الى أعمال الانبياء . احوج منك الى اسمائهم . وقبل هذا كان سماك ابوك ابراهيم . فما منعك هذه التسمية من سفك الدم الحرام . وشرب الكواب المدام . واكتساب المال من الآثام . وما أدري كيف ادعو لابنك : إن دعوت له ان يشبهك فالعار والنار . وان دعوت ان لا يشبهك فالظنة والتهمة والشناراه) يعني اذا كان الولد لا يشبه اياه كانت امه موضع تهمة والعياذ بالله تعالى .

واستثقال بعض افراد العائلة لبعضهم من اشد منفصات العائلة : كتلك الاعرابية المسكينة التي أعيتها ثقالة بعلمها فهربت من بيتها وقال فيها شاعر القبيلة :

(وتاركة للبيت من ثقل بعلمها كأن بعينها قذى منه تهمل)

( تود على حسن التبعيل انها رأيت بملها بين العمودين يجعل )

ومعنى قولها ( حسن التبعيل ) انها وان كانت تربت على طاعة بعلها وحسن معاشرته كما امرها الله والرسول لكن ثقافته جعلتها تهرب منه وتمنى ان يموت ويحمل بين عمودي النعش .

ومن هذا القبيل ماروي عن الاعمش انه استنقل جلساءه يوماً فهرب منهم الى داخل الدار . ثم لم يلبث أن عاد اليهم فقالوا له مالك عدت ؟ فقال هربت منكم فاذا في البيت من هو ائقل . قالوا من ؟ قال : زوج بنتي .

والاعمش على جلالة قدره وحبه للنكته يوجد في الامة العربية من هو اكبر مقاماً . وأحب للنكته منه : ذلك هو الامام الثوري رضي الله عنه فقد سأله سائل ثقيل عن المسح على اللحية في الوضوء ؟ فقال له : خللها ( اي ادخل أصابعك المبللة في خلال شعرها زيادة في التنظيف ) فقال له الرجل ( اتخوف ان لا ييلفها الماء ) . فقال له اتقها من اول الليل . أما ( سويد بن عبد العزيز ) فانه لا يعجبه هذا من الثوري ولا يرضيه اطالة الحديث مع المحبين في السواك . فهو ينصح ويقول : اذا نقل طيك احد في سواك فألزمه عيناً عمياً وأذناً صماً .

قلنا ان اعراب البادية تغلب عليهم الرقة ولطف الحس والنفرة من الثقاله والثقلاء . ولكن ما بالكم اذا كان اعرابياً وعاشقاً ايضاً كيف تكون رفته ولطافته ؟ فقد روى الاصمعي قال : اراد اعرابي ان يكلم امرأة يجيها . فنظر فاذا رجل يراقبه فامتنع من كلامها وثقل عليه الرجل فما ملك نفسه أن خاطبه بهذه الجمل التي جمعت بين خشونة السب . ونعومة العتب . فقال له : ( مالك رماك الله بداء عضال . يفقدني شخصك . ويسكنك رمسك . فقد ثقلت على عاشق مسكين . لم تشبع عينه من سهادها . كما شبت عيون الناس من رقادها ) وكان ابن مصقلة أرق الناس وأرحمهم بالثقلاء . فهو لا ينهرهم ولا يسبهم . بل يتلطف بهم ويخاطبهم بمبارات غاية في اللين والنعومة فيقول للزائر الثقيل مثلاً ( يا هذا داركم بعيدة والسما متغية فقم مصحوباً بالسلامة ) .

وقارنوا أيها السادة بين عبارة ( ابن مصقلة ) المصقولة الناعمة وبين ماخاطبه به منصور ابن الحجاج الثقيل فقال ( اللهم اقله . وان كان قتلته يقتلني فاقتلني ) .

يكفي بإساذقي إزعاجكم بأخبار الثقلاء . وقد مضى الوقت أو كاد . وأخشى  
 ان اثقل انا عليكم ايضاً اذا زدت على ماتقدم .  
 بلى يمكنني أن أزيدكم . لكن زيادة لا تعدونها من التثقييل بل تعدونها من التخييف  
 وترويح النفس — زيادة من أحب ما تمتعتهم نفوسكم . وترتاح اليه قلوبكم .  
 تلك الزيادة هي حب النبي صلى الله عليه وسلم للمزح الحق اذ كان صلى الله عليه وسلم  
 يمزح ولا يقول الا حقاً حتى إنه كان له من الصحابة (رضي الله عنهم) من يضحكوا واشهرهم  
 في ذلك الصحابي (نعمان بن عمرو بن رفاعة الانصاري) ممن شهد وقعة بدر رضي الله عنه .  
 فمن دعابات (نعمان) أن أعرابياً قصد النبي صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد وأناخ  
 ناقته بفنائه . فقال بعض الصحابة لنعمان لو عقرتها فاكلناها . فاننا في شبهة الى اللحم فخرها  
 نعمان لم . وخرج الأعرابي من عند النبي صلى الله عليه وسلم فرأى راحلته معقورة فصاح  
 (واعقره يا محمد) فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال من فعل هذا ؟ قالوا نعمان . فلحقه  
 النبي صلى الله عليه وسلم ومعه الصحابة واذا بنعمان قد أختبأ في دار السيدة (ضباعة بنت  
 الزبير) فجعلوا يفتشون عليه . فأشار رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم ورفع صوته قائلاً  
 ما رأيتك يا رسول الله وأشار باصبعه الى حيث كان . وكان مختبئاً في سرب تحت أغصان من  
 جريد النخل فأخرجه صلى الله عليه وسلم من مخبأه وقال له :

— ما حملك على ما صنعت ؟

— الذين دلوك على يا رسول الله . يعني انهم هم الذين امروه بما فعل .

فجعل رسول الله يمسح التراب عن وجه نعمان ويضحك . وغرم ثمن الناقة للأعرابي .  
 وكان نعمان يدخل السوق فيشتري من ما كولاتها بالدين ويأتي به النبي صلى الله عليه  
 وسلم قائلاً أهدي هذا اليك . ثم إذا طالبه صاحب الهدية بثمنها جاء به الى النبي صلى الله  
 عليه وسلم . ويقول له : أدّر هذا ثمن متاعه . فيقول النبي صلى الله عليه وسلم لنعمان : أو لم  
 تهده اليّ ؟ فيقول : ( والله إنه لم يكن عندي ثمنه ولقد أحببت أن تأكله ) .

فيضحك النبي صلى الله عليه وسلم وبأمر لصاحبه بثمنه وهكذا كان صلى الله عليه وسلم  
 يكره البؤس والتبؤس . ويجب إحداث المسرة في نفوس اصحابه واهل بيته . ومن قوله  
 في ذلك (ألهوا والعبوا فاني أكره أن يرى في دينكم ظلمة) .



ومن العطف الاحاديث النبوية والمسامرات العائلية القدسية ماروته السيدة عائشة رضي الله عنها وهو ان امرأة من اهل مكة كانت تدخل بيوت قريش وتفحك النساء وقد اشتهرت بذلك : قالت عائشة فلما هاجرنا الى المدينة ووسع الله علينا دخلت تلك المرأة علي فقلت لها (فلانة ! ما أقدمك ؟) قالت ( قدمت اليكن ) . قلت فأين نزلت ؟ قالت على فلانة و كانت فلانة المذكورة امرأة من اهل المدينة تفحك نساءها ايضاً .

قالت عائشة وبعد قليل دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

فلانة المفحكة عنكم ؟ ؟ قلت : ( نعم ) . قال :

( فعلى من نزلت ) ؟

قلت : نزلت على فلانة المفحكة فقال :

« الحمد لله ! إن الأرواح جنود مجندة : ما تعارف منها ائتلف . وما تناكرت اختلف » .

## مخطوطات المدرسة العثمانية

« مجلد »

كانت في الشبهاء مكاتب متعددة في مدارسها وزواياها الكثيرة ، الا ان ايدى الزمان قضت عليها وشتتت شملها والبقية الباقية منها الآن هي في مكتبة الأحمديّة والعثمانية والشرفية العاربة للأوقاف والمولوية وهذه المكاتب الأربع لا تمنع بد لاس بالرغم عن وجود محافظين لها . ومنذ ثلاث سنوات وقعت في الأحمديّة سرقة مهمّة بلع عدد المسروق منها بالإحصاء الرسمي ٩٠ كتاباً منها ما هو في النفاسة في الدرجة الأولى وكانت النتيجة بعد المحاكمة والتحقيقات الكثيرة تبرئة السارق كأن السرقة لم تكن . ولو وقع اقل من ذلك بكثير في مكاتب أوروبا لقامت القيامة لذلك الحادث وتوالى البحث والتحقيق الى ان تظهر تلك اليد الآثمة وتجازى بما نستحقه .

ومنذ سنتين ايضاً ظفرت عند بعض باعة الكتب بكتاب عليه ختم المكتبة العثمانية فابتعته ممن هو عنده بعد استئذان ادارة الأوقاف عندئذ اهتمت الدائرة ببعض الإهتمام واحببت على اثر ذلك ان تحرى هذه المكتبة واكتب ما فيها فباشرت ذلك وعمل فهرس لها ولكن حالت عوائق دون اتمام ما شرعت فيه والآن عدت الى ذلك واتممت كتب التفسير والحديث فأحببت ان تحف القراء بالخبية من هذين القسمين اذ لا يخلو ذلك من فائدة لعشاق الكتب المخطوطة النادرة ومحبي الاطلاع على نفائسها .

« كتب التفسير »

الجزء الأول من تفسير الوسيط للإمام الواحدية فيه من تفسير سورة الأنعام الى قوله تعالى ( ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ) لاتاريخ لكتابه ويظهر انه مما كتب في القرن السابع أو الثامن .

الجزء الثاني منه فيه من سورة بونس الى آخر سورة الكهف لاتاريخ كتابته ايضاً .  
الجزء الثالث منه اوله سورة مريم وفي آخره من سورة الأحزاب الى قوله تعالى (لئن لم ينته المنافقون) لم يذكر ايضاً تاريخ كتابته لكنه اقدم كتابة من الجزئين الأولين يظهر انه مما كتب في القرن السادس .

الجزء الرابع منه اوله سورة الصافات الى آخر القرآن محرر سنة ٥٧٢ بخط ابي العباس احمد بن الحسين بن حيدرة السيراقي الواسطي وهذا الجزء اقدم من سابقه .  
نغمة البيان في تفسير القرآن لأبي عبد الله العارف بالله الشيخ عمر بن محمد السهروردي البكري وعليه خطه في اوله وفي آخره في ذيل سماع الكتاب طيه نسخة تامة نفيسة جداً محررة سنة ٦١٣ وهذا التفسير والذي قبله لم يطبعما بعد .

الجزء الأول من النهر للامام ابي حيان محمد بن يوسف آخره قوله تعالى (يا أيها الناس قد جاءكم رسول من ربكم) من سورة بونس بخط احمد بن محمد بن عثمان الخطيب الطوخي بمدرسة الكهاربة (من مدارس مصر على ما ظنن) يظهر انه مما كتب في القرن الثامن .  
جزء منه فيه من سورة الأنعام قوله تعالى (واذ قال ابراهيم لايه آزر) الى آخر سورة مريم لاتاريخ خطه عليه غير انه على ما ظهر لي مما كتب في القرن الثامن . وهو من وقف الملك المؤيد ابي النصر شيخ اوقفه وما قبله وما بعده على الجامع الذي انشأه بباب زويلة (في مصر) وعليه خط احمد بن علي العلابي .

جزء منه اوله سورة الكهف الى آخر القرآن لاتاريخ كتابته غير انه مما كتب في القرن الثامن ظناً وعلى الورقة الأولى منه خط العلامة ابراهيم البتروفي الحلبي سنة ١٠٤٧ .  
الجزء الأول من النهر ايضاً الى آخر سورة بونس بخط محمد الأشموني بخط عادي محرر سنة ١١٤٧ والثاني منه اوله سورة هود الى آخر القرآن .

تفسير الكواشي المعروف بالتلخيص لأبي العباس احمد بن يوسف الكواشي المتوفى سنة ٦٨٠ الورقة الأولى مذهبة محرر سنة ٧١٠ بخط عمر بن عبد الرحيم الكردي .  
إعراب بعض آيات من القرآن العظيم لجمال الدين ابي عمرو المعروف بابن الحاجب نسخة قديمة الخط لاتاريخ في آخرها يرجع عهد كتابتها الى القرن الثامن .

إعراب آيات من القرآن العظيم لأبي عبد الله الحسين بن خالويه المتوفى سنة ٣٧١ الفاتحة

وآيات من جزء عم اسئلة القرآن لمحمد بن ابي بكر الرازي محرر سنة ١٠٥٩ قطع ربع .  
ايضاً اسئلة القرآن للرازي نسخة ثانية وصل فيها الى سورة (والثين والزينون) تنقص  
اوراقاً .

حواشي قطب الدين علي تفسير الكشاف الى اواخر سورة طه .  
عمدة الحفاظ في تفسير اشرف الألفاظ لابن السمين احمد الحلبي محرر سنة ١٠٥٦ .  
ومن هذا الكتاب نسخة ثانية في مكتبة الأحمديّة بجلب وربما كان الناسخ واحداً .  
أسباب نزول القرآن لأبي الحسن علي بن احمد الواحدي النيسابوري .  
الزبور قطع كامل خطه حسن محرر برسم عثمان باشا وباني المدرسة العثمانية وواقف  
الكتب فيها بخط محمد بن عيسى الكردي .  
كتاب في القرائت لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني .  
حاشية السعد على الكشاف نسخة نفيسة قديمة الخط من الأول الى آخر سورة الانعام .

### « نفائس كتب الحديث »

الجزء الاول من المفهم لماشكل من تلخيص كتاب مسلم تأليف الامام ابي العباس احمد  
ابن عمر ابن ابراهيم القرطبي لاتاريخ كتابته ويظهر انه مما كتب في القرن الثامن .  
الجزء الثاني منه مثل الاول خطأً وحجماً وعليه خط العلامة ابراهيم بن الملا الحلبي وخط  
المحدث الشيخ احمد الشراياتي الحلبي .  
الجزء الثالث منه مثل الاول والثاني خطأً وحجماً .  
الجزء الرابع منه عليه خط الملا ايضاً اوله كتاب فضائل الصحابة الى آخر الكتاب  
محرر سنة ٧٢٤ بخط محمد بن عيسى بن رزبك محرر الأجزاء التي قبله .  
الجزء الأول من شرح الشفا شيخ الاسلام الشيخ عمر العرضي الحلبي المتوفى سنة ١٠٢٤  
واسم. فتح الغفار قطعه كامل بخط خليل بن محمد محرر برسم نعمة الله افندي الكواكبي  
نقله من نسخة المصنف .

الجزء الثاني منه . والثالث منه بخط عمر بن احمد محرر سنة ١١٤١ وبه تم الكتاب  
ومن هذا الشرح نسخ متعددة في الاستانة ذكرت اما كتبها في تاريخي ( اعلام النبلاء ) في

ترجمة المؤلف وهو شرح جليل اعتنى به مؤلفه وقد ذكره الشهاب الخفاجي في مة دمة شرحه للشفاء .

الجزء الثاني والرابع والخامس من تفريج احاديث الهداية للزيلعي . ومن هذا الكتاب نسخة كاملة في مكتبة الأحمديية بحلب .

الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار للحافظ الحازمي المتوفى سنة ٥٨٤ عليه سيف آخره خط الحافظ محمد بن سعيد الديبئي وغيره من الحفاظ محرو في بغداد سنة ٦٣٢ بخط محمد بن احمد بن ابي بكر بن خليل البكري . وعلى هذه النسخة وعلى نسخة مطبوعة في الهند طبعت هذا الكتاب في مطبعتي العلية .

جامع الأصول للإمام بن الأثير وهو الذي جمع فيه الكتب الستة مجلد ضخيم قطع كامل مذهب الصحيفة الأولى جميل الخط لا يخالاه الا طبعا وفي آخره رجال الكتب الستة لاتاريخ لكتابه ويظهر انه مما كتب في القرن العاشر في بعض بلاد العراق (١) .

فتح المتعال في مدح النعال للعلامة احمد بن محمد المقرئ المغربي التلمساني نزيل القاهرة جلد واحد نسخة المصنف كما هو مذكور في آخره وفيه سبعة رسوم لنعل النبي صلى الله عليه وسلم ملونة بالألوان البديعة وفي آخرها تقاريط لعلاء عصره من طلاء الديار المصرية آخرهم سيدي محمد بن رأس العين . وهذا الكتاب طبع الآن في الهند .

نسيم الرياض في شرح الشفا للقاضي عياض للشهاب الخفاجي سيف مجلد ضخيم مذهب الورقة الأولى محرو سنة ١١٢٩ .

توثيق عري الأيمان في تفضيل حبيب الرحمن للإمام العلامة الشيخ ابراهيم بن البارزي الحموي . مجلد واحد ضخيم . النسخة مقروءة على المؤلف سنة ٧٣٣ وهي بخط علي بن جمعة ابن ابي الحسن الشافعي الهلالي الحموي حررها سنة ٧٢٢ . وهذا الكتاب نادر الوجود ولا اعلم له نسخة ثانية .

(١) في مدرسة يحيى باشا في الموصل نسخة في مجلدين ورقها حريري جلد محلي بخط حمو الكودي في الموصل خطها في غاية الجودة وقد رتب حواشيه احسن ترتيب . اه  
مخطوطات الموصل للدكتور داود الجلي ص ٢٣١ .

الكاشف في رجال الكتب الستة للحافظ شمس الدين عبد الله محمد الذهبي نسخة نفيسة جداً محررة سنة ٧٥٦ اي بعد وفاة المؤلف بقليل ومقابلته .

دلائل النبوة للحافظ البيهقي مجلد ضخيم بخط مغربي محرر سنة ٨٧٤ بخط محمد بن محمد ابن عبد الله بن بن اسماعيل الدفترى المالكي .

جزء منتخب من تهذيب الكمال للزبي اختصار عماد الدين ابي بكر بن ابي الجهد الحنبلي البعلبكي الأصل المتوفى سنة ٨٠٤ ومعه كتاب الضعفاء المختصر من تهذيب الكمال .

الكواكب الدراري في شرح البخاري للعلامة الكرماني نسخة في ٣ مجلدات قطع كامل .  
خلافة الأئمة الاربعة للامام احمد بن حنبل العيشي مجلد وسط قطع وسط محرر سنة الف بخط تقي الدين بن الحاج ابي بكر الموقت بجامع الكبير بمجلب حدن الخط .

شرح الامام سراج الدين عمر بن ابي الحسن علي بن الملقن الشافعي المتوفى سنة ٨٠٤ في اربع مجلدات ضخام المجلد الاول يقتصر من اوله قليلاً واول ما فيه باب ما ذكر من ذهاب موسى في البحر الى الخضر عليه السلام .

والمجلدات الأربعة هي بخط دقيق جداً وناسخها الحافظ الكبير الامام ابراهيم بن محمد ابن خليل سبط ابن العجمي الحلبي المعروف بالبرهان الحلبي المتوفى سنة ٨٤١ .

المجلد الأول محرر سنة ٧٨٥ والثاني سنة ٧٨٦ وعليهما خط المؤلف في عدة محلات وقد حررهما البرهان الحلبي حينما كان في مصر . وجاء في آخر المجلد الثاني ما نصه : ثم بلغ في الثاني بعد المائة قراءة علي ومقابلته بأصله نفعه الله واياي . كتبه مؤلفه غفر الله له .

والمجلد الثالث والرابع حررهما الحافظ البرهان الحلبي سنة ٨٢١ في حاب في المدرسة الشرفية بهذا الخط الدقيق وفي نهاية الرابع تم الشرح .

جاء في كشف الظنون في الكلام على جامع الصحيح للامام البخاري وشروحه في ص ٣٦٦ وشرح الامام سراج الدين عمر بن علي بن الملقن الشافعي المتوفى سنة ٨٠٤ وهو شرح كبير في نحو عشرين مجلداً اوله ربنا آتانا من لدنك رحمة الآية احمد الله سبحانه وتعالى على توالي انعامه الخ قدم فيه مقدمة مهمة وذكر انه حصر المقصود في عشرة اقسام في كل حديث وسماه شواهد التوضيح قال السخاوي اعتمد فيه على شرح شيخه مغلطاي والقطب وزاد فيه

قليلاً قال ابن حجر وهو في أوائله أقعد منه في أواخره بل هو من نصفه الباقي قليل الجدوى انتهى .

وذكر الحافظ السخاوي في الضوء اللامع في ترجمة الحافظ البرهان الحلبي التي نقلناها عنه إلى تاريخنا ( إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ) ( في ج ٥ ص ٢٠٧ ) وكتب عنه شرحه على البخاري في مجلدين بخطه الدقيق الذي لم يحسن عند المصنف لكونه كتب في عشرين مجلداً . وجاء في ترجمته بعد ذلك واجتهد الشيخ رحمه الله تعالى في هذا الفن ( فن الحديث ) اجتهاداً كبيراً وكتب بخطه الحسن الكتب فن ذلك كما تقدم شرح البخاري لابن الملقن بل فقد منه نصفه في الفتنة ( فتنة نيمورلك ) فأعاد كتابته أيضاً اه .

ويستفاد من كلام الحافظ السخاوي أنه كتب جميع الشرح في مجلدين وليس كذلك لما تقدم من أنه كتب النصف الأول في مجلدين سنة ٧٨٥ وسنة ٧٨٦ ويحتمل أنه تم كتابة الجميع في أربع مجلدات ثم فقد منه النصف الثاني في الفتنة فأتمه في مجلدين سنة ٨٢١ بالمدسة الشرفية في حلب .

وولادة الحافظ البرهان الحلبي سنة ٧٥٣ وكتابه لهذين المجلدين اللذين يبلغان عشرة مجلدات سنة ٨٢١ فيكون عمره حين اشتغاله بكتابتها ٦٨ سنة ومن هنا تعلم علوهم هؤلاء الرجال وحرصهم على الافادة والاستفادة وان كبر السن لم يكن مانعاً لهم من الاشتغال والتحرير .

وطريقة الامام ابن الملقن في هذا الشرح انه يذكر الحديث بتمامه ثم يشرع في الكلام عليه من عشرة وجوه وهكذا وفي الجملة فهو شرح جليل من اجل شروح البخاري يضاهي شرح العيني وابن حجر ولعله في كثير من المواضع اعظم فائدة منها ولا يؤثر فيه ما تقدم من قول الحافظ السخاوي .

وهو لعظم فائدته جدير بالطبع فعمى ان يتهنى لابراره الى عالم المطبوعات بمض ارباب المطابع في مصر فتم الاستفادة منه .

شرح المصابيح للامام فضل الله التوربشتي مجلد واحد محرر سنة ٧١٢ .  
شرح المناوي الكبير للجامع الصغير للجلال السيوطي في سبع مجلدات نسخة كاملة .  
الجزء الثاني من المناوي ايضاً .

القرب في فضل العرب تأليف الحافظ الزين العراقي .  
 بهجة المحافل واجمل الوسائل بالتعريف برجال الشمائيل تأليف الشيخ ابراهيم اللقاني .  
 الاصابة في اسماء الصحابة للحافظ بن حجر في مجلدين بخط محمد الداغستاني كتبها  
 سنة ١١٢٩ .

التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح للإمام الزركشي جلد واحد محرر سنة ٨٤٨ .  
 الجزء الاول من سنن ابي داود الى آخر الجزء السادس من اجزاء الخطيب وعليه خط  
 الحافظ يوسف بن عبد الهادي وسماعات كثيرة .

الاستيعاب في أسماء الأصحاب للحافظ بن عبد البر الاندلسي في اربع مجلدات بخط  
 مغربي وعليها سماعات متعددة مكتوبة بقرطبة والأجزاء بخط ابراهيم بن يحيى بن ابراهيم  
 حررها سنة ٥٢٣ فهي محررة بعد وفاة المؤلف بقليل ولعل هذه النسخة انفس نسخ  
 الاستيعاب الموجودة في الدنيا .

المناهج للإمام ابي عبد الله الحسين بن الحسن الحلبي المتوفى سنة ٤٠٣ وهو من رجال  
 ابن خلكان وهو في ثلاث مجلدات ضخام وهو شرح لحدِيث واحد وهو قوله صلى الله عليه  
 وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة آخر الجزء الاول «فصل: فأما الفرق بين دعاء الرجل لغيره  
 بالحضر وبين الشفاعة له» . قال في آخره يتلوه في الجزء الثاني : الثالث عشر من شعب  
 الايمان وهو باب التوكل على الله جل ثناؤه . وهو بخط محمد بن احمد بن سليمان المالكي محرر  
 سنة ٧٤٥ .

والجزء الثاني ليس عليه تاريخ كتابته لكنه بخط الناسخ الأول وعلى هذا الجزء خط  
 شيخ الاسلام الشيخ عمر العرضي الحلبي شارح الشفا للقاضي عياض .  
 الجزء الثالث منه وهو نعمة الكتاب عليه خط العرضي ايضاً وليس عليه تاريخ كتابته  
 لكن الناسخ واحد . ومنه نسخة في المكتبة السلطانية بمصر ولكن مما يؤسف له ان كثيراً  
 من اوراقه في الأجزاء الثلاثة ملتصقة بعضها ببعض لمطر كان اصاب هذه النسخة وغيرها  
 وذلك لقلة العناية بأمر المكتبة وعدم المبالاة في امر حفظها من امثال ذلك .

واقضى ايضاً ان يقبض الله لهذا الكتاب من يقوم بأمر طبعه لينتشر وتم فائدته .  
 الحليلة النبوية الشريفة وهي ورقة واحدة فيها صحيفتان فيهما نعت النبي صلى الله عليه





## رحلة اوليا جلبي

- ٣ -

ثم سرنا الى الجنوب فكنا نجتاز تارةً أماكن صخرية وتارةً مستنقعات وآجماً الى ان وصلنا بعد ست ساعات الى قلعة المضيق (١) . وهي قلعة صغيرة

(١) اخطأ جلبي في المدة التي ذكرها . فالبعد بين جسر الشفر وقلعة المضيق ٤٥ كيلو متراً لا تستطيع القافلة اجتيازها باقل من اثنتي عشرة ساعة . والخارج من جسر الشفر في يومنا يسير باديء بدء في طريق السيارات المعبدة احسن تعبيد الآتية من اللاذقية واتجهت شرقاً نحو الجبل الوسطاني فسهل الروج فجبل الزاوية فسهول اريحا وادلب وحلب وبعد ستة كيلومترات بودعها عند مفرق بين قريتي فريكة وسللي وبغرف الى الجنوب فيمر باراضي قرية الزبادة ويلتحق عن بعد على بين العاصي قرى الكفير وقرقور والزيارة . ثم يمر بقرية قسطون التي تعد من اخصب قرى الروج وأكثرها غللاً وكان فيها حصن قال عنه ياقوت : قسطون حصن كان بالروج من اعمال حلب نزل فيه ابو علي الحسن العجلي في سنة ٤٤٨ فاستولى عليه وخربه اه .

وبعد قسطون ينتهي سهل الروج ويدخل السائح في سهل الغاب متتبعاً الرصيف الروماني القديم وهو صنع الذين بنوا مدينة افامية ومدوه منها الى انطاكية ولا تزال اجمار هذا الرصيف وامباله ماثلة للعيان في مواضع كثيرة من سهل الغاب وفي الشمال عند دركوش تغيب تارة وتظهر أخرى فتسير في سفح اعضاء جبل الزاوية ولا تفارقه وترى عليه كثيراً من جلاميد الصخور المتدرجة بفعل العوامل الطبيعية على كره الدهور . واعضاد جبل الزاوية وفرعه الجنوبي المسمى شمشبو نسبة لقرية ذكر ياقوت انها من قرى افامية واقفة كالجدار

شرقي سهل الغاب كما ان جبال الصيربة التي كان يدعوها الرومانيون برجيليوس ودعاها ابو الفداء جبل الخيط واقعة في غربيه اما المستنقعات والآجام التي اشار اليها اوليسا چلي في بطائع سهل الغاب الفسيح وادغاله وهذه تنقلب في فصل الشتاء الى بحيرة عظيمة تدعى بحيرة افامية تحصل من نهر العاصي الذي لا يجرد متسعاً عند قرية قرقور وما بعدها ليجري براحة في زمن طفيلانه ثم من الانهر والينابيع الكثيرة التي تنجس من سفوح الجبال المحيطة بذلك السهل من الشرق والغرب . وبحيرة افامية ما برحت كما وصفها ابو الفداء « يمحيط بها القصب والصفصاف من كل جانب وفي وسطها غابة من القصب والبردي وبها من انواع الطيور مثل الثايت مثلكة التاء والغريرات والجمع والاصواغ والاوز والطيور التي تأكل الاسماك مثل الجملط والايضانيسات وغير ذلك من طيور الماء وفي ايام الربيع ينبت فيها النيولوفر الاصفر حتى يغطي مجموعها اه .

وقال شيخ الربوة : بحيرة افامية بحيرة كبيرة يدخلها العاصي ويخرج منها ولها سكر يصاد فيه نوع من السمك شبيه بالحيات يسمى انكليس لحمه شبيه بالاية المشوية وللناصرى (لعله يعني الملك الناصر محمد بن قلاوون) فيه رغبة عظيمة يحمل في المراكب اليهم (كذا) داخل البحر ضمائه في السنة نحو ثلاثين الف درهم . وقال في موضع آخر : بحيرة افامية يشقها العاصي ولا يلتقي احدهما بالآخر وفيها من السمك الانكليس والسورمالا يوجد بغيرها اه . ومن الغريب ان جغرافي العرب واخص بالذكر ياقوت وشيخ الربوة وابو الفداء اکتفوا بوصف بحيرة افامية ولم يذكروا اسم سهل الغاب ولا وصفوه حتى انه لم يرد في كتاب الاعتبار لاسامة بن منقذ الا مرة ( طبع جامعة برنستون صحيفة ٢١٨ ) في حكاية « انهزم فيها السبع الى الغاب » . ولم افهم اي غاب كان يعني . لأنه ذكر هذا السهل في موضع آخر ( صحيفة ٥٨ ) باسم مرج افامية وانه استاق منه غنيمة كبيرة من الجواميس والبقر والغنم . اما كتبة الافرنج فقد قالوا ان سهل الغاب كان في زمن السلوقيين مجففاً يزرع ويستثمر وان استرابون اطنب بخصبه ووفرة غلاله وربما كان يربي فيه من قطعان الجواميس والحليل وان القدماء اقاموا فيه سدوداً وحفروا خنادق لمنع طفيلان العاصي . ذكر السائح الافرنسي « كليليودراي » انه شاهد منها في سنة ١٨٦٠ سدالة فحات وفي جنوبي الغاب ضيعة

تدعى الخندق في جوارها خندق قديم كان خاصاً بتصريف المياه نحو العاصي وكانت برزية تفتقر عن افامية بجيرة تحصل من سد على النحو الذي ذكره ابو الفداء فيما نقله عنه في وصف برزية . هذا وقد درس المهندسون في زمننا مشروع تجفيف الغاب وتنظيم طرائق ربه واعداده للحرث والزرع ولا يعلم متى يمكن البدء بالعمل . فمن عني بهذا المشروع وكتب عنه تقريراً ضافياً للمهندس ويلهلم مستشار وزارة الاشغال العامة في حكومة الاتحاد السوري الملقاة في سنة ١٢٤٤ قال ما خلاصته : بعد ان يجتاز نهر العاصي حماة يجري في واد يختلف سعةً وضيقةً بين مكان وآخر ثم يسيل في مضيق عميق الغور ينفرج فجأة في بدء سهل متسع يبدأ من قلعة شيزر وعلى بعد عشرة كيلو مترات من هذه القلعة يصبح السهل مستنقماً ويدعى (الغاب) وهو يبدأ من قرية تل سلح و ينتهي قرب قرية فرقور وطوله ستون وعرضه عشرة كيلومترات ومساحته ٦٠٠٠٠ هكتار وأرضه تتألف من تربة عميقة ينساب العاصي فوقها محاطاً بالمستنقعات الكثيرة وهي في الضفة اليسرى أكثر منها في اليمنى . لكن هذه التربة تصبح بعد قرية فرقور مؤلفة من الحرار فيعود العاصي للجري في واد ضيق تحيط به الجبال المجاورة والينابيع التي تنبسط من سفوحها . وتجفيف سهل الغاب واستثماره حسب الاساليب الزراعية الحديثة مشروع عظيم ينفع بلاد الشام ويدر عليها ارباحاً جزيلة لان ارضه مؤلفة من طمي الحرات المعروف بخصبه ووفرة موادّه الغذائية . ولاجل ذلك ينبغي منع فيضان العاصي عليه ثم تجفيفه باقامة مجار كثيرة للعصر ثم ربه خلال اشهر الصيف بشبكة من القنوات . ففيضان العاصي يمنع تعميق مجراه واقامة جدرانته وتخفيض السد الموجود امام قرية فرقور . ولا صعوبة في هذا العمل لولا انه كثير النفقات . ويقام سدان عظيمان من التراب على ضفتي العاصي يبعد الواحد عن الآخر ٤٠٠ - ٥٠٠ متر حتى اذا ما طغى العاصي كان للماء من سعة الارض بين السدين ما يحول دون انهدامها . ويجزر في جانبيها الايسر وفي قاعدتيها خنادق او مصارف للمياه المنصبة من السهل فتوصلها الى العاصي

في نقاط مناسبة منه . وقد حسبوا كمية ماء العاصي في اوائل الخريف بالامطار المكعبة وفي الثانية فبلغت عند خروجه من شيزر ١٨ وفي مصبه عند قرقور ٢٧ وتغذي هذه الزيادة الينابيع الكثيرة التي تنبجس من سفوح الجبال وتنبع في جوانب السهل ، واهمها نبع ( باب الطاقة ) في الضفة اليمنى فان قوة مائه لا تقل عن المترين المكعبين في الثانية . هذا وليست الاراضي القابلة للري مخصصة في سهل الغاب بل هناك سهول ونجود واسعة تمتد من قلعة شيزر على ضفتي نهر العاصي يسهل ريفا فيقام لهذه الاراضي في زور ( التريسة ) سد قليل العلو يسقي قناتين الواحدة لري ارض الضفة اليمنى والثانية لري الضفة اليسرى وطول كل منها ٧٥ كيلو متراً ثم ينفي في نقاط مختلفة وعلى طول هاتين القناتين مأخذ يجري الماء منها الى قنوات ثانوية ومن هذه الى قنوات التوزيع على الحقول ، فيصبح الغاب مخترقاً بشبكة من القني تسوق الماء الى مختلف مواقعه وارضيه وما فاض منها يصب في العاصي امام قرقور . والمساحة الممكن ريفا بعد اتمام هذا المشروع الكبير تقرب من تسعين الف هكتار وهي تنتج احسن الغلال من القطن وغيره لذكاء التربة كما اسلفنا وغرارة مياه الري وجودة الاقليم اذ السهل لا يعلو عن سطح البحر اكثر من ٢٠٠ متر وجبال النصيرية تدراً عنه الرياح الغربية اه .

هذا والسائح يدخل بعد قسطون في سهل الغاب فيمر بضياع تدعى قليدين والعقاوي والعمقية وحواش والحويجة والحويز وبعض سكان هذه القرى بدو حراثون يدعون ان جدودهم جاؤا من بطانح الفرات في العراق ، ويمر بالعريمي والجماسية والشريعة والتويني الى ان يصل الى قلعة المضيق . ويلمح في وسط سهل الغاب ضياع تكون في ايام الفيضان كالجوائز لا يوصل اليها الا بقوارب رقيقة تدعى الجروف منها الجيد والريصيف والقرم والخذق واهلها نصيرية . ويوت ضياع الغاب اخصاص حقيرة تحيط بها الأدغال والمياه واهلها صفر الوجوه هنلى ينقلون كسكان اواسط افريقية في القوارب التي ذكرناها ويعيشون على تربية الجاموس وصيد السلور الذي يرسل في فصل الشتاء لاكثر بلاد الشام الشمالية حيث يؤكل بكثرة وبصطادون الطيور المائية وعد ابو الفداء بعضها فينتفون ريشها وياتقطنون بيوضها ويزرعون الذرة البيضاء في الارض التي تنحسر عنها المياه في

من اعمال أباله حلب بنيت قرب بحيرة تسمى باسمها فوق هضبة مشرفة على السهول والآجام المحيطة بها . وقد سميت بالمضيق لان الذي بناها كان من وزراء نور الدين الشهيد واسمه مضيق (١) . ثم غادرناها فوصلنا بعد سبع الصيف . ونبع الطاقة من احسن اماكن صيد السلور لانه حينما بقرس الشتاء وتبرد مياه العاصي بلجأ السلور الى مياه هذا النبع الدافئة في كثرة هائلة فيسطو عليه اهالي الغاب ويصطادونه بحراب خاصة . وجبال النصيرية المطلة على سهل الغاب من علو ١٦٥٠ متراً فمادون تنحدر نحو ميل سريع فتؤلف بقعة وعرة يدعونها (الشعرة) فيها وهاد سحيقة وعقبات كأداء تزيناها الغابات الغياض من مختلف الأشجار والأنجم وتسرح فيها النور والدب والذئب وقطعان الخنازير البرية يقصدها غواة الصيد منذ القديم . وفي سفح هذه الجبال على يسار العاصي مما يتبع قضاء صهيون من اعمال حكومة اللاذقية قرى سرمانيا وبرزية وفريكة ونبول وشطحة واستركي وغيرها وسكانها نصيرية . وصف ابو الفداء برزية وقلعتها فقال : حصن برزية من جند قنسرين قلعة صغيرة في ذيل الجبل المعروف بالحيط من شرقه مطلة على بحيرات فاميا ويتصل بها مياه البحيرات والأقصاب الى تحت برزية وليس بها كائن ساكن الا المرتبون لحفظ القلعة ويمتصم بها اهل البلاد في ايام الجفل وهي عن فامية في جهة الشمال والغرب على نحو مرحلة في الماء فان بحيرات فامية واقعة بينها وبرزية في جهة الجنوب عن الشفر وبكاس على مرحلة قوية اه . وفي أعالي هذه الجبال المطلة على البحر من القلاع التاريخية التي ذكرت في وقائع الصليبيين والاسماعيليين ايدو وصهيون والمهيلة (بلاطفس) وثمة قرى وضياح كثيرة منتشرة بين أودية هذه الجبال وأجامها الوعرة وفيها الحراج الغياض والينابيع السارية والمناظر الجميلة . وبعد ان بقيت هذه القرى في الستين الخالية في منزل لا تنالها ايدي الجيوش الا بالعناء لوعورة مسالكها وجلفة اهلها ذلت في العهد الأخير صماها ومهدت شعابها فصارت السيارات تجول فيها وجعل في بعض قراها المرتفعة الجودة الهواء والماء والمنظر كصنفة أماكن للاصطياف والقصف على الطراز الحديث .

(١) قلعة المضيق هي قلعة مدينة أبامية القديمة التي كان يدعوها مؤرخو العرب تارة

باسم فامية وتارة أفامية وقد ذكرت في شعر أبي العلاء بالالف حيث قال : ولولاك لم  
تسلم أفامية الردى . قال عنها ياقوت في المشترك : أفامية مدينة عظيمة قديمة على نشز  
من الارض لها بحيرة حلوة يشقها النهر المقلوب اه . كان اسم هذه المدينة قديماً فارناك ثم  
دعاها الاسكندر المكدوني بللا باسم البلدة التي ولد فيها ابوه فيليب وبعد موته دخلت في  
حوزة سلوقس نيكاتور مؤسس الدولة السلوقية فزاد في عمرائها وتحسينها ودعاها باسم امرأته  
الاميرة الفارسية اباميا وجعلها موقفاً عسكرياً مجهزاً بجميع العدد والعدد والمصانع  
والاصطبلات وشاد فيها مدرسة حربية للفرسان ، ولخصب سهل الغاب القريب منها ووفرة  
مراعيه زخر فيها مئات من الفيلة المحلوبة من الهند وعشرات الالوف من الجياد والجواميس .  
وخلت أفامية في عهد السلوقيين زاهية بمظمتها وجمالها ووفرة سكانها ورفههم تحسب الاولى  
بين مدن الشام الشمالية بعد العاصمة انطاكية الى ان جاءها كينسرو الثاني ملك الفرس في  
سنة ٥٢٣ ميلادية فنهبا وأحرقها وسبى أهلها وجاءت الزلازل فقضت على ما بقي منها قائماً  
ولم يرتفع لها شأن بعد ذلك ولم يبق الدهر من تلك المدينة الجميلة سوى حصنها الذي كان  
مبنياً فوق تل قريب في غربها دعي بعد حين باسم قلعة المضيق . ولما فتح المسلمون هذه  
الديار شاهدوا افامية خراباً كما هي الآن فاكتفوا بحصنها ولم يعمروها قط وهم اذاذكروها عنوا  
حصنها والقربة المبنية داخله . قال البلاذري : سار ابو عبيدة في سنة ١٧ بعد افتتاح  
شيزر الى فامية فتلقاه اهله بالصلح فصالحهم على الجزية والخراج . وذكر ياقوت حادثة جرت  
في ايام العباسيين للتولي عليها وكان رجلاً كردياً أغرمى القرامطة في سنة ٢٩٠ باهل المعرة  
فقتلوه قتلاً ذريعاً فلما انقلبت الآية وقتل رئيس القرامطة عوقب الكردي فهرب والتي  
بنفسه في بحيرة افامية فقال فيه احد شعراء المعرة :

توم الحرب شطرنجاً بقلها للقمير ينقل منه الرخ والشأها  
جازت هزيمته أنهار فامية الى البهيرة حتى غط في ماها

وفي العهد العباسي ظلت تتعاور حصن افامية أيدي الامراء الساميين للفاطميين  
والسلجوقيين وفي الحروب الصليبية استولى عليه تنكرد برنس انطاكية وبقي بيد الصليبيين  
نحو نصف قرن ثم جاءه نور الدين الشهيد في سنة ٥٤٥ فاستخلصه منهم . قال ابن الأثير

في حوادث هذه السنة : وفيها سار نور الدين الشهيد الى حصن افامية وهو للفرنج أيضاً وبنه وبين حماة وشيزر مرحلة وهو حصن منيع على تل مرتفع عال من احسن القلاع وامنهسا وكان من به من الفرنج يغيرون على اعمال حماة وشيزر وينهبونها فسار نور الدين اليه وحصره ومالهه وحصنه بالرجال والدخائر وكان قد اجتمع الفرنج وساروا ليرحلوه عنه فلما قبل وصولهم فلما بلغهم فتحه تفرقوا اه . وفي الزلزلة الهائلة التي حدثت في سنة ٥٥٢ خرب حصن افامية فيما خرب من بقية الحصون والمدن في شمالي الشام فرممه نور الدين واليه ينسب معظم مبانيه . وبعد وفاة السلطان صلاح الدين الابوي في سنة ٥٨٩ استقر هذا الحصن ومثله حصون برزية وكفر طاب وبعرين بيد الأمير عن الدين ابراهيم بن المقدم ثم اخيه شمس الدين عبد الملك من بعده . لكن ابن صلاح الدين الملك الظاهر غازي صاحب حلب استخلصه منه ولما زالت دولة الابويين عن الديار الحلبية انتقل حصن افامية كغيره الى ايدي المماليك . ولا يعلم اذا كان جيش هولاء التتري وصل اليه في ذلك العهد ونال منه . في سنة ٦٦٨ جاء الملك الظاهر بيبرس الى حصن افامية وجمع جيوشه فيه ثم زحف منه على انطاكية واستولى عليها وفي ايام الملك المنصور قلاوون كان حصن افامية في حوزة الأمير اثنار سنقر الأشقر . وبعد خروج الصليبيين وروال الحاجة للدفاع لم يبق لهذا الحصن مكانة حربية بل ظل كما هو الآن عبارة عن قرية يعتصم أهلها فيها من هجمات البدو والنصيرية وهؤلاء كثيراً ما كانوا يغيرون عليها وعلى غيرها من القرى ايام الفتن في عهد المماليك والعثمانيين .

هذا ومدينة افامية لا تزال على ما فعل بها الفرس خراباً بياباً تروع الزائر بفخامة اطلالها وجمال رسوما وعظمة مساحتها البالغة مائتي هكتار . ففيها نقاض سورها القديم وكان عليه ابواب لم يبق منها الا الباب الشمالي الذي فنطوته واطلال البرجين المحيطين به ماثلة . وثمة شارع عظيم مستقيم يمتد من الشمال الى الجنوب طوله يزيد عن ١٦٠٠ متر كان على جانبه صفان متقابلان من الاعمدة الجسمية لا تزال قواعدها ا. بعض اقسامها المهشمة ظاهرة . وهناك شوارع أخرى مستقيمة تتشابه في مواقع عديدة مع الشارع الاعظم . وحول هذه الشوارع تجد ابنامرت دوراً وقصوراً متهدمة وجدراناً متداعية واهجاراً منحوتة



مبعثرة وقواعد وتيجان اعمدة واعمدة طويلة ضخمة متعددة او منتصبة سطوح بعضها مستوية  
 وسطوح الأخرى محزومة بخطوط مقعرة ونائثة مستقيمة او حلزونية وكلها من الصخر الجيري  
 الأشهب الذي قضمه الحطب وقمل فيه كرم الدهور . وقد كانت افامية في عهد أسامة بن  
 منقذ على هذه الحالة اذ يقول في كتابه الاعتبار صفحة ٤٧ « وسرنا الى افامية فلقينا فارسهم  
 ورجالهم — يعني الافرنج — في الخراب الذي لها وهو مكان لا ينصرف فيه الخيل من  
 الحجارة والاعمدة واصول الحيطان الخراب » . قامت بعثة اثرية بلجيكية منذ خريف  
 سنة ١٣٤٩ بجفر تلك الخرائب فكشفت آثار عديدة بانت منها شوارع المدينة وبعض  
 مبانيها وجدراؤها وكثير من تيجان الاعمدة وقواعدها المنقوشة والمخططة باشكال واغصان  
 جميلة ونبتت البعثة مركز توزيع المياه الآتية بقناة عظيمة من شمال البلدة واظهرت  
 الاسماوانات الحجرية الضخمة والقساطل الخزفية الصغيرة التي كانت تتألف منها قنوات الماء  
 الموزعة على المدينة كلها بأسلوب غاية في الاتقان والمتانة واطلعت على بعض الآثار الخاصة  
 بعبادة باخوس اله الخمر وهي دائبة على العمل في خريف كل سنة وعساها تتوفى لاظهار دفنان  
 هذه المدينة التاريخية الجميلة .

اما حصن افامية فلا يزال فوق تله الكبير العالي يشرف في الغرب على جبال النصيرية  
 وعلى سهل الغاب ووادي العاصي وفي الشمال على جبل الزاوية وفرعه الجنوبي المسمى شحشو  
 وفي الجنوب والشرق على سهول ناحيتي طارالعلا وخان شينون . وكان يحيط بالتل خندق  
 عظيم زال معظمه على انه ليس في هذا الحصن قلعة كبيرة كما في حصن شيزر وحصن الاكراد  
 بل سور عظيم على هيئة مضلع غير منتظم تغلله ابراج كثيرة مربعة الشكل وفي اسفل السور  
 رصيف من الحجارة كان التل مصفحاً به كما في قلعة حلب وحمص وغيرهما . وقد خرب القسم  
 الغربي من السور كما ان المباني التي كانت تعلوه دثرت بالكليّة . وفي شمالي الحصن برج جميل  
 البناء في وجهه القبلي كتابة تحوي اسم الملك الظاهر غازي صاحب حلب تاريخها ٦٠٤ وفي  
 قبله باب كبير ذو قنطرة يدخل منه الى القلعة يحرسه برجان متقاربان وعلى الباب كتابة  
 تحوي اسم الملك الناصر يوسف صاحب حلب وهو حفيد الظاهر غازي تاريخها ٦٥٤ . وهاتان  
 الكتابتان ، وقدان كل اثر للسوقيين والصلبيين ، وشكل الابراج المربعة واقسامها

الداخلية والاعمدة التي حشيت في عرض جدرانها ، وشكل برجى الباب اللذين يؤلفان ما يسمى في كتب العرب باشورة كل ذلك يدل على أن بناء هذا الحصن عربي صرف وكذلك طراز هندسته وهو من آثار نور الدين محمود بن زنكي والأبوين من اعقاب صلاح الدين حكام حلب . هذا والقرية التي في داخل الحصن كبيرة يبلغ عدد سكانها نحو الفين حافلة بالدور المبنية من انقاض السور والابراج واهلها يصعدون وينزلون كل يوم الى مزارعهم ومراعيتهم التي في اسفلها وجوارها ويشربون من الينابيع التي في سفح التل وشأنهم في الهزال واصفرار الوجوه شأن بقية قرى الغاب الا قليلا . وفي خارج الحصن على مقربة من باب القبلية جامع صغير حسن البناء من عهد العثمانيين لكنه اصبح خراباً مهجوراً وفي قرية خان خراب من آثار الوزير ستان باشا الشهير كانت تأوي اليه قوافل التجار والحجاج القادمة من اطراكية الى حماة وماوراءها . واقاموا في غربي الحصن على احد روافد العاصي سداً له فتحات يحصل بسببها بحيرة تمتلي بالسمك فيصطادونه . وقد اتخذت قرية قلعة المضيق قاعدة لناحية الحقوها في السنين الأخيرة بقضاء المعرة تتبعها القرى التي تقدم ذكرها في بحث سهل الغاب . ولا يعرف العهد الذي تبديل فيه اسم حصن افامية وهو المصطلح عليه في عامة التواريخ القديمة فصار قلعة المضيق ولم اعلم من اين أتى اوليا چلبى برواية ان احد قواد نور الدين الشهيد كان اسمه مديق او مضيق تولى عليها مدة فسميت باسمه . ولم اعثر في كتبنا القديمة على كلمة المضيق الا عرضاً في ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي عند ذكره الواقعة التي جرت حول افامية في سنة ٣٨٢ لما حاصرها الروم وضابقوا اهلها وجاء جيش ابن الصمصامة والي دمشق لاستغلالها فكسر الروم وقتل ملكهم قال : وكانت الواقعة في مرج افيج بطيف به جبل يعرف بالمضيق لايسلكه الا رجل في اثر رجل ومن جانبه بحيرة افامية ونهر المقلوب فلم يكن للروم مهرب في الهزيمة اه . فيظهر من ذلك ان سهل الغاب كان يدعى مرج افامية وقلعة المضيق حصن افامية وذيل جبل الزاوية المشرف على هذه القلعة المضيق ونهر العاصي النهر المقلوب ، ولم يشذ احد من الكتب التي اطلعت عليها عن ذلك .

ساعات الى قلعة شيزر (١) .

« للبحث صلة » وصفي زكريا

(١) بعد قلعة المضييق يجتاز السائح وادي الجفر وينجبه جنوباً فيفادر ولاية حلب ويدخل ناحية طار الملا من اعمال لواء حماة التابع لدمشق ويمر في سهول بعيدة الاطراف لا شجر فيها ولا حجر ذات ثلعات متموجة وتلال بعثرت فيها كثير من القرى والضياع ومضارب البدو فيمر من ضياع صغيرة كالجرنية وحيالين وجملة وتل ملح ويرى على يمينه على سيف الغاب الصقلية ذات الدور البيضاء وهي كبيرة واهلها روم ارثوذكس يلبغون الالفين اشتهرت بقمحها الذي يتخذ للبذر في الديار الحموية وقرى صلبا والعموية وكفر بهود وثمة على العاصي عمودين والعشارنة والتريسة او تل الترمسي كما قال أسامة وفي العشارنة جسر على العاصي يجتازه قاصدو جبال الكلبية وقراها . وفي شرقي هذه الطريق كفر نبوذا ومغير وكروناز وبريديج والشيخ حديد وجبين والزلاقيات ووراء هذه القرى كفر زيتا واللطامنة ومورك الشهيرة بطيخها وصوران وطيبة الامام . وهكذا الى ان يهبط السائح وادي العاصي ويصل الى جسر شيزر وقلعتها بعد اجتياز ٣٧ كيلومتراً . وكل هذه القرى التي عددناها ذات تربة رملية طينية حمراء معروفة بخصبها وانباتها الزروع الصيفية والشتوية عذباً وبيوتها في الضياع تصكون اكواخاً مستطيلة من القصب والقش يدعونها طامات وفي القرى قباب مخروطية او دور حجرية . ذكر ياقوت في معجمه من هذه القرى عمورين وسماها عمورية ودعاها بليدة وهي الآن ضيعة صغيرة قال : عمورية بليدة على شاطئ العاصي بين فامية وشيزر فيها آثار خراب ولها دخل وافر ولها رحي تفل مالا اء . وذكر أسامة بن منقذ في كتابه الاعتبار اسما ~~ك~~كفر نبوذا وتل ملح وتل التلول . وقال ان تل ملح كان مكاناً للافرنج عند اغارتهم على شيزر .

وجبال النصيرية المشرفة على هذه الطريق تعد من الشعرة التي تقدم ذكرها ووصفها في سفحها من القرى الجديدة بالذكو مرداش وعناب وعين الكروم وهذه كبيرة ذات اربع ضياع اتخذت مركزاً ناحية وفقرو وحدادي ، وكل هذه القرى على سيف الغاب وثمة عين تدعى عين الجراص في قربها هضبة قامت عليها ضيعة تدعى قلع الشيخ ملوخ بلوح لي انها

مكان حصن الجراص الذي استخلفه ابو الحسن علي بن منقذ من الروم قبل ان يستلم منهم شيزر في سنة ٤٧٤ . قال البستاني في دائرة المعارف عن عناب التي تناوح قلعة المضيق انها هي انب التي حدثت حولها في سنة ٥٤٤ هـ معركة هائلة بين نورالدين وريموند دوبرواتية برنس انطاكية فانتصر نور الدين وهناه القيسراني بقصيدة جاء فيها :

وعسكرك الذي استولى مسيحياً على ما بين فامية وسبع  
بأنب يوم ابرزت المذاكي من النقع الغزالة في مسوح  
غداة كأنما العاصي احمراراً من الدم عبرة الجفن القرميح

وجاء في كتاب الدليل الازرق لمؤامرة ان هذه المعركة حصلت عند ضيعة تدعى انب في سهل الروج وفي خطط الشام للاستاذ كرد علي ج ٢ ص ٢٣ ان انب هذه من اعمال اعزاز . على ان اوصاف القصيدة تنطبق في الغالب على عناب القريبة من الفامية والعاصي بينما انب الروج او تذب اعزاز بعيدتان عنهما .

# جامع التواريخ

- أو -

« نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة »

- ٣ -

حدثني عبيد الله بن محمد بن عبد الله الأهوازي قال حدثني ابو الفضل  
البلخي الفقيه قال حدثني الخليل بن احمد السجستاني قاضيا قال قدم علينا  
صاحب جيش خراسان من قبل نصر بن احمد ومعه خلق عظيم من الجيش  
فملك سجستان واكثر أصحابه الفساد في البلد وامتدت أيديهم الى النساء في  
الطرق قهراً . قال فاجتمع الناس اليّ والى فلان الفقيه وقد ذكره البلخي  
وانسبته انا وشكوا الحال فمضينا معهم الى صاحب الجيش فدخلت اليه انا  
والفقيه وجماعة من رؤساء البلد وكان المبتدي بالخطاب الفقيه فوعظه وعرفه  
مايجري قال فقال له ياشيخ ماظننتك بهذا الجهل معي ثمانون الف رجل نساؤهم  
بخارى فاذا قامت . . . . . كيف يصنعون ؟ ينفذونها بسفاحج الى حرمهم ؟  
لا بد لهم ان يضعوها فيمن هاهنا كيف استوى لهم هذا الامر فلا يمكنني (١)  
افساد قلوب الجيش بنهيم عنه فانصرف . قال فخرجنا . فقالت لنا العامة

(١) كذا بالاصل .

ايش قال الامير قال وأعاد عليهم الفقيه الكلام بعينه فقالوا هذا القول منه فسق وامر بالفسق ومكاشفة بمصيبة الله تعالى فهل يحل لنا عندك قتاله بهذا القول؟ فقال لم الفقيه نعم قد حل لكم قتاله قالوا: فتأذن قال: نعم. قال فبادرت العامة وانسلنا من الفتنة فلم نصل المغرب من تلك الليلة وفي البلد احد من الخراسانية. قال: لانه اجتمع من العامة من لا يضبط عدده فقتلوا خلقاً عظيماً من الخراسانية واستحرق القتل فيهم ونهبت دار الامير وطلبوه ليقتلوه فافلت على فرسه ومعه كل من قدر على الحرب ومضوا على وجوههم فما جاءنا بعدم جيش من خراسان اصلاً.

\*\*\*

حدثنا محمد بن عبد الله بن محمد بن مهرويه المعروف بابن ابي علان قال حدثني ابن ابي القاسم قال كنت اكتب لعبيد الله بن الحسن بن يوسف على كور الأهواز فكتب علي بن عيسى بطالبنا بالحساب فتقدم الى ابي احمد عبيد الله بن الحسن بعمله وبالخروج للموافقة عليه وذلك في سنة ٣٠٦ قال: فجمعت الحساب وحملت (١) جماعة (٢) لسنة ٣٠٥ بارتفاع مال الخراج بالأهواز وكورها سوى الضياع فكان مبلغ ذلك ستة عشر الف وثمانمائة الف درهم وكسرها وكلها قد صح في الاستخراج ولم يبق للسلطان الا نيف واربعين (٣) الف درهم قال فكان مال الضياع يقارب هذا الا انه لم يكن في حسابنا.

(١) لعله وحصلت وعملت. (٢) قال في مفاتيح العلوم: الموافقة والجماعة حساب جامع يرفعه العامل عند فراغه من العمل. (٣) كذا بالاصل.

حدثني عبد الله بن عمر الحارثي قال عجل عليّ الشيب ففمنني ذلك وفكرت في ان أخضب لحيّتي ففمت فرأيت في النوم كأنني أشاور طبيباً في خضاب فقال لي لا تحتاج الي خضاب ولكن أصف لك شيئاً يسود الشعر ويحفظ لونه ويمنع من السواد ان يبيض . خذ دهن الزرجيل العتيق وزن خمسة دراهم ومن الاهيلج الأصفر وزن نصف درهم ومن النوشادر وزن دائق واسحق الجميع ودفه بالدهن حتى يختلط واطل به الشعر فانه يسود . فانتهت وقد حفظت ذلك فمملته فاسود شعري وتأخر الشيب عني دهرًا طويلاً .

\*\*\*

وحدثني قال كنت في شبابي أمتنع بالجوارى والماليك فكان العزل بثقل عليّ جدًّا فاشتريت جارية بدنانير كثيرة و كنت أخاف ان تحبل فيذهب ثمنها ففمت مشغول القلب بذلك فرأيت قائلاً يقول اذا أحببت ان لاتحمل المرأة فخذ نيجاً واسحقه واعجنه بلبن فرس وجففه واجعله في كيمخت (١) وعلقه على المرأة فانها لاتحبل فقلت له ما سمعت هذا من طبيب . قال : ان أحببت ان تتمن صحة ذلك فخذ هذا الدواء واجعله في قارورة ماء واجعلها على النار واوقد تحتها فانه لا يغلي ولو مكث سنة قال وانتهت او جربت ذلك فوجدته صحيحاً .

\*\*\*

وحدثني ايضاً الحارثي قال حدثني ابي وكان يخدم في دار الموفق والمعتضد بعده . ان المعتضد أراد ان يشهد على نفسه العدول في كتاب صدره (١) نوع من الجلد مأخوذ من كفل الفرس أو الحمار ومدبوغ دباغة خاصة :

( هذا ما شهد عليه العدول جميعاً ان امير المؤمنين عبد الله ابا العباس المعتضد بالله اشهدهم على نفسه في صحة منه وجواز امره ) وعرضت النسخة على عبيد الله ابن سليمان فضرب عليها وقال هذا لا يحسن كتبه عن الخليفة اكتبوا ( في سلامة من جسمه واصابة من رأيه ) .

قال لي الحارثي استهديت من صديق لي نبيذاً فانفذ اليّ نبيذاً حامضاً فرددته عليه وكتبت اليه الجيران : أحق بهذا من الاخوان . ووصف لنا مرة نبيذاً طرياً شربه فقال هو دواء الفهم عمل من ثمر البلاذر اي هو لا يسكر لضعف فعله .

\*\*\*

حدثنا ابو الفتح عبد الله بن محمد البرودي الكاتب قال حدثني بعض شيوخ الكتاب قال (١) قال ابن الفرات لابي منصور بن جبير كاتبه ايما أكفا (٢) انا و علي بن عيسى فقال الوزير اكفا واضبط قال دعني من هذا قال توّمني قال قد امنتك قال علي بن عيسى اذا حضر بين يدي الخليفة فاراد ان يكتب سرّاً له لم يمتج الي غيره وكتب هو وبها وختم وخرط (٣) بيده وانفذ العمل وانت لا بد لك من زنجبي ولوطي صاحب دواته فيطيل (٤) الامر بظهور اثنين عليه قال فضلت علينا علياً؟ قلت لا والله ياسيدي ولكن يكون علي بن عيسى كاتبك .

\*\*\*

(١) كتاب الوزراء لهلال ص ٦٣ . (٢) الصواب أينا أ كفي .

(٣) يعني : جعل في الخريطة . (٤) لعله : فيبطل . والعبارة عندهلال غير هذه .



حدثني عبد الله بن محمد بن داسه ان ابا القاسم البريدي ايام تقلده الامر بالبصرة شرب يوماً وعنده جماعة من ندمائه فافتقد قحف بلور كان معجبا به وطلبه الشرايية فلم يعرف له خبر فحلف انهم ان لم يحضروه ضربهم بالمقارع فقال له احدهم لا نجعل ولكن امر (١) باحضار كل من كان البارحة حاضراً فأمر باحضارهم فجلسوا وأنفذ الغلام الى منزل كل واحد منهم برسالة منه أن انفذوا القحف البلور الذي كتبه اليكم البارحة فعاد احد الرسل من دار احدهم ومعه القحف فافتضح ذلك النديم وسقط محله . وهذا مضاد لما حكى عن بعض الاكاسرة انه كان يشرب فوقعت عينه على غلام من غلمانه وقد سرق صابنية ذهب مع ما فيها وحملها فأمسك الملك وفاز بها الغلام فافتقدها الخزان من الغد وجاؤا في طلبها فدعاهم وقال لا تتبعوا في طلبها فقد اخذها من لا يردها وراه من لا ينم عليه قال فأمسكوا فلما كان بعد سنة كان الملك يشرب فدخل ذلك الغلام عليه فرأى عليه منطقة ذهب حسنة فقال له الملك سرأ أهذا من ذلك فقال نعم . فقال ان كان ما عندك من تلك الدنانير التي من الصبانية قد نفذ فعرفني لأدفع اليك أخرى .

\*\*\*

وحدثني قال وحدثنا ابو الحسين احمد بن الحسن بن المثنى قال لما قدم حامد بن عباس الابانة يريد الأهواز وهو وزير خرجت لتلقيه فرأيت له حراقة ملاحوها خصيان بيض وعلى سطحها شيخ يقرأ القرآن وهي مظلمة مسترة .

(١) يعني : أمر .

فسألت عن ذلك فقالوا هذه حراقة الحرم لا يجسن ان يكون ملاحوها  
فحولة .

قال وقال لي ابو الحسين دخلت الى ابن الجصاص في داره ببغداد فرأيت  
خصياناً بيضاً مزينين .

\*\*\*

قال حدثنا ابو الحسين قال رأيت لابي العيناء خادمين خصيين أسودين  
يقودانه فقيل له كيف اتخذت خصيين أسودين فقال حتى لا يتهما بي ولا  
أتهم بهما .

\*\*\*

وحدثني قال حدثنا ابو الحسين قال قدم ابو العيناء البصرة في سنة نيف  
وثمانين بعد الغيبة الطويلة التي غاب عنها وخدمته للخلفاء والوزراء بسر من رأى  
وكان ابو خليفة اذذاك عالم البصرة بالحديث والأخبار واللغة والنحو ومحمد بن  
جعفر بن بسام قاضيها وكان له محل من الادب واللغة والشعر كبير وكنت  
منقطعاً اليه ملازماً له أدرس عليه الفقه فكان اول من اثنمني ورفع  
شأني . فقال لي يا ابا الحسين قد قدم ابو العيناء وأحب ان أجمع بينه وبين  
ابي خليفة وننظر اثرهما (١) فقلت علي ذلك فقال مضيت ولقيت ابا العيناء  
وعقدت عليه وعداً للعضور عند ابن بسام وعلي ابي خليفة فاجتمعا فأخذ ابو  
العيناء في الرواية عن الأصمعي ومشاهداته مع المتوكل وابن ابي دواد وفلان

(١) لعله : آثرهما أي أفضلهما .

وفلان والشعراء قال فاسكت ابو خليفة فلم بنجرته معه ولم يلحق به قال فائتينا على ابي العيناء وقرظناه فقال يا أيها القاضي انا لا أنسى ما كنت أحفظه منذ اربعين سنة .

\*\*\*

وحدثنا ايضاً قال حدثني ابو عبيد محمد بن علي الاجرّمي قال كنت عند ابي العيناء لما قدم البصرة سنة نيف وثمانين بتسبيبات له على عمالها وكان معنا أصحاب الحديث ف قيل له قد دخل اليك ابن المثنى فقام وقدّر ان ابا علي الحسن بن المثنى قصده فقال له بعض الحاضرين انه احمد بن الحسن بن المثنى فجلس قيل ان يقرب منه ابو الحسين ثم استدنا (كذا) ابا الحسين واكرمه وسأله عن خبر ابيه . . . . . (١) .

\*\*\*

. . . . . فقال لي لأدري كنت يوماً في مجلس موسى بن اسحاق القاضي بالبصرة وقد اجتاز بنا وكان أصحاب الحديث حضوراً وكان موسى لا يطلق (٢) ان يدخل مجلسه غلام أمرد ليسمع الحديث فحين رآه موسى صاح يا غلام أخرجته فقلنا له اعز الله القاضي هذا ابن اخيك ابي علي بن المثنى قال فرفعه وقدمه .

\*\*\*

وحدثني قال حدثني ابو الحسين قال لما نشأت كتّبت ابو حازم القاضي الى ابي يقول انه قد بلغني انه قد نشأ لك فتى يطلب العلم ومن حاله وصفته .  
(١) بظهر ان أواخر الحكاية قد سقطت مع أوائل حكاية أخرى . (٢) لعل لا يطبق

(قال وقرظني) فانفذته اليّ لأقلده القضاء قال فقال لي أبي ما تقول فقلت فانفذني فانك هو ذا ترى ما نحن فيه من الإضاعة فلعلني اتسع بالارزاق (١) فان الأعمال نفني والصيانة تبقى .

\*\*\*

وحدثني قال حدثني بعض شيوخنا ان ابا العيناء قد قصد دار الواثقي وهو الامير بالبصرة اذذاك فأجاس في الدهليز ساعة الى ان استوذن له وجرى الحديث فقال رجل في حديث اقتضى ذلك يا ابا العيناء انت صائم اليوم فقال اما في هذه الدار فنعم فكتب صاحب الخبر الى الواثقي بذلك فأذن له في الحال واعتذر اليه من إجلاس البوايين له في الدهليز وانكر ذلك عليهم .

\*\*\*

قال واجتمع ابو العيناء وابو النضير (٢) يوماً في مجلس فاستطال عليه ابو العيناء فقال له ابو علي : نحن جميعاً ضرير ان فما هذا التطاول فقال ولاسواء انت من عميان العصا وانا من عميان المراكب (٣) .  
(١ بحث صلة)

(١) يظهر انه سقط ما معناه : فقال ابي لا تفعل .

(٢) لعله : ابو علي البصير الذي اسمه الفضل بن جعفر .

(٣) لعله : المراكب .

## آراء وأفكار

— (١) —

### ملاحظات لغوية

نشر لي المجمع العلمي العربي في مجلته م ١١ ص ٦٩١ - ٦٩٧ فصلاً فيه ملاحظات على طائفة من الفضلاء الذين يكتبون فيها ، وبدا له فعلى على موضعين منه تعليقاً وجزءاً ، ثم فقى عليه كبير كذاتاب العصر الأمير شكيب أرسلان فوافق على كل ما جاء فيه عدا كلمة واحدة استوقفته فاستفهمني عنها وتفاضلني عليها شاهداً بوثق به . وقد سمعت ما عندهما فأحب أن يسمعا ما عندي ، ورأيهما الموفق !

فأما ملاحظتنا المجمع فأولاهما أن أدبياً باحثاً ذهب في فصل كان يتحدث فيه عن الجاحظ الى أن العرب كانوا يقولون في الفرس السابق « يلحق الغزال ويسبق الظلام » فأخذت عليه قوله يسبق الظلام ونفيت أن يكون لسبق الفرس الظلام مفهوم في الكلام وقلت إنما كانت العرب تقول يسبق الظليم وهو الذكر من النعام وعززت قولي بينات من اللغة والشعر بغني الرجوع اليها عن إعادتها ، فعلق المجمع على شطرنج قولي من غير أن يذنب الى الشواهد التي أفتها على تأييده ونازعني في إنكاره أن يكون لسبق الفرس الظلام مفهوم ما وقال إن لذلك وجهاً وجهاً ووثق رأيه ببيت للناطقة الديباني وهو قوله :  
وإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المتأذى عنك واسم

ثم لم يزد عليه شيئاً

وأنا أتخاكم في هذا الذي أذهب اليه الى النص وسياقه وسياقه والى المنطق والى العرب ثم علماء الأدب فيما فهموه من هذا البيت . فأما النص فإنه — كما قلت أول مرة — من كلام ابن شرف القيرواني في رسالته الانتقاد ، وهو يتحدث عن محترعات امرئ القيس

في الشعر ، وهو قوله « كانوا يقولون في الفرس بلقي الغزال والظلم حتى قال قيد الاوابد » أي الوحوش ، وقد طبعت هذه الرسالة ثلاث طبعات : في الأوليين منها « الظلم » وفي الثالثة « الظلام » ويظهر أن الكاتب اعتمد هذه الطبعة الثالثة فقال ما قال من غير أن يتروى في السياق والسباق ، فأية علاقة في النص بين الظلام وبين الغزال والأوابد ؟ لا شك أن ائتلاف في هذا من الشدة بحيث لا يمكن أن يجمع بينها المعنى الذي قصد اليه ابن شرف كيفما حاول التحمل أن بلائم أو يوائم أو يلاحم ، انما يستقيم المعنى بالظلم . . . وبالظلم وحده ليس غير . وللزيادة في توكيد أن هذا اللفظ هو الثابت نذكر أن من تعرض له ايضاً ابن رشيق في قراضة الذهب وبعض شراح ديوان المتنبي عند قوله « أجل الظلم وربقة السرحان » وقوله « وعقلة الطي وحنف التتفل » فقد اشاروا جميعاً الى أن المتنبي قد احتذى امرأ القيس في « قيد الاوابد » الذي اشار اليه النص الصحيح المتقدم من كلام ابن شرف ، غير أن المتنبي أتى بالمعنى في غير اللفظ وزاد زيادة جيدة فقال « أجل الظلم » وقال « ربقة السرحان » الخ وفي هذه دلالة قاطعة على صحة ما ذهبنا الى تصحيحه وعلى أن العرب من عهد امرئ القيس الى المتنبي والى ما لا ادري انما كانت تذكر في تفضيل سبق الحياد الحيوان والوحش من غزال وظلم وتفل لا الظلام وما اليه . هذا النص ومؤبداته وأما المنطق فهو يرفض كل الرفض ما ذهب اليه التعليق من «وجاهة» معنى سبق الفرس للظلام ، فانه من الوهم الذي لا يتحقق له وجود في الخارج إذ كيف يسابق الفرس للظلام وفي أي فلك يدورمه ويجاربه وفي أي مضمار يجول ويباربه ؟ ان هذا الذي يريد التعليق ان هو الا إحالة<sup>(١)</sup> فاسدة لم يتعلق بها حتى المغرقون في المبالغات السخيفة<sup>(٢)</sup> من الشعراء المولدين .

واما بيت النابغة الذي يأتي فهو في وادٍ غير هذا الوادي وهو بعيد جداً ان يكون مؤبداً لهذا المعنى الذي يذهب اليه التعليق ، وندع القول فيه الى ما فهمه منه فصحاء العرب ثم الرواة وأئمة الأدب لئلا تترك مجالاً للاعتراض والرد تارة أخرى :

عن جرير بن يزيد بن جرير بن عبدالله البجلي قال - كنا عند الجنيد بن عبد الرحمن بخراسان وعنده بنو مرة وجلساؤه فلذاكروا شعر النابغة حتى أشدوا قوله « فانك كالليل

(١) [المجمع] . . . . .

الذي هو مدركي ٠٠٠ البيت » فقال شيخ من بني مرة — وما الذي رأي ( يعني النابغة ) في النعمان حتى يقول مثل هذا ؟ وهل كان النعمان الا على منظره من مناظر الحيرة ؟ وقالت ذلك القيسية ايضاً فأكثرت ، فنظر الى الجنيد فقال — يا أبا خالد ! لا يهولنك قول هؤلاء الا عاريب واقسم بالله لو عابنوا من النعمان ما عابن صاحبهم لقوالوا أكثر مما قال ولكنهم قالوا ما نسمع وهم آمنون . وانت ترى من إنكار الشيخ المري على النابغة قوله أنه انما فهم منه المبالغة في دعوى سعة<sup>(١)</sup> ملك النعمان علي حين أنه لم يكن الا على منظره من مناظر الحيرة فانكر عليه دعواه الكاذبة كما أنكرتها القيسية ايضاً .

وقال العلامة الأديب عبد الرحيم العباسي في معاهد التنصيص يشرح البيت :  
المتنأى : اسم موضوع من انتأى عنه أي بعد ، وشبهه بالليل لأنه وصفه في حال سخطه وحوله ، والمعنى : انه لا يفوت المدوح وان أبعد في الحرب وصار الى انقى الارض لسعة ملكه وطول يده ولأن له في جميع الآفاق مطيعاً لأمره يرد الهارب اليه .

ثم أورد اعتراضاً للاصمعي على النابغة في تشبيهه الادراك بالليل بأن الليل والنهار قد تساويا فيما يدركانه وإنما كان سبيله ان يأتي بما لا قسم له حتى يأتي بمعنى منفرد . وقال : فلو قال قائل — ان قول النخيري في ذلك أحسن منه — لوجد مسانغاً الى ذلك حيث يقول :  
فلو كنت كالمنقاء أو كسموها نطلتك الا أنت تصد تراني

ثم أورد العباسي في معنى بيت النابغة أشباهاً كثيرة في وصف سبق الفرس من شعر ابن جبلة وسلم الخاسر والهجرتي وابن هاني الاندلسي وأبي العرب الصقلي وكها يدل على غير ما ذهب اليه صاحب التعليق في تفسير بيت النابغة ! !

وثانية الملاحظتين أنني صححت كتابة (عري) جمع (عروة) بالألف (عرا) بناء على قاعدة البصريين في إرجاع الكميات الى أصولها ، فغالفتي الجمع وقال « بل الاصح أن تكتب بالواو ( هكذا في الطبع وهو يريد بالياء ) بناء على قاعدة الكوفيين كما كتبوا الضمى والخطى » انتهى . وأنا لا أعلم ما الذي يجعل قاعدة الكوفيين أرجح في نظر الجمع على حين أنها قاعدة شاذة عن المقاييس العلمية ليس لها أصل معقول تحول اليه ! وحياة اللغة إنما تستمر باصطناع المقاييس المطردة التي جرى عليها البصريون ومن هنا نحوم في

(١) [الجمع] أو في دعوى سرعة الخاق والإدراك .

تأصيل الأصول القياسية من فلاسفة اللغة وأهل البيان ، وشذوذ من المجمع أن يرجح الشاذ على المقيس من غير مرجح لديه ويرجع بالأصول اللغوية الى طور السذاجة قبل أن يتناولها الاستقراء العلمي ويجررها الي بحث الفني . على أنني كنت أحب للمجمع . وهو القائم على تهذيب اللغة في هذا العصر العتيق أن يتجاوز حتى قاعدة البصريين التي هي أنفي للغلط الكتابي الذي يضح منه العالمون والمتعلمون من قاعدة الكوفيين الجامدة البليدة الى أفق أوسع ومجال أرحب فيدعو الى كتابة الباب « كاه » بالألف حملاً للخط على اللفظ سواء كانت الألف ثالثة أو فوقها ولومقلبة عن ياء في علم أو غيره ، لترجح ونسريح من الشكوكي المريرة من صعوبة قواعد الكتابة العربية التي لايسلم أكثرها من تنطع وبلادة وجمود . والمجمع لايجعل أن هذا الذي أريده قد مشى عليه جماعة من النحاة منذ عهد عهيد ووجهوه بأنه القياس وبأنه أنفي للغلط ، وهو لتليل صحيح بدل على سمو في الفكرة ودقة في النظرة فأننا أدعو الجماعة العاملين على إحياء العربية الى مشاركتي في هذا الرأي ونشره بين الناس في المدارس وفي الصحف فان في ذلك تخفيفاً كبيراً من عبء اللغة على المتعلمين وخيراً كثيراً . وأما ملاحظة العلامة الأمير شكيب أرسلان ( المجمع م ١٣ ص ٢٤٩ ) فعلى كلمة جنح بمعنى جناح في مثل وهو قولهم « ركب جنح نعامه » كنت اوردته شاهداً على ان النعام ذكره وأنتاه هو الموصوف عند العرب بالخفة وسرعة الجري وشدة الحذر . فالأمير يعترض على استعمال الجنح ويرى أنه غير الجناح ويقول « لا أزال أحفظ أن اليازجي الكبير في مقاماته استعمال الجنح بمعنى الجناح مضافاً الى الطائر فأخذ عليه في ذلك أحمد فارس صاحب الجوائب » ثم هو يتقاضاني أن أدلي له بنص أو شاهد يوثق به على ورود جنح بمعنى جناح مضافاً الى الطائر . وجوابي له أنني نقلت هذا المثل بهذا اللفظ من كتاب حياة الحيوان<sup>(١)</sup> مع علمي بأن الوارد في القاموس المحيط وفي كتب الأمثال إنما هو جناح ، وعلة ذلك أنني أعتقد أنه لافرق بين الجنح والجناح بدلالة مفاهيم عبارات اللغويين وجنوح الأدياء وعمامة الناس في مصر والشام والعراق الى استعمال ذلك بمعنى هذا . فأما عبارات أهل اللغة فقد جاءت متعدة غالباً في الجنح والجناح فن معانيها معاً : الكتف ، والنساحية ، والجانب ، فاذا أردنا جانبي الطير أو الانسان أو الجيش فلماذا يصح أن يقال جناحاه ولا يصح<sup>(٢)</sup> أن

(١) طبعة مصرية . (٢) [المجمع] لان اللغة نقل .



يقال جنهه على حين أنهما يدلان على شيء واحد دلالة واحدة وهي « الجانب » ؟ فان قيل إن الجناح بمعنى الجانب مجاز كما في قوله تعالى « واخفض لها جناح الذل من الرحمة » . قلنا : وكذلك قوب العرب « أناخ فلان عند جنح سبيل » أي جانبه ، و « بات بجنح القوم » أي كنفهم . ولا بد لكل مجاز من حقيقة ينقل عنها ، فاذا اعتبرنا حقيقة الأول هي جناح الطائر فما عسى أن تكون حقيقة الثاني ؟ لا ريب أن اتحاد اللفظين في معانيهما المجازية دليل على اتحادهما في حقيقةهما أيضاً غير أن حقيقة الجناح أمنت لسبب من الأسباب وحقيقة الجناح استمرت في الاستعمال . وقد قالت العرب في كلمات مثلها « نبح ونجاح ، وصبح وصباح ، وسي ومساء » وغيرها ، فلماذا لا يكون الجناح كالجناح على هذا القياس <sup>(١)</sup> ؟ ولم كل هذا التعجيب ومعاجم اللغة لم تدون كل مفردات اللغة ؟

واذا تحللنا من قيود الجود على ورد ولم يرد استوقفنا إطباق أكثر أهل البلاد العربية على استعمال هذين اللفظين بمعنى واحد في حقيقة واحدة ، فنضرب بذلك كله عرض الحائط ولا نعيره أقل اهتمام ؟ هذا اليازجي <sup>(٢)</sup> الكبير قد رأى جواز استعمال هذا اللفظ بمعنى ذلك فاستعمله ، وتلك الطبعة المصرية لحياة الحيوان تستعمله كذلك ، وهذه أبيات من الشعر العراقي <sup>(٣)</sup> قرأناها في كتاب العقد المفصل ج ١ ص ١٧٧ و ج ٢ ص ٣٤ وهي صريحة في استعمال الجناح بمعنى الجناح :

وهو للمؤمنين يخفض جنهاً دون أدنى محله الجوزاء

\*\*\*

أهون بأحداث الزمان وان تكن لعظيم أبطال الزمان تبير  
قد فاجأته في الرضاع ولهبها فزغاً بجنح الرعب منه بطير  
وقد استرأينا في هذا فاضلين كبيرين من أعيان العصر في الشعر وفي النثر فوافقتني  
على ما ذهبت إليه في غير تلكم وبعد هذا قد ذهب وهم العلامة الأمير إلى أنني استشهدت  
بقول الشاعر الحماسي :

كأن بصحراء المرابط نعاماً تبادرها جنح الظلام نعام

(١) [المجمع] لأنه لا قياس في اللغة . (٢) [المجمع] !!

لأثبت صحة جنح بمعنى جناح . . . وليس كذلك فأنا انما استشهدت به وبما قبله وبعده  
لأثبت صفة سرعة الجري للنعام ذكره وانشاء ليس غير ، وأما موضوع الجنح والجناح  
فلم أكن بسبيله وإنما أثاره الأمير . عليه مني تحية طيبة مباركة .

بغداد : محمد بهجة الأثري

من أعضاء المجمع العلمي العربي

(المجمع) لعل القاري بعد ان استطال كلام الفاضل الأثري يريد ان يعرف  
النتيجة الصحيحة من هذه الابحاث الثلاثة فنقول :

(١) ان العرب كما يصفون الفرس بانه يسبق الظليم يصفونه ايضاً بانه يسبق الظلام  
بدليل ما نقل عن الجاحظ وبدليل قول النابغة : ( فانك كالليل الذي هو مدركي )  
فهو يقول للنعمان انك تدركني وتبطش بي أفي فررت كما أن من رأى اول الليل  
مقبلاً من جهة الشرق فخيّل اليه انه اذا فر منه ينجو فلاجرم انه لا ينجو بالفرار بل ان ظلام الليل  
يدركه افي سار .

(٢) الكوفيون من علماء اللغة اقوالهم مرجوحة سوى مسائل معروفة رجحت فيها  
آراؤهم من ذلك كتابه ( عرى ونحى وخطى ) بالياء وان كان أصلها واواً وكثيراً ما كانت  
الفصاحة في استعمال الشاذ — كفعل ( استحوذ ) مثلاً فان الفصح فيه ان يقال كما قال تعالى :  
( استحوذ عليهم الشيطان ) وان كان اصل القاعدة ( استحاذ ) .

(٣) ما قاله الامير شكيب من ان كلمة ( جنح ) لم ترد بمعنى جنح الطائر في فصيح  
كلام العرب ولا في معاجم اللغة المعتبرة — هو الصحيح ولا يجوز جعل ( طبعات ) الكتب  
وشعر المتأخرين وإطباق الرأي العام — براهين على صحة دعوى لغوية ما لم يؤيدها النقل  
الصحيح من أئمة اللغة المثبتة اقوالهم في المعاجم المشهورة .

(٤) يبقى مجمعا علمي متمسكاً بما قرره الاقدمون من قواعد اللغة العربية ويجد من  
وفاء الذم ان ينبه الى ما وقع من الخطأ في تلك القواعد حتى اذا تسرله تنفيذ خططه في  
اصلاح اللغة وتهذيب قواعدها واطن ذلك على الملا كان له اذ ذاك ان يفضي عن الاغلاط  
معا خالفت آراء المتقدمين ما دامت موافقة لخططه وطرائقه .

## نموذج من الكلمات الصليبية

قلت في مقالتي (الكلمات الابوية) المنشورة في مجلد هذه السنة ص ١٥١ ان التوري ذكر في كتابه (نهاية الأرب) ان الشاميين اقتبسوا من الأفرنج كلمة (مفصلة) ويريدون بها الأرض التي يعطيها الأمير صاحب الاقطاع الى بعض اتباعه مقابل شيء معلوم يؤديه في السنة وان مفصلة مشتقة من الفصل . ثم تقلنا عن بعض فضلاء مصر المعاصرين ان الفصل معرفة عن كلمة Vassal الافرنية بالمعنى المذكور ثم قلت ينبغي لنا ان نتبع هذه الكلمات الصليبية ويوشك ان نثرمنها على طائفة صالحة . وقد اتفق لنا ان كنا نصحح كتاب (الدارس في المدارس) مع بعض اخواننا من اساتذة المجمع فر معنا في ترجمة السلطان صلاح الدين قوله بمدد أعمال السلطان في بيت المقدس (وعمل للشافعية المدرسة الصلاحية وكان موضع كنيسة على جسد حنة اي على قبر حنة ام مريم عليها السلام اه) فرأينا العبارة مقلقة من جهتين (١) من جهة قوله ان السلطان بنى المدرسة على جسد حنة ولم تجر العادة بأن يقال هذا (٢) ان النعمي مؤلف الدارس فسر الجسد بالقبر مذ قال (اي على قبر حنة) وهذا غير سائغ . فراجعنا تراجم صلاح الدين فاذا صاحب الفتح القسي وصاحب الروضتين يقولان ان السلطان صلاح الدين اراد ان يبني مدرسة للشافعية (فعين لها الكنيسة المعروفة بصند حنة) فلم يقولوا (جسد) وانما قالوا (صند) فاحدى الكلمتين معرفة عن الاخرى واحداهما وهي (جسد) لما معنى في اللغة والاخرى وهي (صند) لامعنى لما اصلاً ومع هذا رأينا أجمل الكلمتين وانكرهما في العربية هي المقصودة والمرادة هنا: وذلك ان كلمة (صند) كلمة صليبية اخذها عرب سوريا عن الأفرنج الصليبيين . وهؤلاء بقدسون السيدة حنة ام مريم عليها السلام فلا يذكرون اسمها مجرداً عن لقب الشكريم بل هم كلما ذكروها قالوا (سنت حنة) (سنت حنة) ومعنى سنت (Sainte) في اللغة الافرنية القديسة فكان رجال السياسة في العهد الصليبي يسمعون كلمة (سنت) بمعنى القديسة منهم . ومن هؤلاء الرجال (العماد الكاتب) اكبر رجال صلاح الدين وكتابه ومؤرخي دولته وهو مؤلف كتاب (الفتح القسي في الفتح القديسي) وقد وصف لنا فيه كيف بنى صلاح الدين بيت المقدس . فلاحظوا اذا قلنا انه كان يسمع الأفرنج يقولون (سنت حنة) ولما اراد ان يذكر لنا ان صلاح الدين

بني المدرسة الصلاحية قال انه بناها على ( سنت حنة ) بمعنى القديسة وانظر لماذا لم يقل القديسة بدل ( سنت ) ؟ ثم ان العرب يتلاعبون بالألفاظ الفرنجية ويجذبونها الى مناحي لغتهم واوزان كلماتهم فعربوا كلمة ( سنت ) الى ( صند ) بقلب السين صاداً والتاء دالاً . وهذا الابدال كثير في الكلمات العريقة في العروبة فما بالك في الكلمات الدخيلة الاعجمية . والحاصل ان العباد الكاتب قال ( صند حنة ) ونقل العباد عن مؤلف ( الروضتين ) وهو قريب العهد بالزمن الصليبي فقال ان السلطان بنى المدرسة على ( صند حنة ) وبعد نحو ثلاثمائة سنة ألف الشيخ النجمي ( المتوفى سنة ٩٢٧ هـ ) كتابه ( المدارس ) وخلص كلام المؤرخين المذكورين وقال ان السلطان عمل للشافعية المدرسة الصلاحية وكانت موضعاً للكنيسة على ( صند حنة ) وقد ظن النجمي ان معنى كلمة ( صند ) الافرنسية ( قبر ) ففسرها بقوله ( اي على قبر حنة ) ثم تعاور النساخ كتاب المدارس ولم يفهموا كلمة ( صند ) فرجحوا أن تكون محرفة عن ( جسد ) وهكذا كتبوها ( جسد حنة ) فكلمة ( صند ) كلمة صليبية بمعنى ان العباد الكاتب وغيره من عرب الشام في ذلك العهد اقتبسوا في كلامهم كلمة ( سنت ) بعد ان عربوها بصند . بل وجد في الكتابات العربية الباقية من آثار العرب في جزيرة صقلية ( سيسليا ) ما يفيد انهم كانوا يستعملون كلمة صند بمعنى القديسة ولكن يكتبونها هكذا ( صنت ) بالتاء لا بالدال . والانديسيون يلفظونها بالشين فيسمون مدنها ( شنت مرية ) ( شنت ياقب ) الخ وقال ياقوت اظنها بمعنى البلدة او الناحية لانها تضاف الى عدة اسماء . وليس كما قال .

ويمكن ان نضم الى كلمة ( صند ) الصليبية كلمة أخرى مثلها وهي كلمة ( كُند ) بضم الكاف وسكون النون وهي لقب شرف بمعنى أمير فان كتاب العرب منذ العهد الصليبي ادخلوها الى لغتنا العربية اقتباساً من لغة الصليبيين ففي ص ١١٠ من كتاب نهاية الأرب للنويري ذكر ان الملك المنصور قلاوون كتب ( او كتب كاتبه عنه ) الى ملك اليمن كتاباً وصف له فيه بعض وقائع الحروب الصليبية وقد جاء في كتابه قوله ( والرغبة الى الله ألا تشق لدينا الا أكباد أكناد . ولا تجز غير شعور ملوك التتر الخ ) فقوله ( أكناد ) جمع ( كُند ) وكند معرب كونت ( Conte ) الافرنسية ومنها أمير ( راجع مجلة المجمع ص ٨٦ من هذه السنة ) وتاء ( كنت ) او ( كونت ) قلبت دالا في العربية كما قلبت تاء

( سنت ) دالاً ايضاً مذ قالوا ( صند ) . وقلب التاء دالاً لقرب مخزجيهما أمره استفيض  
 في كلمات اللغة مثل ( أعتدت متكأ وأعدت ) و ( سبّد شعره وسبته ) و ( مرّت  
 الجلد ومرّده ) و ( مدّ الحبل ومته ) الخ . أما قلب السين صاداً على غلط ما وقع في ( سنت  
 وصند ) فكثير ايضاً في كتب اللغة حتى كاد بعضهم يزعم أن كل سين في كلمات اللغة  
 العربية يجوز قلبها صاداً وبالعكس . ولكنهم لم يسئلوا هذا للقائل . وإنما هم قالوا بكثرتة  
 فقط .

المغربي

من نوادر المخطوطات  
« في دار الكتب الظاهرية »

- ٥ -

ذيل تاريخ بغداد<sup>(١)</sup> : تصنيف محب الدين محمد بن محمود المعروف بابن النجار البغدادي المتوفى سنة ٦٤٣ قال صاحب كشف الظنون : وهو ذيل عظيم على تاريخ بغداد جمع فيه فاعى يقال انه يتم في ثلاثين مجلداً ورتبه كالطبقات . الموجود منه المجلد العاشر فقط في ٤٦٠ صفحة كبيرة أوله : ترجمة عبد المغيث بن زهير المتوفى سنة ٥٨٣ وينتهي الى ترجمة علي بن الحسين الاسكاف [ رقم ٤٢ التاريخ ]

ذيل طبقات الحنابلة : تأليف زين الدين عبد الرحمن بن احمد المعروف بابن رجب الحنبلي المتوفى سنة ٧٩٥ وهو ذيل على طبقات الحنابلة لابي الحسين محمد بن محمد بن الحسين ابي يعلى الحنبلي المعروف بابن الفراء المتوفى سنة ٥١٦ وانهى فيه الى سنة ٥١٢ وهذا الذيل وصل فيه الى سنة ٧٥٠ الموجود منه نسختان [ رقم ٦٠ و٦١ التاريخ ] .

سيرة احمد بن طولون : تأليف ابي احمد عبد الله المدني البلوي وقال صاحب كشف الظنون انها لأحمد بن يوسف بن الداية المتوفى سنة ٣٣٤ . أولها الحمد لله خالق السموات والارض وما بينهما من الآيات على حكته الشاهدات على قدرته الخ نسخة في ٢٥٠ صفحة متوسطة كتبت بخط قديم يرجع الى القرن الرابع [ رقم ٢٤٢ التاريخ ] .

(١) جاء في كشف الظنون ما نصه : قيل أول من صنف لبغداد تاريخاً احمد بن طاهر البغدادي وتلاه ابو بكر احمد بن علي المعروف بالخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ فكتب على طريقة المحدثين جمع فيه رجالها ومن ورد بها وضم اليه فوائد جمعة فصار كتاباً عظيم الحجم والنفع اه . وقد طبع التاريخ للمرة الأولى بنفقة مكتبة الخانجي بالقاهرة والمكتبة العربية ببغداد وصدر منه الى الآن ١٣ مجلداً .

عيون التواريخ - تأليف صلاح الدين أبي عبد الله محمد بن شاذان الكشي المتوفى سنة ٧٦٤ رتبته على السنين وانتهى فيه الى سنة ٧٦٠ ابتداء بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم ثم سيرة الخلفاء الراشدين وجمهور الصحابة والتابعين وتراجم رجال الحديث النبوي ومراتب روايته وطبقاتهم وتراجم الصالحين والزهاد والأعيان والشجعان والكرماء والأدباء والشعراء والمغنين وغيرهم قسمه الى حوادث ووفيات . الموجود منه سبعة مجلدات من نسخ مختلفة .

( الاول ) يشتمل على سيرة النبي صلى الله عليه وسلم الى وفاته في ٣٣٠ صفحة متوسطة القطع كتب سنة ٨٨٨ بخط نسخ [ رقم ٤٣ التاريخ ] .

( الثالث ) فيه تاريخ من سنة ١٣٢ الى سنة ٢١٧ في ٤٢٠ صفحة متوسطة بخط نسخ [ رقم ٤٤ ] .

( الخامس ) فيه تاريخ من سنة ١٢١ الى سنة ١٤٣ في ٢٠٠ صفحة صغيرة [ رقم ٤٥ ]

( الخامس ) ( من نسخة اقدم من المتقدمة ) فيه تاريخ من سنة ٧١ الى سنة ١٠٨ في ٢٠٠ صفحة كبيرة [ رقم ٤٦ ] .

( الثاني عشر ) فيه تاريخ من سنة ٣١٠ الى سنة ٣٩٠ في ٦٠٠ صفحة متوسطة [ رقم ٤٨ ] .

حسفي الكسم

## مطبوعات حديثة

الضياء

« مجلة تسمى في ترقية الآداب العربية »

« في لکنؤ ( الهند ) »

— — —

كما ذاق كأس بأس مرير جاء كأس من الرجا مسول

وهكذا شأننا في الخوف على لغتنا العربية والحذر من ان تضعف وتتخاذل امام زحف اللغات الاجنبية عليها وزمزمة دسانسهم حوالها فليس العجب ان تنهض العربية في تونس والجزائر ومراكش وانما العجب ان يسطع ضياؤها ويحقق لواؤها في بلاد الاعاجم : كانتشارها في امريكا بواسطة ابناء عرب وغان من اخواننا المهاجرين وانتشارها في جزائر جاوه بواسطة الحضارة وكنهوضها اليوم في بلاد الهند بواسطة الغيورين من اساتذة معاهدها العلمية والدينية : فقد انشأ هؤلاء الاساتذة مجلة علمية أدبية تعليمية اجتماعية ولغة الانشاء فيها هي لغة مضر بما عهدناه من فصاحتها وناصع عروبتها (الاقليلاً) . وان القائم بانشاء تلك المجلة الاستاذ (مسعود عالم الندوي) تحت إشراف الاستاذين سليمان الندوي رئيس دار المصنفين وتقي الدين الهلالي المغربي المراكشي) . وقولهم (الندوي) . نسبة الى جمعيتهم المشهورة في لکنؤ المسماة ( ندوة العلماء ) . وقد جاء مجمعا العلمي ثلاثة الاجزاء الأولى من تلك المجلة فراقنا منها أولاً ( الاخلاص ) الذي لحناء بترقرق خلال سطور ما يكتب فيها . ثانياً ( فصاحة العبارة ) العربية التي تعجل في ما يكتبه العلماء الهنود فيها . ثالثاً ( المقدرة الصحافية ) في جمع المواد وتبويبها وحسن إيرادها وجودة تنسيقها . ففي الجزء الأول مقالان عن النهضة العلمية في الهند من الوجهتين الدينية والديوية وعلاقة ذلك باللغة العربية التي ينظر اليها مسلمو الهند نظر تقديس وتعظيم . ومقال في فلسفة الأمثال . وآخر مناقشة مع



الأب ( لويس شيخو ) في ما كتبه عن ( شعراء النصرانية ) ومقال في شاعر الهند ( محمد إقبال ) ويظهر ان مسلمي الهند عاتبون علينا في التنويه بطاغور الهندوسي والاعجاب بشعره وشاعريته وإعراضنا عن ذكر شاعرهم ( محمد إقبال ) وترجمة اشعاره والتحدث بأخباره . ومن ثم عزموا في مجلتهم ان يترجموا من قصائده الى العربية الفصحى ويرووا لنا الفينة بعد الفينة نتفاً من آثار قلمه وبدائع حكمه . ولم يقتصروا على تقديم شاعرهم العظيم الينا بل هم بنوهون ايضاً بشاعرته الهندية العظيمة ( سروجنى نأيدو ) وقد اخبرونا ان شاعرتهم هذه قالت في شاعرهم ( إقبال ) في الحلقة التي أقيمت لتكريمه في لندره - انه ( ملك شعراء آسيا ) . ونشروا في الجزء الثاني : مقالاً ممتعاً عن ( كيفية انتشار الاسلام في الهند ) و ( من هو الواضع لعلم الجبر والمقابلة ) و ( تأثير الاسلام في الشعر العربي ) ( و مناهج التعليم في اللغة العربية ) وفي الجزء الثالث : ( نشأة اللغات ) و ( شف ابى العلاء المعري بالمتني ) و ( المدرسة البادرائية بدمشق ) و ( احصاء المسلمين في العالم ) وغير ذلك من قطع النثر والنظم القديم والحديث الهندي والعربي ويمكن ان يقال ان الهدف الذي ترمح اليه المجلة هو ( ١ ) احياء اللغة العربية بين مسلمي الهند فتقوى على مهاجمة اللغة الانكليزية . ( ٢ ) التقريب بين الأدبين العربي والهندي وتعريف أدياء الفريقين بعضهما ببعض . وهذان الغرضان لا يتجان مالم يعن بتعليم اللغة العربية في البلاد الهندية وهو امر يهتم به علماء الهند كل الاهتمام ويحشون من تقصيرهم فيه أن يضعف الاسلام وتقوى الشعوبية وقد أعرب عما قلناه كبير علماء الاصلاح في الهند ( السيد سليمان الندوي ) في المقدمة التي افتتح بها المجلة وكان فيها بين الرجاء واليأس : فهو يرجو نهوض اللغة العربية وآدابها بسبب كثرة مدارسها في الهند ثم يعود فيظهر القنوط مذ يرى التواء طرق تعليم تلك اللغة ويحض قومه على العناية باصلاح البرامج وحسن اختيار الاساتذة والمعلمين .

ونحنم تقرينظنا هذا باقتباس بعض ما قاله عن المدارس التي تعلم اللغة العربية في البلاد الهندية قال : « هذه بلادنا الهند فيها نحو ثمانين مليوناً من المسلمين وفيها نحو مليون من يفهم لغة القرآن ويعرفها وان لم تكن لهم قدرة على التكلم بها . وتقدر مدارسهم العربية بالف ان صغارها وكبارها وطلبة العربية فيها نحو مئة الف او يزيدون : فان صقماً واحداً من اصقاع الهند ويعرف ببلاد البنغال يضم بين جناحيه ستين الفاً من طلبة العلوم العربية وتلاميذتها وتجدد في

مدينة واحدة وهي دهلي عاصمة الهند نحو مئة مدرسة عربية بين صغيرة وكبيرة . أثارها (مدرسة جامع فنجپوري) واعمرها المدرسة الامينية . وتلقى في مدرسة واحدة وهي المدرسة العالية في (ديوبند) أكثر من ٥٠٠ طالب تدر على أكثرهم المدرسة روائب شهرية تفي بما كلهم وملا بسهم ودع دار علومنا التي قامت بتأسيسها (ندوة العلماء) بلكنؤ فهي احدها عمراً . واكمل منها من المزايا مالا يخفى على ذي عينين « ثم قال ان هؤلاء الطلاب على كثرتهم يسكن عن التكلم باللغة العربية وعاجزون عن الكتابة والخطابة فيها اللهم الاجتاه سمجة في الفقه والمنطق وأول من تنبه لترقية اللغة العربية مدرسة (دارالعلوم) التي استسها ندوة العلماء فنظمت التعليم العربي ( وألفت معجماً شرحت فيه الكلمات الدخيلة والمعربة التي لا غنى عنها في فهم الجرائد والمجلات العربية ) . وآثرت لتعليم الآداب العربية أساتذة من العرب مثل الاستاذ ( الشيخ تقي الدين الهلال المغربي المراكشي ) . والزمت طلاب العربية بالكتابة والانشاء باللغة العربية . وقد انتقل هذا الاهتمام بالعربية الى المدارس الأخرى كمدارس بنجاب والمدارس الانكليزية الرسمية وجوامع لاهور وإله آباد ولكنؤ وبننه وكلكة والكلية الشرقية بلاهور ومدرسة شمس الهدى (بننه) والمدرسة العالية (كلكتا) وخاصةً (جامعة دهاكه) الانكليزية . وقد ارادت جامعتنا الاسلامية في (عليكوه) ان تقتني أثر جامعة (دهاكه) في العناية باللغة العربية فعسى ان نثر مساعيها . واما (الجامعة العثمانية) بميدرا آباد فهي أكثر الجوامع إنفاقاً على فرعها العربي وعناية بمستقبل خريجيها . ثم ان الكاتب الفاضل بعد هذا الرجاء الموصول عاد فعقبه بأسف وبأس : ذلك ان اللغة الانكليزية وأدائها وصحفها تكاد تخنق العربية وتأتي على المساعي التي تبذل في تعميمها قال ( فذلك ما دعانا الى اصدار مجلة عربية دعوناها الضياء ) ثم دعا لها بالتوفيق ورجا من فضلاء بلاد العرب ان يمدوها بكل ما يميمها ويساعد على ثباتها .

وجمعنا العلمي يرحب بهذه المجلة ويباهي بجهود القائمين بها وبهذه النهضة المباركة في

المغربي

البلاد الهندية .

## مجلة الابحاث الشرقية

الجلد الاول ١٩٣١

Bulletin d'Etudes Orientales, Tome 1 1931

هي مجلة يصدرها باللغة الافرنسية المعهد الافرنسي في دمشق عوضاً عن مجلته السابقة .

Mélanges de la Section Scientifique des Arabisants de l'Institut d'Archéologie et d'Art Musulmans de Damas

وابحاثها كالسابقة : ابحاث علمية شرعية متنوعة يحررها اعضاء هذا المعهد بمؤازرة نخبة من علماء المشرقيات فترحب بالمجلة الجديدة ونرجو لها دوام التوفيق .

جعفر الحسني



## هدايا كتب

مر في ص (٤٤٢) من مجلد هذه السنة أن قد انشئت في (حيدرآباد الدكن) من بلاد الهند لجنة بأسم (مجلس احياء المعارف النعمانية) تعنى بنشر مصنفات أئمة المذهب الحنفي القديمة مما لم يطبع الى اليوم وقد طبع بعض تلك الكتب واهدت اللجنة منها الى مجموعتنا كتابين : (١) شرح الصدر الشهيد على كتاب النفقات للخصاف وهو الذي جمع فيه مسائل النفقة وجعلها على اقسام منها نفقة الوالد على ولده ونفقة الام على ولدها ونفقة الولد على الوالد ونفقة ذوي الأرحام الخ وقد ألحق الكتاب بذييل ذكر فيه ترجمة كل من الامام الخصاف المتوفى سنة ٢٦١ هـ وشارح كتابه الصدر الشهيد (المتوفى سنة ٥٣٦ هـ) والكتاب لطيف الحجم في نحو ٥٦ صفحة وقد طبع في مطبعة (دكن لاربوت) في حيدرآباد .

(٢) كتاب العالم والمتعلم للإمام ابي حنيفة النعمان قال صاحب (كشف الظنون) يشتمل هذا الكتاب على العقائد والنصائح بطريق السؤاأل عن المتعلم والجواب عن العالم يقال رواه (ابومقاتل) عن الامام الأعظم رضي الله عنه اه .

وأوله (ان الحمد لله جيداً لا يموت وحمداً لا يطعم الخ وهو في نحو ٣٢ صفحة وقد طبع في المطبعة الحيدرية في (حيدرآباد) .

وتوجد نسخة مخطوطة من (كتاب العالم والمتعلم) في دار الكتب الظاهرية كتبت حديثاً . لكن في اولها مقدمة ليست في النسخة المطبوعة المهداة اليها من لجنة الهند وقد رأينا من تمام الفائدة نشر هذه المقدمة وهذا نصها :

« قال الشيخ الامام الزاهد الورع القدوة العلامة رئيس الاصحاب مجد الدين عبد الرحمن بن عمران بن احمد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن ابي جرادة قال :

أخبرنا الشيخ الامام نجم الدين ابوالقاسم اسماعيل بن عبد السلام بن عبد الرحمن المغاني مدرس مشهد ابي حنيفة رحمة الله عليه بقراءتي عليه في مشهد ابي حنيفة بالجانب الشرقي من بغداد جبرها الله وذلك يوم السبت رابع صفر سنة ثلاث واربعين وستمائة قال أخبرنا صبح الدين ابو الحسن بن المبارك بن محمد بن يحيى الزبيدي بسماعه من ابي العلا حامد بن ادريس جماعة من ابي المعين ميمون بن محمد المكحولي النسفي بسماعه من ابي طاهر المهدي محمد الحسيني بسماعه من ابي يعقوب بن منصور السبباري بسماعه من ابي الفضل أحمد بن علي بن عمر السليماني بسماعه من ابي سعيد حاتم بن عقيل الجوهري بسماعه من الفجج حنيفة ابي علوان ومحمد بن يزيد بسماعهما من الحسن بن صالح عن مقاتل عن الامام ابي بن نعمان بن ثابت رحمة الله عليه قال الحمد لله حياً لا يموت الخ .

المقري

# العلوم الطبيعية

عند إخوان الصفا



إخوان الصفاء هي جمعية علمية تأسست في البصرة في القرن العاشر الميلادي ، ولم يعلم على التحقيق الزمن الذي عاشت فيه ولا أسماء الأشخاص الذين تألفت منهم . لأن الذين كانوا ينتمون الى هذه الجمعية يرمون الى معرفة الحقيقة على حسب الطاقة البشرية وان كتمان اعضاء هذه الجمعية ساق كثيرين الى الزعم أن لهم غايات سياسية . ولكن اذا تصفحنا رسائلهم اقيمة التي نشرها مع كتم اسمائهم تيقنا ان الهدف الذي كانوا يرمون اليه انما هو إحصاء العلوم في ذلك الزمن .

وان اول الباحثين في هذه الجمعية هو العلامة الالماني المستشرق ( ديتريسي ) الذي أبان فضل هذا المجموع العلمي القديم وترجم منتقياً من كتبه ولا سيما ما يتعلق بالعلوم الطبيعية . وهو اول من نشر عن جمعية إخوان الصفا ايضاً في اللغة العربية . وفي مقدمة الكتاب الذي طبع في القاهرة عام ١٩٣٨ كلمة للدكتور طه حسين والعلامة احمد زكي باشا ، وكلاهما اشار الى ان هذه الجمعية نشأت في القرن العاشر ، ولكنهما لم يلمحا الى ماتحويه تلك الرسائل من الكنوز في العلوم الطبيعية .

والغرض من مراقبة الطبيعة عند هذه الجمعية هو التوصل الى الهدف الأسمى والغاية العليا التي هي معرفة الصانع والتقرب اليه بالكمال النفسي ، وهكذا نرى إخوان الصفاء يبدأون بالعلم الأدنى الى ان يصلوا الى العلم الأعلى وهو العلم الآلهي .  
واكبر حامل لم على البحث في العالم كله هو إدراك ماهية الانسان الذي هو ثمرة الطبيعة وتاج الخليفة ، واعتقادهم ان الانسان عالم صغير كما ان العالم انسان كبير فيقولون ( ان

جميع السماوات السبع والأرضين وما بينهما جسم واحد بجميع أفلاكه ، وإن له نفساً واحدة سارية قواها في جميع أجزائها كسريان نفس الانسان الواحد في جميع أجزاء جسده ) .  
والطبيعة عندهم تنقسم الى قسمين ( الأمهات الكليات ) وهي النار والهواء والماء والأرض وثلاثة هي ( المولدات الجزئيات ) وهي الحيوان والنبات والمعادن . ويعبرون عن الطبيعة بقوة من قوى النفس الكمية المنبثقة في جميع الأجسام ويجدون هناك اتساقاً في المعنى بين التعبير الشرعي للملائكة ، والتعبير الفلسفي لقوى الطبيعة وإن كان هناك اختلاف في اللفظ وقوى النفس الكمية الفلكية السارية في جميع الأجسام المسماة ( بالطبيعة ) تنقسم إلى اجناس الكائنات وتصورها .

والذي يشير إجماعنا من إخوان الصفاء في مباحثهم الطبيعية هو توافق بعض نظرياتهم الطبيعية للنظريات الأوروبية الحديثة . ومن أهم هذه النظريات نظرية داروين الانكليزي في اللشوء والارتقاء ، فنجد إخوان الصفاء كانوا يرون ايضاً ان آخر مرتبة من مراتب المعادن متصلة بأول مرتبة من مراتب النبات ، وان آخر مرتبة من مراتب النبات متصلة بأول مرتبة من مراتب الحيوان وان آخر مرتبة من مراتب الحيوان متصلة بأول مرتبة من مراتب الانسان . ومراتب الانسان عندهم ايضاً ليست واحدة ، فمنهم الذين يسعون الى الكمال النفسي وهم في ارقى الدرجات . وان الأدنى في المرتبة خادم للاشرف ومسخر له لجسم النبات غذاء لجسم الحيوان لأنه دون رتبته ، والنفس الحيوانية مسخرة للنفس الحيوانية الناطقة . فرى هنا شيئاً من نظرية تنازع البقاء ، التي كان لها شأن في الفلسفة الاوروبية في القرن الماضي ، واكبر الداعين الى هذا المذهب هو الشاعر الفيلسوف الألماني ( نيتشه ) على ان إخوان الصفاء لا يعلمون الى هذا المذهب ونجد عدم اطمنانهم في تلك القصة الخيالية المحكية على لسان الحيوانات التي تشتكي ظلم البشر .

وان في آخر كل مرتبة من المراتب جسماً خاصاً ، فاطراف المعادن ما يلي الترب الجص وما يلي الياقوت فهو الذهب الأحمر ، لأن الياقوت كما يعتقد اكثر علماء الاحجار ارقى مرتبة من مراتب الاحجار . واما مرتبة النبات ما يلي المعادن فهي خضراء الدمى . وارقى انواع النبات النخل . اما رتبة الحيوانية التي تلي رتبة الانسانية فليست من جهة واحدة ، ولكن من عدة وجوه ، لأن رتبة الانسان لما كانت معدناً للفضل وينبوعاً للمناقب لم يستوعبها

نوع واحد من الحيوانات وانما استوعبتها عدة انواع فمنها ما قارب رتبة الانسانية بصورة جسدية مثل القرد ، ومنها ما قاربه بالاخلاق النفسانية كالفرس ومنها كالطائر الانساني ايضاً ومثل الفيل في ذكائه والبيغاء والهزار ونحوهما من الاطيوار الكثيرة الاصوات والالخان ، ومنها النحل اللطيف الصنائع الى ما شاكل هذه الاجناس ، وذلك انه ما من حيوان يستخدمه الناس ويأمنون به الا ولنفسه قرب من نفس الانسان . على اننا نجد عند غير العلماء كابن خلدون والبيروني ان آخر مرتبة الحيوان المتصلة بالانسان هي القردة فقط<sup>(١)</sup> : اما رأي إخوان الصفاء في المادة فيوافق كل الموافقة ذلك العالم الافرنسي العكبير لافوازيه Lavoisier القائل ليس في الطبيعة شيء يحصل من العدم ولا شيء ينعدم ، اذ يقولون : «الكون والفساد ضدان لا يجتمعان في زمن واحد ، لأن الكون حصول الصورة في الهولوى والفساد هو التخلعها عنه ، فاذا فسد شيء منها فلا بد ان يتكون شيء آخر . لأن الهولوى اذا انتزعت منها صورة البست أخرى ، فان كانت التي ألبست أخرى اشرف سمي كوناً ، وان كانت ادون سمي فساداً ، مثال ذلك : ان يصير التراب والماء نباتاً وبصير النبات حباً وثماراً ، والثمار والحب يصيران غذاء ، والغذاء يصير دماً ولحماً وعظماً فيكون من ذلك حيوان . والفساد ان يحترق النبات فيصير رماداً ، او يموت الحيوان فيصير تراباً . ويظنون ان حل كل ما يحدث في الطبيعة اربعة : علة فاعلة ، وعلة هيولانية ، وعلة تامة ، فاعلة الفاعلة الطبيعة التي اشترت اليها سابقاً . واما العلة الهيولانية لها ، فهي الزئبق والكبريت . وعلى قدر اختلاف هذين الجسمين تحصل المعادن المختلفة . وقد زعم جابر ابن حيان الكيماوي ذوالشهرة الواسعة في تاريخ الكيمياء ، ان العناصر مركبة من جوهرين اثنين ، ذكر وأنثى ، جسد وروح ، احمر وابيض ، طائر وثابت ، ارض وماء ، كبريت وزئبق<sup>(٢)</sup> . وهذا المثل يطابق كل المطابقة تقسيم العناصر على الطريقة الكهربية الحديثة المعبر عنها بالكاثيون Kasion والانيون Aniod .

(١) راجع مقدمة ابن خلدون - بيروت ١٨٨٦ ص ٨٤ .

(٢) راجع المصنفات في علم الكيمياء للحكيم جابر بن حيان الصوفي ، نشره ارك يحيى

هوليارد باريس ١٩٢٨ ص ٥٣ . ومن الذين عينوا الزمن الذي عاش فيه هذا العالم الاستاذ روسكا والدكتور كراوز في برلين .

ولا إخوان الصفا آراءً صائبة في كثير من حوادث الطبيعة في عصر لم يكده يعرف البحث البشري عنها الا الشيء القليل . فقديم يصفون المطر ، والصاعقة ، وكيفية تكون المعادن ، والمد والجزر ، والينابيع الارتوازية ، وكيفية تجمع مياه الأنهار ومسيرها الى البحر ، وكثير من التدقيقات الجيولوجية . فيقولون عن المطر انه من تصاعد البخارات ومن أحب ان يعلم صدق قولنا وبتصور كيفية وصفنا . . . . فلينظر الى تصعيدات المياه وتقطيرها وكيف يعمل منها أصحابها ، مثل تصعيد ماء الورد والخل المصعد وماشأ كلها ، ومثل البخارات الصاعدة في بيوت الحمامات وكيفية تقطير الماء من سقوفها .

ولقد لفتت نظر الاستاذ روسكا كيفية تكون البراري لدى إخوان الصفا حيث يجد فيها الانسان أساس النظرات الجيولوجية الحديثة<sup>(١)</sup> فقديم يقولون : « ان الأرض بجميع ما عليها من البحار والجبال والبراري والأنهار والهمران والخراب هي كرة واحدة معلقة في الهواء في مركز العالم . . . . فمنا مواضع براري وفقار وفلوات وخراب . ومنها مواضع الجبال والتلال والارتفاع والانخفاض ، ومنها مواضع المراعي والقرى والمدن والهمران . . . . وان هذه الأرض تتغير وتبدل على طول الدهر والأزمان وتصير مواضع الجبال براري وفلوات ، وتصير مواضع البراري بحاراً وغدراناً وانهاراً ، ويصير مواضع البحار جبلاً وتلالاً وسباحاً وأجماً ورمالاً ، وتصير مواضع الهمران خراباً ، ومواقع الخراب عمراتاً . . . . وان البحار هي كالمستنقعات على وجه الأرض ، فان الجبال منها كالمسنوات والبريدات لها لتفصل البحار بعضها من بعض ولتلا يكون وجه الأرض كله مغطى بالماء . وذلك انه لو لم تكن الجبال على وجه الأرض وكانت وجهها مستديراً . لمساً لكانت مياه البحار تنبسط على وجهها فتغطيها من جميع جهاتها . . . . وكانت وجه الأرض كله بحراً واحداً . . . . وان الأودية كلها بتندي من الجبال والتلال وثمر في مسيلها وجريانها نحو البحار والآجام والغدران . وان الجبال من شدة إشراق الشمس والقمر والكواكب عليها بطول الأزمان والدهور تنشف رطوبتها وتزداد جفافاً ويبساً ، وتنقطع وتنكسر ، وتصير أحجاراً أو صحوراً أو حصى ورمالاً . ثم ان الأمطار والسيول تحط تلك الصخور

(١) راجع Isis عام ١٩١٤ و ص ٣٤٥ .



والرمال الى بطون الأودية والأنهار ، ويحمل ذلك شدة جريانها الى البحار والغدران والآجام . وان البحار لشدة أمواجها وشدة اضطرابها وفورانها تنبسط تلك الرمال والطين والحصى في قعرها سائقا على ساف بطول الزمان والدهور ، ويتلبد بعضها فوق بعض ، وينعقد وينبت في قعر البحار جبالات وتلالا كما تتلبد من هبوب الرياح دغاص الرمال في البراري والقفار . . . . . وكما انطحت قعر البحار من هذه الجبال والتلال التي ذكرناها انها تثبت فان الماء يرتفع ويطلب الاتساع وينبسط على سواحلها نحو البراري والقفار ويغطيها الماء ، فلا يزال ذلك دأبه بطول الزمان حتى تصير مواضع البراري بحاراً ، ومواضع البحار بيساً وقفاراً ؛ وهكذا لا تزال الجبال تنكسر وتصير أحجاراً وحصى ورمالاً تحطها سيول الأمطار وتحملها الى الأودية والأنهار بجريانها حتى البحار ، وتنعقد هناك كما وصفنا ، وتنفخ الجبال الشاخمة وتنقص حتى تسهوي ممر وجه الارض ، وهكذا لا يزال ذلك الطين والرمال تنبسط في قعر البحار وتتلبد وتثبت عنها التلال والروابي والجبال ، وينضب من ذلك المكان الماء حتى تظهر تلك الجبال وتتكشف هذه التلال ، وتصير جزائر وبراري وبصير ما يبقى من الماء في وهادها وقعرها بحيرات وآجاماً وغدراناً . . . . . فلا تزال السيول تحمل الى هناك الطين والرمال والوحول حتى تجف تلك المواضع وتثبت هناك الأشجار . . . ثم يقصدها الناس . . . . . وتصير مواضع الزروع والنبات بلداناً وقرى يسكنها الناس » .

ويعلمون حرارة بعض العيون في الشتاء والصيف على حالة واحدة بان في باطن الارض وكهوف الجبال مواضع تربتها كبريتية فتصير تلك الرطوبات التي تنصب هناك دهنية ؛ وتكون الحرارة فيها راسبة دائماً هناك وجوازها عليها ، ثم تخرج وتجري على وجه الارض وهي حارة حامية .

وقد ذكروا ايضاً كيفية حدوث البرق والرعد فقالوا انها يحدثان من اجتماع بخارين مختلفين بالكيفية ويسمون الاول البخار الرطب والثاني البخار اليابس حتى كادوا يقولون « مثبت ومنفي » . وبما انهم يعلمون كل حادثة من حوادث الطبيعة بمقتضى الامثال التي يرونها فيعملون مثلاً حدوث تلك ( القرقعة ) باجتماع البخار الرطب باليابس كما تفرقع الأشياء الرطبة دفعة واحدة اذا احتوت عليها النار ، ولقد علموا بان البرق والرعد يحدثان

في وقت واحد ولكن البرق يصل الى الأبصار قبل الصوت الى المسامع .  
ولقد تكلموا عن قوس قزح بأنه يحدث في سلك كرة النسيم عند تظرب الهواء وان  
أصباغه الاربعة موافقة للكيفيات الارباع التي هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ،  
والأركان الاربعة التي هي النار والهواء والماء والارض المعروفة في عهد قدماء اليونان .  
ولقد ذكروا ايضاً ان علة حدوث قوس قزح لا يفهمها الا المتراضون بالاشكال الهندسية  
والامور الطبيعية والنسب التأليفية .

ولعم نظريات في الألوان ، فان الألوان المفردة لديهم هي البياض والسواد والحمر  
والصفرة والخضرة والزرقة والتكدرة . ولحدوث كل لون أسباب عديدة . فالاشياء التي  
ترى بياضاً اما لأن النور محبوس فيها لغلبة الرطوبة كاللبن ، او لأن النور مولوج  
فيها لكثرة التخلخل كالملح ، او لأن النور محبوس فيها كالفضة . والنور يرى من وراء  
الاجسام الشفافة أبيض فان عرض له عارض يرى أصفر . . . ومنها ما يرى أصفر لأن  
الحرارة تسد مسامها ، كالاشياء البيضاء اذا طبخت اصفرت . وعلة رؤية الاشياء حمراء  
شيثان : احدهما الأسباب المعففات ، والآخر الأسباب المذوبات ، فالمعففات لكثرة  
الرطوبة ، والمذوبات لكثرة الحرارة ، كالشمس تراها حمراء عند كثرة البخارات .  
والأثمار ترى حمراء عند النضج لكثرة الرطوبة ، والخضرة والسواد يحدثان من منع  
النور ان يصير الى البصر خالفاً ، فالسواد يجمع الألوان والبياض يفرقه وبقية الألوان  
هي بين هذين الطرفين <sup>(١)</sup> .

لقد ذكرنا انهم يقسمون الطبيعة الى ثلاثة أقسام : معادن وحيوانات ونباتات ،  
ويسعون جهدهم في تقسيم كل فرع من الفروع على أسلوب خاص ، ويعتقدون ان لكل  
نوع من الجواهر المعدنية بقعة مخصوصة وتربة معروفة لا يتكون الا هناك كالذهب فانه  
لا يتكون الا في البراري الرملية والجبال والاحجار المختلطة بالتربة اللينة ، والكبريت

(١) نظرية الالوان لعبت دوراً عظيماً في اوربا ولقد كتب الشاعر غوته شيئاً عن  
تاريخ علم الألوان وكنت نشرت كلمة في هذا الصدد في مجلة المعرفة (القاهرة ابريل ١٩٣٢)  
بمناسبة مرور مائة عام على وفاة غوته .

لا يتكون الا في الاراضي الندية والرطوبات الدهنية والقلقطار<sup>(١)</sup> ، والأملاح لا تنمعد الا في الارض السجفة والبقاع المشروجة والجص ، والاسفيداج لا يتكون الا في الارض الرملية المختلط ترايبها بالحصى والزجاجات ، والشبوب لا تتكون الا في التربة العفصة القشفة وعلى هذا القياس حكم سائر أنواع الجواهر المعدنية . ولقد ذكروا ايضاً ان لنضج الممدن لا بد من مرور زمن محض وص ، فالملح يحتاج الى زمن قليل ولكن الياقوت والزمرد يحتاج الى زمن كثير وكذلك الذهب . . . الخ .

وعرفوا النبات : بانه كل جسم يخرج من الارض ويتغذى وينمو ، فمنها اشجار تفرس قضبانها أو عروقها ، ومنها ماهي زروع تبذر حبوبها أو قضبانها . ولحصول الافعال الحيوية في النبات اتضت وجود قوى عديدة مثل الجاذبية والمانسكة والدافعة . ويعملون كيفية امتصاص غذاء النبات بما يلي : ان القوة الجاذبة اذا امتصت نداوة الماء بعروق النبات كما يمتص الحجام الدم بالمحجمة أو كما تمص النار الدهن بالفتيلة وجذبتها التجذبت معها لأجزاء الترابية اللطيفة لشدة انجذابها . فنجهد هذا التدقيق موافق كل الموافقة لرأي الاوربيين . وقد كانت نظرية الامتصاص غالباً حتى ظهور الانحلال الضغطي المعبر عنه ( Osmose ) ويقسمون النباتات بطرق مختلفة : فأولاً الشجر الكامل الذي يحتوي على الأصل والعروق والقضبان والورق والثمر والصنم ، ثم الناقص ، ثم الشجر المنتصب ، والشجر الذي ينبت على وجه الارض والذي ينبت على وجه الماء كالطحلب ، وما ينبت تحت الماء كالأرز وقصب السكر . وكذلك النجم وهو الشجر الذي يتساق على الأخشاب كالكرم . ويقسمون ايضاً النبات على حسب المكان فيذكرون نبات البلاد الحارة ، والمعتدلة والباردة . ويمبرون عن الحيوان بانه جسم متحرك حساس يتغذى وينمو ويمس ويتحرك حركة مكان . وان من الحيوانات ماهو في أشرف المراتب مما يلي مراتب الانسان . . . ومنه ماهو في أدنى رتبة مما يلي النبات . وهو كل حيوان ليس له الاحاسة المس كالأصداق أو كأجناس الدبدان التي تتكون في الطين أو في الماء أو في الخلل أو في الثلج أو في لب

(١) القلقطار هو تمبير يوناني ، معناه الزجاج الأصفر وتركيبه الكبريتي ككبريتات

الشم أو في الحب أو في لب النبات ، حتى كأدوا يتكلمون عن الجراثيم . ويقسمون الحيوانات على حسب الحواس الخمس : فإن منها ما له لمس فقط كالديدان المذكورة ومنها ما له لمس وذوق كالحيوانات التي تعيش في قعر البحار والمياه والمواضع المظلمة ومنها ما له لمس وذوق وشم وسمع والأكمل من له الحواس الخمس . ويقسمون الحيوانات على حسب السبر أيضاً : فمنه ما يتدحرج كالودعة ، ومنه ما ينساب كالحية ، ومنه ما يذب كالعقرب ومنه ما يمدو كالفأر ، ومنه ما يطير كالطيور . . . الخ . وكذلك يقسمون الحيوانات من جهة البنية .

وان أسمى غاية لديهم هي الاعتبار ومعرفة دقيق صنع الباري فيقولون : « ان أكثر الناس بتعجبون من خلقة الفيل أكثر من تعجبهم من خلقة البقرة . فان الصانع البشري بقدر على ان يصور فيلاً من الخشب او من الحديد او من غيرها بكامله ، ولا يقدر احد من الصانع ان يصور بقة لامن الخشب ولا من الحديد » . ولقد ضربوا مثلاً لفكرة القيامة بفرخة الدجاج التي تخرج من البيضة . وانها اعجب من خروج الناس من قبورهم يوم القيامة لولا جريان العادة بذلك ، فيريدون بذلك عدم المرور ( مروراً سطحياً ) على كل ما شاهدوه من الطبيعة .

دقق عدد كبير من الجاهلثين الأوربيين في اخبار اخوان الصفا ومحصوا علمهم وفلسفتهم ومراميمهم من كل الوجوه . ولاخوان الصفاء علاقة شديدة بالفلسفة اليونانية فهم متأثرون بأراء ( الافلاطونية ) الجديدة وكذلك بأراء ارسطوطالس . ولم يعلم السبب في ذلك حتى هذا اليوم . وهناك اسئلة حجة عن اخوان الصفاء لا تزال غامضة حتى يومنا هذا .

برلين : محمد يحيى الهاشمي

## الكلمة الاخيرة

- في الكلمات غير القاموسية -

« او فتاوى علماء اللغة المعاصرين في أصنافها السبعة »

[ تمهيد الطريق امام المعجم العتيق ]

- - -

كنت صنف الكلمات غير القاموسية ( وهي التي لم تدون في قواميس اللغة العربية ) - الى اصناف سبعة وطلبت رأي إخواني اعضاء المجمع العلمي في أي الاصناف ينبغي قبوله وعده عربياً وتدوينه في المعجم العتيق وأي الاصناف لا يجوز فيه ذلك . وقد افرغت طلبي في شكل استفتاء أو اقتراح نشر في مجلة مجمعنا العلمي ( ص ٢٩ مجلد ٨ ) فكانت اجوبة الاعضاء ترد تباعاً حتى بلغت ١٨ جواباً نشر منها ١٣ في المجلد الثامن وه في المجلد التاسع . وقد رأيت الآن ان ارجع الى هذه الأجوبة فانخفضها واستخرج منها زبدة يصح الركون اليها بحيث تكون بمثابة ( قرار قطعي ) واجب التنفيذ . وقد جريت في استخراج التثنية على طريقة جمع الآراء والاصوات في كل صنف على حدة ثم المقارنة بينها وترجيح ما رجحته الأكثرية ايجاباً أو سلباً في كل صنف من تلك الأصناف .

و كنت وانا أنصف اجوبة المحبين أرى أكثرهم يجيب على السؤال نفسه بحيث يمكن اقتباس عبارته فاقتبسها بنصها بين هلالين وبعضهم يسهب ويستطرد فاضطر ان اخلص جوابه بقدر ما يفهم منه رأيه . وكان بعض المحبين يقيد جوابه بشروط ( او تحفظات ) وبعضهم يطلق القول اطلاقاً . وكثيراً ما ناقض بعضهم زميله وخالفه في بعض ما ذهب اليه . مثال ذلك ان بعضهم اباح استعمال فعل ( خابر ) للحاجة اليه وبعضهم منعه لعدم الحاجة اليه ومثله كثير في أجوبتهم .

وهذه (التحفظات) أو (الاختلافات) لو فُتحتُ باب الاستفتاء فيها أو الاقتراع عليها ودعوت الاخوان للولوج فيه لطال الأمر . وبقينا في الاخذ والرد الى يوم الحشر .  
 على أن بعض هذه « التحفظات » ربما كان مما يوافق عليه بقية المحبين لكنهم اعملوا التعرض له في اجوبتهم حباً بالاختصار أو تجنباً للبعث . وسأشير الى هذه التحفظات في محلها .  
 وها انا ابدأ بتلخيص ما كنت قلته في كل صنف على حدة ثم اتبعه بعبارة المحيب (بنصتها أو تلخيصها) حتى اذا استوفيت اجوبتهم في صنف انتقلت الى الصنف الذي بعده . وهكذا الى آخر الاصناف السبعة .

### « الصنف الأول »

كلمات عربية وردت في كلام فصحاء العرب ولم تدونها المعاجم . وقد مثلت لهذا الصنف بكلمة (تبدى) بمعنى (ظهر) الواردة في شعر عمرو بن معدى كرب فهل نهمل مثل هذا الصنف من الكلمات فلا نستعمله ولا ندونه ؟ او نستعمله وندونه ؟

فاجاب الاساتذة :

- ١ - الرصافي « مجلد ٨ ص ٣٢ » ( نستعمله ولو كره الجامدون ) .
- ٢ - الكرملي « مجلد ٨ ص ١٠٣ » ( كل لغوي يوافق على تدوينه ) .
- ٣ - النشاشيبي « مجلد ٨ ص ٢٨٥ » ( يجب ان يودع المعجم وبعد عريباً محضاً ) .
- ٤ - الفلاييني « مجلد ٨ ص ٣٥٩ » ( ما شاع على السنة الفصحاء من الكلمات « غير القاموسية » وكان له اصل في السماع - قبلناه ) .
- ٥ - محمد الخضر « مجلد ٨ ص ٤١٠ » ( نوافق في صحة استعماله ) .
- ٦ - كامل الغزي « مجلد ٨ ص ٤٨٠ » ( يجوز عندي استعماله بلا تردد ) .
- ٧ - نقولا فياض « مجلد ٨ ص ٥٦٠ » ( كيف يُفعل على لفتنا بلفظٍ عربي لعلة انه لم يرد في القاموس ؟ ) .
- ٨ - الزهاوي « مجلد ٨ ص ٦٨٦ » ( لا يجوز التردد في قبوله ) .
- ٩ - احمد رضا « مجلد ٩ ص ٥٨ » ( أقول بصحته ) .
- ١٠ - رشيد بقدونس « مجلد ٩ ص ١٠٣ » ( يجب ان نضمه ) .

- ١١ - قسطاكي حمصي «مجلد ٩ ص ١٧٦» (أنا من أشد المتسكين به واسبق انصاره) .
- ١٢ - عيسى العلوف «مجلد ٩ ص ٣٥٥» (لا بأس باستعماله) .
- ١٣ - سليمان ضاهر «مجلد ٩ ص ٤٨٤» (يجوز استعماله) .
- ١٤ - الاسكندري «مجلد ٨ ص ١٠٤» - (نقبله على الرأس والعين بشرط ان يرد في شعر فصيح او ثر اشهر ككثر الأمثال) .
- أقول : هذا الشرط او هذا التحفظ ليس فيه سوى زيادة الاستيثاق من كون كلمات هذا الصنف فصحية .
- ١٥ - الجابري «مجلد ٨ ص ٣٦١» - قال ما ملخصه : ( ما لم يدون ولم يشع استعماله ليس من اللغة في شيء ويستثنى من ذلك ما كان مشتقا تقضي قاعدة الاشتقاق بجوازه وقد روي استعمال بعض العرب له) .
- أقول : ومؤدي ( التحفظ ) في هذا الجواب ان تكون كلمات هذا الصنف مما تقتضيه قواعد الاشتقاق لاما يناقض القواعد ويشذ عنها .
- ١٦ - احمد امين «مجلد ٨ ص ٣٥» - ( ندخل منه في المصاحم ما نحن في حاجة اليه فقط ) .
- أقول هذا ( التحفظ ) يشبه التحفظ الآتي في جواب الاستاذ النكدي .
- ١٧ - النكدي «مجلد ٨ ص ٥٩٧» - لم يكن جوابه صريحا في حكم كل كلمة عربية وردت في فصيح كلام العرب . وانما هو اقتصر على كلمة ( تبدي ) التي ذكرناها مثالاً وقلنا ان معناها ظهر فقال انه لا حاجة لنا بها مادام قد ورد في لغة العرب (٢٤) كلمة كلها تدل على معنى الظهور ورأيه ان لا يكون في لغتنا العربية اليوم كلمات مترادفة : فالاستاذ احمد امين قال ( نقبل من هذا الصنف ما نحتاج اليه ) وكان الاستاذ النكدي يوضح لنا في جوابه معنى هذا الاحتياج فهو يقول ان لفعل (تبدي) مرادفات كثيرة فلا حاجة بنا اليه . فنستنتج من قولنا ان الاستاذين ان هذا الصنف من الكلمات غير القاموسية نقبله اذا لم يكن له مرادف لاننا اذ ذاك نكون في حاجة اليه . والا فلا .
- ١٨ - ادور مرصص «مجلد ٨ ص ٧٤٠» - لم يبحث حفصة الجيب في اصل القاعدة وانما بحث في المثال اعني كلمة ( تبدي ) الواردة في شعر عمرو بن معدى كرب فيما قاله

( لا أرى 'ن مجرد استعمال هذا الفصيح البدوي المخضرم ( يعني عمرو بن معدى كرب )  
 لفعل ( تبدى ) بحسب حجة لصحته ولو لزمنا ان نقرّ كل مناطق به عربي جاهلي فصيح  
 - لوجب ان لا ننكر شيئاً من فلتات كلام القوم الكثيرة المخالفة لما عليه جمهور  
 المحققين اه .

فنستنتج من قول المجيب انه يرفض قبول هذا الصنف ويحسبه من قبيل الفلتات أو  
 الشواذ ما دامت المعاجم لم تذكره .

انتهى استعراض الاجوبة الثانية عشر فكان منها «١٧» جواباً وافقت على قبول هذا  
 الصنف . وجواب واحد « ادور مرقص » رفض قبوله .

فالتوى إذن على قبوله ، فنستعمل كلماته من دون اكبر وزودها بمعجمنا اللغوي  
 العتيد من دون حرج .

### «الصنف الثاني»

كلمات عربية وردت في كلام فصحاء العرب الاسلاميين الذين لا يجتج باقوالهم  
 كفعل ( أفص ) اظهر بمعنى ( فصح ) الوارد في قول المؤرخ ( الطبري ) وكلمتي ( تخيم )  
 و ( صدفة ) في قول العلامتين ( اليازجي ) و ( محمد عبده ) .

فهل تقبل كلمات هذا الصنف وتستعمل وتدون او لا ؟  
 فاجاب الاساتذة :

١ - الرصايف « جلد ٨ ص ٣٢ » - « أوافق علي جواز استعمال هذا الصنف

بلا تردد » .

(٢) - النشاشيبي « جلد ٨ ص ٢٨٥ » ( هذا الصنف اخو الصنف الأول فيجب أن

يودع المعجم وبعد عربياً محضاً ) .

(٣) - كامل الغزي « جلد ٨ ص ٤٨٠ » - قال ما ملخصه : ( لا أرى بأساً في

استعمال ( أفص ) و ( صدفة ) فان كلاماً من الطبري والشيخ محمد عبده ثقة ، ولا في استعمال  
 كلمة ( تخيم ) التي أقرها ( اليازجي ) لان القياس لا يأبأها ) اه . فيستنتج من كلام الأستاذ  
 ان كلمات هذا الصنف تقبل وتعد عربية ما دام قائلوها ثقة وما دامت موافقة للقياس .



- (٤) — تقولاً فياض « جلد ٨ ص ٥٦٠ » — (ان الألفاظ الشائعة السخيلة لا بأس بها اذا لم نجد ما ينوب عنها) .
- أقول : عبارة المجهيب صريحة في قبول كلمات هذا الصنف وبقية الاصناف حتى الصنف السابع وهو « العامي » لكنه اشترط ان لا نجد ما ينوب مناب الالفاظ الدخيلة .
- (٥) — الزهاوي « جلد ٨ ص ٦٨٦ » ( لا يجوز التردد في قبوله ايضاً ) .
- (٦) — احمد رضا « جلد ٩ ص ٥٨ » — قال ما ملخصه ( ان ورود أمثال كلمات هذا الصنف في كلام أئمة اللغة يُنزّل منزلة التنقيص على نقلهم لها وهم لا يقدمون على استعمال ما لم يروه صحيحاً سابقاً ) .
- (٧) — نسطاكي حمصي « جلد ٩ ص ١٧٦ » ( انا ايضاً من أشد أنصار هذا الصنف ) ثم حدد زمن الفصحاء الذين ورد هذا الصنف في كلامهم حتى يكون مقبولاً — بالقرن السادس او السابع الاسلامي .
- (٨) — عيسى المعروف « جلد ٩ ص ٣٥٥ » قال ما منناه « التساهل في اللغة يقتضي قبول كلمات المولدين والمعاصرين فضلاً عن كلمة « تخميم » التي اقرها العلامة اليازجي .
- (٩) — الكرملي « جلد ٨ ص ١٠٢ » ( كالم فصحاء العرب الاسلاميين تدون ايضاً ) ثم قال ان كلمتي ( تخميم ) و ( صدفة ) الواردتين في قولي ( اليازجي ) و ( محمد عبده ) ليستا من هذا الصنف ؟
- (١٠) — احمد امين « جلد ٨ ص ٣٥ » ( ندخل في المعاجم ما نحن في حاجة اليه فقط ) .
- أقول : هذا الفاضل والفضلاء الخمسة الآتون شددوا في الشروط والتحفظات لكنهم بوجه الاجمال أجازوا كلمات هذا الصنف . وما يدرينا ان معظم المجهيبين الاولين الذين اطلقوا ولم يقيدوا — بوالقونهم في تحفظاتهم هذه ؟
- (١١) — الغلاييني « جلد ٨ ص ٣٥٩ » — قال اولاً ما ملخصه : ( كلمات الفصحاء الاسلاميين لا نقبلها ما دامت محتمة لان تكون محرفة ) ثم قال ما نصه :
- واما « صدفة » وهي الواردة في كلام الاستاذ الامام ( فأرى « ان شيوعها كاف لان يحملنا على قبولها وعدها اسماً بمعنى المصادفة كنتظارها الكثيرة اه » .

أقول : لنا ان نستنتج من مجموع جواب الأستاذ ان كلمات هذا الصنف ان وثقنا بعدم تحريفها وشاعت حتى أنسناها قبلناها والا فلا .

(١٢) - الاسكندري « جلد ٨ ص ١٠٤ » - قال ما ملخصه : ( نقبل ماورد في كلام الفصحاء الاسلاميين الاقدمين كأبي نواس والمتنبي<sup>١</sup> لامن جاء بعدم . الا اذا وافق القياس ) والمتنبي<sup>٢</sup> قتل سنة ( ٥٣٥٤ ) .

(١٣) - الجابري « جلد ٨ ص ٣٦١ » - مزج جوابه على هذا الصنف مع جوابه على الصنف الاول الذي مر فقال ما ملخصه : ( ما لم يدون ولم يشع استعماله ليس من اللغة العربية في شيء ) . ويستثنى من ذلك ما كان مشتقاً تقضي القاعدة بجوازه وقد روي استعمال بعض العرب له اي العرب الذين يؤمن لحنهم ) .

وأطلق الجيب في هؤلاء ( العرب ) فلعله يريد بهم ما أراداه ( الاسكندري ) اعني الجاهليين الاسلاميين حتى عهد المتنبي<sup>٣</sup> .

(١٤) - النكدي « جلد ٨ ص ٥٩٧ » - لم يكن كلام الاستاذ النكدي ايضاً صريحاً في كلمات هذا الصنف وانما عمد الى المثال اعني كلمة ( اقص ) الواردة في كلام الطبري فقال انها محرفة ولو فرضنا عدم تحريفها لا حاجة لنا بها لوجود ما ينوب منايها وهو ( قص ) وكذا ( فخم ) و ( صدفة ) تقوم مقامها ( فخم ) و ( مصادفة ) .

اقول وهذا من الاستاذ النكدي مبني على رأيه في وجوب الغاء الترادف او تضيق دائرته والاقصار من الكلمات المترادفة على اقصها . ويمكن تلخيص جوابه على كلمات هذا الصنف بانه يقبل الموثوق بصحته وما نحن في حاجة اليه منها .

(١٥) - رشيد بقدونس « جلد ٩ ص ١٠٣ » - قال ما ملخصه : ( نقبله بشرط صحته وعدم وجود اخف منه في مادته ) فعلى هذا لا يكون فعل « اقص » مقبولاً لديه وان صح نقله عن « الطبري » لانه يوجد في مادته فعل ( قص ) الثلاثي وهو أخف منه طبعاً . وقد بقي ثلاثة من الجيبين رفضوا قبول هذا الصنف رفضاً باتاً وهم :

١٦ - محمد الخضر « جلد ٨ ص ٤١٠ » - قال ما ملخصه : ( ماورد من هذا الصنف

عن العرب الاسلاميين اما محرف أو هو خطأ وقبوله فوضى في اللغة ) .

١٧ - سليمان ضاهر « جلد ٩ ص ٤٨٤ » ( لا يجوز اقص الخبر رباعياً بمعنى قصه

ثلاثياً لعدم النص عليه في المعاجم . أقول : فيستنتج من كلامه ان ما لم تذكره المعاجم من كلمات الاسلاميين لا يجوز استعماله بخلاف الجاهليين كما مر في جوابه على الصنف الاول .  
 ١٨ - أدوار مرقص « جلد ٨ ص ٧٤٠ » - ( اذا لم يصح لنا اتخاذ فصحاء الجاهليين حجة فكيف يصح اتخاذ من بعدهم كالطبري ؟ ) .  
 انتهت الاجوبة على كلمات الصنف الثاني : فكان من المحييين ثلاثة رفضوا قبولها وه ١ منهم قبلوها وبعض هؤلاء اشترطوا ويحفظوا . ولا يضر هذا في قبولهم . فيصح لنا إذن أن نعلن ان الاكثريّة أفتت بجواز استعمال كل كلمة وردت في كلام فصحاء العرب الاسلاميين وجواز تدوينها في معجمنا المنتظر .

### « الصنف الثالث »

الكلمات العربية الاصطلاحية التي وآدها رجال العلوم والفنون والصناعات ولا يعرفها اهل اللسان كقولهم ( ميزانية ) ( كفيّة ) ( كية ) ( هيئة الحكمة ) ( انقذت الجلسة ) ( تمريرة الرسوم ) في نظير ذلك .  
 فهل تقبل كلمات هذا الصنف وتدون في المعجم او لا ؟  
 فأجاب الاساتذة :

- ١ - الرصافي « مجلد ٨ ص ٣٢ » ( ان الذي يمنع جواز استعمال هذا الصنف عليه ان يمنع اولاً : المصطلحات التي اصطلح عليها علماء الاسلام قديماً الخ ) يعني والمصطلحات القديمة قبلها اسلامنا من دون نكير فالواجب علينا قبول هذه المصطلحات من دون نكير .
- ٢ - احمد امين « مجلد ٨ ص ٣٥ » ( ارى جواز ادخال كلمات هذا الصنف في القواميس كذلك ) اي بشرط الحاجة اليه كما مر اشترط ذلك في الصنفين الاولين .
- ٣ - الاسكندري « مجلد ٨ ص ١٠٤ » ( تقبل هذا الصنف بصيغة دهب ٠٠٠ وهو عمدتنا وملجونا في تنمية اللغة ٠٠ وفي رأبي انه ينبغي عن شكل دخيل ) لكن اشترط الأستاذ ان تجري هذه المصطلحات على قواعد الاشتقاق والمجاز والنسب المقررة في اللغة العربية .
- ٤ - النشاشيبي « مجلد ٨ ص ٢٨٥ » ( هذا الصنف كالصنفين الاولين يجب ان يودع المعجم وبعد عربياً محضاً ) .

- ٥ - محمد الخضر : « مجلد ٨ ص ٤١٠ » ( هذا الصنف لثله تؤسس المجامع اللغوية ومعارضته إمامة للغة لكن يشترط فيه ان يجي على القياس ) .
- ٦ - كامل الغزي « مجلد ٨ ص ٤٨٠ » - كلمات هذا الصنف ( نعتبرها عربية ونستعملها كما نستعمل الكلمات العربية ) . أقول : لكن الاستاذ اشترط في الكلمات المركبة مثل ( ملتزم الاعشار ) و ( مفتش العدلية ) ان يستبدل بالمخلوط منها غيرها ان امكن .
- ٧ - تقولا فياض : « مجلد ٨ ص ٥٦ » جواب الأستاذ على هذا الصنف كجوابه على الصنف الثاني فقد قال : ( ان الالفاظ الشائعة الدخيلة لا بأس بها اذا لم نجد ما ينوب منها ) وقد قلنا هناك ان اطلاقه هذا يشمل الدخيل بجميع اصنافه حتى العامي منها لكن بشرط الحاجة اليه .
- ٨ - الزهاوي « مجلد ٨ ص ٦٨٦ » قال في هذا الصنف كما قال في اخويه : ( لا يجوز التردد في قبوله ) .
- ٩ - احمد رضا « مجلد ٩ ص ٥٨ » - ( هو صحيح واستعماله صحيح بلا مناقشة ) .
- ١٠ - قسطاكي حمصي « مجلد ٩ ص ١٧٦ » ( لا أذاع فيه لكثرة فشوه على الافلام ) .
- ١١ - سليمان ظاهر « مجلد ٩ ص ٤٨٤ » ( يلزم الترخيص باستعماله ) ثم استشهد الأستاذ بقول ابن ابي الحديد وهو ( قد استعملت . . . الفاظ القوم من متكئين وحكام مع علمي بان العربية لا تجيزها مثل المحسوسات ) و ( الصفات الذاتية ) و ( الجسمانيات ) ولكنني استهجت تبديل الفاظهم . وتفسير عباراتهم . فن كتم قوماً كلمهم باصطلاحهم اه . »
- ١٢ - عيسى العلوف « مجلد ٩ ص ٣٥٥ » ( ما أمكن إيجاد مقابل له في القديم يكون استعماله أولى ) ويعني الأستاذ بالقديم اصطلاحات العرب في عهد حضارتهم فاذا وجدنا لم اصطلاحاً علمياً أو صناعياً أو حكومياً استعملناه وأهملنا الاصطلاح الحديث والافلام .
- ١٣ - أدور مرقص « مجلد ٨ ص ٧٤٠ » أبان الأستاذ وجه الحاجة الى قبول كلمات هذا الصنف وقد اعتبرها مما وضعه العرب وإنما نحن نقلناها الى معنى مصطلح جديد . ثم قال مانصه : « ولكن ينبغي لنا ان نحرص على وضوح العلاقة بين الموضوع له والمعنى المنقول اليه وعلى اتباع الأوزان والأساليب الغالبة على لغتنا الفصحى » .

- (١٤) - رشيد بقدونس «مجلد ٩ ص ١٠٣» (ان وجدنا في اللغة العربية لفظاً فصيحاً منه بحيث يؤدي معناه استغني عنه والا استعمل) .
- (١٥) - الفلايني «مجلد ٨ ص ٣٥٩» (الميزانية والكيفية والكيفية من الكلمات المألوفة والاخيرتان من الكلمات العلمية التي استعملها الجدود قديماً ومثل ذلك لا يجوز ان يصادم) فالجيب يعني يجوز استعمال المصطلحات لكنه يشترط ان لا يكون في اللغة العربية كلمات البقي منها .
- (١٦) - النكدي «مجلد ٨ ص ٥٩٧» اسهب في تحليل الكلمات التي ذكرتها مثلاً لهذا الصنف : فجعل بعضها من العربي الفصح المقبول من دون تكبير وجعل بعضها مما لا حاجة لنا به لوجود ما يسد مسده ثم قال ما نصه : (واما كلمة الرسوم «في قولهم تعريفه الرسوم» - وان كانت نسبتها للغوية غير متصلة بين معناها الوضعي وما اصطلحت على استعمالها له الحكومة - فقد راجت واشتهرت وكلمة «الخرج» لانسد مسدها فلا بأس من النظر فيها ثم افراها اه) فرأيه اذن ينبغي هذا الصنف قبوله واقارره بشرط ان يروج ويشتهر ولا يوجد في الفصح ما يسد مسده كما هو الحال في كلمة «رسوم» .
- (١٧) - الكرملي «مجلد ٨ ص ١٠٣» يرى وجوب ضربلة كلمات هذا الصنف : فما ولده السلف مثل (ماهية) قبلناه . وما ولده الخلف قبلنا منه ما نحن في حاجة اليه نحو (ميزانية) . وترفض ما سوى ذلك امثال (هيئة المحكمة) لاستغنائنا عنه (بجماعة المحكمة) .
- (١٨) - الجابري «مجلد ٨ ص ٣٦١» جواب الأستاذ الجابري لم يكن مرتباً بحسب ترتيبنا للاصناف السبعة وانما هو اورد اجوابته بطريقة أخرى ولذلك كان استخراج الجواب من كلامه بطريقتي الاستنباط كما فعلنا في المنهجين الأولين وكما فعل هنا فنقول انه ذكر من الالفاظ ضناً عبر عنه بقوله (واما ما انفقت عليه اهل الاقطار فهذا لا بأس باستعماله وتدوينه وإدخاله الى اللغة لان ذلك من مقتضى اتساع اللغة بامتداد الزمن وحدثت مسميات متجددة اه) فلا جرم انه يريد هذا الصنف الثالث الذي نحن في صده اعني (الكلمات الاصطلاحية) وظاهر انه أفتى به وأباح استعماله وتدوينه .
- انتهت الأجوبة الثمانية عشر على هذا الصنف وهي مجمعة تقريباً على قبوله لاشتداد الحاجة اليه في تنمية اللغة . لكن معظمهم اشترط في قبوله موافقته لاوزان اللغة فتعريفه الرسوم

يجب أن نقول فيها (تعريف) لا (تعريف) - وأن لا يوجد في اللغة الفصحى ما يسد مسده (فيأية المحكمة) مثلاً نستغني عنها (بجماعة المحكمة) . وهذه (التحفظات) لا أرى بعض المحبين يوافق عليها ولو فتحنا باب الاقتراع بشأنها لما وصلنا الى قرار حاسم في بحثنا هذا كما اشرنا في المقدمة . لذلك نكتفي عن النظر في الفروع - بالنظر في الأصول فاذا وجدنا أكثرية المحبين قبل الصنف اعتبرناه مقبولاً بالجملة كما وقع في الاصناف الثلاثة السابقة والا فلا .

### « الصنف الرابع »

المؤند اعني الكلمات التي ولدها العرب الاسلاميون من مادة عربية الأصل مثل (خايه) من (الخبر) و (فروج) من (الفرج) و (احتار) من (الحيرة) و (تنزه) من (الزهوة) الخ .

فهل يجوز استعمال هذه الكلمات وتدوينها في المعجم ؟

فأجاب الاساتذة :

(١) - الرصافي « مجلد ٨ ص ٣٢ » ( اننا مضطرون الى استعمالها شئنا او لم نشأ

والقياس في اللغة يؤيدنا ) .

(٢) - الكرملي « مجلد ٨ ص ١٠٢ » ( انا أوافق من يدونها في المعاجم ) .

(٣) - النشاشيبي « مجلد ٨ ص ٢٨٥ » ( الألفاظ المولدة - واللغة لغة والناس

ناس يجب أن تودع المعجم العربي وتعد عربية محضة ) .

قوله: (واللغة لغة والناس ناس) يشمر بانه يشترط في قبول الكلمات المولدة ان تكون

مما ولده اهل العصور الاسلامية الأولى و زاد ذلك تأييداً قوله في مكان آخر من جوابه

( الألفاظ المولدة في العصور السخيفة نبذها فرض ) .

(٤) - الزهاوي « مجلد ٨ ص ٦٨٦ » ( لامندوحة لنا من قبول كلمات هذا الصنف

وقد أنت بكثرة في شعر كبار الشعراء ) .

(٥) - نقولا فياض « مجلد ٨ ص ٥٦٠ » يفهم تجويز الأستاذ فياض لكلمات هذا

الصنف من عموم قوله السابق : ( ان الالفاظ الشائعة الدخيلة لا بأس بها اذا لم نجد

ما ينوب مثابها) .

- (٦) - احمد امين «مجلد ٨ ص ٣٥» قال ما حاصله «تقبل هذه الكلمات المولدة اذا لم نجد في اللغة ما يسد مسدها» .
- (٧) - كامل الغزي «مجلد ٨ ص ٤٨٠» (اذا لم نجد في اللغة ما يفي عن كلمات هذا الصنف فلا بأس من استعماله لانه صار في حكم المصطلح عليه) .
- (٨) - ادور مرقص «مجلد ٨ ص ٧٤٠» - (الذي أراه جواز هذا الصنف توسيعاً على نفسنا) ثم اشترط موافقة كلماته للقياس اللغوي .
- (٩) - رشيد بقدونس «مجلد ٩ ص ١٠٣» (يقبل من هذا الصنف كل ما لا غنى لناعته) .

- (١٠) - احمد رضا «مجلد ٩ ص ٥٨» (لا أرى مانعاً من استعمال المولد الشائع ولكنه غير فصيح فهو كاستعمال الوحشي اللغوي : صحيح غير فصيح) .
- (١١) - النكدي «مجلد ٨ ص ٥٩٧» اشترط الأستاذ النكدي في كلمات هذا الصنف أن تكون في حاجة اليها ولذلك اجاز (تفرج) و (تنزه) للحاجة الماسة اليها ولم يجوز (خاير) و (احتار) لعدم الحاجة اليها بوجود مرادفاتهما اذ يرادف الأولى (راسل وفاوض وباحث) وغيرها ويرادف الثانية (حار وتجهير) وغيرهما .
- (١٢) - قسطنطين حمصي «مجلد ٩ ص ١٢٦» - (هذا الصنف يجوز لنا قبول بعضه ورد بعضه) ثم قال انه يقبل (خاير) لظهور اشتقاقه من الخبر ولفشو استعماله ولكن (الخفايرة) بمعنى (المزارعة) لم تبق معروفة . اما (تفرج) و (احتار) فلا حاجة لنا بهما إذ لدينا ما يسد مسدهما فالأستاذ قسطنطيني إذن يقبل من كلمات هذا الصنف ما ليس له مرادف ويرفض ما له مرادف .

- (١٣) - الغلاييني «مجلد ٨ ص ٣٥٩» بحث الأستاذ في كلمات هذا الصنف بشرطين (١) ان توافق القياس و (٢) أن تشيع على السنة الكتاب الخواص : فعلا (خاير) و (احتار) جائزان لأنهما شاعا على السنتهم . واما (تفرج) فلا يجوز لانه لم يشع ثم قال «على انه يمكن ارجاع (تفرج) الى اصل لغوي بضرب من الهجاز» .
- (١٤) - سليمان ضاهر «مجلد ٩ ص ٤٨٤» بحث في الأمثلة ايضاً فاجاز (تفرج)

و (نزّه) للحاجة اليهما ولشروع استعمالهما ولم يجوز (خابر) ولا (احتار) لعدم ورودهما في كلام الفصحاء ولعدم الحاجة اليهما : فالأستاذ الجيب يشترط في قبول كلمات هذا الصنف ان يشيع استعمالها في كلام الفصحاء وأن تكون هناك حاجة داعية الى استعمالها .  
(١٥) — عيسى المفلوح «مجلد ٩ ص ٣٥٥» (اذا كان لكلمات هذا الصنف مرادفات تؤدي معناها فالأولى العدول عنها والا استعمالنا منها ما يحمل على القياس) ثم قال ان لفعل (خابر) مرادفًا وهو (فاوض وكالم) وللكلمة (الشرقة) مرادفًا ايضًا وهو (الفيلجية) فالأولى العدول اليهما .

(١٦) — الاسكندردي «مجلد ٨ ص ١٠٤» (كلمات هذا الصنف لا يجوز استعمالها) .

(١٧) — محمد الخضر «مجلد ٨ ص ٤١٠» (قبول كلمات هذا الصنف يُطلق لكل

احد العنان في ان يشتق الكلمة على غير قياس) ويعني بذلك انه لا يجوز استعمالها .

(١٨) — الجابري «مجلد ٨ ص ٣٦١» الظاهر من جواب الأستاذ الجابري انه

لا يجوز استعمال كلمات هذا الصنف لانه اشترط في جواز الكلمة التي لم تدون في المعاجم (ان ينطق بها العرب الذين يؤمن لحنهم) والمفروض في كلمات هذا الصنف انها مولدة وان الذين ولدوها غير الفصحاء من الاسلاميين .

انتهت الأجابة على هذا الصنف وقد صرح ثلاثة من اصحابها وهم الاسكندردي والخضر والجابري برفضه وعدم جواز استعمال كلماته اما الباقون وهم الأكثرية فقد اجازوه ورحبوا بكلماته لما في ذلك من تنمية اللغة وتوسيع نطاق التعبير بها .

نعم لانكر ان بعضهم اشترط في قبولها الحاجة الداعية اليها وبعضهم اشترط شيوعها على ألسنة الفصحاء وبعضهم موافقتها للقياس ولكن كل هذا لا ينبغي ان يحمل على التشاؤم بها والتردد في قبولها والانتفاع بها بالجملة .

«التتمة في العدد الآتي» المغربي



## القضاء عند عرب البادية (١)



فطر الأعرابي على حب العز والفخار ، تصبو نفسه الى المكارم وشريف الأعمال ، ولا يخلد الى النل والصغار ، مها جابته المصاعب والأقدار . وهو لا يطمح الى المعالي إلا لينال صيناً بعيداً وشهرة واسعة بين أقرانه وفي عشيرته . فيغار البدوي على شرفه . ويؤثر المنون على العار والهوان ، وتنهض به غيرة نفسه الى الانتقام ، او طلب الحق امام القاضي البدوي . وقد يشور نائره لأدنى امر يحظ بقدره ويخضع من حاله .

( ماهي الحقوق البدوية التي يستند اليها قضاتهم ؟ ) — هي قوانين تقليدية محفوظة في البادية مرسومة لتأديب المجرمين وتهذيب الأعراب ، يعرفها ارباب القضاء ويجرون عليها ، وبها يعوضون لصاحب الحق او لأهله ما فقدوه من الشرف او المال او الحياة . ومن هذه القوانين عندهم أن الأخذ بالتأثر لا يعد فرية يجازى عليها المنتقم . فالانتقام عندهم من النواميس الشريفة والفرائض الضرورية المقدسة التي لا يسعهم تجنبها ولو طال عهدها فالضغينة تبقى مستورة في صدورهم كالنار تحت الرماد ، فيأتي الريح يوماً وبكشف الرماد وتظهر الثارات والأحقاد . وكثيراً ما يرفض الأعراب حكم قاضيهم ليرووا ظمأهم بدم الأعادي ، وبثأروا للقتيل وبنالوا الطوائل بأيديهم وقد يجتمع الأعرابي اولاده على سرير موته ويوصيهم أن يأخذوا الثأر من احد اعدائه ، ولا يدعو الدم بصرخ الى السماء صراخاً أليماً . فأنهم يعتقدون ان دم المقتول يصرخ دائماً في الليالي الدامسة ، ويطلب من اولاده واقاربه وعشيرته ان ينتقموا له من قاتله .

ينتظر البدوي الفرصة الموافقة لأخذ الثأر بصبر عجيب ، ويقدم على هذا الأمر بنفس

(١) محاضرة الاستاذ عبد الله رعد كان ألقاها في ردهة المجمع العلمي

حادثة وسرورٍ عظيم ، لانه يعلم أن القضاء لا يطالبه بهذا الدم ، اذا كان دم القاتل نفسه او دم اولاده او اقربائه حتى الدرجة الخامسة . اما اذا زادت هذه القرابة على الدرجة الخامسة فيصد قتله عندئذ جرماً . على ان ارباب الحق الذين يهجرون عن الأخذ بالثأر لقتلهم او لضعفهم تجاه بسالة عدوهم ، فانهم يلتجئون الى امير كبير من عشيرة أخرى يعرف بجرأة صدره ، ورباطة جأشه ، وثبات جنانه ، وهو ينتقم لهم من عدوهم . او يطلب القاتل ويلزمه بالقيام بحق الدم .

\*\*\*

إن من يتأمل في عادة الانتقام ، أيها السادة ، يحكم لأول وهلة أنها بربرية لا يقدم عليها الا الامم المتوحشة . وهذا من العحة على جانب كبير لولا وجود هذه السنة في البادية لغدت القفار الأعرابية دار حربٍ دائمة ، لأن الجرمين لا يهابون قتل النفوس البريئة ، اذ لا رادع يردعهم ، ولا سيف يمنعهم . وسنة الدم بالدم تصد الاشرار ، لذلك يندبر القتل في البادية . وخوفاً من العقاب لا يهدر البدوي دم المسافرين ، بل يكفي بسلبهم ثيابهم واموالهم . ثم إن العرب يرحلون على ظهور اباعرم طلباً للرزق الحرام من الغزوات ، فهم مع ذلك ينجبون القتل لثلاث تنزل بهم الضربات الهائلة التي تأمر بها شريعة الأخذ بالثأر . وهذه الشريعة تجعل البيداء بيئاً آمناً وسلاماً ، يسافر فيها المرء غير خائف على نفسه وان سلبوه ماله بخلاف القفار الإفريقية حيث يُقتل قبل ان يُسلب .

\*\*\*

( ما هو القاضي البدوي ؟ ) — قاضي العرب أمير من أمراءهم تسلطه القبيلة أو العشيرة على أفرادها ، لاظهار الحق من الباطل طبقاً للتقاليد البدوية ، والعوائد التقليدية القديمة . على أن الأعراب قد لا يرضون بقاضٍ واحد كبير يتراهم ، بل يوكلون القضاء الى وجوه العشيرة وكهولها ، فيأتون اليهم ويعرضون دعواهم فيحكمون بينهم بحسب عاداتهم الجارية . هؤلاء الرجال لا يبالون كالأضياء الحقيقيةين راتباً لقضائهم ، وانما يعملون ذلك ، كما يقولون ، لوجه الله الكريم ، والمتخاصمون يلبثون أحراراً في الخضوع لحكمهم او رفضه ، ورفع الدعوى الى القاضي الكبير .

القاضي الكبير يرث الحكم عن أبيه لأن العرب مولعون بحفظ الأصل والنسب .

ولكنه لا يتسلط على الأعراب الا اذا نال رضي الجميع ، بسد يد رأيه ومعرفة الحقوق البدوية . ولهذا القاضي سلطة واسعة تفوق سلطة الحكام في الممالك المتعددة والربوع العامرة . فاذا قال كلمته انقطع الحديث ، وباد الاعتراض وصمت المتخاصمون . ولم عادة حميدة تذكر بالثناء عليهم ، وهي ان قاضي العشيرة اذا رُفعت اليه دعوى باحد أقاربه لا يحكم فيها بل يجعلها الى قاضٍ آخر غيره من القضاة الجاورين أرباب العدل والانصاف ، لئلا تقوم حوله الظنون .

\*\*\*

( كيف يجري القضاء عند العرب ؟ ) — اذا وقعت الخصومات بين العرب على ممتلكاتهم من الحيوانات والارضين ، حاج هاتجهم ، فتستفزهم في الحال نزوة الغضب ، فينتفضون من الغيظ ، ويرتجفون من الخلق ، فينتفضون السيوف ويطلقون الرصاص ، لما طبعوا عليه من حدة الأخلاق ، وحفظ الحقد والضغينة . والسرقة عند من الفضائل ، والكذب جارٍ عندهم مجرى العادة بضربون به المثل قائلين « الكذب ملح الرجال ، وعيب على من يصدق » . فاذا حل الخصام ، وارتفعت الأصوات والشتائم ، وأتضيت السيوف وسمع أزيز الرصاص ، دخل المصلحون بين المتخاصمين ، وحلوم على الكف عن الخصام ، وحل المشكل بالقسم أو بحكم القاضي .

أما القسم فمن أروع الامور عند العرب وأقدسها ، ولا يقدمون عليه الا مضطرين . لأن الأعرابي تملك قلبه الخيالات الخفيفة ، والتصورات المرعبة ، لذلك يجنب الحلف ولو كان به صادقا ، وهباب اتخاذ المولى الكريم أو أحد أوليائه وأنبياؤه شاهداً على صحة قوله ، ولو كان من قطاع الطرق .

والقسم عند العرب أنواع مختلفة : منه ما يسمونه القسم الجاري أو القسم الصغير ، ومنه قسم اليد ، والقسم الكبير ، ومنه القسم العُشبة ، ومنه قسم النخلة والشملة .  
ففي القسم الصغير يقوم الشيخ وسط الخيمة ويقول : أقسم عليك بالله وبصلاة محمد هل فعلت الامر الفلاني . فيقول والله وصلاة محمد لم أفعل .

وفي حلف اليد ، يضع الحالف يده على رأس الحالف ويقول : « أناشدك الله ، بما تحوش وتنوش ، بجلايات الحليب ونسائم السبب (أي الخيل) ، وبالنساء وما تحبيب ،

داخل عليك لاملال والعيال ، من الحتل والاستحلال ، اليوم بين عينيك وبأكر بين متنيك ( أي اليوم تراني وغداً تحباني على النعش ) بغيته عليّ وبذنه عليك ، ان اطلمت بها تسرك وان خبئتها تضررك ، اما صار كذا وكذا ؟ فيجيب : إي بالله ورسوله صار كيت وكيت . أو : لا بالله ورسوله ما صار ذلك .

ويقولون ايضاً في أقسامهم « انا حاضر بحضورك وهو قد نارك ، اما صار كذا وكذا »

ويقولون في حلف العشيبة : بحق هذه العشيبة الملوحة والكاذب ماله ذرية .

أما قسم النملة والشملة فدونكم وصفه : حينما يكون العرب وكبارهم ملتصقين في شقّ الرجال من الخيمة ، وقد طال الجدال بين فريقين على أرضٍ أو فرسٍ أو غير ذلك ، يقوم أمير البيت ويخرج بمجلسه خارج الخيمة ، ثم ينتضي سيفاً ويخط به دائرة كبيرة ، ويضع في وسط الدائرة حبة حنطة ونملة . والحنطة تدلّ عند العرب على أكرم ما خلق الله تعالى والنملة تمثل الحكمة والفتنة والإدراك . ثم يمدّ السيف في منتصف الدائرة . عندئذ ينزع المتهم عنه سلاحه ويدخل في وسطها ويضع يده على نصاب السيف ويقسم قائلاً : « والله العظيم والسيف الكريم ما فعلتُ الشرّ ولا سرقتُ ولا قتلتُ الخ » .

وكثيراً ما يتقاع لون الرجل ، وترتخي مفاصله ، وترتجف يدها ورجلاه من الرعب ، وربما رجع عن الحلف وأقرّ بما فعل .

والحلف بالمقامات يعدّ عند الأعراب من الأقسام العظيمة . وربما أقسم البدوي بالله صراراً عديدةً وأبى أن يقسم بالأولياء والمزارات المقدسة كزار النبي شعيب ، والنبي هوشع ، والشيخ عبد الله ، ونحو ذلك من المزارات المشهورة عند العرب . على ان العرب يدعون غالب الأحيان القسم لهبته ، ويلجأون الى القاضي البدوي . وهذا ما يدعون به ( بالقضوة ) .

فما أجمل بيت الشعر حينما يزين بانواع الأثاث ، ويفرش بالسجاد الفاخر ، ويعلق على جدرانها السلاح اللامع . يجلس الأمير في صدره للقضاء ، ومن حوله وجوه العشيبة . فيسمع صوت «المهاج» يدق القهوة ، فتطبخ ويطاف بها على الحضور دفعات متوالية . وبعد شرب القهوة يقوم احد المتخاصمين وهو المدعي ، ويجلس في وسط الخيمة بين الحاضرين ويلتفت الى القاضي ويقول : وهو عندهم بمثابة الاستدعاء فيفتخون به الدعوى : « وايش

بك يا قاضينا ، بللي بمحك تراضينا ، جيتك هدي ومشيا قدي ، أفلح وصل عالي  
 ( فيقول الجميع الصلاة والسلام عليه ) ، حظي وحظك بدخلان على اربه واربعين نبي ،  
 من الفوط والنوط والحق الردي ، وانا داخل عالم والعيال من شي مبيتن طي وطليك غبي ،  
 وانا حاططها بعيونك السود وربك القعود ، وبالامراة وما تهيبت ونسافات العسيب ، ثم  
 بذكر ماجرى له بصوت جهوري بحيث يسمعه الحضور من اطراف الخيمة ، وبورد  
 البراهين في ذلك ، الى ان ينتهي ويعود الى مقامه الاول فيقوم المدعى عليه ويجلس في  
 وسط المجلس ، ويكرر المقدمة نفسها : وايش بك يا قاضينا الى آخر الديباجة التي اتينا على  
 نصها بالفاظهم ولنتهم المستعملة في البداية . ثم يفصح عن ادلته . ولا احد يعارضه في شي .  
 والقاضي بين كل ذلك صامت لا يبدى كلمة . وفي آخر ذلك يلتفت القاضي الى الخصامين  
 ويقول : افلحوا واصلحوا خير لكم . فاذا ايبا الاظهار الحق يقول : قدموا الرزقة .

\*\*\*

« الرزقة » — هي اجرة يدفعها احد الخصمين للقاضي تقدر بربع قيمة ما يخاضم عليه  
 وقد يجري في هذا التقدير جدال طويل يدوم ساعات من اجل تعيين مقدار الرزقة إن  
 نقوداً او عروضاً كفرس مثلاً أو سيف أو بعير . وربما لم يقبل بها القاضي فيرفض الحكم  
 الى ان يستحسن ما يقدم له .

والرزقة أنواع كثيرة ، منها ما يسمونه رزقة المبتل ، ومنها رزقة الحق . فرزقة المبتل  
 هي التي يدفعها المجرم أو المفترى للقاضي ، ورزقة الحق هي التي يدفعها صاحب الحق . واذا  
 استأنف المحكوم عليه دعواه الى قاضٍ اكبر وحكم له بالحق . وكان قبل ذلك قد  
 دفع رزقات عديدة بردهاله المحكوم عليه . لأن المستأنف الكاسب حقاً بجميع الرزقات  
 التي يكون قد دفعها للقضاة من قبل .

\*\*\*

( الكفلاء ) — وبعد ان يتفق الخصمان على الرزقة يجب عليهما ان يقدم كل واحد  
 كفيلاً يتعهد أمام الشهود بدفع الرزقة اذا الى الآخر تقديمها . فيقولون : « نرى باشيخ  
 فلان هذه المسألة في وجهك » . وان كان الكفيل غائباً يقولون : « نرى ان هذه المسألة  
 في وجه فلان » اي أنه يتعهد بدفعها أو يحمل الخصامين على دفعها . فيقول القاضي للكفيل :

« عندك الشيء الفلاني » فيجيب : « عندي ما تطلب ، وحق الله ورسوله اني ما أبوق »  
( أي لا أخون العهد ) .

رأينا أن الكفيل نوعان : غائب وحاضر . فالغائب هو الذي لا يحضر مجلس القضاء حينما ترفع ( الدعوى ) فينتاره الحاضرون والقاضي لا ينفذ الأمر . والحاضر هو القائم بين الحضور في أثناء الدعوى . على ان لكل منهما واجبات خاصة تختلف عن واجبات الآخر : فالغائب مضطر الى قبول الكفالة ، والحاضر له الخيار في قبولها أو رفضها . لذلك جاء في أمثالهم : « الغائب مضطر والحاضر حر » . ولا بد للكفيل من صفات ، أخصها أن يكون معروفاً بين العشيرة بصدقه واقتداره على الدفع .

والذين يُحرمون حق الكفالة هم شاهدو الزور ، والجناب الذين يشردون في الحروب والغزوات ، هؤلاء كالم مرذولون عند العرب ، لا يُقبلون في مجالس الكرام ، ولا يشربون القهوة في خيام الامراء ، ولا تقبل لهم شهادة . واذا جلس أحدهم في مجلس الشيوخ صب له الشيخ القهوة ، وبينما هو يرفع النبخان الى فمه يزرعه الشيخ بعنف منه ويهرق القهوة على التراب ويقول له : انت لا تستحق القهوة ولا لك مقعد بين الرجال .

\*\*\*

( الشهود في الدعوى ) - وبعد تعيين الكفيل ، يتجه القاضي نحو المدعي ويقول له : يا فلان ، اذا كان عندك شاهد لا يكذب ولا يوجد عليه اعتراض فليتقدم ويشهد . فيجيب : عندي يا قاضي العرب فلان وفلان وفلان . فيلتفت القاضي الى أكبر الحاضرين ويقول له : وأيش تقول يا شيخ عن فلان ؟ فان كان مقبول الشهادة يقول : « والله انه مقبول الشهادة ، ما انا خابر عليه الذرب الذي بذربه عن الشهادة » وان كان مرفوض الشهادة يقول : « والله انه غير مقبول » .

وقد تقع الخصومات في اختيار الشاهد فمنهم من يرفضه ومنهم من يقبله . وبطول الكلام بينهم الى حد يسأم منه الحاضرون ، الى أن يقر رأيه على شاهدين . فيقفان ويقسمان القسم البدوي ، يقول كل واحد على حدة : « والله العظيم ، والرب الكريم ، وحياة العود ، والرب المعبود ، والكاذب ما له مولود ، لا غيظ شافيه ، ولا لمع راجيه ،

( إي إنه لا يحلف لاخذ ثار ولا لاجل مال ) الاحق الله من رقبتي مؤدبه ، ان هذا الرجل قد فعل كذا وكذا » .

وللشاهد حق في طلب هدية ما اذ لا بد له من القسم ، والعرب كما اوضحت يرهبون القسم ولو كانوا صادقين . لذلك هم يقدمون للشاهد هدية بدوية كسيف او عباءة او نحو ذلك .

والنساء في جميع العشائر لا تقبل لم شهادة الا عند عشائر النصارى في الصلت والكرك ومادبا وغيرها في شرق الاردن ، وشهادتهن ثابته قوية .

\*\*\*

( الحكم ) — وبعد ان تنتهي المحاكمة ينطق القاضي بامثال يبين فيها احكام القضاة من قبله في امور جرت من عهده قديم . فيروي حكايات واقعة او خيالية يذكر فيها الحكم بمبهم الكلام ، وربما أتى بامثال حيوانات تنطبق على الامر الواقع ، حتى يدرك الحاضرون الحكم المراد قبل ان ينطق به . واخيراً يفوه بالحكم القاطع بقوله : « انا من عندي ، ومن عند القضاة الذين قبلي ، ومن عند اجاويد الله مثلكم ، إن فلاناً هو المجرم ، وفلاناً هو البري » ، ويورد في ذلك الاداة والبراهين والاسناد كي لا يبقى في الامر ريب . وهنا ينتهي الحكم فيقوم جمهور الحاضرين وينصرفون الى بيوتهم وهم يرددون الحكم المبرم .

\*\*\*

( العقوبات ) — والعرب يدعونها الحق . فمنها حق الشتام ، وحق البيت ، وحق الوجه ، وحق الدخيل ، وحق الدم ، وحق الطنيب ، وحق القصير ، وحق العرض ، وغير ذلك .

وقبل ان نذكر شيئاً من هذه العقوبات عند البدو ، يجمل بنا ان نأتي على ذكر عواطف الشفقة والحلم التي تغلب عند عرب البادية مرات على حب الانتقام ، وتحملهم على الصنع . سمعنا حوادث كثيرة تدل على عفو العرب عن أعدائهم ، ودونكم النادرة الآتية :

كانت النار تضرم ذات ليلة في مضارب بني صخر ، والكلاب تنبح فتدعو المسافرين الى خيمة الشيخ واذا بشاب لطيف قد نزل عن فرسه وحيا الضيوف قائلاً : السلام عليكم . فقالوا وطيكم السلام . قال حيا الله الرجال ، قالوا حيا الله الرجل . قال العوافي يا غافلين ، قالوا

حيا الله الغانم . ثم جلس بالقرب من الشيخ وبات عند العرب اياماً طويلاً لا يسألونه فيها جهة القصد . الى ان حان وقت طهاف فيه الشيطان فاسقطه في زلة كبرى : ذلك انه رأى ابنة الشيخ فسعر بجهاها ، ولما انسدل الليل هم على خيمتها فقتل العبد الحافظ لها وخطفها وسافر . فذاع الخبر باقل من لمح البصر ولحقه اخوتها الثلاثة . وكان كما تقدم اليه احد يضربه برمحه فيرميه مجدلاً على الارض . أخيراً لحقه الفرسان فانهمزم الى ان لقي خربوشاً (والخربوش هي الخيمة الصغيرة لها عمود واحد) وكان على باب هذا الخربوش شاب في مقتبل العمر فصاح به وقال : يا أبا رشيد اننا في وجهك وفي مرقد عيالك . قال : لقيت خيراً ومرعى واماناً . ولما اقبلت العشيرة تطلب الابنة وحق الدم أرجعها الشاب وقال : « هو البيت يحمي الطريد والشريد ، وهو الوجه يدفع صدمات العدو » . فرجع القوم صامتين . وسأل الخاطف الابنة عن صاحب البيت فقالت : « سوء الله وجهك هذا ابن عمي وخطيبي قد طلبني فوعد بما طلب ، وقد مهد الصعاب كي يتزوجني اذ قاتل اولاد عمه . » فامتقع لونه وتغيّرت هيأته . على ان صاحب الخربوش اكرم مشواه في تلك الليلة ، واعد له خيمة العرس وزوجه بالفتاة ، ثم صالح العرب مع الشاب وسالمهم وعاهدهم بان لا ينزلوا به ضرراً . هذه حكاية تدل على علو نفس وشهامة قد لا يوجد مثلها بين اصحاب التمذد ، كيف لا وقد صفح هذا البدوي عن قاتل اولاد عمه وخطاف خطيبته وصالحه مع العرب . وهل دفعه الى هذا الصفح الا سمو النفس وحب الذكر ؟

(نحقوقات اهل القوارع والشتائم) -- بمسر على البدوي احتمال ادنى شتيمة ، لأن العرب طبعوا على حب الخد والشرف ، لذلك هم يعدون الشتيمة أشد تأثيراً من حد السيف وقد تثير الشتام الحروب في البادية ، وتحمل المشتوم بل واهل المشتوم ايضاً على الانتقام . حكى عن عبدالمهدي قاضي العوازم انه قال : ارباب الشتام بعذبون باقساً انواع العذاب . وروى أن رجلاً من عرب العدوان رفع يده على ابيه قائلاً « احس يا شاب » فسمع بذلك شيخ العدوان فامر بقطع لسانه . ويقال إن بدويًا بصق بوجه عدو له فحك عليه ان تحلق لحيته الى نصف الذقن فقط ويبقى النصف الآخر . ومن شتم من عرب الصخور يدفع للمشتوم فرساً اوسيفاً او بعيراً او ثلاثين ريالاً . وعند بعض العشائر يضرب الشتامون بالسياط حتى يسيل منهم الدم . وبعضهم يضعون دبساً على وجه الشتام ، ويربطونه باوتاد فيأكله



الذباب ، او يربطونه ويوجهون عينيه الى الشمس . ويروى أن بدويًا اهان اباہ اذ رفع عليه  
مجانةً ( والمجانة عصا صغيرة ) فألزمه القاضي ان يحرث ارض ابيه مدة سنتين .  
ومن احاديثهم أن قدم شيخ هرم الى قاضي البلقاء ابن قلاب وقال : « وايش بك  
يا عواد بن قلاب ، يا حامي النسب ، بولد لي ربيته حتى نشأ وكبر ، واليوم قد جرتني  
بجديلتي الى خارج الخيمة وشتني » فقال له القاضي « اذهب يا شايب ، ما صنعك ابنتك بك  
سيصنعه به اولاده في المستقبل » وحكم على الولد بان يبني خيمة لاييه ويدفع له خمسين  
نخعة ليكرم بها الضيوف . وقد صدق كلام بن قلاب ، فان اولاد الابن جرتوا اباہم الى  
خارج الخيمة ، ولما انتهوا به الى الموضع الذي اوقع اباہ فيه قال لهم : كفناكم ايها الاولاد  
الاشرار الى هنا فقط جرت ابي ، وتذكر قول ابن قلاب .

ويروى أن شاعراً من بني حسن هجا ذئبة ابنة الشيخ عوده ابي تابه امير الحويطات .  
فلما ورد الشاعر الى مضارب الامير قال له عوده : فجها لهذه اللحية يا قذاف المخصنات ، لسانك  
يا سمع كلسع الحيات . فهرب الشاعر كئيباً ولم يذق طعاماً عند الشيخ . ولما اهتمد في البرية  
أمر الشيخ عوده احد عبيده فلتحق به في الخلاء وقتله على مجانته .

\* \* \*

( حق البيت ) - بيت شعر في البادية ، وإن كان خربوشاً ، هو رفيع الشأن عظيم  
الاکرام عند العرب . ومن اهان بيتاً عندهم اهان اصحابه النازلين فيه ، لا بل اهان العشيرة  
كلها . ومن تعدى عليه نال جزاء تعديه إهانةً وعذاباً . وهم يعدون اهانةً تكسر شرق  
البيت تلك التي تحصل من بدوين يتخاصمان في بيت حتى يصل بهما الخصام الى المسبات  
والشائم او رفع الاسلحة . فالبيت يطلب حقه . واذا أمين صاحب البيت في بيته ، فالبيت  
وصاحبه كسر شرفها ، وصار على الشاتم حقان حق البيت وحق صاحب البيت .  
وبعض الاعراب يزعمون أن من ازدري بالبيت واحتقره ، فقد صنع ذلك ليس نحو  
الاحياء النازلين به فحسب ، بل تعدى الاهانة الى اجدادهم وأمواتهم .

إهانة البيت يحاكم عليها امام القاضي . فينتصب المدعي وهو صاحب البيت في وسط  
الجماعة ويقول : « وايش بك يا قاضي العرب ، يا حامي النسب ، بفلان ابي كسر شرفي  
بقوله كيت وكيت ، واهاني في عشيرتي ، وبحضور جماعتي ، واهان ضيفي ، فودتي منك

ان يبيض الوجه» ثم ترد الشهود وتشهد على صحبة مدعاه . فينتصب القاضي ويقول : « انا من عندي ، ومن عند القضاء الذين قبلي ، فلان كسر شرف البيت وأهان صاحبه وضيغه » ثم يحكم عليه بدفع عشرين ناقةً وخمسين نجة لصاحب البيت ، وثلاثين ريالاً لضيفه المهان . فيقول المحرم « نعم انا مستعد ، امرك يا قاضينا فوق الرأس ، وبعد ذلك يقوم احد الشيوخ الحاضرين ويقول لرب البيت « حثك على الرأس والعين ، ولكن من شأن الشيخ فلان دع له خمس نياق » فيقول « من شان خاطرك وخاطر السامعين تركت ما تريد » ثم ينتصب شيخ آخر ويقول « يا شيخ فلان اترك له من شان الجماعة ومن شان والدبك كذا وكذا » فيقول « تركت ما طلبت » وهكذا الى ان يصبح المطلوب سهلاً وخفيفاً . ثم يبيضون وجه رب البيت المحكوم له وذلك بان ينشروا له راية بيضاء يطوفون بها حول الخيام وهم يقولون « راية فلان يبيض الله وجهه » .

\*\*\*

« حق الوجه » — الوجه عند العرب هو الكفيل الموكل باجراء ما يتفق عليه فربقان من فعل خير او اتقاء شر . والوجه لايجوز صاحبه أبداً ولو فقد ماله وحياته . فاذا باع امرؤ ارضاً او فرساً او غيرهما من الأشياء بقول البائع للشاري « ترى بعثك بوجه فلان ان طلبتها ادفع كذا وكذا عقاباً على ذنبي » وكذلك الشاري يقول « ترى اشتريت بوجه فلان ، ان ارجعتها ادفع كذا وكذا عقاباً على ذنبي » . واذا تشاجر اثنان ثم تسالما يقول الواحد لصاحبه « ترى بوجه فلان تصالحنا ومن اضر قريبه لايلوم الا نفسه » . ومن اودع ودبعة وخاف عليها من السرقة او من الاتلاف يقول للمؤمن عليها « ترى فلان وجهك عليك » . فمن تعدى على صاحبه في مثل هذه الأحوال يجحد امامه اعداء كثيرين بسبب الوجه ، لان المشيرة كلها تقوم مع الوجه بدأ واحداً . والمتعدى عليه يلتجئ الى الوجه ويقول له « يا شيخ فلان ، قد صار الأمر الفلاني بوجهك ، وخصمي فلان تعدى عليّ » وكسر وجهك ، فيبيض وجهك ووجهي » فيجمع الوجه مجلساً مؤلفاً من القاضي البدوي والامراء المرؤفين ويُرسل رسلاً لياتوا بالمتعدى . فيقص الوجه قصته على الحاضرين ، والمتعدى في اثناء ذلك راكع والعقال في رقبتة دلالة على التذلل . ثم يحكم القاضي على المتعدى بدفع ما عليه وبماقيه بدفع عشرة خرفان للوجه .

(حق الدخيل) - الدخيل عند العرب هو الرجل المستجير الخائف من امر دمه او سيدمه ، فيعمد الى شيخ كبير قوي يستغيث به ويطلب حماه ، ويقول له « انا دخيلك احمني وارحمي » . ورب مستجير يأتي في الليل ويرتمي على فراش الاولاد في خيمة الشيخ ويقول بصوت متقطع حزين « انا بمضارك وموقد نارك ، انا داخل عليك من السيف والحيف ومن فلان صاحب الحق الردي » ثم يبسط له سبب اعتصامه به . فيقول له الشيخ « ابشر بالعز والهناء وعش في ديارنا فرحبا بك » ثم ينزع كوفيته من على رأسه ويضعها على رأس الدخيل ويقول « الله ورسول الله لا احد ينزع من رأسك شعرة » .

وحيثما يقبل الشيخ الدخيل في منزله يرسل رسلاً الى عدو الدخيل وطالبه يقولون له « ترى فلان دخيل في بيتي احذر ان تصيبه باذى » فيجيبه الرجل « اطلب خصمي الى القضاء » فيقول صاحب الدخلة « أعطه عطوة » والعطوة في البادية هي هدنة من الزمان يتمتع فيها العدو عن الانتقام الى ما بعد الهاكمة ، وهذه الهدنة تكون عند بعض العشائر اسبوعين ، وقد تمتد عند غيرها الى اكثر من ذلك ، ومعظمها شهران .

وفي أثناء المهادنة يبعث صاحب الدخلة وفوداً الى عدو دخيله ثلاث دفعات متوالية ، مستخدماً الوعد تارة والوعيد أخرى حتى يرعوي وينثني للحق الذي يحكم به الاجاويد او القاضي ، وان ابى الا الانتقام وأخذ الثار بيده ، يجمع الشيخ فرسانه الشجعان ويقودهم الى منزل العدو فيسلبون ما يجيدونه هناك من المواشي ويقودونها الى أرض قاحلة لاسرعى فيها فيضطر حينئذ الى المصالحة . وان أصر على عناده تموت اغنامه ويصبح فقيراً ولا يحق له ان يطالب صاحب الدخلة بشيء لانها تحسب عقاباً له وهي حق الدخيل .

\*\*\*

(حق الدم) - السنة عند العرب هي « الدم يطلب الدم » على ان من لا يقدر على أخذ ثاره يطلب الدية ، وتدعى عند الأعراب « العقلة » وقدرها ٣٣٣٣ قرشاً . وقاتل المرأة وخصوصاً العذراء يدفع اربعة اضعاف الدية ، لأن المرأة انسان ضعيف وقتلها جرم كبير على الرجل وإهانة مُذلة له .

فاذا ذبح أعرابي عدوه يسمى حالاً في طلب امير كبير يحتمي في ظله ويهتمم بمقله هو وماشيته خوفاً من ان يقتل وفاقاً لسنة الانتقام العاجل التي تعطي اهل القتل حقاً مدة

ثلاثة ايام ان يأخذوا نأرم بذبح القنابل واهله وهدم بيته وسلب ماشيته . فالامير الحجير يلتزم أن يبذل جهد طاقته لتخليص المجرم من طائلة هذا الانتقام ، ولو كان القاتل المستجير من اعداء العشيرة ، او عدوه ، او قاتل ابنه او احد اقربائه ، لان الشهامة الاعرابية تحتم عليه ان يهاجم عن الضعيف المستجير .

اذا وصل المستجير امام الخيمة وقال لصاحبها « انا دخيلك » او تمسك باضناب الخيمة او وقف امام الخيمة فقط فقد «عد» دخيلاً . وان قتله احد خارج الخيمة قبل ان يبلغها وكان المدى بين مكان وقوعه قتيلاً وبين الخيمة التي أقي ليستجير بصاحبها لا يتجاوز رمية عصا ، فقاتله يضطر الى دفع دية الدم وتحق الدخلة .

وعندما ينزل القاتل عن فرسه يذهب توتاً الى فراش الامير فيجلس عليه ويقول « انا دخيلك بمالك وحلالك ، من الحظ المنكود ، والسيف المجرود ، والظالم الحقود ، والكاذب ما له مولود » فيجيبه الامير « يا هالا ، ابشر بالعز وطيب المنزل » عند ذلك لا يهتم القاتل بشئ بل يعيش بصفاء ، والسعي كله يعود على الحجير . فيرسل بعثات متتالية الى اهل القاتل كي يقبلوا المصالحة ويأخذوا دية الدم . على انهم يرفضون الصلح دائماً في اول مرة ، ويطلبون الدم بالدم ، وبذكرون الدم المهدور ، الصارخ الى السماء ، الطالب للانتقام . فيعود الوفد الاول خائباً . على أن الحجير لا يبأس من هذا الجواب المؤلم لأن هذه هي العادة عندهم ، فيعيد الكرة بعد ايام مرسلًا اليهم وفدًا اكبر كي يصلحوا ذات البين ويأخذوا الدية ، فيرجع ايضاً الوفد الثاني مكسور النفس . وفي غالب الاحيان يصير الصلح بعد المرة الثالثة لان العرب ترتفع بهم العواطف النبيلة اذا شاهدوا كبراء البيداء متدللين أمامهم . ولكن ان ابى اهل القاتل المصالحة بعد المرة الثالثة ، فتملك دلالة على انهم لا يريدون الا الانتقام ، ويجب على القاتل حينئذ ان يهرب في ظلمات الليل الى بلاد بعيدة ويعتصم بقبيلة شهبيرة .

والذين تصيبهم سهام الانتقام هم اهل القاتل واقرباؤه الى الدرجة الخامسة اي ابوالقاتل وجدته واولاده واولاد اولاده واعمامه وابناء اعمامه . اما الاباعد من الأسرة كابن العمه وابن الخالة ونحوهما فلا يؤذى بضرر بل يقدم لاهل القاتل بعيراً يسمى عندهم « بعير النوم » ويبقى في خيمته غير خاشٍ صولة الاعداء .

( حق الطنيب ) - وبدعى ايضاً حق القصير ، الطنيب تدخير الطنُب : هو جبل الخيمة . وعند العرب الطنيب هو الجار المستجير ، ويعتبر طنيباً اذا علقى بعض آلات صناعته على طنُب من اطناب الخيمة ، ومنهم من يكتفي بالكلام فقط فيقول : « يا شيخ فلان يا أبا فلانة انا طنيبك » فيقول له « يا هلا بك » .

فن الأعراب من يترك عشيرته وبيت ابيه فيحمل خيمته ويرفعا الى جانب شيخ عظيم ، ويكون ذلك اذا خشى عدواً لا يقدر على مقاومته أو وجد ضده عدداً وانراً من الاعداء لا يستطيع منازلتهم أو قدِم طلباً للرزق والشغل عنده في حراثة ارضه . فما من احد إذا يضطر الى مجاورة أمير غريب عن عشيرته ووطنه الا ان يكون ضعيفاً أو فقيراً . ويقول العارفون بعادات العرب ان الضيف يسمى عندهم ضيفاً مدة ثلاثة أيام وأن طال مكثه عدوً طنيباً . وكم من قاتل مثلاً نزل بالقرب من أمير كبير في بلاد بعيدة عن وطنه فسمي باسمه وتطبع بطابع عشيرته وقد نسي أصله ونسبه بعد طول الزمان .

ومن غريب مايجري في هذا الحق إن بعضاً من التجار ينزلون في خيام العرب أو عند الشيخ ليبيعوا بضاعتهم من ملبوس وما كول في حماه ، فيصح شأنهم شأن طنيب هذا الشيخ أو قصيره . ويلتزم الشيخ ان يجمع لهم ديونهم من المديونين ، واذا تعصب المديون وامتنع عن الدفع يضطر الشيخ نفسه الى الدفع كي يبيض وجهه أمام القصير . واذا سُرق شيء من القصير ، فعلى الشيخ ان يسعى باسترداده له .

\*\*\*

( حق العرض ) - البادية بلاد تفت عن المنكرات ، وهي في هذا الباب أشرف من المدن المتمصرة حيث يظهر المنكر ظهوراً جلياً على حد ما نال الشاعر الشبيبي : « ما في شي اسمه عيب » . فالنساء في القفر على الجملة عفيفات يتجنبن الطرق السافلة وأبواب المحرمات . وقد تسير المرأة البدوية وحدها في البادية ترعى الاابل والنعاج ، ولا يعارضها احد أو يتعدى عليها .

على ان جرماً من هذا النوع كثير الحدوث في البيداء ، الا وهو الخطف . وكم من شيخ بكى على ابنة له كانت سعادته في هذه الدنيا ، فعابت عن نظاره في ليلة دامسة ، وبات

هو بطوي الأيام والأوقات بالحزن والبكاء . وهم يقولون فلانة خطفت فلاناً . ولا يقولون فلان خطف فلانة .

إذا رام الشاب البدوي ان يتزوج بابتنة على غير إرادة أبيها واتفق معها على خطفها يتواعدان الى زمان ومكان محدودين ، فإذا ستر الليل الارض يأتي الى الابنة ويردنها وراءه على فرسه ويهرب بها الى بلد بعيدة . وربما وجدها واردة على عين ماء أو في حقل فخطفها بمد ان يكونا قد اتفقا . ولا بد للخطاف من عقاب شديد اذا وقع .

قلت ان الخطاف كبير في عرب البادية . وقد لا يمر شهر الا ويسمع فيه خبر كهذا بين الأعراب ، والحق في ذلك في غالب الأحيان على أهل البنت الذين يعطون ببيع بناتهم بأثمان باهظة حين زواجهن ، فان البنت عند العرب تكون لمن يقدم مالا وحلالا أكثر من سواه ، لذلك يصير الزواج عندهم على غير حب ووداد .

فإذا خطفت ابنة وكانت خاطفها من قبيلة قريبة ، ركب أهلها وأقاربها ليرجموا الشرف المفقود والابنة الهاربة ، ولم الحق بان يصنعوا ما يشاؤون في مدة أيام ثلاثة فقط يسوغ لهم فيها ان يقتلوا الخطاف ويملكوا غنمه ، ويهدموا خيمته ، ويذبحوا فرسه ، وهم يسرفون بما تصل اليه ايديهم إما ان لا يستبقون لانفسهم منه شيئاً وان هم استبقوا رذلوا وأهينوا ، واذا مضت الأيام الثلاثة ولم يظفروا بالخطاف ولم يستطيعوا فيها إرجاع شرفهم المفقود ، حل بهم العار والحجل ، فيرحلون وينزلون وحدهم مؤثرين العزلة والغربة . والخطاف يتزوج بالفتاة التي خطفها آمناً لا حرج عليه .

وفيما خلا الخطاف ، فمن اقدم من البدو على الفواحش بنفس راضية ، بردهه الشيخ مع وجوه المشيرة مرات عديدة ، وان هو لم يرتدع يحكمون عليه بالنفي ، ويكون دمه مطلوباً لا بطالب به وهي عادة عمودة تحمل العرب على تجنب المنكر خوفاً من العقوبات الصارمة .

ومما يخفف وطأة الفواحش في البادية خوفهم من العار والهوان ، لأن البيداء لها آذان تسمع وعيون تنظر ، فلا يخفي فيها خاف ، ولا يوجد فيها سرٌّ مكتوم . قال احدهم ان أهل البادية كالشرفين على رأس الجبل ، يراقبون الحركات والاشارات الخفية ، ومن وُجد جرم فظيع في بيته قد تحرق خيمته ويُنشر رمادها في الهواء .

ولقد اتخذت العرب وسائل فعالة لمنع الفواحش ، فاذا أحسن أبٌ مجرم ابنته يقطع رأسها ويعلقه على رمح ويطوف به في كل القبيلة قائلاً : « هكذا يعاقب المجرم » ومنهم من يثدّها حيةً فيعطئها بالتراب الى ما فوق رأسها . ومنهم من يغمرها بالتراب الى رقبتهـا فقط ، فتأذيها الوحوش وتذيقها من العذاب أمره . ومنهم من يسقيها السم . ومنهم من يضع على جسمها ديساً أو عسلاً وبتركها فريسة الذباب تموت أشنع الميتات . ومنهم من يأخذها الى الغلاة فيضربها ضرباً بالياً ، ثم يربطها بأوتاد في الأرض حتى تفترسها الحيوانات الضاربة . وقد سمعنا أن رجلاً القى ابنته في بئر عميقة . وأن غيره ربطها الى شجرة جرداء وكان وجهها الى ضياء الشمس فاحترقت وماتت من الجوع ووقدات الأشعة وأكثر الناس يذبحونها بلا شفقة بسيف حاد أو يقتلونـها برصاصة في رأسها . وقرأت أن أباً ترك ابنته خارج المحلة على صحرة شاهقة في فصل الشتاء القارس ، وكانت الامطار تهطل الرعد تصف والثلوج تسقط ، فماتت وقد جمد دما وبست أعضاؤها .

## رحلة اوليا جلبي

- ٤ -

اما شيزر فقد قال عنها يا قوت : شيزر قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرة بينما وبين حماة يوم في وسطها نهر الأردن (١) عليه تنظرة في وسط المدينة وتعد من جند حمص .  
وقال ابو الفداء : شيزر من جند حمص ذات قلعة حصينة والعاصي يمر من شمالها (وصوابه من شرقها) ويفخدر عندها على سكر ارتفاعه يزيد على عشرة اذرع يسمونه الخرطلة وهي ذات اشجار وبساتين ونواكه كثيرة اكثرها الرمان ولها سور من لبن وثلاثة ابواب .

وقال الاصطخري : واما شيزر وحماة فانها مدينتان صغيرتان نزهتان كثيرتا الماء والشجر والزرع .

وقال شيخ الربوه : وشيزر مدينة حصينة وبيبة (وبيلة أو وبشة) تشرب اهلها وارضها من النهر العاصي ولها قلعة طولها ظاهر تسمى عرف الديك بمحاطة من ثلاث جهات بالعاصي اه .  
فان لم يبق في شيزر من الفواكه اثر يذكر ما عدا قليل من الرمان وحالة الازوار والبساتين ايضاً وسهل وسكر الخرطلة قد دثر اكثره وتوسعي اسمه . والبلدة ذات السور والابواب الثلاثة التي كانت في اسفل القلعة قد عفت رسومها ولم يبق منها الا بعض اسس الجدران وكسور الحجارة والاعمدة وصار مكانها قباب حقيرة بين الجسر وباب القلعة يقطنها العمال في ازوار شيزر ، والبلدة العليا التي كانت في داخل القلعة خربت وصار مكانها قرية بنيت بركام الانتاض يقطنها فلاحو الأرض العذبية ، ولا يزيد عدد الجميع عن الاربعمائة جلهم من السنين والميلهم من النذيربة والاسماعيلية .



وخلاصة تاريخ شيزر ان فراعنة مصر عرفوها وذكروها في رقم تل الصمارنة المسماة باسم سنزار وعرفها اليونان وسموها لاريسا قيل ان لسوكس نيكاتور فضلاً في ترميمها وتحصينها وذكروها امرؤ القيس في قوله :

تقطع اسباب اللبانة والهوى عشية جاوزنا حماة وشيزرا

يسير ينجح العود منه ينه اخو الجهد لابلوي على من تعذرا

وذكروها عبيد الله بن قيس الرقيات في قوله :

قفوا ونظروا بي نحو قومي نظرة فلم يقف الحادي بنا ونغشيرا

فوا حزناً اذ فارقونا وجاروا سوى قومهم اعلى حماة وشيزرا

فتح المسلمون شيزر عام ١٧ هـ وذلك عقب استيلائهم على حمص وحماة بقيادة ابي عبيدة ابن الجراح . ولما كانت شيزر وجارتها أفاوية على الطريق الذي تسلكه أكثر القوافل والجمافل القادمة من شمالي الشام او جنوبه ولتسلطها على وادي العاصي كانت لها مكانة حربية مهمة وكانت شيزر على الأخص تعد مفتاح بلاد الشام . لذا بقيت بعد دخول المسلمين عرضة لهجمات الروم المتتابعة فكانوا يستولون عليها تارة ويخسرونها أخرى الى ان استقرت في ايديهم نحو ٨٢ سنة حتى سنة ٤٧٤ هـ التي جاء فيها سديد الملك ابر الحسن علي بن منقذ الكناني . قيل انه عمم الى تل الجسر ( اي جسر بني منقذ الذي يظن انه كان بعيداً عن القلعة نحو كيلو مترين للغرب ) فممره حصناً وجمع فيه عشرينه ونفر على حمص الجراح الذي ذكرنا موقعه وهو ببعد نحو ٢٥ كيلو متراً غربي وادي الغاب فأخذه بالسيف من الروم ثم نازل شيزر فنسلمها من اهلها بالأمان . وفي ز امارة ابنه ابي العساكر سلطان لم تسترح شيزر من توالي غزوات الاسماعيليه واعراب بني كلاب والروم والصليبيين وفي كل مرة كانت تنجو من السقوط بفضل مناعتها الطبيعية وحصانة قلعتها وبسالة اصحابها بني منقذ . وظلت شيزر بيد هؤلاء الى سنة ٥٥٢ هـ وهي السنة التي حدثت فيها زلازل هائلة اخرجت كثيراً من المدن والحصون في شمالي الشام وكان اشدها كما قال ابن الأثير في حماة وشيزر فانها خر بها بالمره . وكان بنو منقذ مجتمعين في وليمه ختان فهلكوا ولم ينج احد من كان منهم داخل القلعة الا امرأة اخرجت من تحت الردم . وكان أسامة

غائباً في دمشق فجهاء بعد الزلزلة وعانين ما فعلته بشيزر واهله فبكام ورتام بغرر القصائد . وجاءها نور الدين محمود بعد الزلازل فرمها وجددها فيما جدده من بقية الحصون واقطعها الى احد امرائه مجد الدين ابو بكر بن الداية ولما مات انتقلت لأخيه سابق الدين عثمان الذي ظل فيها وفي حصن ابي قبيس الى بعد وفاة الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب فصار من عمال ابنه الملك الظاهر غازي صاحب حلب . ولما مات سابق الدين انتقلت لابنه شهاب الدين يوسف . وفي سنة ٦٣٠ تمهاهز هذا بالعصيان فجهاء الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر غازي وحاصره وأسترد شيزر و ابا قبيس منه فهناه يحيى بن خالد القيسراني بقوله :

يا ملكاً عم اهل الأرض نائله وخص احسانه الداني مع القاصي

لمسرات شيزر آيات نصره في ارجائها الفت العاصي الى العاصي

ولما جاء التتر بقيادة هولاء كوهدموا اكثر القلاع التي كانت للأيوبيين ولا بد أن يكونوا نالوا ايضاً من شيزر لأنها ذكرت في جملة القلاع التي رمها الملك الظاهر بيبرس في أواخر القرن السابع . ولما جلس الملك المنصور تولاون الصالحى ظلت شيزر كجارتها أفامية مدة سنة في يد الأمير العاصي سنقر الأشقر ثم استرجعها تولاون منه صالحاً في سنة ٦٢٩ ورم بعض اركانها وبقيت في حوزة اخلافه الماليك الى ان دخل العثمانيون . ولعل خراب شيزر الحالي بدأ قبيل دخولهم هذا . وهما يكنف فأن شيزر بعد استيلاء العثمانيين على بلاد الزمام كلها وزوال الحاجة للدفاع لم يبق لها كما تلتنا في أفامية مكانة حربية بل ظلت كما هي الآن قرية يمتعم أهلها من البسندو والنصيرية الذين كانوا يغيرون عليها أيام التنين في عهد الماليك والعثمانيين .

وقلعة شيزر بنيت على ظاهر أكمة صخرية منتصبة على يسار العاصي شبيهها العرب لتتوشها بعرف الديك . ويمر نهر العاصي من شرقي هذه الاكمة بعد ان يلتوي في منحرج ذي زاوية قائمة ويجري في وهدة عميقة . فالقلعة منفصلة عما يجاورها في شرقيها وشمالها وشرقيها بفضل التحدرات الصخرية العميقة المحيطة بها والتي تملو نحو ٤٩ - ٥٠ متراً . اما في الجنوب فقد كانت أكتها متصلة بالجبل الجاور الى ان حفر القدماء فيه خندقاً عميقاً وعميقاً فصلوها به عنه وبنوا فوق الخندق برجاً كبيراً سيأتي وصفه . وفي رواية أنهم كانوا عند

مهاجمة الأعداء يبرون مياه العاصي من هذا الخندق بعد سد مجراه بسكر لعله سكر  
الخرطة الذي نوه به ابو الفداء فاذا مرت هذه المياه وطفت على السهل الغربي تصبح شيزر  
كجزيرة لا يعود بإمكان العدو الاقتراب منها .

وقلعة شيزر خراب في الجملة لم يبق منها سائلاً الا طرفاها الشمالي والجنوبي .  
بدخل القاصدون من بابها الكائن في الجهة الشمالية بعد ان يجتازوا جسراً حجرياً بني  
فوق وادي ضيق وعميق . وكان هذا الجسر في العصور الوسطى من الخشب وهو ثقال  
يرفع عند الزوم . اما الحالي فحجري يعلو طبقتين من القناطر . ولشدة الانحدار جعل  
مشاء ذا درج مرصوف ببلاط كبير وجعل على طرفيه درابزين بوشك ان بتداعي .  
أما مدخل القلعة فقد جعل في جوف باشورة بارزة الى الأمام بنيت بقطع ضخمة من  
الحجارة التي يدعوها البنائون في دمشق (عشيمة) و(سورية) والأولى غير منحوتة الا قليلاً  
والثانية منسوبة للأسوار تكون نائثة في وسطها . وحشي بين هذه الحجارة قطع من  
الأعمدة لتشد ارتباط المداميك بعضها ببعض .

وفي المدخل فرضة تعلوها قوس من النوع الذي يدعوه البنائون في دمشق (قوس  
على الخمس) . وفي جوف الفرضة باب ذو أسكفة مستقيمة وفوق القوس كتابة عربية  
طويلة فيها اسم الملك المنصور قلاوون الصالح في سنة ٦٨٩ على احجار الجدار الظاهرة .  
وفوق الكتابة بقليل زغولان لرعي السهام ونافذة مربعة الشكل . وفي الطابق الأعلى من  
القلعة نافذة أخرى مربعة لا يزال يعلوها زافرتا مرعى كان مخصصاً لحراسة المدخل . وقد  
هدمت الباشورة حتى وصلت الى مستوى هاتين الزافرتين . وعلى يمين الباشورة قلة هرمية  
الشكل أقسامها العليا مهدومة ، وأقسامها السفلى راكبة على سفح عريض . بلط احد جوانبه  
يلتصق ويحيط بالباشورة التي تقدم ذكرها والضلع المجسم الشمالي الغربي لهذا السطح المستدق  
قطع وأعرض وذلك لدفع شر رماة السهام والنقابين . وتحت الباشورة ساباط معقود بدخل  
منه الى ساحة القلعة التي ملئت ببيوت القرية المبنية من أحجار السور المهذوم ووراء الباشورة  
وأطلالها مراديب معقودة متداعية كانت توصل من القاعة الى العاصي . وثمة درب ضيق  
بين بيوت القرية بأخذك الى قبلي القلعة فتجد فيها البرج الكبير .

وهذا البرج في أضعف نقطة من نقاط الدفاع فوق الخندق الذي تقدم ذكره لذلك بني بعناية خاصة ، فأحجاره ( غشبية ) و ( سورية ) وهي هنا أضخم وأدق عملاً من حجارة الباشورة ، وفي عرض جدرانه حشيت نطع كثيرة من أعمدة الروابط لتزيد انضمام الاحجار الخارجية بالداخلية . وشكل البرج منشور ذو وجوه مستطيلة وله في جهته الشمالية بروز تليل فيه المدخل ، وقد جعل هذا المدخل في محترق زاوية معرضة للقذائف المتشابهة التي تلقى من طوابق البرج العليا ، وهذا من قواعد الهندسة العربية في المباني العسكرية . وعلى جدار البرج كتابة باسم الملك العزيز محمد صاحب حلب سنة ٦٣٣ والصاعد من درج المدخل يصل الى طابق يتحته اثنية معقودة لعلها كانت صهاريج ماء او مخازن مؤنة ، وثمة درج يؤدي الى طابق ثان ثم الى السطح . وفي الطابق الاول غرفتان كبيرتان عقودهما مرتكزة على عضادات وجدرانهما مثابة بكوى للتور وزغاليل غريبة الاشكال . ويشتمل الطابق الثاني على الاوضاع ذاتها ، اما السطح فتهدم منه جدار الدفاع الذي كان مضرساً بشراريف عديدة اه .

قال الاثري (فان برشم) في كتابه : (رحلة في الشام) الذي اعتمدنا عليه في وصف شيزر ان باشورة باب القلعة من آثار نور الدين محمود دون غيره على الرغم من ان الملك المنصور : تلاوون استكتب اسمه فوق الباب اذ لم يكن له فضل في غير ترميم بعض اركانها وان القلعة والسفح من آثار الملك الظاهر بيبرس ، والبرج الكبير القبلي ربما كان من آثار نورالدين محمود دون غيره لأن الكتابة التي فوق باب زبرت بعد البناء ولعل الملك العزيز محمد ردم المداميك العايبا فقط . وقال ايضاً : ان الصليبيين على الرغم من مهاجمتهم شيزر مراراً لم يستطيعوا اقتحامها اذ كانت تكون هذه القلعة عربية بجثة من آثار مهندسي العرب دون سواهم في القرنين السادس والسابع ، وبرهاننا على ذلك تخطيط سورها ورفع الحيطان الجامعة بين ابراجها وهذه الابرار المربعة القليلة البروز وشكل بناء الباشورة والبرج الكبير الحشوة جدرانها بأعمدة الروابط واقسام البرج في الداخل وانتساق مراكز الدفاع فيه وفقدان اي قطعة مرخمه او مهندمة على الطراز العربي اه .

قلت وهذه احدي شهادات هذا العالم الأثري الاوربي الذي اختص بدرس المباني

العربية القديمة بدل على ما كان عليه أسلافنا من البراعة في تشييد القلاع والحصون وإحكام وسائل الدفاع والحصار فيها ، مما ينبغي له علم غزير وخبرة واسعة في فنون الحرب والهندسة والبنیان . ومن أكبر دواعي الأسف ان لانعرف اسماء المهندسين العسكريين الذين خططوا قلعة شيزر وامثالها من القلاع العربية في القرن الخامس والسادس والسابع ، وصورة انشائها بهذا التأليف البديع والاثقان الغريب وان نجعل القواعد والسميات التي كانوا يتبعونها ويتداولونها في تشييد الاسوار والابراج والثقوب والمراحي واقسامها البارزة والغائرة في: معذر علينا تعريب ما كتبه عنها علماء الآثار من الافرنج بالحرف . ولو سمح الدهر باقراء شي من مؤلفاتهم التي لا بد ان يكونوا اعنوا بوضعها ومنها كتاب القلاع والحف ون لأسامة بن منقذ او لو عني مؤلفو كتب التراجم بهؤلاء المهندسين والبنائين وغيرهم من ارباب الصناعات الدقيقة مثل إكترائهم بترجمة الشعراء والكتاب والزهاد والمتقشفين إذ ان لعرفنا شيئاً من قواعدهم أو مسمياتهم فتمكنا من وصف ما بنوه وصفاً علمياً هندسياً تعرف به خطوطه ومقاييسه واشكاله واوضاعه وجنس المواد والحجارة التي يتألف منها وكيفية تركيبها وتوزيعها والغايات المتشعبة من اختلاف الابراج والقلل والنوافذ والمراحي وكبرها وصغرها وتقويتها وتدبرها وما كان يوضع او يعمل في ارجائها واجزائها . الخ لا كما يذكره كتابنا الذين يهيمون في وادي الخيال فيقولون كما قال شهاب الدين محمود في وصف حصن: حصن قد تقرط بالنجوم وتقرط بالغيوم وسما فرعه الى السماء ورسا اصله الى النجوم تحال الشمس اذا علت انها تنتقل في ابراجه ويظن من سها الى الجها انها ذبالة سيفه سراجة . . . الخ ما هنالك من الاغراق الذي ليس فيه شيء مما يدل على هندسة هذا الحصن وكيفية بنائه ، وكلهم نحى هذا النحى .

هذا وقيل ان بين شيزر وقربة الزلاقيات التي تبعد عنها نحو اربعة كيلو مترات الى الشرق تناء قديمة متفرعة من العامي تسير في نفق محفور في لطف الجبل الى ان تصل قرب القلعة الى فوهة يدعونها الشلقة تملو بضعة أمتار فينحدر منها الماء كالشلال بهدير قوي . وجاء في كتاب الاعتبار لأسامة اسم بندرتين وانها كانت قرية عند المدينة والآن لا يعرف لها خبر ولا أثر . وجسر شيزر رم مراراً في الماضي وبني مجدداً في سنة ١٣٤١ هـ

ويظن انه ليس هو جسر بني منقذ الذي كان حوله تل وحصن ذكرهما أسامة في مواضع عديدة وقبله جده ابو الحسن علي بن منقذ الكناني وهو بائي الحصن قبل نقرته على حصن الجرافص واستيلائه على حصن شيزر كما اسلفنا .

قال فان برشم : بحشنا كثيراً فلم نعثر على اثر الحصن الجسر الذي يفهم من كلام أسامة انه كان في ضفة العاصمي اليمنى اقيم لحماية جسر بني منقذ . ونظن ان هذا الحصن والجسر كانا في موقع يبعد عن شيزر للغرب نحو كيلو مترين حيث ترى عساداتين بارزتين من العاصمي تقاومان جريانه الشديده . قلت ويؤيد عبارة فان برشم ما جاء في ص ٢١٨ من كتاب الاعتبار ان حصن الجسر كان كثير الصيد يذهب اليه والد أسامة وابناؤه ومعهم البزاة والفتود والكلاب بصطادون الطيور والدواب التي قدمنا ذكرها وانهم كانوا يعودون من الصيد وينزلون على بوشمير وهو نهر صغير بالقرب من الحصن . فلو كان حصن الجسر في قرب القلعة كما ظنه بعضهم لما اقتربت طيور الصيد ودوابه كما انه ليس في قرب الجسر الحالي نهر او جدول يدعى بوشمير . ويستحيل على ابي الحسن علي جد أسامة ان يبني مثل هذا الحصن في جوار القلعة لما كانت بيد الروم ثم يناوشهم منه .

هذا والواقف فوق سطح البرج يطل على مناظر عديدة منها في الشرق الهضبة العالية التي يفصل العاصمي بينها وبين اكمة عرف الديك وكانت قواد الجيوش المحاصرة لشيزر تجعل محيما في هذا الموقع المشرف على القلعة وتنصب فيه الخجنيقات وتضربها منه . وسبغ هذه الهضبة قبة فيها مسجد وضريح ينسب الى ابي عبيدة وصوابه ان ابا عبيدة لما جاء ليفتح شيزر خيم فيه فاتخذه الناس بعد مقاماً له وبنوا هذا الضريح وذلك المسجد . قيل ان في جدار المسجد حجراً زبرت عليه كتابة تدل على ان منشي هذا المكان هو السلطان مراد ابن السلطان سليمان العثماني الذي حكم بين سنتي ٩٨٣ - ١٠٠٣ . واذا تطلع الواقف نحو العاصمي يراه خارجاً من الوهدة العميقة المحصورة بين الجبلين ليلافي السهل المسج المتد في الغرب جاريًا بهدير قوي لشدة الانحدار هنا . ويتجه النظر مع العاصمي ومنرجاته التي تكثرت في هذه البقعة فيرى ازوار شيزر وعلى بعد خمسة كيلو مترات قرية التريسة وأزوارها وفي شمالها تل الطويل ولعله تل التلول الذي ذكر محرقاً في كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ

وبمدها قرية الصفصافية وجسر الفجرة . ثم بطائح الغاب وآجامه وهي علة وخامة المرتع في هذه الربوع .

وفي السهول والتلعات الغربية الممتدة من قرب شيزر الى سفح جبال النصيرية الغضراء قرى وضياح عديدة تتبع حكومة اللاذقية أهلة بالنصيرية تخص بالذكر منها في السهل تل ساحب وهي كبيرة مستوية تحيط بها بطائح الغاب من الشرق والشمال وفي ذيل الجبل قرية دير شمائل كانت من حصون الفرسان الاسبتاريين فيها دار حكومة مذ كانت قاعدة للناحية وفي شمالها حصن خراب نطن انه حصن الخريبة الذي ذكر اسامة أنه كان عليه للافرنج ديدباناً يكشف مسلمي شيزر اذا ارادوا الاغارة على أفامية مع ملاحظة ان البعد بين هذا الحصن وشيزر ثلاثة عشر كيلو متراً . وفي غربي دير شمائل على رأس احد اذيال الجبل المرتفعة حصن آخر خراب اكبر من الاول يدعى ابا قيس بطل على واد يجري فيه نهر ابي قبيس احد روافد الغاب وقد مر ذكر هذا الحصن في تاريخ شيزر، وهو احد قلاع الدعوة الاسماعيلية المنتشرة في هذه الجبال منها - غير ما عددناه سابقاً - مصياف والكهف والمليقة والمليقة وبكسر ائيل وغيرها . وجبال النصيرية المقهبة نحو الشرق الشائعة كالجدار بين هذه القلاع والبحر تدعى هنا جبال الكلبية تؤلف كورة واسعة قاعدتها مصياف تتبعها قرى كثيرة مما عددناه وغيره يقطن اكثرها النصيرية واقلمها الاسماعيلية اشتهرت بمنهبها وتينها ودود حريرها وحراجها وبناييها المتدفقة .

هذا وبعد ان انتهيت في ربيع سنة ١٣٥١ من زيارة هذه القلعة والاحاطة بما وصفته آنفاً تأملت وانا على سطح ذلك البرج في حاضر شيزر وغابرها ورحلت في فضاء التفكير اجل قدر الذين انتقوا هذا الموقع الحربي الهائل ، واتخيل المعارك الطاحنة التي كانت تدور تحت اقدامه بين الجيوش المحاصرة والمدافعة عنه ، وأكاد أسمع قرع الرماح ووقع السيوف ورنين القسي ، وارسى القتلى والجرحى ملأوا السهل فجلبت هذه التربة الحمراء بدمائهم او صبغ العاصي بها .

واتذكر الوقائع التي كانت تجري في هذه الضواحي لبني منقذ الاشادش لاسما لتابقتهم البطل العالم الشاعر أسامة صاحب كتاب الاعتبار وكيف كانوا شجعاً في حلق

الروم والصليبيين يستبسلون رجالاً ونساءً في دفع غاراتهم وغارات البدو والاسماعيلية وغيرهم وكيف كانوا بصطادون الأحجال والأرانب في الجبل قبلي البلد وطير الماء والدراج والجمامير والغزلان على العاصي في الأزوار غربي البلد واخيراً كيف نضت عليهم الزلازل فأفنتهم وخرت هذا الحصن الهائل المرءى فجعلته كما قال أسامة « متهيلاً مثل النقا المتهيل » واتصور نور الدين الشهيد في سنة ٥٥٢ والملك العزيز محمد صاحب حلب ومعه ابن عمه الملك المظفر محمود صاحب حماة في سنة ٦٣٠ والملك الظاهر بيبرس في سنة ٦٦٤ والملك المنصور قلاوون في سنة ٦٨٩ بأتون كل في يومه ووراءه وزرأوه وقواده وحرسه الخاص بجزتهم واهبتهم به مدون الى هذه القلعة ليعاينوا مافعلته الزلازل والحروب في اسوارها وابراجها ويقولون بين اطلاقها وركامها متأسفين ومحوقين فيأمرون باحضار المهندسين والبنائين ليرموا ويجددوا مافعلته فيها طواري الحدنان فننفذوا امرهم بتحقيق رغائبهم فوراً .

واتأمل بلدة شيزر السفلى ذات السور والأبواب الثلاثة والمنزهات والبساتين والزروع والقواكه الكثيرة التي كانت فيها واسأل كيف غنت عوادي الزمان رسوماها فاصبحت ضيعة صغيرة وبيلة والبلدة العليا التي كان ينزلها امراء وجنود اعزاء يعدون بالألوف كيف اصبحت الآن كالاتلال الدارسة سكانها نلائل للاحون بينهم بيت تديم يعرف بالشيزري باعوا قريتهم وموائل سوددم لبعض سراة حماة فاصبحوا صعاليك مفايك في غابة من البؤس والجبل لا سيما في معرفة ماكانت عليه هذه القلعة ومن سادوا وشادوا فيها . فسبحان محول الأحوال يؤقي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء .

هذا والطريق بين شيزر وحماة تبلغ نحو ٢٤ كيلومتراً والسائح بعد ان يصعد من وادي شيزر يجتاز سهولاً شاسعة ذات تربة حمراء فيمر من غربي قرية كبيرة تدعى محردة قصبة ناحية طار للعلا ذات دور حجرية بيضاء اهلها من طائفتي الروم السريان يبلغون ثلاثة آلاف وهي قريبة من العاصي عرفت بجمال نساها وسعة كرومها المعتادة عن يمينها ويسارها . وفي شرقها قرية كبيرة أخرى تدعى حلفايا اشير في إحدى الخرائط الحديثة الى قناة ماء مندثرة تأتي اليها من حول قرية معزاف وتسير شمالاً مجتازة العاصي الى قرية اللطامنة فورك . والعاصي القادم من حماة بعد ان كان يتجه من الجنوب الى الشمال بتعطف نحو



الغرب بين قريتي حلفايا واللطامنة عند طاحونة الوعرة وبعد ان يجتاز من شمالي حلفايا  
 ومجردة على مقربة منها يتجه نحو شيزر كل ذلك في وهاد سحيقة ومنعرجات عديدة .  
 والباحث عن العاصي ويجراه في هذه الربوع لا يسهه الا ان يتسائل عن موقع دير القديس  
 مارون ابو الطائفة المارونية الذي قيل انه كان على العاصي بين شيزر وحماة وبظهر ان  
 الروم البيزنطيين في القرن الأول للهجرة لما خربوا هذا الدير وذبحوا رهبانه عفوا رسومه  
 بالكليّة فأصبح لا يعرف له اثر ولا خبر . هذا وبعد مجردة بغادر السائح على يمينه ضياع  
 عديدة منها تل سكنين قعادة ومعزاف وقد ذكرهما — أسامة بن منقذ في كتابه . وبعد  
 الجبل يجتاز نهر الصاروت احد روافد العاصي وعليه جسر قديم ، وهذا النهر يتألف من  
 اودية وجدول تغدر نحوه من اذيال جبل الكليّة بين بعرين ومصيف . ثم يرى على يمينه  
 من الضياع الشير وفي غربها كفر عميم والتويم وام الطيور وفي جنوبها كفر العاون وتل  
 سكنين الصاروت ويلتح في جنوب هاتين القريتين اطلال عالية لقصر قديم في قرية تميزين  
 قيل انه كان مصيفاً للملك المظفر محمود .

ويلتح في الاثاق الشرقي البعيد جبال الدلا يظهر منها جبل الفانات وجبل كسوف  
 (علاه ٥٨٦ متراً) وتمتد هذه السلسلة في الشرق الجنوبي الى قاعة شميس وبلدة سلمية  
 التي اشتهرت بفتحها الرومانية وكرورها وبساتينها وبأنها منشأ الدعوة الاسماعيلية وموطن اهل  
 هذه الشيعة قديماً وحدتها عمرها بعد دثورها في آخر القرن الماضي وجماعتها الحكومة قاعدة  
 قضاء تتبعه قري وضياع عديدة تمتد الى سفوح جبل البعاس سكانها من الاسماعيلية  
 والنصيرية وقليل من السنيين والشركس . ويلتح ايضاً قرون حماة وهما جبلان متقاربان  
 يبعدان عن حماة الى الشمال نحو عشرة كيلو مترات يدعى الكبير منهما زين العابدين  
 (٦٣١ متراً) والصغير كفر راح (٦٤٥ متراً) وفوق الأول جامع هجور ذو قبتين بيضاوين  
 من آثار الملك الأشرف قيتباي في سنة ٨٨٣ وفي الجامع مقام يسمى زين العابدين (؟)  
 تقصده النصيرية من جبال الكليّة بالزيارة وحولها قربتنا الهاشمية وكفر راح . وقد اشتهرت  
 قرون حماة بالمصاف الذي وتبع حولها في سنة ٥٧٠ بين صلاح الدين الأيوبي وصاحب  
 حلب الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين محمود وابناء اعمامه الذين جاؤا من الموصل وكانت

الدائرة عليهم . هذا وبعد ان يترك السائح على يمينه قرى الشير وشيما ومعدفتين وعلى يساره فيسقي العاصي مزارع كبيرة تروى بالدواعير تدعى ازوار منها الناصربة وخطاب ومردس وأرزة يرى امامه في وادي العاصي كازو وفي شرقها قمحانة والظاهرية اللتان تمر منهما سكة حديد حماة - حلب وعين الباد وجبرين وهكذا الى ان يمر من جوار محطة السكة الحديدية ومقابر حماة واحياؤها القريبة منها ثم يهبط وادي حماة المنخفض .

وصفي زكريا

« للبحث صلة »

# جامع التواريخ

- أو -

« نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة »

- ٤ -

حدثني محمد بن احمد بن عثمان بن الحارث الزيات قال حدثني ابي قال كان لي وجماعة من التجار ببغداد على رجل من البزازين اربعة الف (١) دينار فقام للناس فاجتمعنا ففتحنا دكانه فوجدنا فيه متاعاً ثمنه اربعمائة دينار فقال ان اخترتم اخذها وابرأني من الباقي فخذوا فاني لأرجع الى شيء غير ذلك وان اخترتم ان تؤخروني بالدين وافتح دكاني واعمل بهذه اربع مائة الدينار دفعت اليكم في كل سنة اربع مائة دينار فيأخذ كل واحد منكم منها العشر من ماله وتستوفون المال في عشرين سنة فاجبنا الارجالاً يعقد يقول زيدوني على العشر ولو ديناراً واحداً في السنة فقلنا للرجل أجبه الى هذا فقال ان أعطيت هذا الدينار زيادة على اربعمائة الدينار في السنة مضت اربع مائة الدينار في السنة (٢) سنين وبقيت بقية دينكم بما لها . فعجبنا من ذلك وقلنا

(١) يريد آلاف .

(٢) الصواب : في التسع سنين .

اوجدنا صحة ماقلت فقال هذه اربعمائة الدينار اذا تجرت فيها سنة وسلمت فربحي اربعمائة دينار يخرج منها اربعمائة دينار ودينار يبقى ثلاثمائة وتسعة وتسعون ديناراً فأتجر فيها في الحول الثاني فيحصل معي سبعمائة وثمانية وتسعون ديناراً يخرج منها اربعمائة دينار يبقى ثلاثمائة وسبعة وتسعون ديناراً فيحول الحول الثالث فيصير المال سبعمائة اربع وتسعون ديناراً يخرج منها اربعمائة دينار ودينار يبقى ثلاثمائة وخمسة وخمسون ديناراً (١) يحول الحول الرابع فيصير سبعمائة وستون ديناراً يخرج منها اربعمائة دينار ودينار ويبقى خمسمائة وثمانون ديناراً ويحول الحول الخامس سبعمائة دينار يخرج منها اربعمائة دينار ودينار يبقى ثلاثمائة خمسة وثمانون ديناراً ويحول الحول السادس فيخرج منها اربعمائة دينار ودينار يبقى ثلاث مائة تسعة وسبعون ديناراً ويحول الحول السابع فيصير سبعمائة واربعه وخمسين ديناراً يبقى ثلاثمائة وسبعة وخمسين ديناراً ثم يحول الحول الثامن فيصير مائتين وتسعين ديناراً يخرج منها ثلاثمائة دينار بقي منها مائتين تسعة وستين ديناراً والدين الدين ولا يمكن ان يدفع اليكم اذا كان الأصل اربعمائة ودفع اليكم (٢) اربعمائة فاجابته على الافتصار على الاربعمائة وفتح دكانه وعمل ورزق .

بقول المصحح (٣) قد غلط الناسخ في ايراد حجة التاجر غلطات أفسدت معناه فيصلحه الجدول الآتي :

(١) سيأتي التصحيح بعد انقضاء الحساب . (٢) لعله : اليهم .

(٣) [المجمع] هو الاستاذ مرحليوث .

	٨٠٠	للسنة الاولى الأصل مع الرج
	٤٠١	يخرج
٣٩٩		يبقى
	٧٩٨	للسنة الثانية الأصل مع الرج
	٤٠١	يخرج
٣٩٧		يبقى
	٧٩٤	للسنة الثالثة
	٤٠١	يخرج
٣٩٣		يبقى
	٧٨٦	للسنة الرابعة
	٤٠١	يخرج
٣٨٥		يبقى
	٧٧٠	للسنة الخامسة
	٤٠١	يخرج
٣٦٩		يبقى
	٧٣٨	للسنة السادسة
	٤٠١	يخرج
٣٣٧		يبقى
	٦٧٤	للسنة السابعة
	٤٠١	يخرج
٢٧٣		يبقى
	٥٤٦	للسنة الثامنة
	٤٠١	يخرج
١٤٥		يبقى

٢٩٠	للسنة التاسعة
٤٠١	يخرج
١١١	يبقى

\*\*\*

وحدثني قال حدثني ابي فقال كل كيس يكون فيه الف درهم فتخرج منه درهما واحداً ولا بدخله درهم آخر فان الكيس كله يذهب ان كان بتجارة فنقصان (١) ربحها وان كان بنفقة فليس يحتاج الى دليل . وانما يحفظ الاموال فضولها وينستر (٢) التاجر بربحه .

\*\*\*

حدثني عبيد الله بن احمد بن داسه قال حدثني ابو عبد الله بن (٣) محمد ابن ابراهيم بن عبيد الله الفقيه الحنفي الارمني قال كان ابو زهير الجبائي الفقيه ورعاً حادقاً بمذهب ابي حنيفة فدخل بغداد فبلغه اخبار ابي الحسن الكرخي رضي الله عنه في ورعه قال فلقبه فقال له يا ابا الحسن بلغني انك تأخذ من السلطان رزقاً في الفقه قال نعم قال ومثلك في عملك ودينك بفعل هذا فقال له ابو الحسن اوليس قد اخذ الحسن البصري رضي الله عنه في زمنه وفلان فعدّد خلقاً من الصالحين والفقهاء ممن أخذ من بني أمية فقال له ابو زهير : ذهاب هذا عليك اطرف : بنو أمية كانت مصائبهم في اديانهم وجبايتهم الاموال سليمة لم يظلموا في العشر ولا في الخراج وكان الفقهاء يأخذون من الاموال مع

(١) لعله : فنقصان . (٢) لعله : يتيسر يعني بصير ميسوراً .

(٣) لعله : زائد .

سلامتها وهو لاء (١) مع سلامة اديانهم امواهم فاسدة وجباياتهم بالظلم والغش فسكت ابو الحسن فلما كان وقت قبض جائزته لم يطالب بها وتركها ولم يقبض شيئاً من الجاري الى ان مات . قال لي عبد (٢) الله بن داسه ان زهيراً هذا هو استاذ ابي محمد بن عبدل الذي علمه الفقه على مذاهب اصحابنا وكان ابو محمد بن عبدل استاذنا نحن في الفقه وقد درست عليه وشاهدته الطويل العريض وما سمعت هذه الحكاية منه .

\*\*\*

وحدثني قال لي بعض شيوخنا ان الشيخ اذا أسن صارت فيه ثلاث خصال مذمومة اذا قام عجن (٣) واذا مشا زفن (٤) واذا سعل قرن (٥) .

\*\*\*

وحدثني قال حدثني عبدالله بن معاذ قال حدثني شيخ من اهل المذار قال كان لي زرع في ضيعة وكان حسناً جيداً وافراً وكنت واسع الطمع فيه فبت ليلة فرأيت في منامي كأنني بنفسين يطوفان الصماري المزدرعة ويقول احدهما للآخر اكتب : زرع فلان كر وفلان كرين قال وانا احفظ الاسماء وبلغ الكيل الى ان جاء الى قراحي فقال اكتب وزرع فلان ثلاثة اكرار فقلت له اعزك الله زرعي والله في غاية الجودة وانا او مل فيه عشرة واكثر فقال لصاحبه اكتب ثلاثة اكرار قال فلما كان من الغد انتهت متعجباً وقت وما مضت ايام حتى لحقت القلة آفة ونجا بعض الناس واصيب بعضهم وحصد (١) يعني : العباسيين . (٢) لعله : عيد . (٣) يعني نهض معتمداً على الارض كفعل العاجن . (٤) يعني رقص كأنه أعرج . (٥) لعله يريد استمر .

جبراني وحصدت قال فحصل لي والله ثلاثة أكرار لا تزيد قفيزاً ولا تنقص قفيزاً قال وعرفت خبر القوم الذين كنت حفظت أسماءهم ومبلغ كيلهم فاذا كيل الجميع قد خرج على ذلك المبلغ سواء .

بلغني من جهة وثقت بها عن معز الدولة انه قال ما نام بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس مقبل قط وهذا منه (١) انه رجل عجمي حسن جداً والاصل في ذلك قول امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بورك لأمتي في بكورها .

\*\*\*

حدثنا ابو احمد بن ابي الحسك الشاهد قال كان ابو عمر القاضي يجتاز بباب دارنا دائماً ذاهباً الى ضيعته المعروفة بالصالحية وانا صبي وبعد ذلك الى ان صرت حدثاً قال فسمعت اذذاك انه اجتاز فلما صار على شاطي نهر عيسى رأى رجلاً في الماء وهو بصيح الغريق ولم يكن بين يدي ابي عمر الا غلام واحد قال فصعد ابو عمر بجماره على تلعة وصاح باعلى صوته ياناس ياناس دفعات فلم يجبه احد لخلو الموضع وانقطاع الطريق فنزل عن جماره وقطع عمامة كانت عليه ورمى بها الى الرجل واخذ طرفها بيده ومسك بيده الأخرى شجرة كانت هناك وقال للرجل لا خوف عليك فاجذب العمامة بكل قوة قال فما زال الرجل يجذبها ويقرب الى ان قرب من الشط حتى رقا في الشط وخر مغشياً عليه وجازت جماعة فرأوا القاضي على تلك الصورة فدعوا له وشكروه

(١) لعله سقط : بحيث .



وبادروا الى الرجل وعصروا جوفه من الماء ونجا وعاش .

\*\*\*

حدثني عبد الله بن احمد بن بكر البصري قال كان المهريين بالبصرة له (١) نعم ومروآت وكانوا في جيراننا فحدثني شيوخنا ان فتى منهم وكان ظريفاً فركب في يوم شاتٍ شديد البرد . والماء قد جمد وليس عليه من الحشو شيء . انما كان عليه قميصان وعمامة وطيلسان وخف فدخل الى قوم فمجبوا من صبره على البرد فنزع خفه فاذا هو قد طلا رجليه بالغالية وحشا منها شيئاً كثيراً بين أصابعه وفي سرته واستعمل منها شيئاً كثيراً في لحيته واخذ خرقة وطلا عليها ووضعها على رأسه ونعم عليها فعمي حياً لم ينتج معه الى اكثر من قميصين .

\*\*\*

قال وحدثني شيوخنا ان محمد بن سليمان بن علي الهاشمي كان في ضيعته التي يقال لها المحدثه خارج البصرة جالساً في مجلس على بستان وفي بعض زوايا البستان اجانة صيني كبيرة مملوءة غالية فدخل اليه قوم من العامة في حاجة لهم وكان احدهم خسيس الحال فلما رأى الغالية سرق منها شيئاً كثيراً اغترفه ملء كفه فوضعه على رأسه وأطبق عمامته عليه وأطال القوم الجلوس وهو معهم فلما قاموا قام معهم فلم يبصر فقال خذوا بيدي فقد عميت فاغتم محمد بن سليمان لذلك وجاء بطبيب في الحال وقال ما دهاك فلم يصدقه فامر

(١) لعله : المهريون بالبصرة لم .

الطبيب بكشف رأسه فرأى الغالية فصب عليها الماء البارد حتى لم يبق لها أثر ثم طلاه بالصندل والماورد والكافور وأقامه في الهواء ساعة فعاد بصره الى حال الصحة وانصرف .

\*\*\*

وحدثني قال حدثني ابو الحسن محمد بن اسحاق بن عباد النجار وهو شيخ من وجوه التمارين بالبصرة طال عمره وحدث وكتبت عنه ولم أسع هذه الحكاية منه قال كان في جوارنا فلان فتصدق ليلة على ضرير اجتاز به وهو لا يعرفه فأراد ان يفتح احد صرتين في كفه في احدهما ذهب وفي الاخرى دراهم فيعطيه درهماً فأعطاه ديناراً وانصرف الضرير وهو لا يشك ان معه درهماً فبكر به الى بقال يعامله فقال خذ هذا الدرهم واحسب مالك علي واعطني الباقي كذا وكذا فقال له البقال يا هذا من اين لك هذا قال أعطاني البارحة فلان قال انه دينار فخذ فآخذه الضرير وجاء به من الغد الى الرجل وقال انك تصدقت علي بهذا وأظنك أردت ان تعطيني درهماً وغلطت وما أستحل أخذه مغالطة فخذ فقال له الرجل قد وهبته لك واذا كان في رأس كل شهر فتعال الي أعطيك شيئاً آخر مجازاةً لامانتك وكان يجيئه في رأس كل شهر فيعطيه خمسة دراهم . قال فلم أر أعجب من أمانة البقال والضرير والبقال (١) ولو كان في هذا الوقت لجرى ضد ذلك .

\*\*\*

قال وقال لي ابن عباد وكان يقرأ بالسبعة فكنت أسمعه طول الليل  
 يقرأ وكان فقيراً فاذا كان النهار خرج بتصديق (١) فاسمعه ينشد على الطريق  
 الرقائق والزهديات لا أسمعه بتصديق بغيرهما فقلت له يوماً يا فلان انت  
 تحفظ القرآن وأراك تصدق بالرقائق فكيف لا تقرأ وتصديق كما يفعل  
 الاضراء فقال والله لأعرض القرآن للمسألة ابداً .

\*\*\*

حدثني ابو محمد قال حدثني السورجي شيخ كان يجاورنا مستورا قال  
 كانت لي امرأة صالحة فكنت اذا اشتريت لهما تطبخه لنا طبخته وغرفته  
 جميعه وجاءتني به وكنت أكون لا فكنت آكله جميعه وتجمع هي واولادها  
 قلت لها يا هذه اذا طبخت شيئا فاقسميه قسمين وجيئيني باحدهما ودعي الآخر  
 لنفسك واولادك فقالت لا والله لا أفعل هذا بل أقدمه اليك كله لتأكل  
 أجوده فانك انت دُسل عنه .

\*\*\*

أنشدني ابو الحسن بن ابي الليث لنفسه :  
 عصبت الهوى وأطعت العزولا      وكنت كما قال في الحسود  
 ومأبكت رفق فهو المنى      وبعثك للدين فيمن يزيد  
 لئن لم أكن أتمنى السقام      لعلي ألقاك فيمن يعود  
 (للبحث صلة)

(١) اي يطلب الصدقة ويستعمل في الاكثر في من يعطيها .

## آراء وافكار

—(—)

### كلمة مكان كلمة

« صَوْنَة مكان شنطة (أو) — Sac-à-main »

سئلت عن كلمة عربية تقوم مقام ( شنطة ) وهي المحفظة الصغيرة من جلد تحملها المرأة بيدها وتضع فيها ذراهمها وادوات زينتها وتسمى بالفرنسية ( Sac-à-main ) وفي اللغة العربية كلمات كثيرة تدل على الأوعية التي توعى فيها الاشياء . ومنها الكبير كالفرارة والجوالق والعدل والعِصم . ومنها الصغير الذي توعى فيه الثياب والامتعة اللطيفة الحجم . وهذا النوع منه ما هو خاص بامتعة المرأة وادواتها ومنه ما ليس كذلك كالكيس والجراب والحقيبة والعبية والخريطة والصوان والتخت والجؤونة والسآة والصندوق والقمطر والكرز والخرج الى غير ذلك مما لا حاجة بنسأ الى شرحه وبيان ما بوضع فيه فنحن في هذه المقالة نستعرض كلمات الأوعية التي يفهم من كتب اللغة انها من أوعية النساء ثم نختار منها ما هو الأليق بالاستعمال مكان كلمة ( شنطة ) .

( القَفَّة ) أصل معناها القرعة اليابسة ثم سموا ما يتخذ من خوص النخل على شكل تلك القرعة قَفَّةً وتستعمله المرأة في وضع قطنها . ويريدون بقطنها القطن الذي تغزله . فليست القَفَّة إذن مما نحن فيه ولا سيما انها شاعت في لغة تخاطبنا بمعنى المكثل والزنبيل . ( المشيعة ) بكسر الميم هو ايضاً وعاء تجعل فيه المرأة قطنها ونحوه .

( السفط ) قالوا هو الذي يعتي فيه الطيب وما اشبهه من ادوات النساء ولكنه ايضاً ليس مما يحسن ان بوضع موضع الشنطة لأن ( السفط ) يستعمل كثيراً في وعاء الجواهر وغيرها فهو من أوعية الصاغة والجوهرية والتجار ولم يعد مما يختص استعماله بالنساء .

(الخط) وعاء كالسفظ وزاد بعضهم قوله (تجعل المرأة فيه ذخيرتها كالعِصم) وليس هذا أيضاً مما نحن فيه لأن المراد بذخيرة المرأة مؤونة بيتها لا أدوات زينتها لأنهم جعلوه كالعِصم والعِصم العدل .

(الحفش) بكسر الحاء وعاء تجعل فيه المرأة دهنها . والمراد بالدهن هنا ما كان نحو السمن والزيت او المراد به ما كان من قبيل الطيب فيكون من أوعية النساء .

(الظبية) أنثى الغزال ثم يتخذون من جلدها المكسو بالشعر جراباً يخبأون فيه الامتعة وقد جاء في الحديث الشريف (ابن النبي صلى الله عليه وسلم أهدى اليه ظبية فيها خرز فأعطى الأهل والعزب) والمراد بالأهل المتزوج . فيوشك ان تكون (الظبية) مما يستعمله النساء في وضع أشياءهن كالخرز . ومع هذا فلا يحسن ان تقوم مقام (شنطة) لأن عبارة اللغويين ليست صريحة في ان الظبية مما يستودع ادوات النساء . واذكر ان الحجاج قديماً اذا أبوا من الحج يكون معهم في جملة الهدايا أوعية صغيرة من جلد أحمر على شكل مخصوص يهدونها الي غلات أهلهم يضعون فيها فلوسهم وكنا نسميها (ضبوة) بالضاد والواو ولعل (ضبوة) هذه محرفة عن كلمة (ظبية) المذكورة .

(المثبنة) كيس تتخذ فيه المرأة مرآتها والظاهر انه خاص بالمرأة يصونها من الصدأ والوسخ . ونحن نريد وعاء يُستودع المرأة وغيرها من ادوات زينة المرأة .

(الدُرُج) سفينة (تصغير سفظ) صغير تذخر فيه المرأة طيبها ويظهر من هذا التفسير ايضاً ان الدرج خاص بالطيب .

(الطبل) قالوا : طبل المرأة الذي فيه طيبها وحنائوها تتخذ فيه مواضع للقوارير بجواز بيتها . هذا ما قالوه في تفسير الطبل . وقولهم (بجواز) يشعر أن هذا الوعاء كبير بحيث تكون فيه حواجز تحجز بيوته الصغيرة بعضها عن بعض . وكأنه على حياة (الطبل) فسى (طبلا) . وعبارة اللغويين صريحة في انه خاص الاستعمال بالنساء . ومع هذا لا أظن أن نساء اليوم يرتضين اختياره ليقوم مقام (الشنطة) أو الحافظة على أن في لفظه اجتزالاً وفي معناه اشتراكاً فإنه أكثر ما يستعمل اليوم بمعنى طبل العرس او طبل الحرب .

(القشوة) قفة من خوص (أي جريد النخل) يجعل فيها مواضع للقوارير (اي صغار القناني) بجواز بينها لعطر المرأة وقطنها وأدواتها . يقال (فلانة) اذا فحمت قشوتها

فتحت نشوتها) اي فاحت رائحتها الطيبة . وسميت (قشوة) من قشا العود اذا قشره وقشا العصا اذا أزال عنها لحاءها وفي حديث قبيلة (ومعه عسيب نخلة مقشوة) اي مقشور عنه خوصه . فقشوة المرأة تتخذ من عيدان أو جريد نخل مقشوة اي مقشورة منحوتة .

وقال الأزهرى : القشوة هي شبه العتيدة المشناة بجلد وقال العلامة سليمان البستاني في تعليقاته على كتابه : (تعريب الياذة) قشوة الطيب قفة من خوص تجعل المرأة فيها أدواتها وتحملها معها ، فقوله (وتحملها معها) زائد على ما قاله علماء اللغة . فلعله رأى هذه الزيادة في بعض ما لم نطلع عليه من كتب اللغة أو الأدب . وقوله (تحملها معها) أي في السفر أو تحملها بيدها اذا خرجت من دارها الى زيارة صويحباتها كما يفعل نساء زماننا . وهذا مما يجعلنا نفضل استعمال كلمة (قشوة) على غيرها من الكلمات لتقوم مقام (شنطة) أو Sac-à-main وزد على ذلك ان الغويين قالوا أن القشوة شبه العتيدة المشناة بجلد فتعشيتها بالجلد يجعل شهماً بينها وبين محافظ النساء في هذا الزمان لان المحافظ من جلد عادة . ولكن لفظ (قشوة) ليس مما يستحب لديهن في ما أظن على ان (القشوة) في لغة الدماشقة يريدون بها علبة لطيفة تعمي فيها لوازم النساء ولوازم طفلها كالبودرة والقطن والكحل الخ . لذلك نضرب عن (القشوة) صفحاً ونمدل الى أختها وهي كلمة (العتيدة) .

(العتيدة) طبل العرائس أعتدت اي هيات لوضع ما تحتاج اليه العروس من طيب وأداة وبخور ومشط وغيره وقد مر الكلام على كلمة (الطبل) وانه الوعاء الذي تجعل المرأة فيه أدواتها وفي حديث ام سليم (ففتحت عتيدتها) وقد فسر ابن الأثير في نهايته كلمة (العتيدة) بقوله هي كالصندوق الصغير الذي تترك فيه المرأة ما بعز عليها من متاعها اه . فالعتيدة تراها أقعد تلك الكلمات واجمعها لشروط الحسن واجدرها بالاستعمال . واذا لم نجهين (العتيدة) ولا اخواتها (القشوة) و(الطبل) و(الظبية) و(المنبنة) و(الدرج) فلدينا كلمة اخرى هي آخر سهم في الكنانة وهي كلمة :

(الصَوْنَةُ) يقولون وضعت العروس طيبها في (الصونة) . فلتصح عزيمتنا على اختيار هذه الكلمة واستعمالها مكان (الشنطة) ولا سيما ان لفظ (الصونة) بذكر بالصيانة حتى اذا حملتها احداهن في يدها وخرجت من دارها كانت نعم الصاحب لها تذكرها بالصون وتنهبها الى ما يحسن بها خارج بيتها من الأدب والحشمة عدا ما في (الصونة) من رشافة

اللفظ وسهولته وكم من الفرق بينه وبين السنطة . وبين (سالك أمين) الافرنسية التي نخشى ان تشيع بينهن وتغلب على السننهن .

المغربي

## مطبوعات حديثة

### تهذيب تاريخ ابن عساكر

« للشيخ عبد القادر بدران الدومي المتوفى سنة ١٣٤٦ هـ وقف على طبعه السيد »

« احمد عبيد . الجزء السابع من ٤٨٠ طبع في مطبعة التريقي بدمشق سنة ١٣٥١ »

صدر هذا الجزء من هذا التاريخ المفيد وفيه صور من التراجم المطولة والمختصرة . والمؤرخ يتوخى كما يتوخى ابن الخطيب البغدادي صاحب تاريخ بغداد ان يترجم للمحدثين أو لمن نقلوا الحديث من الصحابة فمن بعدهم الى عصره وان كان لا يفتل الأدب والشعر والاعخبار اذا كانت مما يغلب على مترجميه وومن ترجم لهم تراجم مطولة يستفاد من لغتها وأفكارها وأخبارها . وفيه من التراجم ترجمة الأحنف بن قيس . طارق بن زياد . طرماح بن حكيم . طلحة الخيري . ابو الأسود الدؤلي . عامر الشعبي . ابو عبيدة بن الجراح . ابو الهيثم المري . العباس عم الرسول (ص) . ابو مسلم الخولاني . عبدالله بن رواحة . عبدالله بن الزبير . الى عشرات غيرهم ممن أطال المؤلف في الترجمة لهم أو اختصر . وكلهم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من رجال الاسلام ممن استوطنوا دمشق أو دخلوها سائحين .

ويتألف من أحاديثهم وأخبارهم وأشعارهم وخطبهم وحكمهم وسمرم وسيرهم كتاب في الأدب نفيس ، يعلم الفصاحة ويحيي فصحا وشوارد جميلة في المنظوم والمنثور . وفي هذا الجزء أمور كثيرة ليس لها وجود في المتداول من كتب التراجم والسير والحوادث والآداب لاجرم انه سيتألف من مختصر ابن عساكر مجموع في هذا المعنى يغني عن المطولات المتنوعة ، مما لا يتسع حال الزمان لاقتناء الناس له ، ولا مطالعته مطالعة تدير وتبصر . وبإحياء

مثل هذه الأسفار في الحقيقة إحياء لجوانب كثيرة كانت غير متجلية تجلياً حقيقياً من مدينتنا وتاريخنا . فالشكر للاستاذ ابن عبيد المعنى بمراجعة اصول هذا الكتاب الذي ابتلي كـبعض مخطوطاتنا بجمل النساخ حتى حرفوه ومسحوا محاسنه . ومن قابل الايات (ص ٤٤٩—٤٥٧) الواردة في المتن بما صححها به مصححها الفاضل يتجلى له مقدار العناية الذي لاقاه في اثبات الصحيح من الألفاظ حتى تفهم المعاني ، واذا وقفت له مظان أخرى فتوقف فيها ، فمذره انه لم يقع على غير نسخة واحدة محرفة . ولعل الايام لاتضن على هذا السفر المحترم بإيجاد نسخة المبعثرة في البلدان لتصحح ما سقم منه بطول الايام وجمل الابدي التي تعاوته .

م . ك

### رسول الوحدة

#### «أالوحدات الخمس»

يقوم إخواننا مسلمو الهند في هذه الايام بنهضة دينية ثابتة القدم . متسعة النطاق . وقد جعلوا للغة العربية نصيباً مفروضاً من نهضتهم هذه كما اشرنا الى ذلك في مكان آخر من مجلد هذه السنة . ومن مساعيهم الحسنة انهم سمو يوم مولد النبي صلى الله عليه وسلم — (يوم النبي) ولم يقتصر وانيه على قراءة قصة المولد المشهورة التي اصحبت على تمادي الايام ضعيفة التاثير في نفوس المسلمين بل أخذوا على أنفسهم استكتاب الفضلاء محاضرات في حياة النبي (ص) وسيرته وحقائق شريعته ثم يترجمون تلك المحاضرات الى اللغات المختلفة وينشرونها في العالم . قالوا : ولقد كان من نتيجة المساعي التي بذلت في السنوات الثلاث الماضية أن أقيم في مئات من المدن مراكز لإشاعة (الحياة النبوية) وقد ترجمت الحياة الى (١٧) لغة وأقيم في مختلف جهات العالم خمسون الف احتفال ووزع ما يزيد على سبعمائة الف كتاب في (الحياة النبوية) بين المسلمين وغير المسلمين مجاناً . وقد أرسل الاعلان الأساسي لهذه الفكرة — الى ٢٨٥ صحيفة لنشره حيث يتم من (كاليفورنيا) الى سواحل الصين اه .

ومن هذه المحاضرات التي أقيمت في (يوم النبي) محاضرة بليغة بعنوان (رسول الوحدة) القاها زعيم الاصلاحيين في بلاد الهند مولانا الاستاذ (سليمان الندوي) ولعله القاها باللغة



الاوربية فترجمها مولانا (احسان سامي حقي) الى اللغة العربية وقد أرسلت الى مجمعنا نسخة من هذه المحاضرة فاذا هي تتضمن ستة أبحاث في الوحدات الخمس (١) وحدة الالوهة (٢) وحدة الرسالة (٣) وحدة الكتاب السماوي (٤) وحدة الانسانية (٥) وحدة الدنيا والدين . فكان المحاضر يشرح كيف أنه صلى الله عليه وسلم علم بهذه (الوحدات) ثم يقارن بين تعاليمه فيها وبين تعاليم الاديان الأخرى ويبين أفضلية التعلم المحمدي وفائدته للبشر وإصلاح حالهم . وفي المحاضرة فوائد تشرح لنا عقائد اديان الهند وتعاليم أنبيائهم . ويظهر من كلام مولانا سليمان السدوي أنه يعتبر سقراط وزرادشت وبودا وكونفوشيوس وامثالهم من الانبياء الصادقين الذين لم تذكر اسمائهم في القرآن . وذكر أن فرقة من فرق الهندوس الوثنيين تعتقد بثلاثمائة وثلاثين مليون من الآلهة وهذا أكبر عدد في تعدد الآلهة كما ان عقيدة (ماني) القائلة بالآلهة أمين أقل عدد . وقد جاء محمد صلى الله عليه وسلم فعلم بالتوحيد المحض وقد أدرك المددون خطأهم فأخذوا في إصلاحه : فقد قام في القرن الرابع عشر للميلاد المصلح (رامانندسياسي) فدعا الى توحيد الآلهة وذهب الى ان مذاهب العالم كلها مستمدة من نبع واحد . وقام بعده في القرن الخامس عشر المصلح (كبير) ففرض على عبادة الأوثان وحاول ان يدمج الوثنيين بالمسلمين الموحدين . قال (وهكذا يظهر ان مذهب السيخ كان وضع اساسه في اجتهاد وأمره بناء على هذه النظرية) يعني نظرية التوحيد . أما المصلح (كبير) هذا فهو رجل حائك ألف فرقة موحدة وقد انقرضت فرقته . ولا يزال بعض كتبه التي ألفها متداولاً في أيدي الناس وأكثرها شعر . وأما مذهب (السيخ) فصاحبه (بابانانك) البنجابي ومذهبه كان أقرب الى الاسلام منه الى الهندوسية غير ان اتباعه عادوا فابتعدوا عن الاسلام واقربوا من الهندوسية ولم يكتب مقدس وعدد من نحو ثلاثة ملايين ونصف مسكنهم البنجاب . وكلمة (سيخ) تكتب في اللغة الهندية هكذا (سيكه) وتلفظ بكسر السين والياء وإسكان الكاف والهاء المدغمتين . وذكر المحاضر الفاضل ان الاسلام علم بوحدة الانسانية بينا الوثنية تفرق هذه الوحدة فتجعل الانسان طبقات مختلفة طبقة مخلقت من (فم الآلهة) وأخرى من (بدنه) وثالثة من (رجليه) وهلم جرا . وذكر المحاضر في بحث وحدة الرسالة ان الاسلام علم بوجود الايمان بالرسول وأبطل ما كان عليه اليهود من تكذيبهم لميسى وما كانت عليه قريش إذ (كانت تكفروا

حق استماع اسمه ) اي اسم عيسى ؟ الى غير ذلك من الفوائد التي تضمنتها تلك المحاضرة النفيسة فالشكر لصاحبها .

المغربي

## ثلاث رسائل

« في علم مصطلح الحديث »

علم مصطلح الحديث او علم اصول الحديث من العلوم الجليلة التي يتوقف عليها الاجتهاد او التشريع في الاسلام ومن ثم تعددت التأليف في هذا الفن وطبع منها الشيء الكثير وبقي الشيء الأكثر مدفوناً في مظامير الخفاء تنتظر ارباب الجهد والحرص على نشر العلم فينشرونها من مداينها ويشيرونها من مكائنها . من ارباب الجهد هؤلاء الأستاذ الشيخ راغب الطباخ عضو المجمع العلمي العربي في حلب فإنه لا يألو جهداً في التنقيب عن نفائس الكتب وطبعها ونشرها . من ذلك ثلاث رسائل في علم المصطلح عثر عليها في بعض الجامعات المخطوطة المحفوظة في مكتبة التكية الاخلاصية وبعد ان عارضها بثلاث رسائل من جنسها محفوظة في دار الكتب الظاهرية بدمشق طبعها في كتاب واحد تبلغ صفحاته نحو ثمانين صفحة حسنة الطبع والضبط والتصحيح والتعليق .

وأولى تلك الرسائل ( تذكرة الطالب المعلم . بن يقال انه مخضرم ) وهؤلاء المخضرمون من رواة الحديث بلغ عددهم اثنين واربعين رجلاً والمخضرم في مصطلح الحديث ان يتردد الراوي بين طبقتين من طبقات الرواة بحيث لا يدري من ابتها هو :

والرسالة الثانية ( التبيين لأسماء المدلسين ) والراوي المدلس هو الذي يروي الحديث ولا يسمي من حدثه به أو يوم أنه سمعه من محدث ولا يكون ذلك المحدث حدثه به في الواقع ونفس الأمر . والتدليس انواع مبسطة ومبينة في هذه الرسالة وسواها .

والرسالة الثالثة ( الاغتباط بمن رمي بالاختلاط ) هذه الرسالة تكشف لنا عن اسماء رواة الحديث وطلاته الذين اصيبوا في آخر عمرهم بالخرف أو العته فتقع الشبهة في الأحاديث التي رووها : هل رووها في حالة سلامتهم او في حال عتيمهم . والرسائل الثلاث تأليف الحافظ

برهان الدين أبي اسحق إبراهيم بن محمد بن خليل السبط بن العجمي المحدث بالمدرسة الأشرفية  
بجلب المتوفى سنة ٥٨٤١ هـ .  
المغربي

### المسك الأزفر

« تأليف السيد محمود شكري الآلومي البغدادي رحمه الله »

سوق العلم لا تزال كاسدة في بلادنا على الرغم من النهضة المباركة التي نراها اليوم في  
الشيبة السورية لان الأكتيين انما يطلبون العلوم الفنية كالطب والصيدلة والحقوق من  
أجل تأمين مستقبلهم وكسب رزقهم من هذه الأبواب . ومن حصل لغة قبل ذلك فليل  
الشهادة المدرسية التي تمكنه من دخول مدارس العلوم الفنية .

قليل اليوم من يهتم بالعلم من أجل العلم . وقل منهم من يُعنى بتدوين تراجم العلماء  
المحدثين مع أن تراجم العلماء الاقدمين كثرتُها أكثر من أن تُعد . ذلك لان جامع مثل  
هذه الكتب لا يبيع منها بما يستعوض به نفقة الطبع فضلاً عن الربح . وهذا من جملة  
براهين كساد العلم الذي لا بدرت لصاحبه كسباً مادياً .

سنة السيد نعمان الاعظمي ببغداد قطعة ولو صغيرة من الثملة الكبيرة ، بطبعه على  
نقته كتاب « المسك الأزفر » للمرحوم السيد محمود شكري الآلومي التفتنن تراجم علماء  
بغداد في القرنين الثاني عشر والثالث عشر . وقد أهدي الى مكتبة المجمع العلمي الجزء  
الاول منه وهو مصدر تراجم العلماء من البيت الآلومي وهو بيت اشتهر بالفضل والصلاح ،  
ومن هؤلاء بعضهم رقدوا في رحمة ربهم وبعضهم احياء يرزقون ، ولا غرابة في هذا  
التصدير فالمؤلف من هذا البيت . تلا ذلك تراجم عدد من اشتهروا بالعلم في بغداد ،  
ويتخلل كل ترجمة شيء من شعر المترجم .

عبد الله رعد  
عضو المجمع العلمي

## نصوص قبري توتمزيس الثالث وامنوفيس الثاني

« للمسيو بوشير — الجزء الاول عدد صفحاته ٢٢٢ مع ٤٢ لوحة رسوم »  
 « طبع القاهرة سنة ١٩٣٢ »

Paul Bucher - Les textes des tombes de Thoutmosis III et d' Aménophis II . Tome premier , 222 pages et 42 planches . Le Caire 1932 .

نشرت هذه الوثائق في الجزء الستين من مجلة المعهد الافرنسي للآثار الشرقية في القاهرة وفي الجزء الاول مجموعة المروغليافية المدبنة على جدران قبري الفرعون توتمزيس الثالث والفرعون امنوفيس الثاني اللذين اكتشفها المسيو لوري ( Loret ) وقد شفع هذه النصوص برسوم واضحة يمكن منها التثبت من صحة حل رموزها ، وموضوع هذه الوثائق ديني بتعلق بطقوس الموتى .  
 جعفر الحسني

## الكلمة الاخيرة

في الكلمات غير القاموسية

— او فتاوى علماء اللغة المعاصرين في أصنافها السبعة —

« تمهيد الطريق أمام المعجم العتيق »

— ٢ —

### « الصنف الخامس »

المرب أو الكلمات المولدة بالتمريب وهي التي يكون أصلها أجمعياً فيستعمله العرب بعد تغييره تغييراً قليلاً أو كثيراً ويندر ان يبقوه على حالته . ومنه الخفيف على اللسان فهو كلمة ( فلم ) شريط السيناء . ومنه الثقيل نحو كلمة ( او تومويل ) و ( برصوناليتة ) .  
فهل هذه الكلمات العربية مما يجوز قبوله واستعماله وتدوينه او لا ؟  
فاجاب الاساتذة :

( ١ ) — الرصافي « مجلد ٨ ص ٣٢ » ( نأخذ منه ما تقرر باستعمال العامة اياه بعد صقله وتحويله إن كان فيه تنافر او ثقل او خشونة ) .

( ٢ ) — الفلاييني « مجلد ٨ ص ٣٥٩ » ( أرى استعمال المرثب : كالمتاورة . . . . .  
واللفظ الاعجمي إن امكنا ايجاد لفظ عربي له فذاك والا صرناه ) .

( ٣ ) — نقولا فياض « مجلد ٨ ص ٥٦٠ » ( ان الألفاظ الشائعة الدخيلة لا بأس بها اذا لم نجد ما ينوب منها ) ثم اشار باستعمال الكلمات الاعجمية الخفيفة نحو ( بالون ) وترجمة ما كان ثقبلاً نحو ( برصوناليتة ) فنقول مكانها ( ذاتية ) ثم قال ( وكما اطلب أن تدخل في اللغة ألفاظ ليست منها فاني اطلب ان تحذف الفاظ وضعت لعهد مضى الخ ) .

(٤) — الاسكندري « مجلد ٨ ص ١٠٤ » القول الفصل عنده في هذا الصنف أن الكلمات الأرف التي عربتها الجاهلية واهل القرون الاسلامية الثلاثة تُهدّ عربية . وان ما سواها من الكلمات التي عربها غير هؤلاء الى زمننا الحاضر فهو عامي . واستعماله لحن . وقبوله خرق للقواعد .

(٥) — النشاشيبي « مجلد ٨ ص ٢٨٥ » ( الالفاظ المعربة في الازمنة الكريمة يجب ان تودع المعجم العربي وتعد عربية محضة ) وقوله ( الازمنة الكريمة ) يشعر بانه يشترط في قبول ( المعرب ) ما اشترطه الاستاذ الاسكندري اعني ان يكون مما عرب في العصر الجاهلي او العصور الاسلامية الاولى .

(٦) — محمد الخضر « مجلد ٨ ص ٤١٠ » ( يجب على المجمع العلمي ان يضع الفاظاً عربية للماني الحديثة . . . ولا نعهده مضطراً الى اباحة استعمال الكلمات الاعجمية الا اذا لم يجد في نفس اللغة العربية ما يفي غناها ) .

(٧) — الزهاوي « مجلد ٨ ص ٦٨٦ » ( نقبل كل دخيل ( يعني به المعرب ) بعد تخفيف الثقل منه بصقله وارجاعه الى الاوزان العربية وتبديل بعض حروفه كما تقتضيه قواعد التعريب : فنقبل اليوم الاكسجين والتلسكوب والسبينا والبترول كما قبل اجدادنا قبل اليوم الاسطس والهيولى والاسفنج والاسطرولاب ) .

(٨) — احمد رضا « مجلد ٩ ص ٥٨ » ( التعريب مفتوح الباب في اللغة . . والكلمة الاعجمية ان كانت خفيفة استعملت على حالتها كما استعمل العرب ( لجام ) الاعجمية وان كانت ثقيلة هذبت وأرجعت الى اوزان العرب ) .

(٩) — قسطنطين حمصي « مجلد ٩ ص ١٢٦ » ( هناك الفاظ كثيرة اعجمية لا يأبأها قانون الوضع عندنا خلفه لفظها ) ثم اشار على المجمع باعلان امثال هذه الالفاظ كي تستعمل وتشيح وتضم في سلك اللفظ العربي وتغني بها اللغة العربية وهذا اذا لم يمكن وضع لفظ عربي يقوم مقامها كما وضعوا السيارة للاتوموبيل والمنطاد للبالون .

(١٠) — سليمان ضاهر « مجلد ٩ ص ٤٨٤ » ( اقول بجواز استعمال ما خف لفظه على السمع مثل ( فلم ) و ( بالون ) ان اقتضت الضرورة وتعذر وضع ما يؤدي مؤداه من الفاظ اللغة العربية ) .

(١١) — عيسى المألوف «مجلد ٩ ص ٣٥٥» أشار اولاً بلزوم وضع كلمات عربية في مقابل الكلمات الاعجمية بحيث تشترك معها ولو ببعض الوجوه ثم قال : ( واذا لم نجد ما يناسب اللفظ الاعجمي وكان هذا الاعجمي خفيفاً وصيغته تناسب الصيغة العربية فلا بأس بابقائه على اصله ) .

(١٢) — الكرهلي «مجلد ٨ ص ١٠٢» خلاصة جوابه ان الكلمات الاعجمية اذا كانت ثقيلة وجب ان تفرغ في الاوزان العربية حتى تحف على اللسان اما اذا كانت خفيفة مثل ( فلم ) ( بالون ) ( مناورة ) وجب قبولها ولو كان في لساننا ما يقوم مقامها ثم ضرب لذلك مثلاً اجدادنا العرب فانهم كانوا يستعملون الكلمة الاعجمية مع وجود عربية تقوم مقامها ولا سيما اذا كانت العربية ثقيلة فالفيل كان العرب يسمونه ( العيثوم ) ( الكاثوم ) ( الدغفل ) ( المقرطل ) ( ابو مزاحم ) الخ لكنهم لما سمعوا الفرس يقولون « الفيل » تركوا كلماتهم واكتفوا بكلمة ( الفيل ) ( ألم تركيف فعل ربك باصحاب الفيل ) .

(١٣) — احمد امين «مجلد ٨ ص ٣٥» اجاب بما حاصله : ان الكلمة الاعجمية اذا كان مسماها امراً معنوياً مثل ( Idéal ) وجبت ترجمتها الى العربية وان كان مسماها اسماً مادياً مثل كلمة ( فونوغراف ) وتمذرت ترجمتها الى العربية قبلت بمدد عقلها وتمذبت خشونتها . ويستفاد من كلامه انه يعتبر ما فعله العامة في صقل الكلمات الاعجمية وتمذبتها وقد قال في هذا الصدد هؤلاء عامتنا استثقلوا كلمة ( سيناتوغراف ) فسماها ( سينما ) وكذلك يفعلون في كثير من الكلمات ) .

(١٤) — النكدي «مجلد ٨ ص ٥٩٧» ( اللغة مجموع الفاظ يعبر بها عن المعاني فهل يعقل ان تقف عاجزين امام بعض المستحدثات الجديدة والمعاني العصرية : لا نعرف لها اسماً . ولا نوجد لها لفظاً . ونمنع الناس ان يستعملوا اللفظ الاجنبي لها ؟ ) كلا لا يعقل بل يجب ان تقبل المرء . ثم يفهم من غوى بقية كلامه انه يشترط لقبول الكلمة العربية ان لا يوجد في اللغة العربية ما ينوب منابها .

(١٥) — كامل الفزني «مجلد ٨ ص ٤٨٠» قال ما ملخصه : ان كان اللفظ الاعجمي مرادف في لغتنا العربية استعملنا المرادف والا استعملنا اللفظ الاعجمي بصيغته الاعجمية

ان كان خفيفاً نحو ( كيلو . سنتيم . فرنك ) وان كان ثقيلاً حولناه الى صيغة عربية فنقول (طن) في (طونولاته) و ( تنيل ) في (اوتوموبيل) هذا اذا لم نترجم (طن) بقنطار و (اوتوموبيل) بسيارة .

(١٦) — الجابري «مجلد ٨ ص ٣٦١» اطال في الجواب عن الكلمات العربية بما يدل على قبوله بل تعصبه لها ودفاعه عنها كلها حتى الثقيل منها الذي عربه المعاصرون وبما قاله في هذا الصدد (فاسماء المخترعات الحديثة مثل التلغراف والتلفون والادوتوموبيل ليس قلبها الى اسماء أخرى قائلين ( برق . هاتف . سيارة ) إلا من التعصب البارد بل يكون من قبيل اغتصاب ما ليس لنا . . . على ان دخول تلك الاسماء في لغتنا لا يس كيانها ولا شرفها مما كثرت بل تزداد لغتنا رونقاً بموافقتها للغات اصحاب تلك المخترعات الخ ) .

(١٧) — ادور مرقص «مجلد ٨ ص ٧٤٠» اطنب في اظهار حرصه على سلامة اللغة العربية وذهب الى ان قبول الكلمات الاعجمية يفسد اللغة تدريجياً فهو يرى وجوب الاستغناء عنها مطلقاً خفيفة او ثقيلة ما دام في لغتنا منسج فاذا لم نجد منسجاً واحتجنا الى لفظ اعجمي (فلا بأس ان نقله والاحسن ان لا نقله الا عربياً اي مهذباً حسب الاوزان العربية) فيفهم من هذا تجويزه للعرب بشرط حاجتنا اليه وبشرط طبعه بالطابع العربي .

(١٨) — رشيد بقدونس «مجلد ٩ ص ١٠٣» (تزد كل كلمة اعجمية لم يستعملها العرب . وليس لنا ان نقيس أنفسنا على اجدادنا الذين عربوا كلمات اعجمية : فالجاهلية لم يعربوا عن قصد . . . والاسلاميون ما لبثوا ( بعد ما عربوا كلمات اعجمية ) ان استبدلوا بها أخرى عربية محضة ) ثم وصف الطريقة التي يجب ان نسلكها في تدوين الاصطلاحات العربية القديمة لنستغني بها عن الاصطلاحات الاعجمية الحديثة وان الواجب علينا اليوم ان نترجم الى لغتنا ما استجد من الاصطلاحات ثم قال : ( واذا عجزنا عن ترجمتها فاني اذهب الى ابعد من ذلك فاخترع كلمة مهملة من احرف عربية ثلاثية او رباعية او خماسية او سداسية موافقة للأوزان العربية وأضعبها لذلك المعنى وانشرها ولا استعمل كلمة اجنبية . هما كانت قيمتها اه ) .

انتهت الاجوبة عن صنف الكلمات العربية . وهذا الصنف هو بيت القصيد من الاقتراح . وقد كانت اكثرية الآراء في جانب قبول تلك الكلمات .



ومن مواضع العجب في اجوبة الاساتذة أن احدهم وهو ( العلامة الجابري ) أفرط في التناول بالكلمات الاعجمية : فهو يستحسن بل يرى من الحق ان نستعمل كلمة ( تلفراف لا يرق ) ( وتلفون لا هاتف ) ( واوتوموبيل لا سيارة ) بينما ( الاستاذ بقدونس ) بفرط كل الافراط بالتشاؤم بالكلمات الاعجمية حتى ما كان خفيفاً منها فكلمة ( فلم ) مثلاً يبتدع كلمة جديدة ولو بان يقلب كلمة ( فلم ) فيقول ( ملف ) وهو لفظ مهمل في اللغة العربية يتدل على شريط السينما ولا يقول ( فلم ) . وبين الاستاذين ستة عشر استاذاً توسطوا فاجازوا العرب بالشروط المعتمدة عند معظم علماء اللغة المتقدمين .

\*\*\*

### « الصنف السادس »

أساليب او تراكيب ذات معان اعجمية الاصل وقد تسربت الى لغتنا العربية مترجمة عن اللغات الاجنبية ولا عهد للعرب الاقدمين بها وهذا كقولهم ( ذر الرماد في العيون ) ( عاش ستة عشر ربيعاً ) ( وضع المسألة على بساط البحث ) ( ساد الامن في البلاد ) في نظير ذلك . فهل امثال هذه التراكيب يقبل في لغتنا ويستعمل ويدون او لا ؟  
فاجاب الاساتذة :

(١) — احمد امين « مجلد ٨ ص ٣٥ » ( وأوافق كل الموافقة على ادخال هذا الصنف في لغتنا ) .

(٢) — رشيد بقدونس « مجلد ٩ ص ١٠٣ » ( هذا الصنف يقبل ) .

(٣) — احمد رضا « مجلد ٩ ص ٥٨ » ( لا غبار على تلك الاساليب ولا بأس في استعمالها )

(٤) — الرصافي « مجلد ٨ ص ٣٢ » ( هب مفردات اللغة موقوفة على السماع ولكن من ذا الذي ادعى ان التراكيب بما فيها من تشبيه واستعارة ومجاز وكتابة موقوفة هي ايضاً على السماع ؟ )

(٥) — الزهاوي « مجلد ٨ ص ٦٨٦ » ( لا احسب في هذا الصنف ما يدفع الى الاستفتاء عنه والا اطلقنا باب المجاز والتشبيه وهما من محاسن اللغة ) .

(٦) — الغلاييني « مجلد ٨ ص ٣٥٩ » ( ما لا بضر بأساليب العربية من الاساليب

والتراكيب الاعجمية جاز استعماله) .

(٧) - سليمان ضاهر «مجلد ٩ ص ٤٨٤» (لا مجال للتردد في جواز استعمال هذه التراكيب والأساليب الاعجمية اذا كانت جارية مجرى التراكيب والأساليب العربية) .

(٨) - نقولا فياض «مجلد ٨ ص ٥٦٠» لم يُجيب على هذا الصنف بخصوصه لكن يعلم قبوله له من جوابه على الكلمات (الاصطلاحية والمولدة والمعرّبة) فانه أجازها كلها . وهو بالطبع يميز الأساليب الافرنجية ومثله في ذوقه الانشائي لا بد ان يشترط موافقة تلك الأساليب للأذواق السلمية ولقواعد اللغة القومية كما اشترط غيره .

(٩) - الجابري «مجلد ٨ ص ٣٦١» لم يتعرض الأستاذ لهذا الصنف ايضاً ولعله رآه واضحاً لا يحتاج الى جواب ولا سيما ان الأستاذ أجاز تعريب الكلمات الاعجمية وفتح لها الباب على مصراعيه فكيف لا يسمح للأساليب الافرنجية بالدخول . وهي أحق منها بالترحيب والقبول ؟

(١٠) - النكدي «مجلد ٨ ص ٥٩٧» (ليس في العرب من ينكر تعبيراً او تركيباً لا يخالف المناحي العربية والا لامتنع المجاز والكناية والاستعارة) فالأستاذ النكدي يشترط ما اشترط المحبون الاولون من وجوب موافقة الأساليب الافرنجية للأساليب العربية . وزاد تلك الموافقة ايضاحاً وبيانا للمحبين العالون :

(١١) - الكرملي «مجلد ٨ ص ١٠٢» قال ما نخوفه : ارحب بالاساليب التي تضمنت «خواطر افرنجية» كالأمثلة المذكورة بشرط ان يكون تركيبها عريباً لا خلل فيه . والا بان تقدم فيه المضاف اليه على المضاف مثلاً كما في اللغتين الفارسية والانكليزية فهذا اكرهه ولا أوافق عليه .

(١٢) - النشاشيبي «مجلد ٨ ص ٢٨٥» لم يُجيب الأستاذ النشاشيبي على هذا الصنف بخصوصه وانما قال (فرض علينا اليوم نبذ كل تركيب غير عربي يلبس فيه معنى الكاتب ولكل لسان أسلوب ، والتسامح في هذا الشأن هو الهلاك) فهو قد اشترط في قبول الاسلوب الافرنجي ما اشترطه الأستاذ الكرملي من كونه مطابقاً في التركيب للقواعد العربية كي يسلم المعنى من اللبس .

- (١٣) — الاسكندري «مجلد ٨ ص ١٠٤» وجواب هذا الأستاذ أيضاً بتلخيص  
الاشتراط فيه بما قلناه في جواب الأستاذين السابقين الكرملّي والنشاشيبي .
- (١٤) — قسطنكي حمصي «مجلد ٩ ص ١٧٦» لا غبار على أساليب هذا الصنف  
ما لم تكن عامية مبتذلة . وهذا الابتذال الذي أشار اليه الأستاذ المحيّب أوّضحه المحيّبون  
التالون بالأمثلة والشواهد :
- (١٥) — محمد الخضر «مجلد ٨ ص ٤١٠» ( لا نعلم وجهاً للنفور من استعمال هذا  
الصنف ما دام التركيب موافقاً للنظم المألوفة في علم النحو . . . الا ان يكون شيئاً تنبو  
عنه الاذواق السليمة ) وماتنبو عنه الاذواق السليمة هو العامي المبتذل الذي حذر منه  
الأستاذ حمصي .
- (١٦) — كامل الغزي «مجلد ٨ ص ٤٨٠» هذه التراكيب والاساليب وما مثلها  
لا ارتاب في جواز استعمالها . . . لان المركبات الاسنادية لا يتوقف استعمالها على النقل  
عن العرب كالمفردات . . . على شرط ان تكون مما افاضته قريحة سليمة لاسقيمة بقول  
صاحبها ( هذه عصارة عقلي ) وربما قال ( عصارة دماغي ) اه .
- (١٧) — عيسى المعلوف «مجلد ٩ ص ٣٥٥» ( اذا كان لهذه الاساليب المترجمة  
ما يقابلها في اللغة العربية الفصحى فالاولى استعمالها وان لم يكن في لغتنا ما يقابلها وكانت  
قريبة من اذواقنا قبلناها ايضاً ) ثم مثل الأستاذ للاساليب الافرنجية التي لا تلائم اذواقنا  
بقول ( فكتور هيكو ) : ( اجراس كثيرة تفرع كلها كأنها أنون من الموسيقى ) وبقول  
الآخر ( جليد المرأة ) يريد زجاجها وبقول ( وشنطن ابرفن ) في مطالع بقرأ الكتب  
ويثني اطراف اوراقها ليرجع اليها عند اللزوم قال : ( ان كتبه كلها آذان كلاب ) وبقول  
الانكليزي في وصف الرجل الذي يكف على مطالعة الكتب « هو دودة كتب » وبقولهم  
في وصف أزرار الازهار في براعمها « نامت في سريرها الشتائي » فالاستاذ المعلوف يرى  
عدم قبول هذه الاساليب المترجمة لانها بعيدة عن الاذواق العربية .
- (١٨) — ادور مرقص «مجلد ٨ ص ٧٤٠» ( هذا الصنف مرجعه الى المجاز وباب  
المجاز لاجرج علينا في التوسع فيه بعد المحافظة على وضوحه وملاسته لمعيشة الناطقين به  
وعاداتهم واذواقهم ) ثم قال : ان من المجازات الافرنجية ما لا ننسكه اذواقنا فالواجب

قبوله ومنها ما تنكره اذواقنا فالواجب رفضه . ثم مثل للواجب الرفض بقولم :  
 ( طلب فلان يد فلان ) ونحن نقول ( خطبها ) وقولم ( قذف آخر خرطوشة لديه )  
 ونحن نقول ( رمى آخر سهم في كنانته ) وقولم ( ضحك ضحكة صفراء ) ونحن نقول  
 ( تكلف الضحك ) اه .

فالاتاخذة « الخضر والغزي والملوف ومرقص » جعلوا الاساس في قبول هذا  
 الصنف ان يكون ملائماً لاذواقنا العريضة وكل منهم مثل غير الملائم بأمثلة ان لم تلائم  
 ذوقه هو ربما لامت ذوق غيره . على ان تحكيم الذوق الخاص وتمييز الملائم من غير  
 الملائم - امر من الصعوبة بمكان : وذلك لاختلاف الازواق والمشارب ولتباين استعداد  
 الناس في « الحس اللغوي » وهذا هو في الحقيقة مبعث تشتتنا وتفرقتنا ووهن عزائمنا دون  
 الاصلاح الواجب لثقتنا . وأرى ان اتقدي بالاتاخذة فاذا ذكر بعض ما لا يلائم ذوقي من  
 الاساليب الاعجمية المترجمة :

« تعذيب الضمير . ومعذب الضمير . وضميري يعذبني » « بكى بكاءً مرأً » ( هناك  
 البكا وصرير الاسنان ) ( واقول انا في دوري ) ( المسألة الفلانية قيد البحث ) ( اعتنق  
 فلان الدين الفلاني ) ( مبارك هو الرب ) ( يهرق البخور امام فلان ) ( فلان ضحى فلاناً  
 على مذبح اغراضه ) ( يشتغل في حقل الوطنية ) ( صب طيبه جام غضبه ) . وفي آخر  
 كتاب تلقينته من الامير شكيب بقول :

قولم « العمل الذي عمله فلان ضد فلان » او « لم يزل يهرق ضد » او « كان دائماً  
 يشتغل ضد » لم اجد هذا التركيب في الكتب القديمة افلا يكون تركيباً ؟  
 انتهت الاجوبة على الصنف السادس وهي متفقة على قبوله بل ذهب بعض الاتاخذة  
 الى ان قبوله يكاد يكون مدركاً بالبداهة وما كان ينبغي ذكره بين الاصناف الجبوت  
 عنها . غير ان بعضهم لاحظ ما لاحظناه من وجوب الاحتياط والتحفظ في قبول الاساليب  
 المترجمة فاشتراط ان لا يكون في لغتنا الفصحى ما يقابلها وان لا تكون مخالفة في تركيبها  
 لقواعدها وان لا تكون نافية عن اذواقنا .

والحاصل ان هذا الصنف مقبول . مع شي من التحفظ المعقول .

\*\*\*

## « الصنف السابع »

العامي : وهو الكلمات التي تدور على افواه العامة ولا يستعملها الفصحاء بل يتعاشون النطق بها : مثل ( بَدِي اذهب ) ( جيب الكتاب ) ( تمربش على الشجرة ) ( تمركش بفلان ) .

فهل يجوز استعمال كلمات هذا الصنف وتدوينها في المعجم او لا ؟  
فأجاب الاساتذة :

( ١ ) - قسطاكي حمصي - حلب « مجلد ٩ ص ١٢٦ » ( هذا الصنف مردود - مردود ) .

( ٢ ) - احمد رضا - جبل عامل « مجلد ٩ ص ٥٨ » هذا الصنف لا يصح استعماله وهو هناك حرمة اللغة ) .

( ٣ ) - ادور مرقص « مجلد ٨ ص ٧٤٠ » ( لا اظن اديباً عربياً يخالف في خطر استعمال الكلمات العامية ) .

( ٤ ) - النشاشيبي « مجلد ٨ ص ٢٨٥ » ( الالفاظ المولدة في العصور السفيفة والالفاظ العامية نبذها فرض ) .

( ٥ ) - الغلاييني « مجلد ٨ ص ٣٥٩ » ( لا اري احداً يفسار علي لنته بقول بجواز استعمال هذا الصنف ) .

( ٦ ) - محمد الخضر « مجلد ٨ ص ٤١٠ » ( الكلمات العامية من امراض اللغة التي يجب ان نحمي السننتنا واقلامنا من ان تقوم حولها ) .

( ٧ ) - الاسكندري « مجلد ٨ ص ١٠٤ » ( الكلمات المولدة التي لا يستعملها احد من الفصحاء لا يجوز استعمالها ) .

( ٨ ) - النكددي « مجلد ٨ ص ٥٩٧ » ( أجاب بما يفيد شدة احتقاره للعامي وانه ما كان ينبغي ذكره في الاقتراح وانما ندعه لاولئك الذين يريدون إمامة لغتهم باحياء عاميها ) .

( ٩ ) - احمد امين « مجلد ٨ ص ٣٥ » ( لم يطلق القول في رفض العامي اطلاقاً كما فعل

من اجاب قبله وانما هو قسم الكلمات العامية الى ما يصح الانتفاع به في الاستعمال مثل كلمتي (جَزْمَة) و(عَرَبِيَّة) والى ما لا يصح مثل «ماطيش» وقال ان هذا القسم الاخير يرفض رفضاً باتاً وقد حذا حذوه في هذا التقسيم الاساتذة التالون :

(١٠) - الجابري «مجلد ٨ ص ٣٦١» (واما الألفاظ العامية فالمحرف والمصحف

منها والمشتق على غير قاعدة الاشتقاق العربي - لا ينبغي أن يرضى ) .

(١١) - كامل الغزي «مجلد ٨ ص ٤٨٠» قال ما حاصله ( اللفظ العامي المجهول

الاصل او الذي اصله اعجمي : ان كان له مرادف في اللغة أهمل والا استعمل . واما اللفظ العامي المحرف عن اصل عربي فانه يهمل ويستبدل به اصله العربي ) .

(١٢) - عيسى العلوف «مجلد ٩ ص ٣٥٥» العامي الفصيح من اصله ووضعه يبقى

على حالته . وغيره يرد الى اصله او يوضع له ما يناسبه ( عبارته هذه تزداد وضوحاً وتفسيراً بعبارته الاخرى الواردة في مقدمة الجواب وهي (اعتنيت بجمع اللغة العامية . . . ورددت ما لم يكن رده الى اصله ووضعت لما ليس له كلمة عامية فصيحية ما يقابله من الفصحى اه ) فراهبه اذن في الكلمة العامية ان تصحح وبقوم اعوجاجها . وان تعذر ذلك استبدل بها كلمة فصيحية .

(١٣) - سليمان ضاهر «مجلد ٩ ص ٤٨٤» ( هذا الصنف ممنوع البتة الا اذا كان

له اصل فصيح يمكن ارجاعه اليه ) .

(١٤) - نقولا فياض «مجلد ٨ ص ٥٦٠» لم يصرح برأيه بخصوص هذا الصنف

وانما قال (ان الالفاظ الشائمة الدخيلة لا بأس بها اذا لم نجد ما ينوب منها) وقوله هذا عممناه فجعلناه يشمل الصنفين السابقين (المولد) و(المعرب) وكذلك هو يشمل بظواهره الكلمات العامية فهي مقبولة عنده اذا لم يكن في اللغة ما ينوب منها) واذا ذلك نكون في حاجة اليها .

(١٥) - الكرمل «مجلد ٨ ص ١٠٢» ان الكلمات العامية تختلف في رأيه اختلاف

الادوية وعلينا ان نصنفها ونميز بينها كما يفعل الصيدلي في ادويته قال: (فالسام من الالفاظ هو العامي القبيح الذي يكون له مقابل فصيح - والمضر هو العامي المبتذل - والنافع هو العامي المولد الذي لاغنى لساعته ولاسيا اذا كان لغناه علاقة بالعلوم - والمفذي هو

العامي الفصيح الجامع لشروط الفصاحة والبلاغة اه) . فيفهم من هذا انه يقبل العامي بشرط ان لا يكون له مقابل فصيح وأن لا يكون مبتذلاً . أما العامي المبتذل أو الذي له مقابل فصيح فلا يجوز قبوله ولا تدوينه . واما العامي الفصيح فهو نعم المغذي والمنمي للفتنا .

(١٦) — رشيد بقدونس « مجلد ٩ ص ١٠٣ » ( في هذا الصنف تفصيل اجاد فيه من اجاب قبلي ) وقد عني الاستاذ بهم من ميز بين الكلمات العامية : فقبل بفضاً ورفض بفضاً . هذا وقد بقي من المحبين استاذان : ( الزهاوي ) و ( الرصافي ) وفي جوابها نعمة لم نسمعها من غيرهما .

(١٧) — الزهاوي « مجلد ٨ ص ٦٨٦ » واما هذا الصنف السابع فلا وجه لجمعه صنفاً على حدة يستغنى عنه في يوم صوت الجهل فيه اقوى من صوت العلم ) اه . ولم افهم ما اراده بعبارة . الاخيرة : هل اراد احتقار العامي كما احتقاره الاستاذ النكدي وانه اذا اراد الاعراب عن رأيه في احتقاره قام الجاهلون فرفعوا اصواتهم بالانتصار له — أو أنه على العكس يراه موضعاً للاهتمام والدرس وانه اذا اراد التصريح بقبوله قام الجاهلون فرفعوا عقيرتهم بالزراية عليه وانتقاصه . وبناءً على الفرض الثاني يكون رأي الزهاوي في العامي ك رأي الرصافي فاسمع ما قال :

(١٨) — الرصافي « مجلد ٨ ص ٣٣ » : ( الكلام على هذا الصنف لم يحن حينه بعد فلذا أمر به ساكتاً بلا جواب ) ثم قفى على ذلك بقوله ( ان مسألة اللغة العامية من اهم مسائلنا الحاضرة التي تستحق النظر والدرس والا فان الاعراض عنها ليس من الصواب .

\*\*\*

انتهت الاجوبة على الصنف السابع اعني الكلمات العامية وبانتهائها انتهت الاجوبة على الاصناف السبعة التي يتألف منها الاقتراح . وخلاصة ما اجابوا به على الكلمات العامية ان واحداً منهم وهو ( الاستاذ الرصافي ) توقف عن الحكم عليها وأعرب عن حسن الظن بها . وآخر وهو ( الاستاذ الزهاوي ) حجج القول في ذلك وهو في الراجع يريد ما اراده رصيفه وابن بلده . وثمانية منهم ميزوا بين هذه الكلمات العامية فقبلوا بعضها ورفضوا بعضها . والباقيون وهم ثمانية أطلقوا القول في رذلتها ومقتها وعدم قبول شفاعتها فيها .

\*\*\*





## شعوب سورية

وآثارها القديمة<sup>(١)</sup>



عنت الام منذ القديم بالفنون الجميلة وخاصة منها الصنائع وكان حظ كل أمة من هذا الشأن بحسب رقيها وحضارتها وكان الملوك والعظماء يجمعون آثار مشاهير فناني العالم ويتنافسون باقتنائها لا لغاية علمية بل للزينة والتفاخر ودام هذا حالم حتى النصف الثاني من القرن الثامن عشر ليلاد لما ظهر كتاب تاريخ الفن عند الأقدمين لمؤلفه (Winckelmann) الألماني وهو اول من وضع أسس هذا العلم الحديث علم الآثار القديمة ومنذ ذلك اليوم أصبحت المجموعات الأثرية مكتوبة يرجع اليها بعد ما كانت من جملة المتاع تزين بها القصور .

لم يقتصر التجدد في عصرنا هذا على العلوم والفنون فقط بل تعداه الى التاريخ ونهج المشتغلون به نهجاً جديداً . فقد كانت التاريخ فيما مضى كتاب أدب يجمع بين الاخبار والفكاهات وبدس فيه حوادث ما أنزل الله بها من سلطان رغبة في تأييد مبدأ او خدمة حاكم حتى أصبح الكثيرون يشكون بعمه ماورد في أكثر هذه الكتب ولطالما قرأنا روايتين أو أكثر لحادث واحد تختلف الواحدة عن الأخرى اختلافاً كبيراً حتى أصبح التاريخ القديم في ارتباك عظيم .

ان مؤرخي العرب هم اول من أدرك وبال هذا المنهج العقيم لما عانوه من المشاق في استنتاج الحقائق من المصادر التي دونها الأقدمون وحضوا الكتاب على أمانة النقل حرصاً

(١) المحاضرة التي القاها الامير جعفر الحسيني في ردهة المجمع العلمي في ٩ شباط

على الفائدة ولا إدراك الغاية التي وضع التاريخ من أجلها ، فليس هو مضماراً تنبأرى فيه قرائح الشعراء أو تخدم بواسطته الأهواء . ولذلك نرى مؤرخي العرب مثل الطبري والفرج وابن الأثير وابن خلدون وابن عساكر وغيرهم قد نهجوا منهجاً جديداً في تدوين الحوادث والأخبار حتى أصبحت مصنفاتهم من مفاخر الحضارة العربية لمامتازوا به من الضبط والدقة والصدق في إيراد الأخبار وباجتدادها واتصلت سلسلة تلك التواريخ العربية حتى يومنا هذا . وقد توسع علماء الزب بالضبط والدقة منذ ظهور الطباعة وانتشارها في العالم حتى انه لا يُقدم احدهم على سرد حادث دون ان يؤيده بأدلة راهنة او الإشارة الى المصادر والمآخذ مع تعيين الصفحة والسطر واذا لم يتوصل الى معرفة أمر أقر بهجوه بكل صراحة دون ان يرى بذلك ما يحبط من قدره ولا يستنكره عليه احد . ولما لم يجد علماء التاريخ في التأليف القديمة ما يفي بواجبهم وضافت بهم سبل الهداية لمعرفة الماضي عمد بعضهم الى بطن الارض يستنطقون دفانها ويستضيئون بقبس كنوزها . وأطلق على هذه الفئة اسم علماء الآثار لانهم يعتمدون على الآثار دون سواها .

ان علم الآثار القديمة فرع من فروع التاريخ ومن اصعبها مراساً اذ يحتاج صاحبه الى انتباه قوي وذوق سليم فان هذا العلم لا يقتصر فيه فقط على جمع الآثار القديمة في المتاحف ووصفها بل الصعوبة كل الصعوبة في حل رموزها وفهم كتبها واستجواب تلك الشهود الصامتة واستنتاج الحقائق منها وقد قال Volney ما ترجمته « ان مهمتنا أصعب من مهمة علماء الطبيعيات لأننا لا نستغل مثلهم باجرام ملموسة أو بحوادث واضحة للحواس بل نعمل كهيئة تحقيق لديها حوادث أدبية غائبة وربما كانت مختلفة نقلها اليها بعض شهود عيان أو اتصلت بهم أخبارها من الرواة ويتكلم هؤلاء المحدثون لغات مختلفة قد تلاشت فيتطلب منا تعلمها وهي العثرة الأولى في بدء الامر وقد نخطئ بترجمتها . ثم يجب علينا البحث عن الحوادث أو الوقائع المبعثرة التي تؤيدها وتكون هذه غالباً محرفة بتناقضها من ثم الى ثم ويتطلب منا بعده مماثلة هذه الروايات والتثبت من أخلاق محدثيها وصدق تحقيقهم ويكون التناقض في بعض الحوادث واضحاً فينشأ عنه صعوبات لا يخرج منها اه ) .

وقد أصبح النظر اليوم في أبحاث علماء الآثار وتحميقاتهم من الواجب على كل مؤرخ ومحقق كما يستنير بها كل لغوي ومفسر . فكلم معضلة تاريخية ولغوية حسمت بفضل هذا

العلم . وكم من حوادث جاءت في كتب السلف بل وفي الكتب المنزلة فذهب الناس في تأويلها وشك بعضهم في صحتها ولولا علم الآثار الذي أمارت عنها اللثام وأظهرها للعيان ملموسة محسوسة لقالوا عنها أساطير الاولين . أليس آشور والكلدان ومصر وفارس ويونان شهود عدل على جهود الذين اكتشفوا آثار تلك البلاد وبعثوا ذكرهم بمدان كانوا نسياً منسياً الوقاً من السنين . .

لم يدوتن الأقدمون غير النذر اليسير الذي وصلهم من أخبار الشعوب القديمة وأغفلوا ذكر أكثر الأمم البائدة التي ذهبت أخبارهم بزوال أصحابها ولو اكتفينا بهذه النصوص المشوهة لما كنا أوفر حظاً ممن تقدمنا بمعرفة أخبار السلف . وبفضل هذا العلم نعرف اليوم أكثر أخبار هذه الأمم كما نعرف حوادث الأمم في القرون الوسطى . وقد توصلوا الى معرفة ما كان عليه الانسان قبل عشرات الالوف من السنين يوم كانت الارض وطاءه وأديم السماء غطاءه بقتات بالنبات وبفترس الوحوش مع اننا نجعل اليوم ونحن في القرن العشرين كثيراً من عقائد بعض الشعوب المعاصرة وعاداتها من تقطن مجاهل إفريقية وسواها من القارات الخمس ، ومن الانصاف ان لا ننكر فضل من نقلوا اليها أخبار السلف لان هذا الشيء اليسير هو الذي أثار في فئمة من الناس حب الاستطلاع فدفعهم في هذا السبيل . وكانت هذه النصوص على علامتها نوراً يستضاء به ومرجعاً يستأنس به . وعلامة الآثار أصدق الناس في هذه الروايات وان كان لا ينكرون وقوعها فهم لا يجهزون بصحتها الا متى عثروا على دليل من ذلك العصر يؤيدها . ولأبحاث طلاء الآثار ميزة جدية بالاعتبار فهي في أكثر الأحيان تكون منزهة عن الأغراض والغايات والأهواء . وقد يخطئ الأثري في استنتاجه ولكنه لا يعتمد تشويه الحقائق لان همه الوحيد ان يجيب الماضي البعيد ويجعل المعاصرين كأنهم يعيشون في ذلك العصر وذلك المحيط . ومن منا لا يشعر بمثل هذا الشعور عندما يزور متحفاً أو معبداً أو اطلاقاً قديماً . وكيف يمكنه ان ينكر الحقيقة ولسان حال هاته الأمم البائدة تقول :

ان آثارنا تدل علينا فانظروا بمدنا الى الآثار

لقد هذا العلم الحديث اقبالاً عظيماً في بلاد الغرب فنبتت حكوماتها به وأرصدت للمتغلبين به أموالاً طائلة ، وأنشأت له المدارس والجامع العلمية أسوة ببقية العلوم وقد

أبدت هذه الفئة فئة الاثريين رغم قلة عددها نشاطاً عظيماً ووضعت في مدة قصيرة كثيراً من المؤلفات القيمة المفيدة وأحيت كثيراً من اللغات القديمة المتدثرة وحلت رموزها . وقد نال الشام قسطاً وافراً من هذه الأبحاث فهي اول بقعة اتجهت نحوها الانظار وخصوصاً فلسطين لمكانة الشعوب التي استوطنتها منذ الزمن الأطول وأهمها الشعب الاسرائيلي وعلاقة الامم الغربية بكتابهم المقدس . فقد أوفدت أكثر حكومات الغرب بعثات علمية للتنقيب عن آثار سورية واول بعثة رسمية وطئت بلاد الشام هي البعثة الافرنسية التي رافقت الحملة الافرنسية في سنة ١٨٦٠ .

يقسم التاريخ القديم في سورية كما في غيرها من البلدان الى عهدين واضحين الاول عهد ما قبل التاريخ والثاني العهد التاريخي .

فالعهد الاول هو عصر الطران او الطور الحجري ويقسم الى قسمين احدهما حقبة الحجر المصقول ( Paléolithique ) والآخر حقبة الحجر المصقول ( Néolithique ) وهو احدث من القسم الاول وتختلف مدة هذا العهد بحسب الامكنة . وليس هذا العهد تاريخ حياة البشرية بل هي مرحلة من تقدم الجماعات الفكرية والمادي وقد اختلف العلماء بتحديد اقدم تاريخ لهذا العهد فمنهم من يقول من (١٠٠٠ الى ٢٠٠٠٠٠) سنة ومنهم من يقول من (٦ الى ٨٠٠٠) سنة . تعتمد الفئة الأولى على تكوين طبقات الارض والهواء وتعتمد الثانية على نظريات دينية تأييداً لما جاء في التوراة عن تاريخ الخلق فلا يمكننا ان نهمل نظريات علم طبقات الارض وقد ثبت ان طبقة الارض كانت منذ مئات الوف من السنين صالحة لحياة البشر كما انه لا يمكننا الا للتسليم بما جاء في الكتب المنزلة . ( وهنا يبدأ دور علم الآثار عسى ان يوفق بين النظريتين والعلم لا ينافي الدين ) .

لقد ثبت حتى الآن ان الانسان لم يكن منتشراً في أكثر انحاء الارض كما هو اليوم لأنها لم تكن جميعها صالحة لسكنى الانسان الاول فكان يكسو الجليد المرتفعات وتغمر المياه السهول ما خلا بعض السواحل والمضاب في القارات الخمس حيث أوى اليها الانسان . منها سيبيريا والقفقاس وجزيرة العرب فكانت تمتاز هذه الاصقاع عن غيرها باعتدال هوائها وخصب ارضها ووفرة دواجنها وكانت سيبيريا والقفقاس مأهولتين بمجماعات الآريين وجزيرة العرب بمجماعات الساميين ودام هذا الحال حتى طرأ على الارض بعض

الطواريء الجوية فتقدم الجليد من شمال أوروبا حتى جنوبها فاشتد البرد وكثرت الامطار وارتفعت المياه فغمر الطوفان معظم السهول فهلك خلق كثير من البشر فتفرق من بقي من هذه الجماعات فراراً من الموت تلتس ارضاً بقيها من الخطر فنزح قسم من سكان سيبريا والقفقاس نحو الجنوب فوصل جماعات منهم الى سورية وكانت سهول سورية يومئذ مغمورة بالماء الا قليلاً منها وبقيت سورية زمناً طويلاً مأهولة بجماعات الآريين ثم حدث في اثناء اقامتهم بعض الزلازل وتقلص في القشرة الارضية . فجاءت هذه النعمة نعمة على سورية اذ انشقت الجبال وانفتحت الوديان ففسرت منها المياه للبحار واتخذت الأنهر لها مجاري ثابتة فجفت الارض واصبحت سورية قابلة للسكنى .

وقد وصلتنا اخبار هؤلاء القوم من آثارهم التي خلفوها لنا في الكهوف التي سكنوها ومما اودعوه من مصنوعاتهم قبور موتاهم . وثبت أن اشكال ذلك الانسان الصياد لا تختلف عن انسان اليوم وهذا يبطل ما علق في بعض الاذهان من أن الانسان القديم يفوقنا بكبر جسده مع انه كان معتدل القامة يسكن الكهوف الطبيعية ولبس الجلود ويقتات من النبات والصيد فبقي زمناً طويلاً يجمل المعادن . واحتياجاته محدودة جداً لا تتعدى قطع الطران والصوان التي تشبه رؤوس الحراب والسكاكين والمناشير والفؤوس كان يستعملها للدفاع عن نفسه وللصيد ثم تدرج في الرقي فتعاقب على الحجر فصار يصقله ثم استخدم العظم فنقشه ثم اكتشف صنع الخزف وهو اول ابتكار صناعي عرفه الانسان . وتشبه قبور هؤلاء القوم وصناعاتهم صناعات معاصريهم او اسلافهم في غيرها من البلدان في القارات الخمس وهذا ما يؤيد هجرة الانسان وتنقل هؤلاء الجماعات عقب الطواريء التي فاجت الارض وغيرت اوضاعها الجغرافية . وقد حلت في جزيرة العرب طواريء طبيعية عقب التي حلت في سورية يزمن طويل قاسى اهلها الشدائد من جدد الارض وقلة الامطار فنزحت جماعات الساميين نحو الشمال لأنه المنفذ الوحيد لهم اذ البحار تكثفها من جهاتها الثلاث فساكوا سواحل خليج فارس حتى نزلوا العراق . ثم توغلوا في شمال سورية ثم في جنوبها حتى وصلوا الى بلاد الحبشة . وقد تغلبت جماعات الساميين في برهة التي سنة على جميع سكان تلك البلاد حتى اصبحت سامية اللغة كما عرفها التاريخ . ونشأ من مزيج هذين العنصرين عهد جديد يمتاز برفيه ومدنيته . وتفرق هذا المزيج

بطول الزمن الى شيمع وشعوب عرفنا منهم منذ الالف الثالثة قبل الميلاد الآشوريين والبابليين في العراق والكنعانيين في فلسطين والاراميين في سورية الداخلية والفينيقيين في سواحل لبنان والعرب في جزيرة العرب فاصبح لكل منهم حضارة ولغة يتنازعون بينهم السيادة رغم انهم يتنون جميعاً الى ارومة واصل واحد .

وما هجرة بني اسرائيل من صحراء التيه الى فلسطين وغزوات العرب في صدر الاسلام للبلاد الدانية والقاصية سوى مثال قريب العهد لتلك الموجات البشرية التي غشيت البلاد . ولم ينس هؤلاء الشعوب رغم تقادم العهد على استيطانهم هذه البلاد انهم دخلوا . فيؤكد المؤرخون الاقدمون أن الفينيقيين جاؤا من جزيرة العرب وروى (هردوتس) Herodote المؤرخ اليوناني في القرن الخامس قبل الميلاد أنهم التحدروا اليها من سواحل البحر الاحمر ويقول استرابون (Strabon) إن أصلهم من خليج فارس كما كانوا يدعون . وكذلك يتذكر الكنعانيون نزوحهم من مدينة اور من بلاد آشور في سني الالفين قبل الميلاد . وان تكن هذه الشواهد حديثة العهد بالنسبة للحوادث التي سردناها غير انها تشير بوضوح الى اتصال أخبار السلف بالخلف والشعوب السامية اكثر الشعوب تمسكاً بانسابها وحفظ أخبارها ، وقد يرهن العلم الحديث على فائدة هذه الروايات لاستنتاج الحقائق منها وهكذا وصل اليها غيرها من الأخبار . اذكر منها روايتي الطوفان وسيل العرم . فقد عثروا في خرائب نيبور من بلاد آشور على وثيقة تاريخها من نحو (٢٢٠٠) سنة قبل الميلاد اي قبل هجرة ابراهيم عليه السلام بمئتي سنة وفيها وصف لطوفان اتصل بهم خبره وخلاصته : انه كان « انكي » ( Enki ) آله الماء وزوجته نينلا ( Ninella ) يحكان البشر والسعادة سائدة في العالم والانسان يأمن من الموت والأمراض والآفات فنقم انكي ( Enki ) على عباده لمخالفتهم تعاليمه وعزم على ابادتهم بطوفان فدعى احد عباده الصالحين واسمه اوتو ( Uttu ) وأمر اليه بالأمر وطلب منه ان يغجو بنفسه على سفينة وهكذا كان الأمر فهلك جميع البشر الا صاحبه اوتو ( Uttu ) فتنازل منه البشر ثانية ولكنه حرم البشر السعادة التي كانوا يتمتعون بها من قبل وقدر على الانسان ان يسعى ليعيش وعرضه للأمراض واخطار الفناء . وهكذا خرج الانسان بذنبه من النعم الى الجحيم ، وما أشبه هذه الرواية بطوفان سيدنا نوح . وقد اتصل بسكان جزيرة العرب حادث آخر وهو سيل العرم وليس

هذا السيل الا احدي الكوارث الآتفة الذكر لأنه لا يُعقل ان يكون في بلاد سبأ سدٌ يجمع هذا المقدار من الماء وخصوصاً مياه جزيرة العرب قليلة شحيحة . والأرجح ان العوامل التي دحرت الانسان القديم من الشمال الى الجنوب هي نفسها التي أرغمت جماعات جزيرة العرب على ان يهجروا بلادهم الى الشمال . وما سبيل العرم الا طوفان حصل لما اشتدت حرارة الهواء في العصور القديمة فأذابت الثلوج المتركة منذ ألوف السنين في قم جبال جزيرة العرب ومرتفعاتها فهكذا كان سيل العرم في بلاد سبأ فتفرق سكانها في كل البلاد أبدي سبأ .

وقد دامت هذه الحوادث التي استعرضناها في اسطر عشرات الالوف من السنين كان يتدرج الانسان خلالها نحو الرقي وساعده على ذلك استقرار حالة الارض الطبيعية في الالف العاشرة فتأثر على خطة الابتكار والعمل اتباعاً لسنة تنازع البقاء فتوفرت لديه المعدات وجعل لنفسه مسكناً ونسج ملابسه واستخدم الحيوان واستثمر الارض أصبح صائماً وفنائاً وفلاحاً بعد ان كانت الوقا من السنين منشرداً صياداً فالتقل في آخر العهد الحجري من البداوة الى الحضارة فصار قسم منهم يتعهد الارض وقسم بعثني بتريسة المواشي وهكذا تكون صفات من البشر بدو وحضر . رعاة ينتقلون بمواشيهم من بقعة الى بقعة اريثاداً للماء واتجاعاً للكلا . وفلاحون يقيمون بزارعهم يعملون في الارض ويستغلونها .

وقد ايقنت لنا جماعات عصور قبل التاريخ كثيراً من آثارهم في سورية وجدت في الكهوف التي كانوا يأوون اليها او في قبور موتاهم ويمكن منها تتبع رقي الانسان وتدرجه في الحضارة . ونيست هذه الآثار تماثيل ونقوشاً او اواني نقيسة . بل هي شظايا من الطران والصوان الخموت والمصقول او عظام حيوانات زينتها ابدي الصانع او خزف بسيط وقبور تلك الشعوب البائدة وهذه الآثار كانت صنعتها تقمن كلما اقترب الانسان من العهد التاريخي . ورغم قلة المشتغلين من العلماء بعصر قبل التاريخ في سورية فقد اهتموا الى اماكن عديدة وجد فيها من آثار ذاك الانسان في عدلون . ونهر ابراهيم . وانطلياس . ونهر بيروت . وطرابلس . ونبع نهر الكلب والماملتين . وتبنة . والبقعة . وتمناك . ومجدو . والكرمل . واذرعات . وجرش . وعمان . والسكرك . ووادي موسى .

والقدس . وفي الفلاة الممتدة من جبرود حتى دير الزور وفي كثير من الاماكن في سورية الشمالية .

وطال امد العهد الحجري في سورية اكثر منه في مصر والعراق ولهذين القطرين فضل كبير في تحضير جماعات سورية والعالم اجمع . فقد شيئا بين سنة ( ٤٠٠٠ و ٣٠٠٠ ) قبل الميلاد عمراً عظيماً الشأن بينما كانت سورية وبقية العالم تقبض في ظلمات الجهل والامية وقد ارتقت سورية الى مصافها في الالف الثالثة قبل الميلاد لما تقوى عليها العراق وحمل اليها معارفه ومكتشفاته واهمها المعادن والكتابة . والعصر التاريخي ينتهي في كل امة من يوم وقوف اهله على الكتابة لتسجيل اخبارهم وتدوين وقائع عصرهم . وقد دفعت سورية ثمناً باهظاً لحصولها على حضارة عاوريها وهذا الثمن هو حرمانها استقلال جماعاتها . فبذلك التاريخ وسورية تنتقل من يد مسيطر الى آخر حتى يومنا هذا . وكأف موقع سورية الجغرافية وخصب ارضها وكثرة غاباتها هو سبب بلانها فهي حلقة الاتصال بين الغرب والشرق ومنفذ لكليهما . فمنها كانت تستورد مصر والعراق مايعوزهما من الخشب لبناء دورهم وصنع عمارتهم الحجرية .

وكانت سورية في أكثر ادوارها التاريخية ساحة حرب يتنازعاها العراق ومصر ويطمع بها الحثيون واليونان والفرس والرومان كما جاءها العرب والترك من بعد . وقد ترك كل من هذه الشعوب اثرأ من حضارتهم وعوائلهم . ولا يمكن معرفة تاريخ سورية الا بالرجوع الى وثائق تلك الشعوب ورفقها وقد امتزج تاريخ سورية بتاريخ هذه الشعوب ولا يمكن عزله عنه لملاقته بحوادث الامم التي كانت تدين لسلطانها . ولذلك نرى في سورية مدينة ظاهرها مزيج من مجموع حضارات مختلفة بتعذر لأول وهلة تمييز بعضها عن بعض وتتبع سير تطورها . ومع ان هذا الدور يدعى بالعهد التاريخي فهو بالحقيقة اعقد مما سبقه من الادوار على كثرة المصادر والوثائق . وقد اصبح في سورية من جراء هذه التجزئة والمنازعات السياسية دويلات مختلفة بلغاتها وعوائلها وعقائدها اهمهم الكنعانيون والاراميون والعموريون والفينيقيون وكثير غيرهم من طوائف حدود سورية الشرقية والجنوبية . وقد خضعت هذه الدويلات لسلطة الآشوريين والبابليين والمصريين والحثيين وفارس واليونان والرومان . وكانت دمشق أقوى ممالك الاراميين . ويتعذر على المؤرخ ان يسرد حوادث



كل من هذه الأدوار لو لم يُسعفه الأثري ويرشده في هذا المسلك الوعر .  
 وحوالي سنة (٢٠٠٠ ق م . ٠) كانت هؤلاء الساميون بلغوا درجة من الحضارة  
 لا يستهان بها . معظمها مستمد من مصر وبابل . وقد شغف الفينيقيون بحب البحر ومهروا  
 بعلم الملاحة حتى سيطروا على البحار والأسواق التجارية في جميع سواحل البحر المتوسط  
 فحملوا سلمهم وتعاليم الحضارة الشرقية الى أقصى بلاد افريقيا الشمالية واسبانية وجنوبي  
 فرنسا وجزر صقلية وقبرص وكريت وقد استوطن هذه البلاد جماعات من الفينيقيين وأسسوا  
 فيها حكومات كان لها شأن عظيم في التاريخ .

ولم يبق لنا الزمن الا النذر اليسير من آثار شعوب سورية السامية في العصور القديمة  
 لأن اسلافنا كانوا يبنون بيوتهم وهياكلهم من الطوب الخفيف بالشمس كما هو الحال حتى  
 اليوم في بعض المدن والقرى السورية ولا يخفى ان هذا النوع من البناء لا يعمر طويلاً  
 فتضار البيوت يرتتها فيعمد أصحابها الى بناء غيرها على أنقاضها وجرى الناس على هذا  
 الأسلوب من البناء قرونًا متوالية تكونت منها تلال اصطناعية وهذه التلال تُعد بالآلاف  
 في سورية : كتل أريحا في فلسطين وتل الصالحية في الغوطة وتل الدرخبية في وادي الحشم  
 وتل النبي مندو وتل المشرفة بجوار حمص وتل جرابلس على الفرات وقد حفظت لنا الأيام  
 في بطن هذه التلال والقبور كثيراً من الآثار التاريخية المهمة ، وقد عثر المنقبون على كثير  
 من تواريخ الأسر والرسائل والصكوك والحسابات والمذكرات وغيرها من الرق ووجدوا  
 ايضاً كثيراً من الأثاث والأواني الجميلة المزخرفة والرسوم المنقوشة . واما البنايات الأثرية  
 القديمة مثل بعلبك وجرش وتدمر وغيرها فهي من العهد الروماني فقط ولكنها شيدت على  
 أنقاض هياكل ومدن أقدم منها عهداً .

ولقد تبين من الحفريات التي أُجريت في سورية ومن الآثار التي اكتشفت فيها —  
 ان آثارها تختلف عما وجد في البلاد المجاورة لها ولا يرجح ان نثر في هذه البلاد على آثار  
 تُشير بجساعتها إعجاب العامة قبل الخاصة كما هو شأن آثار مصر وأشور والفرس .  
 والسذاجة في الصناعات تغلب على السوريين منذ القديم ؛ هذا ناشئ لا عن طبائعهم ومعتقداتهم  
 فالسوري في جميع أدواره التاريخية يميل الى الساذج وهذا يظهر في صناعاته وفلسفته الدينية  
 وتغلب في هذه البساطة مواهب السوري الفنية فقد جمع بين الساذج والجميل فأحسن الصنع

وأبدع . ونقل الآثار المنقولة النفيسة التي اكتشفت في سورية بالنسبة الى ما وجد في غيرها من البلدان المتجاورة . وهذا القليل يشهد ببراعة الصانع السوري وذوقه السليم وهو ذو مكانة بين أقرانه من فناني بقية الشعوب . وليس معنى قلة العاديات عدم انتشارها في البلاد بل لانها لم تتصل اليها لاسباب وعوامل شتى . اولاً : لأن اكثر تربة سورية رطبة لا تحفظ ما يودع فيها . وثانياً : لأن السوريين قلما يودعون مدافن موتاهم فنانهم كما هو شأن المصريين وغيرهم من الأمم القديمة بل يكتفون بالاشياء البسيطة كقوارير الشبه أو الخزف وشي من أدوات الزينة من الفضة أو النحاس أو الذهب أو قطع سلاح واذا أضفنا الى خلو القبور من الأعلاق ما قد كتبه اشمو نزار ملك صيدا على تابوته مخاطباً به نباشي القبور ناصحاً لم بان لا يهتكوا حرمة مؤكداً أن لاذهب في قبره ولافضة — تدركون سرّ ندرتها بين أيدينا فاذا كان هذا حال ملوكهم فما بالكم بالرعية . وخلو القبور منها هو حجة سورية لا عليها ودليل على سمو عقيدة سكانها ونفج فكرتهم منذ القديم . لأن السوري كبقية الشعوب السامية يغلب عليه الاعتقاد بان الجسم مادة تتلاشى مع الزمن ليست جديرة بالاكرام الذي يبالح به غيرهم من الشعوب ومع هذا فقد انتشرت في سورية عادة وضع بعض الاشياء في القبور وذلك بمؤثرات خارجية واقتباس عادات الغالب لأن سورية كانت في أكثر أودار تاريخها خاضعة لسلطان أجنبي كما ذكرنا آنفاً .

سورية مهد ثلاث ديانات يدين بها اليوم معظم البشر وهذه الديانات لم تكن ابنة ساعتها بل هنالك عوامل مهدت لها السبل مدة قرون عديدة قبل ظهورها وبهم العا لم أن يعرف تطورها قبل نشوئها وهذا ما يزيد في مكانة آثار سورية ويجعل اقبال العلماء عليها اكثر من سواها لعلاقتها الكبيرة بنظامنا الاجتماعي الحاضر . وقد أدركت جمعية الامم هذا الامر واحتاطت له خوفاً من المزاحمة او استئثار دولة بهذه الآثار دون سواها . ولذلك اشترطت في المادة الرابعة عشرة من صك الانتداب ان يكون النظام الذي سيوضع لحماية العاديات مستمداً بروحه مما يدعو الى التنشيط اكثر منه الى التثبيط كما انها اشترطت على الحكومة المنتدبة عند منحها إجازات بالحفر ان لا تصرف بشكل يرمي الى حرمان علماء أي شعب كان من تلك الإجازات دون أسباب موجبة .

آثار سورية ٠ - ان معظم البنايات الاثرية التي نعرفها اليوم ويؤمها الزائرون من جميع أنحاء العالم مثل بعلبك وتدمر وجرش وبصرى الشام ومادبا هي حديثة العهد بالنسبة لقدم حضارة سورية ويغلب عليها تأثير الفن اليوناني والروماني والبيزنطي وقد ثبتت هذه البنايات على طواري الايام لان بناءها من الحجر الصلب المنحوت بخلاف البنايات التي قبلها فقد درست لانها كانت من الطوب المحفف وهذه البنايات هي معابد وهياكل ومدن لها شهرة عالمية لانها بالحقيقة احدى معجزات الفن المعماري وهي في غنى عن كل وصف وقد برع السوريون بالبناء وكانت روما تستدعيهم لتشييد بناياتها العامة .

وفي سورية بقايا بنايات اثرية لها أهمية تاريخية عظيمة منها منيج من أفضية حلب وقد أطلق عليها اليونان اسم ( Hierapolis ) نسبة لأبراه ( Aera ) المعبود الأشوري وجاء اسمها ( Mappigu ) في الوثائق الاشورية وفي هذه البلدة أقدم معبد سوري وكانت هذه المدينة مقدسة يقصدها الحجاج من جميع أنحاء سورية وقد كتب لوسيانوس المؤرخ الاشوري الاصل كتاباً في هذا المعبد وطقوسه الدينية وشعائره وحكاية بنائه وأسبابها ونسب بناءه الى ( Stratonice ) زوج ملك آشور . كما انه عقد في كتابه فصلاً في قدم مدينة جبيل الواقعة على طريق بيروت - طرابلس ووصف عبادة اهلها لأودونيس آله الانتاج وقد أبدت الحفريات الأخيرة قدم هذه المدينة فقد عثروا فيها على معبد قدم وجدوا تحت بلاطه عدداً من الاواني والادوات زبر على بعضها اسم الفرعون ( Mycerenus ) من السلالة الرابعة وباني احد اهرام مصر الكبيرة بين سنة ( ٢٩٠٠ و ٢٧٥٠ ) قبل الميلاد واسم الفرعون ( Ounas ) من السلالة الخامسة واسم ( Pepi II ) الثاني من السلالة السادسة ووجدوا ايضاً غيرها من الادوات المصرية أحدث عهداً من الاولى وهذا يؤيد علاقة مصر بالفينيقيين قديماً وكان المصريون يطلقون اسم ( Keben ) على مدينة جبيل حتى في عهد السلالة الثانية عشرة وذكُرَت بهذا الاسم في الرق المصرية منذ سنة ( ٣٠٠٠ ) قبل الميلاد وكان المصريون يستوردون من جبيل الخشب اللبثاني لصنع سفنهم وربما كانوا يصنعونها في نفس مدينة جبيل وقد أطلق المصريون اسم ( Kebenit ) على اسطولهم الفخم نسبة الى ( Keben ) وهي جبيل كما ذكرنا . وقد عثروا ايضاً على بعض مدائن ملوك جبيل وأسمائها منهم أهرام المتوفى في القرن الثالث عشر قبل الميلاد وقد نقش على جوانبه

صورة الملك يتناول القرابين من أتباعه وبعض الشعائر الدينية وهو قائم على أربعة أسود ومما يزيد في شأن هذا الأثر الكتابة الفينيقية التي زُبرت عليه وهي أندم كتابة أمجدية عرفت حتى اليوم وهذه ترجمتها «عمل هذا الإيران (أي التابوت) إرفسنبل بن أحرام ملك جبيل لآبيه كي يكون مقره الأبدى فاذا ناصب ملك من الملوك أو حاكم من الحكام العداء لجبيل وأخرج هذا الحساب من تحت البلاط فيكون خاتور خصمه فيدك عرش ملكه وبعم الخراب جبيلاً فبما إذا محاذ هذه الكتابة . . . . .) وآثار جبيل هي أم ماعثر عليه حتى اليوم في سورية من الوجهتين الفنية والعملية ويحق لتحف بيروت أن يفاخر بها .

ومن اعجب ما ذكره لسيانوس المؤرخ عن عبادة أهل جبيل لأدونيس أنهم كانوا يزعمون أن أدونيس هذا خرج للصيد في جبال لبنان فوثب عليه خنزير واقترسه عند نهر نهر إبراهيم حيث نرى إلى الآن نقوشاً ورسوماً تشير إلى هذا الحادث وقد اطلقوا على هذا النهر اسم أدونيس تحليداً لذكر معبودهم . ولكن موت أدونيس لم يكن ابدياً بل كان يموت في فصل الخريف من كل سنة ويبعث في ربيعها وكانوا يقيمون في ربيع كل سنة مأتماً عليه تلبس نساؤهم ثياب الحداد ويجلن في شوارع جبيل باكيات بضميرن صدورهن ويشققن جيوبهن حزناً عليه ولكن في اليوم الثاني ينقلب الترح فرحاً إذ بُعث أدونيس ويرتفع إلى السماء فتقام في المدينة معالم الزينة والسرور فيحاق النساء شعور رؤسهن ومن لا تقدم على هذه التضحية تكفر عن سيئتها بإباحة جمالها لكل طالب طول هذا اليوم ويخصص ربيع هذا العمل الشائن لأعمال البر والتقوى ولم يكن هذا العمل الفظيع يستنكر عندهم بل اللواتي يقدمن عليه ينلن حظوة كبيرة لدى مواطنيهم . وكان الفينيقيون يعدون أعمال العبادة والفجور أعمال نيمين يتقربون بها إلى آرباهم . وقد عثر المنقبون على عدد من الكهوف التي كانت تجري بها مثل هذه المخازي في بلاد فينيقية . ومن الأعمال التي كانت تقسم لها الجلود عادة تقديم الضحايا البشرية فكان كل منهم يقدم ابنه البكر ضحية لآرباهم ليحصل على بركاتهم أو دفعاً لخطر داهم وهذه العادة الفظيعة قديمة جداً في سورية وقد دامت حتى العهد الروماني . وبنو إسرائيل هم أول من استفظع هذا الأمر وحرموه واستعاضوا عنه بالختان وهو فداء الكل بالجزء .

وفي دمشق اثر لا يقل مكانة عن غيره وهو الهيكل بالأمس او جامع بني أمية اليوم .

ونرى كثيراً من الكنائس والجوامع شيئت على انقاض هياكل ومعابد قديمة . وتبدأ أقدم معلوماتنا عن هذا الهيكل من القرن العاشر قبل الميلاد الى العهد الذي تلاشت فيه الوثنية من هذه البلاد وكان - يعبد فيه الآله ( Hadad ) او ( Ramman ) ورفيقته ( Atargatis ) . وحداد هذا عند الاراميين بمنزلة ( Jupiter ) و ( Zeus ) عند اليونان والرومان وقد ورد ذكر هذا المعبد مرتين في التوراة في حديثه عن شفاء نعان وكانت شهرة هيكل دمشق عاصمة مملكة ارام عظيمة جداً حتى ان اخاز ( Achazi ) ملك بني اسرائيل لما جاء الى دمشق للسلام على ( Tiglat Pileser ) ملك اشور دهش من معبدها واخذ مقياس مذبحها لكي يبني مثله في بيت المقدس ويميكل دمشق هو في سوربة الوحيد الذي احتفظ بهندسته القديمة رغم الطواري التي نزلت به والابدي التي تعاقبت عليه وتقسم جميع المعابد السامية السورية الى قسمين: الحرم وهو مختص بالكهنة ولا يقصد الا في ايام الزيارات والقسم الخارجي وهو مباح للعوام . ونرى هذين القسمين واضحين حتى اليوم في هيكل دمشق والحرم هو المسجد الآن والقسم الخارجي هو السور الذي يحيط به ونرى احد ابوابه عند مدخل باب البريد واقدم آثار الهيكل جدران المسجد الخارجية الغربية والشامية وهي على طراز بناء الجدر المصرية القديمة وقد تحول هذا الهيكل الى كنيسة في عهد ( Théodose ) في سنة ( ٣٢٩ - ٣٩٥ ) للميلاد وبقي كذلك حتى الفتح الاسلامي .

وقد كشفت الحفريات آثار قيمة في تل النبي مندو وهي قديش القديمة احد حصون الحثيين وثبت هذا الحصن طويلاً أمام هجمات المصريين حتى استولى عليه الفرعون سيتي الاول في القرن الثالث عشر قبل الميلاد ودك حصونه وقد خلد انتصاره بنصب محفوظ في متحفنا نقش عليه رسم الفرعون يتناول القرابين من اربابه وارباب الحثيين المغلوبين . وقد عثر الكونت ( De Mesnil ) منذ سنوات على مدينة أطنأ القديمة في تل المشرفة قرب حصن وهذه المدينة كانت زاهرة في القديم فعثر فيها على قبور ملوكها ووجد فيها آثار لما شأنه تاريخي عظيم يرجع معظمها الى النصف الاول من الالف الثانية قبل الميلاد . وفي شمال سوربة كثير من المدن التي سكنها الحثيون زمنًا طويلاً وسيكون لآثار هذا الشعب المجهول مكانة عظيمة متى حلت رموز رقه وفهمت لغته .

لا يمكننا في ساعة واحدة الا التلميح الى آثار سورية اذ كل أثر منها يستغرق ساعات . وقد سبقنا الغربيون وكتبوا المجلدات عنها فاليهم يرجع الفضل بمكشف هذا الماضي المجيد . وآثار سورية هي أحق بعناية أبنائها فتعود علينا بفوائد مادية وأدبية لا تقدر .

جعفر الحسيني

## حول كتاب الفكر السامي

« وصدور جزء به الثالث والرابع »

— — —

مصنف هذا الكتاب هو الملامة سيدي محمد الحجوي الثعالبي وزير معارف المغرب الأقصى ومدرس العلوم العالية في جامع القرويين بفاس وأحد أعضاء مجعنا العلمي . وقد كنا قرظنا الجزءين الأول والثاني من هذا الكتاب في مجلد السنة التاسعة (ص ٥٠٦) .

وقلنا ان المصنف بنى كتابه على اربعة ارباع أو أجزاء :

- (١) طور طفولة الفقه الاسلامي من بمشة النبي (ص) الى حين وفاته .
- (٢) طور شبابه من عهد الخلفاء الراشدين الى آخر القرن الثاني .
- (٣) طور كهولته الى آخر القرن الرابع .
- (٤) طور شيخوخته وهرمه الى يوم الناس هذا .

وطريقة المؤلف في تأليفه انه يترجم للعلماء والفقهاء من أبة فرقة كانوا بعد ان يأتي على مقدمة يذكر فيها نموذجاً من تاريخ فرقهم ومختلف مقالاتهم ثم يستخرج من ثنايا التراجم تدرج الفقه وتطورته وتواتر احكامه وتشعب مسائله شيئاً الى العجيب من أخبار الفقهاء ورجال الفرق قارناً كل خبر بما يلائمه من المواعظ والعبء وما يجيب من الانتباه والحذر . على هذا جرى في الربعين او الجزءين الأولين . وعليه جرى في الجزءين الأخيرين (الثالث والرابع) . فالثالث في ٥٦ اصفحة وهو يتضمن وصف كهولة الفقه في القرنين الثالث والرابع والعبواض التي طرأت عليه فيها . والمصنف — مع كونه مالكي المذهب — لم يعقيد بمذهبه ولا بعلماء فقهه بل عم القول وأفاض في الكلام على جميع رجال المذاهب والفرق

الاسلامية كما قلنا . فكان كتابه اشبه بمعملة فقهية يصح الرجوع اليها في كل ما يتعلق بهذا الموضوع ومن ثم كانت خليقاً باقبال الفضلاء عليه والاستضافة بنوره . وقد اذقد المصنف في هذا الجزء بعض فقهاء المذاهب الذين يرون نصوص أئمتهم أجدر بالاعتبار والأخذ من نصوص الشارع !!! ولعل الأئمة رضي الله عنهم كانوا يحذرون أمثال هذا الغلو ففكر هو ان يكتب عنهم شيء من أقوالهم لأنه اذا كتب ومرت عليه السنون تحجز وتقدس . وما ذكره في هذا الجزء ان تدخل الخلاف بين الدين والفلسفة أضرهما معاً . ولو بقيت العلوم الدينية تسير في طريقها من دون ان تصطدم بالفلسفة لأزهرت الفلسفة وأثمرت الثمرات التي اجنتها أوروبا . ومثل ذلك ( القياس ) فان الفقهاء لو لم يقاوموه ويشنعوا على أنصاره لأفاد جدأ في الترفيات العصرية . ومن مباحثه الممتعة: هل ان نصوص الشريعة وافية بما يلزم للبشر من الأحكام ؟ وهذا البحث والذي قبله وغيرهما من المباحث الكثيرة من أقوى العوامل في نشاط العقول وجعل الفقه الاسلامي ثمرآ . لكن المصنف احياناً تغلب عليه طبيعة البيئة فيرى آراء لا تقوى على التخصيص مثل ما في ص ٣٥ من استدلاله برؤيا رآها على أن الله في كل مسألة حكماً شرعياً . وله في الصوفية والتصوف وكل ما له علاقة بهذا الموضوع كلام ونقول متممة جداً لعشاق هذا الفن . ومن فوائده أنه كان في الاندلس في القرن الرابع للهجرة شوري وتراتب دستورية جذبا لو دامت وعرف المسلمون كيف ينتفعون بها . وفي هذا الجزء كثير من الابحاث التي لها علاقة بتريقات العصر غير ما ذكرنا وإن الاشارة اليها تخرجنا عن مسمى ( التقريظ ) الى مسمى ( التلخيص ) وقال المصنف في آخر هذا الجزء ان العلماء الى آخر القرن الرابع يسمون ( المتقدمين ) وعلماء القرون التالية هم الذين يطلق عليهم اسم ( المتأخرين ) .

وفي الجزء الرابع سرد تراجم هؤلاء المتأخرين الى عصرنا هذا على طريقته في الاستطراد والاستنتاج الممتع : فوصف الحالة السياسية التي أدت الى انحطاط علم الفقه في المشرق والمغرب . وحرق الاسبانيين لنفائس مخطوطات الاندلس . وان ملك الموحدون ( ابا يوسف يعقوب ) لما رأى غلبة كتب الفروع على فقهاء زمانه وحيلولتها دون الاجتهاد حرقها وأمر بتصنيف كتب أحاديث الأحكام قال : وكان الفقهاء يعتمدون في ترجيح الأحكام الشرعية على الرؤى ومثل ذلك اعتمادهم على حساب الجملة كفاعل ( ابن كمال باشا )



مذ أفق السلطان سليماً بحاربة الغوري أخذاً من القرآن بطريقة ذلك الحساب . وبمناسبة كلامه على اصلاح الازهر في العهد الأخير وصف المؤلف جامع القرويين في فاس وهو احد المدرسين فيه . وانه كان سعى في اصلاحه بمساعدة المستشرق الكبير الموسيو (مرسني) لكن تدخل ذوي الأغراض حال دون ذلك الاصلاح وعطل تنفيذ مواد نظامه . بيد أنه اذا لم ينجح سعيه للاصلاح في ذلك العهد العالي فقد نجح في المدارس الابتدائية والثانوية — ووصف لنا المؤلف فتنة الخلاف التي جرت بين العلماء والعامه في مسألة : ( هل ان الكفار يعرفون الله ؟ ) وذلك في اوائل القرن الخامس للهجرة — ووصف لنا الوسائل التي ساعدت على انتشار الاسلام في صحراء افريقية وسودانها — وانه كان من عادة الأندلسيين ابداء الفلاسفة وتضييق الخناق عليهم وذكر ان الاختصار في المصنفات الدينية استدعى إطالة الكلام في شرحها فضلت الافهام بين هذا الشرح وذاك الاختصار — وذكر ان الفقيه المحدث الورع سيدي رضوان الجنوي أبوه من (جنوه) وقد أسلم لبعض الاسباب (راجعها في ص ١٠٣) ثم جاء المغرب فتزوج يهودية مسلمة ومن بين هذين الأبوين ولد سيدي رضوان الذي قال فيه الامام القصار (رضوان الرجل الصالح لو أدركه ابو نعيم لجمعه في الحلية) وكانت وفاة سيدي رضوان سنة ٩٩١ هـ قال المؤلف : ومن فتاوى (محمد المرغني) المتوفى سنة (١٠٩٠ هـ) (أنه لا حرمة للجبانة التي تكون في داخل المدفن بل يجوز نبشها وذلك لأن المدفن حبس (أي وقف) على الأحياء) قال : ويعتقدون في المغرب ان قراءة تفسير البيضاوي تسبب موت السلطان ولذلك كانوا يمتسألون على من يريد قراءته بشق الوسائل — وذكر أنه يوجد من تاريخ ابن عساكر في خزائن المواسين بمراكش سبعة وعشرون جزءاً كبيراً من تجزئة نيف وثلاثين جزء — وترجم المؤلف نفسه ترجمة استغرقت نحو خمس عشرة صفحة ضمنها فوائد شتى .

وختم الكتاب بكلام عام مهد السبيل فيه الى طرائق اصلاح الفقه الاسلامي فحقق موضوع الاجتهاد والتقليد والاختصار في وضع المصنفات الفقهية ووصف صعوبة فهم مسائل كتب الفقه المختصرة حتى أدى ذلك الى نشو الأمية في العامة وذكر من أصول فقه المالكي اصلاً لا عهد لنا به في المشرق سماه (العمل الفاسي) وخلاصته ان يحكم القاضي بما حكم به القضاة الذين كانوا قبله — وبمبحث في تتبع الرخص وتوحيد المذاهب ولزوم

وضع كتاب في الفقه على نمط المجلة العثمانية يتضمن من الأحكام الشرعية ما يلتمح بحاجة أبناء هذا العصر - ونصح بالخضوع لناموس تطور الزمان وتأثيره في تطوير الاحكام وذكر أمثلة توضح ما اراد من هذا التطور والتطوير . ومن هذه الأمثلة التصوير الشمسي والفرق بينه وبين نحت التماثيل وذكر محاوره في هذا الموضوع جرت له مذ كان في تونس مع رئيس وزرائها ( ولعله يعني به خليل بوحاجب ) - وتساءل هل الاسباب متيسرة لمن أراد الاجتهاد في زماننا ؟ وهنا بحث في ما طبع من الكتب المساعدة على الاجتهاد - الى غير ذلك من الابحاث الجليلية المرتبطة بمد الارتباط بمصالح المسلمين في هذا العصر مما ينبغي دراسته والتأمل فيه وخاصة لمن يهتمه نجاح الاصلاح الديني الاسلامي العملي لا النظري .

ومن طريف صنع المؤلف في خاتمة كتابه هذا أنه أتى على ذكر الانتقادات التي وجهها اليه علماء بلاده ثم عقب على كل نقد برده « تمثيلاً للحالة الفقهية والمناولات العقلية في افريقية الشمالية بالوقت الحاضر » وقد تجلج هذه المباحث الانتقادية مسألة خلاف علي ومعاوية رضي الله عنهما . وتفضيل المذهب الحنفي على غيره والسبب في ذلك مرونته وصلاحيته للتطور الكوفي - وذكر لنا مسألة ( لا فتوى بمنع شيء اذا كانت هناك حاجة داعية الى ابحاثه ) ومن هذا القبيل ( عملية السيكورته في الأموال ) وحاجة المسلمين اليها وان الجمود وعدم تجويز مثل هذا أضرر بالمسلمين وجرأ الكمالين على ما فعلوا .

ويلي ذلك تقاريط الكتاب وهي كثيرة ثم فهرست مفصل ثم الخطأ والصواب وما أكثر الخطأ في مطبوعات إخواننا المغاربة لكن اذا كان الخطأ في مطبوعاتهم كثيراً فان الصواب في آرائهم ومضامين مصنفاتهم أكثر لعمري .

## رحلة اوليا جلبي

- ٥ -

ثم وصلنا الى حماة (١) - وبعد ان ذكر الجلبي نبذة من تاريخها شرع  
بوصف حالتها في زمن مروره قال :

(١) حماة من امهات مدن الداخل في الشام تملو عن سطح البحر ٣٠٨ امتار ، وهي في  
وهدة صحيفة من وادي العاصي ولذا كانت حارة ورطبة ، ثمرتها سكة حديد رباق - حلب  
« طولها ١٨٩ كيلو متراً » وطريق السيارات المعبدة الممتدة بين دمشق وحلب « طولها ٢١  
كيلو متراً » وتبعد حماة عن حمص ٤٥ وعن حلب في سكة الحديد ١٤٣ كيلو متراً .  
وقد وردت حماة في التوراة مراراً باسم حمت الكبرى تمييزاً لها عن حمت الصغرى في  
فلسطين وذلك تنويهاً بذكرى حماة من ابناء كنعان الذي ينسب بناؤها اليه . وكانت على  
ما قيل الحد الشمالي للارض الموعود باعطائها لبني اسرائيل . وخلاصة تاريخ حماة ان الحثيين  
سكنوها قديماً فيما سكنوا من مدن الشام الشمالية بدليل العثور على بعض كتاباتهم فيها  
وقد فاست كما فاسته تلك المدن من توالي غارات فراعنة مصر وملوك آشور ودفاع الحثيين  
واستبسالهم في معارك طاحنة دامت قبل الميلاد عدة قرون الى ان اقترضوا وخلفهم الآراميون  
ثم الامراتييليون ثم اليونانيون السلوقيون وقد سماها احد ملوكهم انتيوخس ايفانوس  
الرابع ايفانيا وظلت معروفة بهذا الاسم في دولة السلوقيين ولما زالت رجح الناس  
الى استعمال اسمها القديم ثم جاء الرومانيون .

لا جرم ان بلاد الشام الشمالية في عهد اليونان والرومان تقدمت في العمران وكان  
نصيب حماة ان فتحت القنوات في برارها الشرقية ونصبت النواعير على العاصي فاازدهرت  
الزراعة واتشرفت القرى العامرة في شرقي سلبية وحول الأندرين . على ان حماة

كانت في ذلك العهد تابعةً لمحمص لسبق هذه تلك في المكافحة والحضارة . ولما كان الفتح الاسلامي جاءها ابو عبيدة في سنة ١٧ فصالح اهلها على الجزية لرؤوسهم والخراج على ارضهم وجعل كنيستهم العظمي جامعاً وهو الآن الجامع الكبير وسياقي وصفه . وجعل الخلفاء الراشدون حماة من اعمال جند حمص للسبب الذي تقدم ذكره . ومن الاحداث التي حصلت فيها في اواخر القرن الاول في خلافة عبد الملك بن مروان ارسال قيصر الروم يوستينيانوس قائد من اسمها موريق وموريقان جاءا وخربا دير القديس مارون الذي كان على العاصي بين شيزر وحماة وقتلا رهبانه البالغين خمسمائة وشتمنا شمل اتباع هذا القديس . ولما انتقلت الخلافة من يد الأمويين الى العباسيين في سنة ١٣٢ من القرن الثاني اورث انتقال العاصمة من دمشق الى بغداد فتوراً في الشام لأنهما اصبحت بعيدة عن نظر الخلفاء الذين قل اكرامهم بها يحكمها العمال حسب اهوائهم فكان ذلك مدرجةً لاختطاط شأنها وفي القرن الثاني وفي النصف الاول من الثالث اشتركت حماة مع حمص في الفتن والحروب الاهلية التي كانت تحدث تارةً من تأجج نار العصبية بين القيسيين واليهانيين وتارةً من الوثوب بالعمال ومجيء جيوش الخلفاء لتأديب المتوثبين . وفي النصف الثاني من القرن الثالث ظهرت بوادر الضعف في العباسيين وصار المتغلبة من اولئك العمال يزعجون الى الاستبداد في الامر وكان اولهم عامل مصر احمد بن طولون فقد نزع ربة الخلافة واستولى على الشام فأخذ حماة فيما اخذه وعقبه ابنه خمارويه وحفيده جيش . وفي سنة ٢٩٠ جاء القرامطة بقيادة صاحب الشامه وخربوا حماة والمعرة وسلمية وقتلوا اهلها حتى النساء والاطفال فجاءهم في السنة التالية جيش الخليفة المكتفي من بغداد وجرت الواقعة الفاصلة في قرية تمنع ( التمانعة قرب خان شينون وشرقي طريق السيارات بين حماة وحلب ) وكانت الدائرة على القرامطة . وفي اواخر القرن الثالث زالت دولة بني طولون على يد الخليفين المعتضد والمكتفي اللذين لم يتوانيا عن القضاء على كل خارجي فظهرت بعدها دولة الاخشيد محمد بن طنج في مصر والشام ورأت البلاد ماراًته من اقتتاله مع عامل الخليفة ابن رائق ومع سيف الدولة بن حمدان وبعد زوال الاخشيديين في منتصف القرن الرابع دخلت حماة في حوزة سيف الدولة بن حمدان واعاقبه من بعده وتبع حلب . وجاء الفاطميون اذ ذاك بنازعون العباسيين

الخلافة ورأت البلاد البلاء العميم من دوام الحروب بين الحمدانيين ثم المرادسيين وغيرهم من عمال العباسيين وبين جيوش الفاطميين . وكان الروم ينتهزون فرصة تطاحن المسلمين بعضهم مع بعض فيغيرون من حين الى آخر على شمالي الشام ويصلون الى حماة وحمص وما حولها فيميثون وينهبون ويسبون ويعودون .

ولما زالت امارة الحمدانيين في اوائل القرن الخامس وتقسمت القبائل العربية بلاد الشام تبعت حماة صالح بن مرداس الكلابي صاحب حلب فيقت في يده ويد اعقابه الى ان زالوا وفي العقد الثالث من ذلك القرن تبعت حمص في عهد بعض عمالها ممن كانوا يخطبون للفاطميين وفي آخر القرن الخامس جاء السلجوقيون فاقطعها السلطان ملكشاه لعامله في حلب قسم الدولة آق سنقر وهو ابو عماد الدين زنكي فتبعت حلب . وفي غرة القرن السادس ألحقت بجمص في عهد عاملها قيرجة خان بن قراجه السلجوقي ثم ضمت الى دمشق في عهد الاتابك طفتكين واعقابه من بعده ثم عادت الى حلب في عهد عماد الدين زنكي الذي استخلصها من الاتابكين واورشها ابنه نور الدين محموداً ومن هذا الى ابنه الملك الصالح اسماعيل . وخرت حماة في هذا القرن بالزلزلة الهائلة التي حدثت في سنة ٥٥٢ فرمها نور الدين وبنى اسوارها وقلعتها وبنى فيها الجامع والمستشفى المعروفين باسمه . وفي العقد الأخير من القرن السادس استخلص صلاح الدين الايوبي حماة فولى عليها خاله شهاب الدين الحارمي وبعد موته اقطعها لابن اخيه تقي الدين عمر فتملكها هذا واعقابه المعروفون بالبيت التقوي خلال ٦٨ سنة وانتهى ملكهم بخلع الملك الافضل بن الملك المؤيد ابي الفداء . ولم يكن لابناء البيت التقوي من الملكية الا الاسم والاهبة وكانوا فعلاً تحت إمرة ابناء عمهم صلاح الدين والسلاطين المماليك الذين خلفوهم . على ان حماة نالت في عهدهم حظاً موفوراً من العمران وبعد زوال دولتهم وعجمي هولاكوف في القرن السابع وتيمورلنك في اوائل القرن التاسع وتخریبها قلعتها واسوارها ونيلها منها — انعطش ان حماة وتضاءل عمرها . وظلت في عهد المماليك بديرها عمالم فتسعد وتشتق تبعاً لصلاح هولاء او فسادهم . وفي القرن العاشر دخلت في ملك العثمانيين وصار يتولاها المسلمون والباشاش الذين يوظفهم ولاية طرابلس او دمشق حسبما تكون حماة مرتبطة بهذه اوتبتلك فنالها في العهد العثماني مانال القطر الشامي كله من الاملال

وسوء التدبير الى ان حسنت الحالة في الجملة في اواخر القرن الماضي فجمعت حماة متصرفية<sup>١</sup> ألحقت بها اذ ذاك أفضية حمص وجبل الكلبية ثم تبعتها سلمية في مطلع القرن الحالي .  
ومما يستحق الذكر ان الصليبيين حاولوا الاستيلاء على حماة مرتين ففشلوا بعد ان كاد الأمر يتم لهم . الأولى في سنة ٥١١ في عهد واليها شهاب الدين محمود فانهم انتهزوا فرصة خسوف القمر فوصلوا الى ارباض حماة وحاصروها والثانية في سنة ٥٢٢ انتهزوا فرصة غياب صلاح الدين في مصر ومرض عاملها خاله شهاب الدين الحارمي فحاصروها ، لكنهم في المرتين اجبروا على الرجوع . على انهم عند ضعف المسلمين وتنازع ملوكهم كانوا - ونخص بالذكر الداوية ابي الفرسان الهيكليين المرابطين في حصن الاكراد - لا يتوانون عن الاغارة على حماة فينالون من ضواحيها وبغرمون احياناً ملوكها وعمالها بمبالغ طائلة ويرجعون .

هذا وقد حاولت ان اجد وصف حماة في القرون الماضية لانظر كيف كان عمرانها في ادوار متعاقبة فلم اعثر على اقدم من وصف القرن الثالث اقله عن ياقوت . قال : وذكر احمد بن الطيب فيما ذكره من البقاع التي شاهدها في مسيره مع المعتضد من بغداد الى الطواحين (?) فقال بعد ذكره حمص « وحماة قرية عليها سور حجارة وفيها بناء بالحجارة واسع والمعاصي يجري امامها ويسقي بساتينها وبدير نواعيرها » وكان قوله هذا في سنة ٢٧١ فسمها قرية اه . قال احمد الصابوني الحموي في كتابه تاريخ حماة المطبوع في سنة ١٣٣٢ ما خلاصته ان احمد بن الطيب سمي حماة قرية وليست هي قرية كما قال ولكن من يشاهد بغداد في زمن المعتضد لا يستغرب منه تسميته حماة قرية لأن العباسيين لما اخذوا الخلافة لم يكن لهم عناية الا باعمار بغداد والعراق فاهملوا شأن البلاد الشامية ومنها حماة ولتوالي هذا الهمال والفتن خربت الكور والقرى التي كانت حماة تستقي منها موارد ثروتها مثل كورة البلعاس والاندرين ولطمين وصوران وبعرين وغيرها حتى صارت حماة تسمى قرية في نظر احمد بن الطيب اه . وقال الاصطغري في اواسط القرن الرابع ما يدل على صفر حماة اذ ذاك ومضارعتها شيزر : واما شيزر وحماة فانها مدينتان صغيرتان نزهتان كثيرتا الماء والشجر والزرع .

ومر ابن جببر في القرن السادس بعد ان مضى على الزلزلة سنة ٥٥٢ التي خربت حماة

بالمرة نحو ربع قرن ، وكانت نشطت من عثرتها بفضل الدولتين النورية والصلاحية لكنهما لم ترق كثيراً عيني ذلك الاندلسي المبتهجة بمراًى غرناطة وقرطبة والحراء فلم نجبه أفنيتهما الضيقة ومبانيها المزدهمة ولم ينشرح الاحسن العاصي وجمال البساتين . وهاك مقالته :

« حماة مدينة شهيرة في البلدان قديمة الصلبة للزمان غير فسيحة الفناء ولا رائحة البناء ، أقطارها مضمومة وديارها مكرومة ، لا يهش البصر اليها عند الاطلاع عليها ، كأنها تكن بهجتها وتفخيها فجد حسنها كأنما فيها ، حتى اذا جست خلالها ونفرت ظلالتها أبصرت بشرقها نهراً كبيراً تتسع في تدفقه أساليبه ، وتتناظر بشطيه دواليبه ، قد انتظمت طرفيه بساتين تمهدل أعضانها عليه ، وتلوح خضرتها عذاراً بصفحتيه ، ينسرب إليه ظلالتها ، وينساب على سمت اعتدالها ، وباحد شطيه المتصل برضها مطاهر منتظمة بيوتاً عدة يخترق الماء من احد دواليبه جميع نواحيها فلا يجد المغتسل اثر اذى فيها ، وعلى شطه الثاني المتصل بالمدينة السفلى جامع صغير قد فجع جداره الشرقي عليه طينقانا تجعلي منها منظراً تترتاح النفس اليه وتتقيد الأبصار لديه وبازاء ممر النهر بجوفي المدينة قلعة حلينية الوضع وان كانت دونها في الحصانة والمنع مرتب لها من هذا النهر ماء ينبع فيها فلاتحاف الصدى ولا تنيب مرام العدى . ومومر هذه المدينة في وحدة<sup>(١)</sup> من الأرض عريضة مستطيلة كأنها خندق عميق يرتفع لها جانبان أحدهما كالجبل المطل<sup>(٢)</sup> والمدينة العليا متصلة بسفح ذلك الجانب الجبلي والقلعة في الجانب الآخر في ربوة منقطعة كبيرة مستديرة قد تولى نحتها الزمان وحصل لها بحصانتها من كل عدو الأمان والمدينة السفلى<sup>(٣)</sup> تحت القلعة متصلة بالجانب الذي يصب النهر عليه وكتنا المدينتين صغيرتان وسور المدينة العليا يمتد على رأس جانبها العالي الجبلي ويعطف بها وبالمدينة السفلى سور يحدق بها من ثلاثة جوانب لان جانبها المتصل بالنهر لا يحتاج الى سور وعلى النهر جسر كبير<sup>(٤)</sup> معقود بصم الحجارة يتصل من المدينة السفلى الى روضها<sup>(٥)</sup> وروضها كبير فيه خانات والديار وله حوانيت يستعجل فيها المسافر حاجته الى ان يفرغ لدخول المدينة وأسواق المدينة العليا أحفل وأجمل من أسواق المدينة السفلى وهي الجامعة لجميع الصناعات والتجاراات اه .

ولم ينه ذكر حماة بعد خموله وتسعد الا في عهد أبناء بني الدين عمر بن ايوب

فانهم لما آل اليعم ملك حماة وضواحيها عمروها بالأبنية الضخمة والقصور الفخمة والأسواق الحافلة والأسوار المحكمة بدلنا على ذلك ما ذكره ياقوت في أوائل القرن السابع نال : حماة مدينة كبيرة كثيرة الخيرات رخيصة الأشعار واسعة الرقعة حفلة الأسواق يحيط بها سور محكم وبظاهر السور حاصر كبير جداً فيه أسواق كثيرة وجامع مفرد مشرف على نهرها المعروف بالعاصي عليه عدة نواعير تستقي الماء من العاصي فنسقي بساكنها وتصب الى بركة جامعها ويقال لهذا الحاضر السوق الأسفل لانه منحط عن المدينة ويسمون السور السوق الأعلى . وفي طرف المدينة قلعة عظيمة عجيبه في حصنها وإتقان عمارتها وحفر خنادقها نحو مائة ذراع وأكثر وهي مدينة قديمة جاهلية ذكرها امرؤ القيس في شعره ( أوردناه في بحث شيزر ) الا انها لم تكن قديماً مثل ما هي اليوم بسططان مفرد بل كانت من عمل حمص اه . وبدلنا على تلك العناية ايضاً ما ذكره ابن بطوطة في القرن الثامن : حماة احدى أمهات الشام الريعة ومدائنها البديعة ذات الحسن الرائق والجمال الفائق تحفها البساتين والجنات ويشقها العاصي ولها روض يسمى بالنصورية أعظم من المدينة فيه الاسواق الحافلة والحمامات الحسان . وبجماة الفواكه الكثيرة منها الشمس اللوزي الشعير اه .

وقد فسر الصابوني في تاريخ حماة ما ذكره ابن جبير وياقوت فقال : كانت حماة قسامين قسم سيفي محلة باب الجسر وقسم في المدينة وبالنظر لارتفاع المدينة عن باب الجسر كانت تسمى القسم الأعلى وسوقها السوق الأعلى وكذا جامعها كان يسمى الجامع الأعلى وكانت مسورة بسور من الحجر الابيض عظيم يمتد الى تل العريضة وله أبواب عديدة منها باب النصر وباب المغار وباب النهر وباب العميان وباب الغربي وباب القبلي . وكانت محلة باب الجسر سور يحيط بها من جهة العاصي ويحيط بها من الجهة الاخرى وعلى العاصي الجسر الكبير له باب من جهة الشمال الغربي وباب آخر في مبداء من جهة القبلة ولسورها أبواب منها باب تدمر وباب النقي وباب حمص . وقال شرحاً لما ذكره جبير وأشرنا اليه برقم (١) الوهدة المكان المنخفض فان حماة في وادي عميق كانت أرضه مساوية لأرض النهر ولكثرة الزلازل وتراكم التراب ارتفعت الأرض عن النهر . وعن الرقم (٢) انه تل العريضة . و (٣) محلة باب الجسر و (٤) جسر محلة باب الجسر و (٥) كان في محلة الدهشة في بستان يسمى



الاتون حوانيت وخانات ينزل فيها المسافر اذا جاء ليلاً وأبواب السور مغلقة ويسمى مثل هذا ربضاً . وكان بنيان محلة المدينة أوسع وأسواقها أحفل من أسواق محلة باب الجسر وكان بين القسمين طريق مما وراء القلعة من البستان الذي يسمى الآن بستان الخضر . ثم امتد العمران لجهة الحاضر فحدثت محلات عديدة كما امتد البنيان في زمن نورالدين الشهيد حتى باب حمص بجانب رمح المسرودة . اما مكان السوق فقد كان مرتفعاً من الشمال ومنخفضاً في الجنوب وكان فيه مقابر واذا طغى العاصي فاض على هذا القسم المنخفض وملأه . فلما ضاقت البلد بالسكان مشى الناس بالبنيان الى موضع السوق فبنوا البيوت والحوانيت ولما ولي الملك المنصور حماة بنى هذا السوق وكان يعرف بسوق المنصورية .

قلت وكان ينتظر من الملك المؤيد ابي الفداء ان يصف لنا عاصمة ملكه حماة في كتابه « تقويم البلدان » وصفاً كافياً يطلعنا به على الرقي والعمران اللذين نالتهما في عهده وعهد اجداده التقويمين الابويين في القرنين السابع والثامن ولكنه رحمه الله لم يشذ عن الاجياز الذي سار عليه في وصف بقية البلدان فاكتفى بقوله : حماة من الشام بين حمص وقنسرين وحماة مدينة ازلية ولها ذكر في كتب الاسرائيليين وهي من انزه البلاد الشامية والعاصي يستدير على غالبها من شرقيها وشمالها ولها قلعة حسنة البناء مرتفعة وفي داخلها الأرحية على الماء وبها نواعير على العاصي تسمى أكثر بساينها ويدخل منها الماء الى كثير من دورها قال الهروي في كتابه المعروف بالزيادات : حماة بلدة قديمة مذكورة في التوراة وهي وشيزر مختصتان بكثرة النواعير دون غيرهما من بلاد الشام اه .

وقال شيخ الربوة في القرن الثامن ايضاً : حماة حماها الله بها سلطان ملك ( لعله يعني الملك المؤيد ابا الفداء ) ونائب مستقل وهي مدينة حسنة خصبة كثيرة الخير والأرزاق يحوطها النهر العاصي ويأتيها جارياً من بين جانبيها ويجمع بين الجانبين قنطرة وعلى العاصي نواعير كبيرة التي لم ير في الآفاق مثلهن يحملن من العاصي أنهاراً من الماء يسقون به البساتين والاماكن وهي كثيرة النار وبها الشمس الكافوري اللوزي الذي لم ير في سائر الآفاق مثله ومن اعمالها الكبار بعين وتسمى بارين وهي قلعة منيعة وسليبة وهي على سيف البرية ( بناها عبدالله بن صالح وعلي بن عبدالله بن عباس رضي الله عنهم ) ولها قناة كبيرة

تحمّل من سلبية الى حماة تسقى بساينها وارضيتها وهو نهر ملج . وقال ايضاً عن حماة في فصل اعياد النصارى ومواسمهم : وفي عيد الفصح تبطل اهل حماة مدة ستة ايام اولها يوم الخميس الكبير وهو خميس العهد وآخرها يوم الثلاثاء ثالث الفصح وتنتقش فيه النساء وتلبس فيه الكساوي الفاخرة وبصبغون فيه البيض ويميلون الأقراص والكعك ، المسلمون أكثر من النصارى . ويرد الى حماة اهل سائر البلاد المجاور لها مثل حمص وشيزر وسلمية وكفرطاب وابوقينس ومصيف والمعرة وتيزين والبساب وبزاعة والفوعة وحلب وبطلعون جميعاً الى العاصي ويضرب لهم اهل حماة على شطوطه خياماً ويركبون في المراكب بالمغاني ويرقصون في المراكب النساء والرجال على الشطوط حتى تتمتلك الخلائق ويمضي لهم ستة ايام لا يرى في الوجود مثلها وكذلك يبطلون اول يوم صوم النصارى ويقولون قد طلوعوا يلتقون الراهب ويبطلون ايضاً يوم نزول الشمس برج الحمل ولم أر هذا في مدينه غيرها . وفي ليلة عيد الميلاد بوقد اهل حماة كبيرهم وصغيرهم وجليلهم وحقيرهم وجندهم واميرهم من القناديل فوق الاسطحة ومن القنب والشيخ شيئاً عظيماً وبوقدون من البارود وانفط انواعاً شتى وكذلك في عيد اختان ويسمونه الميلادة الصغيرة وربما بوقدون فيها أكثر من الكبيرة اه .

قلت وقناه سلمية التي ذكرها شيخ الربوة كانت تصل الى حماة وتسقى الارض الفسيحة العذبة الممتدة في شمالها وقد درست وتنوسي خبرها . اما الزوارق فقد بقي منها اثر ضئيل كان قاصدوا النزهة من الحمويين يركبونها من جسر المراكب الذي صار يدعى جسر السرايا حيث العاصي زائد العمق في الجملة وبذهبون الى مكان في شرقي البلدة يدعى البشريات فيه ناعورتان كبيرتان تسقى البساتين نسبة الى دفين بجانبها يسمى الشيخ بشر . ولم يبق في حماة من الفواكه التي ذكرها ابن بطوطة وشيخ الربوة الا النادر وقد منها الشمس اللوزي الذي ما زال موجوداً في دمشق والقطر المصري ومعروفاً بالحموي وليس في بساتين حماة وازوارها الا الزروع المسقوية من الحبوب والبقول الواسعة الغلال وقليل من الاشجار غير المطعمة وما ذلك الا من اهمال سراه حماة ملاكي هذه البساتين وانصرافهم لزيادة عدد ما يقتنونه من القرى العذبة دون العناية باتقان العمل .

وفي القرن التاسع في دولة المماليك وفي القرن العاشر في زمن عثمانين كسدت

لضاعة العلوم الدنيوية فلم ينشأ أحد من الرحالين أو الجغرافيين ينشأ عما كان عليه إذ ذاك عمران حماة وغيرها من مدن الشام مما تقدم معنا ذكره أو تأخره ، أو أنه نشأ ولم نعثر على ما كتبه . وكذلك لم ينشأ في القرن الحادي عشر سوى سائحنا أوليا چلي الذي وصف حماة على قدر ماوعاه فهمه . على ان المعروف من التواريخ ان حماة بعد زوال دولة الايوبيين التقويين والخراب الذي أصابها من هولاء كوتنبورلنك واستمرار فوضى الأحكام في عهد المماليك ودثور سلية وغيرها من القرى الشرقية التي لا حياة لحماة الا بها وفصل المعرة عنها أقل نجم حظها ، وفي عهد العثمانيين دام هذا الأقول لتوالي جور المسلمين الذين كان يرسلهم الولاة من طرابلس أو دمشق وقتن الأجناد وعسفهم حتى هاجر كثير من الحمويين على مارواه المحبي الى بقية مدن الشام الأكثر اطمئناناً نقلت حماة من رجالها وانحط شأنها كثيراً . وفي القرن الماضي ولاسيما في عهده الأخير دأبت الأسر الكبيرة التي أوجدتها أحداث ذلك العهد على استصفاة العقارات في المدينة والمزروعات في القرى بشق الوسائل حتى لم يبق منها لاسيما في البرية من الأراضين المملوكة لاهلها الا ما ندر . وأصبح الحمويون من جراء ذلك فريقين متباينين ، العظامي الذي يسير نفوراً لسمة املاكه ووفرة أرزاقه تدر عليه وهو مستريح ريباً بنفقه في نعمه ورفهه ، والصامي وهم السوقة والفلاحون الذين يكادون مدى العمر للعصول على كفاف العيش والأجور التي حقت عليهم لأولئك العظاميين . والشحناء من جراء هذا التباين مستحكة الحلقات بين هذين الفريقين .

ومنذ نصف قرن توافد رحالة الافرنج على حماة فأعجبهم جمالها الطبيعي ومنظرها الأثري واستغربوا انسياب عاصيها وشد ونواعيرها وأزياء أهلها وأطوارهم فكاتب بعضهم ومنهم ايزامبر وشوقة في سنة ١٨٨٢ وفان برشم في سنة ١٨٩٨ وموريس باريس في سنة ١٩١٤ ومونمارشة سنة ١٩٣٢ ما أوحته اليه قريحته الغربية . وخالصة ما كتبه بما يكادون يتفقون في آله ان حماة اختبأت في منخفض العاصي ومنعرجاته لا يتميزها القادم من بعيد الا من قرونها وانها احتضنت العاصي بجسورها وأعمست فيه دورها وقصورها وأطنبوا بنصرة رياضها وزهو أشجارها وأزهارها وروعة عاصيها وانسياب الهادي ووصفوا نواعيرها بمعبين بشكها وعظمتها ودورانها وشدوها المطرب وصعوبة اعتياد الغريب له في لياليه الاولى وانتشار الماء منها :

وانصابه في القناطر الممتدة الى الأحياء والبساتين وتمثلوا العصور الوسطى عند رؤيتهم  
مباني حماه الأثرية المركومة التي لم يخالطها حتى الآن بناء حديث وأسواقها المعقودة  
ودكاكينها المزدحمة بالقرويين والبدو وعند نظرهم الى أطوار سكان حماه وأزيائهم  
المتنوعة الألوان والأشكال وشكوا فقدان الفنادق والمطاعم وحرمان أسباب الرفه الجالبة  
للسياح وان حماه بلدة منكشة ، بعيدة عن الاتصال بجحارة الغرب ، قليلة الترحاب  
بالأجانب وأهلها متمصبون والحياة الاجتماعية فيها لاسيا عند أسرها الكبيرة التي يدها  
الملك كله تذكر عهد الإقطاع وان من المباني الأثرية التي تستحق الزيارة في حماه قصور  
بني العظم وبني الكيلاني والجامع الكبير والجامع النوري وجامع الحيات والقلعة ٠٠٠ الخ .  
وما قاله احدهم وهو مومناشة صاحب « الدليل الأزرق » : وحماه مثل أكثر مدن  
الشام لا يحتاج التجول فيها ركوب المركبة فضياع الوقت بكاد لا يذكر ناهيك ان  
الماشي يتملى أكثر بمشاهدة الطرق . فالأحياء المبنية في ضفة العاصي اليسرى أكثر  
امتداداً واستمتاعاً منها في ضفته اليمنى . واذا غادر السائح جسر السراي يسير شمالاً  
في شارع عريض يوازي العاصي ( يعني شارع ابي الفداء ) فيمر من تحت قناة ناعورة  
كبيرة ثم يصل الى القصر العربي الفخم الذي بناه اسمعند باشا العظم حاكم حماه في سنة ١٢٤٢ م  
وقد اتخذ الآن مدرسة اهلية دعيت دار التعليم والتربية . وهذا القصر اصغر واقل بهاء  
من قصر بيت العظم في دمشق ، له فناءات احدهما علوي والثاني سفلي ، وفي العلوي قاعة  
ذات قباب امامها صف من الاعمى ، ونجارة الخشب فيها ودهانه ووشيه من طراز القرن  
الثامن عشر وفي جنب القاعة غرفة فيها رسوم جميلة احدها يمثل مدينة حلب بمنظرها  
العام . واجمل ما في هذا القصر موقعه ، فان الواقف في فناءه العلوي يشرف على مشاهد  
جميلة في ضفتي العاصي وعلى احياء حماه التي في ضفته اليمنى ( يعني الحاضر ) . وبعد الخروج  
من القصر يسير السائح شمالاً فيمر من قرب ناعورتين عظيمتين جداً ثم من تحت ساباط الى  
ان يصل الى جسر على العاصي في قربه ثلاث نواعير ، ويشاهد على ضفة العاصي اليمنى قصرأ  
ذات قبة لآل الكيلاني ذوي الوجاهة في حماه والواقف على هذا الجسر تفر عينه بمناظر  
الحداثق الجميلة وصوت النواعير المطرب وثمة في الضفة اليسرى حمام عربي قديم واذا



# جامع التواريخ

- أو -

« نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة »

- ٥ -

حدثني محمد بن احمد بن عثمان الزيات قال حدثني ابو بكر بن حوري :  
شيخ كان من اهل خامية من اعمال النهروان قد اقام ببغداد سنين . و كان  
مشهوراً بصحبة ابي عبد الله بن ابي عوف قال : كنت الزم ابن ابي عوف  
سنين لجوار بيننا ومودة لا اسأله حاجة : لأنها لم تكن تعرض لي و كنت  
اتخفف من بدبه في حوائج بنفذي فيها . و كان رسمي في كل ليلة أجيئه بعد  
العمرة وقد صلى ودخل منزله فحين يراني يمد رجله في حجري فأغمزها وأحادثه  
فيسألني عن الاخبار والحوادث ببغداد . و كنت أسأل عنها وانطلبها من  
كل موضع واجيئه بها واخبره بخبر من قدم البلد ومن سافر عنه ومن مات  
ومن ولد ومن خاصم ومن ورث ومن يرجف به الناس واخبار الجيران وبكل  
غث وسمين الى ان ينمس فاذا نمس قبض رجله فقامت الى بيتي وقد مضى  
ثلث الليل او بعضه او أقل (١) على هذا سنين . فلما كان ذات يوم جامني  
سقطي كان يعاملني فقال قد دفعت الي شي إن تم علي افتقرت فقلت ماهو ؟

(١) قد سقط : وجرى الأسماء :

فقال رجل كنت اذامله فاجتمع لي عليه الف دينار فطالبته فرهنني عقده جوهراً  
 قوّم بالف دينار الى ان يفتكه بمد شهر أو أعيه . وأذن لي في ذلك فلما  
 كان امس وجه ( موئس الفحل صاحب الشرطة ) من كسب دكاني وفتح  
 صندوقي واخذ العقد وقد استتر الرجل . فقلت له لا تفكر في هذا فاني  
 اخاطب ( ابا عبد الله بن ابي عوف ) فيلزمه رده صاعراً . قال وانا مدلل  
 بابن ابي عوف لمكاني منه . ومكنته من المعتضد . فلما كان تلك الليلة جثته  
 فدفن رجله في حجرني على الرسم . وحادثته وعرفته الأخبار وقلت له في جلستها  
 أمر السقطي مع موئس ثم قلت هذا الرجل جاري ومعاملي وأوجب الناس  
 حقاً عليّ ولا بد والله من تفضلك ياسيدي واعتناء (١) في امره والزام موئس  
 رد العقد . فقال ما انا وهذا ؟ أعاديه صاحب شرطة الخليفة ؟ وكيف  
 استجرات أن تعرّضني لمثل هذا وتسالني فيه ؟ كأي بك وقد قلت ابن ابي  
 عوف صديقي الزمه رد هذا . ولم تشفق على جاهي وكان صلاح حال السقطي  
 أحب اليك من صيانة جاهي ما انا عافاك الله وهذا ولا اليه ؟ قال فورد عليّ  
 من هذا اعظم مورد . وقلت في نفسي : هذا الرجل قد خدمته كذا وكذا  
 سنة هذه الخدمة التي لم تخدمها العبيد على (٢) ما سألته قط حاجة ولا احتجت  
 اليه في شيء ولا له عليّ رزق ولا إفضال يلقاني في حاجة قد سألته فيها بمثل  
 هذا . شهد الله لا دخلت له داراً بعدها ابداً . وامسكت وجلست لا اتكلم  
 ثم قت قبل الوقت الذي كنت اقوم فيه . وعدت الى منزلي منكسراً

(١) لعله : واعتنائك . (٢) قد سقط : الي .

مغموماً . فلما كان من الغد بكرت لثلاثي الرجل بسبب حاجته فافتضح عنده . ولم ادخل بيتي الى وقت المغرب ثم جئت فصليت وطرحت (١) واعتقدت انني لا امضي اليه . فلما صليت العممة جاءني خادم لابن ابي عوف فقال الشيخ بقرأ عليك السلام ويقول لم تأخرت الليلة ؟ إن كنت معافي فتعال وان كنت متشكياً جئناك فاستحييت وقلت امضي الليلة ثم انقطع . فحين دخلت اليه ورأني مدّ رجله في حجري . فأخذتها وغمزتها على الرسم فقال ايش عندك من الأخبار ؟ فاقبلت أحدثه بمحدث غثٍ متكأف متصنع . فلم يزل يصبر على ذلك ساعة ثم قبض رجله فقالت يا بابكر انظر ايش تحت المصلي واذا برقعة في قرطاس فأخذتها وتقدمت الى الشمعة واذا فيها « يا مؤنس جسرت على قصد دكان رجل تاجر يُعرف بفلان وفتحت صندوقه واخذت منه عقد جوهر قيمته الف دينار وانا في الدنيا ؟ والله لولا انها اول غلطة غلطتها ما جرى في ذلك مناظرة . اركب بنفسك الى دكان الرجل حتى تردّ العقد في الصندوق بيدك ظاهراً » فقلت لأبي عبيد الله ايش هذا يا سيدي ؟ فقال خطّ المعتضد الى مؤنس بما أردته : مثلت بين وجدك وعتبك مع وزن (٢) الحال مع مؤنس كما هي - وبين رضاك وقضا حقاك وابعاش مؤنس فاخترتك عليه فأخذت خط امير المؤمنين بما تراه . فامض وأوصله اليه فانه يفعل ما امره به . فقبلت رأسه وشكرته وانصرفت وانا من الفرح لا اعقل . وجئت الى الرجل واخذت بيده ومضينا

(١) يربد : طرحت نفسي على مرير . (٢) لعله : بقاء .



الى مؤنس وسلمت التوقيع اليه . فحين قرأه اسود وجهه وارتعد حتى سقطت الرقعة من يده ثم قال « يا هذا الله بيني وبينك . هذا شي ما علمت به وتموه علي » فألاً نظلمت الي فان لم أنصفكم فالى الوزير . ما هذا ؟ بأفتم الامر الى امير المؤمنين من اول وهلة » قال وانتشطت (١) فقلت « بعلمك جري والعقد معك » قال : فأحضر العقد وقال : خذوا الالف دينار التي عليه الساعة واكتبوا على الرجل بطلان ما ادعاه : فقلت لا نفعل . فقال خذوا ألف وخمس مائة دينار . فقلت والله لو اعطينا الف الف دينار ما رضينا او تركب بنفسك الى الدكان والعقد معك فترده الى الصندوق ولا نكذب انفسنا او ترد التوقيع . فقال أسرجوا لي قال : فركب والله في موكبه حتى وقف على دكان الرجل ورد العقد بيده الى الصندوق . فجاءنا صاحبه من ذلك اليوم ودفع ألف الدينار وارتمجه .

\*\*\*

حدثني عبد الله بن احمد بن داسه قال حدثني ابو احمد بن ابي الحسك الشاهد قال حدثني بمصر ابو طاهر محمد بن احمد بن عبد الله بن نصر القاضي وهو قاضيها يومئذ قال حدثني شيخ كان في جوارنا ببغداد بدرب الرواسين من باب الشام قال كان ابو عبد الله بن ابي داود (٢) ينزل بباب الشام وهو صغير الحال فكنا نعرف احواله فباع يوماً مندبلاً كان له بسبعة دراهم لتعذر القوت عليه قال فاجتاز في طريقه وهو عطشان فرأى شارباً فعدل الى

(١) لعله : واستشطت أو ونشطت . (٢) الصواب : دؤاد .

الموضع ودعاه واستسقاها فكسر الشارب شفة كوز كان معه وملاه ودفعه اليه فقال له ابن ابي داود (١) لم فعلت ذلك فقال قد شرب في هذا الموضع قبلك من لم ارض لك ان تجعل شفتك في موضع شفته فكسرت الموضع من الكوز لتشرب من موضع ما وقعت عليه شفة غير شفتك قال فشرب الماء ثم دفع اليه السبعة دراهم التي لم يكن يملك غيرها .

\*\*\*

حدثني ابو الحسين احمد بن الحسن بن المثنى قال كانت امي قد رأت ليلة القدر فدعت الله بدعاء كثير فلما كان من الغد قال لها ابي هل دعوت الله لي فقالت شغلني الدعاء لاولادك عن الدعاء لك قال فكنا نرى ان ما أفاء الله تعالى علينا من نعمة بعد ذلك انما كان بدعائها .

\*\*\*

حدثني ابو الفضل الشيرازي الكاتب محمد بن عبيد الله بن المرزبان قال حدثني شيخ من شيوخ النخاسين الجلّة ببغداد قال كنت أعامل ابا الهيجاء عبد الله بن حمدان في الرقيق فكان يشتري مني ولا يبيع شيئاً يشتريه بوجه إيمان يهبه او يعتمه فجاءني يوماً الى حجرتي ولم تكن عادته جرت بذلك فوجدته وهو مستجمل يريد الخروج الى القصر لقتال أعراب بلغه انهم عاثوا في الطريق وكان يليه فقال بعني الساعة جارية فعرضت عليه عدة جوار فاختر مؤأدة منهن وحملها في عماريته على بغل فلما كان بعد شهور اقل من سنة جاءني بها رجل من الجند يريد بيعها فقلت لها أليس كان الأمير ابو الهيجاء اشتراك

مني فقالت بلى ولكني وهبني لهذا قال فلم ابها حتى كاثبته وعرفته خبرها  
 لثلاث تكون قد هربت او وقع بها حيلة فلما اعلمني انه وهبها شرعت في بيعها  
 في الحال فتعذر واقامت عندي اياماً فسألته عن اخبار ابي الهيجاء وامره في  
 داره فاخبرني باشيء من ذلك فكان من طريف ما اخبرني به ان قالت  
 اخرجني من عندك في العمارية وسرنا يومنا وليتنا الى قريب من انتصاف  
 الليل فكذني السير واتلوني ثم حط العمارية في الصحراء ثم ضربت له خيم  
 لاصحابه فصرنا في عسكر واشعلت النيران ونصب له سرير مخلع (١) في خيمة  
 له واستدعاني فجلت وهو على فراشه فلاعيني ثم نزع ٠٠٠ وجلس مني مجلس  
 الرجل ٠٠٠ فوقعت صيحة عظيمة فنهض عني ولم يكن ٠٠٠ وضرب يده الى  
 تحت الفراش واذا سيف مجرد فاخذه وخرج بلا سراويل وصاح انا ابو الهيجاء  
 وسألهم عن سبب الصيحة فقالوا سبع اطاف بالخيم فخرج يعدو ومعه خلق من  
 ظلمانه واصحابه واهاجوا السبع وطلبوه وناصبوه الحرب وناصبهم وانا اسمع  
 الصياح وزئير الاسد وقد تلفت فرعاً ثم ياتيه هو من بين الجماعة فقتله فحمل  
 رأسه وجاءني وهو في يده فلما رأيت صحت فرمى بالرأس وغسل يده ثم جاءني  
 فطرحني واذا ٠٠٠ قائم كما كان في وقت نهوضه ما تغير ثم ٠٠٠ ثم نهضت  
 فما رأيت قلباً أثبت من قلبه ٠٠٠

\*\*\*

حدثني عبدالله بن احمد بن داسه قال حدثني ابوسهل بن زياد العطار قال

(١) كذا بالاصل ولعل معناه وثير .

كان باسكاف (١) شاعر به (٢) طريفة فهجا عاملها وبلغه ذلك فامسك عنه فلما كان وقت الغلة ركب العامل الى البيدر وقسمه وحمل غلة الشاعر اصلاً فجاه الشاعر اليه يشكو ويداريه فقال يا هذا ليست بيننا معاملة انت هجوتنا بالشعر ونحن هجوناك بالشعير وقد استوت الحال بيننا وبينك .

\*\*\*

حدثني محمد بن عدي بن حر وجماعة من البصريين قالوا لما نشأ لأبي الحسين محمد بن عبيد بن نصرويه مع فضله ورُجُلته (رجوليته) ومحلّه المشهور من الدهاء والفيل (٣) والعلم والعقل - ابنه الباقي الآن - وأخبر ابو الحسين رحمه الله بتأخره غمه ذلك قال وكان ابو الحسين يوماً جالساً اذ جاء ابنه هذا يسعى اليه كأنه في مهم ثم تنفأ طاقة شعر كانت على اذن ابي الحسين وسعى فألمه ذلك وغمه بلوغ تخلف الصبي الى هذا الحد ورثينا لما جرى قال لنا خلف النار الرماد .

\*\*\*

وحدثني ابو الحسين بن محمد الجبائي قال لما سعى ابو طاهر الحسين بن الحسن عامل البصرة علي ابي الحسين بن نصرويه حتى نكسب النكبة الثانية التي ألزمه فيها الوزير العباس بن الحسين ما ألزمه من المال راسل اباطاهر فقال له اعلم ان الصياد الفاره لا يذبح شباشه (٤) وانا كنت لك في هذا البلد مع التجار

(١) مكان في نواحي النهروان . (٢) لعله محرف عن مثل به دعابة طريفة .  
 (٣) يريد الاغتبال كما تدل عليه الحكاية الآتية . (٤) أظن هذه الكلمة عبرانية معناها المفرور . قد وصفه الدكتور خليل سعادة في قاموسه ببطة أليفة توضع في المعابر الموصلة الى بركة لاستخراج البط البري ووقوعه في الشرك .

والناس مثل شباش الصياد فما انما ظن الناس انك عادلاً (١) وكنت تأخذ من تريد من الأوساط والأصاغر ولا ينكشف امرك وقدصرت بما عملتني مثل الصياد الذي ذبح شباشه فليس عزمه بعدها ان يضطاد وستعلم انك لا تنتفع بنفسك ولا بالبلد بعدي ثم عدل الى السعاية عليه مع ابي الفضل العباس ابن الحسين الوزير فما خرج من البصرة حتى قبض (٢) ونكبه وقلد البصرة ابا القاسم علي بن الحسين بن ابراهيم بن أخت ابي الفرج محمد بن العباس ابن فسانجس وألزمه مالا ثقيلاً لم ينهض به وتلف ابوطاهر في المطالبة والضرب ومات في الحبس والسحق هو واهله الى آخر دهرهم وكل ذلك تدبير ابي الحسين وترتيبه المكروه عليهم .

\*\*\*

حدثني محمد بن هليل بن عبد الله قال حدثنا القاضي احمد بن سيار قال حدثني رجل من الصوفية قال كنت اصحب شيخاً من الصوفية انا وجماعة في سفر فحدثني حديث التوكل والارزاق وضعف النفس فيهما وقوتها فقال ذلك الشيخ علي "وعلي" لاذقت ما كولا" او يبعث الي" بجامة فالودج حار" ولا آكل الا بعد ان يحلف علي" قال وكنا نمشي في الصحراء فقالت له الجماعة : الآخر جاهل ومشا ومشينا وانتهينا الى قرية ومضى عليه يومان وليلتان لم يطعم فيهن شيئاً ففارقته الجماعة غيري فانه طرح نفسه في مسجد في القرية مستسلماً للموت ضعفاً فاقمت عليه فلما كان في ليلة اليوم الرابع وقد انتصف الليل وكاد ان يتلف

(١) لعله : فانما ظن الناس انك عادل . (٢) قد سقط : عليه .

الشيخ فاذا بباب المسجد قدفتح واذا جارية سوداء ومعها طبق مغطى فلما رأتنا قالت انتم غرباء او من اهل القرية؟ فقلنا غرباء فكشفت الطبق فاذا بجم فالزوج يفور لحرارته فقالت كلوا فقلت له كل فقال لا افعل فقلت له والله لتأكلن لأبراً قسمه فقال لا افعل قال فشالت الجارية يدها فصغته صغمة عظيمة وقالت والله لئن لم تأكل لاصغفك هكذا الى ان تأكل قال فقال كل معي فأكلنا حتى نظفنا الجمام وجاءت الجارية تمضي فقلنا لها مكانك خبرينا بخبرك وخبر هذا الجمام فقالت نعم انا جارية رجل هو رئيس هذه القرية وهو رجل احمق حديد فطلب منا منذ ساعة فالزوجاً قمنا لنصلحه وهو شتاء وبرد فالى ان تخرج الحوائج من البيت وتشعل النار ويعقد الفالزوج تأخر عنه فطلبه فقلنا نعم وطلبه ثانياً ولم نكن فرغنا منه وطلبه الثالثة ففرد وحلف بالطلاق لا يأكله ولا احد من داره ولا احد من اهل القرية ولا يأكله الا رجل غريب فعملناه في الجمام وخرجنا نطلب في المساجد رجلاً غربياً فلم نجد الى ان انتهينا الى هذا المسجد فوجدنا كما ولو لم يأكله هذا الشيخ لقتلته ضرباً الى ان يأكل لثلاثا نطلق ستي من زوجها قال فقال الشيخ كيف ترى اذا اراد ان يوزق .

( للبحث صلة )

# أراء وافكار

—(«)—

## الزبور الشريف

ذكرنا في مقالنا «خزانة الكتب الخالدية» في بيت المقدس المنشورة بمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق<sup>(١)</sup> ان من جملة مخطوطاتها الزبور الشريف وانه منقول عن نسخة بمقام سيدنا داود عليه السلام في بيت المقدس وقد أنبج لنا اخيراً الاطلاع على النسخة الأصلية المذكورة في خزانة كتب السيد حسن صدقي الدجاني فأحببنا ان تأتي على وصفها فنقول : كتبت هذه النسخة بخط جميل وهي بالقطع الكبير وقد جاء في آخرها ما يلي بالحرف :

« قد استراح من طي تيهاء زبير زير الأولين واستباح في حيا فرهاء حبير حبر الأولين القلم الذي اقدم تاماً في كتب الكتاب المنير والمترجم من كتاب الله القدير المنزل على سيدنا داود بن ايشا بن عوبد بن باعر المثني نسبة الشريف الى ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله تعالى عليهم اجمعين . على يد اضعف العباد الطالب سبيل الرشاد البائس الفقير المعترف على النقصان والتقصير ملتقماً شفاعته من انزل عليه الزبور يوم يبعث من في القبور من الله العزيز الغفور الحاج محمد بن يحيى بن محمد المرعشي الملقب بشاطر زاده غفر الله له ولوالديه وجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات برحمتك يا ارحم الراحمين . في اليوم الثاني من شهر رمضان المكرم لسنة احدى وخمسين ومائة والف من هجرة من له العز والشأن في المحروسة القسطنطينية دار السلطنة عليه » اه .

وقد ذكر فيها نسب سيدنا داود كما يأتي « هو داود عليه الصلوة والسلام ابن ايشاهمزة مكسورة فثناة تحتية ساكنة لثنين معجمة مقصورة ابن عوبد بعين مهملة وبعداواو موحددة وزن جعفر ابن باعر بياض موحددة وعين مهملة مفتوحة بينهما الف وآخره راه ابن سلون بن

يخشون بن عمليا ذاب بن رام بن حصرون بن فارض بن يهوذا بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليهم السلام . كذا في العرائس للشعلبي والذي في فنج الباري هو داود عليه السلام بن ايشا بن عوبد بن باعر بن سلوف بن يارب بن رام بن فارض بن يهوذا بن يعقوب عليهم السلام ودأبه صلى الله تعالى عليه وسلم بنام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ويصوم يوماً ويفطر يوماً ولا يفر اذا لاقى قال العلماء رحمهم الله تعالى لما استشهد طالوت اعطت بنو اسرائيل داود عليه السلام خزان طالوت وملكوه على انفسهم وذلك بعد قتل جالوت بسبع سنين ولم تجتمع بنو اسرائيل على ملك الا داود عليه السلام . قال اهل التاريخ وكان عمره عليه السلام مائة سنة ملكه منها اربعون سنة وقيل ولي له من العمر ثلاث وثلاثون سنة قيل وبين خروج بني اسرائيل مع موسى عليه السلام من مصر وبين اول ملك داود عليه السلام ستمائة وستون سنة وحايته : كان داود عليه السلام أحمر الوجه سبط الرأس ايض الجسم طويل الهيئة فيها جمودة حسن الصوت والخلق طاهر القلب دعاؤه الذي دعا عليه السلام به قوله : اللهم اني أسألك حبك وحب من يحبك والعمل الذي يبلغني حبك اللهم اجعل حبك احب الي من نفسي واهلي ومن الماء البارد . هكذا نقل من وسائل المبرات . وكتب بهامش الصفحة الاولى منها مانصه :

« من تفسير اسماعيل حقي » — وآتيننا داود زبوراً وهو الكتاب مأخوذ من الزبور وهو الكتابة قال القرطبي : كان فيه مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم من الاحكام وانما هي حكم ومواظ وتحميد وتمجيد وثناء على الله عز وجل . وكان داود يبرز الى البرية ويقراء الزبور فيقوم معه علماء بني اسرائيل خلفه ويقوم الناس خلف العلماء ويقوم الجن خلف الناس وتجي الدواب التي في الجبال اذا سمعت صوت داود فيتمن بين يديه تعجباً لما يسمعن من صوته وتجي الطير حتى يظلمن على داود في خلائق لا يحصهن الا الله برفرفن على رأسه وتجي السباع حتى تحيط بالدواب والوحش لما يسمعن . ( كتبه الفقير حسن انيس الدجاني الخلوقي خادم سيدنا داود عليه صلاة الملك المعبود ) .

\*\*\*

هذا وصف مختصر للزبور الشريف الذي يسميه اليهود والنصارى بـ « الزامير » ولكن تلك الزامير لا تطابق نصوصها ما في الزبور الشريف وهذه بعض سورة .



### السورة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم . يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي عليكم وعلى آباؤكم الأقدمين .  
وحملتكم في البر والبحر . ورزقتكم من الطيبات وأنا العزيز الحكيم .

### السورة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم . ياداود قل لبني اسرائيل لا تكثروا الصلوة في الثياب الحرام  
ولتكن ثيابكم طاهرة من حلسا . يا عبدي كيف تعصيني وأنا أنزل عليك في كل يوم  
رزقاً جديداً وألكن غرماً حللي عنك تعاليت وتقدست ان افاست بالملحوقين . ياداود قد  
جعلت هذه الكتب التي انزلتها على رسلي ليزجروا بها عبادي ويهدروم ويخوفوم ويبدشروم  
بما اعددت للمحسنين منهم دعوا العجلة وملاحاة الرجال تسلم اديانكم ودينياكم واعمالكم .

### السورة الثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم . يا بني اسرائيل البسوا لكل حين لباسه وطيكم بالتقوى .  
واكثروا من الدعاء فاني احب من يدعوني بنية خالصة . فاذا فعلتم ذلك كانت جنتي لكم  
مفتوحة . ياداود ان النساء قد ملكتم نواصيهم بالامانة فاحسنوا اليهن وادبوهن . ولا تقفروا  
عليهن اذا كان لكم سعة . فاني انا الله الرزاق ذو الخزائن الواسعة الخ .

### سورة من نصف الزبور

بسم الله الرحمن الرحيم . ياداود قل للأفاك الكاذب الفناك الذي يُسأل في  
عبادي ولم يتذكر آلائي ولم يعتبر بامثالي واحكامي التي انزلتها على رسلي .  
وعزتي وجلالي افي علم غير معام وافي خبير غير مخبر فقل لمن كان في قمره وعصيانه  
الم تعلم ان بطشي شديد فيبش الورد ترد وبش المنقلب تنقلب .

### سورة من آخر الزبور

بسم الله الرحمن الرحيم . يا ابن آدم اكثر من الزاد فان الطريق بعيد واجود القيام  
لله فان البحر عميق وخفف الحمل فان الصراط دقيق . واخلص العمل فان الثاقد بصير وآخر  
نومك الي القبر وفراستك الي الميزان وشهواتك الي الجنة وراحتك الي الآخرة ولدتك

الى الحور العين وكن لي اكنف لك وتقربوا الي بالاستهانة بالدنيا وتباعدوا من الدنيا  
لبغض النجار وحب الابرار فان الله لا يضيع اجر المحسنين .

### نسخة أخرى من الزبور

جاء في مجلة العرفان الفراء التي تصدر بصيدا « م ٨ ص ٤٩١ » ان في مكتبة الحرم  
المكي بمكة المكرمة نسخة من الزبور الذي ترجمه الامام علي بن ابي طالب - كما ذكر الفخر  
الرازي - منسوخة في ٦ ربيع الاول سنة ١٢٧٧ بقلم عبد اللطيف بن عبد اللطيف  
الدويبي الزمزمي في ١٤٨ سورة و ١١٧ صفحة بقطع الثمن ومن آياته :  
يادود صر بني اسرائيل لا ينهروا المسكين ولا يضربوا اليتيم وليقوموا الي دجى الليل  
بقلوب خائفة واعين باكية .

### استدراك على نسب أسرة الدجاني

كنت ذكرت في مقالتي المشار اليه بأول الكلام<sup>(١)</sup> ان أسرة الدجاني يتصل نسبها بسيدنا  
داود عليه السلام وهو خطأ ساقني اليه اشتهاار هذه الاسرة الكبيرة ببيت المقدس باسم  
« الداودي » بحكم قيامها على خدمة مقام سيدنا داود الى الآن . لذلك رأيت ان أشير الى  
هذا الخطأ غير المقصود واعتذر عنه وأقول ان هذه الأسرة قد تحدت من الشيخ الصالح  
الزاهد صاحب الاوقاف المشهورة احمد الدجاني دفين تربة مامن الله ببيت المقدس ومن  
مشاهير رجالاتها يحيى بن درويش بن سليمان بن محمد المترجم له في سلك الدرر في اعيان  
القرن الثاني عشر للمراي « ج ٤ ص ٢٢٨ » .

كما ان والده درويش وجده سليمان ومحمد المذكورين قد ترجم لهم الهبي في خلاصة  
الأثر في اعيان القرن الحادس عشر « ج ٢ ص ١٥٦ و ج ٢ ص ٢١١ و ج ٣  
ص ٣٥٦ » .

وقد نعت الهبي سليمان المذكور بالداودي المقدسي مما نستدل منه على ان نسبهم  
الى الدجاني والداودي كانت جارية في الماضي كما هي جارية في الحال .

عبد الله مخلص

## منصور البهوتي

ترجم الهبي في خلاصة الأثر في اعيان القرن الحادي عشر<sup>(١)</sup> لشيخ الحنابلة بمصر في زمانه منصور بن يونس بن صلاح الدين بن حسن بن احمد بن علي بن ادريس البهوتي المتوفى سنة ١٠٥١ هـ ١٦٤١ م ووفاه حقه .

وقد اقتنيتُ أخيراً نسخة مخطوطة من كتاب شرح المنتهى لمنصور المذكور كُتبتُ حديثاً ختمها ناسخها بترجمة المؤلف نقلًا عن محمد السفاريني<sup>(٢)</sup> الذي يظهر ان الهبي نقل عنه ايضاً .

وتماز ترجمة السفاريني بانه استقصى فيها تاريخ مولده بعد مدة و اضاف له اليها وذكر بعض من أخذ عنه من العلماء الذين اغفلهم الهبي مثل محمد أبي المواهب ومحمد الخلوقي وباسين البدي وعبد الحق ابن عمه ويوسف الكرمي .

وشرح المنتهى هو على « منتهى الارادات » للثقي الفتوح وللشارح حاشية عليه ايضاً . وقد طبع هذا الشرح بهامش كتاب كشاف القناع عن متن الاقناع للمؤلف نفسه في المطبعة الشرفية بمصر سنة ١٣١٩ هـ ١٩٠١ م .

والغريب ان يذكر في طرقة الكتاب المطبوع ان كشاف القناع عن متن الاقناع هو لشيخ مشايخ الاسلام واوحد الكبراء الفخام صاحب الاقناع والتدريس العلامة الشيخ منصور بن ادريس الحنبلي وان شرح المنتهى هو لشيخ الاسلام وقدوة الأنام وخاتمة المحققين وبقية المدققين الشيخ منصور بن يونس البهوتي الحنبلي كأنها لمؤلفين مختلفين في حين انها لرجل واحد هو منصور بن ادريس المذكور .

وفي نسخة مخطوطةٍ بجزارة كتبي من الكشافات جاء اسمه في الطرقة كشاف القناع

(١) خلاصة الأثر جزء ٤ صفحة ٤٢٦ .

(٢) هو محمد بن احمد بن سالم بن سليمان السفاريني النابلسي الحنبلي المترجم له في سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر للمراي « ج ٤ ص ٣١ » وفيها انه توفي سنة ١١٨٨ هـ ١٧٧٤ م .

شرح الاقناع بينا المؤلف بذكره في مقدمته باسم «كشاف القناع عن الاقناع» وهذه هي ترجمة السفاريني التي نقلها عنه ناسخ الكتاب :

«اقول الشيخ منصور المذكور احد اعلام طلاء المذهب المتأخرين كان كثير العبادة غزير الافادة والاستفادة وصل اليه الخنازلة من الديار الشامية والنواحي النجدية والاراضي المقدسية والضواحي البعلية وتمثلوا بين يديه وضربت الابل اباطها اليه وعقدت عليه الخناصر وقال من حظي بنظره هل من مفاخر فاخذ عنه الشيخ يوسف البهوتي والشيخ عبد الرحمن البهوتي وسيدنا الشيخ محمد ابو المواهب والشيخ محمد الخلوئي والشيخ محمد المرادي<sup>(١)</sup> والشيخ ياسين اللبدي والشيخ عبد الحق ابن عمه والشيخ يوسف الكرمي ومحمد بن ابي السرور في آخرين .

وشرح الاقناع في ثلاث مجلدات ضخام وكذلك المنتهى وشرح المفردات وزاد المستقنع وهو احسن شروحه وله حاشية على الاقناع وحاشية على المنتهى .

وكان سخياً جواداً له مكارم دارة وبشاشة سارة وكان في كل ليلة جمعة يصنع ضيافة ويجمع جماعة المقادسة<sup>(٢)</sup> في داره ومن مرض منهم عاده واخذه الى داره ومرضه احسن تبريض الى ان يشفي وكان الناس يأتون بالصدقات فيفرقها في المجلس ولا يأخذ منها شيئاً . وكانت وفاته رضي الله عنه ضحى يوم الجمعة عاشر ربيع الثاني سنة احدى وخمسين والى الف بمصر المحروسة ودفن بتربة المهاجرين رحمه الله تعالى ورضي عنه آمين .

والى الآن لم اعلم تاريخ مولده رضوان الله عليه قال الفقير الشيخ محمد السفاريني نلصت هذه الكلمات من ترجمة في تراجم متأخري الاصحاب التي جمعها والله ينجم بالصالحات والله سبحانه وتعالى اعلم .

ثم رأيت سنة ١١٥٨ ابن ام اخته الشيخ محمد الخلوئي ذكر في كتاب الحجر انه سأله عن مولده فأخبره انه سنة الف فكان عمره احدى وخمسين سنة رضي الله عنه<sup>(٣)</sup> .  
عبد الله مخلص

(١) في خلاصة الأثر المراداي . (٢) في الأصل المقادسة وهي من غلط الناسخ .

(٣) لم يذكر المرادي في ترجمة السفاريني مجموعته هذا المتعلق بالتراجم .

## وائلة بن الأسقع

ذكر رئيسنا الأجل في مقالته «التدوين في الاسلام»<sup>(١)</sup> ان وائلة بن الاسقع احد اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم الذين سمعوا منه مات في بيت المقدس وانه كان يشهد المغازي فييرت بدمشقي وحمص .

والذي في كتاب الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني<sup>(٢)</sup> انه آخر من مات بدمشق من الصحابة .

وذكر السائح المروي في كتاب الاشارات الى معرفة الزيارات<sup>(٣)</sup> ان قبره قبلي الباب الصغير وكذلك قال ياقوت الحموي<sup>(٤)</sup> :

وزاد اكل الدين ابن مفلح الذي ملك نسخة الاشارات المخطوطة بحاشيتها ان لوائلة مسجداً بدمشق داخل باب الشاغور قرب تربة الشنباشي يعرف به .

واكمل الدين هذا هو محمد بن ابراهيم بن عمر بن ابراهيم بن محمد بن مفلح الدمشقي المتوفى

سنة ١٠١١هـ ١٦٠٣م

عبد الله مخلص



(١) مجلة المجمع العلمي العربي م ١٠ ص ٤١٠ .

(٢) الاصابة ج ٦ ص ٣١٠ .

(٣) من مخطوطات الخزانة التيمورية في القاهرة .

(٤) هم البلدان طبع ليبسك ج ٢ ص ٥٩٥ وطبع مصر ج ٤ ص ٧٩ .

## نوادير المخطوطات

« في دار الكتب الظاهرية »

- ٦ -

( الرسالة الجامعة في الفلسفة ) : تأليف الحكيم مسئلة بن احمد المعروف بالخرطبي القرطبي الاندلسي المتوفى سنة ٣٩٥ هـ وهي على نمط رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا .  
أولها : الحمد لله الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى الخ نسخة في ٥٠٠ صفحة متوسطة القطع بخط عبد الرزاق الحموي سنة ١٠٠١ [ رقم ١٥٩ قسم التصوف ] .

( مفرح النفس )<sup>(١)</sup> : تأليف شرف الدين محمد بن عمر بن ابي الفتوح البغدادي المعروف بابن المزة من أطباء القرن السابع أوله : اما بعد حمد الله تعالى خالق الداء والدواء والمنقذ من الأعراض والادواء بمفرحات النجاة والشفاء الخ . قال مؤلفه ( اني لما طالعت أكثر الكتب الطبية لم اجد فيها ما يشفي القلب من ذكر الأمور المفرحة للنفس والموجبة لذاتها وراحتها وسرورها . ثم ان الشيخ الرئيس ابن سينا صنف كتاباً في الأدوية القلبية ولم يستوعب اجناسها بل اقتصر على جنس واحد منها ثم جعله حاوياً لا أكثر المفرحات للنفس وجعل لكل حاسة باباً الخ ) نسخة في ٦٦ صفحة صغيرة كتبت بخط نسخ [ رقم ٣٢ قسم الطب ] .

( العمل بالاسطرلاب ) : تأليف علي بن عيسى ( كذا ) ولم يرد ذكره في كشف الظنون والذي يظهر انه لابراهيم بن حبيب الفزاري اوله : قال الشيخ الفاضل .....  
وهنا كسط ظاهر وكتب مكانه علي بن عيسى بخط جديد . ثم خطبة الكتاب التي أولها الحمد لله خير ما استفتح به واستنبح ببركته وصلى الله على الصفة من بريته وسلم وكرم وشرف وعظم الخ . وهذا الكتاب يتضمن من أبواب العمل بالاسطرلاب ما لا بد منه ولا غنى عنه وهو في تسعين باباً في ١١٤ صفحة صغيرة كتبت بخط قديم يرجع الى القرن الخامس مضبوط بالحركات [ رقم : ١ الهلك ] .  
حسني الكسم

(١) وذكر صاحب كشف الظنون انه لمجد الدين عبد الوهاب بن احمد الدمشقي

المتوفى سنة ٦٩٤ هـ .

# مطبوعات حديثة

---(0)---

## آراء ابن خلدون الاقتصادية

Les idées économiques d'Ibn Khaldoun

« كتاب بالفرنسية في ٢١٥ صفحة من القطع المتوسط تأليف السيد صبحي  
المحصاني الدكتور في الحقوق »

بحث عدد من المستشرقين عن ابن خلدون ومؤلفاته وفلسفته وأعجبوا بمقدمة تاريخه خاصة فترجموها الى لغاتهم او نخصوها . وألف الدكتور طه حسين كتابا بالفرنسية في فلسفة ابن خلدون الاجتماعية . ثم اتى اليوم الدكتور صبحي المحمصاني ، فذكر آراء فيلسوفنا الكبير في شؤون اقتصادية مهمة ، كحاجات البشر وامتلاك العقارات ، وقانون العرض والطلب والعمل ، وتوزيع الاعمال ، وتصنيف وسائل الارتزاق والكسب ، وفضائل التجارة الخارجية ، والضرائب والسكان وتأثير البيئة في إقدام الناس على العمل ، وحرية التبادل ووظيفة الدولة في الشؤون الاقتصادية ، والنقود الاسلامية وغيرها . وقد ذكر المؤلف البيئة التي عاش ابن خلدون فيها ، كما ذكر حياته ومؤلفاته ، وقواعد الاقتصاد في الاسلام ، وآراء من تقدموا ابن خلدون في الشؤون الاقتصادية كالفارابي وابن سينا والغزالي والبياض والدمشقي ، فجاء الكتاب مفيداً سواء لطلاب الفائدة من العرب أم للاجانب الذين يودون الوقوف على الأعمال العقلية لرجالنا الاقدمين . ومع ذلك وجدت في تصانيف الكتاب بعض هنات لا يصح السكوت عليها كقوله في الصفحة ٥٥ ان الخراج ايام عمر (رض) كان غير عادل وهو كلام لا يصدقه احد من العلماء وكقوله في الصفحة التاسعة ان الخراج كان يبلغ ايام عباسيين ثلث الغلة الزراعية او نصفها . فهذا القول يجب ان لا يكتفى به على

علاته لأن الخراج في الخلافت العربية القديمة ما كان يزيد على عشر المحاصيل حتى يبلغ ثلثها أو نصفها الا في حالات شاذة والشذوذ لا يقاس عليه ( أنظر م ٢ ص ١٠٧ - ١٠٩ من هذه المجلة وانظر مقالنا في العدد التالي ) .

وكقوله في الصفحة ٤٣ ان انشاء ابن خلدون ضعيف ومغلق اجمالاً وان جملة تكون متداعية في تركيبها احياناً وان بعض تعابيره مغلوطة الخ . فهذا القول إن كان يقصد به اللغة دل على ضعف السيد صبحي المحمدي فيها لا على ضعف ابن خلدون ، لأن كل من يتذوق جودة الانشاء في الموضوعات المختلفة التي كتب فيها ابن خلدون يحس بانها من أئمة الكتاب الذين لا يشق لهم غبار . اما اذا كان يقصد بهذا القول العلوم التي حوتها مقدمة ابن خلدون فان لكل من يتذكر في عصر كذلك العصر كبوات يجب على علماء اليوم ان يقتفروها .

وبعد نشكر للمؤلف الفاضل هديته الثمينة وحبذا لو ترجم كتابه الى العربية .  
مصطفى الشهابي

### قصص جديدة للاطفال

« بابا عبد الله والدرويش . ابو صير وابو قير . علي بابا . عبد الله البري »  
« وعبد الله البحري . الملك عجيب . خسرو شاه »

بقلم كامل كيلافي

مطبعة المعارف ومكتبها بصر

ان اشد نواحي الادب العربي فقراً ما كان منها خاصاً بالنشء الصغير . فقد يكاد يكون هذا القسم خلواً من الكتب الصالحة لاحتقار الادياب له وانصرافهم الى ما هو اسمى وادعى للشهرة . بينما الحقيقة هي ان التأليف في هذا النوع من الأدب اصعب من التأليف في غيره لما يستلزمه من لغة وأسلوب انشاء خاص وسعة معرفة في فن التربية وعلم النفس . وقد شاء الأستاذ السيد كامل الكيلافي ان يتم من هذا النقص فاخرج عدة قصص جديدة



للأطفال اطلعنا على ست منها وهي التي جعلنا اسماءها عنوان هذه الكلمة فالفيشاها كاملة الصفات الصورية ولكنها تحتاج الى عناية خاصة من حيث الموضوع فهي معتدلة القصد ، متقنة الطبع ، جيدة الورق ، جميلة الرسوم ، سهلة العبارة فصيحة الألفاظ مشكلة الحروف تستقيم بقراءتها لغة القاري فتتطبع الألفاظ في ذاكرته صحيحة خلافاً للقاصص والكتب المدرسية غير المشكولة فانها من عوامل افساد اللغة لأن القاري المبتدي يحفظ الفاظها معوجة فيتعذر عليه تقويمها في المستقبل .

اما من حيث الموضوع فانها مقتبسة من كتاب الف ليلة وليلة ولا يخفى ما في بعض موضوعات قصص هذا الكتاب من الحوادث الخيفة القائمة على الروم والخيال التي تلذ قراءتها للصغير ولا يحمد عقبي تأنيرها في نفسه لانها تنطبع في حافظته كأنها حقائق محسوسة وتتمثل له في احلامه وفي خلوته ، لاسيما في الظلمة فينشأ شديد الخوف والتفكير سريع الانفعال وهل من احد يجبل مضار ما كان يتلى على الصغار من قصص الجان والعمالقة وما كانوا يخوفون بلفظه كالجمع وغيره ؟ فحسب ان يمد المؤلف في ما سيخرجه للنشر العربي من القصص المبيدة الى اختيار الموضوعات التي تتمثل فيها البطولة والشجاعة والجرأة والشهامة والكرم والإيثار والفضيلة بمظاهرها الحقيقية . فانها تربي في نفسه سجايا رفيعة فيضاعف بعمله هذا خدمته للغة وبنيتها .

اسعد الحكيم



## القرآن

« بالحروف اللاتينية . مكتبة حلي في استانبول وانقرة ١٩٣٢ »

ليس بالغريب بعد ان الف الاتراك الحروف اللاتينية وهجروا الحروف العربية هجراً لم يبق من سابق صلحتهم بها عيناً ولا أثراً ان يمددوا الى القرآن فيكتبوه بالحروف اللاتينية لتسنى لشعبهم المتدين قراءته دون ان يكون له مسوغ لتعلم الحروف العربية أو الاتصال بها .

وقد اطلعنا على نسخة من القرآن الكريم الذي عنيت مكتبة حلي بطبعه ونشره

بالحروف اللاتينية في السنة الحاضرة بمعرفة لجنة علمية من ذوي الكفاءة فالفيها لاختلاف من حيث الحجم والشكل الخارجي المذهب ورسوم السمجات والاحزاب والفواصل عن النسخ القرآنية العربية . وقد اصطلح في كتابه على جملة من الحروف المركبة والاشارات تضمن قراءته بالخارج الصوتية العربية مع مراعاة الوقف والمد وغيره . مما يدل على ان الروح الاسلامي لم يزل يرفرف تحت سماء الحكم التركي الجديد .

اسعد الحكيم

### الطب العربي وتأثيره في مدينة اوربا

« تأليف الدكتور علي . طيب بمستشفى القصر العيني »

« مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٣١ »

رسالة صغيرة ضمنها المؤلف كلمة عامة في نشوء الحضارة الاسلامية ومصادر الطب العربي ، وتراجم بعض من اشتهر به كابن سينا والرازي وغيرهما . وما كان لانتقال العلوم الطبية العربية الى اوربا من التأثير في نشوء مدينتها الحديثة . وذلك بصورة اجمالية موجزة . وقد ختم المؤلف رسالته بذكر المصادر التي استقى منها هذا الموضوع وليس فيها ذكر لأطروحة الدكتور السيد يوسف حريرز « تأثير الطب العربي في نشوء الطب الفرنسي » التي اشرنا اليها في محاضرتنا « الطب عند العرب » التي نشرتها مجلة المجمع العلمي العربي في مجلدها السادس ص ٤٤٥ سنة ١٩٢٦ مما يدل على ان المؤلف لم يطلع عليها ولما كان في هذه الاطروحة أسانيد قيمة تدعم فكرة المؤلف رأينا من الواجب التنويه بها اتماماً للفائدة المتوخاة من هذا البحث .

اسعد الحكيم

## مجموعة الرقم العربية

« طبعت باشراف أن . كومب . وج . سوفاجه وج . فييت . الجزء الثاني »

« عدد صفحاته ٢٧٦ طبع بالقاهرة سنة ١٩٣٢ »

Répertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe. Publié sous la direction de M. M. Et. Combe, J. Sauvaget et G. Wiet. Tome II, 276 pages. Le Caire 1932

هذه المجموعة هي من مطبوعات المعهد الافرنسي للآثار الاسلامية في القاهرة ، اشترك بجمعها نخبة من علماء المشرقيات والمحققين وقد ضم هذا الجزء ٤٠٠ كتابة رتبته بحسب قدمها وتاريخها من سنة ٢٤٣ هـ الى سنة ٢٨٥ هـ . وأكثر هذه الرقم شواهد قبور وقد ترجمت جميع هذه النصوص الى الافرنسية بدون تعليق . وقد عثرت على بعض اغلاط لا ادري ان كانت في اصل المتن أو هي خطأ طرأ على قراءتها . وعلى كل حال فقد رأيت من المفيد الاشارة اليها : فقد جاء في الشهادات الآتية :

الشاهدة رقم ٤٠٦ ص : ٥ وس : ٤ ( ورسم عليه ) وصوابه ( وترجم عليه ) كما ورد

في الشاهدة رقم ٤٠٩ .

الشاهدة رقم ٤١١ ص : ٩ وس : ٤ ( المور ) وصوابه ( الميزان ) .

الشاهدة رقم ٤٩٣ ص : ٦٢ وس : ١ ( هذا ما تشهد به لحجاجة ) وصوابه ( هذا ما

نشهد به لحجاجة ) .

الشاهدة رقم ٥٠٧ ص : ٢٧ وس : ١ ( رم ) ضبطها ( رثم ) .

الشاهدة رقم ٦٣١ ص : ١٦٢ وس : ٤ ( اخذه منها تمبا ظاهرا ) وصوابه ( أخذه

منها نقياً ظاهراً ) وفي س : ٨ ( فالأساء ) وصوابه ( فالالسا )

الشاهدة رقم ٦٥٠ ص : ١٧٦ س : ٢ ( وتحزرم العباد بدلة الفناء ) وصوابه ( ويحزرم

العباد بدلة الفناء ) .

الشاهدة رقم ٦٥٣ ص : ١٧٨ س : ٢ ( نقل الله بها ميزانه ) يراد به ميزان والدهما

لاميزان الله كما جاءت الترجمة الافرنسية .

وفي سن ٣ : ( وجعلها نوراً بين يديه رحمة الله . . . ) وصوابه ( وجعلها نوراً بين يديه ورحمة الله . . . )

وبعد فقد اسدى القائمون بهذا العمل خدمة جليلة للتاريخ الاسلامي ولغة العربية ، دمتي  
نجز أصبح من اعظم ما قام به علماء المشرقيات نحو أبناء البلاد العربية فبارك الله بهمة القائمين  
به ووقفهم لاتمامه .

جعفر الحسني

## اثنا عشر كوكبا<sup>(١)</sup>

أيها السادة !

اقترح بعض الفضلاء أن ألقى على الرجال المحاضرة التي كنت ألقيتها في الاسبوع الماضي على السيدات في هذه الردهة بعنوان ( اثنا عشر كوكبا ) . ولقد وافق هذا الاقتراح رغبتنا اذ اننا نحب أن بطلع السادة الرجال على نموذج من المحاضرات التي نلقياها على السيدات . فيكون في ذلك زيادة اطمئنان الى المحاضرات النسائية . وإقبال عليها .

وقد اعتدت أن أراعي في المحاضرات النسائية حالة نساءنا في ملكة اللغة العربية ودرجة مقدرتهن على فهم اساليبها . فأفرغ المحاضرات لمن في قوالب سهلة الألفاظ طليهن قريبة التناول من أذهانهن . فأرجو أن لا تتواخذوني فيما ترون من لين العبارة . والزيادة او التكرار في توضيح الاشارة . وهذه هي المحاضرة :

\*\*\*

محاضر في اليوم أيها السيدات تاريخية . والتاريخ الذي هو العلم بأخبار الماضين من الذل العلوم وانعما للبشر : لاننا اذا تعلمنا التاريخ وتأملنا كيف كانت يعمل الناس الذين عاشوا قبلنا استحسننا من اعمالهم اشياء فنقلدهم فيها واستجبنا اشياء فنتركها ونعرض عنها . على أن من قرأ تاريخ الازمان الماضية كان كأنه عاش في تلك الازمان كلها على حد قول الشاعر :

(ومن درى أخبار من قبله أضاف أعماراً الى عمره)

وكتب التاريخ مختلفة في طرائقها . وكيفية تأليف أجزائها : وأشهر طرائقها أن

(١) هي المحاضرة التي القاها الأستاذ «المغربي» على النساء ثم على الرجال سنة ١٩٢٣ م

بذكر المؤرخ الأزمان الماضية سنة وراء سنة . وكما ذكر سنة ذكر الحوادث التي جرت فيها : مثل موت فلان الملك . وقيام آخر مكانه . ومثل انه حصل حرب بين الملك الفلاني والملك الفلاني . ومات فلان وفلان من عطاء الرجال . وحصلت مجاعة او طاعون مات بها كثيرون من البشر . وظهر في السماء نجم ( ابو ذئب ) فذعر له الناس الخ الخ . ثم يقول المؤرخ . ودخلت السنة التي بعد تلك فجرى فيها من الحوادث كيت وكيت ولا يزال يسرد السنين واحدة وراء واحدة حتى يكمل تاريخه .

ومن كتب التاريخ ما يسمى ( التراجم ) و ( الطبقات ) وهو ان يذكر المؤرخ تراجم مشاهير الناس الماضين . ويسرد اخبارهم . وما فيه فائدة من احوالهم من دون تفصيل زمان ولا مكان مثل تاريخ ابن خلكان ومن المؤرخين من يخصص الزمان : فيذكر الذين عاشوا مثلاً في القرن الثامن للهجرة او التاسع او العاشر . كتاريخ نجم الدين الغزي الذي سماه ( الكواكب السائرة في اعيان المئة العاشرة ) ولم يطبع بعد وهو من مخطوطات دار كتب الجمع العلمي .

ومن المؤرخين من يخصص المكان . فيذكر في تاريخه علماء بغداد او الحجاز او اليمن مثلاً ولا يذكر صوامم مثل تاريخ ( تاج المشرق في علماء المشرق ) للبلوي . ومنهم من يخصص الطبقة والصنف فيذكر علماء الحنفية وحدهم او الشافعية او الحنابلة . او الاعباء . او العميان . كما فعل الصلاح الصفدي في كتابه ( نكت الهميان ) وكتاريخ طبقات الانقياء لابن حبان . وهو مما أهداه الامير سعيد الجزائري الى مكتبة الجمع . ومن هذا القبيل كتاب ( الدر المنثور في تراجم ربات الخدور ) الذي ألفته السيدة ( زينب فواز ) العاملة الأصل المصرية المولدة والوفاء . وتاريخها المذكور طبع منذ ثلاثين سنة . وهو مجلد ضخيم عدد صفحاته ( ٥٥٠ ) صفحة تضمنت ترجمة نحو ( ٥٠٠ ) سيدة من جميع اجناس النساء شريقات . وغريبات . معاصرات . وقديمات .

\*\*\*

ندع هذه التواريخ جانباً ونرجع الى تاريخ ( نجم الدين الغزي ) الذي سماه ( الكواكب السائرة ) وهو الذي حكى لنا فيه أخبار المشاهير الذين عاشوا في القرن العاشر اي منذ ( ٤٠٠ ) سنة . وانما سماه ( الكواكب ) لأن كل واحد من المشاهير الذين ذكروهم في كتابه

يشبه كوكب السماء . في الرفعة والنور والبهاء . نقلب بين ورقات هذا الكتاب لنرى هل يوجد بين كواكب الرجال كواكب من النساء ؟ نقبنا وبحسنا فوجدنا بين أولئك الكواكب ( اثني عشر كوكباً ) او اثنتي عشرة امرأة فاضلة عالمة : ( ثنتان ) في مصر و ( خمس ) في حلب و ( خمس ) في دمشق . هذه الكواكب من النساء هن اللواتي أريد ان اسرد تراجمهن . واذا ذكر ما يحسن من أخبارهن . ولهذا سميت بمخاضتي ( اثني عشر كوكباً ) وكواكب الناس ككواكب السماء : مختلفة الأقدار . متفاوتة في الأنوار . لذلك ترون الكلام على بعض النساء قليلاً . وعلى بعضهن كثيراً .

\*\*\*

(الكوكب الأول) (أم الهنا) المصرية . بنت القاضي (ناصر الدين البدراني) كانت شبيخة مباركة سالحة . ولها رواية في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم . ومعنى ذلك انها كانت تتلقى حديث رسول الله عن شيوخها حتى اذا أعتقت هذه الأحاديث حفظتاً وفعماً سمع لها شيوخها أن تزويها للناس وتعلمهم إياها . وكانت وفاة هذه الشبيخة سنة (٩١١) للهجرة .

(الكوكب الثاني) (فرح) المصرية . بنت الامير الكبير الدوادار يشبك . و (الدوادار) لقب من القصاب الامراء في زمن ملوك مصر الجراكسة . أما أمها فهي بنت الملك المؤيد (شيخ) واسمها (خوند بدرية) . وكانت (فرح) من العابدات التاليات للقرآن العظيم . كثيرة الصدقات على الارامل واليتامى والمنقطعين . ولما أحسّت بدنوا اجلها أوصت بشي كثير من أثاث قصرها . واعتقت جميع ممالكها . وكانت وفاتها سنة (٩٢٧) .

(الكوكب الثالث) (فاطمة بنت الحنبلي) الحلبية . نلت حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشيخ المحدث (برهان الدين) وزارته بيت المقدس وحجت مرتين . وزهدت في الدنيا . ولبست العباة التي يلبسها الزهاد ثم حجت مرة ثالثة فماتت بمكة سنة (٩٢٥) .

(الكوكب الرابع) (خديجة بنت اليسلوي) الحلبية . كانت شبيخة سالحة

فقيهة . أجاز لها الشيخ الكمال ( ابن الناسخ الطرابلسي ) رواية حديث البخاري . وكان أهلها شافعية . فلما تزوجت برجل حنفي المذهب تجذبت مراعاة لزوجها . لأن زوجها كان يمس يدها أحيانا فينتقض وضوءها : كما هو حكم مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه . وهي رضي الله عنها ما كانت تتعصب لمذهب دون مذهب كما يفعل بعض الشيوخ . بل كانت تعلم انه لا فرق بين المذاهب . ولا يضر أن يدع المسلم مذهبه ويتبع مذهباً آخر من المذاهب الاربعة . إذ أن كلمه على هدى وسداد . ولما صارت حنفيه حفظت عن ظهر قلبها كتاباً في المذهب الحنفي . وماتت سنة ( ٩٣٠ ) .

( الكوكب الخامس ) ( بتوران ) الحلبية بنت قاضي القضاة ( محمد انير الدين ) ابن الشحنة . وبيت الشحنة في حلب بيت علم قديم ومنهم بل أشهرهم ركن الدين ابن الشحنة قاضي الحنفيه في حلب وهو صاحب التصانيف المشهورة وقد توفي سنة ( ٨١٥ ) وبتوران الشحنة عاشت بعده نحو مئة سنة وكانت خيرة سالحة . حجت مرتين . وكلمة ( بتوران ) تركية ولعلها هي بتوران وبوران من اصل واحد فتحول احدهما الى الأخرى تخفيفاً . ودرست بتوران العلوم . ولها اثر ونظم . وكانت كثيرة الانفاق على الفقراء والمساكين . حتى إنها لما احست بالموت حمدت الله إذ لم يكن في صندوقها درهم ولا دينار . يعني انها حمدته مذوقها الى انفاق جميع مالها في سبل الخير ومواساة المعوزين . ومن أخبارها انها استأجرت وقفاً على مدة تسعين سنة . وكان الذي أجرها الوقف فقيراً . فلما علمت بحاله أعادت اليه وقفه من دون ان تسترد منه المالك الذي اعطته اياه . بل صاحته به . وكان مضي من مدة الإجارة زمن قليل . ولما مات اخوها محب الدين الشحنة في الشام رثته فقالت :

( دعوا دمعي بيوم البين يجريه      فقد ذهب الأسي بمجمل صبري )  
 ( وكيف تصبري وأخي رهين      بأرض الشام في ظلمات قبر )  
 وكانت ولادة ( بتوران ) سنة ( ٨٦١ ) ووفاتها سنة ( ٩٣١ ) فتكونت عاشت نحو سبع وسبعين سنة .

( الكوكب السادس ) ( باي خاتون ) الحلبية : قرأت على عمها شيخ الاسلام



( زين الدين ابن الشجاع ) كتاب الاحياء للغزالي . وكتاب المنهاج للنووي . وكان عمها ( زين الدين ) يزورها كثيراً . ومات ورأسه في حجرها . ومن أخبارها انها تصدقت بجائتي مثقال ذهب وكانت ترفق للريح الاحمر فيبراً المريض باذن الله تعالى . وكانت وفاتها سنة ( ٩٤٢ ) ودفنت بجوار عمها ( الشيخ زين الدين المذكور ) .

( الكوكب السابع ) ( فاطمة بنت قزيمان ) الحلبيّة الشيفّة الفاضلة الصالحة كانت رئيسة للزاويتين : ( الزاوية العادلية ) و ( الزاوية الدجاجية ) وكانت حسنة الخط : كتبت كتباً كثيرة . ولها عبارة فصيحة . وقد ضلت عليها التشف والتعفف وملازمة الصلوات حتى في حالة المرض . واخبرت عن نفسها قالت : اخذت العلم عن زوجي الشيخ كمال الدين الأردبيلي . وكان زوجها هذا متقناً لسته وثلاثين طلاً . وعند موتها أوصتهم ان يدفنوا معها سجادة صلاتها .

وكانت ولادتها سنة ( ٨٧٨ ) ووفاتها سنة ( ٩٦٦ ) فتكون عاشت ثمانين وثمانين سنة . وذكر المؤرخ ( ابن الحنبلي ) انه شهد جنازتها وحمل بنمشها .

\*\*\*

فرغنا من الكلام على سبعة كواكب : مصريتين وخمس حلبيات . فلنتنقل الى الكلام على الكواكب الخمسة الدمشقيات :

( الكوكب الثامن ) ( أمة الخالق ) أم الخير الدمشقية . تلت العلم عن ( الجمال الحنبلي ) . وأجازها الشرف ابن الكويك . وبموتها نزل اهل الأرض درجة في رواية البخاري . وكانت ولادتها سنة ( ٨١١ ) ووفاتها ( ٩٠٢ ) فتكون عاشت إحدى وتسعين سنة .

( الكوكب التاسع ) ( خديجة بنت نصرالله ) الدمشقية الصالحة كان للناس فيها اعتقاد عظيم . وعلى الخصوص الأتراك العثمانيون الذين كانوا قريبي عهد بالاستيلاء على بلاد الشام وبلاد مصر اي نحو عشرين سنة . حتى ان الوزير الاعظم ( اياس باشا ) ارسل اليها من الاستانة مبلغاً من المال لتعمير دارها . وكانت دارها من أوقاف الزاوية الداودية . وكان اذا شاورها احد الناس في أمر ما تقول له : إضرب حتى أبيت لك النية

في هذه الليلة . ثم تصبح فنشير عليه أن يفعل كذا أو يترك كذا . وكان غالب ما تشير به يتحقق . لكن ابن عمها ( الشيخ زين الدين بن نصر الله ) كان ينكر عليها ذلك . ويقول لها : ( هذا من فعل الكهان ولا استحسن لك يا ابنة عمي ان تشتغلي بهذه الأمور ) ولعمري ان الحق مع ابن عمها : لأن الغيب لا يعلمه الا الله . وديننا الاسلامي نسانا ان نصدق الكهان الذين يدعون معرفة الغيبات . لأجل سلب المال من المغفلين والمغفلات . ثم لما عزمت الشيخة خديجة على الحج وقفت بيتها على جامع الحنابلة واعتقت جاريتها . وكانت الشيخة رحمها الله مقعدة : لا تقدر على الطواف حول الكعبة فحملوها في شقذوف . وطاقوا بها . ولما رجعت من الحج مائت في الطريق في المكان المسمى ( هدية ) : وهو أحد منازل الحج الشامي . وكانت وفاتها سنة ( ٩٤٦ ) .

( الكوكب العاشر ) ( خديجة بنت محمد ) دمشقية من بني الغزي المشهورين وهي الشيخة الصالحة الفاضلة الفقيهة . تلقت العلم عن ابن عمها ( شيخ الاسلام رضي الدين الغزي ) وسعدت البخاري والفقهاء على ابنه ( شيخ الاسلام بدر الدين الغزي ) وماتت سنة ( ٩٣٥ ) ولم يكن لها قريب الا الشيخ رضي الدين الغزي فأثبت نسبها وورثها .

( الكوكب الحادي عشر ) ( دمشقية من بني الغزي ايضا ) وهي ( زينب بنت الشيخ رضي الدين الغزي ) المذكور . وأخوها بدر الدين الغزي وابن اخيه نجم الدين الغزي . مؤلف كتاب ( الكواكب السائرة ) .

وبيت الغزي في دمشق بيت علم قديم . وكان نساؤهم يجازين رجالهم في الفتوى والتأليف والتصنيف : يحكى أن الفتوى كانت تصدر من دارهم وعليها توابع عدة : الأب وزوجته وابنه الأكبر وابنته وكنته الخ .

ويحكى ان ( نجم الدين الغزي ) درس في الجامع الأموي وهو دون البلوغ . فكان اذا جلس للتدريس في شهر رمضان وضع قلة الماء على الكرسي بجانب الكراسي وكما جف ريقه وعطش تناول القلة وشرب لأن صومه نفل . امانشره العلم بين الناس فهو أككد واحب من صيامه .

وكانت عمته ( الشيخة زينب الغزية ) من فضليات النساء علما ودينا وصلاحا فخرت بها

على والدها (الشيخ رضي الدين) ثم على اخيها (الشيخ بدر الدين) وكتبت لأخيها كتباً بخطها . ومدحته بقصيدة عرضت فيها بخصومه وحساده فقالت :

( انما العالم الذي جمع العلم واكمل )  
 ( قام فيه بحقه يتبع العلم بالعمل )  
 ( سهر الليل كله بنشاط بلا كسل )  
 ( فهو في الله دأبه أبد الدهر لم يزل )  
 ( حاز طمأً بخشية وبدنياء ما اشتغل )  
 ( حاسديه ا تعجبوا لبس ذا الفضل بالحيل )  
 ( ذاك مولاه خصه بكامل من الأزل )  
 ( من يرم مشبهاً له في الوري عقله اختبل )  
 ( أو بلوغاً لفضله فله قطه ما وصل )  
 ( فهو شيعي وسيدي وبه النفع لي حصل )

ذكر هذه الايات ابن اخيها (نجم الدين) في تاريخه (الكواكب السائرة) ثم قال :  
 ( ولقد أجادت فيما شادت ) . ولها غير ذلك من الأشعار في الوعظ وغيره في غاية الرقة  
 والسلاسة . قال ابن اخيها : ( وكانت من أعاجيب المعصر . وفاريد الدهر ) . وكانت  
 ولادتها سنة (٩١٠) ووفاتها سنة (٩٨٠) فتكون عاشت سبعين سنة .

\*\*\*

( الكوكب الثاني عشر ) وهو نعمة الكواكب وأفضلها وأتمها نوراً واشراقاً  
 فهو بينها كالثمس بين النجوم . أو كسيدنا يوسف عليه السلام بين اخوته : الأحد  
 عشر الذين رآهم في المنام . فقال لأبيه بمقرب عليه السلام ( اني رأيت أحد عشر كوكباً  
 والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ) .  
 هذا الكوكب هو (عائشة الباعونية) الدمشقية . أعلم نساء القرن العاشر الذي  
 عاشت فيه . بل ربما لم يتم في الاسلام بعد كبار الصحايات والتابعيات من يشبهها في  
 العلم والفضل . والتفنن في النظم والنثر . والاجادة في التصنيف والتأليف . كانت

كالشيخ عبد الغني النابلسي : في الجمع بين علوم الدين . وعلوم الادب . وعلوم التصوف . وقد قال بعضهم ان الباعونية في نساء الخلف كالنساء الشاعرة رضي الله عنها في نساء السلف .

( نسب الباعونية ) هي عائشة بنت القاضي ( يوسف بن احمد بن ناصر الدين ) . وكنيتها ام عبد الوهاب . وشهرة بيتها ( الباعوني ) نسبة الى ( باعونة ) وهي قرية من قرى مجلبوب .

( نشأتها وشيوخها ) قالت هي تخبر عن أول نشأتها « وكان مما أنعم الله عليّ اني بحمده تعالى لم ازل اقلب في اطوار الابدان . في رفاة لطائف البر الجواد . الى ان خرجت الى هذا العالم المشحون بمظاهر تجلياته . الطامح بجباب قدرته وبدائع آياته . المشوبة موارده بالاقدار والاكدار . الموضوع بكال القدرة والحكمة للابتلاء والاختبار دار عمر لا بقاء لها الى دار القرار . فرباني اللطف الرباني في مشهد الشمة والسلامة . وغذاني بلبان مدد التوفيق لسلك سبيل الاستقامة . وفي بلوغ درجة التمييز . أهلني الحق لقراءة كتابه العزيز . ومن عليّ بحفظه على التمام . ولي من العمر ثمانية أعوام . ثم لم ازل في كنف ملاطفات اللطيف . حتى بلغت درجة التكليف » . اهـ

وبفهم من كلام ( الغزي ) ان اهلها أخذوها الى مصر القاهرة للتحصيل فنالت من العلم نصيباً وافراً . واجازها شيوخها بالافتاء والتدريس ثم عادت الى وطنها دمشق الشام . وتلقت علم الفقه والنحو والعروض عن عدة علماء منهم الشيخ ( اسماعيل الحوراني ) . وقال الغزي انها تنسكت على يد السيد الجليل الشيخ ( اسماعيل الخوارزمي ) . ولا أحسب الا ان شيخها المذكورين ( اسماعيل الحوراني ) و( اسماعيل الخوارزمي ) واحد وقد تحرف احد الاسمين الى الآخر . وبعد الشيخ اسماعيل لازمت خليفته الشيخ يحيى الارموي . وتلقى عنها العلم طائفة من العلماء الاعلام .

( مآقالوه في نعمتها ) قال الغزي في الكواكب السائرة : ( هي الشيخة الاربعة العاملة العاملة الصوفية أحد افراد الدهر . ونوادير الزمان . فضلاً وطلماً وادباً وشعراً . وديانة وصيانة .

وقالت (زينب فواز) في تاريخها (الدر المنثور) : (كان على وجهها من الجمال لمحة جعلها الأدب . وحلتها بلاغة العرب . فجعلتها بغية الطالبين . ومنية الراغبين) ووصفها الشيخ عبد الغني النابلسي فقال : (فاضلة الزمان . وحليفة الأدب في كل مكان) . وقال غيره (ربة الفضل والأدب . وصاحبة الشرف والنسب) .

### « مؤلفاتها »

- (١) « الفتح الخفي » - وهو يشتمل على كلمات لدية . ومعانٍ سنية .
- (٢) « الملاحع الشريفة والآثار المنيفة » - وهو يشتمل على انشادات صوفية . ومعارف ذوقية .
- (٣) « درر الغائص في بحر المعجزات والخلائع » - هي قصيدة رائية .
- (٤) « كتاب الاشارات الخفية في المنازل العلية » - وهي أرجوزة اختصرت فيها كتاب « منازل السائرين » للشيخ المروري .
- (٥) « أرجوزة » - تلخصت فيها كتاب « القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيح » للسخاوي .
- (٦) « المورد الأهنأ في المولد الاسفي » - وهو مطبوع وتوجد منه نسخة بخط يد المؤلفة الباعونية في خزانة كتب أحمد باشا تيمور في القاهرة .
- (٧) « فيض الفضل » - وهو ديوان شعرها . وتوجد منه نسخة أيضاً في خزانة تيمور باشا .
- (٨) « الفتح المبين في مدح الامين » - وهو شرح لها على يد بيتها المشهورة التي مطلعها :

( في حسن مطلع أقدار بندي سلم أصبحت في زمرة العشاق كالعلم )  
والشرح في مجلد لطيف نحو مئة صفحة . أوله : الحمد لله على جواد الافهام بعقود مدح الشفيح . ومحلي سلامة الأذواق بمكرر ذكره الرفيع الخ . وقد فرغت من تصنيفه سنة (٩١٩) .

ولا يخفى ان السيدة الباعونية كانت صوفية متفسكة . وعلاها التصوف - وم شيوخ

الطريق — اذا ذكروا الحب والمحبوب . والشموم والمشروب . فانما يريدون بذلك جميعه معاني تتعلق بحب الله تعالى . فالله محبوبهم . وبه وجدتم وهيامهم . واشهر الصوفية الذين أطلقوا هذه الالفاظ على هذه المعاني في مناجاتهم الآيه الشيخ عمر بن الفارض . فالسيدة عائشة الباعونية انما ارادت بكلمة العشاق في قولها (اصبحت في زمرة العشاق كالعلم) عشاق الحضرة الآيهية .

\*\*\*

نرجع الى بدعيية الباعونية فنذكر لكم منها آياتنا على سبيل النموذج :

(الجناس المذيل والتام) .

والجار جار بعذل فيه متهم ) اقول والدمع جار جارح مقلي

(الجناس المركب) .

وجئت سلعاً فسل عن اهلها القدم ) باسعد ان ابصرت عيناك كاطمة

(الجناس المصحف والمطلق) .

طوبلع حيتهم وانزل بحبهم ) فثم أقارُ تيمّ طالعين على

(الجناس المخالف) :

وإن هموا بالتنائي أوجبوا الهى ) أحبةٌ لم يزالوا منتهى أهلى

(النزاهة) :

إذ أنتَ عندي معدودٌ من التعم ) عن ذمّ مثلك تبياني أنزهه

(الغلوّ) :

— إذا تكرر يُحبي بالي الرم ) وذكره كاد — لولا مئة سبقت

(التفريق) :

يهي وغيثُ نداء لا يزال همي ) قالوا هو الغيثُ قلتُ الغيثُ آونة

(تشبيه شبينين بشبثين) :

بدوورُ تيمّ بدت في حنّس الظلم ) كأنهم في عجاج النقع حين بدوا

(العقد<sup>(١)</sup>) :

(حسبي بحبك أن المرء يُحشر مع أحبائه • فهنائي غير منحسم)  
 وعدد أبيات هذه البدعية نحو (١٣٠) بيتاً • وقد أجادت في معظمها وربما فافت  
 غيرها من أصحاب البديعيات في كثير من الأبيات • وقد تكفل ببيان إجادتها وتفوقها  
 على غيرها الشيخ عبد الغني النابلسي في شرح بديعته الذي سماه «نجمات الأزهار على  
 نسائم الاسحار» وهو مطبوع •

وقالت الباعونية في مقدمة شرح بديعتها الذي سمته (الفتح المبين) ما نصه :  
 وبعد فهذه قصيدة صادرة عن ذات فناع • شاهدةٌ بسلامة الطباع • منقحةٌ بحسن  
 البيان • مبنية على أساس تقوى من الله ورضوان • سافرة عن وجوه البديع • ساميةٌ  
 بمدح الحبيب الشفيع • مطلقة من قيود تسمية الأنواع • مشرقة في أفق الإبداع •  
 موسومة بين القصائد النبويات • بمقتضى الإلهام الذي هو عمدة أهل الأشعار (بالفتح  
 المبين • في مدح الأمين) الخ الخ •

ولم أرد أيها السيدات أن أستقصي الدلائل على مقدرتها في صناعي النظم والنثر وإنما  
 أردتُ الإيلاء إلى اب المرأة يمكنها أن تتعلم وتنال من العلم حظاً وافراً تنتفع به •  
 وتنفعم الناس • كما كان من السيدة الباعونية •

والذي يساعد النساء المسلمات على التحصيل والتفوق في العلم انقطاعهن في البيوت •  
 فانهن بدل أن يقضين أوقانهن في البطالة والزينة وهو الحديث يمكنهن بسبب هذا الانقطاع  
 أن يقضينها في المطالعة والدرس والتحصيل • فالبيت بالنسبة إلى المرأة المسلمة كالمدرسة  
 الداخلية التي يمكن فيها التلميز ليلاً ونهاراً • فلا يعرض له ما يليه ويشغله عن الدرس  
 والتحصيل • وهكذا السيدة الباعونية عرفت كيف تستفيد من العزلة والانقطاع في  
 الخدر • فضربت بسم وافر من العلم وحسن الذكر •

\*\*\*

(١) العقد هو أن يعنى الشاعر شعره آية أو حديثاً أو حكمة وقد عقدت في هذا

البيت حديث (يحشر المرء مع من أحب) •

## « شعرها »

وشعر الباعونية رشيق الاسلوب . سهل الألفاظ . لاغموض فيه ولا تعقيد . ومنه قولها تصف دمشق :

( نزه الطرف في دمشق ففيها      كلما تشتهي وما تختار )  
 ( هي في الارض جنة فتأمل      كيف تجري من تحتها الانهار )  
 ( كم سما في ربوعها كل قصر      أشرفت في سمائه الأتقار )  
 ( وتناغيك بينها صادحات      خرست عند نطقها الأوتار )  
 ( كأها روضة وملا زلال      وقصور سكانها أبرار )

ومن شعرها البيتان المشهوران . قالوا انها نظمتها في جسر الشريعة لما بناه الملك الظاهر برفوق وهما :

( بنى سلطاننا برفوق جسراً      بأمر والانام له مطيعة )  
 ( مجازاً في الحقيقة للبرايا      وأمرأ بالمرور على الشريعة )

لكن هنا اشكال تاريخي : وهو ان الملك ( برفوق ) بنى هذا الجسر سنة ٧٨٢ هـ وجعل طوله ١٢٠ ذراعاً وانتفع الناس به كما ذكر ذلك صاحب تاريخ ( شذرات الذهب في أخبار من ذهب ) اما عائشة الباعونية فقد توفيت سنة ( ٩٢٢ ) اي بعد بناء الجسر بمائة واربعين سنة فلا يعقل انها كانت حية حين بنائه . فلعل الجسر تهدم واعاد خلفاء برفوق بناءه في زمنها فقالت البيهقي ناسبة البناء الى برفوق لأنه اول من بنى . ومن تشبهاتها البديعة قولها في تشبيهه خال في عنق مليح .

( كأنما<sup>(١)</sup> الخال تحت القرط في عنق      بدا لنا من مجا جل من خلقا )  
 ( نعيم غدا بممود الصبح مستتراً      خلف الثريا بقرب الشمس فاحترقا )  
 ون شعرها :

( وصيرت بدر التم مذغاب مؤنسي      أنيسي وقلت البدر منه قريب )

(١) رأينا حين إلقاء هذه المحاضرة على السيدات ان لاندكرهن هذين البيتين وما بعدهما من أشعار الحب والغزل لكننا ذكرناها للرجال .



(لحجبه عني الغمام بذيله فوا عجباً حتى الغمام رقيب)  
ومن شعرها بلسان رجال التصوف قولها :

(حبيبي انت من قلبي قريب وعن سرّي جمالك لا يغيّب)  
(لبست الحسن في حال التجلي فشاهدت الجمال ولا رقيب)  
(وأبذت الوصال فلا صدود ولا هجر ولا شيء يريب)  
(وطلت عليّ في حان التصابي بكأس عيش شاربه بطيب)  
(تسادمي وتسقيني مدامي وتحضرنّي لديك فلا أغيب)  
(وتذكرنّي وتشهدنّي جمالاً تقدّس أن يكون له ضريب)  
(فلا خوف وانت أمان قلبي ولا سقم وانت لي الطيب)  
(ولا حزن وانت سرور سرّي ولا سؤل وانت لي الحبيب)

وأكرر القول بأن شعرها هذا وما فيه من كلمات الحب والجمال والوصال والكأس والدمام — كله لم ترده الباعونية إلا الحب الأبرّ . ويفهم هذا المعنى جيداً من قولها في الشعر الغنائي :

(يا محبوبي يا مطلوبي • يا مقصودي يا موجودي • كن لي كن لي • واجبر كسرّي  
وأغن فقري • بالتداني والوصال) •  
(حبك نيم • فيك المخرم • ولي هيم • لا بل أعدم • عقلي عقلي • قد حبرني قد  
شهرني • وأضتاني بالدلال) الخ •

فاسمعوا كيف قالت (اجبر كسرّي وأغن فقري) فهل يصحّون هذا الخطاب إلا  
للرب سبحانه وتعالى الذي هو وحده يجبر الكسر • ويفني الفقر •

المغربي

« البقية تأتي »

## العشر والخراج

« في الخلافات العربية »



أقرأ أحياناً لبعض المؤرخين والكتاب جملاً يشيرون فيها الى نقل الخراج والضرائب الزراعية كافة في الشرع الاسلامي ، ايام الخلافات العربية القديمة . فهذا بنقل ابن المنصور العباسي جعل خراج الخنطة والشهير في السواد (العراق) مقاسمة ، وان ابنه المهدي جعل المقاسمة بالنصف في الارض التي تسمى سيماء ، وبالثلث في الارض التي تسمى بالدوالي وبالربع في الأرض التي تسمى بالدواليب . ويستعظم الكاتب هذا المقدار ويسكت عن خراج المحاصيل الأخرى وعن الاعشار وعن اساس ضريبة الخراج والأعشار في الاسلام حتى يظن القاري ان الخلفاء السابقين كانوا ظلمة يرهقون الرعية اجمالاً .

وذاك ينقل عن الاصطخري ان خراج الجرب في شيراز حنطة او شعيراً ١٩٠ درهماً دون ثمن في هذا الخلط الذي خلطه هذا المؤرخ كما سنثبت بالأرقام . وذلك ينقل عن ابن حوقل ان القائد جوهر جبي خراج مصر سبعة دنانير على الفدان وهو يستكثر ذلك لكنه لا يذكر لنا هل دامت هذه الجباية أكثر من سنة الخ .

ولما كانت هذه القضية ذات مكانة تتعلق بأساس العدل في الشرع الاسلامي ، وفي الخلافات الاسلامية الأولى ، جئت بهذه المقالة الموجزة مثبتة ان العرب كانوا في الجملة عادلين في وضع الضريبة الزراعية على اشكالها ، وانهم كانوا أعدل من بعض الدول المتمدنية .

ولتراجع في هذا الصدد كتاب الخراج لأبي يوسف ، وكتاب الخراج لابن آدم القرشي ، نجد ان المسلمين عندما فتحوا الفتوح في صدر الاسلام ودوخوا الممالك وملكوا

بلاد الأكرسة والقياصرة اقروا الاكارين على ارضهم حتى في البلاد التي فتحوها عنوة كسواد العراق مثلاً فان الشرع وقواعد الحرب في تلك الأيام كانت تبيح لم الاستيلاء على بلاد العدو التي يظهرن عليها ، ومع هذا عفت نفوسهم عن ذلك ولم يروا فيه حكمة ، فابقوا الناس قائمين على استغلال ارضهم ، على ان يدفعوا شيئاً كالخراج .

اما الارض التي صالح اصحابها ، فمن البديهي انها لبثت لم ولم يلزموا الا بخراجها او بما صولحوا عليه . واما الارض التي هجرها اصحابها لسبب من الاسباب والارض الموات فهذه وزعت على المسلمين فصاروا يدفعون عشر غلاتها الى بيت المال ( وهي الصدقة او الزكاة ) اذا كانت الزروع والأشجار تسمى سيجاً ونصف العشر اذا كانت تسمى بالتعب ، وكل ذلك اذا كانت غلتها فوق خمسة اوسق من الحبوب او الثمار ، اما التي غلتها دون ذلك فلا يؤخذ عنها شيء . والوسق في صدر الاسلام كما حققه المستشرق زمبور ( Zambaur ) في مجلة الاسلام ١٣٧ كيلو غراماً تقريباً . فكان الشرع ترك للفلاح وأمرته ٦٨٥ كيلو غراماً اي مؤنة سنة بلاضريبة او كأنه استثناء من الضريبة مادامت غلاته من ارضه الصغيرة دون خمسة اوسق وهو منتهى المدل ، ولا اظن ان حكومة من حكومات هذه الأيام تبلغ بها البر بالفقراء هذا المبلغ حتى حكومة البلاشفة اي حكومة الصعاليك كما يسميها بعضهم .

ومن المعلوم ان الحجاز واليمن وكل جزيرة العرب كانت تدفع العشر وليس عليها خراج ، وان كل ارض أسلم عليها أهلها فهي ارض عشر ايضاً ، وانه اذا أقطع مسلم ارض الخراج فللام ان يصير عليه خراجاً او عشرأ او عشرأ ونصفاً او عشرين لكن كثيراً من الأمثال كانت تدل على ان العشر هو ما كان يفرض في الغالب . ولما كانت الارض تقول في النحاء المالك الاسلامية بمرور الزمن الى ايدي المسلمين لأسباب شتى صارت ارض العشر تزداد كما صارت ارض الخراج تنقص . والعشر كما لا يخفى ضريبة لا بأس بها ، خصوصاً في الاعضاء والجنوس حيث الأمطار تتفاوت مقاديرها بين سنة وسنة ، وحيث يجوز ان يحمل اقليم بكامله مرة في كل بضع سنوات . وليس استيفاء عشرة في المائة او خمسة في المائة من المحصول ضريبة كبيرة في تلك الايام ، ولا يتأق للنصف ان يجهد هذه الضريبة ثقيلة الوطء على الاكارين واصحاب الارضين .

هذا في أرض العشر أما أرض الخراج فهي تحتاج الى قليل من الإيضاح . ولتخذ  
سواد العراق مثلاً فان عمر بن الخطاب (رض) وضع على الجريب قفيزاً ودرهماً . وقال  
بعضهم انه وضع على جريب الحنطة اربعة دراهم وعلى جريب الشعير درهمين . فالجريب  
مساحته ٣٦٠٠ ذراع مربع اي ٩١٩ متراً مربعاً تقريباً وهو ما يسميه الترك دونماً . وينذر  
في جريب من الأرض المسقوية الجيدة كأرض السواد ١٨ كيلو غراماً من الحنطة تغل  
نحو ١٥٠ كيلو غراماً ثمنها اليوم على هبوط اسعار الحبوب ٥٢٥ قرشاً سورياً اي ٨٤ قرشاً  
مصرياً ذهبياً .

وجاء في معلة الإسلام ان الدينار ٤٢٥ غرام من الذهب (اي بوزن حسين قرشاً  
مصرياً ذهبياً) وان وزن الدرهم على أصح تحقيق ٢٤٩٧ غرام من الفضة وان نسبة قيمة الفضة  
الى قيمة الذهب في صدر الإسلام كنسبة واحد الى اربعة عشر ٤ فيكون الدينار مساوياً  
لعشرين درهماً تماماً . وعلى هذا تكون قيمة الدرهم قرشين ونصفاً من القروش المصرية  
الذهبية يمكن ان يشتري بها اليوم ٤٤٥ كيلو غرام من الحنطة . فاذا فرضنا مع كثير  
من المحققين ان قيمة النقود في تلك الأيام كانت ثلاثة أمثالها في أيامنا هذه أمكن شراء  
١٣٤٥ كيلو غرام من الحنطة بدرهم .

أما القفيز في صدر الإسلام فهو يعادل ٢٧٤٥ لير اي ٢١ كيلو غراماً ونيفاً  
(وزن الليتر من الحنطة المتوسطة الجودة ٤٧٧ كيلو غرام) . فاذا أضفنا وزن القفيز من  
الحنطة وهو ٢١ كيلو غراماً الى ما كان يمكن اتياعه بدرهم وهو ١٣٤٥ كيلو غرام بلغ  
الجموع ٣٤٤٥ كيلو غرام واذا نسبنا هذا المقدار (وهو الخراج اية قفيز ودرهم) الى  
محصول الجريب وهو ١٥٠ كيلو غراماً من الحنطة بلغ الخراج ٢٣ في المئة من غلة الحنطة  
في الجريب .

هذا ما حققناه نحن . أما اذا حسبنا مع الماوردي ان ثمن القفيز من الحنطة كان ثلاثة  
دراهم يكون الدرهم ثمن سبعة كيلو غرامات من الحنطة . ويكون الخراج  $21 + 7 = 28$   
كيلو غراماً اي دون ١٩ في المائة من غلة الجريب . والدرهم سبعة اعشار المئقال لكنه  
جاء في كتاب الخراج لأبي يوسف (ص ٣١) ان الدرهم أيام عمر (رض) كان كبيراً  
بوزن المئقال فعلى هذا يكون الدينار عند ذاك ١٤ درهماً ويكون الدرهم ٣٤٥٨ قرش

مصري ذهباً يمكن أن يشتري بها اليوم ٦٦٣ كيلوغرامات من الخنطة وفي تلك الأيام ثلاثة أمثالها أي ١٩ كيلوغراماً . ويكون مجموع الخراج من قفيز ودرهم ٤٠ كيلوغراماً أي ٢٦٦٦ في المائة من المحصول .

وإذا حسبنا الحساب نفسه لغلة جريب من الشعير ٦ او لمحصول جريب من الكرم وهو بقل الفأ الى الني كيلو غرام من العنب ٤ او لمحصول جريب من الفحل ومتوسط ما يجويه عشرون نخلة تحمل واحدتها مائة كيلو غرام من البلح ٤ او لجريب من الخضر الخ . نجد ان الخراج يختلف بين ٢٠ و ٣٠ في المائة من محاصيل هذه الأنواع النباتية .

وبعد فمما تكن نسبة الخراج الى الغلة في الجريب ٤ فهذا الخراج ما كان ثقيلاً على فلاحي السواد للأسباب الآتية خاصة ٤ وهي كون الخراج كان مقطوعاً عن سنة كاملة على حين أن الأقاليم الحارة ٤ كالسواد في العراق وكالغور في الشام ٤ اعتادت زرع نوعين نباتيين في سنة واحدة وهذا متيسر في كل أرض حارة غزيرة المياه كثيرة الدمال فالجريب من الخنطة مثلاً كان خراجه قفيزاً من الخنطة ودرهماً في السنة لكن الفلاح كان يستغله في كثير من الأحيان ذرة او سمساً او خضراً بعد حصاد الخنطة في السنة نفسها وما كان يدفع خراجاً عن تلك الزروع الصيفية التي تمقب الخنطة لأن الامام عمر نهي عن ذلك وجعل الخراج على جريب الخنطة في سنة كاملة معها استغل الأكار ذلك الجريب في تلك السنة .

والجريب من الفحل ايضاً كان خراجه ثمانية دراهم لكنه كان بالامكان زرع زروع سنوية شتى تحت الفحل دون ان يجعل عليها بيت المال شيء وهكذا .

فيوضح من ذلك ان الخراج في صدر الاسلام ما كان ثقيلاً في السواد البتة ٤ وانه ما كان يزيد على عشر غلات الأرض الا قليلاً في الجملة . وقد جاء في كتاب الخراج لأبي يوسف ( ص ٤٤ ) ان عمر (رض) سأل عثمان بن حنيف ( وكان اتدبه للنظر في خراج السواد ) : « انظر لا تكون حملت الأرض ما لا تطيق فقال عثمان حملت الأرض امرأ هي له محتملة ولو شئت لأضعفت ارضي » يريد بذلك انه كان في وضعه مضاعفة خراج ارضه الخاصة دون ان يرهقها بثقل تلك الضريبة .

وجاء في ( ص ٤٩ ) ان عبد الملك بن مروان جعل في الجزيرة والشام والموصل على

كل مائة جريب زرع مما قرب دبناراً وعلى كل مائتي جريب مما بعد دبناراً وعلى كل الف اصل كرم مما قرب دبناراً وعلى كل الف اصل مما بعد دبناراً . وعلى كل مائة شجرة مما قرب من الزيتون دبناراً وعلى كل مائتي شجرة مما بعد دبناراً . وكانت غاية البعد مسيرة اليوم واليومين وأكثر من ذلك . فالجريب من الأعداء في الشام يبذر فيه ١٣ كيلو غراماً<sup>(١)</sup> ويستغل منه ٧٠ كيلو غراماً فتكون غلة مائة الجريب ٧٠٠٠ كيلو غرام . ولما كان بالإمكان شراء ١٣٤٥ كيلو غرام من الخنطة بدرهم كما مر ذكره وكان الدينار ٣٠ درهماً في الفرط عادل ذلك الدينار ٢٧٠ كيلو غراماً من الخنطة أي نحو ٤ في المائة من غلة مائة الجريب . وإذا فرضنا أن الفلاح استغل نصف هذه المساحة وترك نصفها ترواح ما زادت هذه الضريبة على ٨ في المائة من الغلة أي أقل من العشر . وكل ذلك حول المدن والبلدان ، أما على الأرض البعيدة فلم يجعل الخليفة المشار إليه الا نصف تلك الضريبة .

والف الأصل من الكرم تفرس في اربعة اجربة تقريباً وتغل ٤٠٠٠ — ٨٠٠٠ كيلو غرام من العنب . فالدينار اليوم يمكن ان يتناع به ١٥٧ كيلو غراماً من العنب . فاذا فرضنا انه كان يمكن شراء ثلاثة امثالها في تلك الأيام أي ٤٧١ كيلو غراماً وفرضنا ان معدل غلة الف الأصل من الكرم ٦٠٠٠ كيلو غرام بلغت ضريبة الدينار ٨ في المائة من منتوج الكرم في القريب من الأرض و٤ في المائة في البعيد منها .

ويخلص ذلك بأن الضريبة الزراعية في بلاد الشام والموصل والجزيرة سواء اكانت عشور الغلات او كانت مقطوعة كما في ايام عبد الملك بن مروان فانها كانت عادلة في الجملة .

ولبت العشر والخراج في الممالك الاسلامية على ما ذكرنا الى ايام المنصور العباسي . ومن البديهي ان الحروب والفتن ايام الأمويين جعلت الخراج في السواد خاصة فاحشاً على كل ارض يطرر اصحابها الى تركها بلا زراعة في سنة من السنين . لكن هذا الخالـ شاذة لاتخذ دليلاً على ثقل الخراج في ذاته . ولو ان العباسيين عندما اتخذوا بغداد عاصمة لهم ووجهوا نظرم الى السواد ووطدوا فيه الأمن وكروا انهاره الكبيرة وعطفوا على اكرته

(١) جميع ارقامنا في هذه المقالة متوسطة ومن البديهي ان مقدار البذار في المساحة الواحدة يختلف باختلاف كور الشام ( انظر ص ٣٤١ من كتاب الزراعة العملية الحديثة ) .

قلت لو انهم ابقوا الخراج عند ذلك على حاله اي بالمساحة على كل ارض مستغلة بدلاً من جعله بالمقاسمة لكانوا في عملهم اعدل . والمنصور هو الذي جعل خراج السواد بالمقاسمة . ويظهر ان المقاسمة كانت بالنصف ايام المهدي في الارض التي تسقى سيمًا اي بلا تعب وبالثلث في الأرض التي تسقى بالدوالي وبالربع في التي تسقى بالدواليب . اما النخل والاشجار السائرة فلبث خراجها بالمساحة كما كان في صدر الاسلام . ويظهر ان المأمون انزل النصف الى خمسين فيما تسقى سيمًا .

فهذا الخراج هو ما يستقله الكتاب والمؤرخون خاصة وهو في الحقيقة ثقل لكنه لم يدم طويلًا عدا ان له مبررات لا يجوز ان يضرب بها عرض الحائط وهي ان بيت المال كان يتفق وحده على حفر الأنهار واصلاحها وصنع المسينات ( الأستاد ) وسد البشوق ، وكان ايضا يشاطر الأكارين نفقات كرمي الأنهار العظام . ثم يجب ان لا ننسى ان مالك الأرض هو الإمام ، وان الفلاحين كانوا يعدون شركاء في استغلال الأرض ، ولذلك كان الناس لا ينكروا على بيت المال استيفاءه نصف الغلة او ثلثها او ربعها من غير المسلمين الذين ابقوا في ارضهم في السواد ، على حين انهم ممن طلبوا على بلادهم . افلسنا نرى اليوم اصحاب الأرض المسقوية يسعفون ربع الغلة وثلثها حتى نصفها من الفلاحين الذين يقومون بجميع نفقات استغلال الأرض وتثميرها . ومن البديهي أن صاحب الأرض هو الذي يعطي بيت المال ضريبة الأرض في جملة حصته المذكورة . ومع ذلك نعرف كثيراً من الكور ترفع فيها الضريبة من مجموع الغلة ثم يتقاسم صاحب الارض والفلاح الباقي على ثلث وثلثين .

هذه هي المعلومات التي يركن اليها في كتب الخراج وكتب التاريخ اما ما جاء به بعض المؤرخين من الخلط فشيء كثير . ويجب على الكتاب والمؤلفين ان يحصوها قبل اتخاذها دليلاً على ظلم الخلافة العربية للرعية مثال ذلك ما جاء في الصفحة ١٥٧ من المسالك والممالك للأصطخري ( طبعة لندن سنة ١٨٢٠ ) وهو ان خراج الجريب حنطة أو شعيراً في شيراز من بلاد فارس كان ١٩٠ درهماً وان الجريب هناك كبير يساوي ثلاثة اجربة وثلثين من الجريب الصغير ( الجريب الصغير ستون ذراعاً في ستين ذراعاً من ذراع الملك وهو الذي تناوله بمشنا ) فاذا كان الدرهم الذي ذكره الأصطخري هو الذي عرفناه اي الذي

كل عشرين واحداً منه في الفرط تساوي ديناراً تكون المائة والتسعون درهماً كافية لشراء ٢٥٦٥ كيلو غراماً من الحنطة في تلك الأيام (١٣٦٥ كيلو غرام بدرهم) على حين ان ثلاثة الاجرية وثلاثي الجريب تنجح ٥٥٠ كيلو غراماً (غلة الجريب ١٥٠ كيلو غراماً في الأرض المسقوبة) فتكون النتيجة على رأي الأصفهري ان الخراج في شيراز يفوق اربعة أمثال ما تغله الأرض فأني عقل بقبل هذا القول . اما اذا كان الدرهم الذي ذكره الأصفهري شبيهاً لا نعرفه وكانت قيمته أدنى بكثير من قيمة الدرهم المعروف فعندئذ يزول العجب لكنه يجب في هذه الحال ان لا يتخذ قول الأصفهري حجة على ظلم العرب للأكرين .

ومثاله ايضاً ما نقل عن ابن الأثير من ان خراج الفدان في المغرب ايام عباس بن ابراهيم بن الأغاب بلغ ١٨ ديناراً واستمظم الكتاب هذا المبلغ لكنهم لم يفكر احدهم بما يمكن ان تكون مساحة الفدان . فهي اذا كانت فداناً مصرياً أو فداناً خطأً دمشقياً كان كلام ابن الأثير خطأً لا يعول عليه البتة لأن الثمانية عشر ديناراً في تلك الأيام تفوق ثمن مجموع غلة الفسدان اضعافاً . اما اذا كان الفدان كما في اعزاء الشام اليوم اية أكثر من مائة جريب غالباً لا يبقى عندئذ وجه للانتقاد .

والخلاصة ان العرب في ايام مجدم الزاهر ما كانوا يستوفون من الفلاحين ضرائب كبيرة اجمالاً . واذا ظلم بعض العمال الرعية أحياناً لحاجة الى المال في حرب عدو او اخماد فتنة ، او اذا عاقب بعض الخلفاء سكان احدى الكور بمضاعفة الخراج لعمل شائن اتوه فليس من العدل في شيء ان تتخذ ذلك ذريعة للظلم في الخلافت الاسلامية العربية في الجملة . ثم لئنم القاري النظر في فروض الدول الأوربية الكبرى من رعاياها ومن بعضها بعضاً افلا يجد ان كثيراً من المال المقرض يذهب هدرًا أو يذهب قسم كبير من فائدته على الأقل بنتيجة الحروب والازمات الاقتصادية فأني فرق من حيث النتيجة بين هذه الخسارة التي يخسرها الشعب وبين مضاعفة الخراج لأسباب قاهرة . وليبحث عن الضرائب التي تستوفيها تلك الدول من رعاياها ولا سيما الضرائب المتصاعدة افلا يجد انها انقل مما كانت تستوفيه الدول العربية . وبعد فحبذا الانصاف في التاريخ ووقنا شر الشعوبية والحماة .



# تاريخ سورية المجوفة

لمعة تاريخية منه في أدبائها وعلماؤها

بقلم مؤلفه عيسى إسكندر المعلوف عضو الجمع العلمي العربي بدمشق

—

## تمهيد

سبقت لي كلمة في وصف (تاريخ سورية المجوفة) الذي وضعته بتطويل ولا يزال مخطوطاً وذلك في هذه المجلة في المجلد السادس والصفحة ٢٨٩ - ٢٩٤ في سنة ١٩٢٦ م ونقلت منه قطعة مختصرة في تحليل الاعلام ونشرت اشياء منه في مجلة المقتطف والمقتبس والعرفان والآثار وجريدة البشير وغيرها من الصحف أيضاً كاملة تدل عليه وتعرفه للمطالعين ووعدت بالتحاب غير ذلك لهذه المجلة فهناك الآن لمعة عن أدباء سورية المجوفة وعلماؤها أقتطفها من مباحثه المطولة فأقول :

## أدباء سورية المجوفة وعلماؤها

نشأ في هذه البقعة عدد كبير من العلماء الاعلام قديماً وحديثاً . ممن استلقت تراجمهم من كتب كثيرة مخطوطة ومطبوعة بحسب ما وصلت اليه بد البحث والتنقيب على نلة المصادر وتبعثر الكتب المخطوطة في المكاتب الشرقية والغربية ، وصعوبة الحصول على ما ضمن به مقننوها أو حفظوه لم فلما آل جهداً في التبع والاستعلام حتى حصلت على ما ربما يروى الغليل من تلك الآثار التي تناولت بلدان وادي التيم ووادي بردى الغربي وبلاد بعلبك والبقاع الى ما يحيط بها من الأماكن . فاقصر الآن على علماء بلاد بعلبك فقط .

## ادباء بعلبك

كانت هذه المدينة المشهورة بآثارها القديمة العجيبة مظهرًا من مظاهر العظمة وميدانًا للعبادات القديمة والأساطير الغربية فنبع فيها المتفنون من بنائين ونقاشين ومصورين ورياضيين وفلكيين ومهندسين ومخترعين ومؤلفين كما تشهد بذلك أعمالهم الباقية وأبنتهم الساحخة ونقوشهم الرائعة وهندستهم الفاتحة وتآليفهم الشائقة .

وكانت بعلبك فوق ذلك ولاسيما في أيام العرب دار علم وحديث ومبارة للعلماء يرحلون إليها في طلب المعارف وتحقيق الدروس فقصدها كثير منهم حصلوا فيها ما حصلوا بالدرس على علمائها ونبع من ابنائها وما يجارهم كثير ممن تشهد لهم آثار اقلامهم الى اليوم .

فروى المؤرخون ومنهم الحافظ ابن عساكر المشهور في تاريخ دمشق المطول<sup>(١)</sup> عن جماعات نشأوا فيها وتخرج عليهم من قصد من الطلاب . وذكر غيره كثيرًا ممن رحل الى بعلبك ومنهم الشيخ محمد بن مالك الاندلسي مؤلف الألفية في النحو الذي سكن بعلبك وقرأ عليه فيها جماعة .

(فمن المهندسين) كالنيكوس البعلبكي الذي كان في القرن السابع للميلاد وهو مخترع (النار اليونانية) وهي كرات خزفية رمانية الشكل او صنوبرية محشوة بالنفط والكبريت والقطران وأشباهاها من المواد المشتعلة والمنجرة تشمل بفتيل داخل فيها فتنفجر وتندك الابنية والحصون وكان اول استعمالها في مهاجمة معاوية بن ابي سفيان الأموي للقسطنطينية فردته تلك النيران عن فتحها وفي متحف مجمعنا العلمي في دمشق كثير منها .

وقسطا بن لوقا البعلبكي اليوناني المسيحي المشهور بالهندسة والرياضيات والفلسفة والفلك

(١) طبع من هذا التاريخ الذي هذبه المرحوم الشيخ عبد القادر بدران خمسة مجلدات قبل الحرب وطوي نشر الباقي الى ان قام بهذا العمل صديقنا الأستاذ احمد افندي عبيد الدمشقي صاحب مكتبة العرب فنشر المجلدين السادس والسابع بضبط وجودة طبع وحواش .  
ومما طبع من مؤلفات قسطا (كتاب الفلاحة اليونانية) تمريره طبع بمصر سنة ١٢٩٣هـ (١٨٧٦ م) في ١٤٩ صفحة . وكتاب (في رفع الأثقال) صححه البارون كرهدي فو .  
طبعه في باريس سنة ١٨٩٤

والموسيقى والطب وبمعرفة اللغات الكثيرة وبالبراعة في الترجمة وبجودة الترجمة وطلاوة الانشاء . وهو معاصر ليعقوب بن اسحق الكندي فيلسوف الاسلام . ذكره ابو الفرج الملقب بقوله : «فلو قلت حقاً انه أفضل من صنف كتاباً لما احتوى عليه من العلوم والفضائل وما رزق من اختصار الألفاظ وجمع المعاني» توفي سنة ٢٩٦ هـ (٩٠٨ م) في بلاد ارمينية ومولفاته أكثر من مائة بين تأليف وترجمة وتصحيح من رسائل ومجلدات في جميع الفنون والعلوم منها (كتاب الفردوس في التاريخ) و(مراتب قراءة الكتب الطبية) و(آداب الفلاسفة) و(الفرق بين النفس والروح) و(ترجمة ديوفنطس في الجبر والمقابلة) و(شكوك كتاب اقليدس<sup>(١)</sup>) وغيرها . قال عبيدالله بن جبرائيل بن بختيشوع الطبيب النسطوري المشهور : «إن قسطنطين اجتذبه سفار برب الى ارمينية واقام فيها فاقترح عليه ابو الغطريف البطريق من اهل الفضل تصنيف كتب كثيرة في اصناف العلوم فوضعا» . ومن متأخري مهندسيها ابوبكر بن البصيص البعلبكي الذي ذكره صالح بن يحيى البهتري في (تاريخ بيروت) انه استقدم سنة ٢٤٤ هـ (٣٤٣ م) لبناء جسر الدامور وله اعمال في بلاد طرابلس وجسر نهر الكلب القديم كان من بنائه .

«ومن شعرائها» : عماد الدين ابو الفضل حسان بن سلطان بن رافع اليونيني (نسبة الى قرية يونين من اعمال بعلبك) الفقيه الذي انشد :

لقد منعتني عن سلمي ثلاثة      اذا ما استعمار الجو ثوباً من الحجر  
ضياء محيهاها وجرس حلبيها      ونفحة نشر دونه عقب العطر  
هب أن المحيها فذمته يبرقع      وحلت حلاها كيف تفعل بالنشر

وحسان بن ابان الذي كان في زمن المتوكل على الله العباسي في القرن الثالث للهجرة والتاسع للميلاد ومن شعره قوله :

اكتسب مالاً تعيش به      ليس عيش المرء من نسبة  
عربي لا يسار له      صقلي القدر في صرّبه

(١) نشرت بعض رسائله في اوربة والشرق ووقفت على كثير من المخطوط منها وفي خزائني رده قسطنطين على ابن النجم ورسالة هذا اليه وردت حنين بن اسحق على ابن النجم ورسالة هذا اليه .

وترام خاضعين له ما بدا يختال في تشبه  
 أمرا فيهم وكلهم باسط كفا إلى سبيه  
 طمعا في نيل فضته ليس الا ذاك أو ذهبه  
 وأديب قد رثيت له ما له عيب سوى أدبه  
 جاءهم فاستدغموه كما بُتقي ذوالداء من جربه  
 دع لذي جهل تماديه في الذي بدنيه من عطبه  
 ونوق ما يساه به ان جبن الكلب في كآبه

والحسن بن جعفر بن حمزة ابو محمد الأنصاري البعلبي المعروف بابن بريك قيل انه  
 من وُلد النعمان بن بشير . وكان يتهم بالرفض توفي سنة ٥٥٢ هـ (١١٥٧ م) ومن شعره  
 قوله في أبيات :

قابل البلوى اذا حأت بصبر ومسرّه  
 فلعلّ الله أن يوليک بعد العسر يسره  
 کم عهدنا نكبة حأت فالت بعد فقره

وقوله من قصيدة :

كأن صروف الدهر لم تلق منزلاً تحلّ به غيري فحأت بجاني  
 فاصحت من وشك الفراق وبينهم من السقم اخفى من ديب بجاجي  
 سميري اذا ما الليل ارخى جرائه لما بي من وجد مسير الكواكب  
 فمالي والدهر الخووف كأنما جنيت لجازاني ببعده الأقارب  
 فليت الليالي اذ ولعن بيننا جعلن الردى مقرونة بالمعاطب  
 ابي الدهر الاشت شمل وفرقة وروعة معجوب بغيبة صاحب  
 واني لندو صبر على كل نكبة وقد هذبتني للأموح تجارني  
 وذلك طبعي قيل ان يصدع النوى فذ صدعت سدّت عليّ مذاهبي

وهذا الدين العاملي صاحب الكشكول والخلافة ولد في بعلبك سنة ٩١٨ هـ (١٥١٢ م)  
 وتوفي بالمصافي من قرى البحرین سنة ٩٨٤ هـ (١٥٧٦ م) وله موشحات واشعار بليغة منها

# مجلة مجمع العلمي العربي

العدد ١٣٣٩ سنة ١٩٢١ الموافقة لسنة ١٩٢١ م  
تشرني دمشق مرة في اشهر

تشرين الثاني - كانون الاول سنة ١٩٢٢ م

الموافق رجب وشعبان سنة ١٣٥١ هـ

دمشق :

مركز تحقيق كويت علوم  
المجمع العلمي العربي

— «ص» —

قيمة الاشتراك السنوي  
الدفعة مقدماً

في سورية ولبنان ٣٥٠ قرشاً سورياً  
وفي جميع الاقطار ٦٠ فرنكاً

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

في الداخل ٥٠٠ من السنة الاولى الى الخامسة الى كل سنة منها

في الخارج ٦٠ = السادسة الى الحادية عشرة = ٣٠٠

= الاولى الى الخامسة = ٦٠

= السادسة الى الحادية عشرة = ٣٥٠ =

ما ارسله الى والده الشيخ الحسين بن عبد الحميد العاطي الحارثي الهمداني او الى غيره . من  
أدباء عصره . فمن قوله لوالده :

بقزوين جسمي وروحي ثوب بارض المرأة وسكانها  
فهذا تغرب عن أهله وتلك اقامت بأوطانها

وقوله في الموت :

ان هذا الموت بكرهه كل من يمشي على الغبرا  
وبمين العقل لو نظروا لأرؤه الراجة الكبرى

والأمير موسى الحرفوشي أمير بعلبك أبا عن جد<sup>(١)</sup> توفي سنة ١٠١٦هـ (١٦٠٧ م)  
بدمشق وهو الملقب ( الحراث ) لمواقفه الحارة فإنه جاصر خمسة باشوات مع جيشهم في  
بعلبك وضواحيها وهو وحده فقاتلهم ولم ينالوا منه شيئاً ومن شعره قوله لما فتح غزيراً في لبنان :

غزير طور و نار الحرب موقدة وانث موسى وهذا اليوم ميقات  
ألقى العصا تتلقف كل ما صنعوا ولا تقف ما حبال القوم حيات

ومن نظمه قوله منقراً :

كأن رأس جبوش الضدّ ليس له علم بأنّ بلادى موطن الأشد  
ومن مهابة سيني في القلوب غدت أم العدوّ نغير الموت لم تلد  
فليرقبوا صدمة مني معودة أن لا تقرّ لها الأعداء في البلد  
ألست نجمل عليّ وهو من عرفوا منه الخفاة في الأحشاء والكبد  
وانني انا موسى منه قد ورثت كفي سبوراً تذيب الأرض في الجلد

وامير شعراء الحرافشة هو الامير محمد بن علي الحرفوشي الحريري العاملي الدمشقي توفي  
سنة ١٠٥٩هـ (١٦٤٩ م) وله مصنفات كثيرة رأيت اكثرها في دمشق منها ( اللآلي  
الدرية في شرح الاجرومية ) في مجلدين و ( شرح التهذيب في النحو ) . و ( نهج النخاعة في  
ما اختلف فيه النخاعة ) قال البديعي في ذكرى حبيب « انه كتاب لم ينسج على منواله يعرب

(١) وضعت تاريخاً مطولاً للأسماء الحرافشة ومشاهيرهم وانسابهم وقد نشرت منه  
أمثلة في مجلة العرفان ( في صيدا ) واستنسخت ما قبيل عنهم في مكاتب اوردية وذلك لأن  
أجدادي كانوا مقربين منهم ونافذي الكلمة لديهم .

عن غزارة فضله « و ( طرائف النظام ولطائف الانجم ) في محاسن الاشعار وغيرها وله الشعر الذي قال فيه البدعي انه : « الشعر الذي ديباجة الفاظه مصقولة • وحلاوة معانيه معسولة » وقال الهبي : وكان في الشعر مكثراً محسناً في جميع مقاصده » فن شعره قوله في الخلال وله فيه مقاطيع بليغة كثيرة :

قال لي من غدا امام أولي الفضا ل ورب المباحث الفلسفية  
ان عندي برهان حق على نفي الهيولى والصورة الجسمية  
قلت : ماهو (؟) فقال شامة حبي قد غدت وهي تقطة جوهرية

وقوله من قصيدة في مدح الأمير محمد المنجكي وأبدع في وصف السيف والجواد بقوله :

فدارك حيث صادفت اعتزازاً واهلك ذو الحفيظة والوداد  
ولانحسب سوى غضب نجيلٍ تمسّقتي متنه ضرب الهواديه  
صقيل الصنح رقى وكاد لولا الـ جفين يسيل من طرف النجاد  
تخال به وليس به غديراً ثرقرق او سعيراً ذا اتقاد  
وتحسبه اذا ما استل برقى تألق في الدجى غبّ العهاد  
والاظهر سرحوب سليل الفحول من المظهمة الجياد  
يرسّ عاراً مسابقة التمامي وبأنف نعله مسّ الصلاد  
فلو وطئ القطا ما ارتعن منه نياماً وانتبين من الرقاد  
بدا كالتخيزرانة من نحول من الادلاج في هجل البوادي  
يمرّ على الغدير به غليل فيهجره لفرط الاجتهاد  
تساوى عنده حزن وسهل وآكام مروّعة ووادي

ومن متأخري شعراء بعلبك في القرن الثاني عشر للهجرة ابو الحسن علي بن محمد الشمعة من بيت علم وفضل فمن شعره قوله في كتاب ( الثقافة الظرفية ) للسيد حسن بن عثمان الحكيم الذي جمعه سنة ١١٨٨ هـ ( ١٧٧٤ م ) :

ابدى لنا الحسن الشريف لطائفها قد صاغها لنوبي النعي مجموعا  
كل المفرق من محاسن عصره اضغى لذي (مجموعه) مجموعا  
وقوله مضمناً :

لما بفكري مرًا طيف خياله  
 كادت تسيل لطافة لحنه  
 وقلتُ انظر وجنة لم تلم  
 «من عادة الكافور امسك الدم»  
 وقوله مشطراً لبعضهم :

«أحمامة الوادي بشرقي الغضا»  
 ورميت في قلبي تباريح الجوى  
 قد طاب مفناك ولذًا لمسمي  
 «ان كنت مسعدة الكتيب فوجعي»  
 «أنا تقاسمنا الغضا ففصونه»  
 لك معهد يسقى بسحّ الأدمع  
 وظلاله لي موطن وزهوره  
 «في راحتك وجمره في أضلعي»  
 ومنهم من نبه في هذا العصر مثل شاعر القطرين خليل بك المطران . والشيخ علي  
 النقي زغيب والمرحوم عساف الكفوري وغيرهم .  
 عيسى اسكندر المعلوف  
 زحلة :



## التدوين في الاسلام

كتب سيدي عبد الحلي الكشاني احد اعضاء مجمعنا في المغرب الأقصى مقالاً في موضوع التدوين والتصنيف في الاسلام نشره في (مجلة المغرب) فرأبنا ان ننشر خلاصته في ما يلي :

ابتدأ التدوين في الاسلام بعد الهجرة فكان للنبي صلى الله عليه وسلم كتب في الصدقات والزكوات وكتابه الى أهل اليمن بانواع الفقه وكتبه الى الملوك وأمراء الأطراف وقد أمر صلى الله عليه وسلم أن يقيدوا له في ديوان من أسلم قال وهو اصل الديوان العديري الذي صار في ما بعد أفقوفاً يرجع اليه في معرفة انساب القوم وسوابقهم في الاسلام .

وجمع ابي بكر وعمر وعثمان القرآن في مصحف . وجعل عمر تابوتاً لجمع صكوكه الرسمية ومعاهداته الأهمية . وكتب ابن عباس الفتاوى التي كان يُسأل عنها . ودون ابن زيد في الفرائض والمناسك . وغير هؤلاء كثير من الصحابة والتابعين : منهم عبيد بن شربة الذي دون كتاب الأمثال وكتاب الملوك وأخبار الماضين بطلب من معاوية رضي الله عنه ودون (علامة بن كريمة الكلابي) في عهد يزيد بن معاوية (كتاب الأمثال) في نحو خمسين ورقة . وكتاب مثله لصدار العبدي . ولأبي مخنف الأزدي من اصحاب علي رضي الله عنه كتب : سيف (الردة) و (فتوح الشام) و (فتوح العراق) و (الجل) و (صفيين) و (الغزوة) و (الخواارج) ومقتل علي ومقتل محمد بن ابي بكر ومقتل الأشتر ومقتل عثمان ومقتل الحسين و (الشورى) و (وفاة معاوية وولاية يزيد) و (وقعة الحرة) و (حصار ابن الزبير) و (الختار بن ابي عبيد) و (مرج راهط وبيعة مروان ومقتل الضحاك بن قيس) و (مصعب وولاية العراق) و (مقتل عبد الله بن الزبير) و (مقتل سعيد بن العاص) و (حديث حمراء)

و(مقتل ابن الاشعث) و(بلال الخارجي) و(حديث الأزارقة) وغير ذلك من حوادث ذلك العصر وقد سرد في الفهرست أسماء عدة كتب صنفا السلف في تفسير القرآن ونزوله وأحكامه . وقال ياقوت (كان خالد بن يزيد يقول كنت معنياً بالكتب وما أنا من العلماء ولا من الجهال) ومن تصانيفه (السر البديع في الرمز المتبع) في الكيمياء و(كتاب الفزدوس) وغيرها . ويظهر ان ابا بكر رضي الله عنه اول من بدأ في التدوين بدليل ما في كتاب (التعريف) لأبي عبد الله محمد بن عبد السلام بن اسحق الأموي في ترجمة ابي بكر قال (كان عمر قاضي . وعثمان كاتبه . وسعد مولى مصاحفه) والمراد بالمصاحف عدم الكتب فهذا يدل على أن ابا بكر كان لديه كتب كثيرة تحتاج الى قيم يلي أمرها لكثرتها . ثم ما زالت تزداد الى زمن عمر الذي كان له صندوق او قنادوس يجمع فيه عهده مع الأمم كما في خطط المتريزي (جزء ٢٠ ص ٧٤) . وامر الديوان الذي دونه عمر باسماء الناس وصراتهم معروف . الى ان كان زمن عثمان فبالغ الناس في الوراثة وتجويد الكتابة والاعتناء بزخرفة الكتب . وفي كتاب (البيان والتحصيل) لابن رشد (قال ابن القاسم : وأخرج الينا مالك مصحفاً لجلده فحدثنا انه كتب على عهد عثمان بن عفان فوجدنا حليته فضة وأغشيتها من كسوة الكعبة) فدل ذلك على حالة الوراثة يومئذ وعلمهم بكيفية تحليل الفضة وتجليتها بالكتب بها وجعل الأغشية لما حتى من كسوة الكعبة . وفيه ايضاً (قال مالك كان قاضي في زمن عثمان رضي الله عنه (أو في زمن ابنه أبان<sup>(١)</sup>) رفعت اليه كتب تقادم أمرها والتبس الشأن فيها فأخذها (ذلك القاضي أو أبان نفسه) وأحرقها بالنار . فقيل لمالك أمحسن ذلك ؟ قال نعم (إني لأراه حسناً) وكانت هذه الكتب في الخصومات التي تتراد عهدها حتى التبس أمرها على الحكام وكان عرضه من إحراقها ان يستأنف أصحابها خصوماتهم فتسبل من دون ان يقع فيها التباس . فيستدل بهذا على ان الناس في ذلك العهد (عهد<sup>(١)</sup> أبان بن عثمان رضي الله عنه) بلغ بهم الأمر ان يضبطوا سجلات المرافعات

(١) [المجمع] ثم ذكر كاتب المقال حكاية يستدل منها ان (أبان بن عثمان) هذا ليس هو ابن عثمان بن عفان ثالث الخلفاء بل هو احد فقهاء الأندلس . فحرق سجلات المرافعات والحجج والخصومات كانت في عهد ذلك الفقيه الأندلسي لكونه على كل حال كان في عهد متقدم قبل الامام مالك رضي الله عنه .

والخصومات والحجج امام الحاكم الشرعية . وفي حسن المحاضرة ان المفضل بن فضالة اول قضاة مصر الذين طولوا كتابة الأحكام والمرافعات والوصايا والديون في السجلات وكانت قبله تكتب باختصار . اما اول من أمر بكتابة نسخة عن الكتاب قبل تبييضه فهو زياد ابن ابي سفيان فقد أملى على كاتبه كتاباً الى معاوية بخصوص عمران بن الفضل البرجمي فلما وصل الكتاب الى معاوية كتب الى زياد ( كتبت في كتابك عمران بن الفضل ) ولم تذكر له ما يتصل به ( كأنه يعني قوله البرجمي ) فسأل زياد كاتبه فقال انت أمليتة فقال حديث نس فسلا تكتبوا كتاباً من بعد الآن الا جعلتم له نسخة فكانت اول من وضع النسخ . وكانت لمعاوية مكتبة ولها خدمة وأعوان يتعاونون على احضارها له وقراءتها عليه يجلس لذلك في أوقات معينة لا يتخطاها وجاء بعده حفيده خالد فكبرت مكتبته بالكتب العربية والعربية وجعله بعض الباحثين اول من جمعت له الكتب وجعلها في خزانة في الاسلام والحال ان الفضل في ذلك لأبي بكر ثم لعمر ثم لمعاوية قبل ان يكون خالد . فمعاوية هو الذي بنى لحفيده خالد الأساس ونجر له هذا المقياس :

ولما ظفر طارق بن زياد في الاندلس بما ظفر به من الكتب القديمة التي تنعمن الطلسمات وعمل الصنعة ( الكيمياء ) واصباغ البوائيت ومنافع الاشجار والاحجار وغير ذلك من العلوم والصنائع والحكم ارسلها الى خليفة دمشق الوليد بن عبد الملك وذلك سنة ٩٢ للهجرة ولولا علمه بعناية الوليد يجمع الكتب ما وجهها اليه من المغرب الى المشرق . وفي آخر القرن الأول كان لعمر بن عبد العزيز خزانة كتب وقد عثر فيها على ( كتاب ابن اعين ) في الطب فأخرجه الى الناس ليستفيدوا . وكتب عمر الى سالم بن عبد الله بن عمر ان يرسل اليه رسائل عمر وسيرته وقضاياه وهذا يدل على ان عمر رضي الله عنه جمع رسائل وترك آثاراً مكتوبة مدونة . ولما راجع عمر بن عبد العزيز سليمان بن عبد الملك في مسألة إرثية قال سليمان يا غلام اذهب فأنتي بسجل عبد الملك الذي كتب في ذلك ( اي في مسألة الارث ) . وكتب عمر بن العزيز رسالة في الرد على نفاة القدر وهي مقدار كراسة متوسطة . وقال معمر كنا نرى اننا قد أكثرنا عن الزهري ( يعني في الأخذ عنه ) حتى قتل الوليد بن يزيد فاذا الدفاتر قد حملت على الدواب من خزائنه ويقال انها من علم الزهري ( اي من الروايات المأخوذة عنه ) .

وكان ابن شهاب الزهري يجلس وكتبه حوله مشتغلاً بها حتى عن زوجته ففسارت وقالت والله لهذه الكتب أشد عليّ من ثلاث فرائر . وكان الزهري يقول : ( إياك وغلول الكتب قيل له وما غلول الكتب ) قال حبسها عن أصحابها ٥٠٠ واصل معنى الغلول في اللغة السرقة من الغنائم قبل قيمتها بين الغانمين . ولما سعى الساعون بالزهري ضربوه بالسياط وطلقوا كتبه في عنقه .

وكتب عبد الحميد الكاتب التي كان ينشؤها مشهورة في جودتها وكبر حجمها حتى ان الكتاب الذي كتبه الى ابن مسلم الخراساني على لسان ( مروان ) كان يجعل على جمل من كبر حجمه فحما كانت رفوفه غلاظاً فهو في حجم مجلد على الأقل . وقولهم ان جمع الكتب في خزائن لم يمهّد قبل الرشيد والمأمون - فيه نظر لما ذكرناه من الحوادث الثابتة . وقد نقل القاضي عياض عن مالك انه قال : ( كانت عندي صناديق كتب لو بقيت لكانت أحب اليّ من أهلي ومالي ) وروي انه قال : كتبت بيدي مئة الف حديث وقال بعض أصحابه دخاننا منزل مالك بعد دفنه فاذا فيه سبعة صناديق كتبت من حديث ابن شهاب وصناديق أخرى من كتب اهل المدينة فجعل الناس يقرؤون ويدعون وعن امام الحرمين أن مالكا أملى في مذهبه نحواً من مئة وخمسين مجلداً في الأحكام الشرعية وفي تدوير الأبصار للحصكفي ان محمد بن الحسن المتوفى سنة ١٨٩ هـ صنف في العلوم الشرعية ٩٩٩ كتاباً .

انتهى تلخيص مقال سيدي الكاتب وظاهر انه لم يرد من مقاله ان الأئمة الاسلامية فاقت غيرها من الأمم في جمع خزائن الكتب لأن هذا أمر معروف وانما اراد أن يثبت ان عناية المسلمين بالكتابة والتدوين وجمع الكتب ابتداءً منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم خلافاً لمن قال انه ابتداءً في القرن الثاني للهجرة .



انكشارية (١) وجري باشي (رئيس جند) ويوزباشي (رئيس مئة) ودزدار قلعة ومحاسب ويجبي قاضيها من نواحيها في كل سنة ستة أكياس ويجبي امير لوايها ثلاثين كيساً . وفي حماة قلعة بنيت فوق تل صناعي على شاطئ العاصي إكن أكثر أبراجها وأسوارها منهدمة (٢) . وفي حماة كثير من القصور

(١) كانت رتب قواد جنود الانكشارية تبدأ بأغلة الانكشارية ثم برئيس السكبان ثم بكفخدا القول وهو معاون الاغا الكبير او رئيس اركان حربه ثم بكفخدا بري وهو وكيل كفخدا القول وصلة الوصل بين الاغا الكبير وجميع جند الانكشارية يبلغ اوامر الاغا بمعرفة الكتاب الى الدردارين اي محافظي القلاع والسردارين اي قواد الجند .

(٢) قال الصابوني : بنيت قلعة حماة على صورة قلعة حلب فوق تل صناعي عال فقد كانت على هيئة من الاتقان غريبة بنظر الداخل الى الباب لها مشمخر بججارة عظيمة على خمسة جسور مرتفعة فوق الخندق ثم يدخل الى منعطفات الابراج فيرى البلد من النوافذ المفتوحة للحراسة الواسعة من الداخل والضيقة من الخارج ومن فوقها النوافذ الواسعة التي صدت بشبك من الحديد عظيم وبعد اجتياز المدخل بنايات عظيمة من دار الحكومة ومحل الذخائر وبيوت السكن يحيط بها سور عظيم مرتفع وفي مقابلته جامع ابي الفداء وجامع للقلعة ذي منارة شاهجة ومنه الى الجهة القبلية بمسافة واسعة حمام كبيرة جداً وفي طرفها الشرقي المطل على طريق باب الجسر بئر واسعة فيها ماء عذب جداً يأتي من مكان خفي من نهر العاصي ولها طريق تحت الارض يصل الى العاصي من جهة الشمال ماراً من تحت بستان الدوالك متصلاً ببعض البيوت وكانت مرصوفة بالحجر الاملس من اسفل الخندق الى حيطان السور لئلا يصعد اليها العدو وللقلعة خندق دائر حولها عميق جداً وكان العاصي مرتفعاً عنه ولهذا الخندق طريق الى الماء من المكان المسمى الآن جسر الهوا في مدخل محلة باب الجسر كانوا اذا ارادوا الحصار يفتحون منه ماء العاصي فيمتلي الخندق . وقد أشار الى ذلك ابن جببر وياقوت اه . قلت وقد ظلت هذه القلعة على هذا المنوال الى ان جاء هولاء كوكو طاغية التتر في سنة ٦٥٨ هـ فخر بها واحرق ما فيها من الذخائر والعتاد ثم اعاد ملوك حماة الابويون ترميمها الى ان قضى

الفخمة ذات الحدائق الغناء والأحواض والمياه الدافقة وأشهرها قصر محمد باشا الارناؤوط وهو مبني على شاطئ العاصي وفيه ثلاثمائة غرفة (١) وقاعات عديدة وحمامات وحدائق ولم أر مثل هذا القصر الا في دمشق وقد أولموا فيه لمولانا مرتضى باشا وليمة بعجز اللسان عن وصفها (١) . واشتهر ايضاً

عليها نيورلنك في سنة ٨٠٣ القضاء الاخير وامست من ذلك الحين ليس فيها الا بعض بيوت وجدران قائمة وسجن للحكومة وانقاض الى بعد مرور اوليا جلبي في القرن الحادي عشر . وفي القرنين الماضيين جردت الاطلال ونقضت الاحجار واستعملت في بناء قصور الكيلانيين والعظميين وغيرها فأضحى سطح التل قاعاً صافياً ليس فيه من تراث الاقدمين الا بعض كسور الاحجار وأسس جدران من الآجر الى ان جاءت منذ سنتين بعثة أثرية دانيار كية وشرعت تحفر فيه فكشفت حتى الآن من آثار العرب عدداً غير يسير من الأواني الخزفية وقطع الفيسفساء والقنابل اليدوية الخزفية التي كان يستعملها العرب في حروبهم وغير ذلك وهي دائبة في ربيع كل عام على الحفر وتأمل ان تصل بعد آثار العرب الى آثار البيزنطيين والحثيين .

(١) ذكر جرجي بني مؤلف تاريخ سورية في اسم بابي هذا القصر مراراً في فصل طرابلس فما قاله ان محمد باشا الارناؤوطي ولي ايلنة طرابلس في سنة ١٠٥٠ هـ وانه بنى على نهر رشعين قصراً وكلف الرعايا اموالاً ثم عزل واعيد ثلاث مرات وذلك من شدة جوره وعسفه وكان في كل مرة يعاد بعد مدة وجيزة وفي المرة الرابعة ارسل الى حماة واستقر بها . قيل ان هذا الباشا اعقب في حماة وانه لا يزال من اعقباه بعض نساء وانه على الرغم من عسفه كان ولو عاباً ببناء القصور والمساجد والحمامات فقد بنى في حماة القصر الذي ذكره الجلبي وبالغ في عدد غرفه ويظن انه هو دار الحكومة التي احترقت في حادثة حماة في سنة ١٣٤٤ هـ ويظهر من وصف الجلبي ان البناء الملاصق للدار المذكورة الذي كانت فيه مدرسة القهيز ودور بعض السراة المحاورة كانت كلها من شتملات هذا القصر الفخم . ومحمد باشا بنى ايضاً في حماة جامعاً قرب جسر السرايا يسمى جامع المدفن لأنه دفن فيه

في حماة قصر الشيخ ابراهيم افندي بن الشيخ عبد القادر الكيلاني (١) . اما جوامعها فكثيرة منها جامع ابو عبيدة بن الجراح فاتح حماة وهو في السوق الأعلى قيل انه كان في الأصل كنيسة قديمة وانه بني بمال الخراج الذي أداه اهل حمص وقد زبرت على رخامة فيه النفقات التي صرفت في انشائه والصقت على احد جدرانها (٢) . وهناك جامع قاسم باشا المعروف بكوزلجه وهو اول

وعلى قبره تاريخ وفاته في سنة ١٠٦٨ وكان وقفه عقاراً كثيراً ومن الذين اتصلوا بخدمته وخدمة ابنه علي باشا شاعر حموي اسمه حسن الدقري المعروف بابن قنق .

(١) الشيخ ابراهيم الكيلاني جد بني الكيلاني في حماة وهو على ما قيل ابن شرف الدين ابن احمد بن علي الهاشمي ولد في سنة ١٠٤١ وتوفي في بغداد في سنة ١٠٦٨ كان ذا ثروة ومكانة عظمتين احببها بتصوفه ومشيخته بنى قصره الذي ذكره الجلي من انقراض قلعة حماة وبني في جانبه جامعاً ولا يزال هذا القصر عاصراً باعقاب المترجم وهم يؤلفون امرة كبيرة لبعض افرادها حظ وافر من سعة الملك ووفور الثروة والوجاهة في حماة وضواحيها . والقصر على شاطئ العاصي الأيمن في محلة تدعى جسر بيت الشيخ يقصده السياح لرؤية ما فيه من محاسن البناء العربي كالقصور والقاعات .

(٢) في حماة جوامع ومساجد كثيرة نخص بالذكر منها ( الجامع الكبير ) الذي ذكره الجلي وهو في محلة المدينة وجد من عهد ابي عبيدة وكان يسمى الجامع الأعلى قيل انه جدد في خلافة المهدي من خراج حمص على ما نقش على رخامة فيه ثم جاء المظفر عمر فزاد فيه وبني مدرسة بجواره ثم جاء ابراهيم الهاشمي فانشأ منارته الشمالية سنة ٨٢٥ كما زبر ذلك على رخامة فوق بابها وبني ايضاً الحرم الصغير في جانب المسجد من جهة الشرق ورواق الجامع ايضاً بناء سنة ٨٣٢ وفي غربي فناء هذا الجامع قبة صغيرة تدعى بيت المال او الخزانة تشبه قبة جامع بني أمية في دمشق بنيت على ثمانية اعمدة ذات تيجان يونانية ويحتمل بحجرة صغيرة وعلى الأعمدة كتابة عربية قديمة وله حرم واسع جداً وفي جانبه الغربي ضريح المظفر وابنه وليس في حماة جامع مثله في اتساعه وعظمته وله في جهة القبلة منارة مقطوعة الرأس بابها



من الحجر الأسود وكان لهذا الجامع اوقاف كثيرة اندرست ولم يبق الا القليل .  
وصف الاثري هرزفيلد هذا الجامع فقال : ان اصل حرمه كان كاتدرائية للنصارى  
غربية الشكل وله ثلاثة أفنية مختلفة السعة وثماني دعائم وخمس قباب ومن كل ناحية خمسة  
عقود او اقبية ويظهر ان الحائط الغربي كان حائط رواق الكنيسة والحائط الجنوبي من  
العهد السابق للنصرانية كما هو الحال في جامع دمشق كان مبعداً ثم بيمعة ثم جامعاً . والى  
جهة الشرق قامت منارة قديمة منفردة وهي مربعة الزوايا زيرت عليها كتابة كوفية ربما  
كانت من القرن الخامس . وتحيط بصحن الجامع الجميل أروقة معقودة وهناك سدة بمجرايين  
أمام الحرم وسدة أخرى لها حوض ماء ومحراب منفرد في الرواق الشمالي وخزنة قائمة على  
ثمانية أعمدة قديمة وبسبب الرواق الشرقي تربة ومصلى ولها نوافذ صلبة معمولة من الفخاس من  
عهد المالك ومن الرواق الغربي يصل الانسان الى قبة الملك المظفر محمود وله تابوت معمول  
بالخشب الجميل المنقوش وهناك منارة ثانية قامت في الخارج وسط الرواق الشمالي ؛ يستدل  
من كتابته وشكله انه من عهد المالك وفي جامع حماة تجلت خاصية من هندستها تجلياً غريباً  
وذلك ان ظاهر الحيطان مزين بنقوش رسمت بالوان تشبه الفسيفساء لمراوحتهم في صفها  
بين حجر الحَرَمِي الأسود والحجر الكلسي الأبيض . ومن جوامع حماة ( جامع الحيات )  
في باب الجسر كان متسعاً وقد هدم من جهة الغرب فذهب نصفه وعدا عليه الجوار فأخذوا  
من ارضه الشرقية ربه . بناه ابو الفداء وعمل لحرمه من جهة الشرق شباكين كبيرين  
بينهما عمود كبير من الرخام على شكل افاعي ملتفة ولهذا سمي جامع الحيات وعمل فيه خزانة  
كتب كبيرة كانت فيها سبعة آلاف مجلد فذهبت فيما ذهب منه ونقش حرمه بالذهب  
والفسيفساء والرخام الملون في جدرانه وارضه وعمل له من الغرب شباكين كما في جهة  
الشرق غير انها هدموا وادخلا في البستان المجاور له . وعلى يمين مدخل الجامع الذي يتزل  
اليه بدرج غرفة فيها ضريح الملك المؤيد ابي الفداء المتوفى سنة ٧٣٣ اصلحها بعد دثورها  
منذ سنتين العالم المصري احمد زكي باشا . وبني رجل ايضاً حموي متوسط الحال يدعي  
الاتساب الى السلطان بدر الدين حسن اخي ابي الفداء منسارة جميلة في جانب الضريح  
كان المنسارة القديمة المنثرة . و ( جامع السلطان ) في محلة الدباغة بناه السلطان حسن

من حكم حماة من العثمانيين بعد فتح السلطان سليم (١) . وأشهر تكااياها « تكية عبد القادر الكيلاني » وهي عامرة ومزخرفة وذات ابراد جزيل وتنعج بالدرابيش (٢) . وأسواق حماة وان لم تكن عامرة بقدر أسواق حلب لكنها حافلة بجميع أنواع البضائع القيمة ويكثر فيها الصياغون والحلاقون . وحر حماة شديد لوقوعها في وسط الاقليم الرابع وتهب من بربتها ريح سموم

شقيق ابي الفداء على هيئة جامع الحيات ومشمولاته (الجامع النوري) في محلة باب الناعورة بناه نور الدين الشهيد في سنة ٥٥٨ بعد الزلزال الكبير الذي هدمت فيه حماة واقف له اوقافاً كثيرة لم يبق منها اثر وكان له باب شاهق من الغرب درس وباب آخر من الشرق باق حتى اليوم وبين هذين البابين تاريخ بناء الجامع محفور بخط جميل وحروف ضخمة . وصفه هرزفيلد فقال : هذا الجامع على الشاطي الأيسر من العاصي في ارض منخفضة وعلى بناء فخعي عال . بني هذا الجامع على عهد نور الدين وعلى ما دخله من الترميمات الكثيرة تشاهد فيه الى اليوم اجزاء مهمة من البناء القديم ولا سيما الحرم الطويل الذي عقوده حديثة العهد بالنسبة لمجموع الجامع وكذلك القباب الثلاث من الرواق الشمالي المختلفة الأشكال . والأبنية القهتانية من الجهتين الشرقية والشمالية والعائط الخارجي الشمالي من الجامع . وربما كان الجزء الأسفل من المنارة بما فيه الحجارة المنخوتة البيضاء والسوداء قديم العهد ايضاً . وفي هذا الجامع بقايا منبر جميل عمل من الخشب يرد الى زمن نور الدين ثم محراب زين اجمل زينة فيه اعمدة من الرخام المنزوع من عهد الملك المظفر محمود (٦٢٦ - ٦٤٣) وفي مكان آخر من الشرق محراب ذو اعمدة من المرمر زير في نيجانها اسم ابي الفداء . (١) هذا الجامع لم يعرفه احد ممن سألتهم في حماة ولا سمع بهذا الاسم . فن أين أتى الجليلي بذلك .

(٢) نفي الصابوني وجود التكايا الآن في حماة . اما التكية الكيلانية فقد أسماها زاوية وقال أنها من بناء بني الكيلاني القاطنين في حماة منذ القرن السابع . والذي علمته ان الايراد الذي ذكره الجليلي اندثر والدرابيش لم يعد لم اثر .

لذلك يكثر السمر في اهلها ويقل الجمال في نسائها (كذا) . ويلبس الرجال جيباً  
وغنايير ملونة تكون في موسريهم من الحرير ومتوسطهم من القطن أو الصوف  
وتلبس النساء في أرجلهن أحذية طويلة الساق ويلتحفن بملاآت بيضاء .

ويصنع فيها شراشف ومناشف ومناديل حريرية . ولكثرة الشبان  
الذين يتجددون تكثر الفروسية بين اهلها ويصنع فيها سروج ولجم جميلة  
متقنة . اما قحها فيمثل القمح الحوراني في الجودة . وكذا الأمر في شعيرها  
وقطانها . وتكثر في حماة الخيول الاصيلة . اما حماماتها فكثيرة وعلى غاية  
من الحسن واتقان الخدمة أخص بالذكر حمام (١) محمد باشا الارناؤد الذي لم  
أر في ديار الروم ما يماثله في الإبداع الا ان يكون حمام محمد كراي في بنجه  
سراي عاصمة بلاد القريم .

وفي حماة نواعير عظيمة منصوبة على نهر العاصي يسمع القادمون الى هذه  
البلدة أنبئها من مسافات بعيدة . وهي دواليب مؤلفة من اخشاب واعمدة  
ومسامير حديدية على غاية من الطول والضخامة . وتنصب المياه من هذه  
النواعير في قناطر تذهب بها الى قصور البلدة ودورها وحماماتها ومساجدها  
وخاناتها . ولكل ناعورة اوقاف ذات ايراد وخدم ونجارون مهياون لخدمتها .  
وإذا اقترب الزائر الغريب منها تكاد آذانه تصم من شدة الضججة . والاغرب

(١) هو حمام الباشا الذي كان في جانب جامع المدفن . والحمام والجامع من بناء محمد  
باشا الارناؤد الذي مر ذكره . وقد اندرس هذا الحمام منذ قرن في جملة المعالم الكثيرة  
التي اندرست في حماة ويبت وهي عامرة للعجارين كمدار الفرح في محلة باب المدر كانت  
وفقاً للأفراح فن أراد ان يتزوج مثلاً بأخذ مفتاحها من متوليها ثلاثة ايام ذكره الصابوني .

من كل ذلك روية غلمان حماة المتشردين بتعلقون بأطراف الناعورة ويدورون بدورانها حتى اذا علت بهم القوا بانفسهم الى العاصي فيغوصون فيه ويسبحون . وفي حماة مئآت من الحدائق والبساتين التي تروى من هذه النواعير . ولا يخلو كل بستان من ناعورتين او ثلاث على ان أعظم ناعورة بينها هي ناعورة المحمدية التي سارت بذكرها الركبان (١) . وفي حماة قبران لعالمين من الترك احدهما المولى حامد جلبي الشهير بطاشكوبري زاده والشافي المولى ابراهيم جلبي الأذري وكلاهما مدفون بجوار التكية الكيلانية وتاريخ وفاة الجلبي الأذري سنة ١٩٩٣ هـ (٢) .

(١) نواعير حماة كثيرة وهي من صنع الرومانيين والعرب وكان منها في زمن ابي الفداء ٣٢ ناعورة . اما الآن فهي أقل من ذلك أكبرها ناعورة المحمدية التي ذكرها الجلبي وهي في باب النهر أنشئت في أيام المعز الاشرف السبئي كافل حماة في سنة ٧٦٣ لسقي الجامع الاعلى ومنها ناعورة المأمورية قرب جسر السرايا أنشئت هي وقناتها باصر الحاج بلباك كافل حماة في سنة ٨٤٧ تسقي جهة السوق . وقد اقتبس الصليبيون فيما اقتبسوه من بلاد الشام صنع النواعير ايضا فأوجدوا في ألمانيا في واد صغير في فرانكونيا على مقربة من بايروت نواعير كالتي في حماة لانزال دائرة . ذكره صوبرنهايم في العملة الاسلامية .

(٢) قيل انه كان في جوار الزاوية الكيلانية مقبرة للكيلانيين درست وبني في محلها دور ولعل هذين القبرين اللذين ذكرهما الجلبي كانا فيها . اما حامد جلبي فلم اعثر على ترجمته ولعله كان قاضيا في حماة ورث القضاء والعلم عن ابيه اوجده عصام الدين ابي الخير احمد بن مصطفى الشهير بطاشكوبري زاده مؤلف كتاب الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية وكتاب موضوعات العلوم وغيرهما وكان عصام الدين من اعظم علماء الترك العثمانيين افضل من الف منهم ونظم باللغة العربية توفي في سنة ٩٦٨ هـ . وآذري جلبي كان على ماقاله شمس الدين سامي مؤلف ناموس الاعلام — من الفضلاء المبرزين في عهد السلطان سليم الاول

كان عالماً شاعراً لطيف المعشر سلك مسلك القضاء وما زال ينتقل في قضاء مدن شتى في الاناضول حتى كانت خاتمة مطافه حماة توفي فيها سنة ٩٩٣ ودفن في خارجها وله ديوان شعر تركي سماه «نقش خيال» .

قلت ويبلغ عدد سكان حماة الآن اربعين الفا تسعة اعشارهم من المسلمين واكثر البقية من الروم الارثوذكس واقبلها من السريبات القدماء والسريان الكاثوليك والبرتسنتات وحماة ما برحت قاعدة لمنصرفية كان يقبها اقلية حماة وحصن وسلمية ومصيفات تم فصلت عنها حماة وجعلت متصرفية والحقت مصيفات بحكومة اللاذقية ولم يبق لحماة سوى قضاءها المركزي وقضاء سلمية يتبع الاول نواحي حماة وطار العلاء والحيري والحراء ويتبع الثاني نواحي علي كاسبون ومعرشحور وعقيربات وسلمية . وحماة بلدة زراعية اكثر منها صناعية وجل علائق سكانها مع الفلاحين والبدو فاذا جادت السماء والامطار واقبلت المواسم حسنت حالتهم وان شجحت حصل الجذب وعم الضيق . اما صناعاتها فهي البياض ومسوجات الحرير وقد كان لها في الماضي القريب مكانة كبرى وكان المرتزقون منها في حماة — ومثلها في حماة ودمشق وحلب وطرابلس — يعدون بالالوف ذكر في (سالنامه ولاية سورية) لعام ١٣٠٥ هـ انه كان في حماة ٥٠٠ نول يشتغل بها ٨٠٠ عامل يصنعون في كل عام ٣٠٠٠٠ من عدة الحمامات كالمناشف والفوط و٣٦٠٠٠ ثوب من البياض و١٠٠٠٠ شرف فراش مما كان يبلغ ثمنه ٧٠٠٠٠ ذهب عثمانيا اهـ . بدأ هذا الوارد يتضاءل منذ اليوم الذي كثر فيه اقبال الشرفيين على استعمال الثياب والفرش الافرنجية وزادت ضؤولته بعد الحرب العامة على اثر فصل بلاد الشام عن الانطار المجاورة التي تروج فيها هذه المصنوعات واخصها بر الاناضول والقطر المصري وتزيد رسوم المكس عليها الى ان بطل استعمالها في الاناضول وتمذر تصديرها الى مصر فانت هذه الصناعة او كادت وساء حال مرتزقيها .

وتصدر حماة للخارج اعتاق الخيول العربية وانواع الحبوب والسمن الحديدي الفاخر المشهور والصوف والجلد . وفيها كثير من الجوامع والكنائس والمدارس الميرية . احداها مدرسة تجهيز والمدارس الخاصة كمدار العلم والتربية التي تقيم في قصر بني العظم

الاثري وفيها الصيارف والاطباء والصيدليات والحامون وتجار السلع المختلفة ومن هذه السلع ما هو خاص بالبدو . ويكثر في اهل حماة القرع وامراض العيون لكثرة الهجاج وشدة الحرارة والرطوبة في الصيف وقلة العناية بالصحة . واهيج الفصول في حماة الربيع - تزدان فيه حقولها وحدائقها وازوارها بجمالها السندسية ويقصد الحويون آثذ المتزهات والمقاصف المشرفة على تلك المرتبات فيضربون الخيام ويقضون فيها اياماً واسابيع ويجلب البدو الذين يكثر وجودهم في براري حماة - اللبن الخاثر الجيد ومشتقات الحليب كاللباء والزبد والكثافة وجميعه مما تباهي حماة بوفوته وجودته . وارداً الفصول فيها الصيف والخريف فانها شديدة وطأنها . وقد نهجت حماة في العصور الفائرة علماء وأدباء كثرين ذكروا في كتب التراجم وما برح اهلها في الجملة ذوي شغف بالدراسة وبينهم الآن لاسيما في الطبقة الوسطى عدد غير يسير من حملة الشهادات المتوسطة والعالية في مختلف المسالك . هذا وبنقص حماة لتحصين جماها الطبيعي تغيير شكلها الموروث منذ قرون وذلك بتنظيم شوارعها وتنظيفها وتشديد المباني على الطراز الحديث والمجادال الفنادق والمطاعم والمسارح التي تجذب اليها الغريباء والسائحين وجلب الماء القراح ونورالكهرباء واصلاح بساينها واعادة الفواكه التي ذكرها ابن بطوطة وشيخ الزبوة : الى آخر ما هنالك من وسائل العمران التي قصرت فيه عن بقية مدن الشام .

وصفي ذكرى

« للبحث صلة »

## كتب الادب القديمة والحديثة

- ٤ -

- وقال في ص ٦٧ — لم يخلف انامله • والصواب لم تخلف •
- وفي ص ٦٨ — يمدن عداة زور • والصواب عدات •
- وفي ص ٦٩ — باوصال الحسين • والصواب فأوصال •
- وفي ص ٧٠ — واعلم لقد خشيت صدر اخ • والظاهر ولقد خشيت اي اوغرت •
- وفي ص ٧١ — ان الضيف يخمر ما رأى • والظاهر يخبر •
- وفي ص ٧٢ — من المشتري الغدر • والصواب من المشتوين القدر •
- وفي ص ٧٢ — اي بأخذون العهد الخ • والصواب ان هذا اثر وليس بشعر •
- وفيها امرأة عبد الحميد • وسياق القول يقضي بان تكون أم عبد الحميد •
- وفي ص ٧٣ — شعاع المولدين • والصواب اشعار •
- وفيها • لا ازرها • والصواب لا ازورها •
- وفي ص ٧٤ — بقول عبد الحميد • والصواب يقول •
- وفيها • عمرو بن فرخ الرجعي والمعروف الرجعي •
- وفيها • وايضاً لقيج مسبته • والصواب واتقاء •
- وفي ص ٧٥ — لقيب اعرايباً • والصواب لقيت •
- وفيها • ضخخ صبغر عضوب • والصواب ضخخ حغبجر غضوب •
- وفيها • نابض اوقار • والصواب اوتار •
- وفيها • له في الغيبة بعد الغيبة عند الخليفة • والظاهر في الغيبة بعد الغيبة •
- وفي ص ٧٦ — وما ادى • والصواب وما ادري •

- وفيها . فمن تيك لم اصبر . والأولى فدبتك لم اصبر .  
 وفي ص ٧٧ — على عتب الغمير . والصواب غيب .  
 وفيها . لي ان جرى . والصواب الى ان جرى .  
 وفيها . فبدل منا بمشهد بمغيب . والصواب فبدل منها مشهد بمغيب .  
 وفيها . الى شرب يومها قد ممع . والى عارضها قد لمع . والظاهر الى شربها قد لمع  
 والى عارضها قد ممع .  
 وفيها . بالوعيد قد اروي . والصواب اوري .  
 وفيها . داهية نار . والظاهر ناد .  
 وفي ص ٧٨ — سهلت لك الوعود . والصواب الوعود .  
 وفيها . من ركن يلم . والأولى ركن يلم وهو جبل على مرحلتين من مكة .  
 وفيها . موضع السيف من عاتقه فتمفو عن قتله . . والظاهر من عنقه فيمنعني من  
 قتله ابقائي . .  
 وفي ص ٧٩ — الحقد دالاردى . . . والصواب دالادوي .  
 وفيها . جعلت لمبي كطارق السبك . والصواب كظرف . .  
 وفيها . قيس بن الكشوح . وفي امالي القاضي ابن مكشوح .  
 وفيها . تمثل به على . . . راي عبد الرحمن . والصواب لما رأى .  
 وفي ص ٨٠ — الا تبقي الحياء . ورواية البيت الاتقى الحياء كما في امالي القاضي .  
 وفي ص ٨١ — طاط من اشرافه . والصواب طأطي .  
 وفي ص ٨٣ — الى الملا . . . حاورا . والصواب الى العلى . . حاورا  
 وفيها . يعول اثنا عشر . . . والصواب اثني عشر .  
 وفي ص ٨٤ — انما طيب الثناء . والأولى طيبك الثناء .  
 وفي ص ٨٥ — وموته موته لا موته الداني . والأولى وموته خزبه . .  
 وفيها . اخذ هذا البيت الراضي . والصواب الرضي .  
 وفيها . البيت الشري . والصواب أليث الشري وروي هذا البيت . هكذا بنفسه  
 ثري ضاجت .



- وفيهما . يذكر بخدمته سلفها . والأولى يذكره بجرمة .  
 وفي ص ٨٧ - بطيح هو الصابي . والصواب هوى . .  
 وفي ص ٨٨ - قطعت الباء من ديمومة . والصواب اليك من . .  
 وفيها . دمع السموع باثر . . والصواب دمع المودع نحو . .  
 وفيها . مادمت انت ان تقوم . والصواب اسقاط ان .  
 وفي ص ٨٩ - كايشرف غيرم . والصواب كما يشرف .  
 وفيها . قطع متن الشعراء . . والصواب متن الشعر .  
 وفي ص ٩٠ - اعطاك سؤورة . والصواب سؤورة .  
 وفيها . امر واين هند غضبة . والصواب غضبة .  
 وفيها . وحقر المشارك . والأولى وحقد .  
 وفي ص ٩١ - في حياتك لي عظاة . والصواب عظات .  
 وفيها . تستقل ملك العباد . والصواب بملك . .  
 وفي ص ٩٢ - بالسلطان الانفس خائفة والصواب بالسلطان الانفس جائعة .  
 وفي ص ٩٣ - صوالح صدغيها . والصواب صوالج .  
 وفي ص ٩٥ - يضيق بالضرر وسعه . والصواب ويسمه .  
 وفيها . لحياء رعدة . والصواب لحياء .  
 وفيها . باصحاب الجدود . . المطروزة . . . المطروزة .  
 وفي ص ٩٦ - ويقل شبا . والصواب ويقل . .  
 وفيها . وان قلباً لم ينصحه . وفي الاصل لم ينضجه .  
 وفيها . اسفرت الخلوة عن وجهة . والصواب عن وجهه .  
 وفي ص ٩٧ - خلعت نخيلة . والاولى خلعت .  
 وفي ص ٩٧ - صار بجرأ موجه في اليدين . والصواب صار مجرى بوجه كما في  
 الديوان .  
 وفيها . تجاريا الى مدد . والصواب الى امد .  
 وفي ص ٩٩ - عناني فيها لثيم وسامني . والاولى وساءني .

- وفي ص ١٠٠ - ولما احتفل القائد . والصواب القائل .  
 وفيها . بلاد حل بها الشباب تمني . والصواب بلاد بها حل . . . .  
 وفي ص ١٠١ - ذكر ان سكرته تعطي . والصواب ان غول سكرته يغطي .  
 وفيها . مقدار فضيلته في . والظاهر في قوله .  
 وفي ص ١٢ - فاستملت مدامي شوقي . والظاهر لشوقي .  
 وفي ص ١٠٣ - باردات النوائب . قال في الذيل النوائب هنا بمعنى الانياب ولم  
 اجدها بهذا المعنى ولعلها الانايب اصلها انايب جمع انياب .  
 وفي ص ١٠٤ - فاهتاج معتز . والاولى فاجتاح .  
 وفيها كأن يبتداد . . . والصواب كأن يبتداد . . . . وبذلك يستقيم الوزن .  
 وفي ص ١٠٤ - شوق الى وجهه وليس بصحيح الوزن . والاولى الى وجهه .  
 وفي ص ١٠٥ - تحذتكم دُرعا . والصواب درعا .  
 وفيها . فيها منقوشه . والصواب منقوشة .  
 وفي ص ١٠٦ - امتطى بالجوزاء . والصواب الجوزاء .  
 وفيها . موثوقة بالوثافة . والاولى موثوقة اذ . وسومة . . .  
 وفيها . فهمي حمى . والصواب فهمي . . . .  
 وفيها . قبل الخط مجرى . والصواب قبل الخط ونحوها مجرى .  
 وفي ص ١٠٧ - شرافته . . . شرافات . والصواب شرفاته . . . . وشرفاته .  
 وفي ص ١٠٨ - يقضي زمامه . والصواب ذمامه .  
 وفيها . قوى الاستقلال والاضطباع . وقال في الذيل الاضطباع النهوض . والصواب  
 اضطباع الشيء ادخله تحت ضميمه اي عضديه وربما كان الاصل والاضطلاع .  
 وفي ص ١٠٩ - ولا بليت عذرا . والصواب ولا أبليت .  
 وفيها . ولولا النعمة بالزيارة نعمة لم تزل . . . . وصواب العبارة . وله . احق النعم  
 بالزيادة نعمة لم تزل . . . .  
 وفيها . عادية احكامها . . . . والصواب غادية لانها تقابل رائحة في الجملة الآتية .  
 وفيها . قبض الله من الأمير . والصواب قبض . . . .

وفيها . التي عصا التيار . والصواب التسيار .  
 وفي ص ١١٠ — فانسى به حادث الكلم . والصواب وآسى به .  
 وفيها . اذا تغذيت . . . . . بالغذاء . والصواب تغذيت . بالغذاء وبه تحصل المجانسة  
 مع قوله اراغ داني .

وفيها . آذى قفاه ما ذاق فاه . والظاهر اذا قفاه اذا ذاق فاه  
 وفيها . من عجبين زحام . والظاهر من جعبين .  
 وفيها . فرعى الله طويل حياة . والصواب فدعا الله طويلا يرحى .  
 وفيها . وافاه بعد تأبين بشر . والصواب بعد ياس بشر وحينئذ يصح المعنى .  
 وفيها . بدا بين ابدينا عمودا . والصواب عمود اترى بين ابدينا عموداً .  
 وفي ص ١١٢ — خر راسه . والصواب حز اوجده .  
 وفيها . قد كسى الباطن . . . . . والأولى حذف قد .  
 وفيها . وضفر من بنات . والصواب وضفر .  
 وفيها . واظهرها عواري . والصواب عوار .  
 وفيها . وامست تنفج . والصواب وليست .  
 وفيها . لكل ساري . والصواب سار .  
 وفي ص ١١٣ — ويزوغ عنه . والصواب ويروغ عنه .  
 وفيها . فبعد الترك . والظاهر فبعض الشوك .  
 وفي ص ١١٤ — جم الزلال . والصواب جم الزلالل .  
 وفيها : اذا سئلوا جادت سيوف اكفهم عرائك احدث الزمان الجلائل  
 وهو ملفق من بيتين وهما :

اذا سئلوا جادت سيوف اكفهم      تطاير جمات التلاع السوائل

خليقون سروا ان ثلثين اكفهم      عرائك احدث الزمان الجلائل

وفي ص ١١٦ — من هجته الرد . والصواب من هجته .  
 وفي ص ١١٧ — في الذليل . المتخبط هنا الناثر الهائج . والمتخبط انقهار الغلاب

الذي له جلبه من شدة غضبه ولم ارها بمعنى الناثر .

- وفيها . بيتين اهلنا والاولى يحلن .  
 وفيها . برباك يغذو ربنا بلداً قفرا . والاولى برباك تمروري بنا . . .  
 وفيها . الرتاج الاغلاق . والصواب هو الباب العظيم او المخلق عليه باب صغير .  
 وفي ص ١١٨ - تلهب جمر الفرقد . والصواب الفرقد وهو شجر عظام .  
 وفيها . نذود النفوس الضاريات والاولى الصاديات .  
 وفيها . في الذيل مرجحة متاوجة . والاولى ثقيلة واسعة مائلة من ثقلها .  
 وفي ص ١١٩ - كقول الطرماح في النور . والصواب في النور .  
 وفيها . عتباً بجمكم . طال بجمكم . والصواب بجمكم في الموضعين .  
 وفي ص ١٢٠ - بوصل منى تطلبه . والصواب منى تطلبه .  
 وفي ص ١٢٢ - وليس ذا حين الزيادة . والصواب حين الزيادة .  
 وفيها . ما قلت للطف الملم الا ابتمد . والبيت في الديوان هكذا :  
 ما قلت للطف المسلم لا تمعد تمشي ولا كنفكت حامل كابني  
 وفيها . فلم بدر نغرمادها وجيد . وفي الديوان فلم بدر نخر .  
 وفي ص ١٢٣ -

- أني اهتدي في ظل اخضر مغدق حتى نيم بالعناء وساديه  
 وصوابه : اني اهتدي في ظل اخضر مغدق حتى نيم بالعراء وساديه  
 وفي ص ١٢٤ - ممنوناً ولا نزفا . والصواب ولا نزفا .  
 وفيها . كن يعي بجمته وسط النداء . والصواب يعيا . . . وسط التدي .  
 وفيها . مالي ومالك شبه حين اذكره . والاولى انشده .  
 وفي ص ١٢٥ - دون الخير من شر . والصواب من ستر .  
 وفي ص ١٢٦ - كالشراب الرقراق . والصواب كالسرراب .  
 وفي ص ١٢٧ - كسوة من اعز ادرع . والصواب اض اروع .  
 وفيها . برد المضاع . والصواب برد العناع .  
 وفي ص ١٢٨ - على عقود الثروة . والصواب على حقوق .  
 وفيها . في اخس رتان . والظاهر زمان .

- وفي ص ١٢٩ — موكل بحب الاجل . والصواب الآجل .  
 وفي ص ١٣٠ — لبسته الخالدة . والصواب الخالدة .  
 وفي ص ١٣٢ — والظافر به عنزيمة . والأولى والظفر به .  
 وفيها . سفاوح جهله . والظاهر سفاوح .  
 وفي ص ١٣٣ — لايجل الفاقة ولايجل خناقة . والصواب لايجل انفاقه ولايجل خنائه  
 وفي ص ١٣٣ — عوانها اذا الوحوش . والصواب عنوانها .  
 وفي ص ١٣٦ — لا يقع الا في البذر . وفي رسائل البديع الا في النذر .  
 وفي ص ١٣٧ — الا فنص اللفظ . وفي الرسائل الا فنص اللفظ .  
 وفي ص ١٣٨ — وبفل جميع خهه بمس كتاب حكه . والظاهر بمسكتات حكه .  
 وفي ص ١٣٩ — ومن اللغات اذا تههد المهمل . والصواب اذا تعد وبه يستقيم الوزن .  
 وفيها . كل اقيمة نصيرة . والظاهر خطيرة .  
 وفيها . وتحنو على الرقة والتخفي . . . . . وسياق القول يقتضي ان يقال على الرقة له  
 والتخفي به . . . . .  
 وفيها . ولم يختلط به قلب معاب . والظاهر ثلب معاب .  
 وفي ص ١٤١ — في التعزية قررت عيناً أفديك . والظاهر اسقاط قررت عيناً .  
 وفيها . توجب انه ملك لا يحقق اعطاء ولا يتحصل . والأولى توجب انه ملق لا يحقق  
 وعطاء لا يتحصل . . . . .  
 وفيها . فتبل غبل فيكم له اليوم نائر . والصواب اليوم نائر .  
 وفي ص ١٤٢ — ويتزرن على العوانك . قال في الذيل العوانك جمع عاتكة وهي  
 المحمرة من الطيب والمراد هنا الازداف . والصواب العوانك جمع عانك وهي الرملة المنعقدة  
 المرتفعة وهي كذلك في امالي القاضي .  
 وفيها . وبتهادين على الدوانك وقال في الذيل الدوانك جمع دونك وهو الوادي .  
 والصواب الدوانك جمع درنك وهي الطنافس .  
 وفيها . وعن الحياء حور . وقال في الذيل حور مترددات . والصواب وعن الخنا  
 نور جمع نوور وهي النفور من الريبة .

- وفي ص ١٤٣ - هو داء تداوي به النفوس . والصواب تداوي به .  
 وفيها . وحى مضطرم . والصواب وجر مضطرم .  
 وفي ص ١٤٤ - وقد ذكرت ابصار قلوب ابنائها والظاهر كسرت .  
 وفي ص ١٤٥ - - وليس بخافي . والصواب بخاف .  
 وفي ص ١٤٦ - يجني بها ثمر الانام . والصواب الاثام .  
 وفي ص ١٤٧ - لقد جمعنا ظرفاً . والصواب جمعنا .  
 وفيها . قال البهري . والصواب البهري .  
 وفي ص ١٤٨ - نطاقها مجرب وازارها محصب . والصواب نطاقها مجذب وازارها  
 محصب .  
 وفيها . واستوفى ماء الحسن . والظاهر اقسام الحسن .  
 وفيها . صورة تجلي الأبصار . والأولى تجلو .  
 وفيها . كان خده سكران من خمرة فمه . والسجع يقتضي . خمرة طرفه .  
 وفي ص ١٥٠ - وتشوك رغبان خطه . والظاهر تشوك زعفرانه .  
 وفيها . فارقتنا خشفاً . والصواب خشفاً .  
 وفيها . والاضفار حما . والظاهر حمى .  
 وفي ص ١٥٣ - ويخذ خذ . والصواب خذ .  
 وفي ص ١٥٤ - وزري ملكي . والظاهر وزري ملكي .  
 وفي ص ١٥٧ - أتحت سروره . وفي الديوان أبحث .  
 وفي ص ١٥٨ - وللهاء ما دارت عليه القوانس . وقال في الذيل القوانس اعالي  
 الرأس . وفي الصحاح القوانس أعلى البيضة من الحديد . وبعد ذلك فرواية البيت هكذا :  
 ( وللهاء ما دارت عليه القوانس )  
 وفيها . وحكى الذهب بها فليس ببارح . والرواية وخال الذهب .  
 وفي ص ١٦٠ - يعادوني قطع . والصواب يعادوني قطع .  
 « للبحث صلة »  
 سليم الجندي

# جامع التواريخ

- أو -

« نشوار المحاصرة وأخبار المذاكرة »

- ٦ -

وحدثني قال حدثني القاضي احمد بن سيار قال حدثني شيخ من التجار  
بعان قال كنت بالابلة أريد الخروج الى البحر فرأيت سائلاً يباب الجامع  
فصيح اللسان مليح المسألة فرقت له واعطيته دراهم صالحة وخطفت في الوقت  
الى عمان فاقت بها شهوراً ثم قُضي لي ان مضيت الى الصين فدخلتها سالماً فاذا  
انا يوماً اطوف فاذا الرجل بعينه قائماً في السوق يتصدق فتأملته فعرفته فقلت  
له ويحك سائلاً بالابلة وسائلاً بالصين فقال قد دخات الى هذا البلد ثلاث  
دفعات وهذه الرابعة لطلب المعيشة فلا اجدها الا من الكدبة فارجع الى  
الابلة ثم ارجع الى هاهنا قال فعيبت من شدة حرمانه .

\*\*\*

وحدثني قال حدثني قاضي القضاة ابو محمد بن معروف رضي الله عنه  
قال حدثني بعض اهل بغداد عن ابي عبد الله بن ابي عوف انه قال ضاق  
صدري في وقت من الأوقات ضيقاً شديداً لا اعرف سببه فتقدمت الى من

حمل لي طعاماً كثيراً وفاكهة وعدة من جوارٍ الى بستانٍ لي على نهر عيسى وامرت (١) غلامي واصحابي ان لا يجيئني احد منهم بخبر يشغل قلبي ولو ذهب مالي كله ولا يكاتبوني وعملت على ان اقيم في البستان بقية اسبوعي أنفرج مع أولئك الجوارى قال وركبت حماري وقد تقدمني كلما أمرت بحمله فلما قربت من البستان استقبلني فيج (١) معه كتب فقلت له من أين وردت فقال من الرقة فتأبعت نفسي ان أقف على كتبه وأخبار الرقة وأسعارها فقلت له تعرفني فقال نعم فقلت انت قريب من بستان لي فتعال معي حتى اهب لك دنائير وأغير حالك وأطعمك وتستريح الليلة في البستان وتدخل بغداد غداً فقال نعم ومشى معي راجعاً حتى دخل البستان فأمرت من فيه ان يدخله حماماً فيه ويغير ثيابه ببعض ثياب غلامي وبطعمه فابتدروا معه في ذلك وتقدمت (٢) الى غلام لي فاره فسرق كتبه وجاءني بها ففتحتها وقرأت جميع ما فيها وعرفت من أسرار (٣) التجار الذين يعاملوني شيئاً كثيراً وتفرجت (٤) بذلك ووجدت جميع الكتب محشوة الى التجار بان يتسكوا بما في ايديهم من الزيت ولا يبيعوا منه شيئاً فانه قد غلا عندهم وعزّ وبوصونهم بحفظ ما في ايديهم فأنفذت الى وكلائي في الحال فاستدعيتهما فجاءوا فقلت لهم خذوا من فلان الناقد وفلان الناقد كلما عندهم من العين والورق الساعة ولا ينقضي اليوم اوبتاعوا (٥) كلما يقدرون عليه من الزيت واكتبوا اليّ عند انقضاء النهار بالصورة فمضوا فلما

(١) ناقل البريد . (٢) بالاصل : وفقدت . (٣) بالاصل : اسار بجذف الجار .

(٤) لعله : وفرحت . (٥) لعله : ولا ينقضي اليوم أو يتباعوا الخ .



كان العشاء جاء في خبرهم بانهم قد ابتاعوا زيتاً بثلاثة آلاف دينار فكتبت اليهم بقبض الوف دنائير أخر وبشري كما يقدرون عليه من الزيت وأصبحنا ودفعت الى الفج ثلاثة دنائير وقلت له ان أقت عندى دفعت اليك ثلاثة دنائير أخرى فقال أفعل وجاءتني رقعة أصحابي بانهم ابتاعوا زيتاً باربعة آلاف دينار وانه قد تحرك سعره لطلبهم إياه فكتبت بان يبتاعوا كما يقدرون عليه وان كان قد زاد وشاغت الرسول اليوم الثالث ودفعت اليه في اليومين ستة دنائير وأقام ثلاثة ايام وابتاع أصحابي باربعة (١) آلاف دينار أخرى وجاؤني عشياً فقالوا كان ما ابتعناه اليوم زائداً على ما قبله في كل عشرة نصف درهم ولم يبق في السوق شيء يفكر فيه فصرفت الرسول واقت في بستاني اياماً ثم عدت الى داري وقد قرأ التجار الكتب وعرفوا خبر الزيت بالركة فجاءوني بقرعون ويبدلون في الزيت زيادة اثنين في العشرة فلم أبع فبدلوا زيادة ثلاثة في العشرة فلم أبع ومضى على ذلك نحو من شهر فجاءوني بطلبون زيادة خمسة وستة فلم أفعل فجاءوا بعد ايام فبدلوا الواحد الواحد فقلت في نفسي ترك هذا خطأ فبعته بعشرين الف دينار فنظرت فلم يكن لضيق صدري وانفرادي في البستان ذلك اليوم سبب الا ما أحبه الله تعالى ان يوصل اليّ ربح عشرة آلاف دينار .

\*\*\*

وحدثني قال حدثني صائغ كان يخدم في خزانه الامير معز الدولة بمرف بطاهر قال كنت أشرب يوماً في منزلي وعندى جماعة من إخواني

(١) الصواب : ثلاثة كما يظهر .

فانقطع بنا التبيذ فخرجت احتال لم شيئاً من ذلك فلتيني ركابي فقال الامير يطلبك فقلت قل انك لم تجدي قال لا افعل فقلت خذمني ديناراً وقل انك لم تجدي قال لا افعل قال وانا معه اذ جاء ركابي آخر فبذلت لها دينارين فأبيا وجاء الثالث فضيت وحملت معي غلاماً كان لي فحين دخلت الى الامير قال لي امض فانظر مايقول لك علي المغني في الخزانة فافعله فجئت الى الخزانة فقلت لعلي ايش تربرد فاخرج اليّ مناطق كبيرة ذهباً موكدة (١) بلاسيوف مما أخذه معز الدولة من تركة اخته (٢) وكانت الاخت تشدها في اوساط الجوارى وتلبسهن القراطق والخفازين وتلك المناطق فوقها ويخدمونها (٣) كذلك فلما حصلت لمعز الدولة لم يستحسنها فامر بكسرها وصياغتها بمراكب وسيوفاً ومناطق اعجمية فقال لي اجلس واقلمها حتى ننظر كم يجتمع منها وبصاغ قلت لبس معي آلي التي تستعمل فقال انفذ من يحضرها فأنفذت غلامي فأحضر بعض الآلة فما زلت اقلع واغتفل المغني واسرق واجعل ذلك في كبي وتحت عماتي وارمي الى غلامي فاذا حصل معه شيء قلت له هات المبرد (٤) هذا قد كلّ فامض وجثني بغيره او هات الآلة الفلانية فيمضي وحصل (٥) ماقد سرقناه ويحي بالآلة واسرق واعطيه واطلب آلة أخرى على هذا الى ان جاء المساء فجمع علي المغني تلك المناطق واخذ الوعد عليّ في الحضور في غد

(١) بالاضل : مولدة . (٢) بالاصل : أخيه .

(٣) الصواب يخدمها . (٤) لعله سقط : الفلاني او الآخر .

(٥) لعله : ويحصل اي يضع في البيت .

ومعي الصناع وشريكى الموسوم (١) معي بالخدمة في الخزانة فانصرفت فوزنت ما قد حصل عندي وكان اربع مائة وثمانين مثقالاً فقلت اقبالي هذا حبات اليه كرهاً حتى اخذته بعد ان بذلت ان اعطي دينارين جملاً ولا امضي وحدثتهم (٢) بالقصة فلما كان من الغد حضر الصناع وشريكى وجلسنا نفلك الباقي واحضرنا شيئاً آخر فما استوى لنا ان نسرق الامائة وستين مثقالاً قاسمته عليها وعجبت من رزقي في ذلك .

\*\*\*

حدثني ابو الحسن ثابت بن ابراهيم بن هارون (٣) الحراني الصابي الطيب قال حدثني ابي قال كنت بين يدي الموفق يوماً فقال لي يا ابراهيم انا اشتهي شهوة منذ سنتين وهو ذا استتبع ان اطلبها وقد عن لي الساعة مواضعك على طلبها قال قلت يا امر امير المؤمنين قال ويحك انا والله منذ سنين كثيرة اشتهي كبود الدجاج وقوانصها مطهجة واستتبع ان اطلبها فيظن صاحب المائدة ان نفسي قد تابعته شغماً به عليهم لان رسمهم جار بان يرتفقون (٤) بأخذه ويصه وأريد اذا قدمت المائدة وجاست معي للأكل ان تشتهي ذلك عليّ وتشير به من طريق الطب لا تقدم اليهم باتخاذ شي منه بشي يسير فيصير ذلك القدر رسماً في كل يوم لا يؤثر عليهم قدره ويبيعون هم الباقي فانه كبير واكون قد قضيت شهوتي قال فعجبت من كرمه وفرط حيائه من خدمه

(١) لعله : المرسوم . (٢) لعله : ولم أحدث أحداً . (٣) العواب : زهرون راجع عيون الانباء ١ : ٢٢٧ (٤) العواب : يرتفقوا والضمير للمستخدمين في المطبخ .

حتى يلفق الحيلة في الوصول الى شهوته من غير ايجاشهم او تعرض لهمهم وقدمت المائدة فجلس يأكل عليها وحده وجلست مع الندماء آكل على مائدة بين يديه فلما آكل بعض اكله قلت له لم لا يأمر امير المؤمنين الناصر بان يتخذ له شيء يسير في زبديات من كبود الدجاج المسمن وقوانصه بالببيض والمرى فيطحن (١) بعضه فيولع منه بالشيء البسير فان في ذلك كذا وكذا واخذت اصف ما حضر في في الوقت ونحن ايضا نشتهي ان نأكل منه فقال يصلح لنا من غد كذا وكذا زبديه مطحن (٢) وكذا وكذا زبديه من كبود الدجاج المسمنة وقوانصها فاصلحو اذلك وصار رسماً جارياً ولم يفتن احد منهم بما جرى .

\*\*\*

حدثني عبيد الله بن احمد بن بكير قال حدثني ابو جعفر الضبي الفقيه الحنفي وقد شاهدته انا وكان من شيوخ التجار المستورين فقيهاً يحضر مجلس ابي للخلاف وينظر ولم اسمع منه هذه الحكاية قال حدثني شيخ من التجار بسيراف قال كان عندنا نفسان بمشيان في طريق فرأيا صرة فيها دراهم ملقاة في الطريق فقال احدهما للآخر خذها واحفظها لصاحبها فقال الرجل لا افعل فقال لكني آخذها واحفظها فان وجدت صاحبها رددتها عليه قال فأخذها ومشى فاذا برجل يصيح فقالا له مالك فقال صرة صفتها كذا وكذا فيها دراهم لي سقطت مني الساعة فقال الذي هي معه خذها فانها هذه فسلمها اليه ثم قال لصاحبه أليس لو كان الناس كلهم على مذهبك في ان لا يحفظوا على

(١) لعله : فيطحن . (٢) لعله : مطحن .

الناس لضاعت اموالهم فقال له الآخر أليس لو كان الناس كلهم على مذهبي ما ضاعت الصرة ولكانت تبقى في الطريق مكانها حتى يرجع صاحبها فيأخذها .

\*\*\*

حدثني ابو الحسين علي بن النظيف المتكلم على مذهب ابي هاشم قال كنت مجتازاً بناحية وردان مما يلي نجستان ومكران وقد كان يسكنها الخليفة من الخوارج وهي بلد لهم ودارهم فانتهيت الى قرية لهم وانا عليل فرأيت قراح بطيخ فابتعت واحدة فأكلتها فحمنت في الحار ونمت يومي وبقية ليلتي (١) في قراح البطيخ ما عرض لي احد بشيء وكنت قبل ذلك قد دخلت القرية فرأيت شيخاً خياطاً في مسجد فسئت اليه رزمة ثيابي وقلت له تحفظها لي فقال دعها في المهراب فتركتها ومضيت الى القراح فلما أفقت من الغد عدت الى المسجد فوجدته مفتوحاً ولم أر الخياط ووجدت الرزمة نشرها في المهراب فقلت ما أجهل هذا الخياط ترك ثيابي وحدها وخرج ولم أشك في انه قد حملها بالليل الى بيته وردها من الغد الى المسجد انتظاراً لي فجلست انعمها وأخرج شيئاً شيئاً فاذا بالخياط فقلت له كيف خليت (٢) فقال أفترقت منها شيئاً؟ قلت لا فقال ما سوء ذلك قلت أحببت ان أعلم (٣) قال تركتها البارحة في موضعها ومضيت الى بيتي فأقبلت أحاصمه وهو يضحك وقال أنتم

(١) لعله : بقية يومي وليلتي . (٢) لعله سقط : هذه الثياب .

(٣) قد سقط شيءٌ معناه : حقيقة الامر .

قد تعودتم اخلاق الارذال ونشأتم في بلاد الكفر التي فيها السرقة والخيانة وهذا لا نعرفه ما هنالو بقيت ثيابك مكانها الى ان تبلى ما أخذها احد غيرك ولو مضيت الى المشرق والمغرب ثم عدت لوجدتها مكانها فاننا نحن لا نعرف لصاً ولا فساداً ولا شيئاً مما عندكم ولكن ربما لحقك في السنين الطويلة شيء من هذا فتعلم انه من جهة غريب قد اجتاز بنا فزك وب وراه ولا يفوتنا فندركه فنقتله اما نتأول عليه بكفره وسعيه في الارض بالفساد أو نقطعه كما يقطع السراق عندنا من المرافق فلا ترى شيئاً من هذا قال وسألت عن سيرة أهل البلد بعد ذلك فاذا الامر كما ذكره واذا هم لا يغلغون ابوابهم بالليل وليس لاكثرهم ابواب انما هي شرايح (١) تبرد الكلاب والوحوش .

« للبحث صلة »



(١) الشريحة بالمهحلة نوع من الستائر قال في الفرج بعد الشدة ( ١ : ١٢٥ ) رأيت شريحة مشوشة ففتحتها ودخلت ودورتها كما كانت أو هي الشريحة بالمهجمة وهي باب من قصب يصل للدكاكين .

## آراء وافكار

—(—)

«دَر»

كلمة فارسية معناها (باب) وفي اللغة العربية (القديمة والحديثة) عدة كلمات مبدوءة بكلمة (در) مما يدل على أن أصلها اعجمي . من ذلك :

♦ دَرَبَان \* استعملها العرب بمعنى (البواب) اي حافظ الباب وحارسه وجمعوها على (درابنة) وانشد الجوهري للمثقب العبدى يدف ناقته (كدكان الدرابنة المطين) .

(دَرَبَنْد) كلمة (بند) من مصدر (بندن) الفارسي ومعناه الربط ومنه البند والبندول لضفائر المرأة والحمايل السيف والرايات . ومعنى (دربند) الباب المربوط اي المغلق الموثق فالدربند الباب الذي لا يمكن النفوذ منه بسبب خَلْقِهِ ثم سمي (الْعَلَقُ) نفسه (دربند) والعامية تسمي خلق الدكان (دروند) بقلب الباء واوا . والعرب يسمون مضيق الجبل (دربند) وهو من الفارسية بالطبع لأن مضائق الجبال يكون فيها خَلَقٌ او سد من العمد أو الأخشاب أو سد من الخفراء والحراس ومنه مدينة (دربند شروان) ويسمى جغرافيو العرب (باب الأبواب) وهي مدينة على بحر قزوين وراء جبال القفقاس مما يلي بلاد الروس منسوبة الى (كسرے انوشروان) وكأنها سميت (دربند) لحصانتها أو لما أقيم فيها من الحراس والجنود ومتين الاخلاق .

♦ درب \* يطلقها المولدون على الطريق السالك ومنه قول ابن الوردي :

(لا تقل قد ذهبت أربابه كل من سار على الدرب وصل)

وأما هي في كلام فصحاء العرب فيراد بها (الباب الكبير) و (المضيق في الجبل) وقد سميت المضائق الواقعة على حدود بلاد الروم لجهة الشام والعراق (دروب) وهي الثغور

ايضاً يُدخل منها الى بلاد الاسلام ويُخرج ويقال أدرب الجند اذا سلكوا تلك الدروب واجتازوها . وتسميتها بذلك قديمة ومنه قول امرئ القيس :

( بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن انا لاحقان بقيصرا )

فالدرب كلمة فصيحة ولعل فعل ( دربه بدربه تدريباً ) جاء من الدرب اذ أن التدريب في الاصل ان يعود المرء سلوك الدروب ثم عم كل عمل آخر وصمت بعض الاساتذة بلفت نظر تلميذه وهو يتخذه الى كلمة ( الدرب ) في شعر امرئ القيس ويلومه على كونه لم يزيها ولم ينتقدها من جهة انها كلمة عامية مبتذلة وقال الأستاذ كان على امرئ القيس ان يقول ( بكى صاحبي لما رأى النهج دونه ) فان ( النهج ) افصح من ( الدرب ) . ولا أرى الأستاذ على صواب في ما قال : ( اولاً ) لأن الدرب ان كانت ابتذلت في زماننا فانها لم تكن مبتذلة في الجاهلية . ولكلمات اللغة تاريخ واطوار . و ( ثانياً ) إن امرأ القيس لم يرد ( بالدرب ) ما يريده عامتنا من معنى الطريق أو الزقاق وانما أراد الثغور والمضايق المعهودة الواقعة بين بلاد الروم والعرب . فكلمة ( الدرب ) أو ( الدروب ) اصحت اسماً طناً لا يجوز لامرئ القيس ولا لغيره ان يبدل بها كلمة ( نهج ) و ( مناهج ) . و ( درب ) عجمية كما قال صاحب المصباح فتكون مضمومة من كلمة ( دربند ) السابقة فان ( الباس الكبير ) و ( المضيقي في الجبل ) و ( مدخل بلاد الروم ) — كلها أبواب ذات اغلاق وسدود وحراس لا يمكن النفوذ منها . « راجع كتاب ( الألفاظ الفارسية المعربة ) لمؤلفه السيد ادبي شير الكلداني » .

❖ درويش ❖ معروف معناه وهو مركب من ( در ) بمعنى باب و ( ويش ) بمعنى أمام قدام فعنى الدرويش في الأصل انه فقير يقف على الأبواب لسؤال الصدقة أو على باب الله يسأل العفو والمغفرة .

❖ درباس ❖ هو في لغتنا الدارجة اسم للحديده تعترض خلف الباب فلا يعود يمكن فتحه . والدرباس في فصيح اللغة العربية اسم للأسد وأشد في ( العباب ) لرؤبة بن العجاج ( كأنه ليس عرين درباس ) ومن المستبعد أن يكون اسم ( درباس ) بمعنى الباب مأخوذاً من معنى الأسد العربي والأقرب أن يكون أعجمي الأصل من ( در ) بمعنى باب و ( باس ) محرف ( باص ) من مصدر ( باصمق ) التركي بمعنى الشدة والتضييق والكبس والعصر . ولا جرم أن حديده الدرباس يشد بها على الباب فلا يفتح .



﴿در ایزین﴾ يراد بها اليوم أخشاب بشكل خاص توضع حاجزاً على الدرج او حول السطوح وهي مركبة من (در) بمعنى باب و(يزين) بمعنى تخت كذا في (كتاب الألفاظ الفارسية العربية) ومعنى (تخت) في الفارسية (خشب) فيكون معنى (در ايزين) باب خشب فلعله كان يطلق في اول استعماله على حاجز خشبي يوضع على الأبواب ثم توسعوا في اطلاقه على المعنى الذي نستعمله فيه اليوم .

﴿در فة﴾ بطلقتها عامتنا اليوم على غآق الباب والشباك فهل هي محرفة عن (دبة) تأنيث درب أو مركبة من (در) بمعنى باب وكلمة أخرى مبدوءة بفاء؟ وقد صرح صاحب التاج ان (درفة) عامية فقد قال (ودرفة البساب مصراعه وكل باب درفتان هكذا يستعمله العوام) اه .

﴿در سعادت﴾ اسم للقسطنطينية في عهد الاتراك العثمانيين ومعناها باب السعادة . قال شمس الدين سامي وقولهم (در عليه) غلط اه . يريد ان قولهم (در سعادت) يفهم منه معنى (باب السعادة) . اما (در عليه) فلا يصح ان يفهم منه (باب العلية) إذ لا معنى له لكن يقال ان (در عليه) مختصرة مثلاً من (در سعادت عليه) اي باب السعادة العلية .

المغربي

## كتاب تذكرة النوادر « من المخطوطات العربية »



عن جلالة السلطان ( مير عثمان علي خان ) صاحب حيدر اباد خاطر شريف في نشر العلم فأصدر أمره بتأليف كتاب يحتوي على صفوة المخطوطات العربية النادرة فتلقت جمعية دائرة المعارف أمره بالارتياح ورشحت لهذا العمل ( الأستاذ هاشم الندوي ) فرحل في نواحي الهند منقبا في بطون الخزان فظفر بنصيب وافر مما اراده وسعى اليه واودعه كتابا سماه ( تذكرة النوادر ) وهو على شكل يدبع : بذكر اسم الكتاب برقمه الخاص ثم اسم المؤلف وتاريخ وفاته وذكريته من مناقبه . ثم يذكر مزينة الكتاب وتاريخ كتابته والخزانة التي عثر عليه فيها . وقد قدم كتب السلف على الخلف . ورتبه على العلوم بحسب خطورة أمرها فابتدأ بالقرآن ثم بالحديث الخ . وأول كتاب ذكره هو كتاب ( إعراب القرآن لأبي عبيدة المتوفى سنة ٥٢١٠ هـ ) وآخر كتاب ختم به كتاب ( الكمالات الاثرية في الصفات المحمدية ) للشيخ عبد الكريم الجيلي .

انتهى ملخصاً من مقال نشر في مجلة ( الضياء ) الهندية جزئها الخامس بقلم الأستاذ تقي الدين الهلالي وقد ختم الكاتب مقاله ببيان رأيه في الكتاب : من ذلك انه كان على المؤلف ان يذكر حجم كل كتاب وعدد اجزائه ليعرف الأمر من يريد استنساخه وليعرف ان كان الكتاب مطولاً أو متوسطاً أو مختصراً . وقال أن من رأيه ان يفسر الصغ عن ذكر ما لا قيمة له من مصنفات المتأخرين — وقال قد فات مصنف الكتاب ذكر كتب نادرة في اقطار العالم الاسلامي ولا سيما المغربين الأدنى والأقصى .

( المجمع ) لم يعجبنا نقد الأستاذ ( الهلالي ) للأستاذ ( الندوي ) فبما يتعلق باعماله نوادر الكتب في الأقطار الاسلامية . فان هذا غير مستطاع وان استطاعه المؤلف فانه يعوزه مراجعات ومراسلات ونفقات وغير ذلك مما يثبطهم عن إنجاز المشروعات وانما كل ما نريده من الأستاذ الندوي ان ينشر لنا أخبار المخطوطات الهندية . واما الأقطار

لا تُخرى فلها علماء ينقبون عنها أو عليهم أن ينقبوا ثم ينشروا خبرها فالشكر للفاضل  
الندوي .

\*\*\*

وفي مجلة ( الضياء ) ايضاً أن ( حكومة الأيالات المتحدة ) في الهند نشرت تقريراً  
عن المطبوعات التي طبعت في السنة الأخيرة (في الهند بالطبع) وقد جاء فيه ذكر الكتب  
والصحف التي نشرت في مختلف اللغات فكانت الكتب الهندية ( ٢٠٥٨ ) والأوردية  
( ٥٦٠ ) والانكليزية ( ٣٠١ ) والسانسكريتية ( ١٣٠ ) وغير ذلك من البنغالية والكجراتية  
والفارسية التي لم ينشر فيها الا تسعة كتب فقط اما لغة القرآن العربية فقد كسدت سوقها  
هذه الديار على ما يظهر والصحف التي نشرت باللغة الهندية ( ٣٥٣ ) والأوردية ( ٢٢٥ )  
والانكليزية ( ١٤ ) .



من نوادر المخطوطات  
« في دار الكتب الظاهرية »

- ٧ -

( ازهار الرياض في اخبار القاضي عياض ) : تأليف ابي العباس احمد بن محمد الشلمساني المعروف بالمقري المتوفى سنة ١٠٤١ هـ في القاهرة وهو صاحب فتح الطيب . أوله : الحمد لله الذي اعلى مراتب العلماء الاعلام الخ . نسخة في ٦٤٤ صفحة كبيرة بخط محمد الخضرية [ رقم التاريخ ٨٣٠ ]

( غريب القرآن ) - تأليف عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦ هـ أوله : برحمة الله فتمتع كتابنا هذا ونذكر اسماء الله الحسنى وصفاته الخ . وهو مرتب على سور القرآن . نسخة في ٢٩٠ صفحة صغير تنتهي الى سورة اذا الشمس كورت . كتب بخط نسخ ومضبوط بالشكل يرجع الى القرن السادس [ رقم اللغة ٣٣ ] .

( صفوة الصفوة ) : تأليف جمال الدين ابي الفرج عبد الرحمن بن ابي الحسن المعروف بابن الجوزي البغدادي المولود سنة ٥٠٨ هـ المتوفى ٥٩٧ هـ ببغداد . اختصرها من كتاب حليلة الأولياء لابن نعيم فبدأ بالحرمة بين الشريفين ثم عاد الى بغداد فجعلها مركزاً فذكر ما كان في شرقها من البلاد ولما انتهى منها ذكر ما كان في غربها من البلاد وختم الكتاب ببغداد الجن مرتبة على الطبقات . الموجود منها نسخة في اربع مجلدات ملفقة من خطوط مختلفة ومن نسخ مختلفة ومن هذه المجلدات تتألف نسخة فيها اكثر الكتاب أوله : الحمد لله الذي يعلم ما ظهر وما خفي وما تكدر وما صفى الخ [ رقم ٦٧ - ٧٠ التاريخ ] .

( طبقات الحنابلة ) : (١) تأليف ابي الحسين محمد بن محمد بن الحسين ابي يعلى الحنبلي الفراء الشهير سنة ٥١٦ هـ . أوله : الحمد لله العلي العظيم السميع البصير ذي الفضل الواسع

(١) اختصار شمس الدين بن عبد الله محمد بن عبد القادر النابلسي المتوفى سنة ٧٩٧ هـ

طبع بمعرفة السيد احمد عبيد سنة ١٣٥٠ هـ .

والمثنى التوابع والنعم السوابغ الخ . ورتبها على ترتيب الطبقات الأولى والثانية على حروف المعجم وما بعدهما على تقديم العمر والوفاء انتهى فيها الى سنة ٥٦٥ هـ . نسخة في ٦٤٠ صفحة كبيرة كتبت بخط نسخ سنة ٨٣٥ هـ [ رقم التاريخ ] .

( المفاضلة بين الصحابة رضي الله عنهم ) تأليف محمد علي بن محمد بن سعيد المعروف

بأبن حزم الأندلسي صاحب الملل والنحل وغيرها من المؤلفات المتوفى سنة ٤٥٦ هـ رسالة في ٨٠ صفحة صغيرة كتبت بخط نسخ سنة ٧٥٥ هـ . [ رقم الآداب المنشورة ] .

( ثمار المقاصد في ذكر المساجد ) تأليف يوسف بن حسن بن عبد الهادي الحنبلي

الدمشقي المتوفى سنة ٩٠٩ هـ نسخة في ٢١٠ صفحات صغيرة بخط المؤلف [ رقم الآداب ] .

( سفر السعادة وسفير الافادة ) تأليف ابي الحسن علي بن محمد السخاوي المتوفى سنة

٦٤٣ هـ . أوله : باسم الله الذي باسمه تفتتح الاوائل الخ . الموجود منه جزآن في مجلد واحد عدد صفحاته ٣٢٠ بخط عبد الملك بن يوسف سنة ٦٣٧ هـ [ رقم الآداب ] .

( شرح مقصورة ابن دريد المشهورة ) تأليف ابي عبد الله محمد بن احمد بن هشام

الطلمي المتوفى سنة ٥٥٧ هـ نسخة في ٢٨٠ صفحة صغيرة كتبت بخط نسخ سنة ١٠٣٠ هـ [ رقم الآداب ] .

حسني الكسم

## رحلة الى القاهرة

(١) «١٣٤٩هـ و ١٩٣١م»

--

اذا ركبت قطار السكة الحجازية في محطة القنوت بدمشق فانطلق بك صاحبك ينساب بين حدائق الغوطة الغناء تحت باسقات الاديواح وبين قصيرات الجنبات وطويلات الأتجم وخلال محضرات البقول على انواعها ، سيراً مع تفي بردي وسواقيه التي لا تحصى ، وقد اذنت تباشير الربيع بتفتق البراعم والعيون عن افانين الزهر ونخضل الورق ، وبدت عن يمينك بلاس وداريا وغيرهما من القرى فذكرتك بقول الطنوبري :

ونعم الدار داريا ففيها صفالي العيش تلحى للجارية اليلقة  
ولي في باب جبرون طباط اعاطبها البروي طلبك كمليلك  
صفت دنيا دمشق لمصطفى فلست اريد غيرك ككثي دنيا

ثم طلع بك الجبل المانع وهو يلهث تمباً فاستقبلتك الجاهة بجزية السوداء ، فطواها على عجل الى حوزان حيث تذكر قول جرير في صفاتها :

هبت شمالاً فذكرى ما ذكرتك عند الصفاة التي شرقي حوران  
هل يرجعن ، وليس الدهر مرتجعاً ، عيش بها طال ما حلولى ومالانا

حق اذا بلغ بك وادي اليرموك فانحدر فيه قلقاً حذراً يثند في سيره ، وانت تذكر روعة التاريخ في وقعة ذلك الوادي الشهير ، وتتمتع ناظر بك بأزهاره الفتانة التي تنبتها الطبيعة على انواع واصناف لانعد ، ثم استقبلك نهر الأردن وبدت امامك بحيرة طبريا فقف هنالك واذكر دمشق وقل مع اليزيدي :

(١) محاضرة القاها الأمير مصطفى الشهابي في ردهة المجمع العلمي العربي في ٦ تشرين

الثاني «نوفمبر» سنة ١٩٣١

ما ذا بقلبي من دوام الخلق  
 اذا رأيت لمعان البرق  
 من قبل الأردن او دمشق  
 لأن من اعوى بذلك الأفق  
 ذاك الذي يملك مني ربي  
 ولست ابغي ما حبيت عتقي

وتبدو لك بعد قليل بيوت بيسان واشجارها وهي تنظر من عل الى غور الأردن كأنها تدفع عنه صروف الدهر . ومن العجيب انك لا تشاهد حولها كرمًا مع ان خمورها كانت مضرِب الأمثال فيامضى . ولا يزال اذكر البيت الذي قاله عبدالرحمن بن سيجان بن أرتاة في سبيته بيسان اي خمرها وهو :

سبيته من قرى بيروت صافية عذراء اوسبتت من ارض بيسان

وليس في مرج ابن عامر ما يلفت نظرك سوى كثرة الصهونييين فيه ، وفي السهول التي تقطعها في اليوم الثاني الواقعة جنوبي حيفا الاطول كرم وقليلية ورملة ولدت فانها حمت نفسها منهم ولا يزال يصرح فيها قول كثير :

حما منزل الأملاك من مرج راهط ورملة لنت ان تباح سهولها

وكأنني بك ذاكر قبيل الغروب وقد بلغ بك القطار غزوة قول الامام الشافعي فيها :

واني لمشاقي الى ارض غزوة وان خانني بعد التفرق كيتاني

سقى الله ارضاً لو ظفرت بتربها كملت به من شدة الشوق اجفاني

ومنى ارضي الليل سدوله رأيت القطار بضرِب من فيه صحراء التيه دون ان يتيه ، لأن السكة امامه ممدودة تتلوى كالأرقط وهو كما قال حافظ : حديد ينساب فوق حديد ، فلا خوف في دخوله التيه ، ان يضل كما ضل قوم موسى او يجازف بجازفة المتنجي في قوله :

ضربت بها التيه ضرب القمار اما لهذا واما لهذا

واذا ماجزت قناة السويس في المنطرة وركبت قطار مصر فانطلق بك في دساكر القطر ومستقلاته ، فلا تمنع بان تمتع نظرك في الليل البهيم الا بصايبح البلدان والمدن التي يمر بها القطار حينئذ ، او يقف بها هنيئة وقفة القاني الذي لم يبلغ الغاية في سيره ، حتى اذا بدت لك مصابيح القاهرة المشرقة حق عليك ان تحيي مصر بصرخة شبيهة بالتي خرجت من فؤاد الشاعر الياس فياض :

سلام على مصر ولو عشت ادهراً  
على موطن لو خير المرء موطناً  
لما كنت الا طول عمري مسلماً  
من الارض لم يحتراب و اكرماً  
سرت في اهاليه عذوبة نيله  
وسال فما ان تعرف الماء منها

ولانجبين بعد خروجك من المحطة ليلاً لوفرة الأنوار المتألقة في ساحتها ، وفي شارع الملكة نازلي الطويل البديع ، ولا لروعة شمال نهضة مصر الذي يجب ان توجيهه نجمة من بعشق الحرية ابناً كانت ، فكيف في عاصمة الفاطميين والأبويين ، ولا لاذحام السيارات والهجلات وضخامة الابنية ، وكثرة المارة ، ونظافة ارض الشوارع المقولة صقلاً ، فأنت في مدينة اوربية في عظمتها ، شرقية في روعتها ، وهذا المزيج هو مما يستغنىك ويستهوئك ، فلست في الاسكندرية ولا في بورسعيد حيث رطانات الاجانب بمختلف الألسن الأعجمية ، يجعلك تتخفى ان تهم اذناك الى حين ، وحيث يظهر هؤلاء امامك بمظاهر تود معها لو كان لك عينا المعري ربما تنسل من بينهم بسرعة الكهرباء .

انك اينما سرت في القاهرة تجد شوارع نظيفة واسعة ، وابنية كبيرة شاذقة ، وحدائق مزدانة باجمل اشجار البلاد الحارة ، وتجد ايضاً جوامع قديمة وحديثة ، وقصوراً مبنية على الطراز العربي تأخذ نقوشها وزخارفها وتطاريزها بمجامع القلوب . الحدائق الأزيكسية والنباتات ، والقناطر الخيرية والحيوانات ، والأسمك والمعاديب وغيرها وهي كثر ، ثم جوامع السلطان حسن والرفاعي وابن طولون وسيدنا الحسين والأزهر ومحمد علي وعشرات غيرها من آيات الفن المنبثة في انحاء المدينة كلها ، تجعلك على الاعتقاد بأن القاهرة هي اروع مدينة لافي الشرق العربي وحده بل في الشرق الأدنى بلا جدال . واجمل من المدينة سكانها فأنتك لا ترتطم فيها بعدد كبير من صلفاء الأجانب ، بل الجمهور الذي تقع عليه عينك احد اثنين مصريي اسمر بشوش مرح محتفظ بطربوشه القصير ، او مصرية سمراء كحلاء هيفاء في الغالب لفاء في الأقل ، تحتال في الحرير الأسود سافرة الوجه اومسجلة عليه تقاباً أرقى من دين صاحب البيت الآتي في الخمرة وهو ابو نواس .

عنتت في الدن حتى هي في رقة ديني

نم لقد رقت النقب على وجه السيدات المصريات حتى طار نصفها لدى نصفين ، واوشك النصف الثاني ان يلحق بأخيه ، وصرت ترى السيدة المصرية تجلس بجانب الرجل في



مجالس الأدب ، واهباء المحاضرات والحدائق والمسارح وغيرها دون ان يعد ذلك منها  
خروجاً على المؤلف من العادات . وولدت المدنية الاوربية هذه احال تدريجياً فالمرأة  
المصرية أسلم فيها عاقبة من المرأة التركية التي حملوها قسراً على أخبت ما في السفور من  
أمور مستقبجة . ومن المعروف ان القروبوات في مصر كالقروبوات في الشام لا يتخذن النقاب  
على أوجهن . وأنت اذا أردت شهباً لصور المصريات في المتاحف وعلى الستائر ، بقدودهن  
الهياف ، وعيونهن السود التي يشبهونها بفلقة الاوزة ، وما أوجدته الطبيعة في الأهداب  
من كثافة وكحل ، وفي الحواجب من استقامة وقصر ، الى غير ذلك من الصفات التي تلفت  
نظرك في صور المرأة المصرية القديمة ، فانك واجد هذا الشبه في فتيات القرى المصرية  
لا فتيات المدن .

ومنى رحمت تبحث في القاهرة عن كل ما يجب عليك ان تراه وتدرس بامعان كل  
ما يحتاج اليه درس حق عليك ان تسلمخ فيها اشهرأ بل سنوات . ولو حشمت نفسك التأليف  
في ذلك لما خرجت بسفر بل بأسفار . وبعد فماذا تراني محدثك عما شاهدته فيها خلال  
أيام معدودات ، أذكر دار الآثار المصرية ، وفيها تتجلى عظمة المصريين الأقدمين فيما  
خلفوه من هياكل وتمائيل ونصب مصنوعة من الحجر الصلد ، واثاث ورياش وحلي مذهبة ،  
قرآتم عنها فيما كتب عن توت غنخ آمون خاصة الى غير ذلك مما يجعل تلك الدار لا تقل في  
عظمتها وغناها عما شاهدناه في اكبر المتاحف الأوربية . أم أذكر دار الآثار العربية وهي  
ان لم تستر دهشتك من حيث عظمة ما فيها من مخلفات الأجداد فتنتك بما تجوبه من دقيق  
النقش والشوي والزخرف واعادت الى نفسك ذكرى روعة الممالك العربية في إبانها . أم  
أتحدث عن اهرام الجيزة وسقارة وابوصير وغيرها . او اكنني بهرم خوفو الأكبر في الجيزة  
وهو من اقدم ما بنته يد الانسان ، رسا اصله على ٢٣٣ متراً من الأرض ، وعلا جرمه فوقها  
حتى يبلغ ١٤٧ متراً . وهنالک یربض ابو الهول الجبار الذي هنأ بالدهر كالهرم ، وصارح  
احدائه مثله ، حتى ناجاه امير الشعراء بقوله :

ابا الهول طال عليك العصر وبلغت في الأرض انصى العمر

فيا لدة الدهر لا الدهر شب - ولا انت جاوزت حد الصخر

ومنى ذكر ابو الهول وجب ان يتصور الانسان اسداً رابضاً من حجر طوله ٥٧ متراً

وعلوه ٢٠ متراً وله رأس آدمي تبلغ أذنه ١٤٣٧ متر ويبلغ فمه ٢٦٣٢ متر ولو وقف رجل على فرع أذنه ومد يده لما بلغت قمة رأسه . أم انتقل بك طغراً الى مصر الجديدة حيث ترى الآيات البيئات في بناء المدن الحديثة ، من قصور شاهقة ، وشوارع نظيفة واسعة ، وحدائق هي بهجة للناظرين . ولو شاهدت اجمل الأحياء في المدن الأوروبية لما تركت في نفسك اثراً يفوق الأثر الذي تطابعه فيها رؤية مصر الجديدة . أم اسير بك الى حي الزيتون والمطرية وواحة عين شمس فتتذكر هنالك قول امير الشعراء في قصيدته « المطرية تتكلم » .

لولا حلى زيتوني النضر ما أقسم بالزيتون رب البلاد  
الواحة الزهراء ذات الغنى تربى التي ما مثلها في البلاد  
تربك بالصبح وجنح الدجى بدور حسن وشموس اتقاد

وبين الزيتون وواحة عين شمس تركة بيت الامام محمد عبده رحمه الله وقد اوشك يتداعى فتنبض لذلك نفسك وتود لو ان الحكومة المصرية على غناها رمتها وجماعته بيتاً من بيوت الأمة يجمع اليه ابناء الشرق العربي كافة . وكنت ادليت بهذا الرأي الى معالي وزير الزراعة حافظ حسن باشا فاستصوبه .

أم نعهد الى القلعة التي كان أمر بنائها السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب على أحد منحدرات المقطم ، فخطى بمنظر لا تقم العين على اجمل منه لبيوت القاهرة الجليمة ، وجوامع البسارزة ، وماآذنها الشاهقة ، وقبابها المكروبة ، وجنائها الفردوسية ، ونيلها الهادي ، تنساب مياهه بجلال وعظمة . وهنالك ندخل قصر محمد علي الكبير فتتذكر أيامه الغر ، وايقاعه بظلام المالك ، واستئصاله شأفتهم . وندخل الجامع الذي بناه ذلك الرجل العظيم ، وأتمه الخديوي سعيد باشا على طراز جامع نور عثمانية في فروع ، بقبته البيزنطية العظيمة وماآذنه الرشيقة العالية ، فنجي فيه ضريح مؤسس النهضة الحديثة باحترام وخشوع . أم نمتطي السيارة فنطلقها شمالاً الى شبرا فالقناطر الخيرية حيث نشاهد ذلك السد العظيم الذي بدأ به محمد علي ، فأقامه في وجه النيل وأتمه بعده خلفاؤه ، وحيث تقع العين في الجزيرة التي ولستها الترع على حديقة غناء من اجمل حدائق العالم تتساقق فيها بالجمال اشجار الفصيلة الصنوبرية ، وهن ملوك دوحة النباتات واشجار الفصيلة الخيلية وهن أسراؤها ، دع أنواع السنط والجميز ومختلف الأزهار . واعجب لأرض الحديقة كيف

اوجدوا فيها تلك المنعطفات والمنحدرات والتلال الصناعية وكيف زينوها بتزاويق الزهر  
وتصاريحه . فاذا ما اضفت الى خضرة الحديدية وزرقة النيل حمرة وجوه الحسان المرحات  
فانت اذن في الجنة التي فضلها أمير الشعراء علي بن ابي طالب عند ما هتف بسينيته المشهورة  
في الأندلس :

وطني لو شغلت بالخلد عنه نازعتني اليه بالخلد نفسي

أم نعيم الجنوب في القطار الى حلوان بلدة عبد العزيز بن مروان ، فتعبد الى الخاطر  
ما كان بنى الأمير فيها من دور وقصور وما زرع من بساين وكروم ، ثم نزور حمامها  
الكبرى في الشهر فترى بناءً عربياً ضخماً بنته الحكومة يحتموي على عشرات من الغرف  
والمقاصير النظيفة فيها مغاطس تملأ بالمياه الكبرى العادية أو المساء العادية وقاذفات للبخار أو  
للجوارح . وكان في أراك أمام هذه الوسائل الحديثة ذا كراً حالة حماماتنا الكبرى في  
طبريا والحمة وضمير والسخنة وتدمر وغيرها ، وهي كما اوجدتها الطبيعة لم تعمل بها يد انسان ،  
ولم ينفق فيها داني واحد .

أم ترانا تترك الجبل الى حين فنفلت بضع ليال في شارع عماد الدين ، وما عهدنا  
عماد الدين الكاتب الذي جعله صلاح الدين في خاصته ، اخاه وطرب بل عهدناه على  
حد وصف الجاهل لأمثاله « الف تفكير وتنقيح ودراسة كتب وحلف تبين » . ولو لم  
يكن كذلك لما الف « خريدة القصر وجريدة العصر » في عشر مجلدات ، والبرق الشامي  
وهو سبع مجلدات في التاريخ ، وديوان شعر وديوان رسائل وغيرها . فاذا صححت نسبة  
الشارع المذكور اليه « ولست اعلم عماداً للدين غيره تقع فيه هذه النسبة » كان من عبث  
الدهر وهزله ان تجتمع انواع الملاحم في شارع حتى صار يعرف بها وصارت تعرف به .  
فهناك تشاهد يوسف وهي اشهر ممثل انجبت مصر ومسرحه يعرف بالجلد سواء من حيث  
التمثيل أم من حيث الآداب التي يشترط على المتفرجين ان يتخلوا بها . فانت لا تجد هناك  
اخلاقاً بالمواعيد أو فقهة أو مسامرة أو شرب ماء أو تدخين تبغ اثناء قيام الممثلين بمعلمهم .  
ومنى فرغ المثلون من تمثيل احد الفصول جعلوا لك بينه وبين اخيه وقتاً تدخل فيه بهواً  
واسعاً فتأكل وتشرب وتدخن وتطلق لسانك العنان . ويكاد يكون مسرح فاطمة  
رشدي تمهلياً بالصفات المذكورة . وهو يمتاز بصاحبه التي تحلت برشاقة القدر وجمال

الصورة وجودة التمثيل ، فكانت أشهر ممثلات مصر على الاطلاق . ولقد أبدعت في رواية مجنون ليل تلك الرواية التي تعد من فرائد شوقي شاعر العرب الأكبر ، كما أبدع رفيقها احمد علام . ولا شك ان التمثيل العربي في مصر لم يبلغ بعد مستوى التمثيل في دار الأوبرا الملكية حيث تمثل فرق اجنبية غالباً ، وهو لا يزال بعيداً عما شاهدناه من الروايات في اوزبة . ولكن القصور على ما أرى ليس في غواة التمثيل المصريين ، ولا في وئالي الروايات التمثيلية بل في ضيق ذات يدهم جميعاً . فلو مدتهم الحكومة بالمال الكافي لبرهن كل منهم على انه اخو عبقر في عمله ، ولنهضوا بالتمثيل العربي الى المستوى الذي تتوق اليه .

وفي ذلك الشارع نسمع صوت عبدالوهاب يزبته نغنين صاحب الصوت بالغناء وانتقاؤه قصائد شوقي المثبنة الحوك والجميلة المعنى ، ولو أعطيت ام كلثوم صناعة عبد الوهاب ثم لو انتقت على الأقل قصائدها الغزلية من نظم فحول الشعراء المتقدمين أو المتأخرين لبافت سدرة المنتهى ، ولضاعف تأثير صوتها العذب الذي ما حاكاه صوت رجل أو امرأة في البلاد العربية على ما نعلم . ولا شك أن لحوك القصائد ومغانمها تأثيراً كبيراً في نفس المستمعين فستان من حيث السبك والمعنى ما بين قولك :

مق يا جميل الهيا أرى      رضاك وبذهب عنا الغضب  
واني محب كما قد عهدت      ولكن حبك شيء عجب

وبين قول الثاني :

ليلى تردد في سمعي وفي خلدي      كما تردد في الأبك الأغاريد  
اغبر ليلاي نادوا ام بها هتفوا      فداء ليلى الليالي الخرد الغيد

والقصيدتان أصحبتا أشهر من نار على علم ، الا اني تنسدها ام كلثوم والثانية عبدالوهاب . واما من حيث الفن فلا يزال ينقصنا الشيء الكثير من التنويع والتشكيل والمفاجآت فقد مللنا من الانغام المحزنة وما فيها من نواح وعويل . ولست اقصد بذلك تقليد الفرجة بانغام باردة كاتفي اخذ بعضهم يلغنونها في هذه الأيام ليست بشرقية ولا غربية وهي جديدة بشعب ميلة الأذن فهجاً وسماجة . وبعد هذا ماذا تراك ملاقيماً في شارع عماد الدين ؟ انك ملاق فيه ممثلين للروايات الهزلية ودوراً للروايات السينمائية وفرقاً للارتص والخلاعة مما يجعلهماد الدين الكاتب رحمه الله يقضى لو كان سمعي بأي امم آخر او لو انعمه الله الذين احبوا

تخليد اسمه تخلاوة في غير هذا الشارع .

ولنعد بعد هذه الجولات الليلية الى حياة الجدد في النهار ، ولنزر على عجل ما يتاح لنا زيارته زكضاً في ايامنا المكدودات . ولنبدأ بدار الكتب المصرية فهناك يلقاك مديرها العالم اسعد بك بزادة بوجهه البشوش ويعرفك ببعض مساعديه ، وكل منهم استاذ فاضل بحاث عن الكتب ، تقار خلال سطورها ، يدرك منها بالعين الجردة ما لا يراه غيره بالجهر . والله ما حوته تلك الدار من نفائس الرقوق والمصاحف القديمة وغالي المخطوطات والكتب فانها ثروة في البلاد اي ثروة ، واعجب لجهود الدين يطعمون الكتب الادبية في معاينة تلك الدار فيخرجونها في تلك الحلال القشبية التي اکتسى بها كتاب الأغاني وكتاب الأصيلم وديوان مهباز البليبي وعيون الأخبار للدكتور ونهاية الأرب في فنون الأدب للتوريثي وأشباهها .

وهل يجوز ان نعود من مصر دون ان نزر رجال الأدب والصحافة فيها ولا سيما الشاميين منهم وهم في ذلك البلد قوة يسب لها الف حساب . خدموا اللغة العربية بجهودهم وأناروا الأذهان بنتوجات عقولهم ، وما برحوا الى اليوم نابضين على أم الصحف امامالكتين لها أو كتاباً فيها<sup>(١)</sup> . وبأي يجب ان تبدأ ، وأي صحيفة أحق بالاكبار من المقتطف شائعة مجلاتنا العلمية ورأسهن ، وأي ذكرى في عالم الصحافة العربية أحق بالتخليد من ذكرى العلامة الفقيه الدكتور يعقوب صروف وهو من لم يجاره احد قبل مماته ولا بعده بسلاسة لغته العلمية وصحتها ، وسلسلة الأبحاث فيها ، حتى أصبح جميع الكتاب الذين يقام لقولهم وزن يجزمون بان العلوم الطبيعية خاصة لم تكتب بقلم أصلمح من قلم الدكتور يعقوب . ولئن حالت الأقدار دون رؤية الفقيه فقد متعتك بحلقة فؤاد صروف وهو يبدو لك شاباً في رزانة الشيوخ وحنكة أصحاب السياسة والادارة ، ليس له بساطة العلماء واسترسالهم في الأحاديث ، وان كان منهم بل تراه يزن كلامه كما يزن بعينيه مخاطبه . وقد دل حتى اليوم على انه جدير بأن يقوم بحمل المقتطف الثقيل خير قيام .

ومجدد في تلك الدار دار المقتطف والمقطع ذلك الشيخ الجليل والسياسي الاقتصادي

(١) من البديهي أننا لم نعرض للذهب السياسي الذي دان به كل رجل من رجال

الأدب والصحافة الذين تناولناهم في بحثنا هذا .

المخك الدكتور فارس نمر الذي له علينا حق المواطن على ابن بلده (حاصبيا) وحق الصحافي القديم الذي ما برحت صحيفته تسير على وتيرة واحدة منذ نصف قرن تقريباً . وهناك أيضاً خليل ثابت بك رئيس تحرير المقطم ولولبها الذي يسيرها بحكمته المعروفة على الخطبة التي رسمت لها .

وإذا ما انتقلنا الى دار «الاهرام» وهي أقدم الصحف اليومية الحاضرة ، دهشنا لعظمة ذلك البناء ، وظننا نفسنا في احدي دور الصحف الاوربية الكبرى . وهناك وجدنا شخصيتين بارزتين مشهورتين في عالم الادب والصحافة اولاهما شخصية الاستاذ داود بركات رئيس تحرير «الاهرام» بل قلبها الخفاق ومر الحياة فيها ، وهو يشجيك بدهائه وفرط ذكائه ووفرة نكاته التي يأخذ بعضها برقاب بعض . ولم اجد اقدر منه على القيام باعمال مختلفة في آن واحد . فقد كان في مكتبه يقص علينا من نكاته العذبة ، وينظر في قصيدة يمث بها احد الشعراء ، ويصحح عدة اخبار قبل نشرها ، ويتلقى وصفاً لأحدى الحفلات ، كل ذلك في آن واحد وبسرعة البرق ، وبدون ان يمل احد او يهضم حق احد ، حتى قلت لنفسي اذا كانت قوة المرء على تدوير دولاب الأعمال الصحافية تقاس بمدد الأحصنة فإن ما في دماغ الاستاذ بركات من قوة يساوي الف حصان على الأقل . . . .

أما الشخصية الثانية في «الاهرام» فهي شخصية الكاتب الغذ والوطني الصادق الوطنية الأستاذ اسعد داغر وقد وجدناه على ما عرفناه منذ اثنتي عشرة سنة في دمشق لم يبدل ادنى شيء في مبدئه ومشربه . وأما دار «الهلل» فلم تعد داراً لجملة الهلال وحدها كما تركها المؤرخ الشهير الذي خدم قراء العربية اجل خدمة المرحوم جرجي زيدان صاحب تاريخ التمدد الاسلامي وتاريخ آداب اللغة العربية وتاريخ العرب قبل الاسلام وروايات زيدان التاريخية الخ بل قام ابناؤه الأفاضل من بعده بعمل كبير فأصدروا مجلات «المصور» و«كل شيء» و«الحياة المصورة» و«الفكاهة» بالعربية ولينماج (Les images) بالفرنسية حتى صرنا نجد سيف في تلك المجلات رسوماً جميلة للحوادث السياسية والاجتماعية وللكتابات الغربية مما لا عهد لقراء العربية به من قبل . وقد فقدت الهلال بعد مؤسسها مادتها التاريخية لكنها اعتاضت بها مقالات أدبية لعدد من ادباء اليوم كما ازدادت رونقاً وبهاء بما ذكرنا فصارت مجلة طبقة من الشعب أكثر عدداً من التي كانت تقرأها فيما مضى

ذلك انه اذا شدا المرء شيئاً من مبادئ العلوم في مدارس التجهيز ودور المعلمين والمدارس الأهلية والأجنبية لذت له قراءة مجلات دار الهلال واستفاد مما فيها من معلومات وتمع نظره بصورها وتفكك بما حوته من نكات مستلحة واحاديث لذيذة . أما اذا حملته على قراءة المقتطف بما فيها من مواد علمية جافة فسرعان ما يمل منها لأن تلك المجلة ليست مثله بل هي لمن زادت معارفهم على معارفه . ولما كانت عدد خريجي مدارس التجهيز وخريجي المدارس العالية محدوداً اذا قيس بسواد المعلمين كان قراء مجلات دارالهلال أكبر عدداً من قراء المقتطف . وانت ترى ان كلاً من مجموعة دارالهلال ومجلة المقتطف ضرورية لقراؤها .

ومن الشاميين الأحمس الأستاذ محمد علي الطاهر صاحب جريدة «الشورى» المعروفة ببلاتها في سبيل القضية العربية ومن الأدباء الذين يعمل واحدهم عمل الجماعة صديقنا الأستاذ محب الدين الخطيب صاحب مجلتي «الزهراء» و «الفتح» الذي صحح وطبع «ادب الكاتب» لابن قتيبة و «البيان والتبيين» للجاحظ و «خزانة الأدب» للبغدادي . وقد بدأ أخيراً بمجم لسان العرب فطبع جزءه الأول وهو مشار على تنقيح اجزائه السائرة وطبعها . وله على الاشتغال باللغة وآدابها مهمة لا تحاكيها الاهمة الجبارة .

ومنهم شاعر دمشق الأكبر خير الدين الزركلي صاحب ناموس الأعلام في تراجم اشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين في الجاهلية والاسلام والعصر الحاضر وهو سفر ثمين سيفي ثلاثة اجزاء . ومن الغريب ان عيني لم تكد تقع على عينه حتى تذكرت قصيدته التي يحن بها الى الشام حنين الشكلى الموجه الى فقيدنا تلك القصيدة التي بكيت عند ما تلوتها منذ بضع سنوات ومطلعها :

العين بعد فراقها الوطن لا ساكننا الف ولا سكننا  
وهو يختمها بقوله :

ان الغريب ممذب ابدأ ان حل لم ينعم وان ظمنا  
لو مثلوا لي موطني وثناً لهممت أعبد ذلك الوثنا

رده الله الى دمشق ليسمعنا صداحه الفتان في بردى والربوة والنيربين ودمر وجيرون  
والغروطة فكلمها له مشتاقه .

ومن الذين لم شخصيتان بارزتان الأولى علمية والثانية سياسية العلامة الدكتور شهبندر فقد ألغيت جميع العلماء المصريين والشاميين يحترمون فيه غزارة المادة العلمية ولا اظن احداً غيره جمع هاتين الشخصيتين فجلى بها الا العلامة الأمير شكيب ارسلاف وهو الذي لا يضاويه احد بين كتاب العربية بكثرة منتوجات قلته ، حتى ان الانسان ليجار كيف يجد الأمير متسعاً من الوقت لكل ما يتخطه انامله ، ويسيل به دماغه على القراطيس .

اما الآتية التي اختارت لنفسها اسم «مي» ( والله ما أعذبه اسماً ) فهي كبيرة أدبيات العربية في يومنا هذا بلا منازع . زرتها مع صديقي العلامة امين باشا الملعوف صاحب معجم الحيوان بعد ان تلمظت واجتمعت بي مع رهط من العلماء والادباء في فندق «كوتننتال» فاذا بي في دارها كأني في هيكل الأدب الأسمى وقدس النبوغ والمبرقية . واذا باحاديثها تم على أدق ما تلحسه مشاعر الانسان وقد خيل لي اني في حضرة احدى سيدات الملأ الاعلى اللواتي كنت أقرأ عنهن في كتب كبار الأدباء الفرنسيين . وما أكدنا نودعها ونخرج حتى ابتدرني الصديق الأمين قائلاً : «انها ضيفة» فقلت صدقت يا باشا وماذا أخافك منها قال حدة ذكائها ووفرة معلوماتها الأدبية ، قلت اما انا ففرط احساسها لدقائق الحديث حتى كدت أرى نفسي غير قادر على مجاراتها فيه .

ومن الكتاب الشاميين الذين يكتبون في الصحف المصرية الاستاذ سامي السراج والاستاذ توفيق اليانجي ومما من فحول الكتاب الصحفيين ولم في الجرائد المصرية تأثير أي تأثير ومنهم الكاتب نجيب شاهين والكاتب حنا خباز وكلاهما مجيد وقد اشتهر الدكتور شخاشيري بما يكتبه في المقتطف من الفصول الطيبة الطلية . كما اشتهر الاستاذ نسيم صيبعة بمقالاته السياسية والاقتصادية عن الشام . ولم أر من يعالج قضية البلاد بمثل قلته وخبرته وحفظه للوقائع والحوادث .

وهناك ترى خليل مطران شاعر القطرين بل شاعر الحياة والحقيقة والخيال معاً الذي قال فيه أخي الشهيد عارف الشهابي في تذكركه منذ ٢٤ سنة «نم ان شعره شعر المستقبل الذي ستزدهر فيه آداب اللغة العربية . ولقد كسر الشاعر قيود التكلف وهدم صروح التقليد واندفع بمامل الشعور والاحساس فهتف بماهتف وكان هتافه شعراً . ولو لم يكن من هائل دهب ان الخليل سوى خلوه من المجهو والمدحج (عدا قصيدة أو قصيدتين) لكني» انتهى .



هذه صورة صغيرة للصحافة الشامية في مصر لمن حظينا بمشاهدتهم من ارباب الانلام الشاميين فيها . ولكثير من لم نسهد بالتعرف بهم فضل كبير كالعلامة الجليل صاحب المنار والاستاذ اسكندر مكارىوس صاحب اللطائف المصورة وهي منشورة في الشام والاستاذ المعروف اسعد خليل داغر والكتاب الفذ تقولا الحداد والاستاذ يوسف اليان سر كيبس صاحب معجم المطبوعات العربية والعصرية وغيرهم . اما الصحافة المصرية فمبهات ان نتمكن في ايامنا المحدودة من ابداء رأي فيها وفي رجالها الاذناذ . وكيف وقد صار لذي اخواننا المصريين جرائد ومجلات لاتقل قيمتها عن قيمة امثالها في الغرب وذلك بغزارة مادتها وتنوع حوادثها واخصاء كتابها بمختلف الموضوعات ووفرة النسخ التي تطبعها، مثلها جريدة السياسة والسياسة الاسبوعية والبلاغ والبلاغ الاسبوعي والجهاد والفلاح والضياء والكوكب وغيرها وهي كثير . وصار يكتب فيها اداء وكتاب ذاع صيتهم واستفاضت شهرتهم امثال العقاد والمازني وهيكل وعوض وذياب ولطفي جمعة وعبدالرازق ومنصور فهمي وعنان وغيرهم . وقد كنت اتمنى ان اجتمع خاصة بالعقاد الشاعر الرقيق والأديب الكبير والوطني الصادق الوطنية فاذكره بقوله :

بانديم الخلوات اقبل الليل فهاث

فاذا به في خلوة ما كان ليرقبها ولا يهتمها له احد سيف العالم العربي . واذا به سجين في قضية سياسية وكأني به في محبسه يردد قوله :

ايه يادهر هات ماشئت وانظر عزيمات الرجال كيف تكون

ما تمستت في بلانك الا هان بالصبر منه ما لا يهون

ولقد ذكرني سجنه باياناته البديعة في هذا الكون الأحمق :

ياشمس ما ضررك لو لم تشرق ياروض ما ضررك لو لم تعبق

ياقلب ما ضررك لو لم تحفق سيبان في هذا الوجود الأحمق

من كان مخلوقا ومن لم يخلق

وهل يجوز ان نعود الى الشام قبل ان نورد الجامعة المصرية ونشاهد أبنيتها وحدائقها الجميلة في الجزيرة وهناك بلقانا من اساتذتها المعلمان الشهيران احمد امين وعبدالوهاب عزام ويجمعانا في اليوم الثاني برهط من الرجال الافاضل الذين تتألف منهم لجنة التأليف والترجمة

والنشر فاذا بكل منهم عالم أخصائي في فرع من العلوم واذا بهم يبسطون لنا على منصّة كبيرة نحو اربعين كتاباً عربيّاً ألفوها أو صححوها وطبعوها طبعاً غاية في الدقة والنفاسة . وكيف نغادر القطر قبل ان نجتمع ببعض العلماء المصريين الذين تربطنا بهم رابطة العمل في موضوعات متقاربة والفضل في تعريفنا بهم يعود للصدّيقين الكريهين امين باشا المملوف والدكتور عبد الرحمن شهبندر فقد مهدا لنا السبيل لرؤية العلامة المحقق الدكتور احمد عيسى صاحب معجم اسماء النبات وكتاب التهذيب في أصول التعريب وكتب ورسالات شتى في البحوث الطبية خاصة . والعالم المجد الذي يناقري من حين الى آخر وأناقره الدكتور محمد شرف صاحب معجم العلوم الطبية والطبيعية وهو أول معجم كبير في بابهِ يستحق المؤلف على ابرازه للعالم العربي كل ثناء . والدكتور الأديب الاملح الأخلق احمد زكي ابوشادي الذي نقرأ اشعاره وابدائه في ديوانه وفي المقتطف والذي اجاد في ترجمة «العاصفة» خاصة وهو من غواة احد فنوننا الزراعية اي تربية النحل وله فيه كتاب ومجلة وله اليه دعوة ونداء . والشخ الجليل العلامة احمد زكي باشا صاحب دار العروبة (وحق على كل عربي يدخل مصر ان يزورها) الذي له على اللغة العربية وآدابها اكرم يد بما جمع ورسم من شئيت مخطوطاتها وصحح وطبع من غالي دررها القديمة . وهو ما فني منذ عشرات من السنين يناضل عنها وعن ابناءها بقلم العالم الناضج .

ومن اجتمعنا بهم الحامي القدير والقانوني الكبير محمد علي باشا وزير الاوقاف السابق الذي له على العالم العربي يد المدافع عن البراق مدافعة البطل الغيور وله الرأي الصائب في ايجاد معلمة (موسوعة) يتوفر عليها علماء الشرق العربي كافة . ومنهم الأديب المعروف السيد علي عبد الرازق صاحب كتاب «الاسلام وأصول الحكم» وهو الكتاب الذي ترك في العالم الاسلامي دويماً لأن صاحبه توخى فيه اثبات أن لاختلافه في الدين الاسلامي . ومنهم الأديب العراقي الكبير الشيخ كاظم الدجيلي وكذا الدكتور احمد قدرتي فنصل العراق العام في مصر وكان رفيقنا في باريز ايام الدراسة وكنا نسميه فنصل العرب لما كان له من العطف على جميع التلامذة العرب . ومنهم طلعت باشا حارب مدير بنك مصر ومؤسس نهضة مصر الاقتصادية وهو الرجل الكبير الذي قرن العلم الى العمل فأوجد للمصريين قوة كبيرة من المال المشترك كان الأجانب يمضون ثروة البلاد بمنزلها . واذا شئت ان تعلم

مبلغ ثقة المصريين بهذا المصرف ويطله الذي صار يعد من رجال التاريخ الحاضر فسله عن مقدار الأمانات اي الودائع التي سلمه الأهلون اياها يبنشك انهما كانت دون الثمانين من آلاف الجنيهات في السنة الأولى من تأسيس المصرف اما اليوم فاثمنا بلغت تسعة ملايين من تلك الجنيهات وهو مبلغ كبير . وقد تمكن المصرف من تأسيس شركات وطنية معمة لخلج الأقطان والغزل والنسيج والنقل والملاحة وصيد الأسماك والطباعة وغيرها وأسس فروعا له في انحاء القطر المصري وفي بيروت ودمشق ، وبنى داراً بديعة للتمثيل العربي في حديقة الأزبكية ، كما بنى لنفسه بناء في شارع عماد الدين جاء آية من آيات الفن . واذا شئت ان تعرف كيف توصف القصور وزخارفها فاقرأ وصف هذا البناء الرائع بقلم الاديب الكبير الشيخ عبد العزيز البشري في عدد ٦ حزيران « يونيو » سنة ١٩٢٧ من جريدة السياسة الغراء .

وحق علينا ونحن ما برحنا منذ عشرين سنة نعالج الشؤون الزراعية والاقتصادية ان لا نعود الى دمشق قبل ان نזור المعرض الزراعي الصناعي الذي أقيم في السنة الحاضرة في أرض الجمعية الزراعية الملكية في الجزيرة وقبل ان نلقي نظرة على مدرسة الزراعة العليسا في الجزيرة وعلى مؤسسات وزارة الزراعة المهمة . ولقد يمت لبلوغ هذه الغاية معالي وزير الزراعة حافظ حسن باشا فاذا استقبله لي يدل علي وفرة أدبه وشدة عطفه واذا به ممن زاروا الشام في الأيام الخالية ، ومن النادر ان يزورها مصري كريم دون ان تترك في نفسه اثراً جميلاً .

وتقدم الوزير المشار اليه الى السيد حلبي احد مفتشي الوزارة بان يكون دليلنا غير مكروه فكان مثلاً للرجل الوديع من جهة والمهندس الزراعي الخبير ببلاده من جهة ثانية فاما المعرض الزراعي الصناعي فتسد تجلت فيه جهود المصريين بحكومة وشعباً في سبيل الانتاج الزراعي والصناعي فكان اجمل صورة لذلك الشعب الشيخ الفخ والنائم المستيقظ فهناك اجود مجموعة للأقطان في دار الجمعية الملكية الزراعية ، وهناك مصنوعات ادارة السمون من مفروشات ومناشف ومنسوجات حريرية وصابون وسجاد واحذية وكرامى ومحاميع الخ كلها متقنة الصنع ، ومصنوعات المدارس الصناعية في انحاء القطر من نسج حريرية وآلات زراعية وأثاث ورباش ، ومنتجات المدارس الزراعية ومعروضات أقسام وزارة

الزراعة كقسم الحشرات وقسم النباتات وقسم الأقطان وقسم البساتين وغيرها . وهناك اجود محاصيل القطن الزراعية على انواعها من حبوب وفواكه وخضر ونباتات صناعية وهناك ايضا ممنوعات الشركات التي أسسها بنك مصر والغرف المختصة بمديرية الصحة والاسعاف وهي جديرة بأن تسمى مدرسة لحفظ الصحة . واذا اضفنا الى ذلك معروضات معامل الجلود والتبغ والصناعات الصغيرة المختلفة نكون قد ارجزنا في كلمتين ما احتجنا في زيارته الى اربعة ايام وما يحتاج في درسه الى شهر على الأقل وليس الخبر كالمعاينة .

ومما لا شك فيه ان اخواننا المصريين لم يلحقوا الشاميين بالصناعات الوطنية الحديثة وليس لتسيهم اليوم امثال ما لدينا من معامل الدباغة والجوخ و «الكرب» وسائر النسيج الحريرية و «التريكو» والجوارب وقمصان الكتان وسراويله وانواع الحلويات وعود الكبريت والسمنت وغيرها مما لا أثر فيه لرؤوس المال الأجنبية لكنه ليس ثمة ما ينعمهم من الحماق بنا ومن تخطينا بمراحل ولا شك ان السباتي في هذا المضمار سيكون بنك مصر بمعامله . ومن البديهي ان مصر كالشام لا يمكن ان يكون فيها صناعات كبيرة ظلوها من الفحم الحجري والحديد لكن في وضعها ان تنسج كل ما يلزم لسكانها من الألبسة القديمة والحديثة وان تصنع كل ما قلنا انه يصنع اليوم سيفي الشام فنستغني عن دفع ملايين من الجنيهات سنويا الى البلاد الأجنبية .

وأما مدرسة الجيزة الزراعية العليا فهي لا تقل بمخايرها ومعداتها ووسائل التعليم فيها عما خبرناه في المدارس الأوربية الشبيهة بها . ومن بواعث السرور ان جميع الدروس تاتي فيها باللغة العربية دون غيرها . وكذا في مدارس الزراعة المتوسطة الرائعة في مشهور والمنيا و منهور وفي مدارس التجهيز كافة . وقد اخذت العربية محل الانكليزية والفرنسية في سائر المدارس العليا كالطب والحقوق والهندسة وغيرها .

\*\*\*

وبعد هذه صورة جد صغيرة لما شاهدته في رحلتي القصيرة الى القاهرة . ونحن اذا رحنا لنحسها في بضعة اسطر حملنا على النتيجة الآتية وهي ان تلك المدينة الرائعة اصحبت اليوم رأس مدن الشرق العربي بممراتها وبروعة آثارها الشرقية وان فيها نهضة علمية تقبل في جماعة الجمع المصري للثقافة العلمية وفي عديد من الأخصائيين بمختلف العلوم ، ونهضة

أدينة واسعة النطاق تسطع في جماعة دار الكتب المصرية ورجال لجنة التأليف والترجمة ونوابغ الشعراء وفحول الادباء من أساتذة ومؤلفين ، ونهضة وطنية وسياسية لم تتعرض لها ولكنكم تلمسونها كل يوم فيما تقرأونه في الصحف المصرية ، ونهضة صحافية كبيرة لاعداد مصر بمثلها من قبل وهي قائمة بجهود عدد لا يستهان به من حملة الأتلام المصريين والشاميين ، ونهضة مالية واقتصادية لها في حياة القطر المصري الشأن الأكبر ومبعثها بنك مصر خاصة . فاذا أضفتم الى ذلك ان القاهرة عاصمة بلاد غنية يبلغ عدد سكانها ٥ امليوناً من الناطقين بالضاد ادر كتم الأسباب التي تجعل مصر زعيمة الشرق العربي بلا منازع .

مصطفى الشهابي



## أثنا عشر حكوما

- ٢ -

( الحالة السياسية في زمن الباعونية )

قبل ان نصف أسفار الباعونية الى مصر ثم الى حلب ثم موتها نذكر جملاً من الحالة السياسية في بلاد الشام ومصر إذ ربما كان لسفرائها علاقة بهذه الحال كما يأتي :

كان الملك في مصر والشام (صلاح الدين) الابوي واولاده واولاد اخيه الملك (العدل) الذي نحن الآن في مدرسته (العادلية) ونلقى هذه المحاضرة بجانب ضريحه . وتسمى دولتهم (الدولة الابوية) . ثم قام بالملك بعدهم بمالكهم الشراكسة واشهرهم الملك (الظاهر بيبرس) المدفون في المدرسة الظاهرية امام العادلية حيث دار الكتب العربية . ومنهم الملك (المنصور قلاوون) وابنه (الانصراف خليل) و (الظاهر برقوق) الذي بنى جسر الشريعة .

ومنهم الملك (قائصوه الغوري) وهو آخرهم . وقد استقام الملك في بني ايوب ومما ليكمم الشراكسة نحو اربعة قرون : القرن السادس للهجرة والسابع والثامن والتاسع ولم يستعمل القرن العاشر حتى كانت دولتهم قد هزمت وتطرق اليها الخلل والفساد وعلى العكس الدولة التركية العثمانية التي كانت تتكون يومئذ في بلاد الاناضول وتشتد وتسمع رقعة مملكتها بالتدريج .

وكان السلطان سليم العثماني معاصراً لآخر ملوك الجراكسة (قائصوه الغوري) . وفي زمن هذين السلطانين كانت عائشة الباعونية حية وقدملاً ذكر علمها ونضالها في مصر والشام . حارب السلطان سليم ملك العجم (اسماعيل شاه) وكاد يتغلب عليه ويستولي على بلاده لولا ان (قائصوه الغوري) سلطان مصر كان يساعد ملك العجم ويمده مراً . فشمع

السلطان سليم بذلك وعلم أن الاستيلاء على بلاد العجم لا يتيسر له ما لم يستول على مملكة (قانسوه الغوري) التي تعترض طريقه الى بلاد العجم فرجع الى الاستانة وجهز جيشاً عرمرماً زحف به على بلاد الشام حيث بترصده عدوه الألد قانسوه الغوري وجرت بينهما معركة (مرج دابق) بقرب حلب فوقع قانسوه الغوري تحت سنابك الخيل قتيلاً . وتمزقت عساكره شذرمذ واستولى السلطان سليم على بلاد الشام ومصر من يومئذ . وذلك سنة (٩٢٢) وهي السنة التي ماتت فيها عائشة الباعونية .

### (أسفار الباعونية ووفاتها)

«وهل لوفاتها علاقة بالحالة السياسية المذكورة»

مر معنا ان (الباعونية) ارسلها أهلها في صباحها الى مصر والشام لطلب العلم فنبتت هناك . وهذه اول سفرة من سفراتها وبعدها عادت فاستقرت في وطنها دمشق الشام . وفي سنة (٩١٩) (أي قبل وفاتها بثلاث سنين) سافرت الى القاهرة . وفي الطريق أصيبت بمؤلفاتها وقصائدها التي كانت تحملها معها . ولا نعلم كيف أصيبت بها : فاما ان يكون أصابها مطر أنفأها . أو أغارت على القافلة عصابة من اللصوص فكانت كتب الباعونية في جملة ما نهبوا وسلبوا . لكن لما ذاسافرت الباعونية الى مصر في وقت تكاد تشب نار الحرب بين السلطان سليم وبين قانسوه الغوري ؟ ؟ يفهم من كلام المؤرخ (الغزي) انها ذهبت الى مصر «لتضاء مأرب لها يتعلق بولدها» . وما هو هذا المأرب ياترى ؟ ؟

ليس امامنا سوى طريق التمكن في معرفة هذا المأرب : فاما أن ولدها كان تاجراً وله مشاكل مع عملائه في مصر فذهبت معه اليها لتساعده بجهاها عند ولادة الأور . أو هو موظف في الحكومة وقد نسبوا اليه قصوراً أو تقصيراً فذهبت به لتثبت أهليته . أو تبرأ ساحتها . وما يدرينا ان يكون ابنها قد كلف الخدمة العسكرية فذهبت الي (قانسوه الغوري) ملك مصر تطلب منه ان يعفي ابن الشحنة من هذه الخدمة الشاقة التي لا يحسنها وقد يتعرض الى الهلاك بسببها وهي في حاجة اليه بخدمها . وبكفيتها مؤونة العمل خارج بيتها ؟ كل ذلك مما يدخل تحت الامكان .

وكان مصاحباً لها في سفرها الى مصر (ابو الشناء محمود الحلبي رئيس ديوان الانشاء

في الحكومة المصرية) فلما وصلوا جميعاً الى القاهرة أنزلها ابو الثناء في داره . واكرمها  
واكرم ولدها . وكانت هي من قبل مدحته بقصيدة مطلعها :

(رؤى البحر اخبار العطا عن ندا كور ونشر الصبا عن مستطاب ثنا كور)

ثم ان (ابا الثناء) قدمها الى شيخ الادب والادباء في الديار المصرية وهو (السيد  
الشريف عبدالرحيم العباسي) وعرفه بها فأعجب بها السيد المذكور وبعث اليها بقصيدة  
من بديع اظلمه فأجابته بقصيدة مطلعها :

(وائت تترجم عن حبر هو البحر بديعة زانها مع حسنها الخفر)

ثم ارسل اليها ابو الثناء قصيدة أخرى قال في مطلعها :

(لبيك محمد طارف وتليد يمهك آباء به وجدود)

الى ان يقول مخاطباً لها :

(فياروضة العلم التي بان فضلها وليس من الفضل السري مديد)

(فنشور ما تبديه قد ضاع نشره ومنظومه فوق النور عقود)

(وررق المعاني فوق دوح بيانها له بديع السجع فيه نشيد)

(اذا مانقى مطرباً عند ليها تميل قلوب لذة وتميد)

فأجابته الباعونية تقول :

(تساميت مرعى للحاق بميد وحسبك ما ابدعت فهو شهيد)

(حصلت على الغايات مجداً وسوداً وفضلاً مبيتاً ليس فيه جمود)

(وأصبحت في روض العلوم مفكهاً تجول وتجنني ما نشأ وتفيد)

(وكم بوجيز اللفظ اشرفت منهلأ يطيب به للظالمين ورود)

(موارد آداب صفا سلسيلها وحام عليها ممتد ورشيد)

ثم رجعت الباعونية من مصر الى دمشق الشام وبقيت الى سنة (٩٢٢) .

في هذه السنة نشبت معركة (مرج دابق) بين السلطان سليم وقانصوه الغوري كما  
ذكرنا وقد سافرت الباعونية الى حلب في تلك السنة .

قال المؤرخ (ابن الخنيلي) : «جاءت الباعونية الى حلب سنة (٩٢٢) وكان في حلب

يومئذ (السلطان الغوري) وكان لها عنده مصلحة تريد قضاءها . فاجتمع بها من وراء حجاب



كل من (البدر السيوفي) وتلميذه (الشمس السفيري) وغيرهما . ثم عادت الى دمشق وتوفيت في السنة المذكورة . انتهى ما قاله المؤرخ ابن الحنبلي . ولم نجد طريقاً الى حل الغلام عن سفرتها الى حلب في هذا الوقت العصيب سوى طريق التكهين ايضاً فنقول :

اجتمعت الباعونية وهي في حلب مع (البدر السيوفي) وغيره من الأعيان وكانها كلفتهم في المصلحة التي نال عنها ابن الحنبلي : إنها انما جاءت الى حلب من أجل قضائها . وما هي هذه المصلحة يا ترى في وقت ينتظر فيه السلطان الغوري قدوم عدوه السلطان سليم ؟ ثم جاء سليم وحارب الغوري وقتله كما مر ؟ ربما كانت مصلحة الباعونية في هذه السفارة الى حلب تتعلق بولدها ايضاً ؟؟ .

لدى الآباء والأمهات كانوا في ذلك الوقت - وقت اشتباك الحرب في وجل شديد على اولادهم . وفلذات اكبادهم . كما خالفوا عليهم في عصرنا الحاضر أي منذ بضع سنين حينما كانت الحرب ناشبة بين الترك ودول الخلفاء . وكان جمال باشا يمك الثبان فيجندهم بالقهر . فكلم آباء وأمهات ماتوا حيرة على اولادهم بهذا السبب . فهل يا ترى وقع شيء من هذا القبيل للباعونية ؟ فان المؤرخ (الغزي) قال انها رجعت من حلب الى دمشق وتوفيت وذلك في نفس السنة التي قُتل فيها الغوري في مرج دابق . أعني سنة (٩٢٢) . هكذا قالوا عن وفاة الباعونية لكنهم لم يذكرها لنا سنة ولادتها . انعلم كما عاشت من العسر .

### ( ابن قبر الباعونية )

ماتت الباعونية في بلدها دمشق . وذلك منذ اربعائة سنة : فاين قبرها يا ترى . الفصل ربيع . والهواء طليل . والبرية برآقة . وجداول الماء خراة . والأشجار مزينة بالأزهار . والأغدان ترأص على غناء الأطيوار . ونزهة الصباح تنفي عن النفس المحوم والاكدار . نذهب الى النزهة في ضواحي دمشق ميمد بين الجسر الأبيض ومن هناك نسلك طريق الشيخ محي الدين الجديدي مشياً على الأقدام . نصل الى نصف الطريق . نجد على يميننا زقاقاً الى البساتين . نسلك هذا الزقاق ويسمى (زقاق طاحونة الأحمر) . نمر بالطاحونة المذكورة عن يميننا . ثم بساقية ماء عن شمالنا . ثم نقف أمام باب بستان . فيقال لنا أنت اسمه (بستان الباعونية) واصحابه بيت الشلي . فتخطر ببالنا للحال شيختنا

(الباعونية) التي قرأنا تاريخها وسمعنا اخبارها فنقول في انفسنا : ياترى هل سمي هذا البستان ببستان ( الباعونية ) نسبة الى شيختنا المذكورة ؟ ؟

ثم نمشي قليلاً حذاء سياج البستان فنصل الى عمارة قديمة كالمدرسة الصغيرة مبينة بالحجر المخوت وطول واجبتها نحو ١٢ ذراعاً ولها ثلاث نوافذ مسدودة بالحجر . وقد كتبت على واجبتها بحروف خط واضح جميل هذه العبارة ؟

( هذا مقام حفرة السيدة الباعونية رضي الله عنها ) . فلا يبقى عندنا شك أن في هذا البناء قبر ( شيختنا الباعونية ) إذ أبة باعونية غيرها لها مثل شهرتها في دمشق .

ثم نمشي قليلاً حذاء سياج البستان المتصل بالمدرسة فنجد في اسفل الدك حجارة مخوتة وأثار بناء . وطول هذا السياج نحو اربعين ذراعاً ولا تزال نمشي حتى نصل الى طرفه أو زاويته . فنجد أثراً بلفت النظر ويستدعي الانتباه هذا الأثر هو بقية عضادة كهضادة البوابة الكبيرة مركبة من ثلاثة احمار ضخمة وهي في ضخمتها ولونها تشبه احمار هذه المدرسة العادلية . فمن يراها يقل انها بقية بوابة بناء كان مشيداً هناك بجانب قبر الباعونية . شيء آخر أم : قد طُرح على الأرض بجانب العضادة حجر آخر كبير طوله ذراعان وعرضه ذراع عليه كتابة بحروف نافرة مخوتة في الحجر . وهي واضحة تمام الوضوح . ومقروءة كلها سوى بعض كلمات . ويظهر من نقص الكلام أن الحجر كان طويلاً فكسر من جهة رأسه نحو ثلثاه . والكتابة التي على طول الحجر تتركب من خمسة اسطار يقرأ الباقي منها بعد انكسار الحجر هكذا :

السطر (١) . . . . . رحمه ربه القدير نسل الذئلة كافور الحسامي .

السطر (٢) . . . . . خانكاه على طائفة من الصوفية المبردين باسم سكتهم .

السطر (٣) . . . . . المسلمين ومنه جميع المزرعة والكرم الذين بارض .

السطر (٤) . . . . . فمن بدله بعد ما سمعه . فالما ائمه على الذين يدلونه .

السطر (٥) . . . . . من شهر رجب سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة .

وخلاصة ما يفهم من هذه الكتابة أن كافور الحسامي بنى خانكاه (اي زاوية) باسم الصوفية لتكون مسكناً لهم وانه وقف عليها مزرعة وكرماً وذلك في شهر رجب سنة ٩٢٣ هـ بعد وفاة عائشة الباعونية بسنة واحدة .

والكن لا يوجد في هذه الكتابة ذكر لعائشة الباعونية . وانما تاريخها موافق فقط لتاريخ وفاة الباعونية . فلعل احد اهل الخبر شيد هذه الزاوية على قبرها وأسكنها الصوفية يقرأون القرآن ويذكرون الله ويهدون ثواب ذلك اليها .

وبينا نحن واقفون هناك نسائل الديار . ونستنطق الأحجار . اذا جماعة من اهل الجوار السالكين في تلك الحملة احدقوا بنا نساء ورجالا وكان بينهم امرأة ذات إزار ونقاب فقالت لنا ان البستان المدفونة فيه (الباعونية) ملك بيت الشلبي وان امها هي من بيت الشلبي وقد عاشت امها نحو سبعين سنة . قالت وقد أخبرني أمي انه كان يوجد في هذا البناء المشيد بجانب قبر الباعونية فرن وقف يجوزون فيه صفيحة وشعبيبات وبفرقونها على المارين من الفقراء والمساكين مجاناً من دون ثمن ثم أخبرنا بعض الرجال المستبين مؤكداً قول المرأة الشلبية وقال انه سمع خبر الصفيحة من رجل مسن وهو سمعه من رجل مسن آخر رأى الفرب بعيني رأسه .

واهل في هذا الخبر بالغة وأن الفرن انما كان يخبز الصفيحة والشعبيبات في بعض أيام السنة ( كأيام رمضان والمولد النبوي ) لا في كل يوم من أيام السنة .  
وبعد أن نشاهد القبر من واجهته البرانية نتوق أن ننظر اليه والى حالته الجوانية . فيقال لنا ان الدخول اليه يكون من باب بستان الشلبي . فنرجع الى البستان ندخل اليه من باب ثم نمشي فيه بين زريعة البصل والفول والساق حتى نبلغ البناء الذي فيه القبر . فنزل اليه نزولاً لأن ارض البستان أعلا من أرضه . فنرى في وسط المكان قبراً متناسب الشكل وهو من الحجر النحيت . وعلى طول القبر حجر واحد بشكل جمالون<sup>(١)</sup> واحجار القبر متزعزعة متماخلة ولولا ان هذا الجمالون الضخم قد أمسكها وحفظها والا كانت سرقت كما سرقت الأحجار الأخرى . وليس على القبر ولا في الجدران كتابة أو نقوش وليس للبناء سقف . ويظهر انه كان له سقف بدليل وجود فتحات من حجر كانتا تحملان السقف وما زالتا قائمتين الى اليوم . ويؤمن بعض بيت الشلبي أن اجداده بنوا السقف المرة بعد المرة لكنهم كانوا كلما بنوه يصيحون فيجدونه قد تهدم وتفرقت احجاره . يعني باعجوبة

(١) الجمالون في اصطلاح الناس حجر مستطيل محدب على شكل سنام الجمال ولعله من هذا سمي جمالون أو جملون .

سماوية . وتزور القبر معنا سيده أفرانسية<sup>(١)</sup> فذ ترعى أنه لا ستف فوق قبر الباعونية وتسمع من ابن الشلبي أن اجداده كلما بنوه طار . وتعتت منه الآثار تسمع ذلك فتقول مازحة : يظهر إن السيدة الباعونية لا تريد أن يسترها عن ربه استار . ولا يحول بينها وبين السماء سقف ولا أحجار .

هذا هو قبر (الباعونية) : نراه فلا نملك نفوسنا من رهبة الموت . وجلال الذكرى . نذكر المرأة التي اذا عدت العلماء المؤلفون كانت واحداً منهم . واذا عدت الشعراء المتأدبون كانت في طليعتهم . واذا ذكر الزهاد المتنسكون كانت لها المنزلة العظمى بينهم . ان كانت الباعونية ماتت فان ذكرها لم يميت . وان غاب عنا جسمها . فلم يقب عنا فضلها وعلمها .

ان كانت الشجرة يبست وتحطمت وأصبحت تراباً فإن أثمار الشجرة مازالت غضة طرية بعد مرور أربع مائة سنة عليها . وكم امرأة من النساء ذات جام وعظمة ومال وجمال ماتت ونسي ذكرها اما الباعونية فانها مازالت حية الى اليوم بفضلها . وثمرات عقلها . اذكرن أيتها السيدات (عائشة الباعونية) . ووزن قبرها . وقصوا على بناتكن أخبارها . وروينهن أشعارها . ثم لعلكن تأخذكن القبرة طيبها فترمن منارها . وتحفظن من السرقة أحجارها .

والعمرى ابنتها السيدات ! إن (الباعونية) تستحق مني أكثر من هذه العناية : لأنها رفعت قدركن في الحياة . فأحيوا ذكرها ولا تضيعوا كرامتها بعد المات<sup>(٢)</sup> .

المغربي



- (١) هي مادام (مریم هري) الكاتبة القصصية المشهورة وقد أقامت في سورية وفلسطين وحوران أياماً ولها كتابات وروايات قصصية عن أهل هذه البلاد .
- (٢) بلغني أن طائفة من السيدات خرجن من ردهة المحاضرة وذهبن تواراً الى قبر عائشة الباعونية لزيارتها وإهداء الفواتح الى روحها .

## رحلة اوليا جلبي

« في البلاد العربية »

- ٧ -

ويجدر بنا بعد اجتياز حماة ان نصف ما في براريها الشرقية من الأماكن القديمة نخص  
بالذكر منها سلمية وتصر ابن وردان وخربة الأندرين .  
فسلمية قرية كبيرة او بليدة في شرقي حماة الى الجنوب بينها طريق غير معبدة بعدد  
طولها ٣٢ كيلو متراً ويسير ناصداً بعد ان يخرج من حاضر حماة في نجد فيه تلمعات  
متموجة وأودية احدها يدعى العميق تغدر مياهها في الشتاء نحو العاصمي وليس بينها ذوبنايع  
واشجار قليلة سوى وادي عين القصارين ووادي الكفات . والساثر يرى على يمينه سيف  
غربي العاصمي جبل تقسيس « علوه ٦٨٥ متراً » وفي سفحه في منخفض العاصمي تتدفق فرس  
الجابية وسريحين وجنان والجرنية وتقسيس وبينها أزوار تروى بالنواعير . ويرى على يساره  
سلسلة آكام وهضاب من اعضاد جبل الملا بينها وبين الطريق من الضياع الصغيرة التي  
يملكها امرأة حماة ام جرن وصماخ ومباركات وغيرها . وتربة هذه الأرضين تميل الى  
الاصفرار والبياض كما ذهبت مشرقاً . ومن غريب امر آكام جبل الملا المؤلفة من  
الحرات السوداء ، الموحشة تجردها عن الاشجار والأنجم بل كل اخضرار - أن امتدت  
في بعض منحداتها وسفوحها الوعرة سلاسل من الأشجار من صنع الأتدوين مما يجعل على  
الغان بأنهم كانوا يملأون اجوافها بالفراس والكروم . ترى ، هل ضاقت هذه السهول  
الشاسعة في القرون الخالية بسكانها حتى اضطروا للتعليق باذيال الجبال وكيف كان يتم لهم  
ذلك وهذه البقاع الفقيرة بالامطار لا سبيل لنمو الفراس والكروم الاعضاء فيها ؟ هذا

وبعد ان يجتاز السائر قرية الكافات يشاهد عن بعد قلعة شيميس تطل من وراء الآكام المحيطة بها ثم بقرية تل الدرة واهل هاتين القريتين اسماعيلية وبضعة طواحين في جنوبها صرح القريم وبمين ماء كبيرة تدعى عين الزرقاء الى ان يدخل في سهل الفج ثم اراضي الأطراف جثت فيه سلية .

وسلية قاعد: قضاء من اعمال لواء حماة يقطنها زهاء ثمانية آلاف من الاسماعيلية بينهم عدد ضئيل من الغرباء السنين هم موظفون اوباعة . وفي قضائها اربع نواح : معشجور وكاسون وعقيربات وسلية ، يتبع كلاً منها قرى وضياع عديدة تمتد شرقاً الى ضفوح جبل البلماس حيث ينتهي العمران وشمالاً الى ما بعد محطة كوكب على سكة حديد حماة — حلب ، يقطن اكثرها الاسماعيلية والنصيرية واقلها البدو والشركس . وهواء سلية جاف جيد وتشد فعل الرياح الغربية فيها لوقوعها في السهل فتثير العجاج وتحول دون نمو اثمار الاشجار ويستفزع ماؤها من الآبار وهو قريب الغور ووسط في عذوبته وقد يصل البرد في الشتاء الى درجة الصفر كما ان حر الصيف قد يبلغ الأربعين علي ان جفاف الهواء يخفف وطأتهما فلا يشعر بها كما في حماة وكية الأمطار السنوية قليلة لا تنيف عن الاربعائة ميليمتر في معظم السنين . ولذا لا تنصب تربتها الرملية الكلسية الصفراء الا اذا جادها الغيث بكثرة ولا تنمو الزروع العلفية وكذا العكروم في مستهل حياتها الا اذا رويت . وقد اشتهرت سلية بسعة كرومها وبساتينها وارضيتها الاعداء واجل غلالها التي تصدرها الى بندري حمص وحماة على السواء الحنطة والشعير والقزح والبصل وصنف من العنب يدعى البياضي يتأخر نضجه حتى انتهاء الخريف . وقد ثمت في السنين الأخيرة زراعة القطن المصري والاميركي واتسمت . وهي تصدر عدداً غير يسير من اطابت الخيول العربية . ويرجع الفضل في عمران سلية الى القى القديمة البيزنطية والعربية الممتدة فيها وفي ضواحيها كحيوط الشباك مما لا نظير له في بلاد الشام الا قليلاً في اقضية منبج ودوما والقטיפفة . وهذه القى من العجائب الشاهدة بمقدرة الأقدمين في نقر الصخر الصلب ورسوخهم في علم استنباط المياه وجرها . يحتفر اهل سلية هذه القى وقد برعوا في تتبع آثارها وقمع اسرارها وآبارها ويسيولونها . وبوشك اذا دامت هذه العناية ان تصبح كورة سلمية غوطاً معمرة وبعود

اليها محدها الغابر الذي ذكره جغرافيو العرب ونعته بكثرة المياه والشجر ووفرة الخصب والرخاء .

قال اليعقوبي من رجال القرن الثالث في كتاب البلدان : وسلمية وهي مدينة في البرية وكان عبد الله بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابتناها وأجرى اليها نهراً واستنبت ارضها حتى زرع فيها ازغرافات واهلها من ولد عبد الله بن صالح الهاشمي ومواليهم واخلاق من الناس تجار وزراعين . وقال ياقوت : سلمية بليدة في ناحية البرية من اعمال حماة بينها مسيرة يومين (كذا) وكانت تعد من اعمال حمص ، اتخذها صالح بن علي بن عبد الله بن عباس منزلاً وبني هو وولده فيها الابنية ونزلوها وبها المحارب السبعة (!) يقال تحتها قبور التسابعين ، وفي طريقها الى حمص قبر النعمان بن بشير وينسب اليها بعض اهل العلم اه . وكان يرحى من ابى الفداء — وسلمية كانت على مقربة من عاصميه — ان بعضها بتفصيل ولكنه رحمه الله اكتفى بقوله : سلمية من اعمال حمص ، بلدة تزهة ومناهاها قنى ولها بساتين كثيرة ، قال ابن حوقل وسلمية الغالب على سكانها بنو هاشم وهي على طرف البادية خصبة ، قال في العريزي ومدبنة سلمية على ضفة البرية كثيرة المياه والشجر رحية خصبة اه .

واسم سلمية قديماً ( Salamias ) — وان لم نعثر على تاريخها في العصور القديمة — الا انها كانت ولاسيما في عهد الروم البيزنطيين عاصمةً بدليل العثور على كثير من الآثار والعاديات فيها وضواحيها ينبتها الاهلوت من المباني والمدافن القديمة ويبيعونها من غوايتها باثمان جيدة . وتاريخها في عهد المسلمين غامض لم يذكره المؤرخون الا الفينة بعد الفينة وعرضاً . والمفهوم من أقوال الجغرافيين التي نقلناها ان سلمية خربت عقيب الفتح الاسلامي لوقوعها في طرف البادية والا فما معنى قولهم « ابتناها عبد الله بن صالح وأجرى اليها أنهرأ » وقولهم « وبني هو وولده فيها الابنية ونزلوها » وما معنى وجود كثير من الأشجار والانتاش البيزنطية في تضاعيف مبانيها العربية القديمة . واذا حسبنا ان هذه هي المرة الاولى التي خربت وعمرت فيها سلمية يثبت معنا ان عمراتها هذا دام وازدهر خلال ثلاثة قرون في عهد سكانها بني عبد الله بن صالح الهاشمي الذين ذكرهم الجغرافيون . واول

ماورد اسمها في التواريخ كان في حديث المعركة التي نشبت في مرج الأخرم الذي صار اسمه في يومنا مرج القريم غربي سلية بين عبد الله بن علي العباسي اول قائد وعامل عباسي في الشام وزيايد بن عبد الله الأموي قائد جيش قنسرين الذي انتفض على العباسيين وكانت الدائرة على زياد فثبتت أقدام العباسيين وقضى على آمال الأمويين في الشام . ويظهر ان بني هاشم الذين أخفقوا مراراً في الوصول الى كرسي الخلافة في عهد الأمويين ثم العباسيين ظلوا في موطنهم سلية يحاولون ويثبون دعايتهم السياسية . وكان أحصمهم في ذلك محمد الحبيب بن جعفر الصادق بن محمد المكتوم بن اسماعيل . واسماعيل هذا هو الذي تعتقد الاسماعيلية ان الامامة انتقلت اليه من أبيه جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين ابن الحسين بن علي بن أبي طالب . وكان محمد الحبيب يرسل من سلية الدعاة والمبشرين لمبداه . وقد استعان اذ ذاك بمبداء بن ميمون القداح وكان هذا من بقايا مجوس الفرس الساعين لهدم كيان العرب والاسلام تحت ستار الدعوة الاسماعيلية يشتغل بها في اصفهان والأهواز والبصرة فوافى سلية مليئاً طلب محمد الحبيب وأقام فيها الى مماته مشتغلاً بالدعوة وذلك في منتصف القرن الثالث . ويظهر ان القداح جر وراءه جمعاً من هؤلاء الدعاة فصارت سلية من ذلك الحين مركزاً لهم ولشيعتهم . منهم ابو عبد الله الشهير بالشيعي نشأ في سلية وذهب الى المغرب ووفق الى ازالة دولة الأغلبة ثم خلفه عبيد الله محمد وكان ممن نشأ في سلية ايضاً ثاقب بالمهدي وادعى انه من نسل فاطمة وتوصل الى تأسيس الدولة الفاطمية التي انتقلت بعد حين الى مصر ونازعت العباسيين الخلافة . وفي سنة ٢٩٠ جاء القرامطة ويظهر انهم كانوا حائقين على بني هاشم بتقصودن استئصالهم ففتكوا بهم وباهل سلية كما فتكوا في حماة والمرة . قال ابن الأثير في حوادث هذه السنة : ثم صار القرمطي الى سلية فمنعه أهلها ثم صالحهم وأعطاهم الأمان ففتحوا له بابها فبدأ فيها من بني هاشم وكانوا جماعة فقتلهم أجمعين ثم نزل البهاثم والعبيدان بالمكاتب ثم خرج منها وليس بها عين تعارف وثار فيما حولها من القرى يسبي ويقتل ويخيف السبيل اه . ولم يذكر ابن الاثير ان كان القرمطي خرب سلية أم اكتفى بتقتيل سكانها وإخلائها ولم يذكر متى وكيف عاد العمران والبيكان . وهل كانت حينما جاءها سيف الدولة بن حمدان في سنة



٣٤٤ أهلة أم خالية . ففي تلك السنة جرت في المروج المتده شمالي سلمية بين سيف الدولة وأعراب البادية من بني عامر بن صعصعة وعقيل وقشير والعبلان وقد كانوا ناروا عليه فلحقهم الى تلك المروج وقتك بهم فامتدحه المتنبى بقديادة جاء فيها :

فأقبلها المروج مسومات ضواصر لاهزال ولا شيار  
تثير على سلمية مسبطراً تناكر بقتبه دون الشعار

وسكنت التواريخ عن بيان شيعة السكان الذين عمروا سلمية للمرة الثانية بعد حادثة القرامطة أكانوا من الاسماعيلية أم من غيرهم . لأنه لم يرد لهم ذكر مع ساكني قلاع الدعوة أتباع راشد الدين سنان وخلفائه الذين كانوا يجندون الفدائيين لاغتتيال ملوك المسلمين وأمرائهم . وعادت التواريخ لذكرها في عهد الأيوبيين إبناء صلاح الدين . قيل ان الملك المعظم عيسى صاحب دمشق جاء في سنة ٦١٩ فحاصر ابن اخته الملك الناصر قلعج أرسلان صاحب حماه لاختلاف هذا بومعه في دفع مال مشروط عليه فنهبت جنوده اذ ذلك سلمية لانها من توابع حماه . ولما جاء الملك الكامل صاحب مصر في سنة ٦٢٦ ليخضع الملك الناصر ويجلس مكانه أخاه الملك المظفر حاصر حماه بعث بجيش سلم بقيادة الى الملك الخباهد أسد الدين شيركوه الذي سيزد ذكره في بحث حصص . ولما تم له ما أراد انتزع سلمية من المظفر وسلمها الى شيركوه فأسلطت سلمية من ذلك الحين عن حماه وظلت طلة الشخفاء بين أبناء الاعمام ملوك حصص وحماه لاسيما بعد أن عمر شيركوه في سنة ٦٢٧ قلعة شميس وقطع ماء القناة التي كانت تجري من سلمية الى بساتين حماه . ولما جاء التتار بقيادة هولاء كوه في سنة ٦٥٨ وغازان في سنة ٦٩٩ نالوا من سلمية كغيرها من مدن الشام فانحط شأنها لكنها لم تخرب على ما يظن بالكافية ويهجروا أهلها للمرة الثالثة الا في منتصف القرن الثامن في عهد المماليك حينما اختلت ادارتهم وازدادت فتن أعراب البادية ووثب بعضهم على بعض . قال في خطط الشام في حوادث سنة ٧٤٨ : « وفي هذه السنة افتتل سيف الدين ابن فضل امير العرب وأتباعه مع احمد فياض من الأمراء في جمع عظيم قرب سلمية فانكسر سيف ونهبت أمواله وكانت هذه الحروب ضربة قاضية على بادية حماه فطفق البدو يتهبون القرى ويفترون على حماه والمعرة ففر الفلاحون ودرست القرى اه .

وظل هذا الخراب مستمراً خمسة قرون يضرب البدو في ارجائها ويرعون انعامهم بين اطلالها لقاء اناوات يؤدونها للحكومة العثمانية التي عدت سلمية وما حولها لواء اتبعته كجماه وحمص بايالة طرابلس الشام وما هو بلواء حقيقي . قال كاتب چلبى في جغرافيته «جهان نما» المطبوعة في الاستانة في سنة ١١٤٢ : ولواء سلمية هو في ايامنا في حوزة امراء عشيرة الموالي يأخذونه من آل عثمان اه . وظل اسماعيلية الجبال الغربية في تلك القرون يرنون نحو الشرق في لفحة وحسرة وبترقبون الفرصة ليعودوا ويمهروا سلمية احياء لمنشأ شيعتهم وقوسعاً في الأرضين وتخلصاً من مثل المذبحة التي ذاقوها من النصيرية في مصيف في سنة ١٨٠٧ م علي ما ذكره بروكهارت سائح تلك الايام . ولما استتب الأمن والنظام في الجملة في العقد الأخير من القرن الماضي جاء نفر منهم الى سلمية قبيل سنة ١٢٨٠ او عقبها واعتصموا بادي ذي بده في الحصن الذي هدم وبني مكانه دار للحكومة وشرعوا يؤرغون حوله ويدراون عن انفسهم عيش البادية ومازالوا يزدادون بالسلال ابناء جلدتهم من جهات مصيف والقدموس والحوايي وعكار ويؤندبن الى الشرق يعمرون القرى الخربة حتى كثر عددهم . ولما استقر امرهم جمات الحكومة ساحية في غرة قرننا الحالي قاعدة ناحية دعمها ( مجيد آباد ) ثم جعلتها بعد حين قاعدة قضاء دعي باسمها واتبعته بلواء حماه . وقد زاد عدد الاسماعيلية في السنين الأخيرة في ساحية وغيرها من القرى الآهلة بهم واخصها تل التوت وبرى الشرقي والغربي ومفقر الشرقي والغربي وجدوة وعقارب وسمن وسمين وذلك بانضمام ذريهم النازحين من مواطنهم في جبال النصيرية لأنهم وجدوا الرخاء والخصب في السهول الشرقية الواسعة والعزة التي نالها السليون من السلطة الانرسيية لئان تغانيمهم في خدمتها خلال ثورة الشام في سنة ١٣٤٥ هـ هي اكثر منها في قراهم الغربية الجبلية الضيقة . ويفترق الاسماعيلية من حيث المذهب الى حجاوية وسويدانية يعقد الأولون بالوهية آغا خان الزعيم الهندي المعروف في نوادي انكلترة وفرنسا ببذخه وترفه ويؤدون له الزكاة والثانون لا يشاطرون اولئك ذلك الغلو . وكل سكان سلمية وقراها القدماء وسكان القرى المجاورة قلعة الحوايي من الفريق الأول بينما القدموسيون والمصيفيون من الثاني . والنفور من جراء هذا التباين سائد بين المخلصين . ويفترق الاسماعيلية ايضاً بحسب الطبقات



# حفلة تأبين

« حافظ بك ابراهيم »

أقام المجمع العلمي العربي يوم ٥ تشرين الأول سنة ١٩٣٢ حفلة تأبين لحافظ ابراهيم بك شاعر النيل أحد أعضائه الراحلين تحت رعاية صاحب الدولة حفي بك العظم حضرها جمهور غفير من جميع الطبقات الرسمية والعلمية والشعبية فافتتح الحفلة الاستاذ الشيخ عبد الله الخجد شيخ قراء دمشق بآيات من الذكر الحكيم ، ثم وقف صاحب الدولة حفي بك العظم فألقى خطاباً ، وجاء بعده الاستاذ فارس بك الخوري أحد أعضاء المجمع وألقى خطاباً ، ثم جاء الاستاذ محمد بك كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي فذكر حياة حافظ ، وجاء بعده الاستاذ الشيخ عبد القادر المغربي أحد أعضاء المجمع وألقى خطاباً ، ثم وقف الاستاذ شفيق بك جبري فألقى قصيدة ، وختم الحفلة سعادة محمد سري بك فنصل المملكة المصرية جواباً على الخطباء ، واليك صوراً مما قيل في تأبين فقيده اللغة والشعر رحمه الله .

\*\*\*

✽ خطاب صاحب الدولة حتي بك العظيم ✽  
« رئيس مجلس الوزراء في الجمهورية السورية »

سادتي

ليس شاعر النيل حافظ ابراهيم بالرجل الذي يحتاج أن يعرف اليكم . أن فجيعة الآداب به عظيمة جداً على العرب والعريسة . لأن أدبه من الأدب الذي يرفع مستوى اللغة والأخلاق والاجتماع . يستظهر الناس شعره ونثره ويتلى بأعجاب في الأندية والمجالس منذ نحو أربعين سنة .

اني اذا ذكرت حافظاً أذكر عظيماً من أكبر خدام لغتي الذين أعادوا اليها بهائمها بقراهمم الوفاة وما تمهم الواسعة . هو ممن أحيوا شعرنا فأحيوا شعورنا . وهل الشعر العالي الا الشعور العالي .

أذكر صديقاً باراً عاش مرتة وجاورته سنين طويلة . وما شهدته ، ويشهد الله في عامة أدوار حياته الا مولعاً بمجذمة مصر بل بمجذمة العربية وأديها القومي بل خدمة كل قطر يتكلم أهله العربية . ومن منا ينسى قوله من قصيدة تحت عنوان « الامتان تنصالحان » ألقاها في حفلة بمصر اذ قال :

هذي يدي عن بني مصر تصالحكم فصالحوها تصالح نفسها العرب  
فسبحان من أنزل الحكمة والبلاغة على لسانه وقلمه وسبحانه أن قضى بفراقنا . والموت مصير كل حي .

ولكن مثل حافظ باسادي لا يموت لانه حي شعره وأثره في الأرواح على وجه الدهر . تذكره الأجيال بعد الأجيال وينم أهلها بما يقبسون من عبقة كلامه . فهو زين الشعراء الخالدين . وما أنلهم حتى في عدة أعصار وأمصار .

حافظ بدل أسلوب الشعر العربي بديبايته الجمينة وسبكه الرائع وما تحلل قوله من الحكم والعبير والدعوة الى إصلاح النفوس والمجتمع . وما شعره الا الشعر الذي ينفع الأمم ويرقي عقول أفرادها وقل ان دانه فيه احد .

أحسن المجمع العلمي العربي بإقامة هذه الحفلة لحافظ لأنه أبان عن عواطفنا نحن السوريين فهو شاعر النيل بل نحو مصر المحبوبة التي صرفت فيها شطراً من حياتي فأكرمت وفادتي في أشد أيام المحن . يوم كنت متطوعاً صغيراً في خدمة سورية ومقاتلة الظلم والاستبداد .

ان الزواجر الكثيرة التي تربطنا معاشر أهل هذه الديار بمصر تدعونا إلى ان نتمتع بشموها في كل حين . فإذا فقدت مصر رجلاً من رجالها عددناه هنا كأنه منا . وإذا أصابها سعادة فرحنا لسعادتها . وكذلك نحن يوم نحزن وتالم .

وإني لأرجو لمصر ولرجال مصر حياة طيبة سعيدة لمكان الثقافة التي تدين بها الشعوب العربية بما لعلماء القطر الشقيق وأديبائه وشعرائه . وأسأله تعالى أن يخلق لمصر وغير مصر عشرات من فقيدينا العزيز يدعون الناس إلى مكارم الأخلاق . ويلطفون من شعورهم وعواطفهم ، ويصلحون من مجتمهم وعاداتهم . يعملون على كل ما فيه نفعهم على نحو ما فعل وينعل شعراء الغرب لمهدنا . فان الغربيين اليوم على نحو ما كان عليه أجدادنا في الدهر السالف اذا نبغ فيهم نابغة اغتبطوا وسعدوا بنبوغها ، واذا فسدوه عدوا وفقدوه خسارة دونها كل خسارة .

قال حافظ لاحد أصدقائه منذ سنين وفي هذه الحمار : اذكر أمانت لا تندم علي حين احد لأني لا اخلف ورائي اما ولا اباً ولا زوجاً ولا ولداً . فاجابه صديقه . انت اذا مت يا حافظ تبكي عليك عيون العرب كلها وكفى بهم أسرة كبيرة . وكذلك كان فلان الله وانا إليه راجعون .

وقال حافظ في آخر قصيدة له القاها في بيروت — وهو كما هتمم حبيب الشاميين عامة ولطالما نوه بهم وحطف عليهم في شعره الرائق .

وقد وقفت على الستين أسألت أسوفت ام أعدت حراً كفاًني

وكان ان قدر الله فرحنا في الستين وبضعة اشهر رحمه الله عدد اباديه البيضاء على هذا الشرق العربي ولا حول ولا قوة الا بالله .

\*\*\*

## ✽ خطاب الأستاذ فارس بك الخوري ✽

هذه هي المرة الثانية التي نجتمع بها في هذا المكان لتكريم هذا الرجل الخالد والعلم الشاهق بين اعلام الشعر والأدب العربي .

اعتاد الناس ان يمتثلوا بالغزاة والفاتحين ويقبوا لهم المواسم والاعياد تذكراً لفتوحهم وتقديراً لما جلبوا القوم من المنافع والظواهر . وفي هذا العصر صارت ثروة الأمة الأدبية أعز عليها وأغلى له بها من الثروة المادية ، وأصبحت الاجتماعات لتكريم رجال العلم والأدب أكثر رواجاً وأوسع انتشاراً وأجلب لارضى والارتياح العام من مثلها لابطال الفتح وماوير القتال . ولا غرو ان فتوح العلوم والفنون ابقى على الدهر من فتوح السيوف والنيران فقد زال أشيل وهكتور وبقي هومر كما زال سيف الدولة ودولته وبقي المتنبي على القرون والأدهار .

المرة الاولى منذ اربعين شهراً في ١٧ حزيران سنة ١٩٢٩ اجتمعنا في دارالمجمع هذه للاحتفاء بشاعر النيل المحبوب حافظ ابراهيم عند زيارته الاولى والأخيرة لمدينة دمشق وكثيرون من شهدوا تلك الحفلة الشائقة التي أسرع اليها أمائل هذه المدينة ووفود المدن الأخرى ليرحبوا بالزائر العزيز فخطوا برؤيته وكان ملقوبهم حباً ووقاراً وملقودهم تيجيلاً واحتراماً .

ومازلنا نذكر وقتته الوقورة على منبر هذا المجمع يشكر المحفل الفقير الذي اشترك بتكريمه وأولياء الأمر الذين عرفوا كيف يكرمون وسام الاستحقاق السوري بتعليقه على صدره .

لم يكن في دمشق ولا غيرها من البلاد العربية من يجهل مكانة حافظ فقد سبقه اليها من شعره الرائق رسل كرام جاء تناعته بالنبل اليقين . وانما وجدنا بعد ان أسعدنا الحظ بمجالسته انه لا يقتصر على السيادة بين الشعراء والكتاب بل هو جليس لا يشق له غبار

وسمير لا يسار معه في مضمار ، محدث واسع الرواية وظريف حاضر النكتة ومتكلم نقي العبارة يستهوي جلاسه ويمسك على السامع أنفاسه . يجول في كل حدبث جولة العالم المعتمد على علمه والأديب الوائق من نفسه .

في تلك الزورة القصيرة مكن حافظ لذاته في قلوب الدمشقيين حباً صميمياً و إعجاباً عظيماً وترك لنا واحدة من الذكريات الطيبة التي ما زال الدهر يها ضئينا .

وهذه هي المرة الثانية التي يقوم بها الجمع العلمي لتكريم حافظ ميتاً بعد أن أكرمه حياً . فجمع به الأدب العربي بمنظومه و منشوره فأنهد له ركن من أركانه الراسخة وتداعى له صرح من صروحه الباذخة وفقد مجدها العلمي به تضواً من أنجب أعضائه وأضاع بهصره أباً من أبر آبائه .

الأمة العربية اليوم ليست فقيرة بشعرائها فانهم يعجزون العدة وتعيأ باسمائهم الحوافظ . وخزائن الأدب العربي ليست بحاجة لديوان من الشعر يضاف إليها فان فيها من الدواوين ما يجمع أكداساً .

ما أكثر الشعراء في سوريا والعراق . انك لا تكاد تقرأ صحيفة أو مجلة الا تراها مزينة بقصيدة لشاعر معروف أو مجهول . ولا يحدث في البلاد حدث كبير أو صغير الا تنسابق قرائح هذا الجيش من الشعراء لتدبج القصائد الجيدة في وصفه وتفصيله وبينما كان الذين يقرضون الشعر في الجبل الماضي نزرأ يسيراً صاروا اليوم جمّاً غفيراً .

بعد ان وضعت قواعد الصرف والاعراب وتعميت أوزان الشعر بالتفاعيل وصار علم العروض في متناول الجميع لم يعد نظم الشعر سليقة لا يملكها الا من من الله عليه بها كما كان امره عند العرب قبل الاسلام وفي صدره . بل أصبح صناعة يستطيعها كل من تعلمها ومارسها نياً في بالكلام الموزون المقفى ويستعين بمحفوظاته ومطالعته ليستعير المعاني وبه وغها في قالب خاص منطبق على شرائط الوزن والقافية فيهد نفسه انه قال الشعر ويجد من ينمته به وينظمه في سلك الشعراء .

يبد أن الشاعرية ليست بهذه السهولة التي يتخيلها فيها دارس علم العروض فالمركب وعسر السلم بعيد المدى وليس كل من نظم القصائد شاعراً كما أشار الى ذلك حافظ بقوله :

قالوا صدقت فكان الصدق ما قالوا ما كل منتسب للقول . قول



والشعراء لا يخلدون بكثرة ما ينظمون بل يخلدون بما يمازجون به من قريضهم طباع الناس وأساليب التفكير الرجيمة ويعالجون الأدواء الاجتماعية ويحللون العواطف النفسية بأوصاف منطبقة على الحقائق الواقعة التي يشعر بها الخلق في أطوارهم المعاشية . وأنت ترى أن الشعر الذي يثير فيك الإعجاب هو ما تجده مؤثلقاً مع ما عندك من الشعور وموافقاً لما في نفسك من فكر عميق لا تقدر على تصويره بالكلام أو مثيراً فيك عنزة كامنة أو مذكراً إياك بمخاطب ترضاه فإن كان ذلك من طباعك وسجايك اعتزرت به وانفجرت وإن لم يكن تمتد لو كان لك منه نصيب . وهذا مطلب صعب المرتقى كما وصفه أحدهم :

الشعر صعب وطويل سلمه إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه  
زلت به إلى الخضيض قدمه يريد أن يعر به فيجمعه

وهذا الذي جعل أكثر العلماء المتقدمين وأشهر الأدباء الأولين مثل ابن خلدون وابن المقفع يجانفون عن ركوبه ويتحامون الزول في مضماره . وعند ما سئل ابن المقفع لماذا لا تنظم الشعر قال : ما يرضيني لا يلبيني وما يلبيني لا يرضيني . فلو حدا حذوه الذين لم ينقصهم الله بسجية الشعر وتركوا أمثال هذا العمل لأمثال حافظ من النابيين ظلت خزانة شعرنا من توافه الكلام . أن حافظاً لم يكن مكثراراً في نظمه فكان لا يقول القصيدة إلا إذا دعاه إليها داع واحب التلبية فكانت قصائده متباعدة الآجال تطمع على الناس مثل ورد الريم بغضارتها ومثل فيض النيل بجزالتها فلا تكاد تصدر عنه إلا تتخطفها العيون والآذان وتحتويها العقول والأذهان .

قصائده الشرد السائر ت لا يختصن من الأرض دارا

إذا هن فارقت مقوله وثبن الجبال وخضن البحارا

وكم من شاعر كالسموأل احرز مكانة في الصف الأول بين الشعراء بقصيدة واحدة وشاعر بقي في غيابة الخمول وله مئات أو الوف من القصائد .

كثيرون من الشعراء سمعوا الحياة وتكاليها أو اناخ طيهم الدهر فتمتوا الموت ليخلصوا من آلام الحياة ولكن قليلون منهم وصفوا هذه الأمنية بمثل ما وصفها حافظ :

سلام على الدنيا سلام مودع رأسه في ظلام القبر النساء ومغنا

أضرت به الأولى فسام بأختها وإن سمعت الأخرى فويلاه منها

فهي رياح الموت نكباء واطفئي  
 فما عصمتني في زمني فضائي  
 فيالمب لا تجزع اذا عضك الأسي  
 ويا عين قد آن الجمود لمدمي  
 ويا بد ما كلفتك البسط مرة  
 فله ما أحلاك في اهل الردى  
 ويا قلمي ما سرت بي لمذلة  
 فلا تبطني سيراً الى الموت واعلمي  
 ويا قبر لا تبخل برد تجمية  
 علي صاحب وافي علينا وسلمي

وهذا كلام يحلي مرارة الموت ويمرض النفس على انتقام غمرته بالطمانينة والخبور .  
 وقع احتلال مصر منذ خمسين سنة فرافق حافظاً منذ كان صبياً الى أن أدر كته  
 المنية ففضى نحبه وفي نفسه غصة على حال قومه وبلادهم اظهرها في كل قصيدة من قصائده .  
 وقد جرت في زمانه جميع الحوادث الخطيرة التي صاحبت هذا الاحتلال وكانت سبباً لتوليد  
 الروح الوطني وانبعاث الأمانى القومية في ذلك القطر الشقيق ويسترت مجالاً فسيحاً لشعراء  
 وادي النيل ليثيروا باشعارهم النعرة الوطنية ويسكبوا على بزورها النامية قطرات الرجى  
 والارغاش ويربوا في الناشئة المصرية هاتيك الروح الوثابة التي هي أساس نهضة الأقطام  
 وعليها يتوقف استقلال الشعوب .

نجد قصائد حافظ ملامى بنقد الحياة الاجتماعية في مصر خاصة وفي بلاد العرب عامة  
 وفيها من الجرأة والمصراحة بذكر الحقائق المؤلمة مانبه القوم الى مواطن الضعف في نظامهم  
 الاجتماعي وعدم كفايته للشباب في هذا المكفاح العمراني الذي أوجبه تزام الشعوب  
 الحديثة . فهبوا الى الدرس وتلافي النوائص الموجودة واصلاح الفاسد من مرافق حضارتهم  
 وكان هذا التحريض عاملاً قوياً لتلك النهضة الجريئة التي دشنت مصر عهدها وسبقت بها  
 غيرها من الأقطار الشرقية فكانت لها قائداً ودليلاً .

انظروا الى مثال من مصارحته قومه منذ ثلاثين سنة بذكرهم بتقصيرهم في سباق

الحياة ويمرضهم على النهوض .

وهل في مصر مغفرة  
 وذية ارث يكاثرتنا  
 وفي الرومي موعظة  
 أروني بينكم رجلاً  
 أروني نصف شترع  
 أروني نادياً حفلاً  
 وماذا في مدارسكم  
 وماذا في معابدكم  
 وماذا في صحائفكم  
 فهبوا من مراقدم  
 وهذي أمة اليابان  
 فهامت بالعلی شفقاً  
 وهما بابتة العنب  
 سوى الالقب والترتب  
 بمالك غير مكتسب  
 لشعب جد في اللعب  
 ركيناً واضع الحساب  
 أروني ربع محتسب  
 باهل الفضل والأدب  
 من التعليم والكتب  
 من التبيان والخطب  
 سوى التويه والكذب  
 فان الوقت من ذهب  
 جازت دارة الشهب  
 وهما بابتة العنب

فهو قد صدق قومه حين كاشفهم بحقيقة حالهم والصديق من صدق لا من صدق .  
 رحم الله حافظاً ونفع قومه العرب بأدبه العالي وأخلاقه السامية . وانظر الى قوله يصف  
 حال مصر وحاله مع المحتلین .

فقد غدت مصر في حال اذا ذكرت  
 كأنني عند ذكر سيد ما ألم بها  
 اذا نطقت ففقا السجن من كأي  
 وان سكت فان النفس لم تطب  
 وهذا عين ما يشعر به ولا يستطيع وصفه بمثل هذه الديباجة الرائعة كل من رأى في  
 قومه ضيقاً فهو يتردد بين الالقدام لدفعه فيسحقه كيد الظالمين أو السكوت على الأذى  
 أو الالغماض على القذى فيبقى حليف الغضة وصريع الهموم .

بماذا يرثي حافظ وهو أمير الرثاء وما هي مرثيه للأفذاذ الذين خلد لهم بايات رثائه  
 المثل الأعلى في الالغماض والالبداع . حتى ان أمير الشعراء تمى هذه الأمنية في مطلع  
 قصيدته التي بها حافظاً حيث قال :

قد كنت أوثر ان تقول رثائي يا منصف الموتى من الاحياء

ولست أجد للقول في رثاء حافظ وأصدق طيبه وأحق به مما قاله هو نفسه في رثاء

الشاعر الكبير محمود سامي باشا البوردي :

يا فارس الشعر والابداع والجلود	ليبيك يا مؤنس الموق وموحشنا
على النعي والقوافي والأناشيد	ليبيك يا شاعراً ضمن الزمان به
تحت الفصاحة جرى الماء في العود	تجري السلاسة في اثناء منطقه
يفار من ذكره ماء العناقيد	في كل بيت له ماء يرف به
غذيت عن فحبات المسك والعود	لو حنطوك بشعر أنت نائله
من كاز حكيمه لا جوف أخذود	لو أنصفوا أودعوه جوف لؤلؤة
أو واضح من قيص الصبح مقدود	وكفنوه بدرج من صحائفه
فوق الكواكب لانت تحت الجلاميد	وأزلوه بأفق من مطالبه
للشرق والغرب والأمصار والبيد	وناشدوا الشمس ان تنعي مناقبه

## ﴿ حياة حافظ ابراهيم ﴾ « للاستاذ محمد بك كرد علي »

ولد حافظ ابراهيم في اليوم الرابع من شهر شباط سنة ١٨٧١ في مدينة الاسكندرية وكان والده مدير شرطة جرجا . فنشأ نشأة ابناء الوطنين ليصبح كأبيه موظفاً . وبعد ان انجز دروسه الابتدائية والثانوية في المدارس الاميرية . دخل المدرسة الحربية وخرج منها برتبة ملازم ثان في المدفعية فأرسل الى السودان في خدمة الجيش المصري . وفي السودان تجلبى استعداداه للشعر ، وكان ينظمه وهو يافع للتسلية والتجلية . وعرف بين اقرانه بشدة عارضته ، وقوة حجته ، فكانوا يتدبوناه اذا حزبهم حازب للدفاع عنهم في المحاكم العسكرية ، فيبرج القضايا ببلاغته وحضور ذهنه . ولذلك عدوه الصدر المقدم فيهم على صفر سنه ، لما أوتيه من خفة الروح ، وجميل النادرة ، ولعطفه على لداته ، ولما خص به من الفصاحة التي لم يكتب مثلها لاحدم .

ووقعت في السودان مؤامرة اوشبه مؤامرة في الجيش ، فكان حافظ في جملة من اتهموا بتدبيرها ، لانه كان كبش الكتبية ، فسرح مع من سرح من الخدمة ، وعاد الى مسقط رأسه ، أسفاً للظلم الذي ناله فأضاع مستقبله ، فرحاً بانقذاه من عيش قاسى فيه الامراء في بلاد الزوج من غطرسة بعض ضباط البريطانيين ، وبري بعد حين مما اتهم به بتوسط كبير من احابيه ، ومنع رتبة رئيس ، ثم دخل الشرطة سلك ابيه فعزفت نفسه عنها ، ولم يلبث ان غادرها لعدم ملاءمتها لتواضع نفسه .

ولقد اورثته التربية العسكرية مضاء وحزماً وسلطاناً على النفوس ، وكان بما خص به جسارة الصوت ، كأنه قائد يأمر جنده وقت التعبئة والمصاف ، وكأنه الأمر الاكبر يلي ارادته على مأموريه ، ولكن بلطف شاعر ، لابن آسر . واجتمعت له رفاة الصوت الى جمال الالتقاء ، فكان تأثيره عظيماً في يوم الحفل اذا انشد . وظل حافظ منذ خرج من

الخدمة في سنة ١٩٠١ الى ان عين رئيساً للقسم الادبي في دارالكتب المصرية سنة ١٩١١ بتوفرو على حرس حقول الادب يزرعه ويجنيه ، ومجهزاه مطالعة ( كليله ودمنة ) و ( العقد الفريد ) و ( الاغانى ) يقرأها ثم يقرأها ثم يقرأها ، حتى هضم ما فيها وتمثله وتصنع دواوين الشعر واختار بيتاً فذاً لكل شاعر أصاب معنى شريفاً .

وساعده الطالع فاتصل منذ كان في السودان بصلة النسبة الى الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، وكان شكواً اليه بالمراسلة بشه وحزنه ، وما يلقاه من جور الدهر ، ولما عاد الى مصر التي مفتي الديار المصرية في روعه من جميل حكيمته ، ومحكم تجاربه ما استعدت به نفس الشاعر الى الانتقال الى طور آخر في الشعر يجرده من اوضاعه القديمة ، وبكسوه ثوباً تشبيهاً ، وبكسره على المطالب الوطنية العالية ، بضرب فيه على العرق الحساس في الناس ، وكانت نفوسهم ستمت مارأت من ابتذال الشعر في الغزل والمدح وما اليهما ، وهي الى بضاعة جديدة أشوق ما كانت منها الى اطار بالية .

وكان الرعيل الصالح الذي يلتف حول الاستاذ الامام صفوة أئمة الثقافة العالية في عصره وكلم من بلغ في العلم والأدب أطوره ككفني بك ناصيف والشيخ سيد المرصفي من رجال الأدب القديم ، ومحمود سامي باشا البارودي واسماعيل باشا صبري من مجددي الشعر الحديث ، و ابراهيم بك المويلحي وابنه محمد بك المويلحي من الكتاب الجودين الى عشرات أمثالهم من الأدباء والعلماء والقضاة والاجتماعيين والسياسيين أمثال قاسم بك امين وأحمد فحفي زغول باشا وسعد زغول باشا وحسن عاصم باشا واحمد شمت باشا واحمد تيمور باشا في نفر من أساتيد المدارس العالية ولا سيما جماعة دار العلوم . وكلم كما قال حافظ في الاستاذ المفتي ( يعرف مهر الكلام ومقدار كد الافهام ) هؤلاء كانوا لحافظ عشراء ومعلمين وموحين ومنشطين ، وهم من قادة الأفكار في الأمة المصرية ، اما ناشئتها المنورة فما ينقضي عجبها من شعر حافظ كلما رآته موضع إعجاب أولئك الاعلام .

وبدأت شهرة حافظ تمغم بين المصريين لان نفسه كانت تألم للظلم حل به أم بغيره ، يحس مطالب الشعب ، لأنه يعيش بين ظهريه ، ويستمع لشكواه وبلواه ، وما فتئ منذ تطوع في خدمته ، ينطق بما يفرج عنه كربته ، ويدعو الى النهوض ، ويشهد منه الغرائم ، يربده على اطراح سفاسف الأمور ، والتذرع بما يبق عليه ثروته ، ويبيد اليه مجده .

ليستوي شعياً فاضلاً في المدينة الفاضلة . وكان من يشعر شعور حافظ من الشعراء قبل نبوغه قد يقع لأحدم البيتان والثلاثة في معنى الاصلاح أو الشكوى . اما الشاعر المجدد فأنشأ ينشي القصائد نلو القصائد .

وكان المقدم الذي مضى بين خروجه من الخدمة الى ان عاد اليها ( ١٩٠١ - ١٩١١ ) من أخصب ايام شاعرنا انطلق يتفنن في النظم على وجوه جديدة في أبواب الاجتماع والسياسة ، ومصر بل كل مصر لاتعدم الحين بمد الحين نبرة حوادث تفتق لسان الابهكم بالكلام ، فكيف يرب البلاغة والفصاحة ، يضاف ذلك الى ما في تلك البيئة الغنية من العظات ، ومال ذلك البلد الطيب الناهب بفضل السبق بين الانطار العربية من الموقع الجغرافي المتوسط بين المشرق والمغرب .

عبر كلها الليالي ولكن اين من يفتح الكتاب ويقرأ

وكانت الأمة المصرية في تلك الحقبة من الزمن نشدت في بلوغ هدفها الاسمي في الاستقلال ، وتقوى كل يوم في بنيتها الدعوة الى الوطنية والتموية ، وكان عهد استمتاعها بحريتها في القول والعمل على صورة ما عهدت مثلها في تاريخها ، فكان للشاعر من مطالب أتمته موضوع جذاب منسج الاطراف ، اتساع أفق الشاعر الذي توفر على الزهد سيفه موضوعات الشعر القديم ، خصوصاً وهو بما من مما يبعث بالحرية المدنية والوجدانية بنعم بنعمة حرية القلم واللسان .

وما اقترب مترجمنا من ارباب المقامات العالية الا بالقدر الذي لا يحرق فيه نفسه ، مجتزئاً بما يغنيه عن الفناء فبين هوام في الحقيقة الاحتفاظ بسطانهم ، ولا يرضون عن الشعراء والكتاب الا اذا باعوا منهم الاستقلال الفكري بشي من حطام الدنيا ومظاهرها الخلابية . ومن كانت الأمة تصفق له ، وعلى رأسها اولئك السادة يناضلون عنه ، لتفرسهم فيه الخير ، يستوي عنده رضا الكبراء ورضاهم . لحافظ اذاً هو وليد النهضة الاخيرة ولسانها الجري ، ارتبطت مصلحته بمصلحة الأمة منذ عاهد ربة الشعر على الوفاء لها ، فاصبح شاعر مصر الاجتماعي والوطني غير مدافع ، لا ينتج الا للادب ، ولغة العرب .

سئل المرحوم اسمعيل صبري باشا شيخ شعراء مصر عن الثلاثة المبرزين من شعراء القطر ( شوقي وحافظ ومطران ) فقال ( شوقي ينظم ، وحافظ يبني ، ومطران يتدع ) هذا حكمه

عليهم وهم في الكهولة ، فاي حكم يصدر ياترى وهم في سن الكمال ، يدعون هذا الابداع ويميدون بصنيعهم الى شعرنا ما كان له من اشراق الجزالة في القرن الرابع بالهجري والرضي وابي الطيب وابي تمام .

نعم ان حافظاً في الشعر بناه وأي بناء ، ما عهد عصرنا شاعراً بصقل شعره كصقله قبل ان يخرج للناس ، ولا كاتباً يطيل النظر في كلامه إطالته ، ولا اديباً اروي منه للاشعار وال اخبار ، يسقط على مناجم الأدب فيستخرج منها كنوزها الدفينة . هو بناء مُقدّر يتعذر على احدق النقاد ان يتبين الخلل في تضاعيف نسجه ، بصور فيه حالة عصره وروح اهله وعشيرته ، ويسرم وعصره ، وما ديوان شعره على اختصاره الا صورة ظاهرة للوقائع التي شغلت قلوب اهل جيله وقبيله . وليس في ابقاع ما يوقع على قيثارته من قوافيه وضروبه الا ما يفعل - في الارواح ، فتترنح له الاشباح غير متعملة ، يشدو به وينوح ، ويطرب ويهجب ، ويهز به اوتار القلوب .

ما استفاضت شهرة حافظ الاسيره بشعره مع حاجة العصر ، فأثر به هذا التأثير القليل النظير ، واحتضى به هذه الخطوة عند العرب كافة . بيد انه حاول ان تكون له مثل هذه المنزلة في النثر فكتب كتاب ليالي سطح وعرب البؤساء لهوغو وخرج بها بعد اكرام السليقة مستقيمين له كما اراد لا كما يُراد . اخطأهما التوفيق الذي كان يتوقعه من نشرهما ، وجاءت عليها سمحة من التمثل ، وهذا ما عاقه الناس بعد ان ابتلوا قروناً بقراءة دواوين المتكافين من الناثرين والناظمين . اما كتابه الموجز في علم الاتمصاد الذي نقله الى العربية مع صديقه خليل مطران بك فكان من اجمل ما نقله الناقلون في العهد الاخير .

واذا كان حافظ قد تخطاه الحظ في منشوره على الجملة ، فذلك لأن من الموضوعات ما تشدد حاجته الى سلاسة في التقرير وسلامة في التعبير ، اكثر من رصف الألفاظ واحكام الجمل . فمن ثم كان حافظ في نثره ضحاناً باهراً لا بناءً ماهراً ، ما كتب له على ممانته في اجزاء بنائه ان يورث النفوس روعة اذا نظر اليه بمجموعه . والرودة في المبني تنبعث من روح الباني ولا تتأق بتعمل واجهاد ، والبلاغة في الاسلوب اكثر ما هي في القوالب وما تعطيه من المعاني .

ولئن عصى بيان حافظ على التبريز في النثر ، فقد كان مطواعاً له اذا حدث وحاضر ،



كانت يسهر الطبقات المختلفة بما يورد عليهم من احاديثه ومردياته ، و يستمعون من معين محفوظه الذي لا ينضب ، اعذب ما ظفر به من كلام القدماء والمحدثين ، وكان بحضور ذهنه ، وغريب بديهته ، على ما يندر في الادباء مثله ، يتسادر بكل ذلك بحسب المجالس التي يصير اليها ، رصيناً في الفاظه ومعانيه ، بارعاً في مختاراته ، يردفها ابدأ بما يواظبها من حاضره الوقت ، يطرب بها نفس الفرح والمكثب ، ويود جلوسه لو طال مكثه في حضرته يتغنى كالليلب الفريد ، وقل جداً في كبار الكتاب والشعراء من حيز لم يبان اللسان كحافظ ، اللهم الا ان كان ما يروي من احاديث انا تول فرانس كاتب فرنسا الاكبر الذي سارت بقصصه وافاكيهه الركبان ، واعجبت بمجالسه الرجال والنسوان .

اطلع حافظ على شعر الافرنج بقدر ما واثته ملكته من اللغة الافرنجية ، اطل منها على ادهم اطلال تنالسة . اما وقوفه على شعر العرب فهناك الامتاع ، وهناك الابداع . وفي الحق انا لانعرف في هذا العصر اديباً عربياً جزل قسطه من جيد المحفوظ كما جزل قسط حافظ من استظهار ادب العرب ، ولا غيره فهو حافظ الادب ، ولكل اسم من مسماه نصيب . كان حافظ يتسقط في احاديثه مع جلسائه ، ياقى على مسامعهم من كل صنف في شاعة ما تحمده حافظه غيره عن ايراده في ايام . يلعب بالعقول والقلوب حتى ينسي سامعيه كل مهم لم . هو جد طروب ، جد لعوب ، لا يميزن الالفقد حبيب ، ولذلك تراه قد جود من وراء الغاية في رثاء من رثاهم من معاصريه ، وهو لا يتكلف الندب لانه سنانق ممن يحب ويحب . وقل ان تنقبض نفسه الا اذا سالت بامته كارثة فيكون في طليعة من يواسيها ، ولا تنهيأ له اسباب القول الا يوم تعرض للقوم كبريات المسائل فتستدعي اشتراكه بطبيعة الحال . وكان لكلامه ابدأ موقع من القبول في القلوب ، لانه مؤمن حق الايمان بما يقول .

كان رحمه الله في الغاية من حسن الوفاء مع كل من عرفه ، يمثل منذ وعى على نفسه الاخلاق الفاضلة والتعاليم السامية ، وتنجلى فيه البطولة وقوة الارادة . ماعهدت فيه كرازة اليد ، ولا خطر بباله جمع المال ، فكان طول حياته كاسباً واهباً ، يسخو سخاء الاغنياء ، وهو في الواقع بانس مقتر عليه ، وربما اخرج من جيبه كل ما يملك من الدرهم فنزل عنه لطالب عطائه لا سيما اذا كان من المتأدبين ، يعطي وهو مفتبط لتلبية الطالب ،

وقيامه بالواجب ، وان اضطرته الحال بعد ساعة الى ان يقترض ديناراً ليظلم به .  
كان حافظ لا يعرف الرياء والمصانعة والدس ، كذلك كان وهو يشكو بؤسه ، وكذلك  
كان وهو عامن من عمال المعارف موسع عليه في الجملة ، وضعف جسمه فكان في اعوامه  
الاخيرة لا يعمل الا مضطراً ساعة من نهار ، اما فكره في شغل شاغل ابدأ بايجاد اللفظ  
اللائق للمعنى البديع . وأصت به الحال بأخرة ان لا يختلف الى مقر عمله الا يوم قبض  
الراتب ثم يعود ادراجه . وكان لا يتأنق في لباسه ولكنه يتأنق كثيراً في طعامه  
وشربه وتدخينه .

هذا ياسادتي حافظ وهذه سيرته وسيره وادبه . لاجرم انه رجل حس عال ، عاش  
في ألم وأمل . ألمه لما أصاب قومه من الاضطهاد ، وألمه ان يرى العرب يقولون من جدم العاشر  
ويستعيدون مجدم الغابر ، وما اصطنع الشعر الاثنته بجماله ، فكان صناعته له استخدمها في أفضل  
المروآت ، وأنبل الغايات . هو غريب في بابيه ، منقطع القرين بين أترابه . ما تنهأ الحياة  
كثيراً ، وما عرف سعادة البيوت ، وعطف البنين ، عاش للمجتمع ، وشقي ليسعد الناس  
وما خلف الا هذا الشعر الخالد ، الذي تنفي الايام ولا تبلى جدته ، وما أجدرنا أن  
نخاطبه وقد هدأ ذلك العصب الحساس ، وسكت ذلك الجرس الفاتن ، وهو رهين حفرته  
يقول أستاذه اسماعيل صبري في راحة القبر :

ان سئمت الحياة فارجع الى الارض	ض تنم آمناً من الأوصاب
تلك أم أحنى عليك من الأ	م التي خلفتك للأتعاب
لا يتخف فاللمات ليس بماح	منك الا ما تشكي من عذاب
كل ميت باقى وان خالف العند	وان ما أنص في غضون الكتاب
وحياة المرء اغتراب فان ما	ت فقد عاد سالماً للتراب

## ✽ حافظ ابراهيم واللغة العربية ✽

« للاستاذ المغربي »

ليس إحتفال بمجمعنا العلمي بتأبين ( حافظ ) وإكبارنا الفجيلة فيه لأنه كان صديقاً لنا : إذ ما كل صديق نحتفل بتأبينه — ولا لكونه شاعراً من شعراء أربعة أو خمسة تعقدُ البلاد العربية عليهم الخناصر — ولا لكونه كان نديماً ظريفاً . ولا أخبارياً محدثاً — بل ولا لكونه من أعضاء مجمعنا العلمي : إذ لم يأخذ المجمع على نفسه أن يحتفل بكل واحد من أعضائه .

الفجيلة في حافظ أيها السادة هي فجيلة اللغة العربية فيه ولم ينشأ المجمع العلمي الا لخدمة هذه اللغة . والحرص على إرضائها : فإذا بكت اللغة بكى المجمع . وإذا صاحت اللغة : وانكلاه واوحيداه صاح المجمع صياحها : وانكلاه واوحيده ! وهذه لغة الضاد في موت ( حافظ ) أقامت مأتماً عاماً شمل بلاد العرب كلها : من طنجة الى السلجمانية : تبكي في مأتمها هذا حافظاً وتندبه .

( أُنبتان<sup>(١)</sup> يبكيه . وتبكي الضادُ من حلب الى الفيحاء الى صنعاء )  
وان اجتماعنا هذا أيها السادة صورة مصغرة للمأتم الكبير الذي أقامته اللغة لتأبين حافظ . وأقولنا في هذه الحفلة إنما هي صدى نديها وعويلها :

( لقد<sup>(٢)</sup> رزئت أم اللغات وحيدها فان لم تكنه فالأب البرء والجداً )  
( ممت تتلوى خلف نعشك كلما دعا باسمها الداعي أجد لها وجداً )  
( فلما بلفت القبر خرت لوجهها نضج وتشكو من تباريحها الجهداً )  
حافظ أيها السادة هو الشاعرُ الشاعر . وهو فوق ذلك أنوي وأخباري .

(١) من مرثية احمد شوقي في حافظ .

(٢) من مرثية احمد محرم في حافظ .

أما كونه شاعراً فأمر لا يبهر أحد . ومن يبهل أن « حافظاً » كان إذا قال شعراً لا يلبث أن تننا قلبه الأفواه . وتتلظّ بحلاوته الشفاء ؟

شعراً حافظ يمتاز بالمعاطفة فيؤاد فيها رقة الشعور . ويمتزج بالنفس فيؤاد فيها ذوق اللغة . ويمتزج باللسان . فيفرس فيه ملكة الفصاحة .

مدارسة كتب الأدب . واستظهار الفصح من نواذر اللغة لا يبخ النفس واللسان ملكة الفصاحة بقدر ما يخبها شعراً كعشر حافظ : نقي اللفظ منسجم الأسلوب مشرق الديباجة . يُعبر عن خواص النفس الوطنية الثائرة ليصفرها بنحو مطامحها العظمى . ويُبهر أجامها الطريق إلى مثلها الأعلى .

شعر حافظ كالمصباح يمشي نورُهُ بين أيدي أبناء أمته . فيهديهم الطريق . لا بعيداً عنهم يمشي وحده . ويتركهم في ظلمات لا يبصرون .

شعراً مثل شعر « حافظ » يجي لغتنا . ويقتق قوميتنا . ويثبت أقدامنا في أوطاننا . كان ( حافظ ) رحمه الله يقول الشعر لخدمة أمته . لا لخدمة شهرته .

وإن فتى عربياً أو فتاة عربية تحفظ من شعر حافظ قصيدة ( غادة اليابان ) أو قصيدة : ( خرج الغواني بحميج - ن وبت أقرب جمهنة )

فستفيد منها ملكة في اللغة الفصحى . وحمية في حب الوطن . أكثر من مئة قصيدة غامضة المعنى . أعجمية الأسلوب .

ولولا أنني أتكلم عن ( حافظ ) من ناحيته القوية لسردت لكم شواهد تؤيدهم أذكرت . على أن أحداً منكم قلما يبهل ذلك من أمره . ومظلمكم يستظهر الكثير الطيب من شعره .

\*\*\*

نحن معشر العرب أصبحنا منذ سنين نهاجم في عقائدنا وفي تقاليدنا وسائر أوضاع اجتماعنا . ولم نحل لغتنا المحبوبة من هذه المهاجمة العنيفة أيضاً : لم نحل من تدين هائل بوائبها . ويحاول القضاء عليها . ذلك التنين هو فكرة مشؤومة ترمي إلى إحياء اللغة العامية وإماتة اللغة الفصحى .

ها هي اللغة العربية في حدود سنة ( ١٩٠٠ ) أي منذ ثلاثين سنة تقف على ضفاف النيل . شاحبة اللون . مرتجفة الأعضاء والهة ذاهلة : تندب نفسها . وتبشكو مصائبها :

( يا ويح أهلي أبلَى تحت أعينهم على الفراش ولا يدرون مادائي )  
 داؤها أيها السادة هو ما خامر نفوس أبنائها من زهدهم فيها . وانصرانهم عنها الى  
 غيرها من اللغات الأجنبية . والى نصرة الفكرة المشؤومة : فكرة إحياء اللغة العامية .  
 تلك الفكرة الممثلة في أحد دهاة الانكليز (المسترويلور) .  
 هبط (المسترويلور) مصر في ذلك الحين . وقام بدعاية واسعة النطاق للغة العامية  
 المصرية . وخطب في الموضوع وكتب . وحاوّر وناظر . وألف كتاباً نشره على  
 المصريين . بدعوم الى فكرته . ويقنعهم بصحة نظريته .  
 وما يؤسف له أيها السادة أن مجيد (ويلور) أنصاراً له من الشعبين . شايعوه على  
 رأيه . وأقاموا ضجة في القطر المصري اهتزت لها البلاد العربية قاطبة . وكادت تكون  
 لويلور ولأشيعائه الغلبة لوم تصدمهم نهضة حياة اللغة الفصحى . وفي طليعتهم فقيدنا بالأمس  
 (حافظ ابراهيم) فيرفع صوته في وسط تلك الضجة . منشداً قصيدته الخالدة . على لسان  
 اللغة الفصحى : تخاطب أبناءها وتسألهم أغائتها . فنقول :  
 ( أيطربكم من جانب الغرب ناعبٌ ينادي بوادي في ربيع حياتي )  
 ( ولوتزجرون الطير يوماً علمتمو بما تجتته من فرقة وشتات )  
 ثم تلوم الصحف على خوضها في هذا الموضوع فتقول :  
 ( أرى كل يوم في الجرائد ضالفاً من القبر يدينني بغير أناة )  
 ( وأسمع للكتاب في مصر ضجة فاعلم أن الصائحين أهاقي )  
 ثم تحضهم على الأخذ بالحزم في دفع الضر عنها :  
 ( فيا ويحكم أبلَى وتبلى محاسني ومنكم اذا عزّ الدواه أساقبي )  
 ( فلا تكلفني للزمان فارقي أخاف عليكم أن تجين ولقائي )  
 ثم ذكرتهم بجدودهم أبطال الجزيرة الذين كانوا يغارون عليها :  
 ( سقى الله في بطن الجزيرة أعظماً بعزّ طيها أن تملن نفاقي )  
 ( أحفظن ودادي في البلى وحفظته لمن بقلب دائم الحسرات )  
 وعاتبتهن على ميلهن الى اللغة العامية المزوجة بالألفاظ الأفرنجية .  
 ( أهبجرتني قومي عفا الله عنهم الى لغتهم لم تتصل بمروات )

(سرت لوثة الافرنج فيها كاسرى لعاب' الافاعي في مسيل فرات)  
 (لجاءت كدوب ضم سبعين رقعة مشكلة الألوان مختلفات)  
 وعادت اللغة الفصحى الى وصف منابها والتساؤل لماذا عفا بها بنوها . وهي لم تقصر في  
 خدمة دينهم وحضارتهم . فقالت :

(ورضت كتاب الله لفظاً وغايةً وما رضقتُ عن آي به دغطاتِ )  
 (فكيف أضيع اليوم عن وصف القر وتسيق اسماء المخرعات )  
 (أنا البجرُ في أحشائه الدر كامنٌ فهل سألوا الغواص عن صدفاقي )

ثم عبرت أبناءها بالغريبين الذين عرّوا ولما عرّيت لغاتهم فقالت :

(أرى لرجال الغرب عرّاءً ومنعاً وكم عرّوا أقوامٌ بعزّ لغاتِ )  
 (أتوا أهلهم بالعجزات تفندناً فبإيتكم تأتون بالكلماتِ )

ثم ختمت شكواها بتقديم إنذارٍ مخيف الى الكتاب الحسني الظن بلغات الافرنج  
 وآداب الافرنج . فبالت :

(الم معشر الكتاب والجمع حافلٌ بسطت رجائي بعد بسطه شكاتي )  
 (فإما حياة تبعدُ الميتَ في البري وتذبتُ في تلك الروس رفاقي )  
 (وإما مماتٌ لا قيامة بعده مماتٌ لهمري لم يُقس بماتِ )

كانت هذه القصيدة من شعر (حافظ) من أخصى الأسلحة التي شهرت في وجه  
 (المسترويلور) فأخفقت دعوته . وطويت رايته . ونكص على عقبيه الى بلاده .

وكان أمير الشعراء (احمد شوقي بك) يُشير الى هذا الموقف المحمود الذي وقفه  
 (حافظ) في وجه دعوة (ويلور) فقال في رثائه له :

(يا حافظاً الفصحى وحارس مجدها وإمام من تجلت من البلغاء )  
 (ما زلت تهتفُ بالفصحى وفضله حتى حيت أمانة القدماء )

وكما حنق (حافظ) على (ويلور) حنق أيضاً على المستر (بلنت) الانكليزي الذي  
 اشتهر في الدفاع عن القضية المصرية ضد قومه الانكليز : فان هذا المستر كان يرفع من  
 شأن القمص العربية السخيفة العبارة ويقول عن قصة (بني هلال) انها نوع من القمص  
 المسعى (إبيك) وانها ولياذة عربية صغيرة .

فما كان قوله هذا لِيَسُرَّ (حافظاً) بل كان يحسبه خدعةً ودعوةً الى اللغة العامية .

\*\*\*

ثم إن فوز (حافظ) في هذه المعارك نشطه الى متابعة العمل في نصرة اللغة . فاستمرَّ يُجيبُ فصيحاً . ويُنثر الدرّ من كلماتها الى آخر نسمة من حياته . بل كان في مجالسه . وبين طلاب الأدب المطيفين به — كأنه (استاذٌ سيّار) يصحح أغلاطهم . ويرشدهم الى الفصح من القول . والصحيح من الأساليب :

قال الدكتور (زكي مبارك) ما ملخصه :

استنشدني (حافظ) يوماً شيئاً من شعري فأنشدته قولي :

(يا من يعزُّ علينا أن نجازهم صدّاً بصدّة وإغضاءً باغضاءً)

ونطقتُ (يعزُّ) بكسر العين فقال (حافظ) يظهر يا مبارك أنه يحسن أن تقول (يعزُّ) بفتح العين لأن (يعزُّ) هنا بمعنى (يشقُّ) لا بمعنى (صار عزيزاً) حتى تكسر العين ومع هذا أرجوك أن تراجع القاموس . قال فراجعتُه فوجدته يقول بجواز الوجهين : الكسر كما قلت أنا . والفتح كما قال حافظ . قال الدكتور : ومع هذا فقد استفدتُ من حافظ فائدتين : (١) اللطف في تصحيح أغلاط الإخوان . و (٢) الشعور بقيمة الدقة في نطق كلمات اللغة : إذ كان من رأي حافظ أن نخص (يعزُّ) المفتوح العين لمعنى يشقُّ والمكسور العين لمعنى صار عزيزاً .

\*\*\*

ولا يخفى عليكم أيها السادة أن الجامعات العلمية اللغوية إذا كانت إنما أنشئت لغرض حماية لغة الوطن — فإن (حافظ ابراهيم) عضو من أعضاء مجامعنا اللغوية بفطوره . وبنابل من غيرته علي لغته .

قال الدكتور (حسين هيكل) « إن لحافظ ميلاً شديداً الى أن يظهر اللغة العربية في كمال قوتها . وأنها تضاهي أحدث اللغات صقلاً وحياءً . وهو يهزأ بالزاعم التي كانت توجه اليها من أنها لغة قديمة عاجزة عن ان تجاري الحياة الحديثة اه) .

وقال الشيخ عبد العزيز البشري في مرآته :

(ولا ننس لحافظ بدأ جليلاً علي اللغة العربية : فلقد طالما استخرج من تجرّته واللغة

صيفاً طريفةً بديغةً أدت كثيراً من المعاني التي تحرك في أنفس الناس . وبعي أدائها على  
الاقلام ) .

\*\*\*

أما مقدرة ( حافظ ) اللغوية العملية فتجلى لنا في الالفاظ الفصيحة التي كان يودعها  
قصائده ومصنفاته . وقد شهد له بهذه المقدرة ( الشيخ ابراهيم اليازجي ) : فقد كان يستييد  
ذوق حافظ في اللغة . واختيار فصيح كما أنها .  
وقال الشيخ عبد العزيز البشري ايضاً :  
« إن ( حافظاً ) لا يرى جلال الشعر وبهاءه في التعلق بدقائق المعاني : لأن هذه المعاني  
تقع للدهاء والعامه . وانما جلال الشعر وبهاؤه في إشراق الديباجة . ونصاعة القول » .  
وقال خليل بك مطران :

« لحافظ غرام باللفظ لا يقل عن الغرام بالمعنى : وهو يؤثر البيت الذي جاد لفظه على  
البيت الذي جاد معناه . فاذا فاته الابتكار في تصور المعنى . لا يفوته الابتكار في تصويره  
باجزل الألفاظ . وأبلغ الأساليب » .  
إذن يمكننا القول بان ( حافظاً ) كان لغوياً من الوجهة العملية التطبيقية كما كان  
لغوياً من الوجهة العاطفية القومية .

\*\*\*

وكثيرون من نقاد الأدب المعاصرين حمّدوا الله على ان كان أسلوب ( حافظ ) في  
شعره . غير أسلوبه في نثره : فقد كان رحمه الله يتأنق في شعره مع مراعاة السهولة  
والسلاسة . أما في نثره فأمره على العكس : كان يتأنق فيه وينصب نفسه في انتقاء  
كلماته . لكنه لم يوفق الى جعله سهلاً سلساً . فلم يعد نثره مقبولاً الا لدى الخاصة  
وجهاذة الأدب .

على أن بعضهم مهّد لحافظ طريق العذر : كالدكتور لطفي جمعة فانه قال :  
« ان ( حافظاً ) على كلِّ قد أحسن الى قراء العربية وكتابها : وذلك لأنه أنهع  
أسلوب الكتابة . وحفز الهمم للبحث عن الألفاظ الجزلة . وأثر في كتابة الصحف  
أثراً نافعا » .



ثم إن عناية (حافظ) باستعمال غريب اللغة كان على أشدته في ترجمة (البؤساء) فلم يُرض ذلك أنصار الأدب الحديث . وإنما أَرْضَى أنصار الأدب القديم كالشيخ محمد عبده فإنه رحمه الله كان يُهَيِّبُ بكتابة حافظ وما تضمنته من الألفاظ الجزلة وكان يقول : « ان كان بؤس حافظ هو الذي أدتني إلى استخراج كتاب (البؤساء) فدعو الله أن يريده بؤساً حتى يزيدنا من هذا الأدب الجميل » .

\* \* \*

ولا غرو أن يرحب بجمعنا العلمي بنشر (حافظ) كما رحب به الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده . لأننا معشر أعضاء المجمع أول ما يهمننا من الآثار الأدبية ان تكون لغتها صحيحة . وأن تستوعب من روائع كلمات اللغة ما كاد يميته الجهل . ويطمس عليه شيطان الشعبية .

واللغات أيها السادة ! كما تنمو باضافة كلمات أجنبية اليها تنمو باحياء القديم الفصيح من كتابها .

وتد تظن (حافظ) الى هذا فأودع مصنفاته الكثير الطيب من تلك الكلمات . فكتابه (الاقتصاد السياسي) ألفه أو ترجمه (مع صديقه خليل بك مطران) ليثقف الطلاب على هذا العلم . وبقدر لم تواعده . لكنه أودعه من (الألفاظ الكتابية) ما جعله كتاب أدب ولغة . أكثر مما هو كتاب دلم واقتصاد . وكذلك شأنه في كتابه (سليح) الذي نقد فيه أحوال المصريين وأفرغ حوادثه في قالب قصة نسب روايتها الى من سماه (سليحاً) . فالكتاب إذن رواية قصصية وكان ينبغي ان تستجمع شرائط القصة وليس من شرائطها أن تكون بهذه الأساليب الفخمة . وأن تحتوي هذا القدر من الألفاظ الجزلة .

وهذا كتابه (البؤساء) الذي نقل فيه الى العربية بؤساء (فيكتور هيكتور) . وفيكتور هيكتور جعل أبطال بؤسائه من طبقات مختلفة . وجعل كل بطل منهم يتكلم باللهجة التي اعتادها طبقته . فالسوقى العامي مثلاً لا يتكلم بلغة العالم الأدب . ولا العكس . وطريقة (هيكتور) هذه مطابقة للمبدأ الذي قرره أديب العرب الأكبر (الجاحظ) في كتابه الحيوان : من أن الواجب في نقل عبارات السوق وألفاظ العامة أن تُتروى كما هي

أي مغلوطةً لمخونةً والا ذهب رونقها وضمف تأثيرها .

وشاعرنا (حافظ) رحمه الله كان كلفه بفتح الـ لغة وجزل ألفاظها يجعله على أن يترجم كلام السوقة من أبطال البؤساء بعبارة نغمة الألفاظ لا ينطق بها عادة إلا النحماء . فالبناء الذي يبني رصيف الشارع إذا أراد أن يتكلم هل ينطق بكلمات ( تيا من ثم تياسر ) و ( ركب الحجّة ) و ( ما أخلقك يا فلان بكذا ) . هكذا ( حافظ ) ترجم لنا كلام البنّاء الافرنسي .

ورصف لنا فرساً بأنه ( سحير . عذلب . أهنع . أدك . مة فوح اللبان ) و ( فلان لبث معلّماً بجيطة من الأجل تحت شقيّ متّصّ الفناء ) . وكذلك استعمل كلمة ( أجرة ) بمعنى أدركه العجز و ( بسلى ) بمعنى حرام و ( انتعل آدم الأرض ) أي سار بلا حذاء . و ( تناهل تناهل ) بمعنى جماعات جماعات . الى غير ذلك مما حمله ولوعه به على استعماله في غير مواطنه . مواطن هذه الكلمات كتب الأدب و ( المقامات ) . لا القصص والروايات . لحافظ بهذا الاعتبار مخطى لغويّاً كاتباً . بل كاتباً مقاماتياً قديماً . لا كاتباً روائياً حديثاً .

أما هو في الشعر فعلى العكس : اذ كان لا يستعمل غريب اللغة بكثرة تدل على شره زحره . فن ثم لم يكن لغويّاً في شعره . كما كان لغويّاً في نثره . ولكن هذا الشره الى غريب اللغة في النثر إن كان ساء أقواماً فإنه لم يكن ليسوء مجتمعا العلمي الذي يحرص على أن تجي اللغة العربية بالحياة النصيب من كتابتها . والقديم الرائع من تعابرها .

لذلك كانت فجيعة الجامع اللغوية بحافظ من جهة لغته ونثره . تعادل بل تفوق فجيعة الأمة العربية به من جهة نغمه وشعره .

\*\*\*

وصفنا لكم أيها السادة (حافظاً) العذو في مجامع اللغة والأدب أما (حافظ) العذو في مجالس الأئس والطرب فاليكهم طرفاً مما يتسع له المقام :  
يظهر أن أهل (حافظ) تنبأوا بوم ولادته بأن سيكون أولودهم كثير الحفظ لأخبار العرب وأشعارهم ومستلمح نوادرهم فسموه (حافظاً) .

روى أصدقاؤه (حافظ) أنه كان يعمل على وضع مُصنّفٍ في المُرْقَص من شعر العرب : يختار فيه لكل شاعر بيتاً من أروع أبياته وقد جمع مواد ذلك الكتاب . حتى بلغ نصفه . فاختار لبعض الشعراء مثلاً قوله :

( ولا بدّ لي من جهلةٍ في وصاله      فهل من كريمٍ أودع الحلم عنده )  
واختار لغيره غيره وهكذا .

وان اتساع (حافظ) في حفظ بليغ أشعار العرب على هذه الصورة أثر فيه . ذوقاً في اللغة العربية . فكان أتقى الشعراء المعاصرين عبارة . وأصحهم تركيباً . وأكثرهم تدقيقاً في اختيارِ الفصيحِ الرائعِ من الألفاظ .

وليس هذا فقط بل إن حفظه لأخبار العرب جعله نديماً ظريفاً ؛ غير مملول المجلس . ولا مأجوم الحديث .

وقد استحسن الدكتور (زكي مبارك) ان نطلق على (حافظ) ومن كان على شاكلة من حفاظ أخبار العرب — كلمة (محدث) قال : وهو الذي يسميه الفرنسيون (Causeur) وأنا لا أوافق الدكتور على ما قال : لأن لقب (المحدث) غلب في لغة الاسلام على راوي أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وان في آدابنا العربية كلمة أخرى أحق بالقبول وأجدر وهي كلمة (أخباري) نسبةً الى التجر في الأخبار . والاتساع في الرواية .

وقد كان (الجاحظ) أكبر (أخباري) قام في الاسلام . وبمده المسعودي والمحسن التنوخي صاحب نشوار المحاضرة وغيرهم كثيرون .

وسمّي (الجاحظ) هذا العلم (علم الخبر) وأثر عنه أنه قال (علم الخبر هو علم الملوك) . وعى هذا يمكننا أن نقول : إن حافظاً كان أكبر المعاصرين في (علم الملوك) عندنا . كما كان (أنا تول فرانس) أكبر أستاذ في هذا العلم عند الفرنسيين .

وكان (حافظ) رحمه الله يعرف من نفسه التفوق في هذا العلم : استأذن يوماً على المغفور له (سعد زغلول) وكتب اليه هذين البيتين :

( قل للرئيس جزاء الله سالحةً      بأن شاعره بالباب ينتظر )  
( إن شاء حدّثة أو شاء أتحفه      بكلّ نادرةٍ تُروى وتُبسّكر )

وقد اتفقت كلمة من ترجم لحافظ كما اتفقت كلمة فضلاء دمشق الذين حضروا مجالسه

في زيارته الأخيرة للبدم — أنه أبرع أخباري وأطرف نديم عرفوه في حياتهم .  
ولولا وقار ( مأمم التأبين ) لروينا لحضراتكم شيئاً من لمحه الأديسة مما يدل على  
شدة ذكائه . وقوة حفظه .

\*\*\*

على أنني مهما أغفلت ذكر خبر من أخبار حفظه . لا أحب أن يفوتني ذكر خبر  
مستغرب اتفق له مرة في نسيانه :

ذلك أن ( حافظاً ) يحفظ أخبار الأولين والآخرين ويروي ما يحفظه بكل دقة  
وتثبت . ولكنه مع هذا ذهل مرة عن خبر ( قصر الجزيرة ) الذي كان للتغديوي  
اسماعيل ثم اتخذ فندقاً لكبار السياح ثم صار قصرآ لآل لطف الله — فروى لنا ( حافظ )  
أن هذا القصر أصبح ( بستان حيوان ) . وذلك قوله من قصيدة<sup>(١)</sup> وصف فيها ذلك القصر :

( كنت بالأمس جنة الحوريات — مر فأصبحت جنة الحيوانات )

مع أن الذي تحول إلى ( جنة حيوان ) إنما هو ( قصر الجزيرة ) لا ( قصر الجزيرة ) .  
والهمري إن نسيان ( حافظ ) ظير هذين القصرين اللذين هما على مرعى سهم من  
نظراته . وطالما لهما في غدواته وروحاته — أمرٌ مستغرب جداً نرديه في غرائب أخباره  
بعد مائة . كما كان رحمه الله يروي غرائب أخبار من كان قبله في حياته .

وهذا النسيان من ( حافظ ) يشبه ما روي عن الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده أنه

استأذن يوماً على بعض إخوانه . فسأله الحاجب عن اسمه . فأطرق بتذكر .

رحم الله ( الشيخ عبده ) ورحم ( حافظاً ) . وهل ترون الزمان . أيها الإخوان .

يُخالف علينا مثلها في العلماء والشعراء ؟ إن فعل نكح حقاً من السعداء .



(١) هذه القصيدة منشورة في ديوان حافظ المطبوع سنة (١٩٠٧) ولم أجدها في

ديوانه الذي طبع سنة (١٩٢٢) .

﴿ قصيدة الاستاذ شفيق بك جبري ﴾

- - -

سدوت عاماً على كرهه تعانيتها	هدأت عنها ولم تهدأ لبايتها
مازلت منها على بأس تغالبه	حتى طواك على الأشجان طابيتها
فاطرح شدائدك عن كاهل دمدت	من جانبيه ولم تهدم عواديتها
ياوقفة لك في افياثها انحدرت	عنك العواطف مفرغها وشجبتها <sup>(1)</sup>
ناجيت فيها صبغاً ولت نواعمه	بدلت شينوخة منه تناجيتها
فتوة ملكت بؤساً نفاذتها	وكبرة أقمعت سقمًا حواسيتها
أهبت بالموت من سقم ومن شين	كأنما الموت آمال تناغيها
فتم دنيئاً فلا جسم ترازحه	تلك الشجون ولا تنس تغاديتها

\* \* \*

غنت قوافيك بالاحزان مأجبة	تكاد تنطق عن بؤس اغانيها
على قريضك من أنانها أثر	اراه يفصح عن انصى مراحيها
ما في اغاريدها ان ناح ناظمها	الا نهاو بل من شكوى تزجيها
تجهتمك الليالي في تصرفها	ففاض شعرك في الافاق تأويها
فما تمليت في يوم مضاحكها	ولا تمليت الا في مباكها
أعنت في طلب الدنيا فما ابتست	لك الحياة ولا هشت امانيتها
سعت بك القدم المشؤم طالها	فلم تؤد الى نبح ماسعها
على نعالك من تبريحها دفع	من نائف الدم لم تنشف جوارحها

(1) اشارة الى قوله رحمه الله :

وقد وقفت على السنين أسألها  
أسوفت أم أعدت حراً كنفاني

حتى وددت لو ان النفس عاد بها  
أو كان في مسبح الحيتان مطرحها  
المانوية لم تعتق مذاهبها  
لله شعرك كم حاجت هواجبه  
قذفت منه على السودان طائفة  
لوحنوا البؤس في شعر نرده  
ودعت دنياك تودبها تفرقه  
فما لعينيك في الألائها انس  
كأنما قبرك المأنوس متسع  
العبرية ما زالت معذبة

\* \* \*

لكن نفسك لم تصرع جوانبها  
هزات بالمر لم تعباً بغمته  
داويت بالكأس آلام الحياة وهل  
لقبتها ضرة الاحزان زاكية  
الكاس والطاس والصباء مائلة  
شنت شمل الليالي في تناولها  
لئن نظرت الى الدنيا وبهجتها  
لقد خلعت على الأحران مشرقة  
وما الحياة اذا اسودت جوانبها  
خير من العمر ممدوداً سرادقه  
لله مجلسك المحشوك كم طربت  
فقد تكون حزين البال متعبه  
تلك الأحاديث قد ذقنا حلاوتها

ظلاء من خيبة الآمال تبرها  
وعشتها عبثة طالقاً نواحها  
بغير اشراقتها قلب بداويها  
غراسها مستطابات مجانبها  
في شعرك الطلق تزهى في مزاهبها  
على رخيم من الأنغام تحيها  
بقلة ما رأيت الا مساويها  
من الحبور طوت من شجوا شاجبها  
وما الليالي اذا لم يصف صافبها  
على الأسى لحظة تحلو ثوابها  
فيه القلوب وكم بشت بواكبها  
وقد نراك نصحوك العين ساجبها  
في كل نادرة سحر يحلبها

تزداد حسناً اذا ازدادت روايتها رقيقة سكبت من روح راويها

\* \* \*

لكن روحك ان جدت وان هرات  
غنت بوادي الحلى في فجر نهضته  
قد كنت بلبلها الغريد هيمه  
أحببت مصر وسارت في محبتها  
يجول فيها هوى الفسطاط مزدحماً  
أبقت منها غفاة في مضاجعهم  
كم أمة رست في القيد أطلقها  
أمضك الجرح في احشاء عترتها  
اردتها حرة لا النير يثقلها  
فما تخوفت الا لعب لاعبيها  
فكم بكيت على مصر وحاضرها  
جادت لها عينك الريا محاجرها  
اذا سكت فلم تأمن هواتها  
آسيتها يوم دنشواي وروعه  
جلد وشنق وفي الامرين مهزلة  
كشفت عنها غطاء كان يسترها  
فصحوا بشعب بديلاً من قتلهم  
ويج الحضارة كم راقظ ظواهرها  
في طيها الموت خفاق سبائبه  
ذئب تلف في جلد الشياة وهل  
خير من العلم جهل لا يشنعه

لم تنس مصر ولم تهمل مغانيها  
وخاضت النهضة المحدر واديها  
غول على مصر محتل روايتها  
قصائد من عباب النيل ترويتها  
على فؤاد عناء خطب أهلها  
والشعر بوقف في الأقوام غافها  
من القيود فلم تملك نواصيها  
فكنت في شعرك الريان آسيتها  
اذا تهادت ولا الأصفاة توهيها  
ولا تحشيت الا هو لاهيها  
وكم حنوت على مصر وياقيها  
بالؤلؤ الرطب من حال تعانيتها  
وان نطقت فلم تأمن منافيتها  
يابوم دنشواي ما أبقى الأذى فيها  
تلك الجنائيات باسم العدل جانيتها  
حتى تمثل للعينين قاسيتها  
تلك الجراحات لم تضمد دواميتها  
هذي العيون وكم ساءت خوافتها  
مكشوفة عن صحاياها محاييتها  
يخفي الذئاب طلاء في مغاطيها  
عسف الشعوب وهزه من اضاحيتها

\* \* \*

ماكان شعرك الاوحى عاطفة	ظل الجزيرة والاهرام موحيا
عليه من مضر الحمراء منزعة	محبوكة الوشي مرصوص مبانها
لئن جنت مصر ارض الشام واطرحت	هوى العروبة كم انبت جافها
صالحتم جلق لم تنقض موافقها	على البعاد ولم تنكث اواخها
فان بكتك على جرح تعالجه	فقد رأيتك على الاهرام تبكيها



### خطاب فنصل مصر

« في حفلة تأبين حافظ »

ألقي سعادة فنصل مصر في بيروت في الحفلة التأبينية لشاعر النيل المرحوم حافظ بك  
ابراهيم الخطاب الآتي :

دولة رئيس الوزراء — سادتي

ليس هذا يوم مصر فقد قامت مصر بقسطا من واجب التأبين واحياء ذكرى الراحل  
العظيم ولم يبق فيها صغير ولا كبير الا اشتراك بقلبه أو لسانه في تمجيد شاعر النيل بل  
شاعر الشرق المغفور له حافظ بك ابراهيم . وانما اليوم بومكم . يوم سوريا الخالدة ورجالها  
الأبجاء ، يوم حماة العربية اتمجيد ذكرى شاعر العربية . وعلم النهضة الفكرية . وحامل  
لواء الشعر في البلاد العربية . . . اليوم بومكم فليس لي ان اطيل الكلام بينكم وقد وفي  
خطباؤكم المقام حقه فأجادوا وأبدعوا . وانما وقفت لاعبر لكم عن خالص شكري  
وتقديري لشعوركم واعتباطي لما تظهره سوريا دائما نحو شقيقتها مصر من العطف والود  
والاخلاص . ويزيد اعتباطي وسروري ان هذه المظاهرة لا تبدو في ناحية واحدة من  
نواحي الحياة بل تبدو في جميع الظروف والمناسبات فلا تمر فرصة أدبية كانت أو عملية



اقتصادية أو تجارية ، اجتماعية أو سياسية لا تظهر فيها تلك العواطف بأجلى وضوح . . .  
 ولا شك ان هذا الود المتبادل هو أكبر عامل من عوامل التقارب بين البلادين كما ان مثل  
 ما نحن مجتمعون له اليوم لداثره الفعال في زيادة الروابط الروحية والنفسية بين الشعبين الشقيقين  
 شعب سوريا وشعب مصر . . . عاشا صديقين تؤلف بين قلوبهما عواطف الولاء والحب  
 والإخلاص .

ولا يفوتني ان اسديع اجمل الشكر لحضرات رئيس واعضاء المجمع العلمي الذين  
 بكرمون في الراحل الكبير لابين مصر فقط ولاشاعرها الفذ بل بكرمون فيه فقيده اللغة  
 العربية وفقيد الشرق باجمعه كما واني أشكر حضرة صاحب الدولة حقي بك العظم رئيس  
 الوزارة السورية على تعطفه بوضع هذه الحفلة التاريخية تحت رعايته السامية .

قراران في تأليف  
«المجمع العلمي العربي»  
( ١ )

قرار (١٣٥)

بوضع القانون الأساسي للمجمع العلمي العربي والمكتبة الوطنية  
في دولة سورية

ان رئيس مجلس الوزراء

بناء على القرار رقم ٢٩٨٠ بتاريخ ٥ كانون الأول سنة ١٩٢٤ القاضي بتأسيس دولة سورية

وبناء على قرار تعيينه رقم ١٨١٢ بتاريخ ١٤ شباط سنة ١٩٢٨ .

وبناء على قرار صلاحيته رقم ١٨٢٤ بتاريخ ١٥ شباط سنة ١٩٢٨ .

وبناء على القرار رقم ٢٨٣ بتاريخ ١٥ آذار سنة ١٩٢٦ القاضي بوضع نظام الجامعة

السورية وفصل المجمع العلمي العربي عنها .

وبناء على اقتراح وزير المعارف .

« بقرار »

المادة الاولى المجمع العلمي العربي جمعية علماء غايتها ومهمتها حفظ اللغة العربية

وترقيتها والتدقيق في البحث عن تاريخ سورية وتاريخ اللغة العربية .

المادة الثانية مركز المجمع العلمي العربي في دمشق ويمكن ان يكون له شعبة في

حلب واعضاء مراسلون في البلاد المشمولة بالالتداب والبلاد الأجنبية .

المادة الثالثة يشرف المجمع العلمي العربي على دور الأناز في دولة سورية من

الوجهة العلمية .

المادة الرابعة يربط المجمع العلمي العربي ادارة بوزارة المعارف .

ان وزير المعارف مكلف بدرس الأمور المتعلقة بالمجمع العلمي ولا سيما الأمور التي يجب ان تعرض على رئيس الدولة أو المفوض السامي ( فن هذه الأمور ) .  
 (١) بهي الوزيز جميع قرارات رئيس الدولة المتعلقة بنظام المجمع أو تعيين رئيسه واعضائه . وهذه القرارات تعرض على المفوض السامي للمصادقة عليها .  
 (٢) يدقق في مطالب رئيس المجمع العلمي بشأن الاعانات ويرسلها الى رئيس الدولة مشفوعة بملاحظاته .

المادة الخامسة بدبر المجمع العلمي رئيس ينتخب بالتصويت السري لمدة ثلاث سنوات من بين الأعضاء وبناء على اقتراح زملائه يجوز تجديد انتخاب الرئيس .  
 المادة السادسة يساعد رئيس المجمع العلمي مجلس مؤلف من جميع الأعضاء . أعضاء المجمع العلمي عشرون .  
 وعند ما يتوفى أحد الأعضاء أو يقدم استقالته ينتخب مجلس المجمع خلفه ولا يصح هذا التعيين مبرماً الا بعد موافقة رئيس الدولة وتصديق من المفوض السامي .  
 يجتمع مجلس المجمع العلمي مرة في السنة بجلاسة اعتيادية بناء على دعوة الرئيس الذي يمكنه ان يدعوه ايضاً للاجتماع في جلسة غير اعتيادية .  
 وعدا ذلك فانه يساعد الرئيس عضوان اداريان دائمان ينتخبهما المجمع ضمن الشروط نفسها التي ينتخب بها الرئيس .

المادة السابعة يدرس المجمع العلمي جميع المسائل المتعلقة بالمجمع ليرتد لها الى وزارة المعارف فن هذه المسائل تهينة الموازنة والنظام الداخلي وبرناج مباحث التاريخ والالسنه والنشر والمطبوعات التي يجب القيام بها وادارة المكتبة الوطنية في دولة سورية الخ . . .  
 يبيدي المجمع العلمي امانيه ومطالبيه المتعلقة بالحفر أو بالمباحث الأثرية التي تظهر له ضرورة القيام بها وبالتمثيل والاشترك في المؤتمرات العلمية الدولية .

المادة الثامنة تحدد فيما بعد بقرار خاص الشروط التي يجب بموجبها على المؤلفين والناشرين وأصحاب المطابع والمكاتب أن يقدموا الى المكتبة الوطنية ثلاث نسخ من كل كتاب أو صحيفة أو جريدة أو مجلة مطبوعة في دولة سورية أو من تأليف وطني سورية ومعدة للبيع في دولة سورية .

المادة التاسعة يتمتع المجمع العلمي بالشفعية المعنوية وله زيادة على ذلك استقلال في ميزانيته وتتكون واردات موازنة المجمع العلمي من محصول العطايا والاعانات التي تجود بها دولة سورية .

أما النفقات فانها تشمل ما يأتي :

• راتب الرئيس والعضوين الاداريين .

• راتب موظفي الادارة والخدمة الذين يدخل في عدادهم موظفو المكتبة .

• التعميمات الخاصة التي تعطى بعد قرار وزاري الى الأعضاء للأبحاث والمحاضرات

التي يكلفهم بها المجمع -

• حفظ المرفوشات والأماكن والأجرة والتنوير والتدفئة وفرش الأماكن المعينة

• للمجمع ولشعبه والمكتبة الوطنية .

• نفقات نشر الكتب والمخطوطات القديمة مع اعمال المجمع . نفقات المراسلات

والاشترك والنشريات .

• نفقات اشترك وتمثيل المجمع العلمي في المؤتمرات الدولية العلمية وذلك بعد موافقة وزير

المعارف وقرار رئيس الدولة .

• ايجاد جوائز لمكافأة اعمال اللغة والتاريخ وتاريخ اللغة والآثار .

• شراء كتب مطبوعة ومخطوطة للمكتبة الوطنية . والعناية بتجليدها وحفظها ووضع

فهرس عام للمكتبة .

• ينفذ تنظيم هذه الموازنة التي بصدها رئيس الدولة بناء على اقتراح وزير المعارف

طبقاً لقواعد المحاسبة العامة .

• يقوم رئيس محاسبة وزارة المعارف بدون راتب اضافي بوظيفة محاسب المجمع العلمي العربي

أحكام التطبيق

المادة العاشرة ان جميع موافقات رئيس الدولة المنوه بها في هذا النص تصدر

بصورة قرار .

المادة الحادية عشرة ان الرئيس والعضوين الاداريين الدائمين الموجودين الآن في

وظائفهم يقعون على رأس وظائفهم مدة ثلاث سنوات اعتباراً من نشر هذا القرار .

المادة الثانية عشرة تلتفي أحكام النصوص النظامية المتعلقة بإدارة المجمع العلمي المخالفة لهذا القرار وعلى الأخص القرار رقم ١٣٢ المؤرخ في ١٥ حزيران سنة ١٩٢٣ .  
 المادة الثالثة عشرة ان وزير المعارف ووزير المالية مكلفان بتنفيذ هذا القرار الذي يطبق اعتباراً من يوم نشره للأعمال الادارية ومن ابتداء كانون الثاني سنة ١٩٢٨ من الوجهة المالية .  
 دمشق : في ٨ أيار سنة ١٩٢٨ .

وزير المعارف شوهد مندوب المفوض السامي رئيس مجلس الوزراء  
 محمد كرد علي دبايله دبلوج محمد تاج الدين الحسيني  
 شوهد وصدق في ٨ أيار سنة ١٩٢٨ تحت رقم (٦٧٠)  
 المفوض السامي (بونسو)

— ٢ —

قرار رقم (١٤٠٩)

ان رئيس مجلس الوزراء بدولة سورية  
 بناء على قرار تأسيسها تاريخ ٥ كانون الاول سنة ١٩٢٤ رقم ٢٩٨٠  
 وعلى قرار تعيينه رقم ١٨١٣ بتاريخ ١٤ شباط سنة ١٩٢٨  
 وعلى قرار صلاحيته رقم ١٨٢٤ بتاريخ ١٥ شباط سنة ١٩٢٨  
 وعلى القرار رقم ٢٨٣ القاضي بوضع نظام الجامعة السورية  
 وعلى القرار رقم ١٣٥ تاريخ ٨ أيار سنة ١٩٢٨ القاضي بوضع نظام المجمع العلمي  
 وعلى القرار رقم ١١٣ القاضي بوضع ملاك التعليم العالي . وحيث ان التقلب في ادارات  
 المعاهد العلمية الكبرى يحول دون رقيها .  
 وبناء على اقتراح وزير المعارف

« بقرر »

المادة الاولى تبديل المادة الثالثة من القرار رقم ٢٨٣ تاريخ ١٥ آذار سنة ١٩٢٦  
 بالأحكام الآتية :

المادة (٣) يدير الجامعة السورية رئيس يعين بقرار من رئيس الدولة بناءً على اقتراح وزير المعارف وينتخب من أساتذة التعليم العالي ولا يجوز ان يجمع بين وظائف أخرى ذات راتب يدفع من موازنة الدولة أو موازنة ملحقة بها .

المادة الثانية تبديل المادة التاسعة من القرار رقم ٢٨٣ تاريخ ١٥ آذار سنة ١٩٢٦ بالأحكام الآتية :

المادة (٩) يدير كلاً من معهدي الطب والحقوق رئيس ينتدبه رئيس الدولة بقرار الى مدة خمس سنوات بناءً على اقتراح وزير المعارف .

ينتخب رئيس لكل معهد حتماً من بين المرشحين الذين يقترحهم مجلس المعهد ذي العلاقة من جهة ومجلس الجامعة من جهة أخرى . وكل من هذين المجلسين ينظم بهذا الشأن لائحة تحتوي على ثلاثة أسماء مرشحين من بين الاساتذة القائمين على رأس العمل في المعهد ومن الممكن تجديد مهنة رئيس المعهد .

المادة الثالثة يعين رئيس المجمع العلمي بقرار من رئيس الدولة بناءً على اقتراح وزير المعارف الى مدة خمس سنوات . وينتخب من لائحة تحتوي ثلاثة أعضاء في المجمع يهيئها المجمع المذكور باجتماع عام . ومن الممكن تجديد مهنة رئيس المجمع العلمي .

المادة الرابعة يمكن انهاء مهنة رئيسي المعهدين ورئيس المجمع العلمي العربي بناءً على اقتراح وزير المعارف بموجب قرار من رئيس الدولة تبين فيه الاسباب الموجبة . كل رئيس معهد أو رئيس مجمع علمي يعزل من مهنته لا يمكن ان يكون فيما بعد موضوع انتخاب رئيس الدولة الا بعد مضي خمس سنوات .

المادة الخامسة يتقاضى رئيس الجامعة السورية ورئيس المجمع العلمي الراتب المنصوص عليه بالقرار رقم ١١٣ ويتقاضيان ايضاً باسم نفقات تمثيل تمويضاً شهرياً قدره خمسون ليرة سورية لبنانية .

ويتقاضى رئيسا معهدي الحقوق والطب عدا الراتب الخاص بكرسيها المنصوص عليه بالقرار رقم ١١٣ تمويضاً شهرياً قدره خمسون ليرة سورية لبنانية .

المادة السادسة تلغى أحكام القرارات رقم ٢٨٣ و١٣٥ و١١٣ فيما هو مخالف لهذا

القرار .

المادة السابعة وزير المعارف والمالية مكفان كل بما يئنه بتنفيذ هذا القرار .  
دمشق : في ايلول سنة ١٩٢٩

وزير المعارف وزير المالية شوهد - المندوب رئيس مجلس الوزراء  
محمد كردعلي محمد جميل الالشي (بروير) محمد تاج الدين الحسيني  
شوهد وصدق بتاريخ ٧ ايلول سنة ١٩٢٩ تحت رقم (١٢١٤)  
عن المفوض السامي  
التوقيع (بيترو)

### قرار رقم ٣٣٧٦

ان رئيس مجلس الوزراء

بناء على القرار رقم ٣٩٨٠ بتاريخ ٥ كانون الاول سنة ١٩٢٤ القاضي بتأسيس دولة سورية  
وبناء على قرار تميمته رقم ١٨١٢ في ١٤ شباط ١٩٢٨ .  
وعلى قرار صلاحيته رقم ١٨١٤ في ١٥ شباط سنة ١٩٢٨ .  
وبناء على قرار رقم ١٣٥ القاضي بوضع نظام المجمع العلمي . وبناء على اقتراح وزير  
المعارف وبعد استطلاع وزير العديلية .

« يقرر »

المادة الاولى عندما ينتهي طبع كل مطبوع سواء اكان هذا المطبوع يصدر في  
وقت معين ام لا وكل قطعة موسيقية وكل رسم مصور الخ - على صاحب المطبعة أن  
بودع المكتبة الوطنية في الدولة السورية نسختين منها والاكان عرضة لجزاء يتراوح بين  
١٠ و ٥٠ ابرة ورقاً وتحتوي وثيقة الابداع على اسم صاحب المطبعة وعنوانه واسم المطبوع  
وعدد نسخة ويعطى بالنسختين وصل مرقم مؤرخ . يستثنى من ذلك اوراق الانتخاب . رسائل  
وطاقت الدعوات وبيانات العنوان وعنوان الفواتير والاسهم المالية والعهود والاذاعات  
التجارية والصناعية .

المادة الثانية يجري الابداع الاجباري المنصوص عليه في المادة السابقة .

- اما رأساً في المكتبة الوطنية (الجمع العلمي) بدمشق .  
 واما رأساً في مصلحة المعارف بجلب .  
 واما بموجب كتاب مفهمون باسم محافظ المكتبة الوطنية (الجمع العلمي) بدمشق .  
 عند ما يجري الابداع رأساً يعطى الوصول فوراً وعندما يرسل بواسطة البريد يعطى الوصول بالطريقة نفسها .  
 وعلى كل الأحوال بوضع رقم الوصول بالخبر على المستندين المودعتين بجانب اسم صاحب المطبعة يستعمل سجل خاص حسب تتابع الأيام مرقم من (١) الى (١٠) في المكتبة الوطنية وسجل آخر في مصلحة المعارف بجلب لتسجيل الابداعات .  
 المادة الثالثة تجري التعقيبات من قبل النيابة العامة في المركز الموجودة فيه المطبعة المخالف صاحبها وهذه التعقيبات تجري اما من قبل النيابة العامة مباشرة واما بناء على طلب رئيس الجمع العلمي أو رئيس مصلحة المعارف بجلب .  
 المادة الرابعة تلغى جميع الأحكام المخالفة لهذا القرار وأحكام القوانين السابقة التي تتعلق بابداع نسخة واحدة من بعض المؤلفات الى مصلحة المعارف .  
 المادة الخامسة وزير المعارف والعدلية مكلفان كل بما يخصه بتنفيذ هذا القرار .  
 دمشق : في ٢٦ آب سنة ١٩٣٠

وزير المعارف      شوهد وزير العدلية      رئيس مجلس الوزراء  
 التوقيع (محمد كرد علي)      التوقيع (صبيح النبال)      التوقيع (محمد تاج الدين الحسيني)  
 شوهد وصدق بتاريخ ٦ ايلول سنة ١٩٣٠ تحت رقم ٨٨٧٦  
 المنسوب  
 التوقيع (بروير)



## رياسة المجمع العلمي العربي

انتهت مدة رياسة المجمع العلمي العربي فكتب معالي وزير المعارف مظهر باشا رسلان الى رياسة المجمع كتابا بتاريخ ٢٨ حزيران ١٩٣٢ هذا نصه :

« نرجوا ان تأمروا بجمع اعضاء المجمع العلمي لانتخاب رئيس له بحسب الاصول وتفضلوا باعلامنا النتيجة وقبول فائق الاحترام سيدي . »

فانتخب المجمع ثلاثة من اعضائه عملاً بقرار رقم ١٤٠٩ وهم الاساتذة محمد بك كرد طلي والدكتور اسعد الحكيم والامير مصطفى الشهابي فاخترت وزارة المعارف الرئيس الاول وكتبت الى المجمع بتاريخ ٢٧ آب سنة ١٩٣٢ الكتاب الآتي :

« لمعالي رئيس المجمع العلمي العربي الانتم

هياًنا مرسوماً بتجديد انتخاب معاليكم لرياسة المجمع العلمي العربي وسنرسله اليكم متى صدق فنأمل أن يستمر المجمع في رياستكم الجديدة في سبيل التقدم والترقي وان يزداد ازدهاراً وتفضلوا بقبول فائق الاحترام سيدي . »

وهذه صورة المرسوم العالي الوارد بتجديد تعيين الرئيس

« ان رئيس الجمهورية السورية

بناءً على الدستور المنشور في ١٤ أيار سنة ١٩٣٠

وبناءً على القرار رقم ١٣٥ بتاريخ ٨ أيار ١٩٢٨ القاضي بوضع نظام المجمع العلمي

وبناءً على القرار رقم ١٤٠٩ بتاريخ ١٤ كانون الأول ١٩٢٩ القاضي بوضع نظام تعيين رؤساء المعاهد

وبناءً على قرار المجمع العلمي بتاريخ ٢٤ آب سنة ١٩٣٢

وبناءً على اقتراح وزير المعارف

« يرسم مايلي »

المادة ١ - - يجدد تعيين الاستاذ محمد بك كرد طلي رئيساً للمجمع العلمي العربي لمدة

لخمس سنوات اعتباراً من ١٦ حزيران سنة ١٩٣٢

المادة ٢ - بذاع هذا المرسوم ويبلغ الى من يجب .

دمشق في ربيع الآخر سنة ١٣٥١ هـ . وفي آب سنة ١٩٣٢ م

١٣ جمادى الاولى سنة ١٣٥١ هـ و ١٣ ايلول سنة ١٩٣٢ م

التوقيع : محمد علي العابد

صدر عن رئيس الجمهورية

رئيس مجلس الوزراء

وزير المعارف

التوقيع : حقي العظم

التوقيع : مظهر رسلان

## آراء وافكار



### « جامع أو جامعة القرويين »

ان فاخر المشرق بالأزهر وقدم الأزهر فان المغرب الأوسط جدير بان يباهي بجامع الزيتونة . والمغرب الأقصى بجامع او جامعة القرويين . وان هذا الأخير أسبق زمنًا من رفيقيه بل ربما كان أقدم مدرسة جامعة في العالم .

أسست جامعة القرويين امرأة وهي فاطمة أم البين سنة ٢٤٥ هـ وما زالت تلك الجامعة منذ ذلك التاريخ الى الآن تهدي الى مختلف الأقطار في المشرق والمغرب حفاً من ثمار رجالها الذين خدموا العلم بنشاط واخلاص واثروا في كل جهة بزور الفنون المختلفة سواء منها ما يتعلق بالدين أو الدنيا . وما كان تعصب هؤلاء الرجال لدينهم بالذي ينههم ان يفتخروا صدورهم لقبول كل شيء ردرس كل ما من شأنه ترقية الفكر واصلاح الضمير . ولنسر د على سبيل المثال طائفة من هؤلاء الرجال :

- (١) عبد الله بن حجاج صاحب الأرجوزة في الجبر والمقابلة ( توفي سنة ٦٠١ هـ ) .
- (٢) الإمام ابن البنا الفلكي المهندس الفيلسوف ( نيف و ٧٢٠ هـ ) .
- (٣) احمد بن شعيب الجرناني الطبيب الأديب ( ٥٧٤٩ هـ ) .
- (٤) محمد بن عمر الفلكي ( ٧٩٤ هـ ) .
- (٥) ابو زيد الجاديري الفلكي الشهير ( ٨١٨ هـ ) .
- (٦) عبد الله اليفرني اليحسوبي الكبير ( ٨٥٦ هـ ) .
- (٧) ابو عمران بن المقدة موسى السلمثاني ( ٩١١ هـ ) .
- (٨) ابو العباس احمد المطرفي المعدل ( ١٠٠١ هـ ) .

- (٩) ابو زيد البعقلي الفلكي (١٠٠٦ هـ) .  
 (١٠) محمد بن ابي القاسم بن القاضي الرياضي (١٠٤٠ هـ) .  
 (١١) ابو الحسن بن عبد الواحد صاحب المؤلفات في الطب والتشريح والفلك  
 (١٠٥٢ هـ) .  
 (١٢) عبد الوهاب بن ابي حامد الميقاتي المهندس (١٠٧٩ هـ) .  
 (١٣) محمد بن سليمان الروائي مخترع كرة الدوائر الفلكية الشهيرة به المتوفى بالشام  
 (١٠٩٥ هـ) .  
 (١٤) ابو زيد عبد الرحمن الفاسي اسنوطي زمانه الذي قيل فيه أنه أعرف بكل فن  
 من اهل كل فن . مؤلف كتاب الأرقام ومخطط الخرائط الجغرافية والفلكية  
 الخالدة (١٠٩٦ هـ) .

هذه طائفة من اشتهر بعلم الدنيا اما علماء الدين فانهم يفوقون الحصر . وكانت جامعة  
 القرويين على اختلاف الاعصار مثابة لطلاب الاقطار يفدوا اليها رغبة في التزود من  
 معينها والكروع من ينابيع رجالها فقد ثبت عديداً من طلبة مصر وافريقية والانديس  
 وانكترا وروما وغيرها وقد نال بعض علماء الروسية ( ان أقدم كلية في العالم ليس في ايربا  
 كما كان يظهر بل في افريقية في مدينة فاس عاصمة بلاد المغرب سابقاً اذ تمق بالشواهد  
 التاريخية ان هذه المدرسة كانت تدعى ( كلية تيروان ) وتأسست في القرن التاسع للميلاد  
 ( أي الثالث للهجرة ) وعليه فهي ليست فقط أقدم كليات العالم بل هي الكلية الوحيدة التي  
 كانت تتلقى فيها الطلبة العلوم السامية في تلك الأزمنة وقت ان لم تكن سكن باريس  
 واكسفورد وباردو وبولونيا يعرفون من الكليات الا الاسم ولذلك كانت الطلبة تتوارد على  
 ( كلية فيروان ) من انحاء ايربا وانكترا فضلاً عن بلاد العرب الواسعة للائترات في سلك  
 طلابها وتلقى العلوم السامية باللغة العربية مع الطلبة الافريقيين والمصريين والانديسين  
 وغيرهم ومن جملة من تلقى علومه في هذه الكلية من الأوربيين البابا ( سلستتر ) وهو اول من  
 ادخل الى ايربا الأرقام العربية وطريقة الأعداد المألوفة بعد أن اتقنها جيداً في هذه  
 الكلية كما يظهر من رسالته الى الامبراطور ( أنون ) مساعده التي أتق فيها على ذكر الصفح  
 بقوله : إنني اشبهك بالرقم الأخير من الأعداد البسيطة العشرية التي تزداد قيمته بوضع اعداد

أخرى عن يساره اه . وقول هذا الكاتب الروسي ان اسم تلك الكلية (كلية قيروان) تغيير في الترجمة وصوابه (كلية القرويين) وقد رأى القاري من اسماء العلماء السابقين انهم كانوا محوراً في علوم الدنيا كالتب والفلك والهندسة وهذا في القرن الثالث عشر الذي بعد بحق عصر الاسفاف في الافكار والانحطاط في الهمم وقد أشار الى ذلك كثيرون ممن تعرضوا للغرب في كتاباتهم من الأوربيين أمثال الموسيو (بونه مورو) مؤلف كتاب الاسلام والنصرانية في الفريضة ومن العلماء المعاصرين الذين تلقوا العلوم الحديثة في جامعة القرويين .

(١) - الطبيب سيدي عبدالسلام العلمي وله مصنف في البواسير ومعذف آخر سماه

(ضوء النبراس . في حل الفاظ الانطاكي بلغة فاس) وقد ذكر في آخر هذا الكتاب انه شرع في وضع معجم للمصطلحات الطبية الجديدة ومقابلتها بالمفردات العربية واللهجة المغربية ولا نعلم ان كان أمته او حالت المنية دون الاتمام .

(٢) - ابو عبد الله الأغزاوي المهندس .

(٣) - سيدي ادريس الباغي الفلكي .

(٤) - السيد محمد الايرايي الموسيقي البارع الذي استمر يدرس الموسيقى بظهور

صومعة القرويين الى آخر العقد الثالث من هذا القرن .

ولسنا ننكر ان في هذه الجماعة فوضى تحتاج الى اصلاح ونظامتين ولعل هذا في

جملة الاسباب التي دعت جلاله السلطان مولاي الحسن الى إيفاد البعثات العلمية .

الاستفادة من العلوم الحديثة وتطبيق برنامج ثابت في جامعة القرويين تنال من ورائه الفائدة

المتبقاة ان شاء الله . انتهى ملخصاً من مقال لسيدي محمد علال الفاسي نشره في (مجلة المغرب) .

«المغربي»

## « الفهرس العام »

( لما في هذا المجلد من المواد والموضوعات مرتباً على حروف الهجاء )

صفحة	حرف الهذرة ( الف )	صفحة
٢٤٩	استفهام ( عن كلمات لغوية )	٢٥٢
٣١٦	الاسلام ( كتاب )	١١٠
١٧٥	الاسماء العربية للتجار النباتية	٢٦
٣٩٨	اصطلاحات النباتات الدنيا	٦٣٥
٦٣	الاعلام العربية والفارسية عند السريان ( كتاب )	٥٤
٤٣٩	الفاظ عربية في اللغة الارمنية	٥٧١
٢٨٢ و ٢٠٤ و ١٢٩	الف ليلة وليلة ( محاضرة فيها )	٣١٧
٣٧٦	أصراء الشعر العربي ( في العصر العباسي . كتاب )	٤٤٤
٥٤٨ و ٤٧٨ و ٤١٦ و ٢١٦	اوليا جلبي ( رحلته )	٧٢٨ و ٦٧٢ و ٦٠٧
	حرف الباء	٧٢١ و ٦٤١
٤٤٨	البيت الشامي في حوران وغيرها ( كتاب )	٣١٥
	حرف التاء	٣١٧
٦٠٣	تاريخ الفقه الاسلامي ( كتاب فيه )	٥١٣
٣٥٢ و ٣٢٦	التبصر بالتجارة ( كتاب . ونقطة ناشره )	٦٨٢ و ٤٠٣ و ٢٥٧
		والحدبشة )
		١٢٢
		٤٣٩

صفحة	صفحة
٥٧٤ الحديث (ثلاث رسائل في مصطلحه)	٦٦٨ التدوين في الاسلام (تلخيص مقال)
٢١ حروف التاج	٧٠١ تذكرة النوادر (كتاب مخطوطات بالهند)
٥٧ الحسبة (آدابها . كتاب)	١٠٦ التكملة والصلة والذيل للقاموس
١٨٩ الحلاج (ترجمة ديوانه)	٣٥٦ نوم الميت حياً (بحث لغوي . تابع
٣٠٩ حلب (اصل بنائها)	مقالات قاعدة نوم اصالة الحرف)
حرف الخاء	١٢٦ تهذيب الاخلاق والتعليل الاجتماعي
٤٤٧ الخوف الشامي العراقي (كتاب	الوطني (كتاب)
بالافرنسية)	حرف الشاء
٣٨٢ الخطرات (مقالات في كتاب)	٤٤٩ الثقالة والثقلاء (محاضرة)
١٨٠ الخط العربي (تلاخيص من كتاب فيه)	حرف الجيم
٣٧٨ الخيام (رباعياته)	٤٥ و ٤٠ الجاحظ (تهكمه)
حرف الدال	٢٣٣ = (عقربته)
٦٩٨ در (كلمة فارسية في الكلمات العربية)	٢٩٩ و ٣٦٢ = (فنه)
حرف الراء	٣٢١ = (كتاب من مصنفاته)
١٩١ الراء (بحث لغوي فيها)	١٥٢ = (مذهبه في الأدب)
٣٧٨ رباعيات الخيام	٩٧ و ٨٩ = مذهبه في النقد
٧٠٥ رحلة الي القاهرة (محاضرة)	١٢٥ الجزائر (كتاب في شعرائها المعاصرين)
٦٥ الرسالة النباتية	٣١٢ الجزائر (كتاب نفيس فيها)
٢٥٥ الرسالة النباتية (تقريظها)	٧٧٤ جامع القرويين (تلخيص مقال فيه)
٦٣ رياحين الأرواح (كتاب)	٣٨٤ الجيش المرصم (كتاب)
حروف الزاي	حرف الحاء
٦٢٧ الزبور الشريف (مخطوط)	٧٣٥ حافظ ابراهيم (حفلة تأييده والخطب
	التي القيت فيها):

صفحة	صفحة
١١١ زكي مفاخر (ترجمة حياته)	١١١ زكي مفاخر (ترجمة حياته)
٣١٥ الزواج (احاديث فيه)	٣١٥ الزواج (احاديث فيه)
بحرف السين	بحرف السين
٥٨ السريان (اعلامهم - كتاب)	٥٨ السريان (اعلامهم - كتاب)
٥٨٩ سورية (شعوبها وآثارها - محاضرة)	٥٨٩ سورية (شعوبها وآثارها - محاضرة)
٦٦١ سورية الجوفية (تاريخها)	٦٦١ سورية الجوفية (تاريخها)
بحرف الشين	بحرف الشين
٥٦٨ شنطه (أي كلمة عربية تقوم مقامها ?)	٥٦٨ شنطه (أي كلمة عربية تقوم مقامها ?)
بحرف الصاد	بحرف الصاد
٦٤ الصابون (تأليف فيه)	٦٤ الصابون (تأليف فيه)
٣١٤ الصبح المنبي (كتاب)	٣١٤ الصبح المنبي (كتاب)
٢٩٢ و٢٤٣ صفي الدين الحلبي (ترجمته)	٢٩٢ و٢٤٣ صفي الدين الحلبي (ترجمته)
٣١٧ الصليبيون (كتاب عنهم)	٣١٧ الصليبيون (كتاب عنهم)
٥٠٣ الصليبيون (كلماتهم الدخيلة في العربية)	٥٠٣ الصليبيون (كلماتهم الدخيلة في العربية)
٥٢ الصنوبري (الشاعر)	٥٢ الصنوبري (الشاعر)
٥٦٨ (صوت) مكان (شنطه)	٥٦٨ (صوت) مكان (شنطه)
٣١٦ الصيغونية (منابتها)	٣١٦ الصيغونية (منابتها)
بحرف الطاء	بحرف الطاء
٦٣٨ الطب العربي (كتاب)	٦٣٨ الطب العربي (كتاب)
٢٥٥ طوق الحمامة (كتاب)	٢٥٥ طوق الحمامة (كتاب)
بحرف العين	بحرف العين
٧٢١ و٦٤١ عائشة الباعونية (في محاضرة)	٧٢١ و٦٤١ عائشة الباعونية (في محاضرة)
١١٠ عشر كوكبا)	١١٠ عشر كوكبا)
٣٧٩ العبرات الملتببة (ديوان شعر)	٣٧٩ العبرات الملتببة (ديوان شعر)
٥٣٣ عرب البادية (القضاء عندهم)	٥٣٣ عرب البادية (القضاء عندهم)
٦٥٤ العشر واخراج في الخلافات العربية	٦٥٤ العشر واخراج في الخلافات العربية
بحرف القاء	بحرف القاء
٣٨٥ الفارابي (ترجمته)	٣٨٥ الفارابي (ترجمته)
١٦١ الفراسة (قصيدة)	١٦١ الفراسة (قصيدة)
٦٠٣ الفقه (مصنف في تاريخه)	٦٠٣ الفقه (مصنف في تاريخه)
٦٠٣ الفكر السامي (جزء الثالث والرابع)	٦٠٣ الفكر السامي (جزء الثالث والرابع)
(راجع مجلد ٩ ص ٥٠٦)	(راجع مجلد ٩ ص ٥٠٦)
بحرف القاف	بحرف القاف
٦٣٧ القرآن (بالحروف اللاتينية)	٦٣٧ القرآن (بالحروف اللاتينية)
١٢٠ القرآن (ترجمته الى الافرنسية)	١٢٠ القرآن (ترجمته الى الافرنسية)
٧٦٥ قرارات تتعلق بالمجمع العلمي العربي	٧٦٥ قرارات تتعلق بالمجمع العلمي العربي
٧٧٤ القرويون (جامعته)	٧٧٤ القرويون (جامعته)
٦٣٦ قصص جديدة للأطفال (كتاب)	٦٣٦ قصص جديدة للأطفال (كتاب)
٥٣٣ القضاء عند عرب البادية (محاضرة)	٥٣٣ القضاء عند عرب البادية (محاضرة)
بحرف الكاف	بحرف الكاف
٣٧٨ كتابان في النكاح والطلاق والهبات	٣٧٨ كتابان في النكاح والطلاق والهبات
والوصايا والفرائض (مترجم عن العربية الى الفرنسية)	والوصايا والفرائض (مترجم عن العربية الى الفرنسية)
٥٧ و٣ و٤ و٦ و٨ و٩ و١٠ و١١ و١٢ و١٣ و١٤ و١٥ و١٦ و١٧ و١٨ و١٩ و٢٠ و٢١ و٢٢ و٢٣ و٢٤ و٢٥ و٢٦ و٢٧ و٢٨ و٢٩ و٣٠ و٣١ و٣٢ و٣٣ و٣٤ و٣٥ و٣٦ و٣٧ و٣٨ و٣٩ و٤٠ و٤١ و٤٢ و٤٣ و٤٤ و٤٥ و٤٦ و٤٧ و٤٨ و٤٩ و٥٠ و٥١ و٥٢ و٥٣ و٥٤ و٥٥ و٥٦ و٥٧ و٥٨ و٥٩ و٦٠ و٦١ و٦٢ و٦٣ و٦٤ و٦٥ و٦٦ و٦٧ و٦٨ و٦٩ و٧٠ و٧١ و٧٢ و٧٣ و٧٤ و٧٥ و٧٦ و٧٧ و٧٨ و٧٩ و٨٠ و٨١ و٨٢ و٨٣ و٨٤ و٨٥ و٨٦ و٨٧ و٨٨ و٨٩ و٩٠ و٩١ و٩٢ و٩٣ و٩٤ و٩٥ و٩٦ و٩٧ و٩٨ و٩٩ و١٠٠	٥٧ و٣ و٤ و٦ و٨ و٩ و١٠ و١١ و١٢ و١٣ و١٤ و١٥ و١٦ و١٧ و١٨ و١٩ و٢٠ و٢١ و٢٢ و٢٣ و٢٤ و٢٥ و٢٦ و٢٧ و٢٨ و٢٩ و٣٠ و٣١ و٣٢ و٣٣ و٣٤ و٣٥ و٣٦ و٣٧ و٣٨ و٣٩ و٤٠ و٤١ و٤٢ و٤٣ و٤٤ و٤٥ و٤٦ و٤٧ و٤٨ و٤٩ و٥٠ و٥١ و٥٢ و٥٣ و٥٤ و٥٥ و٥٦ و٥٧ و٥٨ و٥٩ و٦٠ و٦١ و٦٢ و٦٣ و٦٤ و٦٥ و٦٦ و٦٧ و٦٨ و٦٩ و٧٠ و٧١ و٧٢ و٧٣ و٧٤ و٧٥ و٧٦ و٧٧ و٧٨ و٧٩ و٨٠ و٨١ و٨٢ و٨٣ و٨٤ و٨٥ و٨٦ و٨٧ و٨٨ و٨٩ و٩٠ و٩١ و٩٢ و٩٣ و٩٤ و٩٥ و٩٦ و٩٧ و٩٨ و٩٩ و١٠٠
والحديثة	والحديثة



صفحة	صفحة
١٠٦ و ٥٥	١٤٣
مخطوطات (شكلة القاموس وغيرها)	الكلمات الايوبية
٧٠٣ و ٦٣٤ و ٥٠٦	٥٧٧ و ٥٢١
مخطوطات دار الكتب	الكلمات غير القلموسية (الكلمة
الطاهرية (نوادرها)	الاخيرة فيها)
٤٧٠	٥٦٨
مخطوطات المدرسة الثمانية بحلب	كلمة مكان كلمة
٧٠١	١٢٤
المكاتب الهندية	الكنائس الشرقية البيزنطية (كتاب)
٥٧٥	٦
المسك الاذفر (كتاب)	الكوكائين (مخاضرة)
٥٧٤	
مصطلح الحديث (ثلاث رسائل فيه)	حرف الميم
٢٧٠ و ١٩٣	
مصطلحات علمية (مقال مسهب	
فيها)	
٦٠	١٢٦
المفرد (كتاب)	المبشرون (كتاب فهم)
٤٤٤	٥١١
مكناس (كتاب في تاريخها)	مجلة الابحاث الشرقية (بالفرنسية)
٤٩٧	٥٠٨
ملاحظات لغوية	مجلة الضياء الهندية
٢٥٠	٤٤٢
ملاحظات (في نقد مقال)	مجلس احياء المعارف النعمانية في الهند
٣١٦	١
منابت الصبونية (كتاب)	المجمع العلمي (جدولان باسماء اعضاءه
٦١	
المنتخب من ادب العرب (كتاب)	الاحياء والراجلين)
٦٣١	٧٦٥
منصور البهوتي (ترجمته)	المجمع العلمي (قرارات فيه)
١٩٠	٣١٩
الموجز التاريخي (كتاب مدرسي)	مخطوطاته التي اقتناها
	حديثاً)
حرف النون	١٢٣
١١٥	٥٩
النثر الجاهلي (تلخيص مقال عنه)	مجموعة الرقم العربية (جزوه الأول)
٤٨٩ و ٤٣١ و ٣٦٧	٦٣٩
نشوار الحاضرة (جزوه	مجموعة الرقم العربية (جزوه الثاني)
الثاني) مخطوط ينشر	٣٧٩
تبعاً)	المخطوطات المختارة والموجز في علم اللنطق
٦٩٠ و ٦١٨ و ٥٥٩	(ومما كتابان مدرسيان)
٥٧٦	٢٥٣
نصوص على خبرين للملكين مصريين	محمد هندو (كتاب في تاريخ حياته)
٤٤٦	٣١٩
نظرات الشوري (كتاب)	مخطوطات (اقتناها المجمع العلمي)

صفحة	حرف الهاء
٢٤٩	نقيد لغوي (استنباهم)
٢٥٠	نقد مقال (حول الحلاج).
٥٠٣	نموذج من الكلمات الصليبية
٨١	نهاية الأرب (نصحح اضلاط جزئه الثامن)
	حرف الواو
٦٣٣	والثة ابن الامقع (حول وفاته وقبره)
	صفحة
	٢٧ و ١١٥ هدايا كتب
	٧٠١ الهند (كتاب في مخطوطاتها)
	٥٠٨ الهند (مجلتها . الفياه)
	٤٤٣ الهند (مجلس لطبع كتب الساجية الخفية فيها)
	٥٧٣ الهند (مبضيتها . رسول الوحدة)

فهرست الاعلام

« اي اسماء كتاب المقالات المنشورة في هذا المجلد مرتبة على حروف المعجم »

صفحة	حرف الالف	صفحة
٢٣٣ و ٢٩٩ و ٣١٤ و ٣٦٢	أ . . . أبيان	٤٣١
٣٧٦ و ٣٧٨ و ٣٧٩ و ٧٦٠	ابوالوفاء (الهندي)	٤٤٢
٢٤٩٠	احمد الاشكندري	٢٦ و ٢٤٣ و ٢٩٢
حرف العين	احمد حسن الزيات	١٢٩ و ٢٠٤ و ٢٨٢
عبد الرحمن جوخدار	اسعد الحكيم	٦٠٦ و ٦٣٦ و ٦٣٧ و ٦٣٨
عبد القادر المبارك	حرف الجيم	
عبد الله رعد	جبرائيل رباط	٣٠٩
عبد الله مخلص	جعفر الحسني	٣١٦ و ٣١٧ و ٤٤٧ و ٤٤٨
عبد الهادي بن محمد السلاوي		١١٠ و ٥٧٦ و ٥٨٩ و ٦٣٩
عيسى اسكندر المعلوم	حرف الحاء	
حرف القاء	حبيب غزالة	٢١
فارس الخوري	حسن حسني عبد الوهاب	٣٢١
حرف الكاف	حسني الكسم	٦ و ٦٣٤ و ٧٠٣
كامل النزي	حقي العظم	٧٣٦
حرف الميم	حرف السين	
محمد احمد دهمان	سليم الجندي	٢٥٧ و ٣٧٩ و ٤٠٣ و ٦٨٢
محمد بهجة الاثري	حرف الشين	
محمد جميل الخاني	شفيق جبري	٤٠ و ٦١ و ٨٩ و ١٢٢ و ١٩٣ و ٢٧٠
محمد الحجوي		٦ و ١٨٩ و ١٩٠ و ١٩١

	صفحة	صفحة
٣١٩ و ٤٣١ و ٢٧٧ و ٢٦٦ و ٢٥٨ و ٨١	محمد راغب الطباخ	٤٧٠ و ٥٢
٥٠٨ و ٥٠٣ و ٤٤٩ و ٤٤٤ و ٣٥٦	محمد سرى (انصل مصر)	٧٦٣
المغربي { ٥٧٤ و ٥٧٢ و ٥٦٨ و ٥٢١ و ٥١١	محمد كردطى {	٢٥٢ و ٦٠ و ٥٩ و ٥٨ و ٥٧
٦٩٨ و ٦٦٨ و ٦٤١ و ٦٠٣ و ٥٧٧		٥٧١ و ٣١٢ و ٢٥٥ و ٢٥٣
٧٧٤ و ٧٥٠ و ٧٢١		٧٤٤ و
حرف الواو	محمد يحيى الماشي	٥١٣
وصفي زكريا { ٥٤٨ و ٤٧٨ و ٤١٦ و ٣١٦	مصطفى الشهابى {	٣٨٢ و ١٧٥ و ٦٥ و ٦٣
		٦٣٥ و ٤٤٦ و ٣٩٨ و
٧٢٨ و ٦٧٣ و ٦٠٧		٧٠٥ و ٦٥٤ و
	مصطفى عبد الرازق	٣٨٥

## جدول الخطأ والصواب

ورد في اجزاء هذا المجلد اغلاط مطبعية نهبنا اليها فيما يلي :

- جاء في ص ٢٣ س ١ اهو صوابها هو . وفيها س ٢ للغة صوابها اللغة . وص ٢٦ س ٤ بوجه صوابها نبوغه . وص ٣٩ س ٦ لظية صوابها لظية . وص ٤٩ س ٥ من ا صوابها من أن . وص ٥٨ س ١٣ الحبة صوابها الحسبة . وص ٦٦ س ١١ يكف صوابها يكون . وص ٧٢ س ٩ زهرة الجريس صوابها زهرة الجملجل . وص ٨٧ س ٦ conte صوابها comte . وفيها س ١٠ ممة صوابها مقابة . وص ٩٥ س ٢٣ بلاد صوابها ببلاد . وص ١١٣ س ١٨ بعهه صوابها بعدها . وص ١٢٥ س ٦ ويتذقون صوابها ويتذوقون . وص ١٥١ س ٢ فسل صوابها فصل . وفيها س ٧ والنسل صوابها والفصل . وص ١٥٤ س ٢٠ فظا صوابها لفظاً . وص ١٥٧ س ٨ يقذها صوابها يقذفها . وص ١٥٩ س ١٥ الاستكره صوابها الاستكراه . وص ١٧٨ س ١٤ التذحية صوابها التفاحية . وص ١٨١ س ٢٢ بالنقط صوابها بالنقط . وص ١٩٢ س ٨ - ١١ صوابها واوأ . وص ١٩٥ س ٦ ولاخر صوابها والآخر . وص ٢٣٠ س ١٣ القطلب صوابها القبس . وص ٢٤٥ س ١٠ هاملة صوابها معاملة . وفيها س ١٣ بعدي صوابها لبعدي . وص ٢٤٧ س ١٩ يترض صوابها فيترض . وص ٢٥٩ س ٧ وقى صوابها وفي . وص ٢٦٢ س ١٢ ف صوابها في . وص ٢٩٥ س ١٤ - ١٤ صوابها قويا . وص ٣٠٠ س ٢٢ الممدد صوابها الممدود . وص ٣٠٣ س ٨ نزله صوابها منزله . وص ٣٠٤ س ٧ خلقه صوابها خلقه . وص ٣٢٧ س ١٢ خادمة صوابها خادمة . وص ٣٨٤ س ٢٠ المفخرة صوابها المعاصرة . وص ٣٩١ س ١ الأشار صوابها لأشار . وص ٣٩٩ س ١٠ المظلب صوابها المظلب . وص ٤٠١ س ٢ وعأوها صوابها وعاءها . وص ٤٠٩ س ٨ (١) صوابها ١٠ . وص ٤١٨ س ٢ هرب صوابها تركان . وفيها س ٣ سراة التركان صوابها سرايتهم . وفيها س ٥ في زهاء صوابها وزهاء . وفيها س ١٥ (١٣٥) صوابها ١٣٥١ . وص ٤٤٤ س ٤ في صوابها في . وص ٤٤٦ س ٦ وضعه صوابها وضمته . وص ٤٤٨ س ١٥ (٤) صوابها (٠) . وص ٤٥٤ س ١ رجع صوابها ترجع . وص ٤٦١ س ٢٠ تم صوابها ثم . وص ٤٦٤ س ١٩ و وى صوابها

- وروى . و ص ٤٧٤ س ١١ يقتض صوابها بنقص . و ص ٤٧٩ س ٢٢ وربما صوابها وبما .  
 و ص ٤٨٠ س ١٢ الحرار صوابها الحرى . وفيها س ١٨ طمى الحرات صوابها العلمي الحرى .  
 وفيها س ٢٠ تعميق صوابها بتعميق . و ص ٤٨٥ س ١٠ متعددة صوابها ممتدة . وفيها س ١  
 مقعرة وثلاثة صوابها مقعرة أو ثالثة . و ص ٥١٧ العنوان محمد يحيى الاثرى صوابها محمد يحيى  
 الهاشمي . و ص ٥٢٣ س ٢٠ نحتاج صوابها نحتاج . و ص ٥٢٦ س ١٧ المترددة صوابها المتردفة .  
 و ص ٥٥٠ س ٢٢ (٤٩) - ٥٠ صوابها ٤٠ - ٥٠ . و ص ٥٥٣ س ٣ البيان صوابها البيان .  
 و ص ٥٥٦ س ٦ (٦٣) صوابها ٦٣٠ . وفيها س ٧ (٦٨٩) صوابها ٦٧٩ . و ص ٥٥٩ س ١٣  
 اربع صوابها اربع . و ص ٥٦٧ س ١٠ قلت الصواب فقلت . و ص ٥٧٢ س ٨ التي تعادته  
 الصواب التي تعادرته . و ص ٥٨٦ س ٢٠ لكلمات الصواب الكلمات . وفيها س ٢١ - احاجة  
 الصواب حاجة . و ص ٥٩٥ س ١١ أصبح الصواب فأصبح . و ص ٥٩٧ س ١٠ يحفى الصواب  
 ينفى . و ص ٦١٠ س ٨ الداوية اى الفرسان الهيكليين - الصواب الاستار اى فرسان  
 مستشفى ماربروحنا . و ص ٦١٣ س ١٦ الزيادات صوابها الزيارات . و ص ٦١٥ س ٢٤ له  
 صوابها عليه . و ص ٦١٦ س ١٨ يثمل صوابها يثمل . و ص ٦١٩ س ١٨ منكسراً - صوابها  
 منكسراً . و ص ٦٢٨ س ٢ في فتح صوابها في فتح . و ص ٦٥٦ س ٨ حسين صوابها خمسين .  
 و ص ٦٥٧ س ٤ جري صوابها جريب . وفيها س ١١ نباتيين صوابها نباتيين . و ص ٦٧٤  
 س ١٤ في اسم صوابها اسم . و ص ٦٧٥ س ١٤ كلقصور صوابها كلقعود . و ص ٦٧٦  
 س ٢١ رجل ايضاً صوابها ايضاً رجل . و ص ٦٧٨ س ٢ غنابير صوابها غنابيز و ص ٧٠٠  
 س ٦ دبة صوابها دربة . و ص ٧٠٢ س ١ - لأخرى صوابها الأخرى . وفيها س ٩ هذه  
 صوابها في هذه . و ص ٧٠٨ س ١٥ توت غنخ صوابها غنخ . و ص ٧١٦ س ١ مصر لمن  
 صوابها مصر لمن . و ص ٧٢٣ س ٦ غمه صوابها نغمه . وفيها س ١٠ محاطباً صوابها محاطباً .  
 و ص ٧٢٥ سطر ٢٥ ي صوابها أي . و صفحة ٧٢٨ سطر ١٢ الحرات السوداء صوابها حجارة  
 الحرار السود . و صفحة ٧٣٢ سطر ١ جرت في صوابها جرت معركة في . و صفحة ٧٤٩ سطر  
 ١٤ نحاظبه صوابها نحاظبه . و صفحة ٧٥٢ سطر ١ يابج صوابها يابج . و صفحة ٧٥٦ سطر  
 ١١ الفصيح صوابها الفصيح .

